

الكشف والبيان

في تفسير القران

المعروف بـ

تفسير الثعلبي

للإمام العالم العلامة أبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي

المتوفى ٤٢٧ هـ

تحقيقه

الشيخ سيد كشروي حسن

الجزء الخامس

المحتوى:

مئة أول سورة العنكبوت - إلى آخر سورة الطور

مستورات

محمد رحيمي بيهوش

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

مستودعات مكتبة دار الكتب العلمية بيروت



دار الكتب العلمية

جميع الحقوق محفوظة

Copyright

All rights reserved ©  
Tous droits réservés ©

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة  
لدار الكتب العلمية بيروت - لبنان.  
ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو  
مجزئاً أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر  
أو برمجته على أسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً

Exclusive rights by ©

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Beirut - Lebanon

No part of this publication may be translated,  
reproduced, distributed in any form or by any means,  
or stored in a data base or retrieval system, without the  
prior written permission of the publisher.

Tous droits exclusivement réservés à ©

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Beyrouth - Liban

Toute représentation, édition, traduction ou reproduction  
même partielle, par tous procédés, en tous pays, faite  
sans autorisation préalable signé par l'éditeur est illicite  
et exposerait le contrevenant à des poursuites  
judiciaires.

الطبعة الأولى

م. ٢٠٠٤ - هـ ١٤٢٥

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

رمل الطريف - شارع البحري - بناية ملكارت

الإدارة العامة: عرمون - القبة - مبنى دار الكتب العلمية

هاتف وفاكس: ٨٠٤٨١٠/١١/١٢/١٣ (+٩٦١ ٥)

صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

Beirut - Lebanon

Raml Al-Zarif, Bohtry Str., Melkart Bldg. 1st Floor

Head office

Aramoun - Dâr Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.

Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13

P.O.Box: 11-9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

Beyrouth - Liban

Raml Al-Zarif, Rue Bohtry, Imm. Melkart, 1er Etage

Administration général

Aramoun - Imm. Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13

B.P: 11-9424 Beyrouth - Liban

ISBN 2-7451-4410-3



9782745144102

<http://www.al-ilmiyah.com/>

e-mail: [sales@al-ilmiyah.com](mailto:sales@al-ilmiyah.com)

[info@al-ilmiyah.com](mailto:info@al-ilmiyah.com)

[baydoun@al-ilmiyah.com](mailto:baydoun@al-ilmiyah.com)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ

مكية<sup>(١)</sup>، وهى أربعة آلاف ومائة وخمسة وتسعون حرفاً

وألف وتسعمائة وإحدى وثمانون كلمة، وتسع وستون آية

أخبرنا الخبازى قال: أخبرنا ابن حيان، قال: أخبرنا محمد بن على الفرقدى قال: حدثنا إسماعيل بن عمرو قال: حدثنا يوسف بن عطية قال: حدثنا هارون بن كثير قال: حدثنا زيد ابن أسلم، عن أبيه، عن أبى أمامة، عن أبى بن كعب، قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة العنكبوت كان له من الأجر عشر حسنات بعدد كل المؤمنين والمنافقين».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الرَّ ۝ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝ وَقَدْ فْتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكٰذِبِينَ ۝ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ۝ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ لَاتِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ۝ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ۝ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ۝

(١) قال القرطبي فى صدر تفسيره لهذه السورة: مكية كلها فى قول الحسن وعكرمة وعطاء، وجابر.

ومدنية كلها فى أحد قولى ابن عباس وقتادة. وفى القول الآخر لهما؛ وهو قول يحيى بن سلام: إنها مكية إلا عشر آيات من أولها، فإنها نزلت بالمدينة فى شأن من كان من المسلمين بمكة. وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه: نزلت بين مكة والمدينة.

وَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴿١٠٠﴾

﴿الْآيَةُ أَحْسِبُ﴾: أظن وأصله من الحساب ﴿النَّاسُ﴾: يعنى الذين جزعوا من أصحاب رسول الله ﷺ من أذى المشركين ﴿أَنْ يَتْرَكُوا﴾: بغير اختبار ولا ابتلاء بأن قالوا: ﴿ءَامَنَّا﴾ كلا لنختبرنهم لتبين الصادق من الكاذب، ﴿أَنْ﴾ الأولى منصوبة بـ ﴿أَحْسِبُ﴾ والثانية خفض بنزع الخافض، أى لأن يقولوا، والعرب لا تقول: تركت فلاناً أن يذهب، وإنما تقول: تركته يذهب، معه جوابان: أحدهما يشتركون لأن يقولوا، والثانى: على التكرير تقديره: ﴿أَحْسِبُ النَّاسُ أَنْ يَتْرَكُوا﴾ أحسبوا ﴿أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾: لا يتلون ليظهر المخلص من المنافق، وقيل: ﴿يُفْتَنُونَ﴾ يصابون بشدائد الدنيا، يعنى: أن البلاء لا يدفع عنهم فى الدنيا لقولهم: ﴿ءَامَنَّا﴾.

واختلفوا فى سبب نزول هذه الآية، فقال ابن جريج وابن عمير: نزلت فى عمار بن ياسر إذ كان يعذب فى الله.

وقال الشعبى: نزلت هاتان الآيتان فى أناس كانوا بمكة قد أقرؤا بالإسلام، فكتب إليهم أصحاب رسول الله ﷺ من المدينة أنه لا يقبل منكم إقرار بإسلام حتى تهاجروا، فخرجوا عائدين إلى المدينة، فاتبعهم المشركون فردوهم، فنزلت فيهم هذه الآية، فكتبوا إليهم أنه قد نزلت فيكم آية كذا وكذا، فقالوا: نخرج، فإن اتبعنا أحد قاتلناه. فخرجوا، فاتبعهم المشركون، فقاتلوهم، فممنهم من قتل ومنهم من نجا، فأنزل الله سبحانه فيهم هاتين الآيتين، وقال مقاتل: نزلت فى مهجع بن عبد الله مولى عمر بن الخطاب كان أول قتيلى يوم بدر رماه عامر بن الحضرمى بسهم فقتله، فقال النبى ﷺ: «يومئذ سيد الشهداء مهجع وهو أول من يدعى إلى باب الجنة من هذه الأمة»، فجزع عليه أبواه وامراته، فأنزل الله سبحانه فيهم هذه الآية وأخبر أنه لا بد لهم من البلاء والمشقة فى ذات الله تعالى، وقيل: ﴿وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ بالأوامر والنواهي.

ثم عزّاهم، فقال عز من قائل: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْكٰذِبِينَ﴾ والله تعالى عالم بهم قبل الاختبار، وعلمه قديم تام، وإنما معنى ذلك: فليظهرن الله تعالى ذلك حتى يوجد معلومة.

قال مقاتل: فليرين الله، الأخفش: فليميزن الله.

وقال القتيبي: علم الله سبحانه نوعان: أحدهما: علم شىء كان يعلم أنه كان، والثانى:

علم شيء يكون، فعلم أنه يكون وقت كذا ولا يعلمه كائناً واقعاً إلا بعد كونه ووقوعه، بيانه قوله سبحانه: ﴿وَلَتَبْلُوَنَّهُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ﴾ (محمد: ٣١) أي نعلم المجاهدين منكم مجاهدين ونعلم الصابرين صابرين، فكذلك هاهنا فليعلمن الله ذلك موجوداً كائناً وهذا سبيل علم الله في الاستقبال.

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾: الشرك ﴿أَنْ يَسْتَوُونَ﴾: يعجزونا ويقولوا ما بأنفسهم فلا يقدر على الانتقام منهم ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾: أي ساء حكمهم الذي يحكمون ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ﴾: قال ابن عباس ومقاتل: من كان يخشى البعث. سعيد بن جبير: من كان يطمع في ثواب الله ﴿فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ﴾: يعني ما وعد الله من الثواب والعقاب الكائن ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ وَمَنْ جَاهِدْ فَإِنَّا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾: له ثوابه. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: أي بأحسن أعمالهم وهو الطاعة.

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾: اختلف النحاة في وجه نصب الحسن، فقال أهل البصرة: على التكرير تقديره ووصيناه حسناً أي بالحسن، كما يقول: وصيته خيراً، أي بخير، وقال أهل الكوفة: معناه ووصينا الإنسان أن يفعل حسناً، فحذفه لدلالة الكلام عليه كقول الراجز:

عجبت من دهما إذ تشكونا      ومن أبي دهما إذ يوصينا

خيراً بها كأننا جافونا

أي يوصينا أن نفعل بها خيراً، وهو مثل قوله: ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا﴾ (ص: ٣٣) أي مسح مسحاً. وقيل معناه: والأزمانه حسناً، وقرأ العامة ﴿حُسْنًا﴾: بضم الحاء وجزم السين، وقرأ أبو رجاء العطاردي بفتح الحاء والسين.

وفي مصحف أبي (إحساناً): نزلت في سعد بن أبي وقاص الزهري. واسم أبي وقاص: مالك بن وهبان، وذلك لما أسلم قالت له أمه حنة بنت أبي سفيان بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف: يا سعد بلغني أنك صبوت فوالله لا يظلني سقف بيت من الضح والريح ولا أكل ولا أشرب حتى تكفر بمحمد وترجع إلى ما كنت عليه، وكان أحب ولدها إليها، فأبى سعد وصبرت هي ثلاثة أيام لم تأكل ولم تشرب ولم تستظل بظل، فأتى سعد النبي ﷺ وشكا ذلك إليه فأنزل الله سبحانه هذه الآية والتي في لقمان والأحقاف، فأمره النبي ﷺ أن يرضاها ويحسن إليها ولا يطيعها في الشرك وذلك قوله سبحانه: ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّهُ لِي شَرِيكٌ﴾ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأَبْتِكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

أخبرنا عبد الله بن حامد - قراءة - قال: أخبرنا مكى بن عبدان قال: حدثنا عبد الله بن هاشم قال: حدثنا أبو أسامة قال: حدثنا غير بن حكيم، عن أبيه، عن جده، قال: قلت: يا رسول الله من أبر؟ قال: «أمك»، قلت: ثم من؟ قال: «أمك»، قلت: ثم من؟ قال: «ثم أمك»، قلت: ثم من؟ قال: «ثم أباك ثم الأقرب فالأقرب».

وأخبرنا عبد الله - إجازة - قال: أخبرنا عثمان بن أحمد قال: حدثنا على بن إبراهيم الواسطي قال: حدثنا منصور بن مهاجر قال: حدثنا أبو النصر الأبار، عن أنس بن مالك قال: قال النبي ﷺ: «الجنة تحت أقدام الأمهات».

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾: أى فى زمرةهم وجملتهم، وقال محمد بن جرير: أى فى مدخل الصالحين وهو الجنة، وقيل: ﴿فى﴾ بمعنى مع، والصالحون هم الأولياء والأنبياء.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ﴾: أى أذاهم وعداءهم ﴿كَعَذَابِ اللَّهِ﴾: فى الآخرة فارتد عن إيمانه ﴿وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ﴾: هؤلاء المرتدون ﴿إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ﴾: وهم كاذبون ﴿أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾: أى ليميزنهم ويظهر أمرهم بالابتلاء والاختبار والفتن والمحن.

واختلف المفسرون فى سبب نزول هذه الآية:

فقال مجاهد: نزلت فى ناس كانوا يؤمنون بألسنتهم، فإذا أصابهم بلاء من الله ومصيبة فى أنفسهم افتتنوا. الضحاك: نزلت فى ناس من المنافقين بمكة كانوا يؤمنون، فإذا أوذوا رجعوا إلى الشرك. عكرمة عن ابن عباس: نزلت فى المؤمنين الذين أخرجهم المشركون معهم إلى بدر، فارتدوا وهم الذين نزلت فيهم ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَالِي أُنْفُسِهِمْ﴾ (النساء: ٩٧) الآية، وقد مضت القصة. قتادة: نزلت هذه الآية فى القوم الذين ردهم المشركون إلى مكة.

وهذه الآيات العشر مدنية إلى هاهنا، وسائرهما مكى، وقال مقاتل والكلبي: نزلت فى عياش<sup>(١)</sup> بن أبى ربيعة بن مغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشى، وذلك أنه أسلم فخاف أهل بيته فهاجر إلى المدينة قبل أن يهاجر النبى ﷺ، فحلفت أمه أسماء بنت مخزوم ابن أبى جندل بن نهشل التميمى أن لا تأكل ولا تشرب ولا تغسل لها رأساً ولا تدخل بيتاً حتى يرجع إليها، فلما رأى ابناها - أبو جهل والحارث ابنا هشام وهما أخوا عياش لأمه - جزعها وحلفها رهبا فى ظلمة حتى أتيا المدينة فلقياها، فقال أبو جهل لأخيه عياش بن أبى ربيعة: قد

(١) فى المخطوط: العباس، وهو تحريف والتصويب من القرطبي.

علمت أنك أحب إلى أمك من جميع ولدها وكنت بها باراً، وقد حلفت أمك أنها لا تأكل ولا تشرب ولا تغسل رأسها ولا تدخل بيتاً حتى ترجع إليها، وأنت تزعم أن في دينك بر الوالدين، فارجع إليها فإن ربك الذي تعبد بالمدينة هو ربك بمكة فاعبده بها، فلم يزالا به حتى أخذ عليهما الموائيق لا يحركاه لا يصرفاه عن دينه، فأعطياه ما سأل من الموائيق فبجعهما، وقد صبرت أمه ثلاثة أيام ثم أكلت وشربت، قالوا: فلما خرجوا من أهل المدينة أخذاه فأوثقاه وجلده كل واحد منهما مائة جلدة حتى تبرأ من دين محمد (رحمهما الله) جزعاً من الضرب وقال ما لا ينبغي، فأنزل الله سبحانه فيه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ...﴾ الآية .

قالا: وكان الحارث أشدهما عليه وأسوأهما قولاً، فحلف عياش بالله لئن قدر عليه خارجاً من الحرم ليضربن عنقه، فلما رجعوا إلى مكة مكثوا حيناً ثم هاجر النبي ﷺ والمؤمنون إلى المدينة، فهاجر عياش وأسلم وحسن إسلامه .

ثم إن الله تعالى قذف الإيمان في قلب الحارث بن هشام، فهاجر إلى المدينة وبايع النبي ﷺ على الإسلام ولم يحضر عياش، فلقيه عياش يوماً بظهر قباء ولم يشعر بإسلامه، فضرب عنقه، فقيل له: إن الرجل قد أسلم، فاسترجع عياش وبكى، ثم أتى النبي ﷺ وأخبره بذلك، فأنزل الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً﴾ (النساء: ٩٢) الآية .



﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلنَحْمِلَ خَطِيئَتَكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطِيئَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ ؕ إِنَّهُمْ لَكَذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيَسْئَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١١﴾﴾ ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً فأخذهم الطوفان وهم ظالمون ﴿١٢﴾ فأنجيناه وأصبح السفينة وجعلناها آية للعالمين ﴿١٣﴾ وإبراهيم إذ قال لقومه أعبدوا الله وأتقوه ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ﴿١٤﴾ إنما تعبدون من دون الله أوثناً وتخلقون أفكاً إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقاً فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه وأشكروا لله إليه ترجعون ﴿١٥﴾ وإن تكذبوا فقد كذب أمر من قبلكم وما على الرسول إلا البلاغ المبين ﴿١٦﴾ أولم يروا كيف بيدي الله الخلق ثم يعيده وإن ذلك على الله يسير ﴿١٧﴾ قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ

الْحَاقِّ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿١٧١﴾

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: من أهل مكة ﴿الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا سَبِيلَنَا وَلَنَحْمِلَ خَطِيئَتَكُمْ﴾: أوزاركم، قال الفراء: لفظه أمر ومعناه: جزاء، مجازة إن اتبعتم سبيلنا حملنا خطاياكم كقوله سبحانه: ﴿فَلْيُلْهِمِ اللَّهُ الْأَمْثِلَ بِالْحَسَنَاتِ﴾ (طه: ٣٩) وقوله سبحانه: ﴿لَا يَخْطِيَنَّكُمْ سُلَيْمُنُ وَجُنُودُهُ﴾ (النمل: ١٨) لفظه نهى وتأويله جزاء. وقال الشاعر:

فقلت ادعى وادع فإن أئدى      لصوت أن ينادى داعيان  
يريد إن دعوت دعوتاً.

فأكذبهم الله تعالى، فقال: ﴿وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطِيئَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ ﴿وَلِيَحْمِلَنَّ أَثْقَالَهُمْ﴾ أوزار أنفسهم وأثقال من أضلوا وصدوا عن سبيل الله ﴿وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ﴾: نظيرها ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ (النحل: ٢٥) الآية.

روى عوف، عن الحسن أن النبي ﷺ قال: «أما داع دعا إلى هدى فاتبع عليه وعمل به فله مثل أجور الذين اتبعوه ولا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً وأما داع دعا إلى ضلالة، فاتبع عليها وعمل بها فعليه مثل أوزار الذين اتبعوه ولا ينقص ذلك من أوزارهم شيئاً» ثم قرأ الحسن ﴿وَلِيَحْمِلَنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ﴾.

أخبرنا عبد الله بن حامد قال: أخبرنا مكى بن عبدان قال: حدثنا عبد الله بن هاشم قال: حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن مسلم، عن عبد الرحمن بن هلال العنسى، عن جرير قال: خطبنا رسول الله ﷺ فحثنا على الصدقة، فأبطأ الناس حتى رُئى فى وجهه الغضب، ثم إن رجلاً من الأنصار قام فجاء بصرّة وأعطاهما، فتتابع الناس، فأعطوا حتى رُئى فى وجهه السرور، فقال رسول الله ﷺ: «من سن سنة حسنة كان له أجرها ومثل أجر من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ومثل وزر من عمل بها من غير أن ينقص من أوزارهم شيء».

﴿وَلَيْسَ لَنُورِ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾.

قال ابن عباس: بعث نوح (عليه السلام) لأربعين سنة وبقي فى قومه يدعوهم ألف سنة إلا خمسين عاماً وعاش بعد الطوفان ستين سنة حتى كثر الناس وفشوا.



﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ وإبراهيمَ إذ قالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَانْقَرُوا ذِكْرَكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ﴾ .

وتقولون كذبًا، وقال مجاهد: وتصنعون أصنامًا بأيديكم فتسمونها آلهة، نظيره قوله سبحانه: ﴿اعْبُدُونَ مَا تَدْعُونَ﴾ (الصفات: ٩٥)، وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾: على المبالغة والكثرة. ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ وإن تكذبوا فقد كذب أمر من قبلكم ﴿: فأهلكوا﴾ وما على الرسول إلا البلوغ المبين ﴿أولم يروا﴾: بالثناء كوفى غيرهم بالياء ﴿كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده﴾ إن ذلك على الله يسير ﴿قل سيروا في الأرض فأنظروا كيف بدأ﴾: الله، ﴿الخلق﴾: يعنى فانظروا إلى مساكن القرون الماضية وديارهم وآثارهم كيف بدأ خلقهم ولم يتعذر عليه مبدئًا فكذلك لا يتعذر عليه إنشاؤها معيدًا.

﴿ثم الله ينشئ النشأة﴾: أى يبدأ البداية ﴿الآخرة﴾: بعد الموت.

وفيها لغتان: (نشأة): بالمد وهى قراءة ابن كثير والحسن وأبى عمر وحيب كانت، و (نشأة): بالقصر وتسكين الشين وهى قراءة الناس ونظيرها الرأفة، ﴿إن الله على كل شئ قدير﴾ يعذب من يشاء ويرحم من يشاء وإليه تقلبون ﴿: تردون.



﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَكْسُوا مِن رَّحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِّن نَّاصِرِينَ ﴿ فَمَنْ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَعَاقَبْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿

﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾: اختلف أهل المعانى فى وجهها، فقال الفراء:

معناه ولا من فى السماء بمعجز، وهو من غامض العربية الضمير الذى لم يظهر فى الثانى .  
كقول حسان بن ثابت :

فمن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء

أراد ومن يمدحه وينصره فأضمر من وإلى هذا التأويل ذهب عبد الرحمن بن زيد قال : لا يعجزه أهل الأرض فى الأرض ولا أهل السماء فى السماء إن عصوا .

وقال قطرب : ولا فى السماء لو كنت فيها ، ما يفوتنى فلان بالبصرة ولا هاهنا فى بلدى ، وهو معك فى البلد أى ولا بالبصرة لو صار إليها .

﴿ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَسُوءُ مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ : فأعرض سبحانه بهذه الآيات تذكيراً وتحذيراً لأهل مكة ، ثم عاد إلى قصة إبراهيم ، فقال عز من قائل : ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ ﴾ قرأ العامة بنصب الباء على خبر كان وإن قالوا : فى محل الرفع على اسم كان ، وقرأ سالم الأبطس ﴿ جَوَابٌ ﴾ رفعاً على اسم كان ، وإن موضعه نصب على خبره ﴿ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ ﴾ : وجعلها عليه برداً وسلاماً ، قال كعب : ما حرقت منه إلا وثاقه .

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ وَقَالَ : يعنى إبراهيم (عليه السلام) لقومه : ﴿ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ ﴾ اختلف القراء فيها ، فقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائى ويعقوب ﴿ مَوَدَّةً ﴾ : رفعاً ﴿ بَيْنِكُمْ ﴾ : خفضاً بالإضافة ، واختاره أبو عبيد وأبو حاتم على معنى : إن الذين اتخذتم من دون الله أوثاناً هى ﴿ مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ : لم تنقطع ولا تنفع فى الآخرة كقوله : ﴿ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ ﴾ ثم قال : ﴿ بَلِّغْ ﴾ (الأحقاف : ٣٥) أى هذا بلاغ ، وقوله سبحانه : ﴿ لَا يَفْلَحُونَ ﴾ ثم قال : ﴿ مَتَّعْ ﴾ (يونس : ٦٩ ، ٧٠) أى متاع ، فكذاك أضمرنا هاهنا هى ويجوز أن تكون خبر إن .

وقرأ عاصم فى بعض الروايات ﴿ مَوَدَّةً ﴾ : مرفوعة منونة ﴿ بَيْنِكُمْ ﴾ : نصباً وهو راجع إلى معنى القراءة الأولى ، وقرأ حمزة ﴿ مَوَدَّةً ﴾ بالنصب ﴿ بَيْنِكُمْ ﴾ بالخفض على الإضافة بوقوع الاتحاد عليها وجعل إنما حرفاً واحداً وهى رواية حفص عن عاصم ، وقرأ الآخرون : ﴿ مَوَدَّةً ﴾ نصباً منونة ﴿ بَيْنِكُمْ ﴾ بالنصب وهى راجعة إلى قراءة حمزة ومعنى الآية أنكم اتخذتم هذه الأوثان مودة بينكم فى الحياة الدنيا .

﴿ مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ : تتوادون وتتحابون على عبادتها وتتواصلون عليها .  
﴿ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا ﴾ : وتبشراً الأوثان من عابديها

﴿وَمَا أُولَئِكَ﴾ : جميعاً العابدون والمعبودون ﴿التَّائِرُونَ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَّصِيرِينَ﴾ ﴿فَكَأَمِّنَ لَهُمْ لَوْ طَ﴾ : وهو أول من صدق إبراهيم (عليه السلام) حين رأى أن النار لم تضرمه .

﴿وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي﴾ : فهاجر من كوتى - من سواد الكوفة - إلى حران ثم إلى الشام ومعه ابن أخيه لوط وامرأته سارة ، وهو أول من هاجر ، قال مقاتل : هاجر إبراهيم (عليه السلام) وهو ابن خمس وسبعين سنة .

﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَعَاتَقْنَا أَخْجَرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ .



﴿وَلَوْ طَا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأْتَأْتُونَ الْفَلْحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿إِنَّكُمْ لَأْتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَلَنبَأُ بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾ ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنْ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ ﴿قَالَ إِنْ فِيهَا لَوْطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنَنْجِيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرًا تُهْرِكُكَ مِنَ الْعَدْبِيِّينَ﴾ ﴿وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَاءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُواكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أَمْرًا تُكْذِبُ مِنْ الْعَدْبِيِّينَ﴾ ﴿إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ﴿﴿وَلَوْ طَا﴾ : فاذكر لوطاً ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأْتَأْتُونَ الْفَلْحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿إِنَّكُمْ لَأْتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ﴾ : مجلسكم ﴿الْمُنْكَرَ﴾ .

حدثنا أبو العباس سهل بن محمد بن سعيد المروزي ، قال : حدثنا جدي لأمي أبو الحسن الحمودي ، قال : أخبرنا أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة : أن بشر بن معاذ العمقدي حدثهم قال : حدثنا يزيد بن زريع قال : حدثنا حاتم بن أبي صغيرة ، (ح) (١) وأخبرني ابن فنجويه قال : حدثنا ابن شبة قال : حدثنا عمير بن مرداس الدونقي ، قال : حدثنا عبد الله بن الزبير الحميدي ، قال : حدثنا يحيى بن أبي الحجاج أبو أيوب البصري قال : حدثنا أبو يونس حاتم بن

أبى صغيرة، عن سماك بن حرب، عن أبى مولى أم هانئ، عن أم هانئ بنت أبى طالب قالت: سألت رسول الله ﷺ عن قوله سبحانه: ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ﴾ قلت: ما المنكر الذى كانوا يأتون؟ قال: «كانوا يخذفون أهل الطرق ويسخرون بهم».

وأخبرنى الحسين بن محمد بن الحسين، قال: حدثنا موسى بن محمد، قال: حدثنا الحسن ابن علوية، قال: حدثنا إسماعيل بن عيسى، قال: حدثنا المسيب، قال: سمعت زياد بن أبى زياد يحدث عن معاوية قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ قَوْمَ لُوطٍ كَانُوا يَجْلِسُونَ فِي مَجَالِسِهِمْ وَعِنْدَ كُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمُ قِصْعَةٌ فِيهَا حَصَى، فَإِذَا مَرَّ بِهِ عَابِرُ سَبِيلٍ قَذَفُوهُ، فَأَيُّهُمْ أَصَابَهُ كَانَ أَوْلَى بِهِ» وذلك قول الله سبحانه: ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ﴾ قال رسول الله ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالْحَذْفُ فَإِنَّهُ لَا يَنْكَأُ الْعَدُوَّ وَلَا يَصِيبُ الصَّيْدَ، وَلَكِنْ يَفْقَأُ الْعَيْنَ وَيَكْسِرُ السِّنَّ».

وأخبرنا الحسين قال: أخبرنا أبو على بن حنيش المقرئ قال: حدثنى أبو جعفر محمد بن جعفر المقرئ، قال: حدثنا إبراهيم بن الحسين الكسائى، قال: حدثنا هارون بن حاتم، قال: أخبرنا أبو بكر بن أوس المدنى، عن أبيه، عن يزيد بن بكر بن دأب، عن القاسم بن محمد ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ﴾: قال: الضراط، كانوا يتضارطون فى مجالسهم، وقال مجاهد: كان يجامع بعضهم بعضاً فى مجالسهم.

أخبرنا أبو جعفر الخلفانى قال: حدثنا أبو العباس التبانى قال: حدثنا أبو ليلى السرخسى، قال: حدثنا الحسن بن عمر بن شفيق، قال: حدثنا سليمان بن ظريف عن مكحول، قال: عشرة فى هذه الأمة من أخلاق قوم لوط: مضغ العلك، وتطويق الأصابع بالحناء، وحل الأزرار، وتنقيص الأصابع<sup>(١)</sup> والعمامة التى يلف بها على الرأس، والسلينية، ورمى الج্লাهق<sup>(٢)</sup>، والصفير، والحذف واللوطية.

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتَيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾: إنه نازل بنا وذلك إنه أوعدهم العذاب، ﴿قَالَ﴾: لوط ﴿رَبِّ أَنْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمَفْسِدِينَ﴾ ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى﴾: من الله سبحانه إسحاق ويعقوب: ﴿قَالُوا إِنَّا مَهْلُكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾ يعنى قوم لوط ﴿إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ قال: إبراهيم للرسول: ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا لَنْ نَجِدَ فِيهَا لَنْجَيْنَةً﴾

(١) فرقة الأصابع وهى معروفة.

(٢) قال ابن منظور فى لسان العرب فى مادة جلهق: الج্লাهق: البندق، ومنه قوس الج্লাهق، وأصله بالفارسية جله جله وهى كبة غزل، والكثير جلهها، وبها سمى الحائك. وقال النضر: الج্লাهق الطين المدور المدملق وج্লাهقة واحدة، وج্লাهقتان.

وَأَهْلَهُ: إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿١٠﴾ وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا ﴿١١﴾ وَحَسِبَ أَنَّهُمْ مِنَ الْإِنْسِ ﴿١٢﴾ سِئَاءَ بِيَمِّهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُونَ ﴿١٣﴾ وَأَهْلِكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿١٤﴾ إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا ﴿١٥﴾: عَذَابًا ﴿١٦﴾ مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِثْقَالَ عِلَّةٍ فِي عِبرَةٍ ظَاهِرَةٍ ﴿١٨﴾ لِقَوْمٍ يَعْتَبُونَ ﴿١٩﴾ وهى الخبر عما صنع بهم<sup>(١)</sup>، وقال ابن عباس: هى آثار منازلهم الخرباء. أبو العالية وقتادة: هى الحجارة التى ألقاها الله. مجاهد: الماء الأسود على وجه الأرض.



﴿وَالِىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَتَقَوَّمِرِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثْمِينَ ﴿٢١﴾ وَعَادًا وَثَمُودًا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسْكِنِهِمْ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فُصِّدَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٢٢﴾ وَقُرُونِ وَفِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَن أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَن خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَن أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿وَالِىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَتَقَوَّمِرِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ﴾: وأخبرنى ابن فنجويه قال: حدثنى ابن شنبه قال: حدثنا أبو حامد المستملى قال: حدثنا محمد بن حاتم الرمنى قال: حدثنا محمد بن سلامة الجمحى قال: قال يوسف النحوى: ﴿وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ يعنى اخشوا ﴿وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثْمِينَ ﴿٢١﴾ وَعَادًا وَثَمُودًا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسْكِنِهِمْ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فُصِّدَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾: فى الضلالة، قال مجاهد وقتادة: ﴿مُسْتَبْصِرِينَ﴾ فى ضلالهم معجبين بها. الفراء: عقلاء ذوى بصائر. ضحاك ومقاتل والكلبى: حسبوا أنهم على الهدى والحق وهم على الباطل.

﴿وَقُرُونِ وَفِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ﴾: فائتين من عذابنا ﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا﴾: عاقبنا ﴿بِذَنبِهِ فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾: ريحا تاتى فى الحصباء وهى الحصى الصغار، وهم قوم لوط ﴿وَمِنْهُمْ مَن أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ﴾: يعنى ثمودا.

(١) العبارة فى المخطوط على هذا النحو: وهى أخبر عما يصنع بهم. وقد أصابها خلل أو تحريف فصوبت على المناسب أو المراد. والله أعلم.

﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ﴾ : قارون وأصحابه ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ أَعْرَفْنَا﴾ : فرعون وقومه وقوم نوح .  
﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ .



﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ ١ : إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ٢ . وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ٣ . خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ٤ . آتَاكَ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقْرِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ٥ .

﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ﴾ : الأصنام يرجون نصرها ونفعها عند حاجتهم إليها ﴿كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾ : لنفسها كيما يكنها فلم يغن عنها بناؤها شيئاً عند حاجتها إياه ، فكما أن بيت العنكبوت لا يدفع عنها برداً ولا حرّاً كذلك هذه الأوثان لا تملك لعابديها نفعاً ولا ضرراً ولا خيراً ولا شراً .

﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ﴾ : أضعف ﴿الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ : قال النحاة : العنكبوت مؤنثة التاء التي فيها ، وقد يذكرها بعض العرب ، أنشد الفراء :

على هطالهم منهم بيوت  
كأن العنكبوت هو ابتناها

وزنته فعللوت .

أخبرني ابن فنجويه ، قال : حدثنا ابن شنبه ، قال : حدثنا أبو حامد المستملي ، قال : حدثنا محمد بن عمران الضبي ، قال : حدثنا محمد بن سليمان المكي ، قال : حدثني عبد الله بن ميمون القداح ، قال : سمعت جعفر بن محمد يقول : سمعت أبي يقول : قال علي بن أبي طالب : طهروا بيوتكم من نسيج العنكبوت ، فإن تركه في البيوت يورث الفقر (١) ، قال : سمعت علياً يقول : منع الخميرة يورث الفقر (٢) .

(١) هذا قول نسب إلى علي بن أبي طالب رضى الله عنه وما أظنه تفوه به ، وإن كان في الخبر دعوة إلى نظافة وتطهير البيوت مما يعلق بها من أمثال تلك الأشياء إلا أنه لا يصح نسبة القول إلى سيدنا علي .

(٢) الخميرة هي ما يخمر به الخبز أو يسرع به في تجهيزه للخبز ، وحكمه حكم سابقه وفيه حض على عدم منع ما يسهل على الناس معاشهم .

﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُدْعُونَ﴾: بالياء أهل البصرة واختاره أبو عبيد قال: لذكر الأمم قبلها.

واختلف فيها عن عاصم، غيرهم بالتاء.

﴿مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ: الأشياء والأوصاف، والمثل: قول سائر يشبهه حال الثاني بالأول ﴿نَضْرِبُهَا﴾ يبينها للناس وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ. أخبرني ابن فنجويه، قال: حدثنا ابن مندة قال: حدثنا الحارث بن أبي أسامة قال: حدثنا داود بن المخبر قال: حدثنا عباد بن كثير، عن أبي جريح، عن عطاء وأبي الزبير، عن جابر أن النبي ﷺ تلا هذه الآية: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ فقال: «العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه».

﴿خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ أَتْلُ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقْرِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ: قال ابن عمر: تغنى. الفراء: أن تنهى عن الفحشاء والمنكر ودليل هذا التأويل قوله: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ﴾ (الإسراء: ١١٠) أى بقراءتك. وقال آخرون: هى الصلاة التى فيها الركوع والسجود.

قال ابن مسعود وابن عباس: يقول: فى الصلاة: منتهى ومزجر عن معاصى الله سبحانه وتعالى، فمن لم تأمره صلاته بالمعروف وتنهيه عن المنكر لم يزد بصلاته من الله إلا بعداً. وقال رسول الله ﷺ: «لا صلاة لمن لم يطع الصلاة، وإطاعة الصلاة أن تنهى عن الفحشاء والمنكر».

وروى أبو سفيان عن جابر قال: قيل لرسول الله ﷺ: إن فلاناً يصلى بالنهار ويسرق بالليل، فقال: «إن صلاته لتردعه».

وقال أنس بن مالك: كان فتى من الأنصار يصلى الصلاة مع رسول الله ﷺ ثم لا يدع شيئاً من الفواحش إلا ركب، فوصف لرسول الله ﷺ حاله، فقال: «إن صلاته تنهيه يوماً ما»، فلم يلبث أن تاب وحسن حاله، فقال رسول الله ﷺ: «ألم أقل لكم إن صلاته تنهيه يوماً ما».

وقال ابن عون: معناه أن الصلاة تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر ما دام فيها، وقال أهل المعانى: ينبغى أن تنهيه صلاته كقوله: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ (آل عمران: ٩٧).

﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾: اختلفوا فى تأويله، فقال قوم: معناه ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ﴾: إياكم أفضل من ذكركم إياه، وهو قول عبد الله وسلمان ومجاهد وعطية وعكرمة وسعيد بن جبير، ورواية عبد الله بن ربيعة عن ابن عباس، وقد روى ذلك مرفوعاً:

أخبرناه الحسين بن محمد بن الحسين الدينورى، قال: حدثنا أحمد بن محمد بن إسحاق

السني، قال: حدثني أحمد بن علي بن الحسين، قال: حدثنا إبراهيم بن أبي داود البزكي، قال: حدثنا الحسين اللهبي، قال: حدثنا صالح بن عبد الله بن أبي فروة، عن إسماعيل بن إبراهيم بن عقبة، عن عمه موسى بن عقبة، عن نافع، عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال في قول الله سبحانه: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ قال: «ذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه».

قالت الحكماء: لأن ذكر الله سبحانه للعبد على حد الاستغناء، وذكر العبد إياه على حد الافتقار، ولأن ذكره دائم، وذكر العبد مؤقت، ولأن ذكر العبد يجلب نفع أو دفع ضرر، وذكر الله سبحانه إياه للفضل والكرم. وقال ذو النون: لأنك ذكرته بعد أن ذكرك، وقال ابن عطاء: لأن ذكره لك بلا علة، وذكرك مشوب بالعلل. أبو بكر الوراق: لأن ذكره تعالى للعبد أطلق لسانه بذكره له، ولأن ذكر العبد مخلوق. وذكره غير مخلوق وقال أبو الدرداء وابن زيد وقتادة: معناه ولذكر الله أكبر مما سواه وهو أفضل من كل شيء.

أخبرني أبو عبد الله الحسين بن محمد بن محمد الثقفي الحافظ قال: حدثنا أبو حذيفة أحمد ابن محمد بن علي قال: حدثنا زكريا بن يحيى بن يعقوب المقدسي، قال: حدثنا عيسى بن يونس قال: حدثنا عبد الوارث بن سعيد، عن جوير بن الضحاك، عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ في قوله: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ قال: «ذكر الله على كل حال أحسن وأفضل، والذكر أن نذكره عندما حرم، فندع ما حرم ونذكره عندما أحل فنأخذ ما أحل».

وأخبرني الحسين بن محمد قال: حدثنا ابن شنبه قال: حدثنا جعفر بن محمد الفرباني قال حدثنا إسحاق بن راهويه قال: أخبرنا إسحاق بن سليمان الرازي قال: سمعت موسى بن عبيدة الزبدي يحدث أبا عبد الله القراظ، عن معاذ بن جبل قال: بينما نحن مع رسول الله ﷺ نسير بالدف من حمدان إذ استنبه، فقال: «يا معاذ إن السابقين الذين يستهترون بذكر الله، من أحب أن يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله سبحانه».

قال إسحاق بن سليمان: سمعت حريز بن عثمان يحدث، عن أبي بحرية، عن معاذ بن جبل، قال: ما عمل آدمي عملاً أنجي له من عذاب الله من ذكر الله سبحانه، قالوا: ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: لا ولو ضرب بسيفه، قال الله سبحانه: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾. وأخبرني الحسين بن محمد، قال: حدثنا ابن شنبه، قال: حدثنا جعفر بن محمد الفرباني، قال: حدثنا يحيى بن عمار المصيبي، قال: حدثنا أبو أسامة، عن عبد الحميد بن جعفر، عن صالح بن أبي غريب، عن كثير بن مرة الحضرمي، قال: سمعت أبا الدرداء يقول: ألا أخبركم بخير أعمالكم لكم وأحبها إلى مليكمم وأتمها في درجاتكم، وخير من أن تغزوا عدوكم فتضرب



رقابكم وتضربون رقابهم، وخير من إعطاء الدنانير والدراهم، قالوا: وما هو يا أبا الدرداء؟ قال: ذكر الله، قال الله سبحانه: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾.

وقيل لسلمان: أى العمل أفضل؟ قال: أما تقرأ القرآن ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ لا شىء أفضل من ذكر الله سبحانه.

وأبأنى عبد الله بن حامد، قال: أخبرنا محمد بن يعقوب، قال: حدثنا حميد بن داود، قال: حدثني يزيد بن خالد قال: حدثنا عبد الرحمن بن ثابت، عن أبيه، عن مكحول، عن جبير بن هبيرة، عن مالك بن عامر، عن معاذ بن جبل قال: سألت رسول الله: أى الأعمال أحب إلى الله؟

قال ﷺ: «أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله».

وأبأنى عبد الله بن حامد، قال: أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم، قال: حدثنا سلمة بن محمد ابن أحمد بن مجاشع الباهلى، قال: حدثنا خالد بن يزيد العمرى، قال: حدثنا سفيان الثورى، عن عطاء بن قره، عن عبد الله بن ضمرة، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «الدنيا ملعونة ملعون ما فيها، إلا ذكر الله عز وجل وما والاه أوعالم أو متعلم».

قالت الحكماء: وإنما كان الذكر أفضل الأشياء لأن ثواب الذكر الذكر، قال الله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ (البقرة: ١٥٢) ويؤيد هذا ما أخبرنا عبد الله بن حامد قال: أخبرنا مكى ابن عبدان، قال: حدثنا عبد الله بن هشام، قال: حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله عز وجل: أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه حين يذكرنى، فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى، وإن ذكرنى فى ملاء ذكرته فى ملاء خير منهم، وإن اقترب إلى شبراً اقتربت إليه ذراعاً، وإن اقترب إلى ذراعاً اقتربت إليه باعاً، ومن أتانى يمشى أتيته هرولة».

أخبرنا عبد الله قال: أخبرنا على قال: أخبرنا عبد الله بن هاشم قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان، عن أبي إسحاق، عن الأعزى أبى مسلم، قال أشهد على أبى هريرة وأبى سعيد أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال: «ما جلس قوم يذكرون الله سبحانه إلا حفت بهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وذكرهم فيمن عنده».

وأخبرنى ابن فنجويه، قال: حدثنا ابن شيبه، قال: حدثنا الفربانى، قال: حدثنا أبو بكر ابن أبى شنبه، قال: حدثنا عبد الله، عن إسرائيل، عن السدى، عن أبى مالك: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ قال: ذكر الله العبد فى الصلاة أكبر من الصلاة، ابن عون: معناه: الصلاة التى أنت

فيها وذكرك الله فيها أكبر مما نهتك عنه الصلاة من الفحشاء والمنكر، وقال ابن عطاء: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ من أن تبقى معه بالمعصية.  
﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾.



﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا ءَامِنًا بِالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْنَا وَالنَّكْمَ وَاللَّهْمَا وَاللَّهْمُ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخْطُهُ بِيَمِينِكَ إِذْ لَا رَتَابَ الْمُبْتَلُونَ﴾ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿أَلَمْ يَكُنْهُمْ أَنَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْبَطْلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلِيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿يَوْمَ يَعَشَّهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُو قُوَّةٍ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ الجدال: قتل الخصم عن مذهبه بطريق الحجاج فيه، وأصله شدة القتل ومنه قيل للضعف: أجدل لشدة قتل بدنه وقوة خلقه، وقيل: الجدال من الجدالة وهو أن يروم كل واحد من الخصمين قهر صاحبه وصرعه على الجدالة وهي الأرض (١).

(١) قال ابن منظور في لسان العرب في مادة جدل.

الجدل: اللدود في الخصومة والقدرة عليها، وقد جادله مجادلة وجدالاً، ورجل جدل، ومجدل ومجدال شديد الجدال، ويقال: جادلت الرجل فجادلته جدلاً، أى غلبته، ورجل جدل إذا كان أقوى في الخصام، وجادله أى خاصمه، مجادلة وجدالاً.

والاسم الجدل: وهو شدة الخصومة وفي الحديث: ما أوتى الجدل قوماً إلا أضلوا.

﴿إِلَّا بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ﴾ : أَلطَف وَأَرْفَق ، وَهُوَ الْجَمِيلُ مِنَ الْقَوْلِ وَالِدَعَاءِ إِلَى اللَّهِ وَالْبَيِّنَةِ عَلَى آيَاتِ اللَّهِ وَحُجْجِهِ .

﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ : قَالَ مُجَاهِدٌ : يَعْنِي إِنْ قَالُوا شَرًّا فَقُولُوا خَيْرًا ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ : أَي أَبَوَا أَنْ يَعْطُوا الْجِزْيَةَ وَنَصَبُوا الْحَرْبَ ، فَأَوْلَتْكَ انْتَصَرُوا مِنْهُمْ وَجَادَلُوهُمْ بِالسِّيفِ حَتَّى يَسْلَمُوا أَوْ يَقْرَؤُوا بِالْجِزْيَةِ . قَالَ سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ : هُمْ أَهْلُ الْحَرْبِ مِنْ لَا عَهْدَ لَهُمْ فَجَادَلُوهُمْ بِالسِّيفِ . ابْنُ زَيْدٍ : ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ بِالْإِقَامَةِ عَلَى كُفْرِهِمْ بَعْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ .

وَمِجَازُ الْآيَةِ : إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُواكُمْ لِأَنَّ جَمِيعَهُمْ ظَالِمٌ . وَقَالَ قَتَادَةُ وَمِقَاتِلٌ : هَذِهِ الْآيَةُ مَنْسُوخَةٌ بِقَوْلِهِ : ﴿فَتَلَوُلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ...﴾ (التوبة: ٢٩) الْآيَةُ (١) .

﴿وَقُولُوا ءَامَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ : أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَمْدُونَ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، عَنْ مَعْمَرٍ ، عَنِ الزَّهْرِيِّ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي ابْنُ أَبِي نَمْلَةَ الْأَنْصَارِيُّ : أَنَّ أَبَا نَمْلَةَ أَخْبَرَهُ وَاسْمُهُ عَمَّارٌ إِنَّهُ بَيْنَمَا هُوَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ جَاءَهُ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ وَمَرَّ بِجَنَازَةٍ .

فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ هَلْ تَتَكَلَّمُ هَذِهِ الْجَنَازَةُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «اللَّهُ أَعْلَمُ» ، فَقَالَ الْيَهُودِيُّ : إِنَّهَا تَتَكَلَّمُ .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «إِذَا حَدَّثَكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ فَلَا تَصَدِّقُوهُمْ وَلَا تَكْذِبُوهُمْ وَقُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَكُتِبَ وَرَسُولُهُ ، فَإِنْ كَانَ بَاطِلًا لَمْ تَصَدِّقُوهُمْ وَإِنْ كَانَ حَقًّا لَمْ تَكْذِبُوهُمْ» .

وَرَوَى أَبُو سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : كَانَ أَهْلُ الْكِتَابِ يَقْرَءُونَ التَّوْرَةَ بِالْعِبْرَانِيَّةِ ، فَيُفَسِّرُونَهَا بِالْعَرَبِيَّةِ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «لَا تَصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَلَا تَكْذِبُوهُمْ» ﴿وَقُولُوا ءَامَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ الْآيَةَ .

وَرَوَى سَفِيَّانٌ وَمَسْعُودٌ ، عَنْ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ : بَيْنَمَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ يَحْدُثُ أَصْحَابَهُ وَهُمْ يَسْتَحُونَ كَلِمًا ذَكَرَ شَيْئًا مِنْ أَمْرِهِمْ ، قَالَ : فَاتُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرُوهُ ، فَقَالَ : لَا تَصَدِّقُوهُمْ وَلَا تَكْذِبُوهُمْ وَلَكِنْ ﴿وَقُولُوا ءَامَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ .

﴿وَاللَّهُنَّ وَاللَّهْكُمُ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ وَكَذَلِكَ : أَي وَكَمَا أَنْزَلْنَا الْكِتَابَ عَلَيْهِمْ .

= وَالْجَدَلُ : مُقَابَلَةُ الْحُجَّةِ بِالْحُجَّةِ . وَالْمُجَادَلَةُ : الْمُنَازَعَةُ وَالْمُخَاصَمَةُ .

وَالْمُرَادُ بِهِ فِي الْحَدِيثِ الْجَدَلُ عَلَى الْبَاطِلِ وَطَلَبُ الْمَغَالِبَةِ بِهِ لَا إِظْهَارَ الْحَقِّ ، فَإِنَّ ذَلِكَ مَحْمُودٌ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَجَادَلِهِمْ بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ﴾ .

(١) يَرَى بَعْضُ الْعُلَمَاءِ أَنَّ الْآيَتَيْنِ مُحْكَمَتَانِ وَلَا تَعَارُضُ بَيْنَهُمَا ، فَلِكُلِّ آيَةٍ حُكْمُهَا فِي وَقْتِهَا وَمَوْقِعِهَا وَمَوْقِفِ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْهَا . هُوَ الَّذِي يَجْرِي أَوْ يَقْدَمُ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْآخَرَى .

﴿أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾: يعنى مؤمنى أهل الكتاب - عبد الله ابن سلام وأصحابه .

﴿وَمَنْ هَذَا إِلاَّ﴾: الذين هم بين ظهرانك اليوم ﴿مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلاَّ الْكَافِرُونَ﴾ قال قتادة: إنما يكون الجحود بعد المعرفة .

﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا﴾: يا محمد ﴿مِنْ قَبْلِهِ﴾: أى من قبل هذا الكتاب الذى أنزلنا عليك ﴿مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخْطُهُ﴾: تكتبه ﴿بِيَمِينِكَ إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾: يعنى: لو كنت تكتب أو تقرأ الكتب قبل الوحي إذا لشك المبطلون - أى المشركون - من أهل مكة وقالوا: هذا شئ تعلمه محمد وكتبه، قاله قتادة .

وقال مقاتل: ﴿الْمُبْطِلُونَ﴾ هم اليهود، ومعنى الآية: إذا لشكوا فيك واتهموك يا محمد، وقالوا: إن الذى نجد نعته فى التوراة هو أمى لا يقرأ ولا يكتب .

﴿بَلْ هُوَ﴾: يعنى القرآن ﴿ءَايَاتٍ يَتَّبِعُ﴾: عن الحسن، وقال ابن عباس وقاتدة: ﴿بَلْ هُوَ﴾ يعنى محمد ﷺ والعلم بأنه أمى ﴿ءَايَاتٍ يَتَّبِعُ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾: أهل العلم من أهل الكتاب يجدونها فى كتبهم . ودليل هذا التأويل قراءة ابن مسعود وابن السميع (بل هى آيات) .

﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلاَّ الظَّالِمُونَ﴾ وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَاتٍ مِّن رَّبِّهِ﴾: كما أنزل على الأنبياء قبلك، قرأ ابن كثير والأعمش وحمزة والكسائى وخلف وأيوب وعاصم برواية أبى بكر (آية): على الواحد، الباقون ﴿ءَايَاتٍ﴾: بالجمع واختاره أبو عبيد لقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا آتَيْتُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ حتى إذا شاء أرسلها، وليست عندى ولا بيدي .

﴿وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ أَوْ لَمْ يَكُنْهُمُ أَنَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُنَالِي عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرًا لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: هذا جواب لقولهم ﴿لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَاتٍ مِّن رَّبِّهِ﴾: وروى حجاج، عن ابن جريج، عن عمرو بن دينار، عن يحيى بن جعدة أن أناساً من المسلمين أتوا نبى الله ﷺ بكتب قد كتبوا فيها بعض ما يقول اليهود فلما أن نظر فيها ألقاها ثم قال: «كفى بها حماقة قوم - أو ضلالة قوم - أن يرغبوا عما جاءهم به نبيهم إلى ما جاء به غير نبيهم إلى قوم غيرهم»، فنزلت ﴿أَوْ لَمْ يَكُنْهُمُ...﴾ الآية .

﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ يَتَّبِعِي وَيَتَّبِعْكُمْ شَهِدًا﴾: أى رسوله، وأن هذا القرآن كتابه . ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْبَطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾: نزلت فى النضر بن الحارث حين قال: فأمطر علينا حجارة من السماء وقال: عجل لنا قطنا .

﴿وَأُولَآءِ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ : فى نزول العذاب ، وقال ابن عباس : يعنى ما وعدتك أن لا أعذب قومك ولا أستأصلهم وأوخر عذابهم إلى يوم القيامة ، بيانه قوله : ﴿بَلِ السَّاعَةِ مَوْعِدُهُمْ﴾ (القم: ٤٦) الآية ، وقال الضحاك : يعنى مدة أعمارهم فى الدنيا . وقيل : يوم بدر .

﴿لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلِيَأْتِيَهُمْ﴾ : يعنى العذاب وقيل : الأجل ﴿بَعْتَهُ وَهُمْ لَا يُشْعُرُونَ﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ : لا يبقى منهم أحد إلا دخلها ، وقيل : هو متصل بقوله : ﴿يَوْمَ يَفْتَنُهُمْ﴾ يصيبهم ﴿الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ : يعنى : إذا غشيهم العذاب أحاطت بهم جهنم .

﴿وَيَقُولُ﴾ : بالياء كوفى ونافع وأيوب ، غيرهم بالنون ﴿ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ .



﴿يَعْبَادِىَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنِّ أَرْضِى وَأَسِعَةَ فَايْتَى فَأَعْبُدُونِ﴾ ۞ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ لِيُنَازِرُ جَعُونَ ۞ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ۞ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۞ وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۞ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ۞ اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۞ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۞ وَمَا هَذِهِ الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِىَ الْحَيٰوَانِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ۞ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّيْنَاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ۞ لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۞ أَوْ لَيُرَوَّنَّ أَنَا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيَتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ۞ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ ؕ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ۞ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ۞

﴿يَعْبَادِىَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ : بإرسال الياء عراقى غير عاصم ، سائرهم بفتحها ﴿إِنِّ أَرْضِى﴾ :

مفتوحة الياء ابن عامر، غيره ساكنة ﴿وَاسِعَةٌ فَإِنِّي فَأَعْبُدُونَ﴾: توحيدون من غير طاعة مخلوق في معصيتي، قال سعيد بن جبير: إذا عمل في أرض بالمعاصي، فاهربوا فإن أرضي واسعة.

مجاهد: ﴿إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ﴾ فهاجروا وجاهدوا، وقال مقاتل والكلبي: نزلت في المستضعفين المؤمنين الذين كانوا بمكة لا يقدرّون على إظهار الإيمان وعبادة الرحمن، يحثهم على الهجرة ويقول لهم: إن أرض المدينة واسعة آمنة. وقال مطرف بن عبد الله بن الشخير: ﴿أَرْضِي وَاسِعَةٌ﴾ أي رزقي لكم واسع، أخرج من الأرض ما يكون بها.

أخبرنا عبد الله بن حامد، قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن شاذان، قال: حدثنا جيعويه بن محمد الترمذي، قال: حدثنا صالح بن محمد، عن سليمان، عن عباد بن منصور الناجي، عن الحسين قال: قال رسول الله ﷺ: «من فرّ بدينه من أرض إلى أرض وإن كان شبراً من الأرض استوجب الجنة وكان رفيق إبراهيم ومحمد (عليهما السلام)».

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾: فلا تقيموا بدار المشركين.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا﴾: علالي، قرأ حمزة والكسائي وخلف بالتاء، غيرهم بالياء أي لينزلنهم ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿وَكَايِن﴾: وكم ﴿مِنَ ذَائِقَةِ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾: وذلك أن رسول الله (عليه السلام) قال للمؤمنين الذين كانوا بمكة وقد آذاهم المشركون: «أخرجوا إلى المدينة وهاجروا ولا تجاوروا الظلمة فيها».

فقالوا: يا رسول الله كيف نخرج إلى المدينة ليس لنا بها دار ولا عقار ولا مال، فمن يطعمنا بها ويسقينا؟ فأنزل الله سبحانه: ﴿وَكَايِن مِّنَ ذَائِقَةِ﴾ ذات حاجة إلى غذاء لا تحمل رزقا فيرفعه لغذائها يعنى الطير والبهائم.

﴿اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾: يوماً بيوم ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾: لأقوالكم: نخشى لفراق أوطاننا العيلة. ﴿الْعَلِيمُ﴾: العليم بما في قلوبكم وما إليه صائرة أموركم.

أخبرني أبو عبد الله الحسين بن محمد الثقفي، قال: حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن الرقاق، وقال: حدثنا محمد بن عبد العزيز، قال: حدثنا إسماعيل بن زرارة الرقي، قال: حدثنا أبو العطف الجراح بن المنهال الجوزي، عن الزهري، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عمر قال: دخلت مع رسول الله ﷺ حائطاً من حيطان الأنصار، فجعل رسول الله ﷺ يلقط الرطب بيده ويأكل فقال: «كل يا ابن عمر»، قلت: لا أشتهيها يا رسول الله، قال: «لكني أشتهيه وهذه صبحة رابعة لم أذق طعاماً ولم أجده».

فقلت: إنا لله، الله المستعان، قال: «يا ابن عمر لو سألت ربي لأعطاني مثل ملك كسرى وقيصر أضعافاً مضاعفة، ولكني أجوع يوماً وأشبع يوماً فكيف بك يا عمر إذا عمرت وبقيت في حثالة من الناس يخبثون رزق سنة ويضعف اليقين»، فنزلت على رسول الله ﷺ: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾ الآية.

أخبرني ابن فنجويه، حدثنا ابن حنش، حدثنا أبو يعلى الموصلي، حدثنا يحيى بن معين، حدثنا يحيى بن اليمان، عن سفيان، عن علي بن الأرقم ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾: قال: لا تدخر شيئاً لغد.

قال سفيان: ليس شيء مما خلق الله يخبيئ إلا الإنسان والفأرة والنملة. ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مِّنْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِيَقُولَنَّ اللَّهُ فَاَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ اللَّهُ يَسْطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولَنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهيَّ الْحَيَاةُ﴾: يعني الدائمة الباقية التي لا زوال لها ولا موت فيها. ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾: ولكنهم لا يعلمون ذلك.

﴿فَإِذَا رَكبُوا فِي الْفُلِكِ﴾: وخافوا الغرق والهلاك ﴿دَعَا اللَّهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ ليكفروا بما آتيناهم ﴿ليجحدوا نعمه في إنجائه إياهم وسائر الآية ﴿وَلِيَسْتَمْتَعُوا﴾: جزم لامة الأعمش وحمزة والكسائي وخلف وأيوب، واختلف فيه عن عاصم ونافع وابن كثير، الباقون بكسر اللام واختاره أبو عبيد ليكفروا لكون الكلام نسقاً. ومن جزم احتج بقراءة أبي بن كعب (يمتعوا). ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾.

أخبرني أبو محمد عبد الله بن حامد - فيما أذن لي روايته عنه - قال: أخبرنا أحمد بن محمد ابن أبي سعيد، قال: حدثنا محمد بن الحسن بن أسكت، قال: حدثنا عقال، قال: حدثنا جعفر بن سلمان قال: حدثنا مالك بن دينار، قال: سمعت أبا العالية قرأ (ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف يعلمون): بالياء فالكسر على كى والجزم على التهديد.

﴿أَوْ ذَرَبُوا أَنَا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيَتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ﴾: بالأصنام ﴿يُؤْمِنُونَ وَبِعِمَّةِ اللَّهِ﴾: يعني الإيمان ﴿يَكْفُرُونَ﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا: فزعموا أن الله شريكاً، وقالوا إذا فعلوا فاحشة، ﴿قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ (الأعراف: ٢٨).

﴿أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ﴾: بمحمد والقرآن ﴿لَمَّا جَاءَهُهُ الْبَيِّنَاتُ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى﴾: منزل ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا: أي والذين قاتلوا لأجلنا أعداءنا لنصرة ديننا لثبتهم على ما

قاتلوا عنه .

قال أبو سورة: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا﴾ فى الغزو ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ﴾ : سبيل الشهادة أو المغفرة .

أخبرنى ابن فنجويه قال : حدثنا ابن شنبه ، قال : حدثنا عبد الله بن محمد بن وهب ، قال : حدثنا إبراهيم بن سعيد ، قال : سمعت سفيان بن عيينة يقول : إذا اختلف الناس فانظروا ما عليه أهل الثغر فإن الله سبحانه وتعالى يقول : ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلًا﴾ .

وقال الفضيل بن عياض : والذين جاهدوا فى طلب العلم لنهدينهم سبل العمل به .

وأخبرنى أبو الحسن محمد بن القاسم بن أحمد ، قال : حدثنى أبو الطيب محمد بن أحمد ابن حمدون ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن الحسين ، قال : حدثنا محمد بن إدريس ، قال : حدثنا أحمد بن أبى الحوارى ، قال : قال أبو أحمد - يعنى عباس الهمدانى - وأبو سليمان الدارانى فى قوله سبحانه : ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلًا﴾ قال : الذين يعملون بما يعلمون يهديهم ربهم إلى ما لا يعلمون .

وعن عمر بن عبد العزيز أنه تكلم بكلمات وعنده نفر من العلماء ، فقال له الوضين بن عطاء : بم أوتيت هذا العلم يا أبا مروان ؟ قال : ويحك يا وضين إنما قصر بنا من علم ما جهلنا بتقصيرنا فى العمل بما علمنا ، ولو أننا عملنا ببعض ما علمنا لأورثنا علماً لا تقوم به أبداننا .

وعن عبد الله بن الزبير قال : تقول الحكمة : من طلبنى فلم يجدنى فليطلبنى فى موضعين : أن يعمل بأحسن ما يعلمه ، أو يدع أسوأ ما يعلمه .

وروى عن ابن عباس : والذين جاهدوا فى طاعتنا لنهدينهم سبل ثوابنا . ضحك : والذين جاهدوا بالهجرة لنهدينهم سبل الثبات على الإيمان ، وقيل : والذين جاهدوا بالثبات على الإيمان لنهدينهم سبل دخول الجنان ، سهل بن عبد الله : والذين جاهدوا فى إقامة السنة لنهدينهم سبل الجنة ثم قال : مثل السنة فى الدنيا كمثل الجنة فى العقبى ، من دخل الجنة فى العقبى سلم ، وكذلك من لزم السنة فى الدنيا سلم ، وقال الحسين بن الفضل : فيه تقديم وتأخير مجازه : والذين هديناهم سبلنا جاهدوا فىنا ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ : بالنصر والمعونة فى دنياهم ، وبالثواب والمغفرة فى عقباهم .





## سُورَةُ الرَّؤْمِ

مكّية، وهي ثلاثة آلاف وخمسمائة وأربعة وثلاثون حرفاً  
وثمانمائة وتسع عشرة كلمة، وستون آية

أخبرنا المغازي غير مرة، قال: حدثنا أبو بكر أحمد بن إبراهيم الجرجاني، وأبو الشيخ عبد الله بن أحمد الأصبهاني قالا: حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن شريك الكوفي، قال: حدثنا أحمد بن يونس اليربوعي، قال: حدثنا سلام بن سليمان المدائني، قال: حدثنا هارون بن كثير، عن زيد بن أسلم عن أبيه، عن أبي أمامة، عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قرأ سورة الروم كان له من الأجر، عشر حسنات بعدد كل ملك سبح لله بين السماء والأرض وأدرك ما ضيع في يومه وليلته».

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْم ﴿١﴾ غَلَبَتِ الرَّؤْمُ ﴿٢﴾ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَلَيْهِمْ سَيَعْلَبُونَ ﴿٣﴾ فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدٍ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بَنَصْرٍ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعَدَّهُ، وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴿٧﴾﴾  
قوله عز وجل: ﴿الْم ﴿١﴾ غَلَبَتِ الرَّؤْمُ ﴿٢﴾﴾ الآية.

قال المفسرون: كانت في فارس امرأة لا تلد إلا الملوک والأبطال، فدعاها كسرى فقال: إنني أريد أن أبعث إلى الروم جيشاً وأستعمل عليهم رجلاً من بنيك فأشيرى على أيهم أستعمل؟ فقالت: هذا فلان، أروغ من ثعلب، وأحذر من صفرد<sup>(١)</sup>، وهذا فرخان أنفذ من سنان، وهذا

(١) قال ابن منظور في لسان العرب في مادة «صفر»: الصفرد: طائر أعظم من العصفور.

وفي المثل: أجن من صفرد.

قال ابن الأعرابي: هو طائر جبان يفرغ من الصعوة وغيرها.

وقال الليث: هو طائر يألف البيوت، وهو أجن طائر والله أعلم.

قلت: فجنه ورثه شدة الحذر فضر به حذره المثل.

شهريراز هو أحلم من كذا، فاستعمل أيهم شئت. قال: فإني استعملتُ الحليم، فاستعمل شهريراز، فسار إلى الروم بأهل فارس وظهر عليهم فقتلهم وخرّب مدائنهم وقطع زيتونهم، وكان قيصر بعث رجلاً يدعى يحسن وبعث كسرى شهريراز فالتقيا بأذرعَات<sup>(١)</sup> وبصرى وهى أدنى الشام إلى أرض العرب والعجم فغلبت فارسُ الروم، فبلغ ذلك النبي ﷺ وأصحابه بمكة فشقّ عليهم، وكان النبي ﷺ يكره أن يظهر الأميون من المجوس على أهل الكتاب من الروم. وفرح كفّار مكة وشمتوا ولقوا أصحاب النبي ﷺ فقالوا: إنكم أهل كتاب والنصارى أهل كتاب ونحن أميون وقد ظهر إخواننا من أهل فارس على إخوانكم من أهل الروم. فإنكم إن قاتلتمونا لنظهرنّ عليكم.

فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿الرَّحْمَةُ غَلَبَتِ الرُّومَ...﴾ إلى آخر الآيات.

فخرج الصديق رضى الله عنه إلى الكفّار فقال: فرحتم بظهور إخوانكم على إخواننا فلا تفرحوا ولا يقرن الله أعينكم، فوالله ليظهرنّ الروم على فارس، أخبرنا بذلك نبينا، فقام إليه أبى بن خلف الجمحى فقال: كذبت يا أبا فضيل، فقال له أبو بكر: أنت أكذب يا عدو الله، فقال: اجعل بيننا أجلاً أنا حبك عليه، والمناجبة: المراهنة<sup>(٢)</sup> على عشر قلائص<sup>(٣)</sup> متى وعشر قلائص منك، فإن ظهرت الروم على فارس غرمت، وإن ظهرت فارس غرمت، ففعل ذلك وجعلوا الأجل ثلاث سنين.

فجاء أبو بكر إلى النبي ﷺ وأخبره وذلك قبل تحريم القمار، فقال رسول الله ﷺ: ما هكذا ذكرت، إنّما البضع ما بين ثلاث إلى التسع فزيده فى الخطر وماده فى الأجل، فخرج أبو بكر فلقى أياً فقال: لعلك ندمت قال: لا، قال: فتعال أزايدك فى الخطر وأمادك فى الأجل فأجعلها مائة قلووص ومائة قلووص إلى تسع سنين، قال: قد فعلت فلماً خشى أبى بن خلف أن

(١) قال ياقوت فى معجم البلدان: هو بلد فى أطراف الشام يجاور أرض البلقاء وعمان وينسب إليه الخمر. وقال الحافظ أبو القاسم: أذرعَات: مدينة بيلقاء.

(٢) قال ابن منظور فى لسان العرب:

المناجبة: المخاطرة والمراهنة.

والمناجبة: المحاكمة. ويقال للقمار: النجب لأنه كالمساهمة.

(٣) القلائص: النوق أو الإبل السميئة ذات السنام. قال ابن منظور فى لسان العرب: القلووص: الفتية من الإبل بمنزلة الجارية الفتاة من النساء.

وقيل: هى الشبية. وقيل هى ابنة المخاض، وقيل: هى كل أنثى من الإبل حين تتركب، وإن كانت بنت لبون أو حقة إلى أن تصير بكرة أو تبزل.

زاد فى التهذيب: سميت قلووصاً لطول قوائمها ولم تجسم بعد.

وقال العدوى: القلووص أول ما يركب من إناث الإبل إلى أن تنثى فإذا أنثت فهى ناقة.

يخرج أبو بكر من مكة أتاه فلزمه فقال: إنني أخاف أن تخرج من مكة فأقم لي كفيلاً، فكفل له ابنه عبد الله بن أبي بكر.

فلما أراد أبي بن خلف أن يخرج إلى أحد أتاه عبد الله بن أبي بكر فلزمه قال: والله لا أدعك حتى تعطيني كفيلاً فأعطاه كفيلاً ثم خرج إلى أحد، ثم رجع أبي بن خلف فمات بمكة من جراحته التي جرحه رسول الله ﷺ حين بارزه.

وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية وذلك عن رأس سبع سنين من مناجبتهم. هذا قول أكثر المفسرين.

وقال أبو سعيد الخدري ومقاتل: لما كان يوم بدر غلب المسلمون كفار مكة وأتاهم الخبر أن الروم قد غلبوا فارس ففرح المؤمنون بذلك. قال الشعبي: لم تمض تلك المدة التي عقدوا المناجبة بينهم، أهل مكة وصاحب قمارهم أبي بن خلف، والمسلمون وصاحب قمارهم أبو بكر، وذلك قبل تحريم القمار حتى غلبت الروم فارس وربطوا خيولهم بالمدائن وبنوا الرومية ففقر أبو بكر ألبياً، وأخذ مال الخطر من ورثته وجاء به يحمله إلى النبي ﷺ فقال له النبي ﷺ: «تصدق به».

وكان سبب غلبة الروم فارس على ما قال عكرمة وغيره أن شهريراز بعدما غلب الروم لم يزل يطأهم ويخرب مدائنهم حتى بلغ الخليج، فبينا أخوه فرخان جالس ذات يوم يشرب فقال لأصحابه: لقد رأيت كأنني جالس على سرير كسرى، فبلغت كلمته كسرى فكتب إلى شهريراز: إذا أتاك كتابي فابعث إليّ برأس فرخان.

فكتب إليه: أيها الملك إنك لن تجد مثل فرخان، إن له نكاية وصوتاً في العدو فلا تفعل، فكتب إليه: إن في رجال فارس خلقتاً منه فعجل إليّ برأسه، فراجعه فغضب كسرى ولم يجبه، وبعث بريداً إلى أهل فارس إنني قد نزعت عنكم شهريراز واستعملت عليكم فرخان. ثم دفع إلى البريد صحيفة صغيرة وأمره فيها بقتل شهريراز وقال: إذا ولي فرخان الملك وانقاد له أخوه فأعطه، فلما قرأ شهريراز الكتاب قال: سمعاً وطاعة ونزل عن سريره وجلس فرخان فدفع إليه الصحيفة فقال: ائتوني بشهريراز فقدّمه ليضرب عنقه.

قال: لا تعجل حتى أكتب وصيتي، قال: نعم، قال: فدعا بالسفط فأعطاه ثلاث صحائف، وقال: كل هذه الصحف (كتب)<sup>(١)</sup> فيك كسرى وأنت أردت أن تقتلني بكتاب واحد، فردّ الملك إلى أخيه. فكتب شهريراز إلى قيصر ملك الروم: إن لي حاجة لا يحملها

(١) زيادة يتطلبها السياق.

البريد ولا تبلغها الصحف فألقني ولا تلقني إلا في خمسين رومياً فأنتى ألقاك في خمسين فارسياً.

فأقبل قيصر في خمسمائة ألف رومي وجعل يضعون العيون بين يديه في الطريق وخاف أن يكون قد مكر به حتى أنبأه عيونه أنه ليس معه إلا خمسون رجلاً ثم بسط لهما والتقيا في قبة ديباج ضربت لهما ومع كل واحد منهما سكين، فدعيا بترجمان بينهما فقال شهريراز: إن الذين خربوا مدائنك أنا وأخي بكيدنا ومكرنا وشجاعتنا، وإن كسرى حسدنا وأراد أن أقتل أخي فأبيت.

ثم أمر أخي أن يقتلني. فقد خلعناه جميعاً فنحن نقاتله معك، قال: قد أصبتما ثم أشار أحدهما إلى صاحبه أن السر بين اثنين فإذا جاوز اثنين فشا، فقتلا الترجمان جميعاً بسكينيهما فأديلت الروم على فارس عند ذلك فأتبعوهم يقتلونهم ومات كسرى.

وجاء الخبر إلى رسول الله ﷺ يوم الحديبية ففرح ومن معه، فذلك قوله عز وجل: ﴿الْمَرْحُومُونَ غَلَبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ﴾ يعنى أدنى الأرض من أرض الشام إلى أرض فارس وهى أذرعات.

قال ابن عباس: طرف الشام. مجاهد: أرض الجزيرة. مقاتل: الأردن وفلسطين، عكرمة: أذرعات وكسكر. مقاتل بن حيان: هى ريف الشام.

﴿وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ﴾: أى غلبتهم فحذفت التاء منه كما حذفت من قوله: ﴿وَإِقَامَ الصَّلَاةِ﴾ (النور: ٣٧) وإنما هو إقامتها.

وقرأ أبو حيوه الشامى (غلبهم) بسكون اللام وهما لغتان مثل الطعن والطعن.  
﴿سَيَغْلِبُونَ﴾: فارس ﴿فِي بَضْعِ سِنِينَ﴾: وقرأ عبد الله بن عمرو وأبو سعيد الخدرى والحسن وعيسى بن عمر ﴿غَلَبَتْ﴾: بفتح الغين واللام ﴿سَيَغْلِبُونَ﴾: بضم الواو وفتح اللام.  
قالوا: نزلت هذه الآية حين أخبر الله عز وجل نبيه ﷺ عن غلبة الروم فارس، ومعنى الآية: ألم غلبت الروم فارس فى أدنى الأرض إليكم. وقرأ سعيد بن جبیر وطلحة بن مطرف فى أدانى الأرض بالجمع ﴿وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ﴾: سيغلبهم المسلمون. ﴿فِي بَضْعِ سِنِينَ﴾: وعند انقضاء هذه المدة أخذ المسلمون فى جهاد الروم.

أخبرنا محمد بن عبد الله بن حمدويه، عن الحسين بن الحسن بن أيوب، عن على بن عبد العزيز قال: أخبرنى أبو عبيد عن حماد بن خالد الحيات عن معاوية بن صالح عن مرثد بن سمي قال: سمعت أبا الدرداء يقول: سيجىء قوم يقرءون: (الم غلبت الروم) وإنما هى

﴿الرَّغِيْبِ الرُّومِ﴾ . قال أبو عبيد بضم الغين يعنى الآخيرة .

قوله: ﴿بِإِلَهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾ يعنى من قبل دولة الروم على فارس ومن بعد وهما مرفوعان على الغاية . ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ بِبَصْرِ اللَّهِ : الروم لأنهم أهل كتاب ، وينصر الله المؤمنين على الكافرين ﴿يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ .

أخبرنى الحسين بن محمد بن فنجويه عن عبد الله بن محمد بن شنبه ، عن على بن محمد ابن همام ، عن على بن محمد الطنفسى عن النعمان بن محمد عن أبى إسحاق الفزارى ، عن الأوزاعى ، عن يحيى بن أبى عمرو الشيبانى قال : قال رسول الله ﷺ : «فارس نطحة أو نطحتان» ثم قال : «لا فارس بعدها أبداً ، والروم ذات القرون أصحاب بحر وصخر ، كلما ذهب قرن خلف قرن ، هيهات إلى آخر الأبد» .

﴿وَعَدَ اللَّهُ﴾ : نصب على المصدر ﴿لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يَعْلَمُونَ ظَهَرَ مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا : يعنى أمر معاشهم كيف يكتسبون ويتجرون ومتى يفرسون ويحصدون وكيف ينون ويعيشون .

﴿وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَنِيُونَ﴾ : وبها جاهلون ولها مضيعون ، لا يتفكرون فيها ولا يعملون لها . فعمروا دنياهم وخرّبوا آخرتهم .



﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَائِي رَبِّهِمْ لَكٰفِرُونَ﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا السُّوْأَىٰ أَلَمْ يَكْذِبُوا بِعَايَةِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ﴾ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كٰفِرِينَ﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفِرُونَ﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِعَايَةِ اللَّهِ وَكَانُوا تَالِفِينَ فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحَضَّرُونَ﴾ فَسُبْحٰنَ اللَّهِ حِينَ تَسْجُدُونَ﴾

وَحِينَ تَصْبِحُونَ ﴿١٠﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١١﴾  
 ﴿أَوْمَرْتُمْ تَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ : يعنى

ولوقت معلوم إذا انتهت إليه فُنيت ، وهو يوم القيامة (١).

﴿وَأَنْ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِي رَبِّهِمْ لَكَنُفِرُونَ﴾ ﴿١٢﴾ أَوْمَرْتُمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ  
 الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ ﴿١٣﴾ : حرثوها وقلبوها للزراعة والعمارة . ﴿وَعَمَرُوهَا  
 أَكْثَرَمِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ : فلم يؤمنوا وأهلكهم الله عز وجل .

﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ﴿١٤﴾ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا ﴿١٥﴾ : العمل  
 ﴿السَّوْآتَى﴾ : يعنى الخلة التى تسوؤهم وهى النار . وقيل : (السَّوْأَى) اسم لجهنم كما أن  
 (الحسنى) اسم للجنة .

﴿أَنْ كَذَّبُوا﴾ : يعنى لأن كذبوا . وقيل : تفسير (السَّوْأَى) ما بعدها وهو قوله : ﴿أَنْ كَذَّبُوا﴾ :  
 يعنى : ثم كان عاقبة المسيئين التكذيب حملهم تلك السيئات على أَنْ كَذَّبُوا ﴿بَيَّنَّاتِ اللَّهِ وَكَانُوا  
 بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ﴾ : استهزءوا بها .

﴿اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ﴿١٦﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ .

روى ابن أبى نجیح عن مجاهد قال : (يبلس) يكتب . أبو يحيى عنه : يفتضح . قتادة  
 ومقاتل والكلبى : بيايين ، ابن زيد : المبلس الذى قد نزل به البلاء والشر . الفراء : ينقطع  
 كلامهم وحجتهم . أبو عبيدة : يندمون ، وأنشد :

يا صاح هل تعرف رسماً مكرسا قال نعم أعرفه وأبلسا  
 وقرأ السلمى ﴿يُبْلِسُ﴾ : بفتح اللام ، والأوّل أجود (٢) . ﴿وَأَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ﴾ : أوثانهم  
 التى عبدوها من دون الله ليشفعوا لهم ﴿شَفَعْتُوا وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ﴾ : جاحدين وعنهم  
 متبرين .

(١) قال القرطبي : إنهم لم يؤمروا أن يتفكروا فى خلق أنفسهم إنما أمروا أن يستعملوا التفكير فى خلق السموات

والأرض وأنفسهم حتى يعلموا أن الله لم يخلق السموات وغيرها إلا بالحق .

﴿وأجل مسمى﴾ : أى للسموات والأرض أجل ينتهيان إليه وهو يوم القيامة .

وفى هذا تنبيه على الفناء ، وعلى أن لكل مخلوق أجلاً ، وعلى ثواب المحسن وعقاب المسىء .

وقيل : ﴿وأجل مسمى﴾ أى خلق ما خلق فى وقت سماه لأن يخلق ذلك الشئ فيه .

(٢) قال القرطبي : وقد زعم بعض النحويين أن إبليس مشتق من هذا ، وأنه أبلس لأنه انقطع حجته .

وقال النحاس : ولو كان كما قال : لوجب أن ينصرف وهو فى القرآن غير منصرف .

وقال الزجاج : المبلس الساكت المتقطع فى حجته البائس من أن يهتدى إليها .

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِدِ يَتَفَرَّقُونَ﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ ﴿بستان يُخْبِرُونَ﴾ قال ابن عباس: يكرمون. مجاهد وقتادة: ينعمون. أبو عبيدة: يسرون، ومنه قيل: كل حبرة تتبعها عبرة. وقال العجاج:

فالحمد لله الذي أعطى الخبر موالى الحق إن المولى شكر

أى السرور. وقال بعضهم: الحبرة فى اللغة كل نعمة حسنة. والتجبير: التحسين. ومنه قيل للمداد: حبر لأنه يُحسِّن به الأوراق. والعالم: حبر لأنه متخلق بالأخلاق الحسنة<sup>(١)</sup>، وقال الشاعر:

❖ يحبرها الكاتب الحميرى ❖

وقيل: يحبرون يلذذون بالسماع.

أخبرنا عبد الله بن حامد، عن حامد بن محمد بن عبد الله عن محمد بن يونس، عن روح عن الأوزاعى، عن يحيى بن أبى كثير ﴿فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُخْبِرُونَ﴾ قال: السماع فى الجنة. أخبرنى الحسين بن محمد بن عبد الله عن ابن شنبه، عن عمير بن مرداس عن سلمة بن شبيب عن عبد القدوس بن الحجاج قال: سمعت الأوزاعى يقول: ﴿فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُخْبِرُونَ﴾ قال: السماع. وقال: إذا أخذ فى السماع لم يبق فى الجنة شجرة إلا ورددت<sup>(٢)</sup>. وبه عن سلمة ابن شبيب عن داود بن الجراح، العسقلانى قال: سمعت الأوزاعى يقول: ليس أحد ممن خلق الله أحسن صوتاً من إسرافيل؛ فإذا أخذ فى السماع قطع على أهل سبع سموات صلاتهم وتسيحهم<sup>(٣)</sup>.

وأخبرنا الحسين بن محمد الدينورى، عن أحمد بن الحسن بن ماجة القزوينى، عن الحسن ابن أيوب، عن عبد الله بن عراد الشيبانى قال: أخبرنا القاسم بن مطيب العجلى، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «الجنة مائة درجة، ما بين كلّ درجتين منها كما بين السماء والأرض، والفردوس أعلاها سموماً وأوسطها محلاً، ومنها تنفجر أنهار الجنة، وعليها يوضع العرش يوم القيامة».

(١) إيجازاً فالخبور هو الفرح والسرور وهو المعروف والمشهور بين الناس ولا يحتاج إلى كل هذه الإطالة، ومما قال ابن منظور فى لسان العرب فى مادة: «حبر»: والحبر والحبر، والحبرة، والخبور كله السرور.

(٢) هذا تأويل مبالغ فيه خرج بالآية عن ظاهرها وباعد بها عن مقصودها وحيير السامع لها عن مرادها.

(٣) الأوزاعى إمام جليل فقيه صاحب مذهب مشهور تتلمذ على يديه كثير من مشاهير العلماء، فلا أظن أن يصدر مثل هذا القول عنه، وإنما أحسب أنه قد وضعه عليه الوضاعون الذين أرادوا أن يقدحوا فيه لخصومة بينهم وبينه والله أعلم.

فقام إليه رجل فقال: يا رسول الله إني رجل حُبب إليّ الصّوت، فهل في الجنّة صوت حسن؟ قال: إي والذي نفسى بيده، إنّ الله سبحانه ليوحى إلى شجرة في الجنّة أن أسمع عبادى الذين اشتغلوا بعبادتى وذكرى عن عزف البرابط والمزامير، فترفع صوتاً لم يسمع الخلائق مثله قط من تسييح الرّبّ وتقديسه.

وأخبرنى الحسين بن محمد عن هارون، عن محمد بن هارون العطار، عن حازم بن يحيى الحلوانى، عن الوليد بن عبد الملك، عن مسروح الحرّانى، عن سليمان بن عطاء، عن سلمة ابن عبد الله الجهنى، عن عمّه، عن أبى الدرداء قال: كان رسول الله ﷺ يذكرّ الناس فذكر الجنّة وما فيها من الأزواج والنعيم وفى آخر القوم أعرابى فجثا لركبته وقال: يا رسول الله هل في الجنّة من سماع؟ قال: «نعم يا أعرابى إنّ في الجنّة لنهراً حافتاه الأبقار من كلّ بيضاء خوصانية<sup>(١)</sup>، يتغنّين بأصوات لم يسمع الخلائق مثلها، فذلك أفضل نعيم أهل الجنّة».

قال: فسألت أبا الدرداء بم يتغنّين؟ قال: بالتسييح إن شاء الله. قال: والخوصانية<sup>(٢)</sup>: المرهفة الأعلى الضخمة الأسفل. وأخبرنى الحسين بن محمد عن أحمد بن محمد بن محمد بن على الهمداني عن على بن سعيد العسكري قال: أخبرنى أبو بدر عبّاد بن الوليد الغبرى، عن محمد بن موسى الخراسانى عن عبد الله بن عرادة الشيبانى، عن القاسم بن مطيب عن مغيرة عن إبراهيم قال: «إنّ في الجنّة لأشجاراً عليها أجراس من فضة فإذا أراد أهل الجنّة السمع بعث الله عزّ وجلّ ريحاً من تحت العرش فتقع فى تلك الأشجار فتحرك الأجراس بأصوات لو سمعها أهل الأرض ماتوا طرباً»<sup>(٣)</sup>.

وأخبرنى الحسين، عن أبى شنبه وعبد الله بن يوسف قالوا: قال محمد بن عمران، عن محمد بن منصور، قال: أخبرنى يحيى بن أبى الحجّاج، عن عبد الله بن مسلم عن مولى لبنى

(١) كذا فى المخطوط، وفى تفسير القرطبي: حُمْصَانِيَّة، وما فى القرطبي أصوب لغة.

(٢) كذا أيضاً فى المخطوط، وفى القرطبي: والمُصَانِيَّة: المرهقة الأعلى، الخمصانة البطن، الضخمة الأسفل قلت: ولم أقف عليه وفى إسناده مجهول مما يضعف الحديث.

(٣) من المعلوم لدى الكافة من المؤمنين والمسلمين أن الله تعالى أخبرنا عن الجنة بآيات شتى تبين ما فى الجنة من نعيم مقيم وسرور وسعادة وحبور، ومما وصف الله تعالى به الجنة إجمالاً ما قاله فى سورة السجدة: ﴿فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين﴾ فمن تجاوز هذا الوصف إلى ما وراء ما أخبر الله سبحانه وتعالى فقد ظلم نفسه وأساء إلى رسول الله ﷺ إذ إنه يصف ما فى حدود خياله المحدود وحاشى لله أن يأتى بمثل هذه الأشياء التافهة التى نعلمها نحن فى الدنيا لندخل بها على أنفسنا السرور وتدخل علينا مع هذا السرور الصداق والإرهاق مهما صاحبهما من لذة فعلى المؤمن أن يرضى بما وصف الله تعالى ويقنع بما ورد عن رسول الله ﷺ من صحيح الأخبار عما فى الجنة من نعيم مقيم وسرور ومتعة ونظر إلى وجه ربنا سبحانه وتعالى رزقنا الله وإياكم ذلك آمين.



أُمِّيَّة يُقَالُ لَهُ: سَلِيمَانُ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يُسْأَلُ: هَلْ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ مِنْ سَمَاعٍ؟  
 قَالَ: نَعَمْ، شَجَرَةٌ أَصْلُهَا مِنْ ذَهَبٍ وَأَغْصَانُهَا فَضَّةٌ وَثَمَرُهَا اللَّوْلُؤُ وَالزَّبْرَجَدُ وَالْيَاقُوتُ  
 يَبْعَثُ اللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى رِيحًا فِيحَكُّ بِعَظْمَا بَعْضُهَا بَعْضًا، فَمَا سَمِعَ أَحَدٌ شَيْئًا أَحْسَنَ مِنْهُ.  
 قَوْلُهُ: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُخَضَّرُونَ﴾ ﴿فَسُبْحَانَ  
 اللَّهِ﴾ ﴿فَصَلُّوا لِلَّهِ حِينَ تُسُونُ﴾: وَهُوَ صَلَاةُ الْعَصْرِ وَالْمَغْرِبِ ﴿وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾: صَلَاةُ الصَّبْحِ  
 ﴿وَالْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا﴾: وَهُوَ صَلَاةُ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ. أَيْ وَسَبِّحُوهُ عَشِيًّا  
 ﴿وَحِينَ تَظْهَرُونَ﴾: صَلَاةُ الظُّهْرِ.

أخبرنا عبد الله بن حامد الوزان عن أحمد بن محمد بن الحسين الحافظ، عن محمد بن  
 يحيى، عن عبد الرحمن بن مهدي، عن سفيان، عن عاصم، عن أبي رزين قال نافع بن  
 الأزرق لابن عباس: هل تجد الصلوات الخمس في القرآن؟ قال: نعم ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ  
 وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ . . . إلى قوله: ﴿وَحِينَ تَظْهَرُونَ﴾ .

حدثنا أبو بكر بن عبدوس قال: حدثني أبو بكر الشرقي قال: حدثني أبو حاتم الرازي  
 قال: حدثني أبو صالح كاتب الليث، حدثني الليث، عن سعيد بن بشير، عن محمد بن  
 عبد الرحمن السلماني، عن أبيه، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: «من قال حين يصبح  
 ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ . . . إلى قوله: ﴿وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ أدرك ما فاته  
 في يومه، ومن قالها حين يمسي أدرك ما فاته في ليلته»<sup>(١)</sup>.

وأخبرني محمد بن القاسم بن أحمد قال: كتب إلى عمر بن أحمد بن عثمان البغدادي أن  
 زيد بن محمد بن خلف القرشي عن أحمد بن عبد الرحمن بن وهب عن عمي، عن الماضي بن  
 محمد عن جويبر، عن الضحّاك عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال:  
 ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ هذه الآيات الثلاث من سورة الروم وآخر سورة  
 الصافات - دبر كل صلاة يصلّيها كتبت له من الحسنات عدد نجوم السماء وقطر المطر وعدد ورق  
 الشجر وعدد تراب الأرض، فإذا مات أُجرى له بكلّ حسنة عشر حسنات في قبره»<sup>(٢)</sup>.

(١) في إسناده هذا الحديث سعيد بن بشير الأنصاري البخاري، وقد ذكره البخاري في الضعفاء وقال: لا يصح حديثه  
 وليس له سوى هذا الحديث وقد ذكره به ابن عدي في كتاب الكامل في الضعفاء (١٢٢٦/٣).

(٢) وكذلك هذا الحديث لا يصح وفي إسناده الماضي بن محمد بن مسعود الغافقي. وقال أبو حاتم عنه: لا أعرفه  
 والحديث الذي رواه باطل.

وقال ابن يونس: كان يضعف. وقال ابن عدي: منكر الحديث، وعامة ما يرويه لا يتابع عليه ولا أعلم روى عنه  
 إلا ابن وهب. الكامل في الضعفاء (١٣٤٦/٤).

وأخبرني عبد الله بن فنجويه، عن ابن شنبه وأحمد بن جعفر بن حمدان والفضل بن الفضل قالوا: أخبرنا إسحاق بن إبراهيم بن بهرام الزنجاني، عن الحجاج بن يوسف بن قتيبة بن مسلم، عن بشر بن الحسين، عن الزبير بن عدى، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «من سره أن يكال له بالفيز الأوفى فليقل: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ إلى قوله: ﴿وَكَذَلِكَ تَخْرُجُونَ﴾ ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ إلى قوله: ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الصفات: ١٨٠-١٨٢).

وأخبرني ابن فنجويه عن عمر بن أحمد بن القاسم عن محمد بن عبد الغفار عن حبارة بن المغلس عن كثير عن الضحاك قال: من قال: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ﴾ إلى آخر الآية كان له من الأجر كعدل مائتي رقة من ولد إسماعيل (عليه السلام).

وأخبرني ابن فنجويه عن ابن شنبه عن علي بن محمد الطيالسي، عن يحيى بن آدم عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن زيد العمى، عن محمد بن واسع، عن كعب قال: من قال حين يصبح: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ إلى آخر الآية، لم يفته خير كان من يومه ولم يدركه شر كان فيه، ومن قالها حين يمسي لم يدركه شر كان في ليله ولم يفته خير كان في ليله، وكان إبراهيم خليل الله صلى الله عليه يقولها في كل يوم وليلة ست مرات.



﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تَخْرُجُونَ﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتَلَفُ الْأَسْنِينَكُمْ وَالْوَأْيِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَانُونٍ ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ

يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾  
 ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿٦١﴾ وَمِنْ  
 ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ﴿٦٢﴾ : يعنى آدم (عليه السلام).

﴿ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾ : يعنى ذريته .

﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ : أى من جنسكم ولم يجعلهن من الجن ،  
 وقيل : من ضلع آدم وقيل : من نطف الرجال .

﴿لَسْتُمْ لَهُمْ إِيَّاهُ وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ : ألفة ومحبة ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُتَفَكَّرُونَ﴾ .

أخبرنى الحسين بن محمد، عن موسى بن محمد بن على قال : أخبرنى أبو شعيب  
 الحرانى ، عن يحيى بن عبد الله البابلى ، عن صفوان بن عمرو ، عن المشيخة أن رجلاً أتى النبى  
 ﷺ فقال : يا نبى الله لقد عجبت من أمر وإنه لعجب ، إن الرجل ليتزوج المرأة وما رآها وما رأته  
 قط حتى إذا ابنتى بها اصطحبا وما شىء أحب إليهما من الآخر .

فقال رسول الله ﷺ : ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ <sup>(١)</sup> ، ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ  
 وَأَخْتَلَفَ أَلْسِنَتِكُمْ﴾ فعربنى وأعجمى .

﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْزَقْنَ مِنْ أَمْوَالِكُمْ عَلَىٰ مِثْلِ مَا أُؤْتُوا مِنَ الْمَوْلَاتِ وَاللَّذَاتُ هُنَّ حَفَاةٌ وَأُمَّهُنَّ أُمَّهُنَّ وَأُمَّهُنَّ أُمَّهُنَّ﴾ : أبيض وأسود وأحمر وأنتم ولد رجل واحد وامرأة واحدة .

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعٰلَمِیْنَ﴾ : بكسر اللام حفص ، والباقون بفتحها .

﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَآبَتُكُمْ مِنْكُمْ مِنْ قَضَائِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٣﴾ وَمِنْ  
 ءَايَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ  
 يَعْقِلُونَ﴾ : وحذف أن من قوله (يريكم) لدلالة الكلام عليه ، كقول طرفة :

ألا أيهذا الزاجرى أحضر الوغى وأن اشهد اللذات هل أنت مخلدى

أراد أن أحضر . وقيل : هو على التقديم والتأخير تقديره : ويريكم البرق خوفاً ، من آياته .

﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ ﴿٦٤﴾ : أى من قبوركم ،

(١) وفى تقديم المودة على الرحمة فى الآية إعجاز قرآنى فى تركيب عباراته حيث إن فى بداية الزواج تكون صفة المودة  
 هى المسيطرة بين الزوجين حيث يود كلا منهما صاحبه أى يتودد إليه فيولد هذا التودد الرحمة التى تكبر معهما  
 حتى تصير شفقة حيث يتقدم بهما السن فتجد أن كلا منهما يشفق على صاحبه شفقة أكثر من شفقة الوالدين  
 بولديهما فسبحان خالق الإنسان ومرتب القرآن حيث لم يقدم الرحمة على المودة سبحانه علام الغيوب .

(٢) فى القرطبي : أى قيامها واستمسакها بقدرته بلا عمد .

وقيل : بتدبيره وحكمته أى يمسكها بغير عمد لمنافع الخلق وقيل : (بأمره) بإذنه ، والمعنى واحد .

عن ابن عباس ﴿إِذَا أَنتَرْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ : منها ، وأكثر العلماء على أن معنى الآية ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون من الأرض .

﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لِهْرٍ قَسْبُونَ﴾ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ : فقرأ ابن مسعود : يبدى ، ودليله قوله : ﴿إِنَّهُ هُوَ يَبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾ (البروج : ١٣) .

ودليل العامة ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ (الأعراف : ٢٩) ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ قال الربيع بن خيثم والحسن : وهو هين عليه وما شئ عليه بعزير ، وهى رواية العوفى عن ابن عباس ، وهذا كقول الفرزدق :

إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا<sup>(١)</sup>      بَيْتًا دَعَائِمُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ  
أى عزيمة طويلة .

وقال آخر :

لِعَمْرِكَ إِنَّ الزَّبْرَقَانَ لِبَاذِلٍ      مَعْرُوفُهُ عِنْدَ السَّنِينِ وَأَفْضَلُ  
أى فاضل .

وقال مجاهد وعكرمة : الإعادة أهون عليه من البداية أى أيسر . وهى رواية الوالى عن ابن عباس : ووجه هذا التأويل أن هذا مثل ضربه الله تعالى ، يقول : إعادة الشئ على الخلق أهون من ابتدائه فينبغى أن يكون البعث أهون عليه عندكم من الإنشاء . وقال قوم : وهو أهون عليه ، أى على الخلق ، يُصَاح بهم صيحة فيقومون ، ويقال لهم : كونوا فيكونون أهون عليه من أن يكونوا نطفًا ثم علقًا ثم مضغًا إلى أن يصيروا رجالاً ونساء . وهذا معنى رواية حسان ، عن الكلبي ، عن أبى صالح عن ابن عباس واختيار قطرب .

﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ : أى الصفة العليا ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ : قال ابن عباس : ليس كمثل شئ . وقال قتادة : مثله أنه لا إله إلا هو ولا رب غيره . ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ .



(١) فى المخطوط : بنى لها . والتصويب من تفسير القرطبي ، وزاد بعده لابن عبيدة إنشاده :

قسماً إليك مع الصدود لأميلُ

إنى لأمنحك الصدود وإننى

أراد : لمائل ، وأنشد أحمد بن يحيى :

فتلك سبيل لست فيها بأوحد

تمنى رجال أن أموت وإن أمت

أراد بواحد .

﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَّكُمْ مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّن شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ ﴿١١﴾ فَأَقْرَبُ وَجْهَكَ لِلَّذِينَ حَنِيفًا فِطَرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الَّذِي يُقِيمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٢﴾ مِّنِّيَنَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿١٤﴾ وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا آذَاهُمْ مِنْهُ رَحْمَةٌ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَرْبِّعُ يَشْرِكُونَ ﴿١٥﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمْتَعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ أَمْ أُنزِلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ ﴿١٧﴾﴾

﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَّكُمْ مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ : من عبيدكم وإمائكم ﴿مِّن شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ : من المال ﴿فَأَنتُمْ﴾ : وهم ﴿فِيهِ﴾ : شرع ﴿سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ قال ابن عباس : تخافونهم أن يرثوكم كما يرث بعضهم بعضكم بعضاً، وقيل : تخافون هؤلاء الشركاء أن يقاسموكم أموالكم كما يقاسم بعضهم بعضاً، وهذا معنى قول أبي مجلز، فإذا لم تخافوا هذا من مماليتكم ولم ترضوا بذلك لأنفسكم فكيف رضيتم أن تكون آلهتكم التي تعبدونها لى شركاء؟ وأنتم وهم عبيدي وأنا مالكم جميعاً، فكما لا يجوز استواء المملوك مع سيده فكذلك لا يجوز استواء المخلوق مع خالقه.

ثم قال : ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ ﴿١١﴾ فَأَقْرَبُ وَجْهَكَ لِلَّذِينَ حَنِيفًا فِطَرَتَ اللَّهِ﴾ .

دين الله وهو نصب على المصدر أى فطر فطرة . ومعنى الآية : إن الدين الحنيفية ، فطرة الله (١) ﴿الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ وقيل : نصب على الإغراء . ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ لدين الله ، أى لا يصلح ذلك ولا ينبغي أن يفعل ، ظاهره نفي ومعناه نهى ، هذا قول أكثر العلماء والمفسرين .

(١) فى القرطبي : ﴿فَأَقْرَبُ وَجْهَكَ لِلَّذِينَ حَنِيفًا﴾ دين الإسلام ، وإقامة الوجه هو تقويم المقصد والقوة على الجد فى أعمال الدين ، وخص الوجه بالذكر لأنه جامع حواس الإنسان وأشرفه . ودخل فى هذا الخطاب أمته باتفاق من أهل التأويل .

وقال عكرمة ومجاهد: لا تغيير لخلق الله من البهائم بالخصاء ونحوه<sup>(١)</sup>.

أخبرنا محمد بن عبد الله بن حمدون، عن أحمد بن محمد بن الحسن، عن محمد بن يحيى، عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهري، عن ابن المسيب، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة هل تحسون فيها من جدعاء؟» قال: ثم يقول أبو هريرة: اقرءوا إن شئتم ﴿فَطَرَتْ﴾ **اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا** الآية.

وأخبرني عبد الله بن حامد قال: أخبرني أبو بكر محمد بن جعفر المطيري، عن أحمد بن عبد الله بن يزيد المؤدب عن عبد الرزاق، وأخبرنا أبو سعيد التاجر (ح)<sup>(٢)</sup> قال: أخبرني أبو حامد الشرفي وحدثنا محمد بن يحيى وعبد الرحمن بن بشر والسلمي، قالوا: قال عبد الرزاق عن معمر عن همام، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «ما من مولود إلا يولد على هذه الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه كما تنتجون البهيمة فهل تجدون فيها من جدعاء حتى تكونوا أتم تجدونها؟ قالوا: يا رسول الله أفرأيت من يموت وهو صغير؟ قال: الله أعلم بما كانوا عاملين».

وقال الأسود بن سريع: غزوت مع رسول الله ﷺ أربع غزوات وإن أقواماً منا ولوا<sup>(٣)</sup> الذرية بالقتل فقال رسول الله ﷺ: «ما بال أقوام قتلوا المقاتلة ثم تناولوا الذرية؟» فقال رجل: يا رسول الله إنما هم أولاد المشركين، فقال ﷺ: «إن خياركم أولاد المشركين، والذي نفسي بيده ما من مولود إلا يولد على الفطرة فما يزال عليها حتى يبين عنه لسانه فأبواه يهودانه وينصرانه»<sup>(٤)</sup>.

(١) هي عادة مشهور في القرى والأرياف مسألة إخصاء الذكور من الماعز والضأن ليزداد لحم الذكر فيستفاد بلحمه، ووسم بعض الدواب وما شابه ذلك مما نهى عنه الإسلام لما فيه من الأيذاء البدني للحيوان وغيره من ذوات الأكياد الرطبة والتي في سقيها صدقة وأجر للفاعل بها خيراً.

ومن ذلك في المجال البشري ما اشتهر في عصورنا حتى صار وكأنه أمر لا شيء فيه بل لا يكاد أحد يفكر في حرمة حلق اللحية الذي عم وطم حتى ما تكاد تجد رجل ملتج إلا وهو موصوم من القوم بالتطرف أو الإرهاب.

(٢) زيادة حديثة يتطلبها السياق.

(٣) يريد قاموا بقتل الأطفال وقد نهى الإسلام عن قتل الأطفال أيًا كان انتماء أبويهم العقائدي حيث إنه غير مكلف ولم يجر عليه القلم ليختار أو يميز بين العقائد الصائبة والخطافة، وكذا نهى عن قتل النساء حيث لا يباشرن القتال، وكذلك الشيوخ حيث أقعدهم السن عن المقاومة، ونهى أيضاً عن قتل العباد الذين شغلهم عبادتهم عن مجاهدة المسلمين ولم يتدخلوا في الشؤون السياسية للدولة.

(٤) هذا من الأحاديث المشهورة وله عدة طرق وروايات وألفاظ ومنها ما ذكره البخاري في الصحيح (١١٨/٢)، ومسلم في الصحيح (القدر ٢٢، ٢٣) والبيهقي في السنن الكبرى (٣٠٢/٦)، وأحمد في المسند (٣٤٦/٢)، وأبي نعيم في الحلية (٢٦/٩)، والبغوي في شرح السنة (١٦١/١).

وروى قتادة عن مطرف بن عبد الله بن الشخير عن عياض بن حمار المجاشعي قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَعْلَمَكُمْ مَا جَهَلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي فِي يَوْمِي هَذَا وَإِنَّهُ قَالَ: إِنْ كَلَّ مَالٌ نَحَلْتَهُ عِبَادِي فَهُوَ لَهُمْ حَلَالٌ وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي كُلَّهُمْ حَنْفَاءَ فَاتَّهَمَ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ وَحَرَمْتُ عَلَيْهِمْ مَا أَحَلَلْتُ لَهُمْ وَأَمَرْتُهُمْ أَنْ يَشْرَكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزَلْ بِهِ سُلْطَانًا». وذكر الحديث.

قال أبو بكر الورّاق: فطرة الله التي فطر الناس عليها هي الفقر والفاقة. ﴿ذَلِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْمُسْتَقِيمَ﴾ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ. قوله تعالى: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيْعًا﴾ فرقاً كاليهود والنصارى.

أخبرني الحسين بن محمد بن عبد الله الدينوري، عن محمد بن عمر بن إسحاق بن حبيش الكلواذي، عن عبد الله بن سليمان بن الأشعث، عن محمد بن مصفى، عن بقية بن الوليد عن شعبة أو غيره، عن مجالد، عن الشعبي، عن شريح، عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ لعائشة: «يا عائشة إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيْعًا هُمُ أَهْلُ الْبِدْعِ وَالضَّلَالَةِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ، يَا عَائِشَةُ إِنَّ لِكُلِّ صَاحِبِ ذَنْبٍ تَوْبَةَ إِلَّا صَاحِبَ الْبِدْعِ وَالْأَهْوَاءِ لَيْسَتْ لَهُمْ تَوْبَةٌ، أَنَا مِنْهُمْ بَرِيءٌ وَهُمْ مِنِّي بَرَاءٌ» (١).

﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ قوله: ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً...﴾ خصباً ونعمة (٢) ﴿إِذَا فَرِحُوا مِنْهُمُ يَشْرِكُونَ﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ فَتَمْتَعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ وفى مصحف عبد الله وليتمتعوا ﴿أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا﴾. قال ابن عباس والضحاك: حجة وعذراً. قتادة والربيع كتاباً.

﴿فَهُوَ يَنْكُرُ﴾: ينطق ﴿بِمَا كَانُوا بِهِ يَشْرِكُونَ﴾: يعذرهم على شركهم ويأمرهم به.



(١) هذا حديث غير صحيح وأطرافه عند: الطبراني في الصغير: (١/٢٠٣)، الهيثمي في مجمع الزوائد (١/١٨٨)، (٧/٢٢)، أبي نعيم في الحلية (٤/١٣٨)، والسيوطي في الدر المنثور (٣/٦٣)، المتقى الهندي في كنز العمال (٢٩٨٦، ٢٩٨٧).

(٢) في القرطبي: قال ابن عباس مقبلين عليه بكل قلوبهم لا يشركون. ومعنى هذا الكلام التعجب، عجب نبيه من المشركين في ترك الإنابة إلى الله تعالى مع تتابع الحجج عليهم، أى إذا مس هؤلاء الكفار ضر من مرض وشدة دعوا ربهم أى استغاثوا به فى كشف ما نزل بهم مقبلين عليه وحده دون الأصنام لعلمهم بأنه لا فرج عندها.

﴿وَإِذَا أَدْقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِن تُصِبَّهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْتِنُونَ ﴿١٠﴾  
 أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِن فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ فَكَاتِ ذَا  
 الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ، وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ  
 الْمُفْلِحُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا آتَيْتُم مِّن رَّبًّا لَّيْرَبُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرَبُّوا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ  
 تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴿١٣﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ هُم يَكْفُرُونَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ  
 يُحْيِيكُمْ هَلْ مِّن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ سُبْحٰنَهُ، وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٥﴾  
 ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ  
 يَرْجِعُونَ ﴿١٦﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ  
 مُّشْرِكِينَ ﴿١٧﴾ فَأَقْرُبْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَئِيمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَ لَهُ، مِّنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ  
 يَصَّدَعُونَ ﴿١٨﴾ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ، وَمَن عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نَفْسَهُ يَمَّهْدُونَ ﴿١٩﴾ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ  
 ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِن فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٢٠﴾ وَمِنَ ءَايَاتِهِ أَن يُرْسِلَ  
 الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِّن رَّحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ  
 تَشْكُرُونَ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَأَنْتَمْنَا مِنَ الَّذِينَ  
 أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢﴾ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي  
 السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَيَنزِلُ الْوَدْقَ فَيَخْرُجُ مِن خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِن  
 عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلِ أَن يُنزَلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ ﴿٢٤﴾ فَأَنْظِرْ إِلَىٰ  
 ءَأَشَدِّ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُعْجَىٰ الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ  
 قَدِيرٌ ﴿٢٥﴾ وَلَٰكِن أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا مِن بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ ﴿٢٦﴾ فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا  
 تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٢٧﴾ وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَىٰ عَنِ ضَلٰكَتِهِمْ إِن تَسْمَعُ إِلَّا مَن  
 يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُّسْلِمُونَ ﴿٢٨﴾ .

قوله تعالى: ﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن رَّبًّا﴾ قرأ ابن كثير (ءآتيتهم) مقصوراً غير ممدود ﴿لَّيْرَبُوا فِي أَمْوَالِ



النَّاسِ ﴿١﴾ . قرأ الحسن وعكرمة وأهل المدينة (لتربوا) : بضم التاء وجزم الواو على الخطاب أى لتربوا أنتم ، وهى قراءة ابن عباس واختيار يعقوب وأيوب وأبى حاتم .  
 وقرأ الآخرون (لَيَرْبُوا) بياء مفتوحة ونصب الواو وجعلوا الفعل للربا . واختاره أبو عبيد لقوله : ﴿فَلَا يَرْبُوا عِنْدَ اللَّهِ﴾ ولم يقل فلا يربى . واختلف المفسرون فى معنى الآية : فقال سعيد ابن جبير ومجاهد وطاوس وقتادة والضحاك : هو الرجل يعطى الرجل العطية ويهدى الهدية ليثاب أكثر منها ، فهذا رباً حلال ليس فيه أجر ولا وزر ، وهذا للناس عامة ، فأما النبى ﷺ خاصة فكان هذا عليه حراماً لقوله عز وجل ﴿وَلَا تَتُنَّ تَسْتَكْبِرِينَ﴾ (المدثر: ٦) . وقال الشعبى : هو الرجل يلزق بالرجل فيحف له ويخدمه ويسافر معه فيجعل له ربح ماله ليجزيه وإنما أعطاه التماس عونه ولم يرد به وجه الله . وقال النخعى : هذا فى الرجل يقول للرجل : لأمولتك فيعطيه مراعاة ، وكان الرجل فى الجاهلية يعطى ذا القرابة له المال ليكثر ماله ، وهى رواية أبى حسين عن ابن عباس . وقال السدى : نزلت فى ثقيف كانوا يعطون الربا .

﴿فَلَا يَرْبُوا﴾ : يزكو ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ : لأنه لم يرد به وجه الله . ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ قال قتادة : هذا الذى يقبله الله ويضاعفه له عشر أمثالها وأكثر من ذلك <sup>(١)</sup> ومعنى قوله : (المضعفون) . أهل التضعيف . كقول العرب : أصبحتم مسمنين ، إذا سمت إبلكم ، ومعطشين إذا عطشت . ورجل مقو إذا كانت إبل قوية ، ومضعف إذا كانت ضعيفة ، ومنه الخبيث الخبيث أى أصابه خبث .

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ .

قوله تعالى : ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ﴾ أى قحط المطر ونقص الغلات وذهاب البركة ﴿فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ تقول : أجدبت البر وانقطعت مادة البحر <sup>(٢)</sup> ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ : بشؤم ذنوبهم .  
 قال قتادة : هذا قبل أن يبعث الله نبيه ﷺ امتلأت الأرض ظلماً وضلالة ، فلما بعث الله عز وجل محمداً ﷺ رجع راجعون من الناس . فالبر أهل العمود والمفاوز والبرارى ، والبحر أهل

(١) أى من يعطى ابتغاء وجهه ومرضاته فهو الذى له أجر ما أنفق وأضعافه أضعافاً كثيرة على منهج الخط العام للإسلام ولاخبار القرآن بذلك بأن جزاء الإحسان فى الدنيا الثواب العظيم والإحسان الجزيل فى الآخرة كل ذلك مقيد بإخلاص العمل لله سبحانه وتعالى مجرداً تجرداً تاماً مما سواه سبحانه .

(٢) وما قال القرطبي : فى تفسيرها أن قال : اختلف العلماء فى معنى الفساد فى البر والبحر؛ فقال قتادة والسدى : الفساد : الشرك ، وهو أعظم الفساد .

وقال النحاس : إن الفساد فى البحر انقطاع صيده بذنوب بنى آدم .

الرِّيفَ والقري . قال مجاهد : أما والله ما هو بحر كم هذا ولكن كل قرية على ماء جار فهو بحر . وقال عكرمة : العرب تسمى الأمصار بحراً . وقال عطية وغيره : البرّ ظهر الأرض ، الأمصار وغيرها ، والبحر هو البحر المعروف . وقال عطية : إذا قلّ المطر قلّ الغوص<sup>(١)</sup> . وقال ابن عباس : إذا مطرت السماء فتفتح الأصداف فمها في البحر فما وقع فيها من ماء السماء فهو لؤلؤ . وقال الحسن : البحر القري على شاطئ البحر . قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد : ﴿ظَهَرَ أَفْسَادُ فِي الْبَرِّ﴾ يقتل ابن آدم أخاه ﴿وَالْبَحْرُ﴾ بالملك الجائر الذي كان يأخذ كل سفينة غصباً واسمه الجلندا ، رجل من الأزدي .

﴿لِيُذِقَهُمْ﴾ : قرأ السلمي بالنون وهو اختيار أبي حاتم . والباقون بالياء ﴿بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا﴾ : أي عقوبة بعض الذي عملوا من ذنوبهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ : عن كفرهم وأعمالهم الحبيثة . ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ﴾ فَأَقْرَ وَجْهَكَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوا مِن قَبْلُ أَن يَأْتِي يَوْمَ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يُصَدَّعُونَ﴾ : يتفرون ، فريق في الجنة وفريق في السعير ﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نَفْسَ لَهُ يَهْدُونُ﴾ : يفرشون ويسوون المضاجع في القبور<sup>(٢)</sup> . ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِن فَضْلِهِ﴾ ثوابه ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ . قوله : ﴿وَمِنَ ءَايَاتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّيَّاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِن رِّحْمَتِهِ﴾ نعمته المطر . ﴿وَلِيُتَجَرَّى الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَلِيَتَّبِعُوا مِن فَضْلِهِ﴾ : رزقه ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ولقد أرسلنا من قبلك رسلاً إلى قومهم فجاءوهم بالبينت فانتقمنا من الذين أجرموا﴾ : أشركوا ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ : في العاقبة ، فكذلك نحن ناصروك ومظفروك على من عاداك وناوأك . قال الحسن : يعني أنجاهم مع الرسل من عذاب الأمم .

أخبرني أبو عبد الله الحسين بن محمد بن عبد الله الدينوري ، قال أبو العباس أحمد بن محمد بن يوسف الصرصري ، عن الحسين بن محمد المطبقي ، عن الربيع بن سليمان ، عن علي بن معبد عن موسى بن أعين ، عن بشير بن أبي سليمان ، عن عمرو بن مرة عن شهر بن

(١) زاد في القرطبي بعد هذا : وأخفق الصيادون وعميت دواب البحر .

وقيل : الفساد : كساد الأسعار وقلة المعاش .

وقيل : الفساد المعاصي وقطع السبيل ، والظلم ، أي صار هذا العمل مانعاً من الزرع والعمارات ، والتجارا .

والمعنى كله متقارب ، والبر والبحر هما المعروفان المشهوران في اللغة عند الناس لا ما قاله بعض العبّاد : إن البر

اللسان ، والبحر القلب ، لظهور ما على اللسان ، وخفاء ما في القلب .

(٢) قال القرطبي : أي يوطنون لأنفسهم في الآخرة فراشاً ومسكناً ، وقراراً بالعمل الصالح ، ومنه مهد الصبي ، والمهاد

الفراش ، وقد مهدت الفراش مهداً بسطته ووطأته وعمهيد الأمور تسويتها وإصلاحها .

حوشب عن أم الدرداء عن أبي الدرداء قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من امرئ يرد عن عرض أخيه إلا كان حقاً على الله سبحانه أن يردَّ عنه جهنم يوم القيامة»، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

﴿اللَّهُ الَّذِي يُسِلُّ الْرِيحَ فَتُبْرِسُ سَحَابًا﴾ أخبرني ابن فنجويه عن مخلد الباقرحي، عن الحسن بن علويه، عن إسماعيل بن عيسى، عن إسحاق بن بشر، أخبرنا إدريس أبو إلياس، عن وهب ابن منبه: أن الأرض شكت إلى الله عز وجل أيام الطوفان لأن الله عز وجل أرسل الماء بغير وزن ولا كيل فخرج الماء غضباً لله عز وجل فخدش الأرض وخذدها فقالت: يا رب إن الماء خددني وخدشني، فقال الله عز وجل فيما بلغني - والله أعلم - إنني سأجعل للماء غربالاً لا يخذدك ولا يخذشك، فجعل السحاب غربال المطر<sup>(٢)</sup>.

﴿فَيَسُطُّهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ رد الكناية إلى لفظ السحاب لذلك ذكرها. والسحاب جمع كما يقال: هذا تمر جيد ﴿وَيَجْعَلُهُ كَيْفًا﴾ قطعاً متفرقة. ﴿فَتَرَى الودقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾ وسطه. وقرأ ابن عباس من خلله. ﴿فَإِذَا أَصَابَ بِهِ﴾: أي بالودق ﴿مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ وإن كانوا: ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنَ قَبْلِ الْمَلْسِينَ﴾: وقيل: وما كانوا إلا. قال قطرب والفائدة في تكرار قبل هاهنا أن الأولى للانزال والثانية للمطر، وقيل على التأكيد، كقول الله عز وجل: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبْنَهُمْ﴾ (آل عمران: ١٨٨) كرر تحسبن للتأكيد.

وقال الشاعر:

إذا أنا لم أو من عليك ولم يكن لقاءك إلا من وراء وراء

وفى حرف ابن مسعود (ولا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدا بما لم يفعلوا بمفازة من العذاب) غير مكرر، وفي حرفه أيضاً: (وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم لمبلسين) غير مكرر.

قوله عز وجل: ﴿فَأَنْظِرْ إِلَى آخِرِهِ﴾ بالألف على الجمع - أهل الشام والكوفة. واختلف فيه عن أصم، وغيرهم: أثر على الواحد ﴿رَحِمَتِ اللَّهُ﴾ يعني المطر ﴿كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ﴾

(١) وهذا أيضاً خبر ضعيف فيه شهر بن حوشب وهو ضعيف، والخبر في شرح السنة للبخاري (١٣/١٠٦) برقم ٣٥٢٨، والسيوطي في الدر المنثور (١٥٧/٥).

(٢) هذا من قول وهب بن منبه وهو موقوف عليه وهو رحمه الله تعالى وإيانا وإن كان ثقة في الحديث فإنما لنا روايته لا رأيه ولا قوله إلا ما وافق الكتاب الكريم أو صحيح السنة الشريفة وما عدا ذلك فهو قول رجل له ما له وعليه ما عليه وما ورد في هذا الخبر لا قبله حيث لم يوافق القرآن ولا السنة الصحيحة وهو غير ملزم حتى لو كان صواباً.

ذَلِكَ لِمَنَّى الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» من البعث وغيره<sup>(١)</sup>.

﴿وَلَيْنَ أَرْسَلْنَا رِيحًا﴾ : باردة مضرّة فأفسدت ما أنبت الغيث ﴿فَرَأَوْهُ﴾ : يعنى الزرع والنبات كناية عن غير مذكور ﴿مُضْفَرًا﴾ : يابساً بعد خضرته ونضرته ﴿أَطْلَوْا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ﴾ : وقد رأوا هذه الآيات الواضحات ، ثم ضرب لهم مثلاً<sup>(٢)</sup> فقال تعالى : ﴿فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الصُّرَّ الدَّعَاءَ إِذَا وَلُوا مُدِيرِينَ﴾ وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعَمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تَسْمَعُ إِلَّا مَنْ يُوْمِنُ بِشَايئِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾ .



﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَيْنَ جِثَّتْهُمْ بَيَّاتِيهِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ﴾ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فَأَصْبِرْ إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَلَا يَسْتَخْفِنَاكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾

قوله تعالى : ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ﴾ نطفة ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً﴾ : شباباً ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا﴾ : هرمًا ﴿وَشَيْبَةً﴾ . قرأ يحيى وعاصم والأعمش وحزمة بفتح الضاد من الضعف ، غيرهم بالضم فيها كلها ، واختارها أبو عبيد لأنها لغة النبي ﷺ .

أخبرنا عبد الله بن حامد الوزان ، عن حامد بن محمد ، عن علي بن عبد العزيز قال أبو نعيم ، عن فضيل بن مرزوق ، عن عطية العوفى قال : قرأت على ابن عمر ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا﴾ : يعنى بالضم ، ثم قال : إنى قرأتها على رسول الله ﷺ فأخذها على كما أخذتها عليك ، وكان عاصم الجحدري يقرأ (الله الذى خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوّة ثم جعل من بعد قوّة ضعفًا) - بالفتح - أراد أن يجمع بين اللغتين . قال الفراء : الضم لغة قريش والنصب لغة تميم ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ

(١) قال القرطبي فى تفسيره لها : استدلال الشاهد على الغائب .

(٢) قال القرطبي فى تفسير هذه الآية : أى ليظنن وحسن وقوع الماضى فى موضع المستقبل لما فى الكلام من معنى

المجازة ، والمجازة لا تكون إلا بالمستقبل . قاله الخليل ، وغيره .

الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴿١﴾ .

وقوله: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ يحلف المشركون ﴿مَا لَبِثُوا﴾: فى الدنيا ﴿غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ استقلَّ القوم أجل الدنيا لما عاينوا الآخرة. وقال مقاتل والكلبى: يعنى ما لبثوا فى قبورهم غير ساعة، استقلَّوا ذلك لما استقبلوا من هول يوم القيامة، نظيرها قوله عز وجل: ﴿كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً﴾ (يونس: ٤٥): من النهار ومن نهار ﴿كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾ يكذبون فى الدنيا.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾: أى فيما كتب الله لكم فى سابق علمه<sup>(١)</sup>. وقيل: فى حكم الله، كقول الشاعر:

وما مال الولاء بالبلاء فملتم  
وما ذاك قال الله إذ هو يكتب

أى يحكم. وقال قتادة ومقاتل: هذا من مقادير الكلام تأويلها: وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ فى كتاب الله والإيمان لقد لبثتم ﴿إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾: فى الدنيا أنه يكون وأنكم مبعوثون ومجزيون فكنتم به تكذبون.

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾: يسترجعون<sup>(٢)</sup>.

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولُنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ﴾: ما أنتم إلا على باطل ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ: فى نصرك وتمكينك ﴿حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنكَ﴾ يستزلنك ويستخفن رأيك عن حكمك ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْقِنُونَ﴾.



(١) فى القرطبى: فى حكم الله، ثم ساق نحو ما هو هنا.

(٢) فى القرطبى: أى لا ينفعهم العلم بالقيامة، ولا الاعتذار يومئذ.

وقيل: لما رد عليهم المؤمنون سألو الرجوع إلى الدنيا، واعتذروا، فلم يعذروا.

﴿ولا هم يستعتبون﴾: أى ولا حالهم حال من يستعتب ويرجع. يقال استعتبه فأعتبته أى استرضيته فأرضاني، وذلك إذا كنت جانياً عليه. وحقيقة أعتبه: أزلت عنه.

## سُورَةُ الْقَمَانَ

مكيّة، وهى ألفان ومائة وعشرة أحرف  
وخمسمائة وثمان وأربعون كلمة، وأربع وثلاثون آية

أخبرنى أبو الحسن محمد بن القاسم بن أحمد الفقيه قال: أخبرنى أبو عبد الله محمد بن يزيد المعدل قال: أخبرنى أبو يحيى البزار، عن محمد بن منصور، عن محمد بن عمران بن عبد الرحمن بن أبى لىلى، حدثنى أبى، عن مخالد بن عبد الواحد، عن الحجّاج بن عبد الله، عن أبى الخليل، عن على بن زيد وعطاء بن أبى ميمونة، عن زر بن حبيش، عن أبى بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة لقمان كان له لقمان رفيقاً فى يوم القيامة وأعطى من الحسنات عشرًا بقدر من عمل المعروف، ونهى عن المنكر»<sup>(١)</sup>.

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْم ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ الَّذِينَ يَتَّقُونَ  
الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ  
الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا  
هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا وَلى مُّسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي  
أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَسَّرَهُ بِعَذَابِ الْيَمِّ ﴿٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ  
الَّتِي فِيهَا خَالِدِينَ فِيهَا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ  
تَرَوْنَهَا وَآلَتْنِي فِي الْأَرْضِ رَوَاسِي أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً

(١) فى المخطوط: وعمل بالمنكر، فأثبت ما هو موافق لسياق الكلام.

أما عن الحديث فليس بحديث صحيح فى إسناده على بن زيد، وهو ابن جدعان وهو ضعيف الحديث، وعلى العموم معظم الأحاديث الواردة فى فضل القرآن الواردة فى هذا الكتاب فى أوائل السور تكاد تكون كلها ضعيفة لهذا فأنا لا أعلق عليها لما قدمته فى مقدمة الكتاب فى هذا الشأن.

فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۗ بَلِ  
الْظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١١﴾ ﴿

﴿المر﴾ تلك آيات الكتاب الحكيم هدى ورحمة: قرأ العامة بالنصب على الحال والقطع، وقرأ حمزة (ورحمة) بالرفع على الابتداء ﴿للمحسين﴾ الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم يؤفون ﴿أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون﴾. قوله: ﴿ومن الناس من يشتري لهو الحديث﴾.

قال الكلبي ومقاتل: نزلت في النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد الدار بن قصي، كان يتجر فيخرج إلى فارس فيشتري أخبار الأعاجم فيرويها ويحدث بها قريشاً ويقول لهم: إن محمداً يحدثكم بحديث عاد وثمود، وأنا أحدثكم بحديث رستم وإسفنديار وأخبار الأعاجم والأكاسرة، فيستمحون حديثه ويتركون استماع القرآن، وقال مجاهد: يعني شراء القيان والمغنين، ووجه الكلام على هذا التأويل: يشتري ذات أو ذا لهو الحديث.

أخبرنا أبو طاهر محمد بن الفضل بن محمد بن إسحاق المزكي سنة ثلاث وثمانين، حدثني جدِّي محمد بن إسحاق بن خزيمة عن علي بن خزيمة عن علي بن حجر، عن مُستمغل بن ملجان الطائي، عن مطروح بن يزيد، عن عبيد الله بن زجر، عن علي بن يزيد، عن القاسم عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يحلّ تعليم المغنيات ولا بيعهن، وأثمانهن حرام، وفي مثل هذا نزلت الآية: ﴿ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله﴾» إلى آخر الآية.

وما من رجل يرفع صوته بالغناء إلا بعث الله عليه شيطانين أحدهما على هذا المنكب والآخر على هذا المنكب فلا يزالان يضربانه بأرجلهما حتى يكون هو الذي يسكت<sup>(١)</sup>. وقال آخرون: معناه يستبدل ويختار اللهو والغناء والمزامير والمعازف على القرآن وقال: سبيل الله: القرآن.

وقال أبو الصهباء البكري: سألت ابن مسعود عن هذه الآية، فقال: هو الغناء والله الذي لا إله إلا هو يرددها ثلاث مرّات، ومثله روى سعيد بن جبير عن ابن عباس: ابن جريج: هو الطبل. عبيد عن الضحّاك: هو الشرك. جووير عنه: الغناء، وقال: الغناء مفسدة للمال، مسخطة للرب مفسدة للقلب. وقال ثور بن أبي فاخنة عن أبيه عن ابن عباس: نزلت هذه الآية

(١) وهذا أيضاً حديث لا يصح في إسناده مطروح بن يزيد أبو المهلب الكنانى وهو ضعيف الحديث والخبر المذكور في كتب الحديث الضعيفة ككتاب العمل المتناهية في الضعف (٢/٢٩٨)، وابن عدى في الكامل في الضعفاء (٦/٢٣١٥)، وكنز العمال (٩٣٩٤).

فى رجل اشترى جارية تغنيه ليلاً ونهاراً. وكلّ ما كان من الحديث مُلهياً عن سبيل الله إلى ما نهى عنه فهو لهو ومنه الغناء وغيره<sup>(١)</sup>. وقال قتادة: هو كلّ لهو ولعب. قال عطاء: هو الترهات والبسابس. وقال مكحول: من اشترى جارية ضرباً ليمسكها لغناها وضربها مقيماً عليه حتى يموت لم أصلّ عليه، إن الله عزّ وجلّ يقول: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾ إلى آخر الآية.

وروى على بن يزيد عن القاسم بن أبى أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى بعثنى رحمةً وهدىً للعالمين وأمرنى بمحق المعازف والمزامير والأوتار والصّلب وأمر الجاهلية، وحلف ربى بعزته لا يشرب عبد من عبيدى جرعة من خمر متعمداً إلا سقيته من الصديد مثلها يوم القيامة مغفوراً له أو معذباً، ولا يسقيها صبيّاً صغيراً ضعيفاً مسلماً إلا سقيته مثلها من الصديد يوم القيامة مغفوراً له أو معذباً، ولا يتركها من مخافتى إلا سقيته من حياض القدس يوم القيامة. لا يحلّ بيعهن ولا شراءهن ولا تعليمهن ولا التجارة بهن وثمنهن حرام». يعنى الضوارب<sup>(٢)</sup>. وروى حماد عن إبراهيم قال: الغناء ينبت النفاق فى القلب. وكان أصحابنا يأخذون بأفواه السكك يحرقون الدفوف.

أخبرنا عبد الله بن حامد، عن ابن شاذان، عن جيفويه، عن صالح بن محمد، عن إبراهيم ابن محمد، عن محمد بن المنكر قال: بلغنى أنّ الله عزّ وجلّ يقول يوم القيامة: أين الذين كانوا ينزهون أنفسهم وأسماعهم عن اللّهُ ومزامير الشيطان؟ أدخلوهم رياض المسك، ثمّ يقول للملائكة: أسمعوا عبادى وحمدى وثنائى وتمجيدى وأخبروهم أنّ لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

قوله: ﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بَعِيرٍ عَظِيمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا﴾ قرأ الأعمش وحمزة والكسائى وخلف ويعقوب ﴿وَيَتَّخِذَهَا﴾ بنصب الذال عطفاً على قوله: ﴿لِيُضِلَّ﴾ وهو اختيار أبى عبيد قال: لقربه من المنسوب، وقرأ الآخرون بالرفع نسقاً على قوله: ﴿يَشْتَرِي﴾.

﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۖ وَإِذَا تَنَجَّ عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَن فِى أُذُنِهِ وَقْرًا ۚ فَبَشِّرْهُ ۖ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۗ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ أَنْعَمَ ۖ خَلْدِينَ فِيهَا

(١) هذا القول هو الذى فى الشفاء فى تأويل هذه الآية ولا داعى لكثرة الأقاويل فكل شىء زاد عن حده انقلب إلى ضده فخذ من كل بقدر ما لا يشغلك عن ذكر الله ولا يجعلك تمل العبادة فإن الله لا يمل حتى تملوا.

(٢) على بن زيد هو ابن جدعان وهو ضعيف الحديث ويضاف إلى ذلك ركافة المتن والمبالغة فى العقوبة حتى مع من يغفر الله له فكيف يسقيه الصديد، وقد غفر له؟! أليس هذا من عجيب الموضوعات وتناقض الأقوال هداً الله وإياكم إلى ما هو صواب ورزقنا الله وإياكم حسن الختام بالموت على دين الإسلام اللهم آمين.



وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٠﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَالْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ  
وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَأْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ أَيْ نَوْعًا حَسَنًا ﴿هَذَا﴾ هَذَا  
الَّذِي ذَكَرْتَ مِمَّا يَعْنِيُونَ ﴿خَلَقَ اللَّهُ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ مِنْ آلِهَتِكُمُ الَّتِي تَعْبُدُونَهَا ﴿بَلِ  
الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ .



﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ  
غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يُعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٢﴾  
وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنَا عَلَى وَهْنٍ وَفَصَّلَهُ فِي غَامِزَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي  
وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ ﴿١٣﴾ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا  
وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ  
تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَنَا تِلْكَ مِثْقَالِ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي  
الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٥﴾ يَا بُنَيَّ أَقْرِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ  
وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٦﴾ وَلَا تَصْعَرَ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي  
الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٧﴾ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ  
إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٨﴾ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مِمَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمِمَّا فِي  
الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا  
هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴿١٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا  
أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٢٠﴾

قوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾ يعني العقل والعلم والعمل به والإصابة في الأمور.

قال محمد بن إسحاق بن يسار: وهو لقمان بن باعور [ء] (١) بن باحور بن تارح (٢) وهو  
آزر [أبو إبراهيم] (١)، وقال وهب: كان ابن أخت أيوب. وقال مقاتل: ذكر أن لقمان كان ابن

(١) زيادة من القرطبي.

(٢) زاد في القرطبي: وقيل: لقمان بن عنقاء ابن سرون، وكان نوبياً من أهل أيلة ذكره السهيلي.

خالة أيوب .

قال الواقدي : كان قاضيًا في بني إسرائيل ، واتفق العلماء على أنه كان حكيماً ولم يكن نبياً إلا عكرمة فإنه قال : كان لقمان نبياً ، تفرّد بهذا القول .

حدثنا أبو منصور الجمشاذي قال : حدثني أبو عبد الله محمد بن يوسف ، عن الحسين بن محمد ، عن عبد الله بن هاشم ، عن وكيع عن إسرائيل ، عن جابر ، عن عكرمة قال : كان لقمان نبياً . وقال بعضهم : خير لقمان بين النبوة والحكمة ، فاختر الحكمة .

وروى عبد الله بن عمر ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : «حقاً أقول لم يكن لقمان نبياً ولكن عبد صمصامة كثير التفكير ، حسن اليقين ، أحبَّ الله فأحبه وضمن عليه بالحكمة» .

وروى أن لقمان في ابتداء أمره كان نائماً نصف النهار إذ جاءه نداء : يا لقمان هل لك أن يجعلك الله خليفة في الأرض تحكم بين الناس بالحق؟ فأجاب الصوت فقال : إن خيرني ربّي قبلت العافية ولم أقبل البلاء ، وإن عزم عليّ فسمعاً وطاعة . فإني أعلم إن فعل ذلك بي عصمني وأعانني ، فقالت الملائكة بصوت لا يراهم : لم يا لقمان؟ قال : لأنّ الحاكم بأشدّ المنازل وأكدرها يغشاه الظلم من كلّ مكان إن وفي فبالحرى أن ينجو ، وإن أخطأ أخطأ طريق الجنة ، ومن يكن في الدنيا ذليلاً وفي الآخرة شريفاً خير من أن يكون في الدنيا شريفاً وفي الآخرة ذليلاً .

ومن تخير الدنيا على الآخرة تفتته الدنيا ولا يصيب الآخرة ، فعجبت الملائكة من حسن منطقه فنام نومة فأعطى الحكمة . فانتبه يتكلّم بها .

ثمّ نودي داود بعده<sup>(١)</sup> فقبلها ولم يشترط ما شرط لقمان فهوى في الخطيئة غير مرّة كلّ ذلك يعفو الله عزّ وجلّ عنه ، وكان لقمان يؤازره بحكمته ، فقال له داود : طوبى لك يا لقمان أعطيت الحكمة وصرفت عنك البلوى . وأعطى داود الخلافة وابتلى بالبليّة والفتنة<sup>(٢)</sup> .

وحدثنا الإمام أبو منصور بن الجمشاذي لفظاً قال : حدثني أبو عبد الله بن يوسف عن الحسن بن محمد ، عن عبد الله بن هاشم ، عن وكيع ، عن محمد بن حسنّ ، عن خالد الربعي قال : كان لقمان عبداً حبشياً نجاراً . وأخبرنا أبو عبد الله بن فنجويه قال : حدثني أبو بكر بن

(١) يعنى : نودي بالخلافة في الأرض .

(٢) هذا خبر لا يصح عن رسول الله ﷺ في إسناده نوفل بن سليمان الهنائي وقد ضعفه الدارقطني ، وأبو حاتم وفي متن الحديث ما يفيد عدم صحته ، قد ذكره المتقى في الكنز برقم (٣٧٨٦٥) .

مالك القطيعي ، عن عبد الله بن أحمد بن حنبل ، عن أبي عن أسود بن عامر ، عن حماد ، عن علي بن يزيد ، عن سعيد بن المسيب أن لقمان كان خياطاً .

﴿أَنْ أَشْكُرَ اللَّهُ﴾ : يعنى وقلنا له : أَنْ اشكر الله .

﴿وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ .

قال مجاهد : كان لقمان عبداً أسود عظيم الشفتين ، متشقق القدمين<sup>(١)</sup> . وروى الأوزاعي عن عبد الرحمن بن حرملة قال : جاء أسود إلى سعيد بن المسيب يسأله فقال له سعيد : لا تحزن من أجل أنك أسود ، فإنه كان من أخير الناس ثلاثة من السودان : بلال ومهجع مولى عمر بن الخطاب ولقمان الحكيم كان أسود نوبيا من السودان مصر ذا مشافر .

قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ لَقْمَنْ لِنَبِيِّهِ﴾ واسمه أنعم<sup>(٢)</sup> ﴿وَهُوَ يَعْظُمُ رَبِّيَ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنَا عَلَى وَهْنٍ ﴿ قال ابن عباس : شدة بعد شدة . الضحاك : ضعف على ضعف . قتادة : جهداً على جهد . مجاهد وابن كيسان : مشقة على مشقة .

﴿وَفَصَّلُهُ﴾ : فطامه . وروى عن يعقوب : وفصله ﴿فِي عَامَتَيْنِ أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلَوْلَا ذِكْرُكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ : أنبأني عبد الله بن حامد الأصفهاني ، عن الحسين بن محمد بن الحسين البلخي قال : أخبرني أبو بكر محمد بن القاسم البلخي ، عن نصير بن يحيى ، عن سفيان بن عيينة في قول الله عز وجل : ﴿أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلَوْلَا ذِكْرُكَ﴾ قال : من صلى الصلوات الخمس فقد شكر الله ومن دعا للوالدين في أدبار الصلوات فقد شكر للوالدين .

﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبَهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ : عشرة

(١) لا يضر الشكل مع حال الصلاح ولا عيب في ذلك ، ولكن من أين لمن قال هذا القول الدليل على صدقه فلكل قول حقيقة ودليل وبرهان وحجة ، وهذا القول خال من أى شىء من ذلك وإنما هي اجتهادات وافتراضات ما يفيد إن كان أشقر أم أسمر أم أسود فالعلة في الإسلام والمدار إنما هو على التقوى ، وقد مدح هذا الرجل من قبل رب السموات والأرض فما فائدة مثل هذا القول أو الوصف الذى قد يصيب بعض الناس بعدم الرضا ، وإن كان سوف يسعد آخرين بغير وجه حق إلا لأنهم سودان فأرجو أن يترك العلماء مثل هذه الشكليات ويهتّموا بما يفيد الناس في دينهم ويأخذ بهم إلى ربهم .

(٢) في القرطبي أقوال أخرى في اسمه وإن كنت لا أوافق على شىء منها حيث لا يجدى ذلك إلا أنى أردت أن أحيطك بحجم الخلاف فيما لا فائد فيه فقال : قال السهيلي : ابنه ثاران في قول الطبري والقتيبي ، وقال الكلبي : مشكم .

وقيل : أنعم . حكاة النقاش .

وذكر القشيري : أن ابنه وامرأته كانا كافرين فما زال بهما يعظهما حتى أسلما .

جميلة ، وتقديره : بالمعروف .

﴿وَاتَّبَعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ : واسلك طريق محمد وأصحابه .

﴿ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ : نزلت هاتان الآيتان في سعد بن أبي وقاص وأمه ،

وقد مضت القصة .

﴿يَلْبَسُنَّ إِنَّهَا إِنْ تَكَ مِنْ ثَمَرَاتِهِ حَبًّا مِنْ حَرْدَلٍ﴾ : قال بعض النحاة : هذه الكناية راجعة إلى الخطيئة

والمعصية ، يعنى : إِنْ تَكَ<sup>(١)</sup> . يدل عليه قول مقاتل : قال أنعم بن لقمان لأبيه : يا أبة إِنْ عملت

بالخطيئة حيث لا يرانى أحد كيف يعلمها الله؟ فقال له : ﴿يَلْبَسُنَّ إِنَّهَا إِنْ تَكَ﴾ . وقال آخرون :

هذه الهاء عماد ، وإنما أتت لأنه ذهب بها إلى الحبة ، كقول الشاعر :

ويشرق بالقول الذى قد أذعته      كما شرقت صدر القناة من الدم

ويرفع المثقال وينصب ، فالتَّصَّبَ على خبر كان والرَّفْعَ على اسمها ومجازه : إِنْ تقع

وحينئذ لا خبر له : ﴿فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ﴾ : قال قتادة : فى جبل ، وقال ابن عباس : هى صخرة تحت

الأرضين السبع وهى التى يكتب فيها أعمال الفجار ، وخضرة السماء منها<sup>(٢)</sup> ، وقال السدى :

خلق الله الأرض على حوت وهو النون الذى ذكره الله عز وجل فى القرآن ﴿نَّ وَالْقَلَمِ﴾

(القلم : ١) والحوت فى الماء ، والماء على ظهر صفاة ، والصفاءة على ظهر ملك والملك ، على

صخرة ، وهى الصخرة التى ذكر لقمان ليست فى السماء ولا فى الأرض ، والصخرة على

الريح<sup>(٣)</sup> .

﴿أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِي بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ﴾ : باستخراجها ﴿خَيْرٌ﴾ : عالم

بمكانها . ورأيت فى بعض الكتب أن لقمان (عليه السلام) قال لابنه : يا بُنى ﴿إِنَّهَا إِنْ تَكَ مِنْ ثَمَرَاتِ

حَبَّةٍ﴾ إلى آخر الآية . فانفطر من هيبة هذه الكلمة فمات فكانت آخر حكمته .

قوله : ﴿يَلْبَسُنَّ أَقْرِبَ الصَّلَاةِ وَأَمْرًا بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ

الْأُمُورِ﴾ .

أى الأمور الواجبة التى أمر الله بها ، وقال ابن عباس : حزم الأمور . مقاتل : حق الأمور .

﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ : قرأ النخعى ونافع وأبو عمرو وابن محيصن ويحيى بن وثاب

(١) يعنى إن تحدث .

(٢) هذه الأقوال لا يقول بها عاقل فضلاً عن عالم مسلم ، ولمثل هؤلاء تنسب أقوال كثيرة اعتماداً على أسمائهم وما

لها من ثقل عند الناس وهم من هذه الأقوال براء براءة الذئب من دم ابن سيدنا يعقوب ، فعلى المسلم أن يرد مثل

هذه الأقوال بأن لا ينظر إليها ، وإن سمعها صد عنها أذنه ولا يناقش القائلين بها أما إن احتج بها عليه عالم من غير

أهل الإسلام فعليه أن يبين له أنها ليست من دين الله فى شىء وأنها مكذوبة على هؤلاء العلماء الأفاضل .

والأعمش وحمزة والكسائي تصاعر بالألف .

أخبرني أبو عبد الله بن فنجويه قال : أخبرني أبو حبش قال أبو القاسم بن الفضل قال أبو زرعة : حدثني نصر بن علي قال : أخبرني أبي عن معلى الوراق عن عاصم الجحدري (ولا تُصْعَرُ) : بضم التاء وجزم الصاد من أصعر . الباقون ﴿تُصْعَرُ﴾ : من التصعير . قال ابن عباس : يقول لا تتكبر فتحقر الناس وتعرض عنهم بوجهك إذا كلموك . مجاهد : هو الرجل يكون بينه وبينك إحنة فتلقاه فيعرض عنك بوجهه . عكرمة : هو الذي إذا سلّم عليه لوى عنقه تكبراً . الربيع وقتادة : لا تحقر الفقراء ، ليكن الفقير والغني عندك سواء .

عطاء : هو الذي يلوى شدقه . أخبرنا عبد الله بن حامد ، عن حامد بن محمد ، عن محمد ابن صالح ، عن عبد الصمد ، عن خارجة بن مصعب ، عن المغيرة ، عن إبراهيم فى قوله : ﴿وَلَا تُصْعِرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ قال : التشديق فى الكلام . وقال المؤرج : لا تعبس فى وجوه الناس . وأصل هذه الكلمة من الميل ، يقال : رجل أصعر إذا كان مائل العنق . وجمعه صُعر ، ومنه ، الصُّعر : وهو داء يأخذ الإبل فى أعناقها ورؤوسها حتى يلفت أعناقها ، فشبه الرجل المتكبر الذى يعرض عن الناس احتقاراً لهم بذلك . قال الشاعر يصف إبلاً :

وردناه فى مجرى سهيل يمانياً      بصعر البرى من بين جمع وخادج  
أى مائلات البرى . وقال آخر :

وكنّا إذا الجبار صعر خده      أقمنا به من ميله فتقومًا  
﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا﴾ : أى خيلاء . ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ﴾ : فى مشيته ﴿فَخُورٍ﴾ : على الناس .

أخبرني عبد الله بن حامد الوزان ، عن أحمد بن محمد بن شاذان ، عن جيعويه ، عن صالح ابن محمد ، عن جرير بن عبد الحميد ، عن عطاء بن السائب ، عن أبيه ، عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ : خرج رجل يتبختر فى الجاهلية عليه حلة ، فأمر الله عز وجل الأرض فأخذته ، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة<sup>(١)</sup> .

﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ : أى تواضع ولا تتبختر وليكن مشيك قصداً لا بخيلاء ولا إسراع .

أخبرنا الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين بن مهران المقرئ سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة قال : أخبرني أبو العباس محمد بن إسحاق السراج وأبو الوفا ، المؤيد بن الحسين بن عيسى قال : قال

(١) الحديث أخرجه الترمذى فى الجامع الصحيح : (كتاب صفة القيامة والرفائق والورع باب ٤٧ حديث رقم ٢٤٩١

عبّاس بن محمد الدورى، عن الوليد بن سلمة قاضى الأردن، عن عمر بن صهبان، عن نافع عن ابن عمر أنّ النبىَّ ﷺ قال: «سرعة المشى يذهب بهاء المؤمن»<sup>(١)</sup>.

﴿وَأَغْضُضْ﴾: واخفض<sup>(٢)</sup> ﴿مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾: قال مجاهد وقتادة والضحاك: أقبح، أوله زفير وآخره شهيق، أمره بالاقتصاد فى صوته. عكرمة والحكم بن عيينة: أشدّ. ابن زيد: لو كان رفع الصوت خيراً ما جعله للحمير.

أخبرنا أبو زكريا يحيى بن إسماعيل الحرى قال: أخبرنى حامد أحمد بن عبدون بن عمارة الأعمش قال: أخبرنى أبو حاتم محمد بن إدريس الحنظلى، عن يحيى بن صالح الوحاظى، عن موسى بن أعين قال: سمعت سفيان يقول فى قوله عزّ وجل: ﴿إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ يقول: صياح كلّ شىء تسبيح لله عزّ وجلّ إلاّ الحمار<sup>(٣)</sup>. وقيل: لأنّه ينهق بلا فائدة.

أخبرنى الحسين بن محمد بن فنجويه، عن محمد بن الحسين بن بشر، قال: أخبرنى أبو بكر ابن أبى الخصيب، عن عبد الله بن جابر، عن عبد الله بن الوليد الحرانى، عن عثمان بن عبد الرحمن، عن عنبسة بن عبد الرحمن، عن محمد بن زاذان، عن أمّ سعد قالت: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْغِضُ ثَلَاثَةَ أَصْوَاتٍ: نَهَقَةَ الْحِمَارِ، وَنَبَاحَ الْكَلْبِ، وَالدَّاعِيَةَ بِالْحَرْبِ»<sup>(٤)</sup>.

### فصل فى ذكر بعض ما روى من حكم لقمان

أخبرنا عبد الله بن حامد الوزان الأصفهانى، عن أحمد بن شاذان، عن جينويه بن محمد عن صالح بن محمد عن إبراهيم بن أبى يحيى، عن محمد بن عجلان قال: قال لقمان: ليس مال كصحة، ولا نعيم كطيب نفس.

(١) خبر ضعيف ذكره العجلونى فى كشف الخفا (١/٥٤٧)، والألبانى فى الضعيفة (٥٥).

(٢) فى القرطبى: أى اخفض منه أى لا تتكلف برفع الصوت، وخذ منه ما تحتاج إليه، فإن الجهر بأكثر من الحاجة تكلف يؤذى والمراد بذلك كله التواضع، وقد قال عمر لمؤذن تكلف رفع الأذان بأكثر من طاقته: لقد خشيت أن ينشق مريطاؤك، والمؤذن هو أبو محذورة سمرة بن معير، والمريطاء: ما بين السرة إلى العانة.

(٣) هذا قول مخالف لصريح القرآن حيث إن القرآن لم يحص شيئاً دون شىء وبين أننا معشر الإنس لا نفقه تسبيح الأشياء الأخرى من جمادات أو نباتات أو حيوانات وكذلك قولهم: إنه ينهق بلا فائدة، فكيف عرفوا ذلك وأتى لهم أنه ينهق بغير فائدة وقد عشنا فى القرى والأرياف وعلّمنا أنه لا ينهق إلاّ لسبب يعرفه غالباً صاحبه أو الناظر إليه.

(٤) هذا خبر لا يصح فى إسناده عنبسة بن عبد الرحمن بن عنبسة بن سعيد بن العاص، وهو متروك الحديث لكونه وضاعاً كان يضع الحديث.

وأخبرنا أبو عبد الله الحسين بن محمد الدينوري، عن عمر بن أحمد بن القاسم النهاوندي، عن محمد بن عبد الغفار الزرقاني، عن أبي سكين زكريا بن يحيى بن عمر بن حفص عن عمه أبي زجر بن حصن، عن جده حميد بن منهب قال: حدثني طاوس، عن أبي هريرة قال: مرَّ رجل بلقمان والناس مجتمعون عليه فقال: ألسنت بالبعد الأسود الذي كُنْتَ راعياً بموضع كذا وكذا؟ قال: بلى. قال: فما بلغ بك ما أرى؟ قال: صدق الحديث، وأداء الأمانة، وترك ما لا يعنيني.

وأخبرني الحسين بن محمد قال: أخبرني أبو الحسين بكر بن مالك القطيعي، عن عبد الله ابن أحمد بن حنبل، عن أبي، عن وكيع قال: أخبرني أبو الأشهب، عن خالد الربيعي قال: كان لقمان عبداً حبشياً نجاراً، فقال له سيده: اذبح لنا شاة، فذبح له شاة، فقال له: ائتني بأطيب المضعتين فيها، فأتاه باللسان والقلب. فقال: ما كان فيها شيء أطيب من هذا؟ قال: لا قال: فسكت عنه ما سكت، ثم قال له: اذبح لنا شاة، فذبح شاة، فقال: ارم بأخبثها مضعتين<sup>(١)</sup>، فرمى باللسان والقلب، فقال: أمرتك أن تأتيني بأطيبها مضعتين فأتيتني باللسان والقلب وأمرتك أن تلقى أخبثها مضعتين فألقيت اللسان والقلب؟! فقال: لأنه ليس شيء بأطيب منهما إذا طابا وأخبث منهما إذا خبثا.

وأخبرني الحسين بن محمد، عن أحمد بن جعفر بن حمدان، عن يوسف بن عبد الله عن موسى بن إسماعيل، عن حماد بن سلمة، عن أنس أن لقمان كان عند داود (عليه السلام) وهو يسرد درعاً فجعل لقمان يتعجب مما يرى، ويريد أن يسأله، ويمنعه حكمه عن السؤال، فلما فرغ منها وجاء بها وصبها قال: نعم درع الحرب هذه! فقال لقمان: إن من الحكم الصمت وقليل فاعله<sup>(٢)</sup>.

وأخبرني الحسين بن محمد بن ماهان عن علي بن محمد الطنافسي قال: أخبرني أبو أسامة ووكيع قالوا: أخبرنا سفيان، عن أبيه، عن عكرمة قال: كان لقمان من أهون مملوكيه على سيده. قال فبعثه مولاه في رقيق له إلى بستان له ليأتوه من ثمره، فجاءوا وليس معهم شيء، وقد أكلوا الثمر، وأحالوا على لقمان. فقال لقمان لمولاه: إن ذا الوجهين لا يكون عند الله أميناً، فاسقني وإياهم ماءً حميماً ثم أرسلنا فلنعد، ففعل، فجعلوا يقيئون تلك الفاكهة وجعل

(١) ما بين المعقوفين زيادة يتطلبها السياق نظراً لما جاء بعد هذا في القصة أو الخبر.

(٢) يريد أنه لما صمت عن السؤال جاءت الإجابة وحفظ عليه الصمت مشقة أو مذلة السؤال، وقد قيل: السؤال مذلة

ولو: أين الطريق؟.

لقمان يقيء ماءً، فعرف صدقه وكذبهم.

قال: أول ما روى من حكمته، أنه بينما هو مع مولاه، إذ دخل المخرج فأطال فيه الجلوس، فناداه لقمان: إن طول الجلوس على الحاجة ينجع منه الكبد، ويورث الباسور، ويصعد الحرارة إلى الرأس، فاجلس هوناً، وقم هوناً، قال: فخرج وكتب حكمته على باب الحش<sup>(١)</sup>.

قال: وسكر مولاه يوماً فخاطر قومًا على أن يشرب ماء بحيرة، فلما أفاق عرف ما وقع فيه فدعا لقمان فقال: لمثل هذا كنت أجبتك، فقال: أخرج كرسيك وأباريقك ثم اجمعهم، فلما اجتمعوا قال: على أي شيء خاطرتوه<sup>(٢)</sup>؟ قالوا: على أن يشرب ماء هذه البحيرة، قال: فإن لها مواد<sup>(٣)</sup> احتبسوا موادها عنها، قالوا: وكيف نستطيع أن نجس موادها عنها؟ قال لقمان: وكيف يستطيع شربها ولها مواد؟!

وأخبرني الحسين بن محمد، قال حدثنا ابن شنبه، قال حدثنا علي بن محمد بن ماهان، قال حدثنا علي بن محمد الطنافسي قال حدثنا أبو الحسين العكلى عن بكر بن عبد الله المزني عن أبيه قال: قال لقمان: ضرب الوالد ولده: السماد والزرع<sup>(٤)</sup>.

وأخبرني الحسين بن محمد، عن عبيد الله بن محمد بن شنبه، عن علي بن محمد بن ماهان، عن علي بن محمد الطنافسي قال: أخبرني أبو الحسين العكلى عن عبد الله بن أحمد ابن حنبل، عن داود بن عمر، عن إسماعيل بن عياش عن عبد الله بن دينار أن لقمان قدم من سفر فلقي غلامه في الطريق، فقال: ما فعل أبي؟ قال: مات، قال الحمد لله، ملكت أمري. قال: ما فعلت امرأتي؟ قال: ماتت. قال: جدد فراشي، قال: ما فعلت أختي؟ قال: ماتت، قال: ستر عورتى، قال: ما فعل أخي؟ قال: مات، قال: كسر ظهري<sup>(٥)</sup>.

(١) هذه من النصائح الطبية المشهورة التي دائماً ما نسمع عنها من عدم استحباب طول المكث داخل الحمامات أو المراحيض أو ما تسميه اليوم بدورات المياه.

(٢) المخاطرة: المراهنة.

(٣) المواد: المراد بها العيون أو العروق التي تمتد البحيرة بالماء وغالباً ما تكون تحتها ولا تعرف على وجه التحديد بالدقة.

(٤) المراد هنا أن الوالد إنما هو لا يضرب ابنه بغضاً وإنما يضربه إصلاحاً وتقويماً وحرصاً على ما ينفعه ديناً ودنيا فشبّه ضرب الوالد لولده بالسماد لأنه يصلح الزرع ويحسنه ويقويه فكذلك الوالد وولده، وهيهات أن تجد في هذه بر الولد بولده.

(٥) كثيراً ما أسمع عن أهمية علاقة الأخ بأخيه وكم هي نافعة وصحية ومفيدة وممتعة للحياة خصوصاً إذا كان الأخ صالحاً فإن لم يكن صالحاً وكان لا يسيء إلى أخيه كانت أيضاً نافعة لهما في الدنيا، ولكن إذا فسدت هذه العلاقة من الناحيتين الدنيوية والدنيوية فأجاركم الله تعالى منها فقد جربتها فما وجدت أمر منها هي والعقوق إلا الكفر بالله والعباد بالله من هذا، فقد عقلت من ابني، وفسد حال إخوتي دنيا ودين وفسدت كل محاولات إصلاحهم، فكم كنت أتمنى أن أدوق طعم الأخوة النسبية فإنني أسمع عنها كثيراً وأشعر أن لها طعماً جميلاً من حديث الناس =



وأخبرني الحسين بن محمد قال: أخبرني أبو بكر بن مالك عن عبد الله بن أحمد بن حنبل، عن أبي، عن سفيان، قال: قيل للقمان: أي الناس شر؟ قال: الذي لا يبالي أن يراه الناس مسيئاً، وقيل للقمان: ما أقبح وجهك! قال: تعيب بهذا على النقش أو على النقاش<sup>(١)</sup>؟.

قوله تعالى: ﴿الْمُرْتَدُونَ أَلَا اللَّهُ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ﴾.

قرأ نافع وشيبة وأبو جعفر وأبو رجاء العطاردي وأبو مجلز وأبو عمرو والأعرج وأيوب وحفص ﴿نِعْمَهُ﴾: بالجمع والإضافة، واختاره أبو عبيد وأبو معاذ النحوي وأبو حاتم، وقرأ الآخرون مُنُونَةً على الواحد ومعناها جمع أيضاً، ودليله قول الله عز وجل: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ (إبراهيم: ٣٤) وقال مجاهد وسفيان: هي لا إله إلا الله، وتصديقه أيضاً ما أخبرني أبو القاسم الحبيبي أنه رأى في مصحف عبد الله (نعمته): بالإضافة والتوحيد ﴿ظَهْرَةً وَبَاطِنَةً﴾: اختلفوا فيها فأكثروا. فقال ابن عباس: أما الظاهرة فالدين والرياش، وأما الباطنة فما غاب عن العباد وَعَلَّمَهُ اللهُ.

مقاتل: الظاهر تسوية الخلق والرّزق والإسلام، والباطنة ما ستر من ذنوب بني آدم فلم يعلم بها أحد ولم يعاقب عليها، الضحّاك: الظاهرة حسن الصورة وامتداد القامة وتسوية الأعضاء، والباطنة المغفرة. القرظي: الظاهرة محمد ﷺ والباطنة المعرفة. ربيع: الظاهرة بالجوارح والباطنة بالقلب. عطاء الخراساني: الظاهرة تخفيف الشرائع، والباطنة الشفاعة. مجاهد: الظاهرة ظهور الإسلام والنصر على الأعداء، والباطنة الإمداد بالملائكة.

أخبرنا الحسين بن محمد بن إبراهيم النيسباني، قال: أخبرنا أبو الفضل محمد بن إبراهيم ابن محمش، قال: أخبرني أبو يحيى زكريا بن يحيى بن الحرب، عن محمد بن يوسف بن محمد بن سابق الكوفي قال: أخبرني أبو مالك الجبني، عن جوهر، عن الضحّاك قال: سألت ابن عباس عن قول الله عز وجل: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَةً وَبَاطِنَةً﴾ فقال: هذا من محرزى الذى سألت رسول الله ﷺ: قلت: يا رسول الله ما هذه النعمة الظاهرة والباطنة؟ قال: أما الظاهرة فالإسلام وما حسن من خلقك وما أفضل عليك من الرزق، وأما الباطنة ما ستر من سوء عملك، يا ابن عباس يقول الله تعالى: إني جعلت للمؤمن ثلثا صلاة المؤمنين عليه بعد

= عنها، ولكنى قد عوضنى الله سبحانه وتعالى بأخوة هي أوثق وأدوم وأبقى وهي الأخوة في الله سبحانه فعسى الله سبحانه أن يديها على وعلى من أعرف ومن لا أعرف من المسلمين حتى نلقاه سبحانه غير مبدلين ولا مغيرين أمين حتى يجالس سيد المرسلين في جنات رب العالمين آمين.

(١) يريد هل تعيب على المخلوق أم على الخالق؟ فإن كنت تريد أن تعيب المخلوق فليس من الحكمة ذلك، وإن كنت تريد أن تعيب على الخالق فهذا كفر والعياذ بالله تعالى.

انقطاع عمله أَكْفَرُ به عن خطاياها، وجعلت له ثلث ماله ليكفّر به عنه من خطاياها وسترت عليه سوء عمله الذى لو قد أبديته للناس . . . (١) أهله فما سواهم .

وقال محمد بن على الترمذى: النعمة الظاهرة: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ (المائدة: ٣) والباطنة قوله (٢): ﴿وَرَضِيتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (المائدة: ٣).

الحارث بن أسد المحاسبى: الظاهرة نعيم الدنيا، والباطنة نعيم العقبى. عمرو بن عثمان الصدفى: الظاهرة تخفيف الشرائع والباطنة تضعيف الصنائع.

وقيل: الظاهرة الجزاء، والباطنة الرضا. سهل بن عبد الله: الظاهرة اتباع الرسول، والباطنة محبته. وقيل: الظاهرة تسوية الظواهر والباطنة تصفية السرائر. وقيل: الظاهرة التبين، بيانه قوله تعالى: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَالْآيَاتِ لِلنَّاسِ﴾ (البقرة: ٢٢١) والباطنة التزين قوله: ﴿وَزَيَّنَّا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ (الحجرات: ٧) وقيل: الظاهرة الرزق المكتسب، والباطنة الرزق من حيث لا يُحْتَسَبُ.

وقيل: الظاهرة المدخل للغذاء، والباطنة المخرج للأذى. وقيل: الظاهرة الجوارح، والباطنة المصالح. وقيل: الظاهرة الخلق، والباطنة الخلق. وقيل: الظاهرة التنعيم، بيانه قوله: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ (الحمد: ٧) والباطنة التعليم. قوله: ﴿وَيَعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ١٥١) وقيل: الظاهرة ما أعطى وحبا من النعماء، وقيل الباطنة: ما طوى وزوى من أنواع البلاء، وقيل: الظاهرة الدعوة، بيانه قوله: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ أَسْلَمٍ﴾ والباطنة الهداية. بيانه قوله: ﴿وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ (يونس: ٢٥).

وقيل: الظاهرة الإمداد بالملائكة، والباطنة إلقاء الرعب فى قلوب الكفار، وقيل: الظاهرة تفصيل الطاعات، وهو أنه ذكر طاعتك واحدة فواحدة وأثنى عليك بها وأثابك عليها، بيانه قوله: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ﴾ (التوبة: ١١٢) قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (المؤمنون: ١) وقوله: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ (الأحزاب: ٣٥) إلى آخر الآية. والباطنة إجمال المعاصى وذلك أنه دعاك منها إلى التوبة باسم الإيمان من غير عدّها وتفصيلها، بيانه قوله: ﴿وَتَوَبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُمُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (النور: ٣١). وقيل: الظاهرة إنزال الأقطار والأمطار، والباطنة إحياء الأقطار والأمصار.

وقيل: الظاهرة التوفيق للعبادات، والباطنة الإخلاص والعصمة من المراءات، وقيل: الظاهرة ذكر اللسان، والباطنة ذكر الجنان، وقيل: الظاهرة تلاوة القرآن والباطنة معرفته.

(١) موضع النقط بياض فى المخطوط وقدره ثلاث كلمات.

(٢) فى المخطوط: قولكم. وهو تحريف حيث إن ما ورد بعدها جزء من آية.

وقيل الظاهرة ضياء النهار للتصرف والمعاش، والباطنة ظلمة الليل للسكون والقرار. وقيل: الظاهرة النطق، والباطنة العقل، وقيل: الظاهرة نعمة عليك بعدما خرجت من بطن أمك، والباطنة: نعمة عليك وأنت في بطن أمك.

وقيل: الظاهرة الشهادة الناطقة، والباطنة السعادة السابقة. وقيل: الظاهرة ألوان العطايا، والباطنة غفران الخطايا، وقيل: الظاهرة وضع الوزر ورفع الذكر، والباطنة شرح الصدر.

وقيل: الظاهرة فتح المسالك والباطنة نزع الممالك ممن خالفك، وقيل الظاهرة المال والأولاد، والباطنة الهدى والإرشاد، وقيل: الظاهرة القول السديد والباطنة التأيد والتسديد، وقيل: الظاهرة ما يكفر الله به الخطايا من الرزايا والبلايا، والباطنة ما يعفو عنه ولا يؤاخذ به في الدنيا والعقبى، وقيل: الظاهرة ما بينك وبين خلقه من الأنساب والأصهار، والباطنة ما بينك وبينه من القرب والأسرار والمناجاة في الأسحار، وقيل: الظاهرة العلوبيان قوله: ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾ (آل عمران: ١٣٩) والباطنة الدنوبيان قوله: ﴿أُولَئِكَ الْمَقْرُبُونَ﴾ (الواقعة: ١١).

قوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ نزلت في النضر بن الحارث حين زعم أن الملائكة بنات الله ﴿وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾.

قال الله تعالى: ﴿أُولَؤُكَانَ﴾ قال الأخفش: لفظه استفهام ومعناه تقرير، وقال أبو عبيدة: لو هاهنا متروك الجواب مجازه ﴿أُولَؤُكَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾: أى موجباته فيتبعونه.



﴿وَمَن يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ ۗ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿فَتَعْتَهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَدُّهُ ۗ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كُنْفُسًا وَّاحِدَةً

إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١٠٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُوَلِّجُ أَيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ أَيْلَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَطْلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿١٠٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٠٣﴾ وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوَاجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿١٠٤﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُوا رَبُّكُمْ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْرِي وَالِدٌ عَنِ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٠٦﴾

قوله: ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ﴾ أى يخلص دينه لله ويفوض أمره إليه .

وقرأ أبو عبد الرحمن السلمى (يُسَلِّمُ) بالتشديد، وقراءة العامة بالتخفيف من الإسلام وهو الاختيار لقوله: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ (البقرة: ١١٢) وأشبه ذلك .

﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾: فى عمله ﴿فَقَدْ اسْتَسْنَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾: أى: اعتصم بالطريق الأوثق الذى لا يخاف انقطاعه . وقال ابن عباس: هى: (لا إله إلا الله) .

﴿وَالِى اللَّهِ عَنِقَتُهُ الْأُمُورِ﴾: يعنى مرجعها . ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ﴾: إِيَّا نَا مَرْجِعُهُمْ فَلَنُنَبِّئَهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٠٦﴾ نَعْمَرَهُمْ وَغَمَلَهُمْ ﴿قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ﴾: نُلْجِئُهُمْ، وَنَرُدَّهُمْ ﴿إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ .

﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: اللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٠٧﴾ .

قوله عز وجل: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ﴾ الآية . قال المفسرون: سألت اليهود رسول الله ﷺ عن الروح فأنزل الله بمكة: ﴿وَسَأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ (الإسراء: ٨٥) الآية، فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة أتاه أحبار اليهود، فقالوا: يا محمد بلغنا عنك أنك تقول: وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً، أفغنيتنا أم قومك؟ فقال ﷺ: «كلاً قد عنيت . قالوا: أأست تلو

فيما جاءك : إنا قد أوتينا التوراة وفيها علم كل شيء؟ فقال رسول الله ﷺ: «هى فى علم الله قليلٌ وقد آتاكم الله ما إن عملتم به انتفعتم . قالوا: يا محمد كيف تزعم هذا وأنت تقول: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (البقرة ٢٦٩) فكيف يجتمع هذا قليل وخير كثير<sup>(١)</sup>؟ فأنزل الله: ﴿وَلَوْ أَنَّا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمَ﴾ أى بریت أقلاماً ﴿وَالْبَحْرُ﴾ : بالنصب ابن أبى إسحاق وأبو عمرو ويعقوب . غيرهم بالرفع ، وحجتهم : قراءة عبد الله (وبحر يمه) : أى يزيده وينصب عليه ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ : من خلفه ﴿سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا قَدَّتْ كَلِمَتُ اللَّهِ﴾ : وفى هذه الآية اختصار تقديرها : ولو أن ما فى الأرض من شجرة أقلام والبحر يمه من بعده سبعة أبحر يكتب بها كلام الله ما نفذت كلمات الله ، وهذه الآية تقتضى أن كلامه غير مخلوق ؛ لأنه لا نهاية له ولما يتعلّق به من معناه فهو غير مخلوق .

﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ : هذه الآية على قول عطاء بن يسار : مدنية ، قال : نزلت بعد الهجرة كما حكينا . وعلى قول غيره : مكية ، قالوا : إنّما أمر اليهود وفد قريش أن يسألوا رسول الله ﷺ عنه ويقولوا له ذلك وهو بعد بمكة ، والله أعلم .

قوله : ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَفَنَسٍ وَاحِدَةً﴾ يعنى إلا كخلق نفس واحدة وبعثها لا يتعذر عليه شيء وهذا كقوله : ﴿تَدْوُرُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ (الأحزاب : ١٩) أى كدوران عين الذى يغشى عليه من الموت .

﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ أَمْ تَرَأَنَّ اللَّهَ يُرَلِّجُ أَيْلٌ فِي النَّهَارِ وَيُرَلِّجُ أَيْلٌ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ ذَالِكُ : الذى ذكرت لتعلموا : ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَطِيلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ أَمْ تَرَأَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ بِرَحْمَةِ اللَّهِ ، ﴿لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ﴾ : على أمر الله ﴿شُكُورٍ﴾ : على نعمه . قال أهل المعانى : أراد لكل مؤمن ، لأن الصبر والشكر من أفضل خصال المؤمنين .

﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ﴾ : قال مقاتل : كالجبال . وقال الكلبي : كالسحاب (والظلل) جمع ظلة شبه الموج بها فى كثرتها وارتفاعها - كقول النابغة فى صفة [بحر]<sup>(٢)</sup> :

يماشيهن أخضر ذو ظلال على حافاته فلق الدنان

وإنما شبه الموج وهو واحد بالظلل وهى جمع ، لأن الموج يأتى شيء بعد شيء ويركب بعضه

(١) وهذا خبر لا يصح فى إسناده محمد بن إسحاق وهو ضعيف الحديث راجع الحديث بإسناده فى تفسير ابن كثير (٤٦٧/٣) .

(٢) ما بين المعوفين زيادة من القرطبي وموضعه فى المخطوط بياض .

بعضاً كالظلل . وقيل : هو بمعنى الجمع ، وإنما لم يجمع لأنه مصدر ، وأصله من الحركة والازدحام .

﴿ دَعَاَ اللَّهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ فَلَمَّا نَجَّهَهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ ﴾ : قال ابن عباس : موفِّ بما عاهد الله عليه في البحر . ابن كيسان : مؤمن . مجاهد : مقتصد في القول مضمراً للكفر . الكلبي : مقتصد في القول من الكفار لأن بعضهم أشدَّ قولاً وأغلى في الافتراء من بعض . ابن زيد : المقتصد الذي على صلاح من الأمر . ﴿ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ ﴾ : غدار ﴿ كَفُورٍ ﴾ : جحود ، والختر أسوأ الغدر . وقال عمرو بن معدى كرب :

وإنك لو رأيت أبا عمير  
ملأت يديك من عذر وختر

قوله : ﴿ يَتَأَيَّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي ﴾ لا يقضى ولا يغنى ولا يكفر ﴿ وَاللَّهُ عَنَّا وَلَدِيهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَائِزٌ عَنَّا وَاللَّهُ شَيْئًا إِنَّ رَبَّ وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا فَلَا تَعْرَنَكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَفْرَنَكُمْ بِاللَّهِ الْعَرُورُ ﴾ . قراءة العامة : بفتح الغين هاهنا وفي سورة الملائكة والحديد وقالوا : هو الشيطان . وقال سعيد بن جبير : هو أن يعمل بالمعصية ويتمنى المغفرة . قرأ سماك بن حرب : بضم الغين ومعناه لا تغتروا ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾ الآية : نزلت في الوارث بن عمرو بن حارثة بن محارب بن خصفة من أهل البادية ، أتى النبي ﷺ فسأله عن الساعة ووقتها وقال : إن أرضنا أجذبت فمتى ينزل الغيث؟ وتركت امرأتى حبلى فما تلد؟ وقد علمت أين ولدت فبأى أرض تموت؟ فأنزل الله هذه الآية .

أخبرنا أبو سعيد محمد بن عبد الله بن حمدون ، عن أحمد بن محمد بن الحسن ، عن محمد بن يحيى ، عن يعقوب بن إبراهيم بن سعد ، عن أبي عن ابن شهاب ، عن سالم بن عبد الله بن عمر ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : « مفاتيح الغيب خمسة ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾ الآية .

وروى يونس بن عبيد عن عمرو بن سعيد أن رجلاً قال : يا رسول الله هل من العلم علم لم توتّه؟ فقال : لقد أوتيتُ علماً كثيراً أو علماً حسناً أو كما قال رسول الله ﷺ ثم تلا رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾ إلى قوله : ﴿ خَيْرٌ ﴾ فقال : هؤلاء خمسة لا يعلمهن إلا الله تبارك وتعالى .

وأخبرنا أبو زكريا يحيى بن إسماعيل الحربى قال : أخبرنى أبو حامد أحمد بن حمدون بن عمارة الأعمش ، عن على بن حشرم ، عن الفضل بن موسى ، عن رجل سمّاه قال : بلغ ابن

عبّاس أن يهودياً خرج من المدينة يحسب حساب النجوم<sup>(١)</sup> فأتاه فسأله . فقال : إن شئت أنبأتك عن نفسك وعن ولدك . فقال : إنك ترجع إلى منزلك وتلقى لك بابن محموم ، ولا تمكث عشرة أيّام حتى يموت الصبي ، وأنت لا تخرج من الدنيا حتى تعمى ، فقال ابن عباس : وأنت يا يهودى ؟ قال : لا يحول على الحول حتى أموت ، قال : فأين موتك ؟ قال : لا أدري . قال ابن عباس : صدق الله ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ . قال : فرجع ابن عبّاس فتلقّى بابن محموم فما بلغَ عشرًا حتّى مات الصبي ، وسأل عن اليهودى قبل الحول فقالوا : مات ، وما خرج ابن عبّاس من الدنيا حتّى ذهب بصره . قال على : هذا أعجب حديث<sup>(٢)</sup> .  
قوله : ﴿بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ كان حقه بآية أرض ، وبه قرأ أبى بن كعب ، إلا أن من ذكر قال : لأنّ الأرض ليس فيها من علامات التأنيث شيء . وقيل : أراد بالأرض المكان فلذلك ذكر ، واحتج بقول الشاعر :

فلا مزنة ودقت ودقها      ولا الأرض أبقل إقبالها



(١) للنجوم حساب خاص بأهل الفلك لا علاقة له بالغيب من قريب أو بعيد .  
(٢) هذا خبر لا يصح لأن فيه مجهول ، وكذلك ما روى من كون ابن عباس عمى فإنه توافق قدرى أو ترتيب من وضع الخبر ليتوافق .

## سُورَةُ السَّجْدَةِ

مكية ، وهي ألف وخمسمائة وثمانية عشر حرفاً  
وثلاثمائة وثمانون كلمة ، وثلاثون آية

أخبرنا أبو عمرو أحمد بن أبي الفراتي ، عن عمران بن موسى ، عن مكى بن عبدان ، عن سليمان بن داود ، عن أحمد بن نصر قال : أخبرني أبو معاد ، عن أبي عصمة نوح بن أبي مريم ، عن زيد العمي عن أبي نصره ، عن ابن عباس ، عن أبي بن كعب أن النبي ﷺ قال : «من قرأ سورة الم تنزِيل أُعْطِيَ مِنَ الْأَجْرِ كَأَنَّمَا أَحْيَا لَيْلَةَ الْقَدْرِ»<sup>(١)</sup> .  
وأخبرنا أبو الحسن بن أبي الفضل الفهرزى بها ، عن حمزة بن محمد بن العباس ببغداد ، عن عبد الله بن روح عن شابة بن سوار عن المغيرة بن مسلم ، عن ابن الزبير ، عن جابر ، عن رسول الله ﷺ : أنه لا ينام حتى يقرأ ﴿الْم ﴿تَنْزِيلُ﴾ السَّجْدَةِ ﴿وَتَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمَلِكُ﴾ (الملك : ١) ويقول : «هما تفضلان كل سورة في القرآن سبعين حسنة ، ومن قرأهما كتبت له سبعون حسنة ، ومحي عنه سبعون سيئة ، ورفع له سبعون درجة»<sup>(٢)</sup> .

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْم ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَنَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴿ذَلِكَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿الَّذِي

(١) هذا خبر ضعيف لأن في إسناده زيد العمي ، وهو أبو الحواري البصري قاضي هراة .

(٢) وكذا هذا الخبر في إسناده أبو الزبير المكي وهو محمد بن مسلم بن تدرس وهو موصوف بالتدليس وقد عنعن ثم إن منهم من ضعفه ، فالخبر لا تقوم به حجة .



أَحْسَنَ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿١﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ﴿٢﴾ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ، وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٣﴾ وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ ﴿٤﴾ قُلْ يَتَوَفَّنُكُمْ مَلَكٌ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿٥﴾

قوله عز وجل: ﴿الآن﴾ تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين ﴿أم يقولون﴾. أى، بل يقولون وقيل: الميم صلة، أى يقولون استفهام توبيخ. وقيل: هو بمعنى الواو يعنى ويقولون. وقيل: فيه إضمار مجازه: فهل يؤمنون به، أم يقولون: ﴿أقترله﴾ ثم قال: ﴿بل هو الحق من ربك لتنذرنهم ما أتتهم من نذير﴾ أى لم يأتهم ﴿من نذير من قبلك﴾.

قال قتادة: كانوا أمة أمية لم يأتهم نذير قبل محمد ﷺ. قال ابن عباس ومقاتل: ذلك فى الفترة التى كانت بين عيسى ومحمد ﷺ.

﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ الله الذى خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون ﴿يدبر الأمر من السماء إلى الأرض﴾: أى ينزل الوحي مع جبرائيل من السماء إلى الأرض ﴿ثم يعرج﴾: يصعد إليه: جبرائيل بالأمر فى يوم واحد من أيام الدنيا، وقدر مسيره ألف سنة، خمسمائة نزوله من السماء إلى الأرض، وخمسمائة صعوده من الأرض إلى السماء. وما بين السماء إلى الأرض مسيرة خمسمائة سنة يقول: لو ساره أحد من بنى آدم لم يسره إلا فى ألف سنة، والملائكة يقطعون هذه المسافة بيوم واحد، فعلى هذا التأويل نزلت الآية فى وصف مقدار عروج الملائكة من الأرض إلى السماء، ونزولهم من السماء إلى الأرض<sup>(١)</sup>، وأما قوله: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ (المعارج: ٤) فإنه أراد مدة المسافة من الأرض إلى سدره المنتهى التى فيها مقام

(١) هذه الأقوال وما يليها وما سبقها أقوال فاسدة إذ ليس عليها دليل، وقد فتن بقانون أنشتين أو قانون سرعة الضوء فصدقها كثيرون إذ جعلوه مقياساً لسرعة نزول أمر الله سبحانه وتعالى وقال بذلك علماء كبار وكتبت فى ذلك الكتب الكبيرة التى تقيس سرعة وصول أمر الله تعالى إلى الأرض وكذلك بحثوا فى موعد يوم القيامة وزعم كثير منهم تحديدها وحدودها بأيام وسنين وساعات منها ما مر فى حياتى وكان آخر ذلك يوم (٢٦/٤/١٩٩٨) ميلادية على زعم أحد الكتاب ومن العجيب أن كثيراً من الكتاب أيده بل وصرح الأزهر فى مصر بطبع الكتاب ولم ير فيه عيباً وغيرهم أنكروا دوران الأرض وساق على ذلك أدلته العقلية وحساباته ولم يعترض الأزهر أيضاً وأرفق بكتابه صورة ضوئية لتصريح الأزهر بالطبع، فيا أيها المسلمون إلى متى تطعنون فى دينكم بما لا يمكن أن يجد أعداؤكم أقوى منها هدماً لدينكم فهل من خائف من يوم القيامة وهل من مقدر لله قدره كيف تجعلون عقولكم تسعى خلف هذا الخيال المريض حتى تقودكم إلى الهاوية.

جبرائيل (عليه السلام).

يقول: يسير جبرائيل والملائكة الذين معه من أهل مقامه مسيرة خمسين ألف سنة في يوم واحد من أيام الدنيا، وهذا كله معنى قول مجاهد وقتادة والضحاك، وأما معنى قوله: ﴿إِلَيْهِ﴾: على هذا التأويل فإنه يعنى إلى مكان الملك الذى أمره الله أن يعرج إليه، كقول إبراهيم (عليه السلام) ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي﴾ (الصفات: ٩٩) وإنما أراد أرض الشام. وقال: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مَهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ﴾ (النساء: ١٠٠) أى إلى المدينة، ولم يكن الله تعالى بالمدينة ولا بالشام.

أخبرني ابن فنجويه، عن هارون بن محمد بن هارون، عن حازم بن يحيى الحلوانى، عن محمد بن المتوكل، عن عمرو بن أبى سلمة، عن صدقة بن عبد الله عن موسى بن عقبة، عن الأعرج، عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أتانى ملك برسالة من الله عز وجل، ثم رفع رجله فوضعها فوق السماء، والأخرى فى الأرض لم يرفعها»<sup>(١)</sup>. وقال بعضهم يدبر الأمر من السماء إلى الأرض مدة أيام الدنيا، ثم يعرج إليه الأمر والتدبير، ويرجع يعود إليه بعد انقضاء الدنيا وفنائها ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ وهو يوم القيامة.

وأما قوله: ﴿خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ (المعارج: ٤) فإنه أراد على الكافر، جعل الله ذلك اليوم عليه مقدار خمسين ألف سنة، وعلى المؤمن كقدر صلاة مكتوبة صلاحها فى دار الدنيا. ويجوز أن يكون ليوم القيامة أول وليس له آخر وفيه أوقات شتى بعضها ألف سنة وبعضها خمسين ألف سنة. ويجوز أن يكون هذا إخبار عن شدته وهوله ومشقته لأن العرب تصف أيام المكروه بالطول وأيام السرور بالقصر، وإلى هذا التأويل ذهب جماعة من المفسرين.

وروى عبد الرزاق عن ابن جريج قال: أخبرني ابن أبى مليكة قال: دخلت أنا وعبد الله بن فيروز مولى عثمان بن عفان على ابن عباس فسأله ابن فيروز عن هذه الآية، فقال له ابن عباس: من أنت؟ قال: أنا عبد الله بن فيروز مولى عثمان بن عفان، فقال عبد الله بن عباس: أيام سماها الله لا أدرى ما هى، وأكره أن أقول فى كتاب الله ما لا أعلم. قال ابن أبى مليكة: فضرب الدهر حتى دخلت على سعيد بن المسيب فسئل عنها فلم يدر ما يقول، فقلت له: ألا أخبرك ما حضرت من ابن عباس، فأخبرته، فقال ابن المسيب للسائل: هذا ابن عباس قد اتقى

(١) على مثل هذه الأخبار يبنى بعض الكتاب أفكارهم ويؤلفون الكتب وتوافقهم الجهات الدينية وفى مثل هذا الخبر الذى بين أيدينا صدقة بن عبد الله السمين أبو معاوية الدمشقى وهو ضعيف الحديث وقد ذكره بالضعف غير واحد، وكذا ذكره الذهبى بالضعف فى ميزان الاعتدال وذكر له هذا الحديث برقم (٣٨٧٢).

أن يقول فيها وهو أعلم متى .

قوله : ﴿ذَلِكَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴿قرأ نافع وأهل الكوفة﴾ (خَلَقَهُ) بفتح اللام على الفعل ، واختاره أبو عبيد وأبو حاتم ثم قالوا : لسهولة في المعنى وهى قراءة سعيد بن المسيب . وقرأ الآخرون بسكون اللام . قال الأخفش : هو على البدل ومجازه : الذى أحسنَ خلقَ كلِّ شَيْءٍ .

قال ابن عباس : أتقنه وأحكمه ، ثم قال : أما إنَّ است القرد ليست بحسنة ولكنه أحكم خلقها . وقال قتادة : حسنة . مقاتل : علم كيف يخلق كلُّ شَيْءٍ ، من قولك فلان يحسن كذا إذا كان يعلمه .

﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ﴾ : يعنى آدم (عليه السلام) ﴿مِنْ طِينٍ﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ ﴿: ذريته﴾ مِنْ سُلَالَةٍ ﴿: من نطفة، سميت بذلك لأنها تنسل من الإنسان، أى تخرج، ومنه قيل للولد: سلالة . وقال ابن عباس : وهى صفو الماء ﴿مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾ : ضعيف ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوْحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ وَقَالُوا ﴿: يعنى منكرى البعث، ﴿أَعِدَّا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ﴾ : أى أهلكنا وبطلنا وصرنا تراباً، وأصله من قول العرب : ضلَّ الماء فى اللبن إذا ذهب، ويقال : أضللت الميت أى دفنته . قال الشاعر :

وأب مْضْلُوهُ بِغَيْرِ جَلِيَّةٍ      وَغُودِرَ بِالْجَوْلَانِ جَرْمٌ وَنَائِلٌ

وقرأ ابن محيصن بكسر اللام (ضللنا) وهى لغة . وقرأ الحسن والأعمش (ضللنا) : بالصاد غير معجمة أى أنتنا، وهى قراءة على رضى الله عنه .

أخبرنا ابن فنجويه عن ابن شنبه قال : أخبرنى أبو حامد المستملى ، عن محمد بن حاتم الكرخى أبو عثمان النحوى ، عن المسيب بن شريك ، عن عبيدة الضبى ، عن رجل ، عن على أنه قرأ : أُنذَا ضَلَلْنَا أَى أَنْتْنَا . قال محمد بن حاتم : يقال : ضلَّ اللحم وأصله إذا أنتن .

﴿أَيْنَأْنْفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ : قال الله : ﴿بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ﴾ .

قوله عز وجل : ﴿قُلْ يَتُوفَّكُمُ﴾ : بقبض أرواحكم ﴿مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ قال مجاهد : حويت له الأرض فجعلت له مثل طست يتناول منها حيث يشاء ، وقال مقاتل والكلبي : بلغنا أن اسم ملك الموت عزرائيل وله أربعة أجنحة : جناح له بالمشرق ، وجناح له بالمغرب ، وجناح له فى أقصى العالم من حيث يجىء ريح الصبا ، وجناح من الأفق الآخر . ورجل له بالمشرق ، والأخرى بالمغرب ، والخلق بين رجليه ، ورأسه وجسده كما بين السماء والأرض ، وجعلت له الدنيا مثل راحة اليد ، صاحبها يأخذ منها ما أحب فى غير مشقة ولا

عناء، أى مثل اللبنة بين يديه فهو يقبض أنفُس الخلق فى مشارق الأرض ومغاريها، وله أعوان من ملائكة الرحمة وملائكة العذاب<sup>(١)</sup>.

وأخبرنى الحسين بن محمد بن الحسين عن عبد الله بن يوسف بن أحمد بن مالك عن الخطّاب بن أحمد بن عيسى قال: أخبرنى أبو نافع أحمد بن كثير، عن كثير بن هشام، عن جعفر بن برقان، عن يزيد بن الأصم عن ابن عباس قال: إنّ خطوة ملك الموت ما بين المشرق والمغرب<sup>(٢)</sup>.

وأخبرنا الحسين بن محمد، عن عبد الله بن يوسف، عن عبد الرحيم بن محمد، عن سلمة ابن شبيب، عن الوليد بن سلمة الدمشقى، عن ثور بن يزيد عن خالد بن معد، عن معاذ بن جبل قال: إنّ لملك الموت حربة تبلغ ما بين المشرق والمغرب، وهو يتصفّح وجوه الناس، فما من أهل بيت إلا وملك الموت يتفحصهم فى كل يوم مرتين فإذا إنسانا قد انقضى أجله ضرب رأسه بتلك الحربة، وقال: الآن يزار بك عسكر الأموات<sup>(٣)</sup>.

وأخبرنا الحسين بن محمد قال: أخبرنى أبو بكر بن مالك القطيعى، عن عبد الله بن أحمد ابن حنبل، عن أبى، عن عبد الله بن نميرة عن الأعمش عن خيثمة وعن شهر بن حوشب قال: دخل ملك الموت على سليمان، فجعل ينظر إلى رجل من جلسائه يدم إليه النظر، فلما خرج قال الرجل: من هذا؟ قال: هذا ملك الموت، قال: لقد رأيته ينظر إلى كأنه يريدنى، قال: فما تريد؟ قال: أريد أن تحملى على الريح فتلقينى بالهند، فدعا بالريح فحملته عليها فألقته بالهند، ثم أتى ملك الموت سليمان (عليه السلام) فقال: إنك كنت تديم النظر إلى رجل من جلسائى، قال: كنت أعجب منه إني أمرت أن أقبض روحه بالهند وهو عندك<sup>(٤)</sup>.

فإن قيل: ما الجامع بين قوله: ﴿تَوَفَّاهُ رُسُلُنَا﴾ (الأنعام: ٦١) و﴿تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ (النحل: ٢٨) و﴿قُلْ يَتَوَفَّكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ﴾ (السجدة: ١١) وقوله: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ (الزمر: ٤٢) و﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّكُم بِاللَّيْلِ﴾ (الأنعام: ٦٠).

(١) هذا كله وصف وكلام لا دليل عليه من قرآن ولا سنة صحيحة ومثل هذا القول لا يعتد به، ولسنا نعرف عن الملائكة إلا ما عرفنا الله عنهم من أنهم أولى أجنحة منى وثلاث ورباع، وأنهم لا يعصون الله ما أمرهم، وأن كلاً منهم مكلف بعمل فهو يقوم به على الوجه الذى كلفه الله به بالكيفية التى أراد الله له ومكن كلاً منهم بالقدرة على ما كلفه به والقول بما وراء ذلك تكلف وتزيد وتقول على الله ورسوله عاقانا الله وإياكم من القول به أو اعتقاده.

(٢) هذا موقوف على ابن عباس ولا يصح فى مثل هذا القول إلا أن يكون مرفوعاً حتى يقبل.

(٣) والقول فى هذا كقول فى الذى قبله.

(٤) وهذا الخبر أيضاً كسابقيه إلا أن هذا عن شهر بن حوشب وهو ضعيف الحديث.

قيل: توفى الملائكة: القبض والنزع. وتوفى ملك الموت: الدعاء والأمر، يدعو الأرواح فتجيبه ثم يأمر أعوانه بقبضها، وتوفى الله سبحانه: خلق الموت، والله أعلم.



﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًىٰ وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٠١﴾ فذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّمَا يَوْمٌ مِّنْ بَيِّنَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٠٣﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٠٤﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ ﴿١٠٦﴾ أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٧﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٨﴾ وَلَنذِيقَنَّهُمْ مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٠٩﴾ وَمَن أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿١١٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ﴾ أى مطأطأوا رؤوسهم ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾: حياءً منه للذى سلف من معاصيهم فى الدنيا يقولون: ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا﴾ ما كنا به مكذبين ﴿وَسَمِعْنَا﴾: منك تصديق ما أتنا به رسلك ﴿فَارْجِعْنَا﴾: فارددنا إلى الدنيا ﴿نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾: وجواب لو مضمرة مجازة: لرأيت العجب ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًىٰ﴾: رشدها وتوفيقها للإيمان ﴿وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾: وهو قوله لإبليس ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبَعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (ص: ٨٥). ثم يقال لأهل النار: ﴿ذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ أى تركتم الإيمان به ﴿إِنَّا نَسِينَاكُمْ﴾: تركناكم فى النار ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

أخبرنا الحسين بن محمد بن فنجويه، عن أحمد بن الحسن بن ماجة القزوينى، عن الحسن ابن أيوب القزوينى، عن عبد الله بن أبى زياد القطوانى، عن سيار حماد الصفار، عن حجاج

الأسود، عن جبلة، عن مولى له، عن كعب قال: إذا كان يوم القيامة يقوم الملائكة فيشفعون، ثم يقوم الأنبياء فيشفعون، ثم يقوم الشهداء فيشفعون ثم يقوم المؤمنون فيشفعون، حتى انصرفت الشفاعة كلها فلم يبق أحد، خرجت الرحمة، فتقول: يا ربّ أنا الرحمة فشفعني، فيقول: قد شفعتك، فتقول: يا ربّ فيمن؟ فيقول: في من ذكرني في مقام وخافني فيه أو رجاني أو دعاني دعوة واحدة خافني أو رجاني فأخرجيه، قال: فيخرجون فلا يبقى في النار أحد يعبأ الله به شيئاً، ثم يعظم أهلها بها، ثم يأمر بالنار فتقبض عليهم فلا يدخل فيها روح أبداً، ولا يخرج منها غم أبداً وقيل: ﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَسْأَلُكُمْ كَمَا سَأَلْتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾<sup>(١)</sup> (الجنّة: ٣٤).

﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِمَا يَبَيِّنُنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾: عن الإيمان به والسجود له. ﴿تَتَجَافَى﴾: أي ترتفع وتنتحي، وهو تفاعل من الجفا، والجفا، التبوؤ والتباعد، تقول العرب: جاف ظهرك عن الجدار، وجفت عين فلان عن الغمض إذا لم تنم. ﴿جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾.

أخبرني أبو عبد الله الحسين بن محمد بن الحسن قال: أخبرني أبو عمرو عثمان بن أحمد ابن سمعان الوزان، عن عبد الله بن قحطبة بن مرزوق، عن محمد بن موسى الحرشي، عن الحارث بن وجيه الراسبي قال: سمعت مالك بن دينار يقول: سألت أنس بن مالك عن قول الله تعالى: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾، فقال أنس: كان أناس من أصحاب رسول الله ﷺ يُصلون من صلاة المغرب إلى صلاة العشاء الآخرة، فأنزل الله تعالى: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾.

أخبرني الحسين بن محمد عن موسى بن محمد، عن الحسن بن محمد، عن موسى بن محمد عن الحسن بن علويه، عن إسماعيل بن عيسى، عن المسيب، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن أنس بن مالك قال: نزلت فينا معاشر الأنصار: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ الآية، كنّا نصلّي المغرب، فلا نرجع إلى رحالنا حتى نصلّي العشاء مع النبي ﷺ.

وأخبرنا الحسين بن محمد عن عبد الله بن إبراهيم بن علي بن عبد الله، عن عبد الله بن محمد بن وهب، عن محمد بن حميد، عن يحيى بن الضريس، عن النضر بن حميد، عن سعيد، عن الشعبي عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «من عقّب ما بين المغرب والعشاء بُنى له في الجنة قصران ما بينهما مسيرة مائة عام، وفيهما من الشجر، ما لو نزلها أهل المشرق وأهل المغرب لأوسعتهم فاكهة، وهي صلاة الأوابين وغفلة الغافلين، وإنّ من الدعاء

المستجاب الذى لا يرد الدعاء ما بين المغرب والعشاء»<sup>(١)</sup>.

وقال عطاء: يعنى يصلون صلاة العتمة لا ينامون عنها، يدلّ عليها ما أنبأنى عبد الله بن حامد، عن عبد الصمد بن الحسن بن على بن مكرم، عن السرى بن سهل، عن عبد الله بن رشيد قال: أنبأنى أبو عبيدة مجاعة بن الزبير، عن أبان قال: جاءت امرأة إلى أنس بن مالك، فقلت: إنى أنام قبل العشاء. فقال: لا تنامى. فإنّ هذه الآية نزلت فى الذين لا ينامون قبل العشاء الآخرة ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾. وقال أبو العالية والحسن ومجاهد وابن زيد: هو التهجد وقيام الليل<sup>(٢)</sup>، ودليل هذا التأويل ما أخبرنا أبو عبد الله بن فنجويه عن أبى بكر بن مالك القطيعى، عن عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبى زيد بن الحباب، عن حماد بن سلمة، عن عاصم، عن شهر بن حوشب، عن معاذ، عن النبى ﷺ: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ قال: قيام العبد فى الليل<sup>(٣)</sup>.

وأخبرنا عبد الله بن حامد الأصفهانى، عن محمد بن عبد الله بن عبد الواحد الهمدانى، عن إسحاق بن إبراهيم الدبرى، عن عبد الرزاق بن معمر، عن عاصم بن أبى النجود عن أبى وائل، عن معاذ قال: كنت مع رسول الله ﷺ فى سفر فأصبحت قريباً منه ونحن نسير، فقلت: يا نبى الله ألا تخبرنى بعمل يدخلنى الجنة، ويباعدنى من النار؟ قال: يا معاذ، لقد سألت عن عظيم، وإنه ليسير على من يسره الله عليه، تعبد الله لا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتى الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت. ثم قال: ألا أدلك على أبواب الخير. الصوم جنة من النار والصدقة تطفى غضب الربّ وصلاة الرجل فى جوف الليل ثم قرأ ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ حتى بلغ ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ثم قال: ألا أخبرك بملاك ذلك كله. فقلت: بلى يا رسول الله. فأخذ بلسانه. فقال: «اكف، عليك هذا».

فقلت: يا رسول الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم؟ فقال: «ثكلتك أمك يا معاذ! وهل يكبّ الناس فى النار على وجوههم أو على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم»<sup>(٤)</sup>.

وقال الضحاك: هو أن يصلّى الرجل العشاء والغداة فى جماعة.

أخبرنى الحسين بن فنجويه عن أحمد بن الحسين بن ماجه قال: أخبرنى أبو عوانة الكوفى

(١) وهذا الخبر أيضاً كسوابقه من الأخبار مضافاً إليه أنه رواية كعب وهو من هو فى الضعف، ثم أيضاً به مجهول.

(٢) أخرجه السهمى فى تاريخ جرجان (٧٤)، والمتقى الهندى فى الكنز (١٩٤٥٠) بسند لا يصح.

(٣) هذا هو التأويل الصحيح والصريح والمباشر والمفهوم من الآية فلم هذا اللف والدوران حولها.

(٤) هذا الحديث ضعيف فى إسناده شهر بن حوشب، وإن كان التأويل موافقاً لمعنى الآية.

بالرى عن منجاب بن الحارث عن على بن مسهر عن عبد الرحمن بن إسحاق عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة جاء مناد فنادى بصوت يُسمع الخلائق كلهم: سيعلم أهل الجمع اليوم مَنْ أولى بالكرم، ثم يرجع فينادى: ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل، ثم يرجع فينادى: ليقم الذين كانوا يحمدون الله في البأساء والضراء. فيقومون وهم قليل، فيسرحون جميعاً إلى الجنة ثم يحاسب سائر الناس»<sup>(١)</sup>.

﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴿: أَى حُبِّى لَهُمْ ، هذه قراءة العامة . وقرأ حمزة ويعقوب أخفى مرسله الياء أى : أنا أخفى وحثتهما قراءة عبد الله : نخفى بالنون . وقرأ محمد بن كعب : أخفى بالألف يعنى : أخفى الله من قرّة أعين ، قراءة العامة على التوحيد .

أخبرنا عبد الله بن حامد الوزان ، عن مكى بن عبدان ، عن عبد الله بن هاشم قال : أخبرنى أبو معاوية عن الأعمش ، عن أبى صالح ، عن أبى هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «يقول الله تعالى : أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، قال أبو هريرة : قال رسول الله ﷺ : ومن بله ما قد أطلعتكم عليه ، اقرءوا إن شئتم ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾»<sup>(٢)</sup>.

قال : وكان أبو هريرة يقرأ . هكذا : قرأت أعين ، وقال ابن مسعود : إن فى التوراة مكتوباً : لقد أعد الله للذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع ما لم تر عين ولم تسمع أذن ولا يخطر على قلب بشر وما لا يعلمه ملك مقرب ، وإنه لفى القرآن ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ الآية .

قوله : ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ﴾ الآية نزلت فى على بن أبى طالب والوليد ابن عقبة بن أبى معيط أخى عثمان لأمه وذلك أنه كان بينهما تنازع وكلام فى شىء ، فقال :

(١) هذا الخبر ضعيف فى إسناده عاصم بن أبى النجود ، وهو وإن كان حجة فى القراءات إلا أنه ضعيف الحديث . وهذا الحديث من الأحاديث المشهورة على السنة الناس ، ومن العجب أن معاذاً رضى الله عنه من أعلم العلماء والسؤال الذى يوجه لا يدل إلا على تقعر فى الجهل والإجابة فيها شتم ينتزه رسول الله ﷺ عن ذكره فهذا من عيوب المتن بالإضافة إلى ضعف الإسناد .

(٢) وهذا الخبر أيضاً ضعيف فى إسناده شهر بن حوشب وهو ضعيف الحديث والعبارة عندنا لا بالشهرة ولا بكثرة التداول على الألسنة إنما المسلم يعتبر بما قال الله عز وجل أو قال رسوله ﷺ ولا اعتبار لقول من قال يعمل بالأحاديث الضعيفة فى فضائل الأعمال حيث يجر هذا إلى هذا ويختلط الحابل بالنابل والصحيح بالسقيم وتضطرب الشريعة فى أذهان الناس .



الوليد لعلی: اسکت فإنتک صبیّ، وأنا والله أبسط منک لساناً وأحدُ منک سناناً، وأشجع جناناً، وأملأُ منک حشواً فی الكتیبة، فقال له علی: اسکت [فإنتک] <sup>(١)</sup> فاسق، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾ ولم يقل يستویان، لأنّه لم یرد بالمؤمن مؤمناً واحداً، وبالفاسق فاسقاً واحداً، وإنما أراد جمیع الفساق وجمیع المؤمنین. قال الفراء: إنّ الاثنين إذا لم یكونا مصمودین لهما ذهب بهما مذهب الجمع.

ثم ذکر حال الفريقین ومآلهما، فقال عزّ من قائل: ﴿أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٠﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿١٠١﴾ وَلَنذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٠٢﴾

قال أبی بن کعب وأبو العالیة والضحاک والحسن وإبراهیم: العذاب الأدنى مصائب الدنيا وأسقامها وبلاؤها مما یتلى الله به العباد حتى یتوبوا، وهذه رواية الوالبي عن ابن عباس. عكرمة عنه: الحدود. عبد الله بن مسعود والحسن بن علی وعبد الله بن الحارث: القتل بالسيف يوم بدر. مقاتل: الجوع سبع سنين بمكة حتى أكلوا الجيف العظام والكلاب. مجاهد: عذاب القبر. قالوا: والعذاب الأكبر، يوم القيامة: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عن كفرهم.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ المشركين ﴿مُنْتَقِمُونَ﴾: قال زيد بن رفیع: عنی بالمجرمين هاهنا أصحاب القدر ثم قرأ ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ (القمر: ٤٧، ٤٩) وأخبرنا الحسين بن محمد، عن أحمد بن محمد بن محمد بن إسحاق السني قال: أخبرني جماهر بن محمد الدمشقي، عن هشام ابن عمار، عن إسماعيل بن عياش، عن عبد العزيز بن عبد الله، عن عبادة بن سني، عن جنادة بن أبي أمية، عن معاذ بن جبل قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ثلاث من فعلهن فقد أجرم: من اعتقد لواء في غير حق، أو عَقَّ والديه، أو مشى مع ظالم لينصره فقد أجرم». يقول الله تعالى: ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ﴾.



(١) الحديث أطرافه عند مسلم في الصحيح (٢١٧٥)، البخاري (١٤٥/٦)، الدارمي (٣٣٥/٢)، أحمد في المسند (٤٣٨/٢) ومصنف ابن أبي شيبة (١٠١/١٣).

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ. وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِعَايَتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ أَوْلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْكَكِهِنَّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعُمُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦﴾ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٧﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرِ إِنَّمُمْ مُنْتَظِرُونَ ﴿٨﴾﴾

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ﴾: ليلة المعراج. عن ابن عباس، وقال السدي: من تلقاه كتاب الله تعالى بالرضا والقبول. قال أهل المعاني: لم يرد باللقاء الرؤية وإنما أراد مباشرته الحال وتبليغه رسالة الله عز وجل وقبول كتاب الله. وقيل: من لقاء الله الخطاب للنبي ﷺ والمراد به غيره.

﴿وَجَعَلْنَاهُ﴾: يعني الكتاب، وقال قتادة: موسى ﴿هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً ﴿قادة في الخير يقتدى بهم﴾ يَهْتَدُونَ: يدعون ﴿بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾: قرأ حمزة والكسائي (لما) بكسر اللام وتخفيف الميم أى لصبرهم، واختاره أبو عبيد اعتباراً بقراءة عبد الله ﴿لَمَّا صَبَرُوا﴾ وقرأ الباقون بفتح اللام وتشديد الميم أى حين صبروا.

﴿وَكَانُوا بِعَايَتِنَا يُوقِنُونَ﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ: يقضى بينهم. ويسمى أهل اليمن القاضي الفصيل ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ أَوْلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْكَكِهِنَّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ آيات الله وعظاته فيتعظون بها.

في قوله: ﴿أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾ أى اليابسة المغبرة: الغليظة التى لا نبات فيها. وأصله من قولهم: ناقة جراز إذا كانت تأكل كل شىء تجده، ورجل جروز، إذا كان أכולاً قال الراجز:

خب جروز وإذا جاع بكى  
ويأكل التمر ولا يلقى النوى

وسيف جراز أى قاطع، وجرزت الجراد الزرع إذا استأصلته، فكان الجرذ هى الأرض التى لا يبقى على ظهرها شىء إلا أفسدته، وفيه أربع لغات: - جرذ وجرذ وجرذ وجرز.

قال ابن عباس: هي أرض باليمن. قال مجاهد: هي أبين ﴿فُنْخِرْ﴾: فننبت ﴿بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿ قال بعضهم: أراد بيوم الفتح يوم القيامة الذي فيه الثواب والعقاب والحكم بين العباد.

قال قتادة: قال أصحاب النبي ﷺ: إن لنا يوماً نعلم فيه ونستريح ويحكم بيننا وبينكم، فقال الكفار استهزاء: متى هذا الفتح؟ أي القضاء والحكم.

قال الكلبي: يعنى فتح مكة. وقال السدي: يعنى يوم بدر، لأن أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يقولون لهم: إن الله ناصرنا ومظهرنا عليكم.

﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ﴾: يوم القيامة ﴿لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾: ومن تأول النصر قال: لا ينفعهم إيمانهم إذا جاءهم العذاب وقتلوا.

﴿فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَأَنْتَظِرُ إِيَّاهُمْ﴾: قراءة العامة ﴿مُنْتَظِرُونَ﴾: بكسر الظاء. وقرأ محمد بن السميعة بفتح الظاء، قال الفراء: لا يصح هذا إلا بإضمار مجازه: إنهم منتظرون ربهم، قال أبو حاتم: الصحيح كسر الظاء لقوله: ﴿فَأَرْتَقِبْ إِيَّاهُمْ مُرْتَقِبُونَ﴾ (الدخان: ٥٩).



## سُورَةُ الْأَحْزَابِ

مدينة، وهي خمسة آلاف وسبعمائة وتسعون حرفاً،  
وألف ومائتان وثمانون كلمة، وثلاث وسبعون آية

أخبرني محمد بن القاسم بن أحمد بقراءتي عليه قال: حدثنا عبد الله بن أحمد بن جعفر قال: أخبرني أبو عمرو الحميري وعمرو بن عبد الله البصري قالوا: قال محمد بن عبد الوهاب العبدى، عن أحمد بن عبد الله بن يونس، عن سلام بن سليم، عن هارون بن كثير، عن زيد ابن أسلم، عن أبيه، عن أبي أمامة عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الأحزاب وعلمها أهله وما ملكت يمينه أعطى الأمان من عذاب القبر».

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾  
وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ  
وَكِيلًا ﴿٣﴾ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمْ الَّتِي تَظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ  
أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ  
يَهْدِي السَّبِيلَ ﴿٤﴾ أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ  
وَمَوَالِكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَكِنْ مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا  
رَحِيمًا ﴿٥﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾: الآية نزلت في أبي سفيان بن حرب، وعكرمة بن  
أبي جهل، وأبي الأعور عمرو بن أبي سفيان السلمى، وذلك أنهم قدموا المدينة فنزلوا على  
عبد الله بن أبي رأس المنافقين بعد قتال أحد، وقد أعطاهم النبي ﷺ الأمان على أن يكلموه،  
فقام معهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح وطعمة بن أبيرق، فقال للنبي ﷺ وعنده عمر بن  
الخطاب: ارفض ذكر آلهتنا اللات والعزى ومناة وقل: إن لها شفاعة ومنفعة لمن عبدها

وندعك وربك فشقّ على النبي ﷺ قولهم، فقال عمر بن الخطاب: ائذن لنا يا رسول الله في قتلهم، فقال النبي عليه السلام: «إني قد أعطيتهم الأمان»، فقال عمر بن الخطاب: اخرجوا في لعنة الله وغضبه، فأمر النبي ﷺ عمر أن يخرجهم من المدينة فأنزل الله عز وجل ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾.

﴿وَلَا تَطْعَمِ الْكٰفِرِينَ﴾: من أهل مكة يعنى أبا سفيان وأبا الأعور وعكرمة: ﴿وَالْمُنٰفِقِينَ﴾ عبد الله بن أبي وعبد الله بن سعد وطعمة بن أبيرق.

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ وَأَتَّبِعْ مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾: بالياء. أبو عمرو، وغيره بالتاء.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾: أخبرني ابن فنجويه، عن موسى بن علي عن الحسن بن علوية، عن إسماعيل بن عيسى عن المسيب عن شيخ من أهل الشام قال: قدم على رسول الله ﷺ وفد من ثقيف فطلبوا إليه أن يمتنعهم باللات والعزى سنة وقالوا: لتعلم قريش منزلتنا منك، فهم النبي ﷺ بذلك، فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾ الآيات (١).

قوله: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾: نزلت في أبي معمر جميل بن معمر بن حبيب ابن عبد الله الفهري، وكان رجلاً لبيباً حافظاً لما يسمع، فقالت قريش: ما حفظ أبو معمر هذه الأشياء إلا وله قلبان. وكان يقول: إن لي قلبين أعقل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد، فلما كان يوم بدر وهُزم المشركون، وفيهم يومئذ أبو معمر تلقاه أبو سفيان بن حرب، وهو معلق إحدى نعليه بيده والأخرى في رجله، فقال له: يا أبا معمر ما حال الناس؟ قال: انهزموا، قال: فما بالك إحدى نعليك في يدك والأخرى في رجلك، فقال له أبو معمر: ما شعرت إلا أنهما في رجلي، فعرفوا يومئذ أنه لو كان له قلبان لما نسى نعله في يده.

وقال الزهري ومقاتل: هذا مثل ضربه الله للمُظاهر من امرأته، وللمتبنّي ولد غيره، يقول: فكما لا يكون لرجل قلبان كذلك لا تكون امرأة المظاهر أمه حتى يكون له أمان، ولا يكون ولد أحد ابن رجلين.

قوله: ﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمْ أَلْفًا﴾ قرأ أبو جعفر وأبو عمر وورش (اللائي): بغير مدّ ولا

(١) حاشى الله أن يهم رسول الله ﷺ بمثل هذا الأمر وإلا لما كان نبياً ولا رسولاً ﴿إِذَا لَأَخَذْنَا مِنْكَ بِالْيَمِينِ وَلَقَطَعْنَا مِنْكَ الْوَتِينَ﴾ وهذا أيضاً على سبيل بيان الاستحالة أن يحدث منه أو من غيره من الأنبياء مثل هذا الشك المنافي لصفة وخصائص الأنبياء، وإن كان جائزاً أو قائماً في نفوس كل البشر بلا استثناء غير أنه محال في حق الأنبياء الذين ملئوا باليقين وفاضوا به على سائر الناس. رزقنا الله وإياكم حسن الاعتقاد وحسن الختام آمين.

همز، ممدودة مهموزة بلا ياء، نافع غير ورش وأيوب ويعقوب والأعرج، وأنشد:

من اللآء لم يحججن يبيغن حسبة      ولكن ليقتلن البريء المغفلا

وقرأ أهل الكوفة والشام بالمدّ والهمز وإثبات الياء واختاره أبو عبيد للإشباع واختلف فيه، عن ابن كثير وكلها لغات معروفة ﴿تَظْهَرُونَ﴾: بفتح التاء وتشديد الظاء شامى: بفتح التاء وتخفيف الظاء كوفى غير عاصم، واختاره أبو عبيد بضمّ التاء وتخفيف الظاء وكسر الهاء عاصم والحسن.

قال أبو عمرو: هذا منكر لأن المظاهرة من التعاون والآية نزلت في أوس بن الصامت بن قيس بن أصرم أخى عبادة، وفي امرأته خولة بنت ثعلبة بن مالك يقول الله تعالى: ما جعل نساءكم اللاتي تقولون: هنّ علينا كظهور أمهاتنا في الحرام كما تقولون، ولكنها منكم معصية وفيها كفارة وأزواجكم لكم حلال، وسنذكر القصة والحكم في سورة المجادلة إن شاء الله.

قوله: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ﴾: يعنى من تبنيتموه ﴿أَبْنَاءَكُمْ﴾: نزلت في زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي من بنى عبد ودّ، وكان عبداً لرسول الله ﷺ فأعتقه وتبناه قبل الوحي، وأخى بينه وبين حمزة بن عبد المطلب في الإسلام، فجعل الفقير أخاً للغنى ليعود عليه، فلما تزوج النبي ﷺ زينب بنت جحش الأسدى وكانت تحت زيد بن حارثة، فقالت اليهود والمنافقون: تزوج محمد امرأة ابنه وهو ينهى الناس عنها، فأنزل الله عزّ وجلّ هذه الآيات وقال: ﴿ذَلِكَ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ﴾: ولا حقيقة له، يعنى قولهم: زيد ابن محمد ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ: الذين ولدوهم ﴿هُوَ أَقْسَطُ﴾: أعدل ﴿عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ﴾: أى فهم إخوانكم ﴿فِي الدِّينِ وَمَوَالِكُمْ﴾: إن كانوا محرريكم وليسوا ببنينكم.

أبنائى عقيل بن محمد الجرجانى، عن المعافى بن زكريا، عن محمد بن جرير قال: حدثنى يعقوب بن إبراهيم، عن ابن علية عن عيينة بن عبد الرحمن، عن أبيه، قال: قال أبو بكر: قال الله تعالى: ﴿أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِكُمْ﴾: فأنا ممن لا يعرف أبوه، وأنا من إخوانكم فى الدين. قال: قال أبى إتنى لأظنه لو علم أن أباه كان حماراً لانتمى إليه ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ﴾: قبل النهى، فنسبتموه إلى غير أبيه، وقال قتادة: يعنى أن تدعوه لغير أبيه وهو يرى أنه كذلك ﴿وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾: فنسبتموه إلى غير أبيه بعد النهى، وأنتم تعلمون أنه ليس بابنه. ومحلّ ما فى قوله: ﴿وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ خفض رداً على (ما) التى فى قوله: ﴿فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ﴾ ومجازة: ولكن فيما تعمدت قلوبكم: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ قال النبى ﷺ: «من ادعى إلى غير أبيه أو إلى غير

أهل نعمته فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين».

وأخبرنا محمد بن عبد الله بن حمدون، عن أحمد بن محمد بن الحسن، عن محمد بن يحيى قال: أخبرني أبو صالح، حدثني الليث، حدثني عبد الرحمن بن خالد، عن ابن شهاب، عن عروة بن الزبير وعمرة بنت عبد الرحمن، عن عائشة أن أبا حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس - كان ممن شهد بدرًا مع رسول الله ﷺ - تبنى سالمًا وأنكحه ابنة أخيه هند بنت الوليد بن عتبة بن ربيعة، وهو مولى لامرأة من الأنصار فتبناه، كما تبنى رسول الله ﷺ زيدًا وكان ممن تبنى رجلاً في الجاهلية دعاه الناس إليه وورث من ميراثه حتى نزلت: ﴿أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ﴾ الآية.



﴿الَّتِي أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾

قوله عز وجل: ﴿الَّتِي أُولَىٰ﴾: أحق ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾: أن يحكم فيهم بما شاء فيجوز حكمه عليهم.

قال ابن عباس وعطاء: يعنى إذا دعاهم النبى عليه السلام إلى شىء ودعتهم أنفسهم إلى شىء كانت طاعة النبى أولى بهم من طاعة أنفسهم، وقال مقاتل: يعنى طاعة النبى عليه السلام أولى من طاعة بعضكم لبعض، وقال ابن زيد: ﴿الَّتِي أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ كما أنت أولى بعبدك، فما قضى فيهم من أمر، جار، كما أن كل ما قضيت على عبدك جار. وقيل: إنه ﷺ أولى بهم فى إمضاء الأحكام وإقامة الحدود عليهم لما فيه من مصلحة الخلق والبعد من الفساد. وقيل: إنه أولى بهم فى الحمل على الجهاد وبذل النفس دونه، وقالت الحكماء: ﴿الَّتِي أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ لأن أنفسهم تدعوهم إلى ما فيه هلاكهم، والنبى يدعوهم إلى ما فيه نجاتهم، وقال أبو بكر الوراق: لأن النبى يدعوهم إلى العقل، وأنفسهم تدعوهم إلى الهوى، وقال بسام بن عبد الله العراقى: لأن أنفسهم تحترس من نار الدنيا، والنبى

يحرسهم من نار العُقبى .

وروى سفيان عن طلحة عن عطاء عن ابن عباس أنه كان يقرأ ﴿الَّذِي أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾: وهو أب لهم .

وروى سفيان عن عمرو عن بجاله أو غيره قال: مرَّ عمر بن الخطاب بسلام وهو يقرأ في المصحف ﴿الَّذِي أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾: وهو أب لهم . فقال: يا سلام حكَّها . قال: هذا مصحف أبي ، فذهب إليه فسأله ، فقال: إنَّه كان يلهيني القرآن ويلهيك الصفق في الأسواق . وقال عكرمة: أُخبرت أنَّه كان في الحرف الأوَّل: وهو أبوهم .

أخبرني أبو عبد الله بن فنجويه الدينوري قال: أخبرني أبو بكر بن مالك القطيعي ، عن عبد الله بن أحمد بن حنبل ، عن أبي قال: أخبرني أبو عامر وشريح قالوا: قال فليح بن سليمان ، عن هلال بن علي عن عبد الرحمن بن أبي عميرة ، عن النبي ﷺ ، قال: «ما من مؤمن إلَّا وأنا أولى به في الدنيا والآخرة ، اقرءوا إن شئتم: ﴿الَّذِي أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ فأيا مؤمن هلك وترك مالاً فليرثه عصبته من كانوا ، وإن ترك ديناً أو ضياعاً فليأتني فإني أنا مولاه» .

﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾: يعني كأُمَّهاتهم في الحرمة ، نظيره قوله تعالى: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ (آل عمران: ١٣٣) أي كالسماوات<sup>(١)</sup> ، وإنما أراد الله تعالى تعظيم حقهن وحرمتهن ، وإنَّه لا يجوز نكاحهن لا في حياة النبي ﷺ إن طلق ولا بعد وفاته ، هن حرام على كل مؤمن كحرمة أمه ، ودليل هذا التأويل أنَّه لا يحرم على الولد رؤية الأمِّ ، وقد حرَّم الله رؤيتهن على الأجنبيين ، ولا يرثنهم ولا يرثونهن ، فعلموا أنَّهن أُمَّهات المؤمنين من جهة الحرمة ، وتحريم نكاحهن عليهم .

روى سفيان ، عن خراش ، عن الشعبي ، عن مسروق قال: قالت امرأة لعائشة: يا أمَّاه ، فقالت: أنا لستُ بأُمُّ لك إنما أنا أمُّ رجالكم .

قوله: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ يعني في الميراث .

قال قتادة: كان المسلمون يتوارثون بالهجرة ، وكان لا يرث الأعرابي المسلم من المهاجر

(١) لا يعلم مكان الجنة أو النار إلا خالقهما سبحانه وتعالى والآية تشبيه للتقريب من العقل البشري ، ولا يحق لأحد تحديد ما لم يحدد الله ، ولا تقرير ما لم يقرر الله سبحانه أو يعلم عن نبي مكان أو بحقيقة شيء مما استأثر بعلمه سبحانه هدانا الله وإياكم إلى الخير والصواب آمين .



شيئاً، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وخلط المؤمنين بعضهم ببعض فصارت الموارث بالملك والقربات.

وقال الكلبي: أخى رسول الله ﷺ بين الناس، وكان يؤاخى بين الرجلين، فإذا مات أحدهما ورثه الباقي منهما دون عصبته وأهله، فمكثوا بذلك ما شاء الله حتى نزلت هذه الآية: ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: الذين أخى رسول الله بينهم ﴿وَالْمُهَاجِرِينَ﴾: فنسخت هذه الآية الموارثة بالمؤاخاة والهجرة، وصارت للأدنى فالأدنى من القربات<sup>(١)</sup>، وقيل: أراد إثبات الميراث بالإيمان والهجرة.

ثم قال: ﴿إِلَّا أَنْ تَعْلَمُوا إِلَىٰ أَوْلِيَاءِكُمْ مَعْرُوفًا﴾ يعنى: إلا أن توصوا لذوى قرابتكم من المشركين فتجوز الوصية لهم، وإن كانوا من غير أهل الإيمان والهجرة، وهذا قول محمد ابن الحنفية وقتادة وعطاء وعكرمة. وقال ابن زيد ومقاتل: يعنى: إلا أن توصوا لأوليائكم من المهاجرين. وقال مجاهد: أراد بالمعروف النصرة وحفظ الحرمة لحق الإيمان والهجرة ﴿كَانَ ذَلِكَ﴾: الذى ذكرت من أن أولى الأرحام بعضهم أولى ببعض، وأن المشرك لا يرث المسلم ﴿فِي الْكِتَابِ﴾: فى اللوح المحفوظ ﴿مَسْطُورًا﴾: مكتوباً. وقال القرطبي: فى التوراة.

قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ﴾ على الوفاء بما حملوا، وأن يبشر بعضهم ببعض ويصدق بعضهم بعضاً. ﴿وَمِنْكَ﴾: يا محمد ﴿وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ﴾: وإنما خص هؤلاء الخمسة بالذكر فى هذه الآية لأنهم أصحاب الشرائع والكتب وأولو العزم من الرسل وأئمة الأمم.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنْهُمُ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾: أخبرنا الحسين بن محمد، عن عبيد الله بن أحمد بن يعقوب المقرئ، عن محمد بن محمد بن سليمان الباغندي، عن هارون بن محمد بن بكار، عن أبيه عن سعيد يعنى ابن بشير، عن قتادة، عن الحسن، عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «كنت أول النبيين فى الخلق، وآخرهم فى البعث»، قال: وذلك قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ﴾ فبدأ به ﷺ قبلهم. ﴿لَيْسَ لَ الصِّدِّيقِينَ عَنِ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.



(١) ذهب المعارضون لسألة النسخ فى القرآن إلى أن هذه الآية ونظائرها ليست مما يدخل فى النسخ وإنما هو تدرج تشريعى كما هو الحال فى الخمر والطلاق وغيره من الأمور التى لم تفرض مرة واحدة.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ﴿ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿ وَإِذْ قَالَتْ طَآئِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿ وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سَأَلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوَاهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا ﴿ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلِ لَا يُؤْلُونَ الْأَدْبَرَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴿ قُلْ لَن يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوْ الْقَتْلِ وَإِذْ لَا تُمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِن أَرَادَ بِكُمْ سَوْءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿

قوله: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ الآية، وذلك حين حوصر المسلمون مع رسول الله ﷺ أيام الخندق ﴿إِذْ جَاءَكُمْ جُنُودٌ﴾: يعنى الأحزاب، قرش وغطفان ويهود بنى قريظة والنضير ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا﴾ يعنى الصبا. قال عكرمة: قالت الجنوب للشمال ليلة الأحزاب: انطلقى بنصر رسول الله ﷺ، فقالت الشمال: إن الحرة لا تسرى بالليل، فكانت الريح التى أرسلت عليهم هى الصبا.

قال رسول الله ﷺ: نُصِرْتُ بِالصَّبَا، وَأَهْلِكْتُ عَادَ بِالدَّبُورِ.

﴿وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾: وهم الملائكة ولم تقاتل يومئذ ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾: قال المفسرون: بعث الله تعالى عليهم بالليل ريحاً باردة، وبعث الملائكة فقلعت الأوتاد، وقطعت أطناب الفساطيط، وأطفأت النيران، وأكفأت القدور، وجالت الحيل بعضها فى بعض، فأرسل الله عليهم الرعب، وكثر تكبير الملائكة فى جوانب عسكرهم، حتى كان سيد كل حى يقول: يا بنى فلان هلم إلى فإذا اجتمعوا عنده قال: النجا النجا أتيتم، لما بعث الله عليهم من الرعب فانهمزوا من غير قتال.

أبأنى محمد بن القاسم الفارسى قال: أخبرنى أبو الحسن السليطى قال: أخبرنى المؤمل ابن الحسن، عن الفضل بن محمد الأشعرانى عن عمرو بن عون، عن خالد بن عبد الله، عن

أبى سعد سعيد بن عبد الرحمن البقال، عن إبراهيم التيمي، عن أبيه (ح) (١) وأنبأني عقيل بن محمد، عن المعافى بن زكريا، عن محمد بن جرير الطبرى، عن محمد بن حميد الرازى، عن سلمة، حدثنى محمد بن يسار، عن يزيد بن زياد، عن محمد بن كعب القرظى قالاً: قال فتى من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان: يا أبا عبد الله، رأيتم رسول الله ﷺ وصحبتموه؟ قال: نعم يابن أخى، قال: وكيف كنتم تصنعون؟ قال: والله لقد كنّا نجهد، قال الفتى: والله لو أدركناه ما تركناه يمشى على الأرض، ولحملناه على أعناقنا، ولخدمناه وفعلنا وفعلنا.

فقال حذيفة: يابن أخى والله لقد رأيتنى ليلة الأحزاب مع رسول الله ﷺ بالخندق فى ليلة باردة، لم أجد قبلها ولا بعدها برداً أشد منه، فصلّى رسول الله ﷺ هوناً من الليل ثم التفت إلينا فقال: «مَنْ يقوم فيذهب إلى هؤلاء القوم فيأتينا بخبرهم أدخله الله الجنة».

فما قام منّا رجل، ثم صلى رسول الله ﷺ هوناً من الليل، ثم التفت إلينا فقال مثله، فسكت القوم وما قام منّا رجل. ثم صلى رسول الله ﷺ هوناً من الليل، ثم التفت إلينا فقال: مَنْ رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم على أن يكون رفيقى فى الجنة؟ فما قام رجل من شدة الخوف وشدة الجوع وشدة البرد، فلما لم يقم أحد، دعانى رسول الله ﷺ وقال: يا حذيفة، فلم يكن لى بُد من القيام حين دعانى، فقلت: لبيك يا رسول الله، وقمت حتى أتيتته وإنّ جنبى لتضطربان، فمسح رأسى ووجهى ثم قال: ائت هؤلاء القوم حتى تأتيني بخبرهم، ولا تحدثن شيئاً حتى ترجع إلىّ.

ثم قال: اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته، فأخذت سهمى، وشدت على أصلابى، ثم انطلقت أمشى نحوهم كأنى أمشى فى حمام، فذهبت فدخلت فى القوم، وقد أرسل الله عليهم ريحاً فقطعت أطناهم وقلعت أبنيتهم وذهبت بخيولهم، ولم تدع شيئاً إلاّ أهلكته، وأبو سفيان قاعد يصطلى، فأخذت سهمى فوضعت فى كبد قوسى، فذكرت قول النبى ﷺ: لا تحدثن حدثاً حتى ترجع، فرددت سهمى فى كناتى.

فلما رأى أبو سفيان ما تفعل الرياحُ وجنودُ الله بهم، لا تقر لهم قدراً ولا ناراً ولا بناء قام فقال: يا معشر قريش ليأخذ كل رجل منكم بيد جلسه فلينظر مَنْ هو؟ فأخذت بيد جلسى فقلت مَنْ أنت؟ قال: سبحان الله أما تعرفنى أنا فلان ابن فلان، فإذا هو رجل من هوازن.

فقال أبو سفيان: يا معشر قريش إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام، لقد هلك الكراع والحُفّ

(١) زيادة حديثية يتطلبها سياق الإسناد.

وأخلفتنا بنو قريظة، وبلغنا عنهم الذى نكره، ولقينا من هذه الريح ما ترون، فارتحلوا فإني مرتحل ثم قام إلى جملة وهو معقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب به على ثلاث فما أطلق عقاله إلا وهو قائم.

وسمعت غطفان بما فعلت قريش فاستمروا راجعين إلى بلادهم، وهزم الله الأحزاب فذلك قوله: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا أَلْتَرَوْهَا﴾ قال: فرجعت إلى رسول الله ﷺ كأنى أمشى فى حمام، فأخبرته الخبر فضحك عليه السلام حتى بدت أنيابه فى سواد الليل قال: وذهب عني الدفاء فإدنانى النبي ﷺ فأنامنى عند رجله وألقى على طرف ثوبه، وألرزق صدرى ببطن قدمه.

قوله تعالى: ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ﴾: يعنى من فوق الوادى من قبل المشرق، وعليهم مالك ابن عوف النضيرى وعيينة بن حصن الفزارى فى ألف من غطفان ومعهم طليحة بن خويلد الأسدى فى بنى أسد وحيى بن أخطب فى يهود بنى قريظة: ﴿وَمِن أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾: يعنى من بطن الوادى من قبل المغرب، وهو أبو سفيان بن حرب فى قريش ومن تبعه، وأبو الأعور عمرو بن سفيان السلمى من قبل الخندق. وكان الذى جر غزوة الخندق، فيما قيل إجلاء رسول الله ﷺ بنى النضير عن ديارهم.

قال محمد بن إسحاق: حدثنى يزيد بن رومان مولى آل الزبير، عن عروة بن الزبير ومن لا أتهم، عن عبيد الله بن كعب بن مالك، وعن الزهرى، وعن عاصم بن قتادة وعن عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، وعن محمد بن كعب القرظى، وعن غيرهم من علمائنا، دخل حديث بعضهم فى بعض، قالوا: كان من حديث الخندق أن نقرأ من اليهود منهم سلام بن أبى الحقيق وحيى بن أخطب وكنانة بن الربيع بن أبى الحقيق وهوذة بن قيس وأبو عمارة الوائلى فى نفر من بنى النضير ونفر من بنى وائل وهم الذين حزّبوا الأحزاب على رسول الله ﷺ، خرجوا حتى قدموا على قريش بمكة، فدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ، وقالوا: إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله، فقالت لهم قريش: يا معشر اليهود، إنكم أهل الكتاب الأوّل والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد، فديننا خير أم دينه؟

قالوا: بل دينكم خير من دينه، وأتم أولى بالحق منهم قال: فهم الذين أنزل الله فيهم: ﴿أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ إلى قوله: ﴿وَكَفَىٰ بَٰجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾ (النساء: ٥١، ٥٥) فلما قالوا ذلك لقريش سرهم ما قالوا، ونشطوا لما دعوهم إليه من حرب رسول الله ﷺ، فأجمعوا لذلك، واستعدّوا له، ثم خرج أولئك النفر من اليهود حتى جاءوا

غطفان من قيس بن غيلان فدعوههم إلى حرب رسول الله ﷺ، وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه، وأن قريشاً قد بايعوههم على ذلك، وأجمعوا فيه، فأجابوهم، فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان بن حرب، وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر بن بنى فزارة، والحارث بن عون بن أبي جارية المرى فى بنى مرة، ومسعود بن جبلة بن نويرة بن طريف بن شحمة بن عبد الله بن هلال بن خلاوة بن أشجع بن زيد بن غطفان فيمن تابعه من قومه من أشجع، فلما سمع بهم رسول الله ﷺ وبما أجمعوا له من الأمر ضرب الخندق على المدينة وكان الذى أشار على رسول الله ﷺ بالخندق سلمان الفارسي، وكان أول مشهد شهده سلمان مع رسول الله ﷺ، وهو يومئذ حرّ. وقال: يا رسول الله إنّنا كنا بفارس إذا حوصرنا خندقنا علينا، فعمل فيه رسول الله ﷺ والمسلمون معه حتى أحكموه.

وقد ذكرنا حديث سلمان فى صفة حفر الخندق فى سورة آل عمران قالوا: فلما فرغ رسول الله ﷺ من الخندق أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الأسيال من دونه من الجرف والغابة فى عشرة آلاف من أحابيشهم ومن تابعهم من بنى كنانة وأهل تهامة، وأقبلت غطفان ومن تابعهم من أهل نجد حتى نزلوا بذنب نغمى إلى جانب أحد.

وخرج رسول الله ﷺ والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع فى ثلاثة آلاف من المسلمين، فضرب هنالك عسكره، والخندق بينه وبين القوم، وأمر بالنساء والذرارى فرفعوا فى الآطام، وخرج عدو الله حبي بن أخطب النضيرى حتى أتى كعب بن أسد القرظى صاحب عقد بنى قريظة وعهدهم، وكان قد وادع رسول الله ﷺ على قومه وعاهده على ذلك، فلما سمع كعب حبي بن أخطب غلق دونه حصنه فاستأذن عليه فأبى أن يفتح له فنادى حبي: يا كعب افتح لى، قال: ويحك يا حبي، إنك امرؤ ميثوم، إنى قد عاهدت محمداً فلست بناقض ما بينى وبينه، ولم أر منه إلا وفاءً وصدقاً.

قال: ويحك افتح لى أكلمك. قال: ما أنا بفاعل. قال: والله إن غلقت دونى إلا على حشيشتك أن أكل معك منها، فاحفظ الرجل ففتح له. فقال: يا كعب، ويحك جئتك بعزّ الدهر، وبحرطم، جئتك بقريش على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بمجتمع الأسيال من دونه، وبغطفان على قادتها وسادتها حتى أنزلهم بذنب مغمى إلى جانب أحد، قد عاهدونى وعاهدونى أن لا يبرحوا حتى يستأصلوا محمداً ومن معه.

فقال له كعب بن أسد: جئتنى والله بذلّ الدهر، بمجهام قد اهراق ماؤه يردد ويبرق وليس فيه شىء، فدعنى ومحمداً وما أنا عليه، ولم أر من محمداً إلا صدقاً ووفاءً.

فلم يزل حُبِي بن أخطب بكعب يقبله في الذروة والغارب حتى يسمح له على أن أعطاه عهداً من الله وميثاقاً، لئن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمداً أن أدخل معك في حصتك حتى يصيبني ما أصابك، فنقض كعب بن أسد عهده وبرئ مما كان عليه فيما بينه وبين رسول الله ﷺ.

فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ الخبر وإلى المسلمين، بعث رسول الله ﷺ سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس أحد بني عبد الأشهل وهو يومئذ سيد الأوس وسعد بن عباد بن دليم أحد بني ساعدة بن كعب بن الخزرج وهو يومئذ سيد الخزرج، ومعهما عبد الله بن رواحة أخو الحارث بن الخزرج، وخوات بن جبير أخو بني عمرو بن عوف.

فقال: انطلقوا حتى تنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم؟ فإن كان حقاً فالحنوا إلى الحنا نعرفه ولا تفتوا أعضاد الناس، وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للناس، فخرجوا حتى أتوهم فوجدوهم على أخبت ما بلغهم عنهم وقالوا: من رسول الله؟ وقالوا: لا عقد بيننا وبين محمد ولا عهد، فشاتمهم سعد بن عباد وشاتموه، وكان رجلاً فيه حدة فقال له سعد بن معاذ: دع عنك مشاتمهم فما بيننا وبينهم أربى من المشاتمة، ثم أقبل سعد وسعد ومن معهما إلى رسول الله ﷺ فسلموا عليه ثم قالوا: عضل والقارة [يعرضان] (١) أى كغدر عضل والقارة بأصحاب رسول الله ﷺ أصحاب الرجيع خبيب بن عدى وأصحابه.

فقال رسول الله ﷺ: [الله] (٢) أكبر، أبشروا يا معشر المسلمين. وعظم عند ذلك البلاء واشتد الخوف وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم حتى ظن المؤمنون كل ظن، ونجم النفاق من بعض المنافقين حتى قال لهم متعب بن قشير أخو بني عمرو بن عوف: كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا لا يقدر على أن يذهب إلى الغائط ﴿مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ حتى قال أوس بن قبطى أحد بني حارثة: يا رسول الله إن بيوتنا بعورة من العدو وذلك على ملاء من رجال قومه، فأذن لنا فلنرجع إلى ديارنا فإنها خارجة من المدينة.

فأقام رسول الله ﷺ وأقام المشركون عليه بضعاً وعشرين ليلة قريباً من شهر، ولم يكن بين القوم حرب إلا الرمي بالنبل والحصى، فلما اشتد البلاء على الناس، بعث رسول الله ﷺ إلى عيينة بن حصين وإلى الحارث بن عوف وهما قائدا غطفان فأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عن رسول الله ﷺ وأصحابه، تجرى بينهم وبينه الصلح حتى كتبوا الكتاب

(١) زيادة من القرطبي.

(٢) لفظ الجلالة سقط ذكره من المخطوط في هذا الموضع.

ولم تقع الشهادة، فذكر ذلك رسول الله ﷺ لسعد بن معاذ وسعد بن عباد واستشارهما فيه .  
فقالا : يا رسول الله أشيء أمرك الله به لا بد لنا من العمل به أم أمر تجبه فتصنعه أم شيء تصنعه  
لنا؟ قال: لا بل لكم والله ما أصنع ذلك، إلا أنى رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحد  
وكلبوكم من كل جانب، فأردت أن أكسر عنكم شوكتهم .

فقال له سعد بن معاذ: يا رسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم على شرك بالله وعبادة  
الأوثان، لا نعبد الله ولا نعرفه، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة إلا قرى أو بيعاً، أفحين  
أكرمنا الله بالإسلام وأعزنا بك نعطيهم أموالنا؟! ما لنا بهذا من حاجة، والله لا نعطيهم إلا  
السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم، فقال رسول الله ﷺ وأصحابه: فأنت وذاك، فتناول سعد  
الصحيفة فمحا ما فيها من الكتاب ثم قال: ليجهدوا علينا .

فأقام رسول الله ﷺ والمسلمون على حالهم والمشركون يحاصرونهم ولم يكن بينهم قتال  
إلا أن فوارس من قريش منهم عمرو بن عبد ودّ بن أبي قيس أخو بنى عامر بن لؤى وعكرمة  
ابن أبي جهل وهبيرة بن أبي وهب المخزوميان ونوفل بن عبد الله وضرار بن الخطاب ومرداس  
أخو بنى محارب بن فهر قد تلبسوا للقتال وخرجوا على خيلهم، ومرّوا على بنى كنانة .

فقال بنو الحارث: يا بنى كنانة، فستعلمون اليوم من الفرسان، ثم أقبلوا حتى وقفوا على  
الخنديق، فلما رأوه قالوا: والله إن هذه لمكيدة، ما كانت العرب تكيدها ثم تيمّموا مكاناً من  
الخنديق ضيقاً فضربوا خيولهم فاقتحموا منه فجالت بهم فى السبخة بين الخنديق وسلع .

وخرج على بن أبى طالب رضى الله عنه فى نفر من المسلمين حتى أخذ عليهم الثغرة التى  
أقحموا منها خيلهم وأقبلت الفرسان نحوهم، وقد كان عمرو بن عبد ودّ قاتل يوم بدر حتى  
أثبتته الجراحة فلم يشهد أحداً، فلما كان يوم الخنديق خرج معلماً ليُرى مكانه، فلما وقف هو  
وخيله قال له على: يا عمرو، إنك كنت تعاهد الله، لا يدعوك رجل من قريش إلى خلتين إلا  
أخذت منه إحداهما . قال: أجل . قال: فإنى أدعوك إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام .  
قال: لا حاجة لى بذلك . قال: فإنى أدعوك إلى النزال . قال: ولم يا بن أخى؟ فإنى والله ما  
أحب أن أقتلك .

قال على رضى الله عنه: ولكنى والله أحب أن أقتلك، فحمى عمرو عند ذلك فاقتحم عن  
فرسه فعفره أو ضرب وجهه وأقبل على على فتناولا وتجاولا وقتله على رضى الله عنه .

وخرجت خيله منهزمة حتى اقتحمت من الخنديق هاربة، وقُتل مع عمرو رجلان: منبه بن  
عثمان بن عبيد بن السباق بن عبد الدار، أصابه سهم فمات منه بمكة، ونوفل بن عبد الله بن

المغيرة المخزومي، وكان قد اقتحم الخندق فتورط فيه فرموه بالحجارة، فقال: يا معشر العرب قتلة أحسن من هذه، فنزل إليه على فقتله فغلب المسلمون على جسده، فسألوا رسول الله ﷺ أن يبيعهم جسده فقال رسول الله ﷺ: لا حاجة لنا في جسده ولا ثمنه فشأنكم به، فخلّى بينهم وبينه.

قالت عائشة أم المؤمنين: كنا يوم الخندق في حصن بنى حارثة، وكان من أحرز حصون المدينة، وكانت أم سعد بن معاذ معنا في الحصن، وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب فمر سعد بن معاذ وعليه درع مقلصة قد خرجت منها ذراعه كلّها وفي يده حربته وهو يقول:

لَبَّثُ قَلِيلًا يَشْهَدُ الْهَيْجَا حَمَلٌ  
لَا بِأَسْ بِالْمَوْتِ إِذَا حَانَ الْأَجَلُ

فقالت أمه: الحق يا بنى فقد والله أخرت، قالت عائشة: فقلت لها: يا أم سعد والله لو ددت أن درع سعد كانت أسبغ مما هي، وخفت عليه حيث أصاب السهم منه، قالت: فرمى سعد يومئذ فقطع منه الأكل، وزعموا أنه لم ينقطع من أحد قطع إلا لم يزل يفيض دمًا حتى يموت، رماه حيان بن قيس بن العرقة أحد بنى عامر بن لؤى، فلما أصابه قال: خذها فأنا ابن العرقة فقال سعد: غرق الله وجهك في النار، ثم قال سعد: اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئًا فأبقني لها، فإنه لا قوم أحب إلى من أن أجاهدهم من قوم آذوا رسولك، فكذبوه وأخرجوه، وإن كنت قد وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعله لى شهادة ولا تمتنى حتى تقر عيني من بنى قريظة، وكانوا حلفاءه ومواليه في الجاهلية.

وروى محمد بن إسحاق بن يسار، عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه عبادة قال: كانت صفية بنت عبد المطلب في قارع حصن حسان بن ثابت قالت: وكان حسان معنا فيه مع النساء والصبيان.

قالت صفية: فمر بنا رجل من اليهود فجعل يطوف بالحصن وقد حاربت بنو قريظة وقطعت ما بينها وبين رسول الله ﷺ، وليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنا، ورسول الله والمسلمون في نحور عدوهم لا يستطيعون أن ينصرفوا إلينا عنهم إذا أتانا أت. قالت: فقلت: يا حسان إن هذا اليهودي كما ترى يطيف بالحصن وإنى والله ما آمنه أن يدل على عورتنا من ورائنا من اليهود، وقد شغل عنا رسول الله ﷺ وأصحابه فانزل إليه فاقتله.

فقال: يغفر الله لك يا بنت عبد المطلب، والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا. قالت: فلما قال ذلك لى ولم أر عنده شيئًا احتجزت ثم أخذت عمودًا ثم نزلت من الحصن إليه فضربته بالعمود حتى قتله فلما فرغت منه، رجعت إلى الحصن فقلت: يا حسان انزل إليه فاسلبه فإنه



لم يمنعني من سلبه إلا أنه رجل، قال: ما لي بسلبه من حاجة يا بنت عبد المطلب<sup>(١)</sup>.  
قالوا: وأقام رسول الله ﷺ وأصحابه فيما وصف الله عز وجل من الخوف والشدّة لتظاهر عدوهم عليهم وإتيانهم من فوقهم ومن أسفل منهم، ثم إن نعيم بن مسعود بن عامر بن أنيف ابن ثعلبة بن قنفذ بن هلال بن حلاوة بن أشجع بن زيد بن غطفان أتى رسول الله ﷺ. فقال: يا رسول الله إنني قد أسلمت وإن قومي لم يعلموا بإسلامي فمرني بما شئت، فقال له رسول الله ﷺ: إنما أنت فينا رجل واحد، فخذل عنا إن استطعت فإن الحرب خدعة.

فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بني قريظة، وكان لهم نديماً في الجاهلية، فقال لهم: يا بني قريظة، قد عرفتم ودي إياكم وخاصة ما بيني وبينكم، قالوا: صدقت لست عندنا بمتهم، فقال لهم: إن قريشاً وغطفان (قد جاءوا)<sup>(٢)</sup> لحرب محمد، وقد ظاهرتموهم عليه، وإن قريشاً وغطفان ليسوا كهيتكم، البلد بلدكم به أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم لا تقدرون على أن تحولوا عنه إلى غيره، وإن قريشاً وغطفان أموالهم وأبناؤهم ونساؤهم وغيره، وإن رأوا نهزة وغنيمة أصابوها، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل، والرجل ببلدكم لا طاقة لكم به إن خلا بكم، فلا تقاتلوا القوم حتى تأخذوا رهناً من أشرافهم يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن يقاتلوا معكم محمداً حتى تناجزوه، فقالوا: لقد أشرت برأى ونصح. ثم خرج حتى أتى قريشاً فقال لأبي سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش: يا معشر قريش قد عرفتم ودي إياكم وفراقى محمداً، وقد بلغني أمر رأيت أن حقاً على أن أبلغكموه نصحاً لكم فاكتبوا عليّ. قالوا: نفعل.

قال: تعلمون أن معشر اليهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد، وقد أرسلوا إليه، أن قد ندمنا على ما فعلنا، فهل يرضيك عنا أن نأخذ من القبيلتين من قريش وغطفان رجالا من أشرافهم فنعطيكهم فتضرب أعناقهم، ثم نكون معك على من بقى منهم؟ فأرسل إليهم أن نعم، فإن بعث إليكم اليهود يلتمسون منكم رهناً من رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجلاً واحداً، ثم خرج حتى أتى غطفان فقال: يا معشر غطفان أتمت أصلى وعشيرتي وأحب الناس إليّ ولا أراكم تتهموني، قالوا: صدقت، قال: فاكتبوا عليّ قالوا:

(١) في هذه الحكاية طعن شديد في صحابي من أفضل وأنبل الصحابة وهو شاعر رسول الله ﷺ ومن قد أهداه رسول الله ﷺ سيرين أخت مارية خالة إبراهيم ابن النبي محمد ﷺ، ثم إن هذا الرجل لو كان به شيء من هذا الأمر الذي قد وصف به هنا لهجاه به الشعراء وعابوه ولم يثبت أن شاعراً واحداً من خصمائه قد هجاه بصفة الجبن عافانا الله وإياكم من تصديق السوء بأصحاب رسول الله ﷺ وحشرنا معه آمين.

(٢) زيادة من تفسير القرطبي.

نفل، ثم قال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم ما حذرهم، فلما كانت ليلة السبت في شوال سنة خمس، وكان مما صنع الله برسوله، أرسل أبو سفيان ورءوس غطفان إلى بنى قريظة عكرمة بن أبي جهل في نفر من قريش وغطفان، فقالوا لهم: إننا لسنا بدار مقام، قد هلك الخف والحافر، فاغدوا (صبيحة غد)<sup>(١)</sup> للقتال حتى نناجز محمداً ونفرغ مما بيننا وبينه.

فأرسلوا إليهم: إن اليوم السبت، وهو يوم لا يعمل فيه شيء، وكان قد أحدث بعضنا فيه حدثاً فأصابه ما لم يخف عليكم ولسنا مع ذلك بالذي نقاتل معكم حتى تعطونا رهناً من رجالكم يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمداً فإننا نخشى إن ضرستكم الحرب واشتد عليكم القتال تسيروا إلى بلادكم، وتركونا والرجل في بلدنا ولا طاقة لنا بذلك من محمد.

فلما رجعت إليهم الرسل بالذي قالت بنو قريظة، قالت قريش وغطفان: تعلمون والله إن الذي حدثكم نعيم بن مسعود لحق، فأرسلوا إلى بنى قريظة، إننا والله لا ندفع إليكم رجلاً واحداً من رجالنا، فإن كنتم تريدون القتال، فاخرجوا فقاتلوا.

فقالت بنو قريظة حين انتهت الرسل إليهم بهذا: إن الذي ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق، ما يريد القوم إلا أن تقاتلوا، فإن وجدوا فرصة انتهزوها، وإن كان غير ذلك انشمروا إلى بلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل في بلادكم، فأرسلوا إلى قريش وإلى غطفان: إننا والله لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهناً، فأبوا عليهم وخذل الله بينهم، وبعث الله تعالى عليهم الريح في ليل شاتية شديدة البرد، حتى انصرفوا راجعين والحمد لله رب العالمين.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ زَاغَتْ مَالَتْ: ﴿الْأَبْصَلُ﴾ وشخصت ﴿وَبَلَغَتْ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾: فزالت عن أماكنها حتى بلغت الحلوق من الفرع ﴿وَتَطَّنُونَ بِأَلَّهِ الظُّنُونَا﴾ فأما المنافقون فظنوا أن محمداً وأصحابه سيغلبون ويستأصلون وأما المؤمنون فأيقنوا أن ما وعدهم الله حق من أنه سيظهر نبيه<sup>(٢)</sup> على الدين كله ولو كره المشركون.

واختلف القراء في قوله: الظنوننا والرسولا والسبيلا، فأثبت الألفات فيها وصلاً ووقفاً، أهل المدينة والشام وأيوب وعاصم برواية أبي بكر، وأبو عمر برواية ابن عباس، والكسائي برواية قتيبة، قالوا: إن ألفتها ثابتة في مصحف عثمان وسائر مصاحف البلدان. وقرأها أبو عمرو في سائر الروايات وحمزة ويعقوب بغير (ألف) في الحالين على الأصل.

وقرأ الباقر بالألف في الوقف دون الوصل، واحتجوا بأن العرب تفعل ذلك في قوافي

(١) زيادة من القرطبي.

(٢) في المخطوط: دينه وهو تحريف.

أشعارهم ومصارعها فتلحق بالألف فى موضع الفتح عند الوقوف ولا تفعل ذلك فى حشو الأبيات، فحسن إثبات الألف فى هذه الحروف لأنها رءوس الآى تمثيلاً لها بالقوافى .  
 قوله عزّ وجلّ: ﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ أى اختبروا ومحصوا ليعرف المؤمن من المنافق ﴿وَزُلْزِلُوا﴾: وحركوا وخوفوا ﴿زَلْزَالًا﴾: تحريكاً ﴿شَدِيدًا﴾ وقرأ عاصم الجحدري (زلزالاً) بفتح الزاى وهما مصدران .

﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ﴾: يعنى معتب بن قشير وأصحابه ﴿وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: شك وضعف اعتقاد ﴿مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ وَإِذْ قَالَتْ طَافِقَةٌ مِّنْهُمْ﴾: أى من المنافقين وهم أوس بن قبطى وأصحابه، وقال مقاتل: هم من بنى سالم ﴿يَتَأَهَّلُ يَتَرَبَّ﴾: يعنى المدينة. وقال أبو عبيدة: يثرب اسم أرض، ومدينة الرسول عليه السلام فى ناحية منها. ﴿لَا مَقَامَ لَكُمْ﴾: قراءة العامة بفتح الميم، أى لا مكان لكم تقيمون فيه. وقرأ السلمى بضم الميم، أى لا إقامة لكم، وهى رواية حفص عن عاصم ﴿فَآرَجِعُوا﴾: إلى منازلكم أمرهم بالهرب من عسكر رسول الله ﷺ.

قال ابن عباس: قالت اليهود لعبد الله بن أبى وأصحابه من المنافقين: ما الذى يحملكم على قتل أنفسكم بيدي أبى سفيان وأصحابه فارجعوا إلى المدينة فرجعوا ﴿وَيَسْتَفِذُّنَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ النَّبِيَّ﴾: فى الرجوع إلى منازلهم وهم بنو حارثة بن الحارث ﴿يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾: أى هى خالية ضائعة وهى مما يلى العدو، وإننا نخشى عليها العدو والسراق. وقرأ ابن عباس وأبو رجاء العطاردي عورة، بكسر الواو يعنى قصيرة الجدران فيها خلل وفرجة، والعرب تقول: دار فلان عورة، إذا لم تكن حصينة، وقد اعور الفارس إذا بدا فيه خلل الضرب، قال الشاعر:

متى تلقهم لا تلقى فى البيت معورا  
 ولا الضيف مفجوعاً ولا الجار مرملا

قال الله تعالى: ﴿وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ﴾ يقول لو دخل عليهم هؤلاء الجيوش الذين يريدون قتالهم المدينة ﴿مِنْ أَقْطَارِهَا﴾: جوانبها ونواحيها، واحدها قطر وفيه لغة أخرى قطرٌ وأقطار.

﴿ثُمَّ سِيلُوا الْفِتْنَةَ﴾: الشرك ﴿لَا تَوْهَا﴾ قراءة أهل الحجاز بقصر الألف، أى لجاءوها وفعلوها ورجعوا عن الإسلام وكفروا، وقرأ الآخرون بالمد، أى لأعطوها. وقالوا: إذا كان سؤال كان إعطاء ﴿وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا﴾: وما احتبسوا عن الفتنة ﴿إِلَّا بَيْرًا﴾ ولأسرعوا الإجابة إليها طيبة بها أنفسهم، هذا قول أكثر المفسرين، وقال الحسن والفراء: وما أقاموا بالمدينة بعد إعطاء الكفر إلا قليلاً حتى يهلكوا ﴿وَلَقَدْ كَانُوا عِنْدَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ﴾: أى من قبل غزوة الخندق ﴿لَا يُؤْلُونَ﴾:

عدوهم ﴿الْأَدْبِرَ﴾ .

وقال يزيد بن دومان: هم بنو حارثة هموا يوم أحد أن يفشلوا مع بنى سلمة، فلما نزل فيهم ما نزل عاهدوا الله أن لا يعودوا لمثلها أبداً، فذكر الله لهم الذي أعطوه من أنفسهم، وقال قتادة: هم ناس كانوا قد غابوا عن واقعة بدر ورأوا ما أعطى الله أهل بدر من الكرامة والفضيلة فقالوا: لئن أشهدنا الله قتالاً لنقاتلنّ، فساق الله ذلك إليهم فى ناحية المدينة .

وقال مقاتل والكلبي: هم سبعون رجلاً بايعوا رسول الله ﷺ ليلة العقبة، وقالوا له: اشترط لربك ولنفسك ما شئت، فقال النبي عليه السلام: «أشترط لربى أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأولادكم وأموالكم، قالوا: فإذا فعلنا ذلك فما لنا يا رسول الله؟ قال: لكم النصر فى الدنيا والجنة فى الآخرة» . قالوا: قد فعلنا، فذلك عهدهم .

﴿وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا﴾ : قوله عز وجل: ﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوْ الْقَتْلِ﴾ الذى كتب عليكم ﴿وَإِذَا لَمْ تَمُوتُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾ : إلى آجالكم، والدنيا كلها قليل .  
﴿قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا﴾ : هزيمة ﴿أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾ : نصره ﴿وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ .



﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ أشحّة عليكم فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذى يغشى عليه من الموت فإذا ذهب الخوف سلقوكم بالسنة حداد أشحّة على الخيراً أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيراً ﴿يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾ لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينظرون وما بدلوا تبديلاً ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ

الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٠﴾  
 وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَيْثِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيمًا ﴿١١﴾  
 وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا  
 تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿١٢﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوْهَا وَكَانَ اللَّهُ  
 عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿١٣﴾

﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ﴾ : المشبطين ﴿مِنْكُمْ﴾ : الناس عن رسول الله ﷺ ﴿وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ  
 هَلْءُ﴾ : تعالوا ﴿إِلَيْنَا﴾ : ودعوا محمداً فلا تشهدوا معه الحرب فإننا نخاف عليكم الهلاك .  
 ﴿وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ : دفعاً وتغديراً . قال قتادة : هؤلاء ناس من المنافقين كانوا  
 يقولون لإخوانهم : ما محمد وأصحابه إلا أكلة رأس ولو كانوا لحمًا لالتهمهم أبو سفيان  
 وأصحابه ، دعوا هذا الرجل فإنه هالك .

قال مقاتل : نزلت في المنافقين ، وذلك أن اليهود أرسلوا إلى المنافقين ، فقالوا : ما الذي  
 يحملكم على قتل أنفسكم بيد أبي سفيان ومن معه فإنهم إن قدروا عليكم هذه المرة لم يستبقوا  
 منكم أحداً ، وإنا نشفق عليكم ، أنتم إخواننا وجيراننا هلم إلينا ، فأقبل عبد الله بن أبي  
 وأصحابه على المؤمنين يعوقونهم ويخوفونهم بأبي سفيان ومن معه وقالوا : لئن قدروا عليكم  
 هذه المرة لم يستبقوا منكم أحداً ، ما ترجون من محمد؟ فوالله ما يريدنا بخير وما عنده خير ، ما  
 هو إلا أن يقتلنا ههنا ، انطلقوا بنا إلى إخواننا وأصحابنا ، يعنى اليهود ، فلم يزد المؤمنون بقول  
 المنافقين إلا إيماناً واحتساباً .

وقال ابن زيد : هذا يوم الأحزاب ، انطلق رجل من عند رسول الله ﷺ فوجد أخاه ، وبين  
 يديه شواء ورغيف ونيبذ ، فقال له : أنت ههنا في الشواء والنيبذ والرغيف ورسول الله ﷺ بين  
 الرماح والسيوف ، فقال له أخوه : هلم إلى هذا فقد تبع بك وبصاحبك ، والذي تحلف به لا  
 يستقبلها محمد أبداً ، فقال : كذبت والذي تحلف به ، وكان أخوه من أبيه وأمه ، أما والله  
 لأخبرن النبي ﷺ أمرك ، فذهب إلى رسول الله ﷺ ليخبره فوجده قد نزل جبرائيل (عليه  
 السلام) بهذه الآية .

قوله : ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾ أى بخلاء بالخير والنفقة فى سبيل الله وعند قسم الغنيمة ، وهى  
 نصب على الحال والقطع من قوله : ﴿وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ وصفهم الله بالجبن والبخل .

﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفَ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ﴾: فى رءوسهم من الخوف والجبن  
 ﴿كَالَّذِي﴾: أى كدوران عين الذى ﴿يَفْتَنَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ﴾: عصوكم  
 ورموكم ﴿بِالسِّنَةِ حِدَادٍ﴾: ذرية جمع حديد، ويقال للخطيب الفصيح اللسان الذرب اللسان،  
 مسلق ومصلق وسلاق وصلاق وأصل السلق الضرب.

وقال قتادة: يعنى بسطوا ألسنتهم فيكم وقت قسم الغنيمة، يقولون: أعطونا أعطونا فإننا قد  
 شهدنا معكم القتال فلستم بأحق بالغنيمة منا، فأما عند الغنيمة فأشح قوم وأسوأ مقاسمة،  
 وأما عند البأس فأجبن قوم وأخذلهم للحق.

﴿أَشْحَةً عَلَى الْخَيْرِ﴾: يعنى الغنيمة ﴿أَوْلَيْتُكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ  
 يَسِيرًا﴾.

قوله: ﴿يَحْسُبُونَ﴾: يعنى هؤلاء المنافقين ﴿الْأَحْزَابِ﴾: يعنى قريشاً وغطفان واليهود الذين  
 تمزبوا على عداوة رسول الله ﷺ ومخالفته أى اجتمعوا، والأحزاب الجماعات واحدهم  
 حزب. ﴿لَمْ يَذْهَبُوا﴾: ولم ينصرفوا عن قتالهم وقد انصرفوا منهم جماعة وفرقاً. ﴿وَأِنْ يَأْتِ  
 الْأَحْزَابُ﴾: إن يرجعوا إليكم كرهة ثانية.

﴿يُودُّوْا﴾ من الخوف والجبن ﴿أَوْ أُنْتُمْ بِأَدُونِ﴾: خارجون إلى البادية ﴿فِي الْأَعْرَابِ﴾ أى معهم  
 ﴿يَسْتَلُونِ﴾: قراءة العامة بالتخفيف، وقرأ عاصم الجحدري ويعقوب فى رواية رويس وزيد  
 مشددة ممدودة بمعنى يتساءلون أى يسأل بعضهم بعضاً.

﴿عَنْ أَنْبَاءِكُمْ﴾: أخباركم وما آل إليه أمركم ﴿وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ﴾: يعنى هؤلاء المنافقين ﴿مِمَّا  
 قَتَلْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾: رياء من غير حسبة، ولو كان ذلك القليل لله لكان كثيراً.

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ ﴿مُحَمَّدٌ﴾ ﴿أُسْوَةٌ﴾: قدوة ﴿حَسَنَةٌ﴾ قرأ عاصم  
 ههنا وفى سورة الامتحان ﴿أُسْوَةٌ﴾ بضم الألف وقرأهما الآخرون بالكسر وهما لغتان مثل  
 عدوة وعدوة ورشوة ورشوة وكسوة وكسوة. وكان يحيى بن ثابت يكسرهما هنا ويضم  
 الأخرى.

قال أبو عبيد: ولا نعرف بين ما فرَّق يحيى فرقاً.

قال المفسرون: يعنى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ ﴿أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ سَنَةٌ صالحة أن تنصروه  
 وتوازره ولا تتخلفوا عنه ولا ترغبوا بأنفسكم عن نفسه وعن مكان هواه، كما فعل هو إذ  
 كسرت رباعيته، وجرح فوق حاجبه وقتل عمه حمزة، وأوذى بضروب الأذى فواساكم مع  
 ذلك بنفسه، فافعلوا أتم أيضاً كذلك واستنوا بسنته.

﴿لَمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ : فى الرخاء والبلاء . ثم ذكر المؤمنين وتصديقهم بوعود الله تعالى فقال : ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا﴾ تسليماً لأمر الله وتصديقاً لوعده ﴿هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ .

ووعده الله تعالى إياهم قوله : ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ﴾ إلى قوله : ﴿أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ (البقرة: ٢١٤) .  
﴿وَمَا زَادَهُمْ﴾ ذلك ﴿إِلَّا إِيْمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ .

قوله : ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ فوفوا به ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ﴾ يعنى فرغ من نذره ووفى بعهده فصبر على الجهاد حتى استشهد ، والنحب النذر ، والنحب أيضاً الموت . قال ذو الرمة :

عشية فر الحارثيون بعدما      قضى نحبه من ملتقى القوم هوبر

أى مات ، قال مقاتل : قضى نحبه يعنى أجله ، فقتل على الوفاء ، يعنى حمزة وأصحابه .  
وقيل : قضى نحبه أى أجهده فى الوفاء بعهده من قول العرب : نحب فلان فى سيره يومه وليلته أجمع إذا مد فلم ينزل . قال جرير :

بطخفة جالدا الملوك وخيلنا      عشية بسطان جرين على نحب

﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَنْتَظِرُ﴾ : الشهادة ﴿وَمَا بَدَّلُوا﴾ : قولهم وعهدهم ونذرهم ﴿تَبْدِيلًا﴾ .

أخبرنا عبد الله بن حامد قال : أخبرنا مكى بن عبدان قال : حدثنا عبد الله بن هاشم قال : حدثنا نهر بن أسد عن سليمان بن المغيرة عن أنس قال : وأخبرنا أحمد بن عبد الله المزني ، عن محمد بن عبد الله بن سليمان ، عن محمد بن العلاء عن عبد الله بن بكر السهمي ، عن حميد عن أنس قال : غاب عمى أنس بن النضر - وبه سميت أنس - عن قتال بدر فشق عليه لما قدم وقال : غبت عن أول مشهد شهده رسول الله ﷺ ، والله لئن أشهدنى الله عز وجل قتالاً ليرين الله ما أصنع .

قال : فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون فقال : اللهم إنى أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء المشركون ، وأعتذر إليك مما صنع هؤلاء ، يعنى المسلمين ، ثم مشى بسيفه فلقبه سعد بن معاذ ، فقال : أى سعد والذى نفسى بيده إنى لأجد ريح الجنة دون أحد .

قال سعد : فما استطعت يا رسول الله ما صنع أنس ، فوجدناه بين القتلى به بضع وثمانون جراحة من بين ضربة بسيف وطعنة برمح ورمية بسهم ، وقد مثلوا به ، وما عرفناه حتى عرفته أخته بثناياه ، ونزلت هذه الآية : ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ﴾ .

وَمِنْهُمْ مَّن يَنْظُرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿١٠٠﴾ .

قال : فكنا نقول : نزلت فيه هذه الآية وفي أصحابه . وأخبرنا عبد الله بن حامد عن أحمد ابن محمد بن شاذان عن جيفويه بن محمد الترمذى ، عن صالح بن محمد ، عن سليمان بن حرب ، عن حزم ، عن عروة ، عن عائشة فى قوله : ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّن يَنْظُرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ قالت : منهم طلحة بن عبيد الله ثبت مع رسول الله ﷺ حتى أصيبت يده ، فقال رسول الله ﷺ : أوجب طلحة الجنة .

وإسناده عن صالح عن مسلم بن خالد عن عبد الله بن أبى نجيح أن طلحة بن عبيد الله يوم أحد كان محتصناً للنبي عليه السلام فى الخيل وقد بُهر النبي ﷺ قال : فجاء سهم عابر متوجهاً إلى النبي ﷺ فاتقاه طلحة بيده فأصاب خنصره فقال : حس ثم قال : بسم الله ، فقال النبي عليه السلام : «لو أن بها بدأت لتخطفتك الملائكة حتى تدخلك الجنة» .

وروى معاوية بن إسحاق ، عن عائشة بنت طلحة ، عن عائشة أم المؤمنين قالت : إنى لفى بيتى ورسول الله ﷺ وأصحابه فى الفناء وبينى وبينهم الستر إذ أقبل طلحة فقال رسول الله ﷺ : «من سره أن ينظر إلى رجل يمشى على الأرض وقد قضى نجه فلينظر إلى طلحة» .

وأخبرنى أبو عبد الله بن فنجويه قال : أخبرنى أبو محمد عبد الله بن محمد بن سليمان بن بابويه بن قهرويه قال : أخبرنى أبو عبد الله أحمد بن الحسين بن عبد الجبار الصوفى ، عن محمد ابن عباد الواسطى ، عن مكى بن إبراهيم ، عن الصلت بن دينار ، عن ابن نضر ، عن جابر ، عن أبى عبد الله قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «من سره أن ينظر إلى شهيد يمشى على وجه الأرض فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله» .

﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ كَانَ عَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠١﴾ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴿١٠٢﴾ : من قريش وغطفان ﴿بِعَظْمِهِمْ لَوْ يَتَأَلَوْا خَيْرًا﴾ : نصراً وظفراً ﴿وَكَفَىٰ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ : بالملائكة والريح ﴿وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ .

قوله عز وجل : ﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَهَرُوهُمْ﴾ : يعنى عاونوا الأحزاب من قريش وغطفان على رسول الله ﷺ وأهل الإيمان وهم بنو قريظة ، وذلك أن رسول الله ﷺ لما أصبح من الليلة التى انصرف الأحزاب راجعين إلى بلادهم ، وانصرف (عليه السلام) والمسلمون من الخندق راجعين إلى المدينة ، ووضعوا السلاح ، فلما كان الظهر أتى جبريل رسول الله ﷺ معتماً بعمامة من إستبرق على بغلة عليها رحالة ، عليها قطيفة من ديباج ، ورسول الله ﷺ عند زينب بنت جحش ، وهى تغسل رأسه وقد غسلت شقة فقال : قد وضعت السلاح يا رسول الله ؟ قال :



نعم، قال جبريل: عفا الله عنك، ما وضعت الملائكة السلاح منذ أربعين ليلة، وما رجعت الآن إلا من طلب القوم، إن الله يأمرك يا محمد بالسير إلى بني قريظة فانهض<sup>(١)</sup> إليهم، فإني قد قطعت أوتارهم وفتحت أبوابهم وتركهم في زلزال وبلبال، فأمر رسول الله ﷺ منادياً، فأذن إن من كان سامعاً مطيعاً لا يصلين العصر إلا في بني قريظة.

وقدم رسول الله ﷺ على بن أبي طالب برأيته إليهم وابتدرها الناس؛ فسار على بن أبي طالب حتى إذا دنا من الحصون سمع منها مقالة قبيحة على رسول الله ﷺ منهم، فرجع حتى لقي رسول الله ﷺ بالطريق وقال: يا رسول الله لا عليك أن لا تدنوا من هؤلاء الأخابث.

قال: لم؟ أظنك سمعت لى منهم أذى. قال: نعم يا رسول الله، قال: لو قد رأوني لم يقولوا من ذلك شيئاً، فلما دنا رسول الله ﷺ من حصونهم قال: يا إخوان القردة والخنازير هل أخزاكم الله وأنزل بكم نعمته؟ قالوا: يا أبا القاسم ما كنت جهولاً.

ومر رسول الله ﷺ على أصحابه بالصورين قبل أن يصل إلى بني قريظة فقال: هل مرّ بكم أحد؟ فقالوا: يا رسول الله لقد مرّ بنا دحية بن خليفة الكلبي على بغلة بيضاء عليها رحالة عليها قטיפه ديباج، فقال رسول الله ﷺ: ذاك جبريل بعث إلى بني قريظة، يزلزل بهم حصونهم، ويقذف الرعب في قلوبهم، فلما أتى رسول الله ﷺ بني قريظة نزل على بئر من آبارها من ناحية في أموالهم يقال لها يراقا، فتلاحق به الناس فأتاه رجال من بعد العشاء الآخرة ولم يصلوا العصر، لقول رسول الله ﷺ: لا يصلين أحدكم العصر إلا في بني قريظة، فصلوا العصر بها بعد صلاة العشاء الآخرة، فما عابهم الله بذلك في كتابه، ولا عنفهم به رسول الله ﷺ.

قال: وحاصرهم رسول الله ﷺ خمساً وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار وقذف الله في قلوبهم الرعب، وقد كان حبي بن أخطب دخل على بني قريظة في حصنهم حين رجعت عنهم قريش وغطفان، وقال كعب بن أسد بما كان عاهده، فلما أيقنوا بأن النبي ﷺ غير منصرف عنهم حتى يناجزهم، قال كعب بن أسد لهم: يا معشر اليهود إنه قد نزل بكم من الأمر ما ترون وإنى عارض عليكم خلالات ثلاث، فخذوا أيها شتم، فقالوا: وما هن؟ قال: نتابع هذا الرجل ونصدق فوالله لقد تبين لكم أنه نبي مرسل، وأنه للذي كنتم تجدونه في كتابكم، فتأمّنوا على دياركم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم، قالوا: لا نفارق حكم التوراة أبداً ولا نستبدل به غيره.

(١) في المخطوط: «فانهض». وهو تحريف.

قال: فإذا أبيتهم هذه فهلّم فلنقتل أبناءنا ونساءنا ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالاً مصلتين بالسيوف ولم نترك وراءنا ثقلاً يهمننا حتى يحكم الله بيننا وبين محمد، فإن نهلك نهلك ولم نترك وراءنا شيئاً نخشى عليه، وإن نظهر فلعمري لتتخذن النساء والأبناء، فقالوا: نقتل هؤلاء المساكين فلا خير في العيش بعدهم.

قال: فإن أبيتهم على هذه فإن الليلة ليلة السبت، وأنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد آمنوا فيها، فانزلوا لعلنا أن نصيب من محمد وأصحابه غرة، قالوا: نفسد سبتنا ونحدث فيه ما لم يكن أحدث فيه من كان قبلنا ممن قد علمت، فأصابهم من المسخ ما لم يخف عليك. قال: ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه بليلة واحدة من الدهر حازماً. قال: ثم إنهم بعثوا إلى رسول الله ﷺ أن ابعث إلينا أبا لبابة بن عبد المنذر أخا بنى عمرو بن عوف - وكانوا حلفاء الأوس - نستشيره في أمرنا، فأرسله رسول الله ﷺ إليهم، فلما رأوه قام إليه الرجال ونهش إليه النساء والصبيان ليكون في وجهه، فرق لهم، وقالوا: يا أبا لبابة أترى أن ننزل على حكم محمد؟ قال: نعم، وأشار بيده إلى حلقه، إنه الذبح.

قال أبو لبابة: فوالله ما زالت قدماي حتى عرفت أني قد خنت الله ورسوله، ثم انطلق أبو لبابة على وجهه ولم يأت رسول الله ﷺ حتى ارتبط في المسجد إلى عمود من عمدته، وقال: لا أبرح مكاني حتى يتوب الله علي مما صنعت، وعاهد الله لا يطأ بنى قريظة، ولا يراني الله في بلد خنت الله ورسوله فيه أبداً.

فلما بلغ رسول الله ﷺ خبره وأبطأ عليه، قال: أما لو جاءني لاستغفرت له، فأما إذ فعل فما أنا بالذي أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه، ثم إن الله تعالى أنزل توبة أبي لبابة على رسول الله ﷺ وهو في بيت أم سلمة وقالت أم سلمة: فسمعت رسول الله ﷺ من السحر يضحك فقلت: مم ضحكت يا رسول الله أضحك الله سنك؟

قال: تيب على أبي لبابة، فقالت: ألا أبشره بذلك يا رسول الله؟ قال: بلى إن شئت قال: فقامت على باب حجرتها، وذلك قبل أن يضرب الحجاب عليهن. فقالت: يا أبا لبابة أبشر فقد تاب الله عليك، قال فسار إليه الناس ليطلقوه، فقال: لا والله حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يطلقني بيده. فلما مر عليه خارجاً إلى الصبح أطلقه.

قال: ثم إن ثعلبة بن شعبة وأسيد بن شعبة وأسيد بن عبيد وهم نفر من بنى هزل ليسوا من بنى قريظة ولا النضير، نسبهم فوق ذلك وهم بنو عم القوم، أسلموا تلك الليلة التي نزلت فيها قريظة على حكم رسول الله ﷺ وخرج في تلك الليلة عمرو بن سعدى القرظي، فمر بحرس

رسول الله ﷺ، وعليها محمد بن مسلمة الأنصاري في تلك الليلة، فلما رآه قال: من هذا؟ قال: عمرو بن سعدى، وكان عمرو قد أبى أن يدخل مع بنى قريظة في غدرهم برسول الله ﷺ وقال: لا أغدر بمحمد أبداً، فقال محمد بن مسلمة حين عرفه: اللهم لا تحرمنى عثرات الكرام، ثم خلى سبيله، فخرج على وجهه، حتى بات في مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة تلك الليلة، ثم ذهب فلا يدرى أين ذهب من أرض الله إلى يومه هذا، فذكر لرسول الله ﷺ شأنه فقال: ذاك رجل نجّاه الله بوفائه.

وبعض الناس يزعم أنه أوثق برمة فيمن أوثق من بنى قريظة حين نزلوا على حكم رسول الله ﷺ، فأصبحت رتمه ملقاة لا يدرى أين ذهب، فقال رسول الله ﷺ تلك المقالة والله أعلم. فلما أصبحوا نزلوا على حكم رسول الله ﷺ وتواثبت الأوس، فقالوا: يا رسول الله إنهم موالينا دون الخزرج، وقد فعلت في موالى الخزرج بالأمس ما قد علمت، وقد كان رسول الله ﷺ قبل بنى قريظة حاصر بنى قينقاع، وكانوا حلفاء الخزرج، فنزلوا على حكمه فسألهم إياه عبد الله بن أبى سلول فوهبهم له، فلما كلمته الأوس قال رسول الله ﷺ: «ألا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم؟» قالوا: بلى.

قال: «فذلك إلى سعد بن معاذ». وكان سعد بن معاذ قد جعله رسول الله ﷺ في خيمة امرأة من المسلمين، يقال لها (رفيدة) في مسجده، وكانت تداوى الجرحى، وتحبس نفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين. وكان رسول الله ﷺ قد قال لقومه حين أصابه السهم بالخندق: «اجعلوه في خيمة رفيدة حتى أعوده من قريب».

فلما حكمه رسول الله ﷺ في بنى قريظة، أتاه قومه فاحتملوه على حمار، وقد وطئوا له بوسادة من آدم، وكان رجلاً جسيماً، ثم أقبلوا معه إلى رسول الله ﷺ وهم يقولون: يا أبا عمرو أحسن في مواليك، فإن رسول الله ﷺ إنما ولاءك ذلك لتحسن فيهم، فلما أكثروا عليه قال: قد أتى لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم، فرجع بعض من كان معه إلى دار بنى عبد الأشهل فنعى لهم رجال بنى قريظة قبل أن يصل إليهم سعد بن معاذ عن كلمته التي سمع منه. فلما انتهى رسول الله ﷺ قال: قوموا إلى سيدكم فأنزلوه. فقاموا إليه فقالوا: يا أبا عمرو إن رسول الله ﷺ قد ولاءك مواليك لتحكم فيهم، فقال سعد: عليكم بذلك عهد الله وميثاقه أن الحكم فيها ما حكمت؟ قالوا: نعم، قال: وعلى من ههنا في الناحية التي فيها رسول الله ﷺ وهو معرض عن رسول الله ﷺ إجلالاً له، فقال رسول الله ﷺ: نعم.

قال سعد: فإنى أحكم فيهم، أن يقتل الرجال، وتقسم الأموال، وتسبى النساء

والذراري، فقال رسول الله ﷺ لسعد: لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة أرقعة، ثم استنزلوا فحبسهم رسول الله ﷺ في دار بنت الحارث امرأة من بنى النجار، ثم خرج رسول الله ﷺ إلى سوق المدينة التي هي سوقها اليوم، فخندق بها خندقاً ثم بعث إليهم فضرب أعناقهم، فهم في تلك الخنادق يخرج بهم إليه أرسالاً وفيهم عدو الله حبي بن أخطب، وكعب بن أسد رأس القوم وهم ستمائة أو سبعمائة والمكثر لهم يقول: كانوا من الثمانمائة إلى التسعمائة.

وقيل: قالوا لكعب بن أسد وهو يذهب بهم إلى رسول الله ﷺ أرسالاً: يا كعب ما ترى أن يصنع بنا؟ فقال كعب: في كل موطن لا تعقلون! ألا ترون أن الداعي لا ينزع وأن من يذهب به منكم لا يرجع، هو والله القتل. فلم يزل ذلك دأبهم حتى فرغ منهم رسول الله ﷺ وأتى بحبي بن أخطب عدو الله وعليه حلة تفاحية قد شققها عليه من كل ناحية كموضع الأعملة أعملة أعملة لئلا يسلبها، مجموعة يدها إلى عنقه بحبل، فلما نظر إلى رسول الله ﷺ قال: أما والله ما لمت نفسي في عداوتك، ولكنك من يخذل الله يخذل، ثم أقبل على الناس، فقال: أيها الناس، إنه لا بأس بأمر الله، كتاب الله وقدره، وملحمة كتبت على بنى إسرائيل، ثم جلس فضربت عنقه فقال هبل بن حواس الثعلبي:

لعمرك ما لام ابن أخطب نفسه  
ولكنه من يخذل الله يخذل  
يجاهد حتى أبلغ النفس عذرها  
وقلقل يغبي العز كل مقلقل

وروى عروة بن الزبير عن عائشة قالت: لم يقتل من نساء بنى قريظة إلا امرأة واحدة، قالت: والله إنها لعندي تتحدث معي وتضحك ظهراً، ورسول الله ﷺ يقتل رجالهم بالسوق؛ إذ هتف هاتف باسمها: أين فلانة؟ قالت: أنا والله. قالت: قلت: ويلك ما لك؟ قالت: أقتل. قلت: ولم؟ قالت: حدث أحدثته. قال: فانطلق بها فضربت عنقها، وكانت عائشة تقول: ما أنسى كذا عجباً منها طيب نفس، وكثرة ضحك، وقد عرفت أنها تقتل.

قال الواقدي: واسم تلك المرأة بنانة امرأة الحكم القرظي، وكانت قد قتلت خلاد بن سويد، رمت عليه رجا، فدعا رسول الله ﷺ بها وضربت عنقها بخلاد بن سويد، وكان على والزبير يضربان أعناق بنى قريظة ورسول الله ﷺ جالس هناك.

وروى محمد بن إسحاق عن الزهري أن الزبير بن باطا القرظي - وكان يكنى أبا عبد الرحمن - كان قد من على ثابت بن قيس بن شماس في الجاهلية يوم بعث أخذه فجر ناصيته، ثم خلى سبيله، وجاءه يوم قريظة، وهو شيخ كبير فقال: يا أبا عبد الرحمن هل تعرفني؟ فقال: وهل يجهل مثلى مثلك؟ قال: إني قد أردت أن أجزيك بيدك عندي، قال: إن

الكريم يجزى الكريم، قال: ثم أتى ثابت رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله قد كان للزبير عندى يد وله على منة، وقد أحببت أن أجزيه بها فهب لى دمه، فقال رسول الله ﷺ: «هو لك». فأتاه فقال له: إن رسول الله ﷺ قد وهب لى دمك. فقال: شيخ كبير لا أهل له ولا ولد فما يصنع بالحياة؟ فأتى ثابت رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أهله وولده؟ فقال: «هم لك». فأتاه فقال: إن رسول الله ﷺ قد أعطانى امرأتك وولدك فهم لك. فقال: أهل بيت بالحجاز لا مال لهم فما بقاؤهم على ذلك؟ فأتى ثابت رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ماله. فقال: هو لك، فأتاه فقال: إن رسول الله ﷺ قد أعطانى مالك فهو لك. فقال أى ثابت: ما فعل الذى كأن وجهه مرآة صينية تتراءى فيها عذارى الحى كعب بن أسد قال: قتل. قال: فما فعل سيد الحاضر والبادى حيبى بن أخطب؟ قال: قتل. قال: فما فعل مقدمنا إذا شددنا، وحامينا إذا كررنا أعزال بن سموءل؟ قال: قتل قال: فما فعل المجلسان؟ يعنى بنى كعب بن قريظة وبنى عمرو بن قريظة، قال: ذهبوا قتلوا، قال: وإنى أسألك بيدى عندك يا ثابت إلا ألحقتنى بالقوم، فوالله ما فى العيش بعد هؤلاء من خير، فها أنا صابر لله حتى ألقى الأحبة، فقدّمه ثابت فضرب عنقه، فلماً بلغ قوله أبا بكر ألقى الأحبة، فقال: يلقاهم والله فى نار جهنم خالداً فيها مخلداً أبداً، فقال ثابت بن قيس فى ذلك:

وفت ذمتى أنى كريم وأنتى	صبور إذا ما القوم حادوا عن الصبر
وكان زبير أعظم الناس منة	على فلما شد كوعاه بالأسر
أتيت رسول الله كى ما أفكّه	وكان رسول الله بحرأ لنا يجرى

قالوا: وكان رسول الله ﷺ قد أمر بقتل من أسر منهم، فسألته سليمان بنت قيس أم المنذر أخت سليط بن قيس - وكانت إحدى خالات رسول الله ﷺ وكانت قد صلّت معه القبليتين وبياعته بيعة النساء - رفاعة بن سموءل القرظى وكان رجلاً قد بلغ، فلاذ بها وكان يعرفها قبل ذلك فقال: يا نبى الله بأبى أنت وأمى هب لى رفاعة بن سموءل، فإنه زعم أنه سيصلى ويأكل لحم الجمل، فوهبه لها فاستحيته قالوا: ثم إن رسول الله ﷺ قسم أموال بنى قريظة ونساءهم وأبناءهم على المسلمين، وأعلم فى ذلك اليوم سهمان للخيل وسهمان للرجال، وأخرج منها الخمس، وكان للفارس ثلاثة أسهم: للفارس سهمان وللفراس سهم، وللرّاجل ممن ليس له فرس سهم، وكانت الخيل يوم بنى قريظة ستة وثلاثين فرساً، وكان أول فىء وقع فيه السهمان، وأخرج منه الخمس فعلى سنتها وما مضى من رسول الله فيها وقعت المقاسم ومضت السنّة فى المغازى، ثم بعث رسول الله ﷺ سعد بن زيد الأنصارى أخا بنى عبد الأشهل بسبايا

من سبايا بنى قريظة إلى نجد فابتاع له بهم خيلا وسلاحاً .

وكان رسول الله ﷺ قد اصطفى لنفسه من نسائهم ريحانة بنت عمرو بن حنافة إحدى نساء بنى عمرو بن قريظة فكانت عند رسول الله ﷺ حتى توفي عنها وهى فى ملكه ، وقد كان رسول الله ﷺ يحرص أن يتزوجها ويضرب عليها الحجاب ، فقالت : يا رسول الله بل تركنى فى ملكك فهو أخف على وعلى فتركها ، وقد كانت حين سباها كرهت الإسلام وأبت إلا اليهودية ، فعزلها رسول الله ﷺ ووجد فى نفسه بذلك من أمرها ، فبينما هو مع أصحابه إذ سمع وقع نعلين خلفه ، فقال : إن هذا لثعلبة بن شعبة يبشرنى بإسلام ريحانة ، فجاءه فقال : يا رسول الله قد أسلمت ريحانة فسرّه ذلك .

فلما انقضى شأن بنى قريظة الفجر خرج سعد بن معاذ ، وذلك أنه دعا بعد أن حكم فى بنى قريظة ما حكم فقال : اللهم إنك قد علمت أنه لم يكن قوم أحبّ إلى من أن أجاهدهم من قوم كذبوا رسولك ، اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش على رسولك شيئاً فأبقنى لها ، وإن كنت قطعت الحرب بينه وبينهم فاقبضنى إليك فانفجر كلمه فرجعه رسول الله ﷺ إلى خيمته التى ضرب عليها فى المسجد .

قالت عائشة : فحضره رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر ، فوالذى نفس محمد بيده إنى لأعرف بكاء عمر من بكاء أبى بكر وإنى لفى حجرتى ، قالت : وكانوا كما قال الله عز وجل : ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ (الفتح : ٢٩) .

قال علقمة : أى أمه كيف كان يصنع رسول الله ﷺ ؟ قالت : كانت عينه لا تدمع على أحد ، ولكنه كان إذا اشتد وجده فإنما هو آخذ بلحيته ، قال محمد بن إسحاق : لم يقتل من المسلمين يوم الخندق إلا ستة نفر ، وقتل من المشركين ثلاثة نفر ، وقتل يوم قريظة من المسلمين خلاد بن سويد بن ثعلبة طرحت عليه رحي فشدخته فقط .

ولما انصرف رسول الله ﷺ من الخندق وقريظة قال : الآن نغزوهم - يعنى قريشاً - ولا يغزوننا ، فكان كذلك حتى فتح الله على رسوله مكة ، وكان فتح بنى قريظة فى آخر ذى القعدة سنة خمس للهجرة فذلك قول الله عز وجل : ﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ﴾ أى حصونهم ومعاقلمهم ، واحداها صيصية ، ومنه قيل لقرن البقر صيصية ، ولشوكة الديك والحاقة صيصية ، وقال الشاعر :

❖ كوقع الصياصى فى النسيج الممدد ❖

﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا يَمُوتُونَ﴾ : وهم الرجال ﴿وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ : وهم النساء

والذراري ﴿وَأَوْزَكُمُ أَرْضَهُمْ وَوَدَّيَرَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا أَمْ تَطْغَوْهَا﴾ : بعد . قال يزيد بن رومان وابن زيد ومقاتل : يعنى خير . قتادة : كنا نُحدث أنها مكة . قال الحسن : فارس والروم . عكرمة : كل أرض تفتح إلى يوم القيامة . ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ .



﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلُوبًا لَّأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُن تَرُدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَرِيئَتُهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعُكُمْ وَأَسْرِحُكُمْ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ وَإِن كُنْتُن تَرُدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالِدَارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿يُنِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُن بِفَحِشَةٍ مُّبَيَّنَةٍ يُضَعَّفَ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ ﴿وَمَن يَفْعَلْ مِنكُن مِّثْلَ مَا وَصَّيْنَا فَليُضَعَّفْ لَهَا لَاحِقًا نُؤْتِيهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ ﴿يُنِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِن تَقِيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ ﴿

قوله : ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلُوبًا لَّأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُن تَرُدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَرِيئَتُهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعُكُمْ﴾ : متعة الطلاق ﴿وَأَسْرِحُكُمْ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ وَإِن كُنْتُن تَرُدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالِدَارَ الْآخِرَةَ : فأطعتنهما ﴿فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ : قال المفسرون : كان أزواج النبي ﷺ سألته شيئاً من عرض الدنيا وأذنيه بزيادة النفقة والغيرة ، فهجرهن رسول الله ﷺ . وآلى أن لا يقربهن شهراً ، ولم يخرج إلى أصحابه صلوات (١) ، فقالوا : ما شأنه؟ فقال عمر : إن شئتم لأعلمن لكم ما شأنه ، فأتى النبي عليه السلام فجعل يتكلم ويرفع صوته حتى أذن له ، قال : فجعلت أقول فى نفسى : أى شىء أكلم به رسول الله ﷺ لعله ينبسط؟ فقلت : يا رسول الله لو رأيت فلانة وسألتنى النفقة ، فصككتها صكة فقال : ذلك أجلسنى عنكم .

فأتى عمر حفصة فقال : لا تسألى رسول الله شيئاً ما كانت لك من حاجة فإلى ، قال : ثم تتبع نساء النبي ﷺ فجعل يكلمهن ، فقال لعائشة : أيعزك أنك امرأة حسناء وأن زوجك يحبك لتنتهن أو لينزلن فيكن القرآن ، قال : فقالت له أم سلمة : يا ابن الخطاب أوما بقى لك إلا

(١) هذا مما يؤكد عدم دقة هذه الحكاية ، وأن الآيات النازلة فى حقهن رضى الله عنهن هى آيات وعظية وتحذيرية خاصة بهن لما لهن من مكان ومكانة فى هذا الدين ليكن على المستوى اللائق والمناسب لهن رضى الله عنهن وليس كلما جاء ذكرهن كان هناك خلاف بينهم وبين النبي ﷺ وكيف يقبل العقل أن رسول الله ﷺ يتخلف عن فرائض الله ويترك المسلمين من أجل حدث خاص فى بيته حاشاه ﷺ أن يفعل هذا ومن صلى حين تخلى هو عن الصلاة أيها الناقلون والسامعون للخبر؟ .

أن تدخل بين رسول الله وبين نسائه؟! من يسأل المرأة إلا زوجها؟ فأنزل الله عز وجل هذه الآيات<sup>(١)</sup>.

وكانت تحت رسول الله ﷺ يومئذ تسع نسوة، خمس من قريش عائشة بنت أبي بكر، وحفصة بنت عمر، وأم حبيبة بنت أبي سفيان، وسودة بنت زمعة، وأم سلمة بنت أبي أمية وصفية بنت حبي الخيرية، وميمونة بنت الحارث الهلالية، وزينب بنت جحش الأسدية، وجويرية بنت الحارث المصطلقية، فلما نزلت آية التخيير بدأ رسول الله ﷺ بعائشة، وكانت أحبهن إليه<sup>(٢)</sup>، فخيرها وقرأ عليها القرآن، فاخترت الله ورسوله والدار الآخرة، فرئى الفرح فى وجه رسول الله ﷺ وتابعتها على ذلك.

قال قتادة: فلما اخترن الله ورسوله، شكرهن الله على ذلك، وقصره عليهن وقال: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءَ مِنْ بَعْدُ﴾ (الأحزاب: ٥٢) الآية.

أخبرنا عبد الله بن حامد عن محمد بن الحسين عن أحمد بن يوسف عن عبد الرزاق عن معمر، أخبرنى الزهرى عن عروة عن عائشة قالت: لما مضت تسع وعشرون ليلة دخل على رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، إنك أقسمت أن لا تدخل علينا شهراً وإنك قد دخلت على من تسع وعشرين أعدهن، فقال: إن الشهر تسع وعشرون، ثم قال: يا عائشة إنى ذاكر لك أمراً فلا عليك أن لا تعجلى فيه حتى تستأمرى أبويك، قالت: ثم قرأ على هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكُمْ إِن كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ حتى بلغ ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

قالت عائشة: قد علم والله أن أبوى لم يكونا ليأمرانى بفراقه، قالت: فى هذا أستأمر أبوى؟ فإنى أريد الله ورسوله والدار الآخرة. قال معمر: فحدثنى أيوب أن عائشة قالت: لا تخبر أزواجك أنى اخترتك، فقال النبى ﷺ: إنما بعثنى الله مبلغاً ولم يعثنى متعتاً.

وأخبرنا محمد بن عبد الله بن حمدون عن أحمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن يحيى عن عثمان بن عمر عن يونس عن الزهرى عن أبي سلمة أن عائشة قالت: لما أمر رسول الله ﷺ بتخيير أزواجه بدأ بى، فقال: إنى مخبرك خيراً فلا عليك أن لا تعجلى حتى تستأمرى أبويك،

(١) انظر هل هذا يليق من عمر رضى الله عنه أو من نساء النبى ﷺ ورضى الله عنهن أم يرضاه النبى ﷺ من أحد أصحابه على نسائه أعادنا الله تعالى وإياكم من قبول مثل هذا فى حق آل النبى ﷺ وفى أصحابه رضى الله عنهم.

(٢) إنما كان هذا الحب الذى خُصَّت به السيدة عائشة رضى الله عنها والذى شاع إنما كان سببه الأول هو حب أبى بكر، ثم صغر سنها رضى الله عنها فقد تزوجها ولها تسع سنين فكان يخصها ببعض التذليل الذى يليق بسنها فينظر إليها تلعب بالعراس والأحصنة ذات الأجنحة وكان يجلسها خلفه لتنظر إلى الحيش وهم يلعبون وكل هذا تقديراً لعامل السن الذى تمر به لا لشيء آخر مما يشاع من أنها حمراء وما شابه هذا.



ثم قال: إن الله عز وجل قال: ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ قُلُوبٌ لَّا رِجَالٌ لَّهَا لَازِجَاتٌ مِّن لَّا رَأَىٰ لَهَا كَظِيمًا﴾ حتى بلغ ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

قالت: (فقلت)<sup>(١)</sup>: في هذا أستأمر أبوي؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة. قالت: ثم فعل أزواج النبي ﷺ مثل ما فعلت.

قوله: ﴿يُنسَاءُ النَّبِيَّ مَن يَأْتِ مِنْكُنَّ﴾ قرأ الجحدري بالتاء. غيره بالياء. ﴿بِفَحْشَةٍ مُّبِينَةٍ﴾ بمعصية ظاهرة ﴿يُضَعَّفُ لَهَا الْعَذَابُ﴾ في الآخرة ﴿ضِعْفَيْنِ﴾ وقرأ ابن عامر وابن كثير: ﴿نُضَعَّفُ﴾ بالنون وكسر العين مشدداً من غير ألف (العذاب) نصباً.

وقرأ أبو عمرو ويعقوب (يُضَعَّفُ) بالياء وفتح العين مشدداً ﴿الْعَذَابُ﴾ رفعاً. قال أبو عمرو: إنما قرأت هذه وحدها بالتشديد لقوله: ﴿ضِعْفَيْنِ﴾ وقرأ الباقون نضاعف بالألف ورفع الباء من ﴿الْعَذَابُ﴾ وهما لغتان مثل باعد وبعد.

وقال أبو عمرو وأبو عبيدة: ضعفت الشيء إذا جعلته مثله، ومضاعفته جعلته أمثاله. ﴿وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ قوله: ﴿وَمَنْ يَقْنُتْ﴾: يطع.

قال قتادة: كل قنوت في القرآن فهو طاعة وقراءة العامة (تقنت) بالتاء وقرأ يحيى والأعمش وحمزة والكسائي وخلف (تَعَمَّلَ) (نَوَّهَهَا) بالياء. غيرهم بالتاء.

قال الفراء: إنما قال (يأت) (ويقنت) لأنَّ مَنْ أَدَاةٌ تَقُومُ مَقَامَ الْأَسْمِ يَعْبِرُ بِهِ عَنِ الْوَاحِدِ وَالْإِثْنَيْنِ وَالْجَمْعِ وَالْمَذْكَرِ وَالْمُؤنَّثِ. قال الله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَنْظُرُ إِلَيْكَ﴾ (يونس: ٤٣). وقال: ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ (يونس: ٤٢)، وقال: ﴿وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ﴾. وقال الفرزدق في الاثنتين:

تعال فإن عاهدتني لا تخونني تكن مثل من يا ذئب يصطحبان

﴿مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعَمَّلُ صَالِحًا نُؤْتِيهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾: أي مثلى غيرهن من النساء. ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾: يعني الجنة.

أخبرني أبو عبد الله بن فنجويه، عن عبد الله بن يوسف بن أحمد بن مالك، عن محمد بن عمران بن هارون، عن أحمد بن منيع، عن يزيد، عن حماد بن سلمة، عن ثابت عن أبي رافع قال: كان عمر يقرأ في صلاة الغداة بسورة يوسف والأحزاب، فإذا بلغ: ﴿يُنسَاءُ النَّبِيَّ﴾ رفع

(١) زيادة يتطلبها السياق ولو سلمنا بصحة القصة لكان أمره لها هنا بأن تخبر أبويها إنما هو حرص منه على مصلحتها لقلّة خبرتها نظراً لصغر سنّها لا لوانع نفسى أو خوف أن تختار غيره فيخسرّها هو وإنما: ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾.

بها صوته، فقيل له، فقال: أذكرهنّ العهد.

واختلف العلماء فى حكم التخيير، فقال عمر وابن مسعود: إذا خير الرجل امرأته فاختارت زوجها فلا شىء عليه، وإن اختارت نفسها طلقت وإلى هذا ذهب مالك.

وقال الشافعى: إن نوى الطلاق فى التخيير كان طلاقاً وإلا فلا. واحتج من لم يجعل التخيير بنفسه طلاقاً، بقوله: ﴿وَأَسْرَحْنَ سَرَّاحًا جَمِيلًا﴾، ويقول عائشة: خيرنا رسول الله ﷺ فاختارناه، فلم نعد طلاقاً.

قوله: ﴿يُنِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ﴾ الله فأطعته. قال الفراء: لم يقل كواحدة، لأن الأحد عام يصلح للواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث. قال الله تعالى: ﴿لَا تَقْرُقْ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ (البقرة: ٢٨٥) وقال: ﴿فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ (الحاقة: ٤٧).

﴿فَلَا تَخْضَعْنَ﴾: تلنّ ﴿بِالْقَوْلِ﴾: للرجال ﴿فَيَطْمَعُ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾: أى فجور وضعف إيمان ﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾: صحيحاً جميلاً.

﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾

﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ قرأ أبو جعفر وشيبة ونافع وعاصم بفتح القاف. غيرهم بالكسر، فمن فتح القاف فمعناه واقرن، أى الزمن بيوتكن، من قولك قررت فى المكان، أقرّ قراراً. وقررت أقر لغتان فحذفت الراء الأولى التى هى عين الفعل ونقلت حركتها إلى القاف فانفتحت كقولهم فى ظللت وظلّت.

قال الله تعالى: ﴿فَطَلَّتُمْ تَقَكُّهُونَ﴾ (الواقعة: ٦٥) ﴿ظَلَّتْ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾ (طه: ٩٧) والأصل ظللت فحذفت إحدى اللامين، ودليل هذا التأويل قراءة ابن أبى عبلة واقرن بفتح الراء على الأصل فى لغة من يقول: قررت أقرّ قراراً.

وقال أبو عبيدة: وكان أشياخنا من أهل العربية ينكرون هذه القراءة وهى جائزة عندنا مثل قوله: ﴿فَطَلَّتُمْ﴾ ومن كسر القاف فهو أمر من الوقار كقولك من الوعد: عدن ومن الوصل صلن، أى كن أهل وقار أى هدوء وسكون وتودة من قولهم: وقر فلان يقر وقوراً إذا سكن واطمأن.

أخبرنى أبو عبد الله بن فنجويه الدينورى قال: أخبرنى أبو بكر بن مالك، عن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: حدثنى أبى، عن عبد الرحمن بن مهدى، عن سفيان، عن الأعمش عن أبى الضحى قال: حدثنى من سمع عائشة تقرأ ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ فتبكى حتى تبل خمارها.

أخبرنا عبد الله بن محمد عن حامد بن خالد، عن داود بن سليمان، عن عبد الله بن حميد، عن يزيد بن هارون، عن هشام، عن محمد قال: نُبئتُ أَنَّهُ قيل لسودة زوج النبي عليه السلام: ما لك لا تحجّين ولا تعتمرين كما يفعلن أخواتك؟ فقالت: قد حججت واعتمرت، وأمرني الله تعالى أن أفرّ في بيتي، فوالله لا أخرج من بيتي حتى أموت.

قال: فوالله ما خرجت من باب حجرتها حتى أخرجت جنازتها. قوله: ﴿وَلَا تَبْرَجْنَ﴾ قال مجاهد وقتادة: التبرج التبخر والتكبر والتغنج وقيل: هو إظهار الزينة وإبراز المحاسن للرجال ﴿تَبْرُجُ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾: واختلفوا فيها. قال الشعبي: هي ما بين عيسى ومحمد عليهما السلام. أبو العالية: هي زمن داود وسليمان وكانت المرأة تلبس قميصاً من الدر غير مخيط الجانبين فيرى خلفها فيه.

الكلبي: الجاهلية التي هي الزمان الذي فيه ولد إبراهيم (عليه السلام)، وكانت المرأة من أهل ذلك الزمان تتخذ الدرع من اللؤلؤ فتلبسه ثم تمشى وسط الطريق ليس عليها شيء غيره، وتعرض نفسها على الرجال، وكان ذلك في زمان عمروذ الجبار، والناس حينئذ كلهم كفار. الحكم: هي ما بين آدم ونوح ثمانمائة سنة، وكان نساؤهم أقبح ما يكون من النساء ورجالهم حسان. فكانت المرأة تريد الرجل على نفسها.

وروى عكرمة عن ابن عباس أنه قرأ هذه الآية فقال: إن الجاهلية الأولى فيما بين نوح وإدريس (عليهما السلام) وكانت ألف سنة، وإن بطنين من ولد آدم كان أحدهما يسكن السهل والآخر يسكن الجبل، وكان رجال الجبل صباحاً وفي النساء دمامة وكان نساء السهل صباحاً وفي الرجال دمامة، وإن إبليس أتى رجلاً من أهل السهل في صورة غلام، فأجر نفسه منه، فكان يخدمه، واتخذ إبليس شيئاً مثل الذي يزمر فيه الرعاء، فجاء بصوت لم يسمع الناس مثله فبلغ ذلك من حولهم، فانتابوه يستمعون إليه، واتخذوا عيداً يجتمعون إليه في السنة، فتتبرج النساء للرجال وتزين الرجال لهن، وإن رجلاً من أهل الجبل هجم عليهم، وهم في عيدهم ذلك فرأى النساء وصباحتهن فأتى أصحابه فأخبرهم بذلك فتحولوا إليهم فنزلوا معهم، فظهرت الفاحشة فيهن<sup>(١)</sup>. فهو قول الله عز وجل: ﴿وَلَا تَبْرَجْنَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾.

وقال قتادة: هي ما قبل الإسلام ﴿وَأَقْنِ الصَّلَاةَ وَآتَيْنِ الزَّكَاةَ وَأَطَعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ﴾ الإثم الذي نهى الله النساء عنه. قاله مقاتل. وقال قتادة: يعنى السوء.

(١) هذا تأويل لا دليل عليه فلا يعتد به وإنما المراد تحذير النساء من إظهار المفاتن بعد أن من الله تعالى عليهن بالعفة والتستر ورزقهن حياء الدين وعفة العرض بالإسلام والإيمان ونزول القرآن.

وقال ابن زيد: يعنى الشيطان.

﴿أَهْلَ الْبَيْتِ﴾: يعنى يا أهل بيت محمد ﴿أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾: من نجاسات الجاهلية. وقال مجاهد ﴿الرَّجْسَ﴾ الشكّ ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ من الشرك. واختلفوا فى المعنى بقوله سبحانه: ﴿أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ فقال قوم: عنى به أزواج النبى عليه السلام خاصة، وإنّما ذكر الخطاب لأن رسول الله ﷺ كان فيهم وإذا اجتمع المذكر والمؤنث غلب المذكر.

أخبرنا عبد الله بن حامد، عن محمد بن جعفر، عن الحسن بن على بن عفان قال: أخبرنى أبو يحيى، عن صالح بن موسى عن خصيف، عن سعيد بن جبیر، عن ابن عباس قال: أنزلت هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ الآية فى نساء النبى ﷺ قال: وتلا عبد الله: ﴿وَأَذْكُرَنَّ مَا بُدِّلَ فِي بُيُوتِكُمْ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾.

وأخبرنا عبد الله بن حامد، عن أحمد بن محمد بن يحيى العبيدى، عن أحمد بن نجدة عن الحماني عن ابن المبارك عن الأصبع بن علقمة. (ح)<sup>(١)</sup> وأنبأني عقيل بن محمد قال: أخبرنى المعافى بن زكريا عن محمد بن جرير قال: أخبرنى ابن حميد عن يحيى بن واضح عن الأصبع ابن علقمة، عن عكرمة فى قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ قال: ليس الذى تذهبون إليه، إنّما هو فى أزواج النبى ﷺ خاصة.

قال: وكان عكرمة ينادى بهذا فى السوق. وإلى هذا ذهب مقاتل قال: يعنى نساء النبى ﷺ كلهن ليس معهن رجل.

وقال آخرون: عنى به رسول الله ﷺ علياً وفاطمة والحسن والحسين رضى الله عنهم. وأخبرنى عقيل بن محمد الجرجاني عن المعافى بن زكريا البغدادي، عن محمد بن جرير، حدثنى ابن المثنى عن بكر بن يحيى بن ريان الغبرى، عن مسدل، عن الأعمش، عن عطية، عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله ﷺ: «نزلت هذه الآية فىّ وفى على وحسن وحسين وفاطمة» ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾.

وأخبرنا أبو عبد الله بن فنجويه قال: أخبرنى أبو بكر بن مالك القطيعى، عن عبد الله بن أحمد بن حنبل، عن أبيه، عن أبى عبد الله بن نمير، عن عبد الملك يعنى ابن أبى سليمان، عن عطاء بن أبى رباح، حدثنى من سمع أم سلمة تذكر أن النبى ﷺ كان فى بيتها فأنته فاطمة بريمة فيها حريرة فدخلت بها عليه، فقال لها: ادعى زوجك وابنيك، قالت: فجاء على وحسن

(١) زيادة حديثية يتطلبها سياق الإسناد.

وحسين فدخلوا عليه فجلسوا يأكلون من تلك الحريرة وهو على منامة له على دكان تحته كساء خيبرى، قالت: وأنا فى الحجرة أصلى فأنزل الله تعالى هذه الآية ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

قالت: فأخذ فضل الكساء فغشاهم به ثم أخرج يده فالوى بها إلى السماء ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتى وحامتى فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً. قالت: فأدخلت رأسى البيت فقلت: وأنا معكم يا رسول الله؟ قال: إنك إلى خير، إنك إلى خير.

وأخبرنى الحسين بن محمد بن عبد الله الثقفى، عن عمر بن الخطاب، عن عبد الله بن الفضل، عن الحسن بن على، عن يزيد بن هارون، عن العوام بن حوشب، حدثنى ابن عم لى من بنى الحارث بن تيم الله يقال له: (مجمع)، قال: دخلت مع أمى على عائشة، فسألتهامى، فقالت: رأيت خروجك يوم الجمل؟ قالت: إنه كان قدراً من الله سبحانه، فسألتهامى، فقالت: تسألينى عن أحب الناس كان إلى رسول الله ﷺ، وزوج أحب الناس كان إلى رسول الله، لقد رأيت علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً جمع رسول الله ﷺ ثوب عليهم ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتى وحامتى فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

قالت: فقلت: يا رسول الله أنا من أهلك؟ قال: تنحى فإنك إلى خير. وأخبرنى الحسين بن محمد عن أبى حبيش المقرئ قال: أخبرنى أبو القاسم المقرئ قال: أخبرنى أبو زرعة، حدثنى عبد الرحمن بن عبد الملك بن شيبه، أخبرنى ابن أبى فديك حدثنى ابن أبى مليكة عن إسماعيل بن عبد الله بن جعفر الطيار عن أبيه، قال: لما نظر رسول الله ﷺ إلى الرحمة هابطة من السماء قال: من يدعو؟ مرتين، فقالت زينب: أنا يا رسول الله، فقال: ادعى لى علياً وفاطمة والحسن والحسين. قال: فجعل حسناً عن يمينه وحسيناً عن يساره وعلياً وفاطمة وجاهه ثم غشاهم كساء خبيرياً. ثم قال: اللهم لكل نبى أهل، وهؤلاء أهلى، فأنزل الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ الآية.

فقالت زينب: يا رسول الله ألا أدخل معكم؟ فقال رسول الله ﷺ: «مكانك فإنك إلى خير إن شاء الله».

وأخبرنى الحسين بن محمد عن عمر بن الخطاب<sup>(١)</sup> عن عبد الله بن الفضل قال: أخبرنى أبو بكر بن أبى شيبه عن محمد بن مصعب عن الأوزاعى، عن عبد الله بن أبى عمارة قال: دخلت

(١) فى المخطوط: بعده رضى الله عنه ظناً من الناسخ أنه الصحابى المعروف بأمير المؤمنين، وإنما هذا محدث من شيوخ شيوخ المؤلف. رحمنا الله وإياهم جميعاً.

على وائلة بن الأسقع وعنده قوم فذكروا علياً فشموه فشمته ، فلما قاموا قال لى : أشتمت هذا الرجل ؟ قلت : قد رأيت القوم قد شتموه فشمته معهم .

فقال : ألا أخبرك ما سمعت من رسول الله ﷺ ؟ قلت : بلى ، قال : أتيت فاطمة أسألها عن علي فقالت : توجه إلى رسول الله ﷺ فجلست فجاء رسول الله ﷺ ومعه علي والحسن والحسين كل واحد منهما أخذ بيده حتى دخل ، فأدنى علياً وفاطمة فأجلسهما بين يديه وأجلس حسناً وحسيناً كل واحد منهما على فخذه ، ثم لفّ عليهم ثوبه أو قال كساءه ، ثم تلا هذه الآية : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ ثم قال : اللهم هؤلاء أهل بيتي وأهل بيتي أحقّ .

وقيل : هم بنو هاشم . أخبرني ابن فنجويه عن ابن حبيش المقرئ عن محمد بن عمران قال : حدثنا أبو كريب قال : أخبرني وكيع عن أبيه عن سعيد بن مسروق عن يزيد بن حيان عن زيد بن أرقم قال : قال رسول الله ﷺ أنشدكم الله في أهل بيتي مرتين ، قلنا لزيد بن أرقم ومن أهل بيته ؟ قال : الذين يحرمون الصدقة آل علي وآل عباس وآل عقيل وآل جعفر .

وأخبرني أبو عبد الله ، قال : أخبرني أبو سعيد أحمد بن علي بن عمر بن حبيش الرازي عن أحمد بن عبد الرحمن الشبلي أبو عبد الرحمن قال : أخبرني أبو كريب عن معاوية بن هشام عن يونس بن أبي إسحاق عن نبيع أبي داود عن أبي الحمراء قال : أقمت بالمدينة تسعة أشهر كيوم واحد ، وكان رسول الله ﷺ يجيء كل غداة فيقوم على باب علي وفاطمة فيقول الصلاة ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ .

وأخبرني أبو عبد الله ، حدثني عبد الله بن يوسف بن أحمد بن مالك ، عن محمد بن إبراهيم بن زياد الرازي ، عن الحارث بن عبد الله الخازن ، عن قيس بن الربيع ، عن الأعمش ، عن عباية بن الربيع ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « قسم الله الخلق قسمين فجعلني في خيرهما قسماً ، فذلك قوله عزّ وجلّ : ﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴾ (الواقعة : ٢٧) فأنا خير أصحاب اليمين» .

ثم جعل القسمين أثلاثاً فجعلني في خيرها ثلاثاً ، فذلك قوله : ﴿ وَكَثُرَ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴾ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴾ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿ (الواقعة : ٧-١٠) فأنا من السابقين وأنا من خير السابقين ثم جعل الأثلاث قبائل فجعلني في خيرها قبيلة فذلك قوله : ﴿ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ ﴾ (الحجرات : ١٣) الآية ، وأنا أنقى ولد آدم وأكرمهم على الله ولا فخر .

ثم جعل القبائل بيوتاً فجعلني في خيرها بيتاً فذلك قوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾.



﴿وَأَذَكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنَاتِينَ وَالْقَنَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَشِيعِينَ وَالْخَشِيعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّامِتِينَ وَالصَّامِتَاتِ وَالْحَنَفِظِينَ وَالْحَنَفِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ وَمَا كَانَ لِلْمُؤْمِنِ وَلَا الْمُؤْمِنَةِ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلًّا مُبِينًا﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَعَمَّتْ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾

﴿وَأَذَكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾: يعنى القرآن ﴿وَالْحِكْمَةِ﴾: السنة، عن قتادة، وقال مقاتل: أحكام القرآن ومواعظه ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾.

وقوله: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ الآية. وذلك أن أزواج النبي ﷺ قلن: يا رسول الله ذكر الله الرجال في القرآن ولم يذكر النساء بخير فما فينا خير نذكر به، إننا نخاف أن لا تقبل منا طاعة، فأنزل الله عز وجل هذه الآية<sup>(١)</sup>.

وقال مقاتل: قالت أم سلمة بنت أبي أمية وأنيصة بنت كعب الأنصارية للنبي ﷺ: ما بال

(١) ما أظن هذه الأقوال ونظائرها صادرة عن هؤلاء العلماء الأفاضل، فإنه من المعلوم أن القرآن لا ينزل على هوى البشر، أيًا كانوا وإنما نزل من عند الله تعالى منجماً بعد أن كان كله عنده جملة واحدة قبل أن يسلم المسلمون لله تعالى رجالاً ونساءً، ولو تصادف نزول بعض الآيات مع بعض الأحداث فليس المعنى أنه من أجل كذا أنزل كذا ولكنه توافق قدرى.

ربنا يذكر الرجال ولا يذكر النساء في شيء من كتابه؟ نخشى أن لا يكون فيهن خير ولا الله فيهن حاجة، فنزلت هذه الآية.

روى عثمان بن حكيم عن عبد الرحمن بن شيبه قال: سمعت أم سلمة زوج النبي عليه السلام تقول: قلت للنبي عليه السلام: يا رسول الله ما لنا لا نذكر في القرآن كما يُذكر الرجال؟

قلت: فلم يرعنى ذات يوم ظهراً إلا بدواه على المنبر وأنا أسرح رأسى فلفقت شعري ثم خرجت إلى حجرة من حجر بيتي فجعلت سمعى عند الجريدة، فإذا هو يقول على المنبر: يا أيها الناس إن الله عز وجل يقول في كتابه: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ . . . إلى قوله: ﴿وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ .

وقال مقاتل بن حيان: بلغني أن أسماء بنت عميس رجعت من الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب، فدخلت على نساء رسول الله ﷺ فقالت: هل نزل فينا شيء من القرآن؟ قلن: لا، فأتت رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إن النساء لفي خيبة وخسار، قال رسول الله ﷺ: ومم ذلك؟ قالت: لأنهن لا يذكرن بخير كما يذكر الرجال، فأنزل الله عز وجل: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ إلى آخر الآية.

أخبرني ابن فنجويه عن ابن شبة عن الفراتي عن إبراهيم بن سعيد، عن عبيد الله عن شيبان، عن الأعمش، عن علي بن الأرقم، عن الأغر أبي مسلم، عن أبي سعيد وأبي هريرة قالوا: قال رسول الله ﷺ: من استيقظ من الليل وأيقظ امرأته فصلياً جميعاً ركعتين كتبا من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات.

وأخبرنا عبد الله بن حامد الوزان، عن أحمد بن محمد بن شاذان عن جيجويه بن محمد، عن صالح بن محمد عن سليمان بن عمرو، عن حنظلة التميمي، عن الضحاك بن مزاحم، عن ابن عباس قال: جاء إسرافيل إلى النبي ﷺ فقال: قل يا محمد: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله عدد ما علم وزنة ما علم وملء ما علم، من قالها كتبت له ست خصال، كتب من الذاكرين الله كثيراً، وكان أفضل ممن ذكره الليل والنهار، وكان له غرس في الجنة، وتحات عنه ذنوبه كما تحات ورق الشجر اليابسة، ونظر الله إليه، ومن نظر الله إليه لم يعدبه.

وقال مجاهد: لا يكون العبد من الذاكرين الله كثيراً حتى يذكر الله تعالى قائماً وقاعداً ومضطجعاً. قال عطاء بن أبي رباح: من فوض أمره إلى الله فهو داخل في قوله: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ



وَالْمُسْلِمَاتِ ﴿ وَمِنْ أَقْرَبَ بَأَنَّ اللَّهَ رَبَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُهُ ، وَلَمْ يَخَالَفْ قَلْبُهُ لِسَانَهُ ، فَهُوَ دَاخِلٌ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ وَمَنْ أَطَاعَ اللَّهَ فِي الْفَرْضِ وَالرَّسُولَ فِي السَّنَةِ فَهُوَ دَاخِلٌ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ ﴾ وَمَنْ صَانَ قَوْلَهُ عَنِ الْكُذْبِ فَهُوَ دَاخِلٌ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ ﴾ وَمَنْ صَبَرَ عَلَى الطَّاعَةِ وَعَنِ الْمَعْصِيَةِ وَعَلَى الرِّزْيَةِ فَهُوَ دَاخِلٌ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ ﴾ وَمَنْ صَلَّى فَلَمْ يَعْرِفْ مِنْ عَنِ يَمِينِهِ وَيَسَارِهِ فَهُوَ دَاخِلٌ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ ﴾ وَمَنْ تَصَدَّقَ فِي كُلِّ أُسْبُوعٍ بِدَرَاهِمٍ فَهُوَ دَاخِلٌ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ ﴾ وَمَنْ صَامَ فِي كُلِّ شَهْرٍ أَيَّامَ الْبَيْضِ ، الثَّلَاثَ عَشَرَ وَالرَّابِعَ عَشَرَ وَالْخَامِسَ عَشَرَ فَهُوَ دَاخِلٌ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ ﴾ وَمَنْ حَفِظَ فَرْجَهُ عَمَّا لَا يَحِلُّ فَهُوَ دَاخِلٌ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ ﴾ وَمَنْ صَلَّى الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ بِحَقِّهَا فَهُوَ دَاخِلٌ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ .

قوله عز وجل: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ ﴾ الآية . نزلت في زينب بنت جحش بن رثاب ابن النعمان بن حبرة بن مرة بن غنم بن دودان الأسدية ، وأخيها عبد الله بن جحش ، وكانت زينب بنت آمنه بنت عبد المطلب عمّة النبي ﷺ ، فخطبها رسول الله ﷺ على مولاه زيد بن حارثة ، وكان رسول الله ﷺ اشتري زيداً في الجاهلية من عكاظ ، وكان من سبى الجاهلية فأعتقه وتبناه ، فكان زيد عربياً في الجاهلية مولى في الإسلام .

فلما خطب رسول الله ﷺ زينب رضيت ، ورأت أنه يخطبها على نفسه فلما علمت أنه يخطبها على زيد أبت وأنكرت وقالت : أنا أتم نساء قريش وابنة عمك ، فلم أكن لأفعل يا رسول الله ولا أرضاه لنفسى ، وكذلك قال أخوها عبد الله ، وكانت زينب بيضاء جميلة ، وكانت فيها حدة فأنزل الله عز وجل ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ ﴾ يعنى عبد الله بن جحش وزينب أخته ﴿ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ ﴾ قرأ أهل الكوفة وأيوب بالياء واختاره أبو عبيد قال : للحائل بين التأنيث والفعل ، وكذلك روى هشام عن أهل الشام وقرأ الباقون بالتاء .

﴿ لَهُمُ الْخَيْرَةُ ﴾ : أى الاختيار وقراءة العامة (الخيرة) بكسر الحاء وفتح الياء ، وقرأ ابن السميع بسكون الياء وهما لغتان : ﴿ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴾ فلما نزلت هذه الآية قالت : قد رضيت يا رسول الله ، وجعلت أمرها بيد رسول الله ﷺ ، وكذلك أخوها فأنكحها رسول الله ﷺ زيداً ، فدخل بها ، وساق إليها رسول الله ﷺ عشرة دنانير وستين درهماً وخمراً وملحفة ودرعاً وإزاراً وخمسين مداً من طعام وثلاثين صاعاً من تمر .

وقال ابن زيد : نزلت هذه الآية في أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ، وكانت أول من هاجر

من النساء، فوهبت نفسها للنبي ﷺ، فقال: قد قبلتُ، فزوجها زيد بن حارثة فسخطت هي وأخوها وقالوا: إنما أردنا رسول الله ﷺ فزوجنا عبده فأنزل الله عز وجل: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ الآية.

وذلك أن زينب مكثت عند زيد حيناً، ثم إن رسول الله ﷺ أتى زيداً ذات يوم لحاجة، فأبصرها قائمة فى درع وخمار فأعجبته، وكانها وقعت فى نفسه فقال: سبحان الله مقلّب القلوب! وانصرف.

فلما جاء زيد، ذكرت ذلك له فظن زيد، كرهت إليه فى الوقت، فألقى فى نفس زيد كراهتها، فأراد فراقها، فأتى رسول الله ﷺ فقال: إنى أريد أن أفارق صاحبتي. قال: ما لك؟ أراك منها شىء؟ قال: لا والله يا رسول الله ﷺ ما رأيت منها إلا خيراً، ولكنها تتعظم على بشرتها وتؤذنى بلسانها، فقال له النبي ﷺ: أمسك عليك زوجك واتق الله، ثم إن زيداً طلقها بعد ذلك، فلما انقضت عدتها، قال رسول الله ﷺ لزيد: ما أجد أحداً أوثق فى نفسى منك. أتت زينب فاخطبها على.

قال زيد: فانطلقت، فإذا هى تخمر عجينها، فلما رأيتها، عظمت فى صدرى حتى ما أستطيع أن أنظر إليها حين علمت أن رسول الله ﷺ ذكرها فوليتها ظهري، وقلت: يا زينب أبشرى فإن رسول الله يخطبك، وفرحت بذلك وقالت: ما أنا بصانعة شيئاً حتى أوامر ربي، فقامت إلى مسجدها وأنزل القرآن: ﴿زَوَّجْنَاكَهَا﴾ فتزوجها رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup> ودخل بها، وما أولم على امرأة من نسائه ما أولم عليها، ذبح شاة وأطعم الناس الخبز واللحم حتى امتد النهار، فذلك قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِالْإِسْلَامِ﴾ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ ﴿بالإعتاق وهو زيد بن حارثة﴾ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ ﴿: يعنى زينب بنت جحش وكانت ابنة عمّة النبي ﷺ.

﴿وَأَتَى اللَّهَ﴾: فيها ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾: أن لو فارقها تزوجتها.

(١) معاذ الله أن تقع فى نفس رسول الله ﷺ امرأة لا تحل فأنبأ الله تعالى معصومون من مثل هذه السقطات التي يتعرض لها البشر العاديون، بعصمة الله تعالى لهم، وفى هذه القصة غمز للنبي ﷺ من واضعها، وكيف يكون هذا وهو الذى علم البشر آداب الاستئذان وبين أن الإذن من أجل النظر، وغير ذلك كلام كثير فى هذه الحكاية وما قوله عز وجل فى الآيات هنا: ﴿وتخفى فى نفسك ما الله مبديه﴾ إلا كقوله فى قصة يوسف عليه السلام: ﴿ولقد هممت به وهم بها﴾ فكلا نكل علمه إلى الله عز وجل مع تبرئه رسل الله من كل عيب أو نقص ونظن الخير كل الخير بهم وفيهم فى كل حال، فعليك أخى القارئ أن تنتبه إلى ما يقال فى حق النبي ﷺ وفى آل بيته الكرام ولا تقبل فى حقهم إلا ما يليق بمنزلتهم التى أنزلهم الله إياها رزقنا الله وإياك الهدى وحسن الختام.

قال ابن عباس: حبها<sup>(١)</sup>. وقال قتادة: ودَّ أنه لو طلقها<sup>(١)</sup>. ﴿وَتَخَشَى النَّاسَ﴾: قال ابن عباس والحسن: تستحيهم، وقيل: وتخاف لائمة الناس أن يقولوا أمر رجلاً بطلاق امرأته ثم نكحها حين طلقها. ﴿وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَهُ﴾: قال عمر وابن مسعود وعائشة: ما نزلت على رسول الله ﷺ آية هي أشد عليه من هذه الآية.

وأخبرني الحسين بن محمد الثقفي عن الفضل بن الفضل الكندي قال: أخبرني أبو العباس الفضل بن عقيل النيسابوري، عن محمد بن سليمان قال: أخبرني أبو معاوية عن داود بن أبي هند، عن الشعبي، عن مسروق، عن عائشة قالت: لو كتم النبي ﷺ شيئاً مما أوحى إليه لكتم هذه الآية ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾.

وقد روى عن زين العابدين في هذه الآية ما أخبرني أبو عبد الله بن فنجويه عن طلحة بن محمد وعبد الله بن أحمد بن يعقوب قالوا: قال أبو بكر بن مجاهد عن أبي مهرا، حدثني محمد بن يحيى أبو عمر العرنى، عن سفيان بن عيينة قال: سمعناه من علي بن زيد بن جدعان يبيده ويعيده قال: سألتني علي بن الحسين: ما يقول الحسن في قوله عز وجل: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَهُ﴾؟

فقلت يقول: لما جاء زيد إلى النبي ﷺ فقال: يا نبي الله إنى أريد أن أطلق زينب، فأعجبه<sup>(٢)</sup> ذلك، قال: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ﴾ قال علي بن الحسين: ليس كذلك، كان الله عز وجل قد أعلمه أنها ستكون من أزواجه فإن زيدا سيطلقها فلما جاء زيد قال: إنى أريد أن أطلق زينب، فقال: أمسك عليك زوجك واتق الله. يقول: فلم قلت: أمسك عليك زوجك، وقد أعلمت أنك ستستكون من أزواجك. وهذا التأويل مطابق للتلاوة وذلك أن الله عز وجل حكم وأعلم إبداء ما أخفى، والله لا يخلف الميعاد، ثم لم نجد عز وجل أظهر من شأنه غير التزويج بقوله: ﴿زَوْجَنَا كَهَا﴾.

فلو كان أضمر رسول الله ﷺ محبتها، أو أراد طلاقها، لكان لا يجوز على الله تعالى كتمانها مع وعده أن يظهره، فدل ذلك على أنه عليه السلام إنما عوتب على قوله: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ مع علمه بأنها ستكون زوجته، وكتمانها ما أخبره الله سبحانه به حيث استحيا أن

(١) ما أظن مثل هذا الألفاظ تصدر عن مثل من لهم صدارة في العلم والتفسير ولا يليق بهما أن يقولوا مثل هذه الألفاظ وهما العالمان بعصمة النبي ﷺ وحق حرمة امرأة في عصمة زوجها وما عرفنا حقها وصون مكانتها غيره ﷺ فليس هو ولا أحد من الأنبياء يليق في حقه مثل هذا القول، وقائله في إيمانه نظر أو فليراجع إيمانه.

(٢) لا أتكلم عن ضعف الرواية ولكن أنظر إلى عيب من عيوب المتن في هذا اللفظ مثلاً هل يليق ذلك به ﷺ.

يقول يزيد: إن التي تحتك ستكون امرأتى والله أعلم.

وهذا قول حسن مرضى قوى، وإن كان القول الآخر لا يقدح فى حال النبى ﷺ، لأن العبد غير ملوم على ما يقع فى قلبه من مثل هذه الأشياء ما لم يقصد فيه لمأثم.

قوله: ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا﴾ أى حاجته من نكاحها ﴿زَوَّجْنَاكَهَا﴾ فكانت زينب تفخر على نساء النبى عليه السلام فتقول: أنا أكرمكَنَ ولياً، وأكرمكَنَ سفيراً، زوجكَنَ أقاربكَنَ وزوجنى الله عزَّ وجلَّ.

وأخبرنا أبو بكر الجوزقى قال: أخبرنا أبو العباس الدغولى قال: أخبرنى أبو أحمد محمد ابن عبد الوهاب ومحمد بن عبيد الله بن قهراذ جميعاً، عن جعفر (بن محمد) بن عون، عن المعلى بن عرفان عن محمد بن عبد الله بن جحش قال: تفاخرت زينب وعائشة، وقالت زينب: أنا التى نزل تزوجى من السماء، فقالت عائشة: أنا التى نزل عذرى فى كتابه حين حملنى ابن المعطل على الراحلة، فقالت زينب: وما قلت حين ركبتهما؟ قالت: قلت: حسبى الله ونعم الوكيل قالت: كلمة المؤمنين<sup>(١)</sup>.

وأنبأنى عقيل بن محمد أن المعافى بن زكريا أخبره عن محمد بن جرير، عن ابن حميد عن جرير عن مغيرة عن الشعبى قال: كانت زينب تقول للنبى عليه السلام: إني لأدل عليك بثلاث ما من نسائك امرأة تدل بهن: جدى وجدك واحد، وإنى أنكحنيك الله فى السماء، وإنَّ السفير الجبرئيل.

قوله: ﴿لَكِي لَا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمُ الَّذِينَ تَبْنُوهُ﴾ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا: بالنكاح وطلقوهن أو ماتوا عنهن: قال الحسن: كانت العرب تظن أن حرمة المتبنى مشبكية كاشتباك الرحم، فميز الله تعالى بين المتبنى وبين الرحم ولذا (بين) (٢) لهم أن حلائل الأديعاء غير محرمة عليهم لذلك قال: ﴿وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ﴾ (النساء: ٢٣) فقيدهم ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾: كائنًا لا محالة، وقد قضى فى زينب أن يتزوجها رسول الله ﷺ.

قوله: ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ أَهْلَ اللَّهِ﴾ أَهْلُ سُنَّةِ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ: أى كسنة الله، نصب بنزع حرف الخافض، وقيل: فعل سنة الله، وقيل: على الإغراء، أى

(١) معاذ الله أن تتفاخر نساء بيت النبوة بينهن وقد نهى المسلمون عن التفاخر أياً كان نوعه وإنما أمروا بالتحدث بنعم الله تعالى عليهم فمثل هذا القول لا يقبل فى حقهن فلسن كسائر النساء وإن كُنَّ غير معصومات غير أن ما سبق فى الخبر من أبسط ما جاء الإسلام لينهى عنه.

(٢) زيادة يتطلبها السياق.

ابتغوا سنة الله في الأنبياء الماضين، أى لا يؤاخذهم بما أحل لهم.

وقال الكلبي ومقاتل: أراد داود (عليه السلام)، حين جمع الله بينه وبين المرأة التى هويها، فكذاك جمع بين محمد وزينب حين هويها<sup>(١)</sup>، وقيل: الإشارة بالسنة إلى النكاح، وإنه من سنة الأنبياء وقيل: إلى كثرة الأزواج مثل قصة داود وسليمان (عليهما السلام).  
﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدْرًا مُّقْدُورًا﴾: ماضيًا كائنًا. وقال ابن عباس: وكان من قدره أن تلد تلك المرأة التى ابتلى بها داود ابنا مثل سليمان وتهلك من بعده.



﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾  
مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ  
عَلِيمًا ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ وَسَبَّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿هُوَ  
الَّذِي يُصَلِّيٰ عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿  
تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا أُرْسِلْتِكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا  
وَنَذِيرًا ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا  
كَبِيرًا ﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذُنَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿  
يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِّن قَبْلِ أَنْ تَسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ  
عَلَيْهِنَّ مِّنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمَتَّعُوهُنَّ وَسِرَّحُوهُنَّ سِرَاحًا جَمِيلًا ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا أَحَلَّلْنَا لَكَ  
أَزْوَاجَكَ الَّتِي ءَاتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا آفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِكَ  
وَبَنَاتِ عَمَتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَتِكَ الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَأَمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن  
وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِّن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا

(١) كيف يقبل مثل هذا القول فى حق أنبياء الله تعالى، ومن صدق مثل هذا فإنما قبل مثل عقيدة النصرارى فى داود عليه السلام وغيره من الأنبياء الذين اتهمتهم اليهود بأشبع التهم أعادنا الله وإياكم من قبول مثل هذا فى حق أنبياء الله ورسله فرسل الله بشر لا جدال فى ذلك لكنهم خصهم الله سبحانه بخصائص لم يخص بها غيرهم وعصمهم من السقطات التى يسقط فيها غيرهم من البشر العاديين فرسائل الأنبياء للهداية لا للهوى والهواية أعادنا الله وإياكم من مثل هذه الاعتقادات المهلكة.

فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٠﴾ تَرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتَسْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنْ أَبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ تَقْرَءَ عَيْنُهُنَّ وَلَا يُخْزَنَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلَّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿١١﴾ لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا ﴿١٢﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَظِيرٍ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَسْنِفِينَ لِحَدِيثٍ إِنْ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِيهِ مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِيهِ مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنْ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿١٣﴾ إِنْ تُبَدُّوا شَيْئًا أَوْ تَخَفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿١٤﴾ لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي ءِبَابِهِنَّ وَلَا آبَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَابِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَآتَيْنَ اللَّهُ إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿١٥﴾

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَبْلُغُونَ رَسُولَ اللَّهِ﴾ محل الذين خفض على النعت على الذين خلوا ويخشونهُ، ولا يخشون أحدًا إلا الله: لا يخشون قالة الناس ولا نمتهم فيما أحل الله لهم وفرض عليهم ﴿وكفى بالله حسيبًا﴾: حافظًا لأعمال خلقه ومحاسبتهم عليها، ثم نزلت في قول الناس إن محمدًا تزوج امرأة ابنه ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾: الذين لم يلبده فيحرم عليه نكاح زوجته بعد فراقه إياها، يعني زيدًا، وإنما كان أبا القاسم والطيب والمطهر وإبراهيم. ﴿وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَرَ النَّبِيِّينَ﴾: أي آخرهم ختم الله به النبوة فلا نبى بعده، ولو كان لمحمد ابن لكان نبيًا<sup>(١)</sup>.

(١) ليس حتمًا أن يكون ابن النبي نبيًا ولا ابن الرسول رسولًا، وإنما حدث ذلك مع بعض الأنبياء دون بعض وهى هبة من الله واصطفاء وهذا من علوم الغيب وقدر الله فلا يدري ما كان يكون لو بقى له ابن بعده فالحمد لله على ما قدر، ولا خير إلا فيما اختار لنا ولنبيه.

أخبرنا عبد الله بن حامد الوزان عن مكى بن عبدان، عن عبد الرحمن عن سفيان، عن الزهري، عن محمد بن جبير، عن أبيه، عن النبي ﷺ قال: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب الذى ليس بعدى نبي.

واختلف القراء فى قوله: ﴿وَخَاتَرَ النَّبِيِّنَ﴾ فقرأ الحسن وعاصم بفتح التاء على الاسم، أى آخر النبيين. كقوله: خاتمه مسك، أى آخره، وقرأ الآخرون بكسر التاء على الفاعل، أى أنه خاتم النبيين بالنبوة.

﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا.

قال ابن عباس: لم يفرض الله تعالى على عباده فريضة إلا جعل لها حداً معلوماً، ثم عذر أهلها فى حال العذر، غير الذكر، فإنه لم يجعل له حداً ينتهى إليه، ولم يعذر أحداً فى تركه إلا مغلوباً على عقله، وأمرهم فى الأحوال كلها فقال: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَتَعُوذًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ (النساء: ١٠٣) وقال: ﴿أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ بالليل والنهار وفى البر والبحر والسفر والحضر والغنى والفقر والصحة والسقم والسر والجهر وعلى كل حال. وقال مجاهد: الذكر الكثير أن لا تنساه أبداً.

أخبرنى ابن فنجويه عن ابن شبة عن الفراتى، عن عمرو بن عثمان، عن أبى، عن أبى لهيعة، عن دراج، عن أبى الهيثم، عن أبى سعيد الخدرى، عن النبى ﷺ قال: أكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون<sup>(١)</sup> ﴿وَسَبِّحُوهُ﴾: وصلوا له ﴿بِكْرَةً﴾: يعنى صلاة الصبح ﴿وَأَصْبِلًا﴾: يعنى صلاة العصر عن قتادة.

وقال ابن عباس: يعنى صلاة العصر والعشاءين. وقال مجاهد: يعنى قولوا: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله، فعبر بالتسبيح عن أخواته، فهذه كلمات يقولها الطاهر والجنب والمحدث.

قوله: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ﴾ بالرحمة. قال السدى: قالت بنو إسرائيل لموسى: أى صلى ربنا؟ فكبر هذا الكلام على موسى فأوحى الله إليه أن قل لهم: إني أصلى، وإن صلاتي رحمتي، وقد وسعت رحمتي كل شيء.

(١) هذا حديث ضعيف اشتهر على ألسنة الناس خصوصاً من يسمون بالصوفية وما جاء الإسلام إلا بالعقل والتعقل وما حصن إلا على السكينة والوقار، وما دعا إلا إلى الاستقامة والاقتصاد والوسيلة فى الأمور كلها، والذكر من تلك الأمور والإكثار منه هنا إنما يكون على ما وصف الله تعالى فى حركات الإنسان وسكناته كالقيام والقعود والاضطجاع أى كن أيها العبد الربانى ذاكراً لربك فى عملك وسلوكك قولاً وعملاً يظهر ذلك فى حسن أخلاقك وأدائك لما كلفت به من أعمال.

وقيل: (يصلى) يشيع لكم الذكر الجميل فى عباده. وقال الأخفش: يبارك عليكم ﴿وَمَلَأْتِكُمْهُ﴾: بالاستغفار والدعاء ﴿لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾. قال أنس بن مالك: لما نزلت ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ (الأحزاب: ٥٦) الآية، قال أبو بكر: ما خصك الله بشرف إلا وقد أشركتنا فيه، فأنزل الله تعالى هذه الآية. ﴿تَحِيَّتُهُمْ﴾: أى تحية المؤمنين ﴿يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ﴾: أى يرون الله عز وجل ﴿سَلَّمَ﴾ أى يسلم عليهم ويسلمهم من جميع الآفات والبلبات.

أخبرنى ابن فنجويه، عن ابن حيان، عن ابن مروان عن أبى، عن إبراهيم بن عيسى، عن على بن على، حدثنى أبو حمزة الثمالى فى قوله عز وجل: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَّمَ﴾ قال: تسلم عليهم الملائكة يوم القيامة وتبشرهم حين يخرجون من قبورهم. وقيل: هو عند الموت والكتاية مردودة إلى ملك الموت كناية عن غير مذكور.

أخبرنى الحسين بن محمد بن الحسين، عن عبد الله بن يوسف بن أحمد بن مالك، عن إسحاق بن محمد بن الفضل الزيات، عن محمد بن سعيد بن غالب، عن حماد بن خالد الحياط، عن عبد الله بن وافد أبو رجاء، عن محمد بن مالك عن البراء بن عازب فى قوله عز وجل: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَّمَ﴾ قال: يوم يلقون ملك الموت لا يقبض روح مؤمن إلا سلم عليه.

وأخبرنى الحسين بن محمد عن ابن حبيش المقرئ، حدثنى عبد الملك بن أحمد بن إدريس القطان بالرقعة، عن عمر بن مدرك القاص قال: أخبرنى أبو الأخوص محمد بن حيان البغوى، عن حماد بن خالد الحياط، عن خلف بن خليفة، عن أبى هاشم، عن أبى الأخوص، عن ابن مسعود قال: إذا جاء ملك الموت ليقبض روح المؤمن قال: ربك يقرئك السلام. ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾: وهو الجنة.

قوله: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا ﴿يستضىء به أهل الدين. قال جابر بن عبد الله: لما نزلت ﴿إِنَّا فَتَحْنَا﴾ (الفتح: ١) الآيات، قال الصحابة: هنيئًا لك يا رسول الله هذه العارفة، فما لنا؟ فأنزل الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾ ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذنهم ﴿اصبر عليهم ولا تكافئهم نسختها آية القتال<sup>(١)</sup>: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾.

(١) قلت كثيرًا إن هناك خلافاً بين العلماء فى مسألة الناسخ والمنسوخ وهنا لا داعى للقول بذلك فإنما هى دعوة إلى =



قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ﴾ تجامعوهن ﴿فَمَا أَكْرَهْتُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا﴾: تحصونها عليهن بالأقراء والأشهر ﴿فَمَتَّعُوهُنَّ﴾: أى أعطوهن ما يستمتعن به. قال ابن عباس: هذا إذا لم يكن سمي لها صداقاً، فإذا فرض لها صداقاً فلها نصفه، وقال قتادة: هذه الآية منسوخة<sup>(١)</sup> بقوله: ﴿فَنَصَفُ مَا قَرَضْتُمْ﴾ (البقرة: ٢٣٧) وقيل: هو أمر نذب، فالمتعة مستحبة ونصف المهر واجب ﴿وَسَرَّحُوهُنَّ﴾ وخلصوا سبيلهن ﴿سَرَّاحًا جَمِيلًا﴾: بالمعروف، وفى الآية دليل على أن الطلاق قبل النكاح غير واقع خصاً أو عمّ خلافاً لأهل الكوفة.

أخبرنى الحسين بن محمد بن فنجويه، عن ابن شنية، عن عبد الله بن أحمد بن منصور الكسائى، عن عبد السلام بن عاصم الرازى، قال: أخبرنى أبو زهير، عن الأجلج، عن حبيب بن أبى ثابت قال: كنت قاعداً عند على بن الحسين، فجاءه رجل فقال: إنى قلت: يوم أتزوج فلانة بنت فلان فهى طالق. قال: اذهب فتزوجها، فإن الله عز وجل بدأ بالنكاح قبل الطلاق، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ﴾ ولم يقل إذا طلقتموهن ثم نكحتموهن ولم يره شيئاً. والدليل عليه ما أخبرنا الحسين بن محمد بن الحسين، عن عمر ابن أحمد بن القاسم النهاوندى قال: أخبرنى أبو بكر محمد بن إبراهيم المنذر النيسابورى بمكة، عن الربيع بن سليمان، عن أيوب بن سويد، عن ابن أبى ذيب عن عطاء، عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «لا طلاق قبل نكاح».

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي آتَيْتَ أَجُورَهُنَّ﴾ مهورهن ﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ﴾: مثل صفيية وجويرية ومارية ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ﴾: من نساء عبد المطلب ﴿وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَالَتِكَ﴾: من نساء بنى زهرة ﴿الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾: فمن لم تهاجر منهن فليس له نكاحها. وقرأ ابن مسعود: ﴿الَّتِي هَاجَرْنَ﴾ بواو.

أنبأنى عقيل بن محمد بن المعافى بن زكريا عن محمد بن جرير قال: أخبرنى أبو كريب، عن عبد الله بن موسى، عن إسرائيل، عن السدى، عن أبى صالح، عن أم هانى قالت: خطبنى رسول الله ﷺ فاعتذرت إليه فعذرني ثم أنزل الله عز وجل: ﴿إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ...﴾ إلى قوله: ﴿الَّتِي هَاجَرْنَ﴾ قالت: فلم أحل له لأنى لم أهاجر معه كنت من الطلقاء.

= دعوة أعداء هذا الدين بالرفق فإن لم تفلح معهم وكنت أو كان المسلمون على تمكن من ردعهم بعد البلاغ والتصح فليفعلوا. وإلا فليصبروا.

(١) سبق الكلام قبل قليل عن النسخ.

﴿وَأَمْرًا مُؤْمِنَةً﴾ : أى وأحللنا لك امرأة مؤمنة ﴿إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ بغير مهر. وقرأ العامة إن بكسر الألف على الجزاء والاستقبال، وقرأ الحسن بفتح الألف على المضى والوجوب، ﴿إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا﴾ : فله ذلك ﴿خَالِصَةً﴾ : خاصة ﴿لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ : فليس لامرأة أن تهب نفسها لرجل بغير شهود ولا ولى ولا مهر إلا النبي عليه السلام، وهذا من خصائصه فى النكاح، كالتخير والعدد فى النساء، وما روى أنه أعتق صفية وجعل عتقها صدقها ولو تزوجها بلفظ الهبة لم ينعقد النكاح، هذا قول سعيد بن المسيب والزهرى ومجاهد وعطاء ومالك والشافعى وربيعه وأبى عبيد وأكثر الفقهاء.

وقال النخعى وأهل الكوفة: إذا وهبت نفسها منه وقبلها بشهود ومهر فإن النكاح ينعقد والمهر يلزم به، فأجازوا النكاح بلفظ الهبة. وقالوا: كان اختصاص النبي عليه السلام فى ترك المهر. والدليل على ما ذهب الشافعى إليه: أن الله تعالى سمي النكاح باسمين التزويج والنكاح، فلا ينعقد بغيرهما.

واختلف العلماء فى التى وهبت نفسها لرسول الله، وهل كانت امرأة عند رسول الله ﷺ؟ فقال ابن عباس ومجاهد: لم يكن عند النبي ﷺ امرأة وهبت نفسها منه، ولم يكن عنده (عليه السلام) امرأة إلا بعقد النكاح أو ملك اليمين، وإنما قال الله تعالى ﴿إِنْ وَهَبْتَ﴾ : على طريق الشرط والجزاء.

وقال الآخرون: بل كانت عنده موهوبة، واختلفوا فيها. فقال قتادة: هى ميمونة بنت الحارث، قال الشعبي: زينب بنت خزيمة أم المساكين امرأة من الأنصار. قال على بن الحسين والضحاك ومقاتل: أم شريك بنت جابر من بنى أسد. قال عروة بن الزبير: خولة بنت حكيم ابن الأوقص من بنى سليم.

﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ﴾ : يعنى أوجبنا على المؤمنين ﴿فِي أَرْوَاحِهِمْ﴾ قال مجاهد: يعنى أربعاً لا يتجاوزونها.

قتادة: هو أن لا نكاح إلا بولى وشاهدين ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ : يعنى الولائد والإماء ﴿لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾ : فى نكاحهن ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ .

قوله: ﴿تُرْجَى مِنْ نَشَأٍ مِنْهُنَّ﴾ أى تؤخر ﴿وَتُنَوَى﴾ : وتضمم إليك من نشأء : واختلف المفسرون فى معنى الآية، فقال أبو رزين ابن زيد: نزلت هذه الآية حين غارت بعض أمهات المؤمنين على النبي ﷺ وطلب بعضهن زيادة النفقة، فهجرهن رسول الله ﷺ شهراً حتى نزلت آية التخيير، وأمره الله عز وجل أن يخيرهن بين الدنيا والآخرة، وأن يخلى سبيل من اختارت

الدنيا، ويمسك من اختارت الله ورسوله على أنهن أمهات المؤمنين ولا ينكحن أبداً، وعلى أنه يؤوى إليه من يشاء ويرجى منهن من يشاء فيرضين به، قسم لهن أو لم يقسم، أو قسم لبعضهن ولم يقسم لبعضهن، أو فضل لبعضهن على بعض في النفقة والقسمة والعشرة أو ساوى بينهن، ويكون الأمر في ذلك كله إليه، يفعل ما يشاء، وهذا من خصائصه (عليه السلام). فرضين بذلك كله واخترته على هذا الشرط، وكان رسول الله ﷺ مع ما جعل الله له من ذلك ساوى بينهن في القسم إلا امرأة منهن أراد طلاقها فرضيت بترك القسمة لها وجعل يومها لعائشة وهي سودة بنت زمعة.

وروى منصور عن أبي رزين قال: لما نزلت آية التخيير أشفقن أن يطلقن فقلن: يا نبي الله اجعل لنا من مالك ونفسك ما شئت، ودعنا على حالنا، فنزلت هذه الآية، فكان ممن أرجى منهن سودة وجويرية وصفية وميمونة وأم حبيبة، فكان يقسم لهن ما شاء كما شاء، وكان ممن أوى إليه عائشة وحفصة وأم سلمة وزينب رحمة الله عليهن، كان يقسم بينهن سواء لا يفضل بعضهن على بعض، فأرجأ خمساً وأوى أربعاً.

وقال مجاهد: يعنى تعزل من تشاء منهن بغير طلاق، وترد إليك من تشاء منهن بعد عزلك إياها بلا تجديد مهر وعقد.

وقال ابن عباس: تطلق من تشاء منهن وتمسك من تشاء.

وقال الحسن: تترك نكاح من شئت وتنكح من شئت من نساء أمتك. قال: وكان النبي عليه السلام إذا خطب امرأة لم يكن لرجل أن يخطبها حتى يتزوجها رسول الله ﷺ أو يتركها. وقيل: وتقبل من تشاء من المؤمنات اللاتي يهبن أنفسهن لك، فتؤويها إليك، وتترك من تشاء فلا تقبلها.

روى هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة أنها كانت تعير النساء اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله ﷺ وقالت: أما تستحي امرأة أن تهب أو تعرض نفسها على رجل بغير صداق، فنزلت هذه الآية، قالت عائشة: فقلت لرسول الله إن ربك ليسارع لك في هواك<sup>(١)</sup>.

﴿وَمَنْ أَتَغَيَّبْتَ﴾: أى طلبت وأردت إصابتها ﴿مِمَّنْ عَزَلْتَ﴾: فأصبتها وجامعتها بعد العزل ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾: فأباح الله تعالى له بذلك ترك القسم لهن حتى إنه ليؤخر من شاء منهن في وقت نوبتها، فلا يطأها ويطأ من شاء منهن في غير نوبتها، فله أن يرد إلى فراشه من عزلها،

(١) أيليق أن توصف عائشة أم المؤمنين رضی الله عنها بهذه الصفات من تعبير المؤمنات الواهبات أنفسهن لرسول الله ﷺ، ثم هل يليق بها أن تقول مثل هذا القول لرسول الله ﷺ. بل هي أكرم من ذلك وأعف.

فلا حرج عليه فيما فعل تفضيلاً له على سائر الرجال وتخفيفاً عنه . وقال ابن عباس : يقول : إن من فات من نسائك اللاتي عندك أجراً وخليت سبيلها ، فقد أحللت لك ، فلا يصلح لك أن تزداد على عدد نسائك اللاتي عندك .

﴿ذَلِكَ﴾ : الذى ذكرت ﴿أَذْنَىٰ أَنْ تَقْرَأَ عَيْنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَنَّ﴾ : أطيّب لأنفسهن وأقل لحزنهن إذا علمن أن ذلك من الله وبأمره ، وأن الرخصة جاءت من قبله ﴿وَيَرْضَيْنَ بِمَاءِ آتِيَتِهِنَّ﴾ : من التفضيل والإيثار والتسوية ﴿كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ : من أمر النساء والميل إلى بعضهن ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾ .

قوله تعالى : ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ﴾ <sup>(١)</sup> بالنساء أهل البصرة ، وغيرهم بالياء ﴿النِّسَاءِ مِنْ بَعْدُ﴾ : أى من بعد هؤلاء النساء التسع اللاتي خيرتهن فاخترتك لما اخترن الله ورسوله والدار الآخرة ، قصره عليهن ، وهذا قول ابن عباس وقتادة : وقال عكرمة والضحاك : لا يحل لك من النساء إلا اللاتي أحللناها لك وهو قوله : ﴿إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ﴾ ثم قال : ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءِ مِنْ بَعْدُ﴾ التى أحللنا لك بالصفة التى تقدم ذكرها .

روى داود بن أبى هند عن محمد بن أبى موسى عن زياد رجل من الأنصار قال : قلت لأبى ابن كعب : أرأيت لو مات نساء النبى ﷺ أكان يحل له أن يتزوج ؟ فقال : وما يمنعه من ذلك وما يُحرم ذلك عليه ؟ قلت : قوله : ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءِ مِنْ بَعْدُ﴾ فقال : إنما أحل الله له ضرباً من النساء فقال : ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ...﴾ ثم قال : ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءِ مِنْ بَعْدُ﴾ . وقال أبو صالح : أمر أن لا يتزوج أعرابية ولا عربية ويتزوج بعد من نساء قومه من بنت العم والعمة والخال والحالة إن شاء ثلاثمائة . وقال سعيد بن جبير ومجاهد : معناه لا يحل لك النساء من غير المسلمات فأما اليهوديات والنصرانيات والمشركات فحرام عليك ، ولا ينبغى أن يكن من أمهات المؤمنين .

وقال أبو رزين : ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءِ مِنْ بَعْدُ﴾ يعنى الإمامة بالنكاح . ﴿وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ مِنْ أَزْوَاجٍ﴾ قال مجاهد وأبو رزين : يعنى ولا أن تبدل بالمسلمات غيرهن من اليهود والنصارى والمشركين ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ : من السبايا والإماء الكوافر .

وقال الضحاك : يعنى ولا تبدل بأزواجك اللاتي هن فى حبالك أزواجاً غيرهن ، بأن تطلقهن وتنكح غيرهن ، فحرم على رسول الله ﷺ طلاق النساء اللواتى كن عنده ، إذ جعلهن

(١) فى المخطوط : «تحلى» ، وإنما أثبت ما هو مرسوم فى مصحف حفص عن عاصم المطبوع فتابع ما يقول المؤلف مع مراعاة ما غيرت ، لتفهم قصده .

أُمّهات المؤمنين، وحرّمهن على غيره حين اخترنه، فأما نكاح غيرهن فلم يمنع منه، بل أحل له ذلك إن شاء. يدل عليه ما أخبرنا عبد الله بن حامد الوزان، عن أحمد بن محمد بن الحسين، عن محمد بن يحيى قال: أخبرني أبو عاصم عن جريج عن عطاء عن عائشة قالت: ما مات رسول الله ﷺ حتى أحل له النساء.

وقال ابن زيد: كانت العرب في الجاهلية يتبادلون بأزواجهم يعطى هذا امرأته هذا ويأخذ امرأة ذاك فقال الله: ﴿وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بَيْنَ مِنْ أَزْوَاجٍ﴾ يعنى تبادل بأزواجك غيرك أزواجه، بأن تعطيه زوجته وتأخذ زوجته إلا ما ملكت يمينك لا بأس أن تبادل بجاريتك ما شئت فأما الحرائر فلا<sup>(١)</sup>.

أخبرنا أبو محمد عبد الله بن حامد الأصفهاني، قال: أخبرنا... (٢) العبدري عن أحمد بن محمد بن يحيى العبيدي، عن أحمد بن نجدة، عن الحماني، عن عبد السلام بن حرب، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي هريرة قال: كان البدل في الجاهلية أن يقول الرجل للرجل: بادلني امرأتك وأبادلك بامرأتي، تنزل لى عن امرأتك وأنزل لك عن امرأتي، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بَيْنَ مِنْ أَزْوَاجٍ...﴾ قال: فدخل عيينة بن حصين على النبي ﷺ وعنده عائشة فدخل بغير إذن، فقال له النبي ﷺ: «يا عيينة فأين الاستئذان؟» قال: يا رسول الله ما استأذنت على رجل من مضر منذ أدركت، ثم قال: من هذه الحميراء إلى جنبك؟ فقال رسول الله ﷺ: «هذه عائشة أم المؤمنين». قال عيينة: أفلا أنزل لك عن أحسن الخلق، قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل قد حرم ذلك»، فلما خرج، قالت عائشة: من هذا يا رسول الله؟ قال: «هذا أحرق مطاع وإنه على ما ترين لسيد قومه».

قال ابن عباس في قوله: ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ﴾ يعنى أسماء بنت عميس الخثعمية امرأة جعفر بن أبى طالب، وفيه دليل على جواز النظر إلى من يريد أن يتزوج بها، وقد جاءت الأخبار بإجازة ذلك.

وأخبرنا عبد الله بن حامد، عن محمد بن جعفر المطيرى، عن عبد الرحمن بن محمد بن منصور، عن عبد الرحمن بن مهدى، عن سفيان عن عاصم الأحول، عن بكير بن عبد الله

(١) سمي هذا بعض العلماء من أصحاب المذاهب المشهورة بالفروج المستعارة وأباحه، وهذا لا يحل، ولا يقبله عقل أو حس سليم.

(٢) موضع النقط غير مقروء بالخطوط.

المزني أن المغيرة بن شعبة أراد أن يتزوج بامرأة، فقال النبي عليه السلام، «فانظر إليها فإنه أجد أن يؤدم بينكما».

وأخبرنا عبد الله بن حامد، عن محمد بن جعفر، عن علي بن حرب قال: أخبرني أبو معاوية، عن الحجاج بن أرطاة، عن سهل بن محمد بن أبي خيثمة، عن عمه سليمان بن أبي خيثمة قال: رأيت محمد بن سلمة يطارد نبيته بنت الضحاك على إجار من أياجير المدينة قلت: أتفعل هذا؟ قال: نعم، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا ألقى الله في قلب امرئ خطبة امرأة فلا بأس أن ينظر إليها».

وأخبرنا عبد الله بن حامد بن محمد عن بشر بن موسى، عن الحميدى عن سفيان، عن يزيد بن كيسان، عن أبي حازم، عن أبي هريرة أن رجلاً أراد أن يتزوج امرأة من الأنصار، فقال له النبي ﷺ: «انظر إليها فإن في أعين نساء الأنصار شيئاً». قال الحميدى: يعنى الصغر. ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا﴾: حفيظاً.

قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ...﴾ قال أكثر المفسرين: نزلت هذه الآية في شأن وليمة زينب. قال أنس بن مالك: أنا أعلم الناس بآية الحجاب، ولقد سألتني عنها أبي ابن كعب لما بنى رسول الله ﷺ بزینب بنت جحش أولم عليها بتمر وسويق وذبح شاة، وبعث إليه أمى أم سليم بحيس في تور من حجارة، فأمرني النبي ﷺ أن أدعو أصحابه إلى الطعام، فدعوتهم فجعل القوم يجيئون ويأكلون ويخرجون، ثم يجيء القوم فيأكلون ويخرجون.

فقلت: يا نبي الله قد دعوت حتى ما أجد أحداً أدعوه، فقال: ارفعوا طعامكم فرفعوا وخرج القوم، وبقي ثلاثة نفر يتحدثون في البيت، فأطالوا المكث، فقام رسول الله ﷺ وقمت معه لكي يخرجوا، فمشى رسول الله ﷺ منطلقاً نحو حجرة عائشة فقال: «السلام عليكم أهل البيت»، فقالوا: وعليك السلام يا رسول الله، كيف وجدت أهللك؟

ثم رجعت فأتيت حجرة نساءه فسلمت عليهن، فدعون له ربه، ورجعت إلى بيت زينب، فإذا الثلاثة جلوس يتحدثون في البيت، وكان النبي عليه السلام شديد الحياء، فرجع رسول الله ﷺ، فلما رأوا النبي ﷺ ولى عن بيته خرجوا، فرجع رسول الله عليه السلام إلى بيته وضرب بيني وبينه ستراً، ونزلت هذه الآية.

وقال قتادة ومقاتل: كان هذا في بيت أم سلمة، دخلت عليه جماعة في بيتها فأكلوا، ثم أطالوا الحديث، فتأذى بهم رسول الله ﷺ فاستحيا منهم أن يأمرهم بالخروج، والله لا يستحي من الحق، فأنزل الله عز وجل: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤَدِّنَ لَكُمْ﴾ إلا

أن تدعوا ﴿إِلَى طَعَامٍ﴾ فيؤذن لكم فتأكلوه ﴿غَيْرَ نَظِيرٍ﴾ : متظيرين ﴿إِنَّهُ﴾ : إدراكه ووقت نضجه، وفيه لغتان أنى وإنى بكسر الألف وفتحها، مثل ألى وإلى ومعا ومعا، والجمع إناء، مثل آلاء وأمعاء، والفعل منه أنى يأتي إنى بكسر الألف مقصور، وآناء بفتح الألف ممدود. قال الحطية:

وأنت العشا إلى سهيل أو الشعري فطال بي الأنا

وقال الشيباني:

تمخضت المنون له بيوم أنى ولكل حاملة تمام

وفيه لغة أخرى: أن يأين أيئاً. قال ابن عباس: نزلت في ناس من المؤمنين كانوا يتحينون طعام الرسول ﷺ، فيدخلون عليه قبل الطعام إلى أن يدرك، ثم يأكلون ولا يخرجون، وكان رسول الله ﷺ يتأذى بهم، فنزلت هذه الآية. و﴿غَيْرَ﴾: نصب على الحال ﴿وَلَكِنْ إِذَا دُعِيَتمْ فَأَدْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ﴾: أكلتم الطعام ﴿فَأَنْتَشِرُوا﴾: فتفرقوا واخرجوا من منزله ﴿وَلَا مُسْتَقْسِنِينَ لِحَدِيثٍ﴾: طالبين الأئس بحديث، ومحلّه خفض مردود على قوله: ﴿غَيْرَ نَظِيرٍ﴾ ولا غير ﴿مُسْتَقْسِنِينَ لِحَدِيثٍ إِنْ ذَا كُمْ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِ مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِ مِنْ الْحَقِّ﴾: أى لا يترك تأديبكم وحملكم على الحق ولا يمنع ذلك منه.

حدثنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب لفظاً قال: أخبرنى أبو موسى عمران بن موسى بن الحصين قال: أخبرنى أبو عوانة يعقوب بن إسحاق قال: أخبرنى أبو عمرو عثمان ابن خرزاد الأنطاكى، عن عمرو بن مرزوق، عن جويرية بن أسماء قال: قرئ بين يدي إسماعيل بن أبى حكيم هذه الآية فقال: هذا أدب أدب الله به الثقلاء.

وسمعت الحسن بن محمد بن الحسن يقول: سمعت محمد بن عبد الله بن محمد يقول: سمعت الغلابي يقول: سمعت ابن عائشة يقول: حسبك فى الثقلاء أن الله تعالى لم يحتملهم وقال: ﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَأَنْتَشِرُوا﴾.

قوله: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ أخبرنا عبد الله بن حامد، عن محمد ابن يعقوب، عن محمد بن سنان الفزار، عن سهيل بن حاتم، عن ابن عون، عن عمرو بن سعيد، عن أنس بن مالك قال: كنت مع النبى ﷺ وكان يمر على نسائه، فأتى أولاً (من) (١) عرس بها حديثاً فإذا عندهم قوم [يتحدثون فخرج] (٢) النبى ﷺ أيضاً فاحتبس فقضى حاجته،

(١) زيادة يتطلبها السياق.

(٢) موضع ما بين المعوقين بياض فى الأصل.

ثم جاء وقد ذهبوا، فدخل وأرعى بينه وبينى سترًا قال: فحدثت أبا طلحة فقال: إن كان كما تقول لينزلن شيء في هذا، فنزلت آية الحجاب.

وأبأنى عبد الله بن حامد الوزان أن الحسين بن يعقوب حدثه عن يحيى بن أبي طالب عن عبد الوهاب عن حميد عن أنس قال: قال عمر: يا رسول الله، يدخل عليك البر والفاجر، فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب. فنزلت آية الحجاب.

وأخبرنا محمد بن عبد الله بن حمدون، عن أحمد بن محمد الشرقي، عن محمد بن يحيى عن يعقوب بن إبراهيم بن سعد، عن أبي، عن صالح بن شهاب، عن عروة بن الزبير: أن عائشة قالت: كان عمر بن الخطاب يقول لرسول الله ﷺ: احجب نساءك، فلم يفعل، وكان أزواج النبي ﷺ يخرجن ليلاً إلى ليل قبل المناصع وهو صعيد أقيح، فخرجت سودة بنت زمعة، وكانت امرأة طويلة فأراها عمر وهو في المجلس فقال: قد عرفتك يا سودة حرصاً على أن ينزل الحجاب، فأنزل الله الحجاب.

وأخبرنا عبد الله بن حامد إجازة، عن محمد بن يعقوب، عن الحسين بن علي بن عفان قال: أخبرني أبو أسامة، عن مخالد بن سعيد، عن عامر قال: مرَّ عمر على نساء النبي ﷺ وهو مع النساء في المسجد فقال لهن: احتجين، فإنَّ لكنَّ على النساء فضلاً، كما أن لزوجكن على الرجال الفضل، فلم يلبثوا إلا يسيراً حتى أنزل الله آية الحجاب.

وروى عطاء بن أبي السائب عن أبي وائل عن ابن مسعود قال: أمر عمر بن الخطاب نساء النبي ﷺ بالحجاب فقالت زينب: يا بن الخطاب إنك لتغار علينا والوحي ينزل في بيوتنا، فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسَأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَاكُمُ أَخْبَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾.

وقيل في سبب نزول الحجاب ما أخبرنا أحمد بن محمد بن محمد أن المعافى حدثه عن محمد بن جرير قال: حدثني يعقوب بن إبراهيم، عن هشام، عن ليث، عن مجاهد: أن رسول الله ﷺ كان يطعم ومعه بعض أصحابه فأصاب يد رجل منهم يد عائشة وكانت معهم، فكره النبي ذلك، فنزلت آية الحجاب.

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن علي المزكي قال: أخبرني أبو العباس أحمد بن محمد بن الحسين الماسرخسي، عن شيبان بن فروخ الأبلبي، عن جرير بن حازم، عن ثابت البنائي، عن أنس بن مالك قال: كنت أدخل على رسول الله ﷺ بغير إذن، فجئت يوماً لأدخل فقال: مكانك يا بني، قد حدث بعدك أن لا يدخل علينا إلا بإذن.

قوله: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ﴾ يعني وما ينبغي وما يصلح لكم ﴿أَنْ تُؤَدُّوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَكِحُوا﴾



أَزْوَاجُهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿١٠﴾ : نزلت في رجل من أصحاب النبي ﷺ قال :  
لئن قبض رسول الله ﷺ لأنكحن عائشة بنت أبي بكر .

أنبأني عقيل بن محمد ، عن المعافى بن زكريا ، عن محمد بن جرير ، عن محمد بن المثني ،  
عن عبد الوهاب ، عن داود عن عامر أن النبي ﷺ مات وقد ملك قتيلة بنت الأشعث بن قيس  
ولم يجامعها ، فتزوجها عكرمة بن أبي جهل بعد ذلك ، فشق على أبي بكر مشقة شديدة ،  
فقال له عمر : يا خليفة رسول الله إنها ليست من نسائه ، إنها لم يخيرها رسول الله ﷺ ولم  
يحجبها ، وقد برأها منه بالردة التي ارتدت مع قومها قال : فاطمان أبو بكر وسكن .

وروى معمر عن الزهري : أن العالاية بنت طيبان التي طلقها النبي ﷺ تزوجت رجلاً  
وولدت له ، وذلك قبل أن يحرم على الناس أزواج النبي عليه السلام .

﴿إِنْ تَبَدُّوا شَيْئًا أَوْ تَخَفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ قوله تعالى : ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْهِمْ فِي آبَائِهِمْ...﴾  
قال ابن عباس : لما نزلت آية الحجاب قال الآباء والأبناء والأقارب لرسول الله ﷺ ونحن  
أيضاً نكلمهن من وراء حجاب ؟ فأنزل الله تعالى : ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْهِمْ فِي آبَائِهِمْ﴾ .  
﴿وَلَا أَبْنَائِهِمْ وَلَا إِخْوَانَهُمْ وَلَا أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِمْ وَلَا إِخْوَاتِهِمْ وَلَا نِسَائِهِمْ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ :  
في ترك الاحتجاب من هؤلاء وأن يروه . وقال مجاهد : لا جناح عليهن في وضع جلابيهن  
عندهم .

﴿وَأَتَقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ .



﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾  
إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١١﴾ وَالَّذِينَ  
يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١٢﴾ يَا أَيُّهَا  
النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبَابٍ ذَلِكُ أَذْنَىٰ أَنْ  
يَعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذِينَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٣﴾ لَئِنْ لَمْ يَنْهَ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ  
وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لِنُفُورِكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤﴾ مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقُفُوا  
أُخِذُوا وَقُتِلُوا قَتِيلًا ﴿١٥﴾ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿١٦﴾ يَسْأَلُكَ

النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عَلَّمَهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿١٠﴾ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ  
 الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿١١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجْدُونَ وِلْيَاءً وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢﴾ يَوْمَ تَقْلَبُ  
 وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ﴿١٣﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا  
 وَكِبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا ﴿١٤﴾ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَهُمُ لَعْنَا كَبِيرًا ﴿١٥﴾

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ﴾ : قراءة العامة بنصب التاء وقرأ ابن عباس : ﴿وَمَلَائِكَتَهُ﴾ بالرفع عطفًا  
 على محل قوله : ﴿اللَّهُ﴾ قبل دخول إن ، نظيره قوله : ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِغُونَ  
 وَالْمُصْرَبِينَ﴾ (المائدة : ٦٩) وقد مضت هذه المثلة . ﴿يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ : أى يشنون ويترحمون عليه  
 ويدعون له . وقال ابن عباس : يتبركون . ﴿يَتَّيَّبُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلَّوْا عَلَيْهِ﴾ : ترحموا عليه وادعوا  
 له ﴿وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ : وحيوه بتحية الإسلام .

أخبرنا عبد الله بن حامد عن المطري ، عن على بن حرب ، عن ابن فضيل ، عن يزيد بن أبي  
 زياد ، (ح) <sup>(١)</sup> (و) <sup>(٢)</sup> أخبرنا أبو الحسن بن أبي الفضل العدل ، عن إسماعيل بن محمد الصفار ،  
 عن الحسين بن عروة ، عن هشيم بن بشير ، عن يزيد بن أبي زياد ، وحدثنا عبد الرحمن بن أبي  
 ليلى ، حدثني كعب بن عجرة قال : لما نزلت : ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ...﴾ قلنا : يا  
 رسول الله قد علمنا السلام عليك ، فكيف الصلاة عليك ؟ قال : «قل : اللهم صل على محمد  
 وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميدٌ مجيدٌ وبارك على محمد  
 وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميدٌ مجيدٌ» .

وأخبرنا عبد الله بن حامد الوزان ، عن مكى بن عبدان ، عن عمارة بن رجاء عن ابن عامر ،  
 عن عبد الله بن جعفر ، عن يزيد بن مهاده ، عن عبد الله بن خباب ، عن أبي سعيد الخدري قال :  
 قلنا : يا رسول الله هذا السلام قد علمنا ، فكيف الصلاة عليك ؟

قال : «قولوا اللهم صل على محمد عبدك ورسولك كما صليت على إبراهيم ، وبارك على  
 محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم» .

وأخبرنا أحمد بن محمد بن يوسف الفقيه ، عن مكى بن عبدان عن محمد بن يحيى قال :  
 فيما قرأت على ابن نافع ، وحدثني مطرف ، عن مالك ، عن عبد الله بن أبي بكر ، عن محمد  
 ابن عمرو بن حزم ، عن أبيه ، عن عمرو بن سليمان الزرقى ، أخبرني أبو حميد الساعدي أنهم

(١) رمز إحالة زيادة يتطلبها سياق الإسناد ، وهى زيادة حديثية .

(٢) زيادة يتطلبها سياق الإسناد للإحالة .

قالوا: يا رسول الله كيف نصلى عليك؟ فقال رسول الله ﷺ: «قولوا: اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد».

وبإسناده عن مالك عن نعيم، عن عبد الله بن الجمر، عن محمد بن عبد الله بن زيد الأنصاري، عن أبي مسعود الأنصاري أنه قال: أتانا رسول الله ﷺ ونحن جلوس في مجلس سعد بن عباد، فقال له بشير بن سعد: أمرنا الله أن نصلى عليك يا رسول الله، فكيف نصلى عليك؟ فسكت رسول الله ﷺ حتى تمنينا أنه لم يسأله، ثم قال: «قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد، والسلام كما قد علمتم».

وأخبرنا عبد الله بن حامد بقراءتي عليه قال: أخبرنا محمد بن خالد بن الحسن، عن داود ابن سليمان، عن عبد بن حميد قال: أخبرني أبو نعيم عن المسعودي، عن عون، عن أبي فاختة، عن الأسود قال: قال عبد الله: إذا صليتم على النبي ﷺ فأحسنوا الصلاة عليه، فإنكم لا تدرولن لعل ذلك يعرض عليه، قالوا: فعلمنا، قال: قولوا: اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وإمام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك، إمام الخير وقائد الخير ورسول الرحمة، اللهم ابعته مقاماً محموداً يغبطه به الأولون والآخرون، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد.

أخبرنا عبد الخالق بن علي قال: أخبرني أبو بكر بن جنب عن يحيى بن أبي طالب عن يزيد ابن هارون قال: أخبرني أبو معاوية، عن الحكم بن عبد الله بن الخطاب، عن أم الحسن، عن أبيها قالوا: يا رسول الله أرأيت قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ فقال النبي عليه السلام: هذا من العلم المكنون، ولو أنكم سألتموني عنه ما أخبرتكم به، إن الله تعالى وكل بي ملكين فلا أذكر عند عبد مسلم فيصلني على إلا قال ذانك الملكان: غفر الله لك، وقال الله تعالى: ﴿وَمَلَائِكَتُهُ﴾ جواباً لذنيك الملكين: آمين، ولا أذكر عند عبد مسلم فلا يصلني على إلا قال ذانك الملكان: لا غفر الله لك، وقال الله وملائكته جواباً لذنيك الملكين: آمين.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ﴾ يعني بمعصيتهم إيّاه ومخالفتهم أمره. وقال عكرمة: هم أصحاب التصاوير الذين يرومون تكوين خلق مثل خلق الله عز وجل، وفي بعض الأخبار يقول الله جلّ جلاله: ومن أظلم ممن أراد أن يخلق مثل خلقي فليخلق حبة أو ذرة، وقال (عليه السلام): لعن الله المصورين. وقال ابن عباس: هم اليهود والنصارى والمشركون، فأما اليهود

فقالوا: يد الله مغلولة وقالوا: إن الله فقير. وقالت النصرارى: المسيح ابن الله وثالث ثلاثة. وقال المشركون: الملائكة بنات الله، والأصنام شركاؤه.

قال قتادة: فى هذه الآية ما زال أناس من جهلة بنى آدم حتى تعاطوا أذى ربهم، وقيل: معنى ﴿يُؤذُونَ اللَّهَ﴾ يلحدون فى أسمائه وصفاته، وقال أهل المعانى: يؤذون أولياء الله مثل قوله: ﴿وَسَعَلَ الْفَرِيَّةَ﴾ (يوسف: ٨٢) وقول رسول الله ﷺ حين قفل من تبوك فبدا له أحد: هذا جبل يحبنا ونحبه، فحذف الأهل، فأراد الله تعالى المبالغة فى النهى عن أذى أوليائه فجعل أذاهم أذاه.

﴿وَرَسُولُهُ﴾ قال ابن عباس: حين شج فى وجهه وكسرت رباعيته وقيل له: شاعر وساحر ومعلم مجنون. وروى العوفى عنه: أنها نزلت فى الذين طعنوا على النبى عليه السلام فى نكاحه صفية بنت حيبى بن أخطب، وقيل: بترك سنته ومخالفة شريعته.

﴿لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ وَالَّذِينَ يُؤذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغْيَرِيمًا أَكْثَرُ سَبًّا: من غير أن عملوا ما أوجب الله أذاهم ﴿فَقَدْ أَحْتَمَلُوا هَيْبَتَنَا وَإِنَّمَا مُبِيئًا﴾.

قال الحسن وقتادة: إياكم وأذى المؤمن فإنه حبيب ربه، أحب الله فأحبه، وغضب لربه فغضب الله له، وإن الله يحوطه ويؤذى من آذاه. وقال مجاهد: يعنى يقفونهم ويرمونهم بغير ما عملوا. وقال مقاتل: نزلت فى على بن أبى طالب رضى الله عنه، وذلك أن ناساً من المنافقين كانوا يؤذونه ويسمعونه. وقيل: فى شأن عائشة. وقال الضحاك والسدى والكلبى: نزلت فى الزناة الذين كانوا يمشون فى طرق المدينة يتبعون النساء إذا تبرزن بالليل لقضاء حوائجهن، فيرون المرأة فيدون منها، فيغمزونها، فإن سكنت اتبعوها، وإن زجرتهم انتهوا عنها، ولم يكونوا يطلبون إلا الإمام، ولم يكن يومئذ تُعرف الحرّة من الأمة ولأن زيهن كان واحداً، إنما يخرجن فى درع واحد وخمار الحرّة والأمة، فشكون ذلك إلى أزواجهن فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ. فأنزل الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ...﴾ ثم نهى الحرائر أن يتسبهن بالإماء، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْسِيَّتِهِنَّ﴾ أى يرخين أرديتهن وملاحفهن فيتقنعن بها، ويغطين وجوههن ورءوسهن ليعلم أنهن حرائر فلا يتعرض لهن ولا يؤذين.

قوله: ﴿ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفَ فَلَا يُؤذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ لما سلف منهن من ترك السنن ﴿رَحِيمًا﴾: بهن إذ سترهن وصالهن. قال ابن عباس وعبيدة: أمر الله النساء المؤمنات أن يغطين رءوسهن وجوههن بالجلابيب ويبدن عيناً واحدة. قال أنس: مرت جارية بعمر بن الخطاب

متقنعة فعلاها بالدرة وقال: يا لكاع أتشبهين بالحرائر؟ ألقى القناع<sup>(١)</sup>.

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ لِمَنْ يَنْتَهَى الْمُنْتَفِعُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ فجور، يعنى الزناة ﴿وَالْمَرْجُفُونَ فِي الْمَدِينَةِ﴾: بالكذب والباطل، وذلك أن ناساً منهم كانوا إذا خرجت سرايا رسول الله ﷺ يوقعون في الناس أنهم قتلوا وهزموا، وكانوا يقولون: قد أتاكم العدو ونحوها.

وقال الكلبي: كانوا يحبون أن يفشوا الأخبار، وأن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا ﴿لِنُفِرَّتْكَ بِهِمْ﴾: لنولعنك ونحرسنك بهم، ونسلطنك عليهم. ﴿ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾: أى لا يسكنونك في المدينة إلا قليلاً حتى يخرجوا منها ﴿مَلْعُونِينَ﴾: مطرودين، نصب على الحال، وقيل: على الدم ﴿أَيُّنَمَا تَفْتُوا﴾: أصيبوا ووجدوا ﴿أُخِذُوا وَقُتِلُوا تَقْتِيلًا﴾. قال قتادة: ذكر لنا أن المنافقين أرادوا أن يظهروا لما في قلوبهم من النفاق، فأوعدهم الله في هذه الآية فكتموه.

وأبأنى عبد الله بن حامد الأصفهاني عن عبد الله بن جعفر النساوي، عن محمد بن أيوب عن عبد الله بن يونس، عن عمرو بن شهر، عن أبان، عن أنس قال: كان بين رجل وبين أبى بكر شىء، فنال الرجل من أبى بكر، فغضب رسول الله ﷺ حتى غمر الدم وجهه، فقال: «ويحكم، ذروا أصحابى وأصهارى، احفظونى فيهم لأن عليهم حافظاً من الله عز وجل، ومن لم يحفظنى فيهم تخلى الله منه، ومن تخلى الله منه يوشك أن يأخذه».

﴿مَلْعُونِينَ أَيُّنَمَا تَفْتُوا أُخِذُوا وَقُتِلُوا تَقْتِيلًا﴾.

﴿سُنَّةَ اللَّهِ﴾: أى كسنة الله ﴿فِي الَّذِينَ حَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ يسئلك الناس عن الساعة قل إنما علمها عند الله وما يذكرك لعل الساعة تكون قريباً ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكُفْرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾ خالدين فيها أبداً لا يجدون ولياً ولا نصيراً.

قوله: ﴿يَوْمَ تَقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾ ظهراً لبطن حين يسحبون عليها. وقراءة العامة بضم التاء وفتح اللام على المجهول. وروى عن أبى جعفر بفتح التاء واللام على معنى يتقلب. وقرأ عيسى بن عمر (نُقَلَّبَ) بضم النون وكسر اللام. ﴿وُجُوهُهُمْ﴾: نصباً.

﴿يَقُولُونَ يَلَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾: فى الدنيا ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا﴾ قادتنا ورؤساءنا فى الشرك والضلالة. وقرأ الحسن وابن عامر وأبو حاتم (ساداتنا) جمع بالألف وكسر التاء على جمع الجمع ﴿فَأَصْلُونَا السَّبِيلَ﴾ رَبَّنَا أَيُّمَ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ: أى مثلى عذابنا ﴿وَالْعَنَهُمُ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ قرأ يحيى بن وثاب وعاصم ﴿كَبِيرًا﴾: بالباء وهى قراءة أصحاب عبد الله. وقرأ الباقون بالتاء، وهى اختيار أبى حاتم وأبى عبيد، ثم قالوا: إِنَّا اخْتَرْنَا التَّاءَ لِقَوْلِهِ: ﴿وَيَلْعَنُهُمُ﴾

(١) فى المخطوط: «المتاع». وهو تحريف.

اللَّعِينُونَ ﴿البقرة: ١٥٩﴾ وقوله: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمُ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿البقرة: ١٦١﴾ فهذا يشهد للكثرة.

وأخبرني أبو الحسين عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد بن يحيى قال: سمعت أبا الحسن عبد الله بن محمد بن جعفر بن شاذان البغدادي من حفظه إملاء يقول: سمعت محمد بن الحسن بن قتيبة العسقلاني بعسقلان ورملة أيضاً يقول: سمعت محمد بن أبي السرى يقول: رأيت في المنام كأنني في مسجد عسقلان وكان رجل يناظرني وهو يقول: ﴿وَالْعَنَهُمُ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ وأنا أقول كثيراً فإذا النبي ﷺ، وكان في وسط المسجد منارة لها باب، وكان النبي ﷺ يقصدها فقلت: هذا النبي ﷺ فقلت: السلام عليك يا رسول الله، استغفر لي، فأمسك عنى فجئت عن يمينه فقلت: يا رسول الله، استغفر لي فأعرض عنى، فقامت في صدره فقلت: يا رسول الله حدثنا سفيان بن عيينة عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله: أنك ما سئلت شيئاً قط فقلت: لا، فتبسم، ثم قال: «اللهم اغفر له»، فقلت: يا رسول الله إنني وهذا نتكلم في قوله: ﴿وَالْعَنَهُمُ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ وهو يقول: ﴿كَبِيرًا﴾ وأنا أقول: «كثيراً»، قال: فدخل المنارة وهو يقول: كثيراً إلى أن غاب صوته عنى. يعنى بالثناء.



﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادُوا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ ءَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادُوا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ ﴿فطهره الله سبحانه ﴿مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾: كريماً مقبولاً ذا جاه، واختلفوا فيما آذوا به موسى.

فأخبرنا محمد بن عبد الله بن حمدون قال: أخبرني أبو حامد بن الشريف عن محمد ويحيى ابن عبد الرحمن بن بشير وأحمد بن يوسف قالوا: أخبرنا عبد الله بن حامد قال: أخبرني أبو بكر المطيري قال: أخبرني أبو جعفر أحمد بن عبد الله بن يزيد المؤدب، عن عبد الرزاق، عن

معمّر عن همام بن منبه، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «كان بنو إسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم إلى سؤة بعض، وكان موسى (عليه السلام) يغتسل وحده، فقالوا: والله ما يمنع موسى أن يغتسل معنا إلا أنه أدر<sup>(١)</sup>، فذهب مرة يغتسل وحده فوضع ثوبه على الحجر ففر الحجر بثوبه فجمع في أثره يقول: ثوبى حجر، ثوبى حجر حتى نظر بنو إسرائيل إلى سؤة موسى فقالوا: والله ما بموسى من بأس، فقام الحجر من بعد ما نظروا إليه، فأخذ ثوبه وطفق بالحجر ضرباً».

قال أبو هريرة: إن بالحجر ندباً ستة أو سبعة أثر ضرب موسى (عليه السلام)<sup>(٢)</sup>.

وروى الحسن وابن سيرين عن أبي هريرة فى هذه الآية قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ موسى كان رجلاً حياً ستيراً لا يكاد يرى من جلده شىء يستحيى منه، فأذاه من آذاه من بنى إسرائيل فقالوا: ما يستر هذا الستر إلا من عيب بجلده، إمّا برص وإمّا أدرة، فأراد الله أن يبرئه ممّا قالوا: وإن موسى خلا يوماً وحده، فوضع ثوبه على حجر ثم اغتسل، فلما فرغ من غسله أقبل على ثوبه ليأخذه بعد الحجر بثوبه، فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر، وجعل يقول: ثوبى حجر ثوبى حجر، حتى انتهى إلى ملاء من بنى إسرائيل، فنظروا إلى أحسن الناس خلقاً وأعدلهم صورة، وإنّ الحجر قام فأخذ ثوبه فلبسه، فطفق بالحجر ضرباً، وقال الملاء: قاتل الله أفاكى بنى إسرائيل فكانت براءته التى برأه الله منها».

وقال قوم: كان إيذاؤهم إيّاه ادعاءهم عليه قتل أخيه هارون.

أخبرنى عقيل بن محمد بن أحمد الفقيه أنّ المعافى بن زكريا القاضى أخبره عن محمد بن جرير بن يزيد الطبرى، حدّثنى على بن مسلم الطوسى، عن عبّاد عن سفيان بن حصين، عن الحكم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، عن على بن أبى طالب فى قول الله تعالى: ﴿كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى...﴾ قال: صعد موسى وهارون الجبل فمات هارون، فقال بنو إسرائيل: أنت قتلته، وكان أشد حياً لنا منك وألين لنا منك، فأذوه بذلك، فأمر الله الملائكة فحملته حتى

(١) أى مصاب بشوه خلقى فى منطقة العورة، فى زعم الراوى أو زعمهم.

(٢) انظر أخى القارئ المسلم الواعى الفطن أنظن أن الله سبحانه وتعالى يكشف عورة من نبيه لأجل قوم كذبوا على ربهم بزعم تبرئته مما قد يكونون عابوه به ولا أظنهم عابوه أو آذوه بهذا فكفم هى كثيرة صنوف الأذى الذى آذى به هؤلاء القوم أنبياء الله ولكن لا يكشف الله ستر نبي لأجل قوم مشركين ولا يغرنك أخى المسلم كبر مكانة المصادر التى روت هذا الأثر ونحوه، فلقد روت أيضاً عن موسى عليه السلام أنه فقأ عين ملك الموت، نعم لهذه الكتب جلالتها ومكانتها فى المكتبة الإسلامية غير أن كل كتاب مهما علا شأنه فلا بد أن يصيبه ما يصيبه من الخلل لأنه جهد بشر، ولكن لا تقبل فى أنبياء الله إلا ما يليق بمكانتهم، كما نحفظ لهذه الكتب مكانتها وترحم على مؤلفيها.

مروا به على بنى إسرائيل، وتكلمت الملائكة بموته حتى عرف بنو إسرائيل أنه مات، فبرأه الله من ذلك، فانطلقوا به فدفنوه، فلم يطلع على قبره أحد من خلق الله إلا الرّخم فجعله الله أصم أبكم.

وقال أبو العالية: هو أن قارون استأجر مومسة لتقذف موسى (عليه السلام) بنفسها على رأس الملاء، فعصمها الله منه وبرأ موسى من ذلك وأهلك هارون. وقد مضت هذه القصة.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾: أى حقاً قاصداً، ابن عباس: صواباً. قتادة ومقاتل: عدلاً. المورج: مستقيماً. عكرمة: هو قول: لا إله إلا الله. ابن حيان: يعنى قولوا فى شأن زينب وزيد قولاً سديداً ولا تنسبوا رسول الله ﷺ إلى ما لا يحمل. ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾.

قوله: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ﴾ قيل: كان العرض على أعيان هذه الأشياء، فأفهمهن الله خطابه وأنطقهن. وقيل: عرضها على من فيها من الملائكة. وقيل: عرضها على أهلها كلها دون أعيانها، وهذا كقوله: ﴿وَسُئِلَ الْقُرَيْةُ﴾ (يوسف: ٨٢) أى أهلها.

﴿فَأَيُّنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾: مخافة وخشية لا معصية ومخالفة، وكان العرض تخبيراً لا إلزاماً ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ﴾: واختلفوا فى الأمانة، فقال أكثر المفسرون: هى الطاعة والفرائض التى فرضها الله على عباده، عرضها على السموات والأرض والجبال، إن أدوها أثابهم وإن ضيعوها عذبهم، فكرهوا ذلك وأشفقوا من غير معصية، ولكن تعظيماً لدين الله أن لا يقوموا بها وقالوا: لا، نحن مسخرات لأمرك لا نريد ثواباً ولا عقاباً.

فقال الله تعالى لآدم: إنى عرضت الأمانة على السموات والأرض والجبال فلم يطقنها، فهل أنت آخذها بما فيها؟ قال: يا رب وما فيها؟ قال: إن أحسنت جزيت، وإن أسأت عوقبت، فتحملها آدم صلوات الله عليه وقال: بين أذنى وعاتقى، فقال الله تعالى: أمّا إذا تحمّلت فسأعينك فاجعل لبصرك حجاباً، فإذا خشيت أن تنظر إلى ما لا يحل لك فأرخ عليه حجابه واجعل للسانك لحين وغلقاً، فإذا خشيت فاغلق، واجعل لفرجك لباساً فلا تكشفه على ما حرمت عليك.

قالوا: فما لبث آدم إلا مقدار ما بين الظهر والعصر حتى أخرج من الجنة. وقال مجاهد: الأمانة الفرائض وحدود الدين. وأبو العالية: هى ما أمروا به ونهوا عنه. وقال زيد بن أسلم وغيره. هى الصوم والغسل من الجنابة وما يخفى من شرائع الدين.

أنبأنى عقيل بن محمد، عن المعافى بن زكريا، عن محمد بن جرير الطبرى، عن محمد بن



خالد العسقلاني عن عبد الله بن عبد المجيد الحنفي قال: أخبرنا أبو العوام القطان عن قتادة وأبان بن أبي عباس عن خلود العصري عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: خمس من جاء بهن يوم القيامة مع إيمان دخل الجنة: من حافظ على الصلوات الخمس على وضوئهن وركوعهن وسجودهن ومواقيتهن، وأعطى الزكاة من ماله عن طيب نفس - وكان يقول: وإيم الله لا يفعل ذلك إلا مؤمن - وأدى الأمانة. قالوا: يا أبا الدرداء، وما أداء الأمانة؟ قال: الغسل من الجنابة. قال: الله عز وجل لم يأتمن ابن آدم على شيء من دينه غيره.

وبه عن ابن جرير عن ابن بشار، عن عبد الرحمن، عن سفيان، عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن أبي بن كعب قال: من الأمانة أن المرأة أوتمنت على فرجها. وقال عبد الله بن عمرو بن العاص: أول ما خلق الله تعالى من الإنسان فرجه، وقال: هذه أمانة استودعتكها. فالفرج أمانة، والأذن أمانة، والعين أمانة، واليد أمانة، والرجل أمانة، ولا إيمان لمن لا أمانة له.

وقال بعضهم: هي أمانات الناس، والوفاء بالعهد، فحق على كل مؤمن ألا يغش مؤمناً، ولا معاهداً في شيء قليل ولا كثير، وهي رواية الضحاك عن ابن عباس، وقال السدي بإسناده: هي ائتمان آدم ابنه قابيل على أهله وولده، وخيانتة إياه في قتل أخيه - وذكر القصة إلى أن قال: قال الله عز وجل لآدم: يا آدم هل تعلم أن لى في الأرض بيتاً؟ قال: اللهم لا. قال: فإن لى بيتاً بمكة فآته. فقال آدم للسماء: «احفظي ولدي بالأمانة»، فأبت، وقال للأرض فأبت، وقال للجبال فأبت، وقال لقابيل فقال: نعم تذهب وترجع تجد أهلك كما يسرك. فانطلق آدم (عليه السلام)، فرجع وقد قتل قابيل هابيل، فذلك قوله عز وجل: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ﴾ يعني قابيل حين حمل أمانة آدم ثم لم يحفظ له أهله.

وقال الآخرون: ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ﴾: يعني آدم. ثم اختلفت عباراتهم في معنى (الظلوم) و(الجهول)؛ فقال ابن عباس والضحاك: ﴿ظُلُومًا﴾ لنفسه ﴿جَهُولًا﴾: غرراً بأمر الله وما احتمل من الأمانة. قتادة: ﴿ظُلُومًا﴾ للأمانة ﴿جَهُولًا﴾: عن حقها. الكلبي: ﴿ظُلُومًا﴾ حين عصى ربه، ﴿جَهُولًا﴾: لا يدري ما العقاب في تركه الأمانة. الحسين بن الفضل: ﴿إِنَّهُ كَانَ ظُلُومًا جَهُولًا﴾ عند الملائكة لا عند الله.

﴿لِعَذَابِ اللَّهِ الْمُنْفِقِينَ وَالْمُنْفِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.

## سُورَةُ التَّوْبَةِ

أخبرنا ابن المقرئ عن ابن مطيرة عن إبراهيم بن شريك عن أحمد بن يونس عن سلام بن سليم عن هارون بن كثير عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي أمامة عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة سبأ لم يبق نبي ولا رسول إلا كان يوم القيامة له رفيقاً ومصافحاً».

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عِلْمُ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزِ أَلِيمٍ ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنْبئُكُمْ إِذَا مُرِّقَتْ كُلُّ مُرْقَةٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿أَفَتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ نَشَأَ خَلْقِ بِيَمِ الْأَرْضِ أُو نُسْقَطُ عَلَيْهِمْ كِفَاً مِنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿

قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ وهو الوصف بالجميل على جهة التعظيم ﴿الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ﴾: كما هو له في الدنيا؛ لأن النعم كلها في الدارين منه، ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾.

قوله: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ﴾ يدخل ويغيب فيها من الماء والمواد والحيوانات، ﴿وَمَا يَخْرُجُ

مِنْهَا» من النبات، ﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ : من الأمطار، ﴿وَمَا يَعْرُجُ﴾ : يصعد ﴿فِيهَا﴾ : من الملائكة وأعمال العباد، ﴿وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾ .

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ الساعة، ثم عاد جلّ جلاله إلى تمجيده والثناء على نفسه، فقال عز من قائل: ﴿عَلِمِ الْغَيْبُ﴾ ، اختلف القراء فيها، فقرأ يحيى والأعمش، وحمزة، والكسائي: (علام الغيب) بخفض الميم على وزن فعال، وهى قراءة عبد الله وأصحابه. وقال الفراء: وكذلك رأيتها فى مصحف عبد الله (علام).

وقرأ أهل مكة والبصرة وعاصم بجر الميم على مثال فاعل رداً على قوله، وهى اختيار أبى عبيد فيه، وفى أمثاله يؤثر النعوت على الابتداء.

وقرأ الآخرون (عالم) رفعاً بالاستئناف؛ إذ حال بينهما كلام.

﴿لَا يَعْزُبُ﴾ : يغيب ويتعدى ﴿عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ﴾ : وزن غلّة، وهذا مثل؛ لأنه سبحانه لا يخفى عليه ما هو دون الذرة. ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا﴾ : عملوا فى إبطال أدلتنا والتكذيب بكتابتنا ﴿مُعْجِزِينَ﴾ : مسابقين يحسبون أنهم يفوتوننا. قال ابن زيد: جاهدين، وقرأ: ﴿لَا تَسْمَعُوا هَذَا الْقُرْآنَ﴾ (فصلت: ٢٦).

﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْرِ أَلِيمٍ﴾ ، قرأ ابن كثير ويعقوب وعاصم برواية حفص والمفضل ﴿أَلِيمٍ﴾ : بالرفع على نعت ال (عذاب). غيرهم بالخفض على نعت ال (رجز). قال قتادة: الرجز أسوأ العذاب، ومثله فى الجاثية ﴿وَرِيٌّ﴾ يعنى: وليرى ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ يعنى: مؤمنى أهل الكتاب: عبد الله بن سلام وأصحابه، وقال قتادة: هم أصحاب محمد عليه السلام.

﴿الَّذِى أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ﴾ : يعنى: القرآن ﴿هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي﴾ : يعنى: القرآن ﴿إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ : وهو الإسلام.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ : منكرين للبعث متعجبين منه: ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يَتَّبِعُكُمْ﴾ : يخبركم، يعنون: محمداً عليه السلام ﴿إِذَا مَرَّكُمْ﴾ : قطعتم وفرقتم ﴿كُلُّ مَرَّقٍ﴾ : وصرتم رفاتاً ﴿إِنَّكُمْ﴾ : بالكسر على الابتداء والحكاية، مجازه يقول لكم: ﴿إِنَّكُمْ لَنِي خَلَقَ جَدِيدٍ﴾ .

﴿أَفْتَرَى﴾ : ألف الاستفهام دخلت على ألف الوصل لذلك نُصِبَ ﴿عَلَىٰ اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ﴾ : جنون؟ قال الله تعالى: ﴿بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ﴾ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ : فيعلموا أنهم حيث كانوا، فإن أرضى وسمائى محيطة بهم، لا يخرجون من أقطارها، وأنا لقادر عليهم ولا يعجزوننى؟

﴿إِنْ شَأْخَسَفَ بِهِمُ الْأَرْضُ أَوْ نَسَقَطَ عَلَيْهِمْ كِفَاتٌ مِنَ السَّمَاءِ﴾ : قطعة . قراءة العامة بالنون فى الثلث ، وقرأ الأعمش والكسائى كلها بالياء وهو اختيار أبى عبيد قال : لذكر الله عز وجل قبله .

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ : تائب مقبل على ربه راجع إليه بقلبه .



﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجِبَالٌ أَوْبِيٌّ مَعَهُ وَالطَّيْرُ وَالنَّارُ الْهَدِيدُ﴾ أنِ أَعْمَلُ سَبَّغْتِ وَقَدَّرْتِ فِي السَّرْدِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿﴾

قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجِبَالٌ﴾ مجازه وقلنا : يا جبال ﴿أَوْبِيٌّ مَعَهُ﴾ : سبحى معه إذا سبح . قال أبو ميسرة : هو بلسان الحبشة ، وقال بعضهم : هو التفعيل من الإياب ، أى ارجعى معه بالتسييح . فهذا معنى قول قتادة وأبى عبيد ، وقال وهب بن منبه : نوحى معه . ﴿وَالطَّيْرُ﴾ : تساعدك على ذلك ، قال : وكان إذا نادى بالنياحة أجابته الجبال بصداها وعكفت الطير عليه من فوقه ، فصدى الجبال الذى يسمعه الناس من ذلك اليوم .

ويقال : إن داود كان إذا سبح الله جعلت الجبال تجاوبه بالتسييح نحو ما يسبح . ثم إنه قال ليلة من الليالى فى نفسه : «لأعبدن الله تعالى عبادة لم يعبده أحد بمثلها» ، فصعد الجبل ، فلما كان فى جوف الليل وهو على الجبل دخلته وحشة ، فأوحى الله سبحانه إلى الجبال أن آنسى داود قال : فاصطكت الجبال بالتسييح والتهليل ، فقال داود فى نفسه : «كيف يسمع صوتى مع هذه الأصوات؟» فهبط عليه مالك فأخذ بعضده حتى انتهى به إلى البحر ، فركله برجله فانفرج له البحر ، فانتهى به إلى الأرض فركلها برجله فانفرجت له الأرض ، حتى انتهى به إلى الحوت فركلها برجله فتنحت عن صخرة فركل الصخرة برجله فانفلقت فخرجت منها دودة تنشز ، فقال له الملك : إن ربك يسمع نشيز هذه الدودة فى هذا الموضع .

وقال القتيبي : أصله من التأويب فى السير ، وهو أن يسير النهار كله وينزل ليلاً .

قال ابن مقبل :

لحقنا بحى أوبوا السير بعدما  
دفعنا شعاع الشمس والطرف مجنح  
كأنه أراد أدبى النهار كله بالتسييح معه ، وقيل : سيرى معه كيف يشاء : ﴿وَالطَّيْرُ﴾ قراءة العامة بالنصب ، وله وجهان :

أحدهما بالفعل ، مجازه : وسخرنا له الطير ، مثل قولك : (أطعمته طعاماً وماء) تريد :

وسقيته ماء، والوجه الآخر النداء كقولك: يا عمرو والصلت أقبلا، نصبت الصلت؛ لأنه إنما يدعى بيائها فإذا فقدتها كان كالمعدول عن جهته، فنصب، وقيل: مع الطير، فتكون الطير مأمورة معه بالتأويب.

وروى عن يعقوب بالرفع؛ رداً على الجبال: أي أوبى معه أنت والطير، كقول الشاعر:

ألا يا عمرو والضحاك سيرا      فقد جاوزتما خمر الطريق

يجوز نصب الضحاك ورفع.

قوله: ﴿وَأَلْتَأْتُهُ الْحَدِيدَ﴾ فذكر أن الحديد كان في يده كالطين المبلول والعجين والشمع، يصرفه بيده كيف يشاء من غير إدخال نار ولا ضرب بحديد، وكان سبب ذلك على ما روى في الأخبار أن داود (عليه السلام) لما ملك بنى إسرائيل كان من عادته أن يخرج للناس متنكراً، فإذا رأى رجلاً لا يعرفه، تقدم إليه يسأله عن داود، فيقول له: «ما تقول في داود واليكم هذا؛ أي رجل هو؟» فيثنون عليه ويقولون: خيراً فينا هو.

فبينما هو في ذلك يوماً من الأيام إذ قبض الله ملكاً في صورة آدمى، فلما رآه داود تقدم إليه على عادته فسأله، فقال له الملك: نعم الرجل هو لولا خصلة فيه. فراع داود ذلك وقال: «ما هي يا عبد الله؟» قال: إنه يأكل ويطعم عياله من بيت المال. قال: فتنبه لذلك، وسأل الله تعالى أن يسبب له سبباً يستغنى به عن بيت المال فيتقوت منه ويطعم عياله، فألان الله له الحديد فصار في يده مثل الشمع، وعلمه صنعة الدروع، وكان يتخذ الدروع وإنه أول من اتخذها.

فيقال: إنه كان يبيع كل درع منها بأربعة آلاف، فيأكل ويطعم عياله ويتصدق منها على الفقراء والمساكين، ويقال أيضاً: إنما ألان الحديد في يده لما أعطى من القوة.

﴿أَنْ أَعْمَلَ سَبْعَتِ﴾: دروعاً كوامل واسعات ﴿وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ﴾، أي لا تجعل المسامير دقاقاً فتفلق ولا غلاظاً فتكسر الحلق. فكان يفعل ذلك: وهو أول من اتخذ الدروع، وكانت قبل ذلك صفائح، والسرد: صنعة الدروع، ومنه قيل لصانعيها: السراد والزراد والدرع المسرودة، قال أبو ذؤيب:

وعليهما مسرودتان قضاهما      داود أو صنع السوابغ تبع

وأصله الوصل والنظم، ومنه قيل للخرز: سرد وللأشفي مسرد وسراد. قال الشماخ:

❖ كما تابعت سرد العنان الخوارز ❖

وسرد الكلام.

﴿وَأَعْمَلُوا﴾: يعنى داود وآله ﴿صَلِّحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

﴿وَأَسْلِمَنَّ الرِّيحَ غُدُوها شَهْرٌ وَرَوَاحُها شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَرِغْ مِنْهُم عَن أَمْرِنَا نُدَقِّقْهُ مِن عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحْرِبٍ وَتَمْثِيلٍ وَجَفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِدَتِ أَعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّو كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿١٢﴾﴾

قوله: ﴿وَأَسْلِمَنَّ الرِّيحَ﴾: قراءة العامة بنصب الحاء، أى وسخرنا لسليمان الريح، وروى أبو بكر والمفضل عن عاصم بالرفع على جر حرف الصفة. ﴿غُدُوها شَهْرٌ وَرَوَاحُها﴾: من انتصاف النهار إلى الليل مسير ﴿شَهْرٌ﴾، فجعل ما تسير به فى يوم واحد مسيرة شهرين، وقال وهب: ذكر لى أن منزلاً بناحية دجلة مكتوب فيه كتاب كتبه بعض صحابة سليمان (عليه السلام)، إما من الجن وإما من الإنس بحر نزلناه وما بنينا، مبنياً وجدناه غدوناه من إصطخر فقلناه ونحن رائحون منه إن شاء الله فباتون بالشام.

قال الحسن: لما شغلت نبى الله سليمان بن داود الخيل حتى فاتته صلاة العصر غضب لله فقهر الخيل، فأبدله الله تعالى مكانها خيراً وأسرع له، تجرى بأمره كيف يشاء ﴿غُدُوها شَهْرٌ وَرَوَاحُها شَهْرٌ﴾: وكان يغدو من إيليا فيقبل يا صطخر ثم يروح منها فيكون رواحها بكابل. وقال ابن زيد: كان له (عليه السلام) مركب من خشب، وكان فيه ألف ركن فى كل ركن ألف بيت يركب معه فيه من الجن والإنس تحت كل ركن ألف شيطان يرفعون ذلك المركب، فإذا ارتفع أتت الريح الرخاء فسارت به وبهم، يقبل عند قوم بينه وبينهم شهر ويمسى عند قوم بينه وبينهم شهر، فلا يدرى القوم إلا وقد أظلمهم معه الجيوش.

ويروى أن سليمان (عليه السلام) سار من أرض العراق غادياً فقال بمدينة مرو، وصلى العصر بمدينة بلخ تحمله وجنوده الريح ويظلمهم الطير، ثم سار من مدينة بلخ متخللاً بلاد الترك، ثم جازهم إلى أرض الصين يغدو على مسيرة شهر ويروح على مثله. ثم عطف ينة عن مطلع الشمس على ساحل البحر حتى أتى أرض القندهار، وخرج منها إلى مكران وكرمان ثم جازها حتى أتى أرض فارس فنزلها أياماً وغدا منها فقال بكسكر، ثم راح إلى الشام، وكان مستقره بمدينة تدمر، وقد كان أمر الشياطين قبل شخوصه من الشام إلى العراق، فبنوها له بالصفاح والعمد والرخام الأبيض والأصفر، وفى ذلك يقول النابغة:

ألا سليمان إذ قال الإله له  
وخيس الجن إنى قد أذنت لهم  
وقدمت هذه الآيات منقورة فى صخرة بأرض كسكر، أنشأها بعض أصحاب سليمان بن  
داود (عليهما السلام):

ونحن ولا حول سوى حول ربنا  
إذا نحن رحنا كان ريث رواحنا  
أناس شروا لله طوعاً نفوسهم  
لهم فى معالى الدين فضل ورفعة  
متى يركبوا الريح المطيعة أسرع  
تظلمهم طير صفوف عليهم  
نروح إلى الأوطان من أرض تدمر  
مسيرة شهر والغدو لآخر  
بنصر ابن داود النبى المطهر  
وإن نسبوا يوماً فمن خير معشر  
مبادرة عن شهرها لم تقصّر  
متى رفرفت من فوقهم لم تنفر  
قوله: ﴿وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ﴾: وأذنبنا له عين النحاس أسيلت له ثلاثة أيام كما يسيل الماء،  
وكانت بأرض اليمن، وإنما ينتفع الناس اليوم بما أخرج الله لسليمان.

﴿وَمَنْ يَرْغَبْ مِنْهُمْ﴾: يمل ويعدل ﴿عَنْ أَمْرِنَا﴾: الذى أمرناه به من طاعة سليمان ﴿نُدَقَهُ مِنْ عَذَابِ  
السَّعِيرِ﴾: فى الآخرة. عن أكثر المفسرين، وقال بعضهم: فى الدنيا، وذلك أن الله تعالى وكل  
بهم ملكاً بيده سوط من نار فمن زاغ عن أمر سليمان ضربه ضربة أحرقتة.  
﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُونَ مِنْ مَّحْتَرِبٍ﴾: مساجد ومسكن وقصور، والمحراب: مقدم كل مسجد،  
ومجلس وبيت. قال عدى:

كدمى العاج فى المحارِبِ أو كال  
بيض فى الروض زهره مستنير

وكان مما عملوا له من ذلك بيت المقدس، وقصته وصفته على ما ذكره أهل البصر بالسير أن  
الله تعالى بارك فى نسل إبراهيم (عليه السلام) حتى جعلهم فى الكثرة غاية لا يحصون، فلما  
كان زمن داود (عليه السلام) لبث فيهم ثلاثين سنة بأرض فلسطين، وهم كل يوم يزدادون  
كثرة، فأعجب داود بكثرتهم فأمر بعدهم، فكانوا يعدوننا زماناً من الدهر حتى أيسوا وعجزوا  
أن يحيط علمهم بعدد بنى إسرائيل، فأوحى الله إلى داود: «إنى قد وعدت أباك إبراهيم يوم  
أمرته بذبح ولده فصدقنى واثم امرى أن أبارك له فى ذريته، حتى يصيروا أكثر من عدد نجوم  
السماء وحتى لا يحصيهم العادون، وإنى قد أقسمت أن أبتليهم ببليّة يقل منها عددهم ويذهب  
عنك إعجابك بكثرتهم» وخيره بين أن يعذبهم بالجوع والقحط ثلاث سنين، وبين أن يسلب  
عليهم عدوهم ثلاثة أشهر، وبين أن يرسل عليهم الطاعون ثلاثة أيام.

فجمع داود بنى إسرائيل وأخبرهم بما أوحى الله إليه وخيره فيه ، فقالوا : أنت أعلم بما هو أيسر لنا وأنت نبينا فانظر لنا ، غير أن الجوع لا صبر لنا عليه وتسليط العدو أمر فاضح ، فإن كان لا بد فالموت . فأمرهم داود عليه السلام أن يتجهزوا للموت ، فاغتسلوا وتحنطوا ولبسوا الأكفان وبرزوا إلى الصعيد بالذراري والأهلين ، وأمرهم أن يضحوا إلى الله تعالى ويتضرعوا إليه لعله أن يرحمهم ، وذلك فى صعيد بيت المقدس قبل بناء المسجد . قال : وارتفع داود (عليه السلام) فوق الصخرة فخر ساجداً يتهل إلى الله تعالى فأرسل الله فيهم الطاعون . فأهلك منهم فى يوم وليلة ما لم يتفرغوا من دفنهم إلا بعد مدة شهرين . فلما أصبحوا من اليوم الثانى سجد داود وسجدوا معه إلى طلوع الشمس فلم يرفعوا رؤوسهم حتى كشف الله عنهم الطاعون .

قالوا : فلما أن شفح الله تعالى داود فى بنى إسرائيل فى ذلك المكان جمع داود بنى إسرائيل بعد ثلاثة فقال لهم : «إن الله سبحانه قد منّ عليكم ورحمكم فجددوا له شكراً» . فقالوا : كيف تأمرنا . قال : «أمركم أن تتخذوا من هذا الصعيد الذى رحمكم فيه مسجداً لا يزال فيه منكم ومن بعدكم ذاكراً» .

فلما أرادوا البناء جاء رجل صالح فقير يختبرهم ليعلم كيف إخلاصهم فى ثبوتهم فقال لبنى إسرائيل : إن لى فيه موضعاً أنا محتاج إليه ولا يحل لكم أن تحجبوني عنه . فقالوا له : يا هذا ما أحد فى بنى إسرائيل إلا وله فى هذا الصعيد حق مثل حقك ، فلا تكن أبخل الناس ولا تضايقتنا فيه . فقال : أنا لا أعرف حقى وأنتم لا تعرفون . فقالوا له : إما إن ترضى وتطيب نفساً ، وإلا أخذناه كرهاً . فقال لهم : أوتجدون ذلك فى حكم الله وفى حكم داود؟ .

قال : فرفعوا خبره إلى داود فقال : «أرضوه» . فقالوا : بكم نأخذه يا نبى الله؟ قال : «خذوه بمائة شاة» . فقال الرجل : زد . فقال داود : «بمائة بقرة» . قال : زد . قال : «مائة إبل» . قال : زدنى فإن ما تشتريه لله تعالى . فقال داود : «أما إذا قلت هذا ، فاحتكم أعطكه» فقال : تشتري منى بحائط مثله زيتوناً ونخللاً وعبباً . قال : «نعم» . فقال : تشتريه لله فلا تبخل . قال : «سل ما شئت أعطكه ، وإن شئت أواجرك نفسى» قال : وتفعل ذلك يا نبى الله؟ قال : «نعم إذا شئت» . قال أنت أكرم على الله من ذلك ، ولكنك تبني حوله جداراً مشرفاً ثم تملؤه ذهباً ، وإن شئت ورقاً . قال داود : «هو هين» .

فالتفت الرجل إلى بنى إسرائيل وقال : هذا هو التائب المخلص . ثم قال لداود : يا نبى الله لئن يغفر الله لى ذنباً واحداً أحبُّ إلى من كل شىء وهبته لى ، ولكنى كنت أجربكم .



فأخذوا فى بناء بيت المقدس ، وكان داود (عليه السلام) ينقل لهم الحجارة على عاتقه وكذلك خيار بنى إسرائيل حتى رفعوه قائمة . فأوحى الله تعالى إلى داود (عليه السلام) : «إنّ هذا بيت مقدس وإنك رجل سفك للدماء فلست بيانىه إذ لم أقض ذلك على يدك ، ولكن ابن لك أملكه بعدك اسمه سليمان ، أسلمه من سفك الدماء وأقضى إتمامه على يده ، وذلك صيته وذكره لك باقياً» .

فصلوا فيه زماناً ، وداود يومئذ ابن سبع وعشرين ومائة سنة ، فلما صار من أبناء أربعين ومائة سنة توفاه الله واستخلف سليمان . فأحب بناء بيت المقدس ، فجمع الجن والشياطين وقسم عليهم الأعمال فخص كل طائفة منهم بعمل يستصلحها له . فأرسل الجن والشياطين فى تحصيل الرخام والمها الأبيض الصافى من معادنه ، وأمر ببناء المدينة بالرخام والصفاح ، وجعلها اثنى عشر ريبضاً . وأنزل كل ريبض منها سبطاً من الأسباط وكانوا اثنى عشر سبطاً .

فلما فرغ من بناء المدينة ابتداء فى بناء المسجد ، فوجه الشياطين فرقاً ، فرقاً يستخرجون الذهب والفضة والياقوت من معادنها والدر الصافى من البحر ، وفرقاً يقلعون الجواهر والحجارة من أماكنها ، وفرقاً يأتونه بالمسك والعنبر ، فأتى من ذلك بشىء لا يُحصيه إلا الله تعالى ، ثم أحضر الصناعين وأمرهم بنحت تلك الحجارة المرتفعة وتصييرها ألواحاً ، وإصلاح تلك الجواهر وثقب اليواقيت واللالئ فكانوا يعالجونها ، فتصوت صوتاً شديداً لصلابتها ، فكره سليمان تلك الأصوات . فدعا الجن وقال لهم : «هل عندكم حيلة فى نحت هذه الجواهر من غير تصويت؟» .

فقالوا : يا رسول الله ، ليس فى الجن أكثر تجارب ، ولا أكثر علماً من صخر العفريت ، فأرسل إليه من يأتيك به . فطبع سليمان خاتمه طابعاً . وكان يطبع للشياطين بالنحاس ، ولسائر الجن بالحديد . وكان إذا طبع أحدهما بخاتمه لمع ذلك كالبرق الخاطف ، فكان لا يراه أحد : جنى ولا شيطان إلا انقاد له بإذن الله عزت قدرته .

فأرسل الطابع مع عشرة من الجن فأتوه وهو فى بعض جزائر البحور ، فأروه الطابع ، فلما نظر إليه كاد يصعق خوفاً ، فأقبل مسرعاً مع الرسل حتى دخل على سليمان (عليه السلام) . فسأل سليمان رسله عما أحدث العفريت فى طريقه . فقالوا يا رسول الله إنه كان يضحك بعض الأحايين من الناس . فقال له سليمان (عليه السلام) : «ما رضيت بتمردك علىّ فى ترك المجيء إلى طائعتاً حتى صرت تسخر بالناس؟» .

فقال : يا نبي الله إني لم أسخر منهم غير أن ضحكى كان تعجباً مما كنت أسمع وأرى فى

طريقى . فقال سليمان : « وما ذاك ؟ » .

قال : اعلم أنى مررت برجل على شط نهر ومعه بغلة يريد سقيها ومعه جرة يريد أن يستقى فيها ، فسقى البغلة وملاً الجرة ، ثم أراد أن يقضى حاجته فشد البغلة بأذن الجرة فنفرت البغلة وجرت الجرة فكسرتها ، فضحكت من حمق الرجل حيث توهم أن الجرة تحبس البغلة .  
ومررت برجل وهو جالس عند إسكاف يستعمله فى إصلاح خف له ، فسمعتة يشترط معه أن يصلحه بحيث يبقى معه أربع سنين ونسى نزول الموت به قبله ، فضحكت من غفلته وجهله .

ومررت بعجوز تتكهن وتخبر الناس بما لا يعلمون من أمر السماء ، وقد كنت عهدت رجلاً دفن فى موضع فراشها ذهباً كثيراً فى الدهور الخالية ، فرأيتها تموت جوعاً وتحت فراشها ذهب كثير لا تعلم بمكانه ، ثم تخبر الناس عن أمر السماء فضحكت منها .  
ومررت برجل فى بعض المدن ، وقد كان به داء فيما قيل فأكل البصل فبرأ من دائه ، فصار يتطبب للناس ، فكان لا يأتيه أحد يسأله من علة إلا أمره بأكل البصل وإنه لأضر شىء ، حتى إن ضره ليصل إلى الدماغ ، فضحكت منه .

ومررت ببعض الأسواق فرأيت الثوم وهو أفضل الأدوية كلها يكال كيالاً ، ورأيت الفلفل وهو أحد السموم القاتلة يوزن وزناً فضحكت من ذلك .

ومررت بناس قد جلسوا يبتهلون إلى الله تعالى ويسألونه المغفرة والرحمة ، فملاً منهم قوم وقاموا ، وجاء آخرون وجلسوا فرأيت الرحمة قد نزلت عليهم ، فأخطأت الذين كانوا من أهل المجلس ، وغشيت الذين جاءوا فجلسوا ، فضحكت ؛ تعجباً للقضاء والقدر .

قالوا : فقال سليمان له : هل عرفت فى كثرة تجاربك وجولاتك فى البر والبحر شيئاً تنحت به هذه الجواهر فتلين فيسهل نحتها وثقبها فلا تصوت ؟ فقال : نعم يا نبى الله ، أعرف حجراً أبيض كاللبن يقال له السامور غير أنى لا أعرف معدنه الذى هو فيه ، وليس فى الطير شىء هو أحيل ولا أهدى من العقاب . فمر بعقاب أن تجعل فراخه فى صندوق حجر معه ليلة ، ثم تسرح ذلك العقاب وتترك فراخه فى الصندوق فإنه سيأتى بذلك الحجر فيضرب به ظهر الصندوق حتى ينقبه به ليصل إلى فراخه .

قال : فأمر سليمان بعقاب مع فراخه فجعله فى صندوق من حجر يوماً وليلة ، ثم سرح العقاب دون الفراخ ، فمر العقاب وجاء ذلك الحجر بعد يوم وليلة ، وثقب به الصندوق حتى وصل إلى فراخه . فوجه سليمان مع العقاب نفرأ من الجن حتى أتوه به منه قدر ما علم أن فيه

كفاية ، واستعمل ذلك فى أدوات الصناعين ، فسهل عليهم نحتها من غير تصويت وهو الحجر الذى يستعمل فى نقش الخواتيم وثقب الجواهر إلى اليوم وهو حجر عزيز ثمين .

قال : فبنى سليمان (عليه السلام) المسجد بالرخام الأبيض والأصفر والأخضر ، وعمده بأساطين المها الصافى ، وسقفه بألواح الجواهر الثمينة وفصص سقوفه وحيطانه باللالئ والياقوت وسائر الجواهر ، وبسط أرضه بألواح الفيروزج ، فلم يكن يومئذ بيت فى الأرض أبهى ولا أنور من ذلك المسجد ، كان يضىء فى الظلمة كالقمر ليلة البدر .

فلما فرغ منه جمع إليه أختيار بنى إسرائيل فأعلمهم أنه بناه لله وأن كل شىء فيه خالص لله ، واتخذ ذلك اليوم الذى فرغ منه عيداً .

وقالوا : من أعاجيب ما اتخذ سليمان عليه السلام بيت المقدس أنه بنى بيتاً وطين حائطه بالخضرة وصقله ، فكان إذا دخله الورع البرّ استبان خياله فى ذلك الحائط أبيض ، وإذا دخله الفاجر استبان فيه خياله أسود . فارتدع عند ذلك كثير من الناس عن الفجور والحيانة .

ونصب فى زاوية من زوايا المسجد عصا أنبوس ، فكان من مسها من أولاد الأنبياء لم يضره مسها ، ومن مسها من غيرهم احترقت يده .

وروى الأوزاعى عن ربيعة بن يزيد عن عبد الله بن الديلمى عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله ﷺ : «لما فرغ سليمان من بناء بيت المقدس سأل ربه ثلاثاً فأعطاه اثنين وأنا أرجو أن يكون قد أعطاه الله الثالثة : سأله حكماً يصادف حكمه فأعطاه إياه ، وسأله ملكاً لا ينبغى لأحد من بعده فأعطاه إياه ، وسأله أن لا يأتى هذا البيت أحد يصلى فيه ركعتين إلاّ خرج من ذنوبه كهيئة يوم ولدته أمه وأنا أرجو أن يكون قد أعطاه ذلك» .

قالوا : فلم يزل بيت المقدس على ما بناه سليمان (عليه السلام) حتى غزا نبوخذ نصر فخرّب المدينة وهدمها ، ونقض المسجد ، وأخذ ما كان فى سقوفه وحيطانه من الذهب والفضة والدر والياقوت وسائر الجواهر ، فحمله معه إلى دار مملكته من أرض العراق .

قال سعيد بن المسيب : لما فرغ سليمان من بناء بيت المقدس تغلقت أبوابه ، فعالجها سليمان فلم تفتح ، حتى قال فى دعائه : «بصلوات أبى داود إلاّ فتحت الأبواب» .

فتحت ففرغ له سليمان عشرة آلاف من قرأء بنى إسرائيل : خمسة آلاف بالليل ، وخمسة آلاف بالنهار ، فلا تأتى ساعة من ليل ولا نهار إلا والله يعبد فيها .

﴿وَتَمَثَّلَ﴾ : أى صور ، كانوا يعملون التماثيل من نحاس وصفر وشبه وزجاج ورخام فى المساجد تماثيل الملائكة والنبين الصالحين ؛ لكى إذا رآهم الناس مصورين عبدوا عبادتهم .

﴿وَجَفَانٍ﴾: أى قصاع، واحدها جفنة ﴿كَالْجَوَابِ﴾: كالحياض التى يجبى فيها الماء، أى يجمع، واحدها جابية.

قال الأعشى ميمون بن قيس:

تروح على آل مخلق جفنة كجابية الشيخ العراقى تفهق

أخبرنا أبو بكر الحمشاوى قال: أخبرنى أبو بكر القطيعى إبراهيم بن عبد الله بن مسلم قال: حدثنا مسلم بن إبراهيم قال: حدثنا سهل السراج قال: سمعت الحسن يقول: (وجفان كالجواب) مثل حياض الإبل، ويقال: إنه كان يجتمع على جفنة واحدة ألف رجل يأكلون بين يديه.

﴿وَقُدُورٍ رَأْسِيَّتٍ﴾: ثابتات لا يحولن ولا يحركن من أماكنهن لعظمتهن، ولا ينزلن ولا يعطلن وكانت باليمن، ومنه قيل للجبال: رواسى ﴿أَعْمَلُوا﴾: أى وقلنا: اعملوا ﴿ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾: مجازة: اعملوا بطاعة الله يا آل داود شكراً له على نعمه، و﴿شُكْرًا﴾: فى محل المصدر. ﴿وَقِيلَ مِّنْ عِبَادِ الشُّكُورِ﴾: أرسل حمزة (الياء) وفتحها الباقون. قال القرطبي: الشكر: تقوى الله والعمل بطاعته.

وحدثونا عن محمد بن يعقوب قال: حدثنا الحصر بن أبان قال: حدثنا سيار قال: حدثنا جعفر بن سليمان قال: سمعت ثابتاً يقول: كان داود نبى الله (عليه السلام) قد جزاً ساعات الليل والنهار على أهله فلم يكن بأى ساعة من ساعات الليل والنهار إلا وإنسان من آل داود قائم يصلى، فعمهم الله تعالى فى هذه الآية ﴿أَعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾.

﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ﴾: قال المفسرون: كان سليمان (عليه السلام) يتحرز فى بيت المقدس السنة والستين والشهر والشهرين، وأقل من ذلك وأكثر، يدخل فيه طعامه وشرابه، فأدخله فى المرة التى مات فيها وكان بدو ذلك أنه لم يكن يوم يصبح فيه إلا نبتت فى بيت المقدس شجرة فيسألها: «ما اسمك؟» فتقول الشجرة: اسمى كذا وكذا، فيقول لها: «لأى شىء أنت؟» فتقول: لكذا وكذا، فيأمر بها فتقطع. فإن كانت نبتت لغرس غرسها وإن كانت لدواء كتب.

فبينما هو يصلى ذات يوم إذ رأى شجرة بين يديه، فقال لها: «ما اسمك؟». قالت: الخروبة. قال: «ولأى شىء نبت؟» قالت لخراب هذا المسجد. فقال سليمان: «ما كان الله ليخربه وأنا حى، أنت التى على وجهك هلاكى، وخراب بيت المقدس». فنزعها وغرسها فى حائط له ثم قال: «اللهم عم على الجن موتى حتى يعلم الإنس أن الجن لا يعلمون الغيب» -

وكانت الجن تخبر الإنس أنهم يعلمون من الغيب أشياء وإنهم يعلمون ما فى غد - ثم دخل المحراب فقام يصلى متكئاً على عصاه فمات .

قال ابن زيد : قال سليمان ملك الموت : «إذا أمرت بى فأعلمنى» . قال : فأتاه فقال : «يا سليمان قد أمرت بك ، وقد بقيت لك سوية» .

فدعا الشياطين فبنوا عليه صرحاً من قوارير ليس له باب ، فقام يصلى واتكأ على عصاه ، فدخل عليه ملك الموت فقبض روحه وهو متكئ على عصاه .

وفى رواية أخرى : أن سليمان (عليه السلام) قال ذات يوم لأصحابه : «قد آتانى الله من الملك ما ترون ، وما مرّ على يوم فى ملكى بحيث صفا لى من الكدر ، وقد أحببت أن يكون لى يوم واحد يصفو لى إلى الليل ، ولا أغتم فيه ولكن ذلك اليوم غداً» .

فلما كان من الغد دخل قصرأ له وأمر بإغلاق أبوابه ، ومنع الناس من الدخول عليه ، ورفع الأخبار إليه لئلا يسمع ذلك اليوم شيئاً يسوؤه ، ثم أخذ عصاه بيده ، وصعد فوق قصره واتكأ على عصاه ينظر فى ممالكه ، إذ نظر إلى شاب حسن الوجه عليه ثياب بيض قد خرج عليه من جانب من جوانب قصره ، فقال : «السلام عليك يا سليمان» . فقال : «وعليك السلام ، كيف دخلت هذا القصر ، وقد منعت من دخوله ؟ أما منعك البوآب والحجآب ؟ أما هبتنى حيث دخلت قصرى بغير إذننى ؟» فقال : «أنا الذى لا يحجبنى حاجب ، ولا يدفعنى بوآب ولا أهآب الملوك ، ولا أقبل الرشا وما كنت لأدخل هذا القصر بغير إذن» قال سليمان : «فمن أذن لك فى دخوله ؟» قال «ربه» .

فارتعد سليمان وعلم أنه ملك الموت ، فقال له : «أنت ملك الموت ؟» قال : «نعم» ، قال : «فبم جئت ؟» .

قال : «جئت لأقبض روحك» . قال : «يا ملك الموت هذا يوم أردت أن يصفو لى ولا أسمع فيه ما يغمى» . قال : «يا سليمان ، إنك أردت يوماً يصفو لك فيه عيشك حتى لا تغتم فيه ، ذلك اليوم لم يخلق فى أيام الدنيا فارض بقضاء ربك فإنه لا مرد له» . قال : «فامض لما أمرت به» .

فقبض ملك الموت روحه وهو متكئ على عصاه . قالوا : وكانت الشياطين تجتمع حول محرابه ومصلاه أينما كان ، فكان للمحراب كوى بين يديه وخلفه ، وكان الشيطان الذى يريد أن يخرج يقول : ألسنت جليداً إن دخلت فخرجت من ذلك الجانب ، فيدخل حتى يخرج من الجانب الآخر . فدخل شيطان من أولئك فمر ولم يسمع صوت سليمان ، ثم رجع فلم يسمع ،

ثم رجع فوقع في البيت فلم يحترق فنظر إلى سليمان وقد سقط ميتاً، فخرج فأخبر الناس أن سليمان قد مات، ففتحوا عنه فأخرجوه ووجدوا منسأته - وهى العصا بلسان الحبشة - قد أكلتها الأرضة، ولم يعلموا مذكم مات، فوضعوا الأرضة على العصا، فأكلت منها يوماً وليلة، ثم حسبوا على ذلك النحو فوجدوه قد مات من سنة، وكانت الجن تعمل بين يديه ينظرون إليه ويحسبون أنه حى ولا ينظرون احتباسه عن الخروج إلى الناس لطول صلاته قبل ذلك.

وهى فى قراءة ابن مسعود: فمكثوا يدأبون له من بعد موته حولاً كاملاً، فأيقن الناس أن الجن كانوا يكذبونهم، ولو أنهم علموا الغيب لعلموا بموت سليمان ولم يلبثوا فى العذاب سنة يعملون له. ثم إن الشياطين قالوا للأرضة: لو كنت تأكلين الطعام أتيناك بأطيب الطعام، ولو كنت تشربين الشراب سقيناك أطيب الشراب، ولكننا سننقل إليك الطين والماء. فهم ينقلون إليها ذلك حيث كانت. قال: ألم تر إلى الطين الذى يكون فوق الخشب فهو مما يأتيها به الشياطين تشكراً لها، فذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا فَضَّيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ﴾ وهى الأرضة، ويقال لها: القادح أيضاً وهى دوية تأكل العيدان.

﴿تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ﴾: أى عصاه، فأصلها من نسأت الغنم إذا زجرتها وسقتها، وقال طرفة:

أمون كألواح الأران نسأتها      على لاحب كأنه ظهر برجد

أى سقتها، وهمزها أكثر القراء، وترك همزها أبو عمرو وأهل المدينة، وهما لغتان، وقال الشاعر فى الهمز:

ضربنا بمنسأة وجهه      فصار بذاك مهيناً ذليلاً

وقال الآخرون فى ترك الهمز:

إذا دببت على المنسأة من هرم      فقد تباعد عنك اللهو والغزل

قوله: ﴿مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ﴾ فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين، و﴿أن﴾: فى محل الرفع؛ لأن معنى الكلام: فلما خرتين وانكشف أن لو كان الجن أى ظهر أمرهم، وفى قراءة ابن مسعود أن لو كان الجن يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين، وقيل: ﴿أن﴾ فى موضع نصب أى علمت وأيقنت الجن أن لو كانوا يعلمون.

وقال أهل التاريخ: كان عمر سليمان (عليه السلام) ثلاثاً وخمسين سنة وكان مدة ملكه أربعين سنة، وملك يوم ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة، وابتدأ فى بناء بيت المقدس لأربع سنين مضي من ملكه والله أعلم.

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جِئْتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ  
 بَلَدَةً طَيِّبَةً وَرَبُّ غَفُورٌ ﴿١﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ  
 أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿٢﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا  
 الْكَافِرِينَ ﴿٣﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم وَبَيْنَ الْقَرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ  
 سِيرُوا فِيهَا لِيَالِي وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴿٤﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ  
 أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَرِّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾ وَلَقَدْ صَدَقَ  
 عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦﴾ وَمَا كَانَ لَهُمْ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا  
 لِيَعْلَمَ مَنْ يُوْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٧﴾ قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ  
 زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ  
 شِرْكٍَ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ﴿٨﴾ وَلَا تَتَّبِعُ الشَّفْعَةَ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَدْنَى لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُرِعَ عَنْ  
 قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٩﴾ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنْ  
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١٠﴾ قُلْ لَا تُسْأَلُونَ  
 عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبَّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ  
 الْعَلِيمُ ﴿١٢﴾ قُلِ ارْوِنِي الَّذِينَ أَحَقَّتْ بِهِ شُرَكَاءُ كَلَّابٌ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ﴾، روى أبو سبرة النخعي عن فروة بن مسيك الغطيفي قال: قال  
 رجل: يا رسول الله، أخبرني عن سبأ ما كان؛ رجلاً أو امرأة، أو أرضاً أو جبلاً أو وادياً؟ فقال  
 ﷺ: «ليست بأرض ولا امرأة ولكنه كان رجلاً من العرب ولد له عشرة من الولد، فتيامن  
 منهم ستة وتشاءم أربعة؛ فأما الذين تيامنوا، فكندة والأشعريون والأزد ومدحج وأعمار  
 وحمير».

فقال رجل: وما أعمار؟ قال: «الذين منهم خثعم وبعيلة، وأما الذين تشاءموا فعاملة  
 وجدام ولخم وغسان».

والإجراء وترك الإجراء فيه سائح، وقد قرئ بهما جميعاً فالإجراء على أنه اسم رجل  
 معروف، وترك الإجراء على أنه اسم قبيلة نحو (هذه تميم).

واختاره أبو عبيد لقوله :

﴿ فِي مَسْكِنِهِمْ ﴾ ، واختلف القراء فيه ، فقرأ حمزة والنخعي : (مسكنهم) - بفتح الكاف - على الواحد ، وقرأ يحيى بن وثاب والأعمش والكسائي وخلف بكسر الكاف على الواحد .  
الباقون : ﴿ مَسْكِنِهِمْ ﴾ جمع .

﴿ آيَةٌ ﴾ : دلالة على وحدانيتنا وقدرتنا ، ثم فسرها فقال : ﴿ جَنَّاتٍ ﴾ أى هى جنتان : بستانان ﴿ عَنْ يَمِينٍ ﴾ : من أتاهاما ﴿ وَشِمَالٍ ﴾ : وعن شماله ﴿ كَلُوا ﴾ : وقيل لهم : كلوا ﴿ مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ ﴾ : على ما أنعم عليكم ، وإلى ههنا تم الكلام ثم ابتداء فقال : ﴿ بِلَادَةٍ ﴾ أى هذه بلدة أو بلدتكم بلدة ﴿ طَيِّبَةً ﴾ : ليست بسبخة . قال ابن زيد : لم يكن يرى فى بلدتهم بعوضة قط ولا ذباب ولا برغوث ولا عقرب ولا حية ، وإن كان الركب ليأتون وفى ثيابهم القمل والدواب فما هو إلا أن ينظروا إلى بيوتهم فتموت الدواب ، وإن كان الإنسان ليدخل الجنتين فيمسك القفة على رأسه فيخرج حين يخرج وقد امتلأت تلك القفة من أنواع الفواكه ولم يتناول منها شيئاً بيده فذلك قوله سبحانه : ﴿ بِلَادَةٍ طَيِّبَةٍ ﴾ الهواء ، ﴿ وَرَبِّ غَفُورٍ ﴾ الخطأ كثير العطاء .

قوله تعالى : ﴿ فَأَعْرَضُوا ﴾ ، قال وهب : بعث الله إلى سبأ ثلاثة عشر نبياً فدعواهم إلى الله ، وذكروهم نعمه عليهم ، وأندروهم عقابه ، فكذبوهم وقالوا : ما نعرف الله علينا نعمة . فقولوا لربكم الذى تزعمون فليحبس هذه النعمة عنا إن استطاع ، فذلك قوله عز وجل : ﴿ فَأَعْرَضُوا ﴾ .  
﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِيرِ ﴾ ، والعريم : السد والمسناة التى تحبس الماء واحدها عرمة ، وأصلها من العرامة وهى الشدة والقوة .

وقال ابن عباس ووهب وغيرهما : كان هذا السد يسقى جنتيهم ، وكان فيما ذكر بنته بلقيس وذلك أنها لما ملكت جعل قومها يقتتلون على ماء واديهم فجعلت تنهاهم فلا يطيعونها ، فتركت ملكها وانطلقت إلى قصر لها فنزلته ، فلما كثر الشر بينهم وندموا أتوها فأرادوها على أن ترجع إلى ملكها فأبت ، فقالوا : لترجعن أو لنقتلنك . فقالت : إنكم لا تطيعوننى وليست لكم عقول . قالوا : فإننا نطيعك فإننا لم نجد فينا خيراً بعدك . فجاءت فأمرت بواديهم فسد بالعرم وهو المسناة بلغة حمير ، فسدت ما بين الجبلين بالصخر والقار ، وجعلت له أبواباً ثلاثة بعضها فوق بعض ، وبنت من دونه بركة ضخمة ، فجعلت فيها اثنى عشر مخرجاً على عدة أنهارهم ، فلما جاء المطر اجتمع إليه ماء الشجر وأودية اليمن ، فاحتبس السيل من وراء السد فأمر بالباب الأعلى ففتح فجرى ماؤه فى البركة وأمرت بالبعر فألقى فيها ، فجعل



بعض البعر يخرج أسرع من بعض، فلم تزل تضيق تلك الأنهار وترسل البعر فى الماء حتى خرجت جميعاً معاً فكانت تقسمه بينهم على ذلك، حتى كان من شأنها وشأن سليمان ما كان.

وبقوا على ذلك بعدها، وكانوا يسقون من الباب الأعلى، ثم من الباب الثانى، ثم من الباب الأسفل ولا ينفد الماء، حتى يؤوب الماء من السنة المقبلة.

فلما طغوا وكفروا، سلط الله عليهم جرذاً يسمى الخلد فنقب من أسفله، فغرق الماء جناتهم وخرب أرضهم.

وقال وهب: وكانوا فيما يزعمون يجدون فى علمهم وكهانتهم أنه يخرب سدهم ذلك فأرة، فلم يتركوا فرجة بين حجرين إلا ربطوا عندها هرة، فلما جاء زمان وما أراد الله بهم من التفريق أقبلت فيما يذكرون فأرة حمراء إلى هرة من تلك الهرة فساورتها حتى استأخرت عنها الهرة، فدخلت فى الفرجة التى كانت عندها فتغلغلت فى السد فنقبت وحفرت حتى وهنته للسيل وهم لا يعلمون ذلك. فلما جاء السيل وجد خللاً فدخل فيه حتى قلع السد وفاض على أموالهم فغرقها ودفن بيوتهم الرمل، وفرقوا ومزقوا حتى صاروا مثلاً عند العرب فقالوا: تفرقوا أيدي سبأ، وأيدي سبأ، فذلك قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِيرِ﴾.

وقيل: العرم هو المطر الشديد من العرامة وهى التمرد والعصيان.

﴿وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِىْٓ أَكْلٍ خَمْطٍ﴾: قراءة العامة بالتونين، وقرأ أبو عمرو ويعقوب بالإضافة، وهما متقاربتان كقول العرب: فى بستان فلان أعناب كرم وأعناب كرم، فتضيف أحياناً الأعناب إلى الكرم؛ لأنه منه، وتون أحياناً الأعناب، ثم يترجم بالكرم عنها؛ إذ كانت الأعناب ثمر الكرم.

والأكل: الثمر، والخمط: الأراك فى قول أكثر المفسرين، وقيل: كل شجرة ذات شوك، وقيل: شجرة الغضا، وقيل: هو كل نبت قد أخذ طعماً من المرارة حتى لا يمكن أكله، ﴿وَأَثَلٍ﴾: وهو الطرفاء، عن ابن عباس، وقيل: هو شجر شبيه بالطرفاء إلا أنه أعظم منه، وقال الحسن، الأثل الخشب. قتادة: ضرب من الخشب، وقيل: هو السم. أبو عبيدة: هو النضار. ﴿وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾، قال قتادة: بينما شجر القوم من خير الشجر إذ صيره الله من شر الشجر بأعمالهم. قال الكلبي: فكانوا يستظلون بالشجر ويأكلون البربر وثمر السدر وأبوا أن يجيبوا الرسل ﴿ذَلِكَ﴾ الذى جعلنا بهم، ﴿جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا﴾: أى بكفرهم، ومحل ذلك نصب بوقوع المجازاة عليه، تقديره جزيناهم ذلك بما كفروا: ﴿وَهَلْ نُجْزِيْٓ إِلَّا الْكَافِرِينَ﴾ قرأ

أهل الكوفة بالنون وكسر الزاي ونصب الرءاء، واختاره أبو عبيدة قال: لقوله: ﴿جَزَيْنَاهُمْ﴾، ولم يقل: جُوزوا، وقرأ الآخرون بياء مضمومة وفتح الزاي ورفع الرءاء، ومعنى الآية: وهل يجازى مثل هذا الجزاء إلا الكفور، وقال مجاهد: يجازى أى يعاقب.

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا﴾: وهى الشام ﴿قَرَى ظَهْرَةَ﴾: أى متواصلة تظهر الثانية من الأولى لقربها منها. قال الحسن: كان أحدهم يغدو فيقبل فى قرية ويروح فيأوى إلى أخرى، وكانت المرأة تخرج معها مغزلها وعلى رأسها مكتلها ثم تمتهن بمغزلها فلا تأتى بيتها حتى يمتلئ مكتلها من الثمار، وكان ما بين اليمن والشام كذلك.

وقال ابن عباس: ﴿قَرَى ظَهْرَةَ﴾ يعنى: قرى عربية بين المدينة والشام. سعيد بن جبير: هى القرى التى ما بين مأرب والشام. مجاهد: هى السروات، وهب بن منبه: هى قرى صنعاء. ﴿وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ﴾: أى جعلنا السير بين قراهم والقرى التى باركنا فيها سيرا مقدرًا من منزل إلى منزل، ومن قرية إلى قرية، لا ينزلون إلا فى قرية، ولا يغدون إلا فى قرية، وقلنا لهم: ﴿سَيَرُوا فِيهَا لِيَالِي وَأَيَّامًا﴾: وقت شئتم ﴿ءَامِنِينَ﴾: لا تخافون عدوا ولا جوعًا ولا عطشًا، ولا تحتاجون إلى زاد ولا ماء، فبطروا وطغوا ولم يصبروا على العافية وقالوا: لو كان جنى جناننا أبعد مما هى كان أجدر أن نشتهيه.

﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾: فاجعل بيننا وبين الشام فلوات ومفاوز لنركب فيه الرواحل، وتنزود الأزواد. فجعل الله لهم الإجابة، واختلف القراءة فى هذه الآية؛ فقرأ ابن كثير وأبو عمرو: (ربنا بعد)، على وجه الدعاء والسؤال من (التبعيد)، وهى رواية هشام عن قرأء الشام، وقرأ ابن الحنفية ويعقوب: ﴿رَبَّنَا﴾ - برفع الباء - ﴿بَعْدَ﴾ - بفتح الباء والعين والبدال - على الخبر، وهى اختيار أبى حاتم، استبعدوا أسفارهم بطراً منهم وأشراً، وقرأ الباقون: ﴿رَبَّنَا﴾: بفتح الباء، ﴿بَعْدَ﴾: بالألف وكسر العين وجزم البدال - على الدعاء، ففعل الله ذلك بهم، فقال: ﴿وَوَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾: بالكفر والبطر والطغيان، ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾: عظة وعبرة يتمثل بهم، ﴿وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾، قال الشعبى: أما غسان فلحقوا بالشام، وأما الأنصار فلحقوا بيثرب، وأما خزاعة فلحقوا بتهامة، وأما الأزد فلحقوا بعمان.

وقال ابن إسحاق: يزعمون أن عمران بن عامر وهو عم القوم - كان كاهناً فرأى فى كهانته أن قومه سيمزقون ويباعد بين أسفارهم، فقال لهم: إنى قد علمت أنكم ستمزقون، فمن كان منكم ذا هم بعيد وحمل شديد ومزاد جديد فليلحق بكاسن أو كرود، قال: فكان وادعة بن عمرو.

ومن كان منكم يريد عيشًا هائئًا وحرماً آمناً فليلحق بالأردن فكانت خزاعة، ومن كان منكم يُريد الراسيات فى الرجل والمطعمات فى المحل، فليلحق بيثرب ذات النخل، فكان الأوس والخزرج، ومن كان منكم يُريد خمراً وخميراً وذهباً وحريراً وملكاً وتأميراً، فليلحق بكوثى وبصرى، فكانت غسان بنو جفنة ملوك الشام، ومن كان منهم بالعراق.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ : قال مطرف : هو المؤمن الذى إذا أُعطى شكر وإذا ابتلى صبر .

قوله : ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾ ، قرأ أهل الكوفة : بتشديد الدال وهى قراءة ابن عباس واختيار أبى عبيد، أى ظن فيهم ظناً حيث قال : ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغَوِّيَهُمْ أُجْمَعِينَ﴾ (ص: ٨٢)، وقال : ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ (الأعراف: ١٧)، فصدق ظنه وحققه لفعله ذلك بهم واتباعهم إياه، وقرأ الآخرون : ﴿صَدَّقَ﴾ : بالتخفيف أى صدق عليهم فى ظنه بهم .

﴿عَلَيْهِمْ﴾ : أى على أهل سبأ، وقال مجاهد : على الناس كلهم إلا من أطاع الله ﴿فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وَمَا كَانَ لَهُمْ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا : إلا تسليطنا إياه عليهم ﴿لِنَعْلَمَ﴾ : لنرى ونميز، ونعلمه موجوداً ظاهراً كائناً موجباً للثواب والعقاب، كما علمناه قبل مفقوداً معدوماً بعد ابتلاء منا لخلقنا .

قال الحسن : والله ما ضربهم بسيف ولا عصا ولا سوط إلا أمانى وغروراً دعاهم إليها .  
﴿مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنهَا فِي شَكٍّ﴾ الآية .

﴿قُلْ﴾ : يا محمد لهؤلاء المشركين الذين أنت بين ظهرانيهم : ﴿أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ آلِهَةٌ مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾ ، ثم وصفها فقال : ﴿لَا يَلِكُونُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ من خير وشر وضر ونفع، فكيف يكون إلهاً من كان كذلك؟ ﴿وَمَا لَهُمْ فِيهَا﴾ أى فى السموات والأرض ﴿مِنْ شَرِكٍ﴾ : شركة ﴿وَمَا لَهُمْ﴾ : أى لله ﴿مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾ : عون .

﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ : تكذيباً منه لهم حيث قالوا : هؤلاء شفعاؤنا عند الله، وقرأ أبو عمرو والأعمش وحمزة والكسائى : (أذن) بضم الألف، واختلف فيها عن عاصم، وقرأ غيرهم : بالفتح .

﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ﴾ : قرأ ابن عامر ويعقوب بفتح الفاء والزاي، وقرأ غيرهما : بضم الفاء وكسر الزاي، أى كشف الفزع، وأخرج ﴿عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾ ، وأخبرنى ابن فنجويه قال : أخبرنى أبو على ابن حبيس المقرئ قال : حدثنا أبو عبيد القاضى قال : أخبرنى الحسين بن محمد الصباغ عن عبد الوهاب عن موسى الأسوارى عن الحسن أنه كان يقرؤها حتى (إذا فرغ عن قلوبهم) -

بالراء والعين - يعني : فرعت قلوبهم من الخوف .

واختلفوا فى هذه الكناية والموصوفين بهذه الصفة ؛ من هم ؟ وما السبب الذى من أجله فزع عن قلوبهم ؟

فقال قوم : هم الملائكة ، ثم اختلفوا فى سبب ذلك ، فقال بعضهم : إنما يُفزع عن قلوبهم غشية تصيبهم عند سماعهم كلام الله سبحانه .

أخبرنا عبد الله بن حامد عن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل عن الحسن بن على بن عفان قال : حدثنا ابن نمير عن الأعمش عن مسلم عن مسروق عن عبد الله قال : إذا تكلم الله عز وجل بالوحي سمع أهل السماء صلصلة كصلصلة السلسلة على الصفوان فيصعقون عند ذلك ويخرون سجداً ، فإذا علموا أنه وحى فزع عن قلوبهم . قال : فيرد إليهم ، فينادى أهل السموات بعضهم بعضاً : « قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ » فرفعه بعضهم .

وأخبرنا عبد الله بن حامد قال : أخبرنى أبو العباس أحمد بن محمد بن أبى سعيد البزاز قال : حدثنا على بن أشكاب قال : أخبرنى أبو معاوية عن الأعمش عن مسلم بن صبيح عن مسروق عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله عز وجل إذا تكلم بالوحي سمع أهل السماء للسماء صلصلة كجر السلسلة على الصفاء ، فيصعقون فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبرئيل (عليه السلام) ، فإذا جاءهم جبرئيل (عليه السلام) فزع عن قلوبهم فيقولون : يا جبرئيل ماذا قال ربك ؟ قال : يقول : الحق ، فينادون : الحق الحق » .

والشاهد لهذا الحديث والمفسر له ما أخبرنا أبو محمد عبد الله بن محمد الفقيه قال : أخبرنى أبو بكر أحمد بن إسحاق بن أيوب قال : أخبرنا بشر بن موسى قال : حدثنا الحميدى قال : حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار قال : سمعت عكرمة يقول : سمعت أبا هريرة يقول : إن نبي الله ﷺ قال : « إذا قضى الله عز وجل الأمر فى السماء ، ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاً لقوله كأنه سلسلة على صفوان ، فإذا فزع عن قلوبهم قالوا : ماذا قال ربكم ؟ قالوا : للذى قال : الحق وهو العلى الكبير » .

وأنبأنى عقيل بن محمد عن المعافى بن زكريا عن محمد بن جرير الطبرى عن زكريا بن أبان المصرى عن نعيم عن الوليد بن مسلم عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر بن أبى زكريا عن رجاء ابن حيوة عن النواس بن سمعان قال : قال رسول الله : « فإذا سمع بذلك أهل السموات ، صعقوا وخروا لله سجداً ، فيكون أول من يرفع رأسه جبرئيل ، فيكلمه الله من وحيه بما أراد ، ثم يمر جبرئيل على الملائكة ، كلما مر بسماء سأله ملائكتها ماذا قال ربنا يا جبرئيل ؟ فيقول

جبرئيل : قال الحق وهو العلى الكبير . قال : فيقولون كلهم مثل ما قال جبرئيل ، فينتهى جبرئيل بالوحى حيث أمر الله .

وبه عن ابن جرير عن يعقوب عن ابن عليه عن أيوب عن هشام عن عروة قال : قال الحارث بن هشام لرسول الله ﷺ : كيف يأتيك الوحى ؟ قال : «يأتينى فى صلصلة كصلصلة الجرس فيفصم عنى حين يفصم وقد وعيته ، ويأتينى أحياناً فى مثل صورة الرجل فيكلمنى به كلاماً وهو أهون على» .

وقال بعضهم : إنما يفزعون حذراً من قيام الساعة .

وقال الكلبي : كان بين عيسى ومحمد (عليهما السلام) فترة زمان طويلة لا يجرى فيها الرسل خمسمائة وخمسين عاماً ، فلما بعث الله محمداً عليه السلام كلم الله جبرئيل بالرسالة إلى محمد ، فلما سمعت الملائكة الصوت ظنوا أن الساعة قد قامت فصعقوا مما سمعوا ، فلما انحدر جبرئيل جعل يمر بأهل كل سماء فيكشط عنهم فيرفعون رءوسهم ، فيقول بعضهم لبعض : ماذا قال ربكم ؟ فلم يدروا ما كان ولكنهم قالوا : قال الحق وهو العلى الكبير ؛ وذلك أن محمداً عند أهل السموات من أشراط الساعة ، فلما بعثه الله تعالى فزع أهل السموات لا يشكون إلا أنها الساعة .

وقال الضحاك : إن الملائكة المعقبات الذين يختلفون إلى أهل الأرض يكتبون أعمالهم ، إذا أرسلهم الرب فانحدروا سمع لهم صوت شديد ، فيحسب الذين هم أسفل من الملائكة أنه من أمر الساعة فيخرون سجداً ويصعقون ، حتى يعلموا أنه ليس من أمر الساعة ، وهذا تنبيه من الله سبحانه وإخبار أن الملائكة مع هذه الصفة لا يمكنهم أن يشفعوا لأحد إلا أن يؤذن لهم ، فإذا أذن الله لهم وسمعوا وحيه كان هذا حالهم . فكيف تشفع الأصنام ؟!

وقال آخرون : بل الموصوفون بذلك المشركون .

قال الحسن وابن زيد يعنى : حتى إذا كشف الفزع عن قلوب المشركين عند نزول الموت بهم إقامة للحجة عليهم ، قالت لهم الملائكة : ماذا قال ربكم فى الدنيا؟ قالوا : الحق ، فأقروا به حين لم ينفعهم الإقرار ، ودليل هذا التأويل قوله تعالى فى آخر السورة : ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ فَرَغُوا فَلَا قُوَّةَ﴾ (سبأ: ٥١) .

﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ : هذا على وجهه الإنصاف فى الحجاج كما يقول القائل : أحدنا كاذب وهو يعلم أنه صادق وأن صاحبه كاذب .

والمعنى: ما نحن وأنتم على أمر واحد، إن أحد الفريقين لمهتد والآخر ضال. فالنبي ومن معه على الهدى ومن خالفه في ضلال، فكذبهم بأحسن من تصريح التكذيب. وقيل هذا على جهة الاستهزاء بهم وهو غير شاك في دينه، وهذا كقول الشاعر وهو أبو الأسود:

يقول الأزدلون بنو قشير:      طوال الدهر لا تنسى علياً  
بنو عم النبي وأقربوه      أحبُّ الناس كلَّهمُ إلياً  
فإن يك جبهم رشداً أصبهُ      وليس بمخطئ إن كان غيياً

فقاله من غير شك، وقد أيقن أن جبهم رشد.

وقال بعضهم: ﴿أو﴾ بمعنى الواو، يعنى: إنا لعلى هدى وإنكم لفى ضلال مبین، كقول جرير:

أثعلبة الفوارس أورياحا      عدلت بهم طهيةً والخشبا

يعنى ثعلبة ورياحا.

﴿قُلْ لَا تَسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نَسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبَّنَا: يوم القيامة ﴿ثُمَّ يَفْتَحْ بَيْنَنَا﴾: يقضى بيننا ﴿بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتْاحُ الْعَلِيمُ﴾ قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَحَقُّم بِهِ شُرَكَاءَ: يعنى الأصنام هل خلقوا من الأرض شيئاً، أم لهم شرك فى السموات. وتفسيرها فى سورة (الملائكة)، و(الأحقاف).

ثم قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، وهو القاهر القوى الذى يمنع من يشاء ولا يمنعه مانع، فهو العزيز المنتقم من كفر به وخالفه، والحكيم فى تدبيره لخلقه، فأنى يكون له شريك فى ملكه؟



﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾  
وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَحْجِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَعُوا لِّلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِّلَّذِينَ اسْتَضَعُوا لَنَا نَحْنُ

صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِلَّذِينَ  
 اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ  
 لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا  
 يَعْمَلُونَ ﴿١١﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿١٢﴾  
 وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ  
 وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ  
 عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جِزَاءٌ الضَّعِيفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي  
 الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ ﴿١٥﴾ وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾  
 قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ  
 خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١٧﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهْتُولَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿١٨﴾ قَالُوا  
 سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَآيَاتُنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴿١٩﴾ فَالْيَوْمَ لَا  
 يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا  
 تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا نُنَادَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا  
 كَانُوا يَعْبُدُ آبَاءَكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُّفْتَرَىٰ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ  
 هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٢١﴾ وَمَا ءَاتَيْنَاهُمْ مِنْ كِتَابٍ يَذْرُؤُنَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ  
 نَّذِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَّغُوا مِعْشَارَ مَا ءَاتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ  
 نَكِيرِي ﴿٢٣﴾ قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلِي وَفِرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ  
 مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢٤﴾ قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرِ فَهُوَ  
 لَكُمْ إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَٰمُ  
 الْغُيُوبِ ﴿٢٦﴾

قوله عز وجل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَآفَّةً﴾: عامة ﴿لِلنَّاسِ﴾: كلهم؛ العرب والعجم وسائر الأمم. أخبرنا عبد الله بن حامد قال: أخبرنا محمد بن جعفر قال: حدثنا علي بن حرب قال: حدثنا ابن فضيل قال: حدثنا يزيد بن أبي زياد عن مجاهد ومقسم عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «أعطيت خمساً ولا أقول فخراً: بعثت إلى الأحمر والأسود، وجعلت لى الأرض طهوراً ومسجداً، وأحل لى المغنم ولم يحل لأحد كان قبلى، ونصرت بالرعب فهو يسير أمامى مسيرة شهر وأعطيت الشفاعة فادخرتها لأمتى يوم القيامة، وهى إن شاء الله نائلة من لم يشرك بالله شيئاً».

وقيل: معناه كاف للناس. يكفهم عما هم عليه من الكفر، ويدعوهم إلى الإسلام، والهاء فيه للمبالغة.

﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَحْجِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَنْدِمُونَ﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ﴿مِنَ الْكُتُبِ﴾، ثم أخبر حالهم فى مآلهم، فقال: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ﴾: الكافرون ﴿مَوْفُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلِ﴾: يتلاومون ويحاور بعضهم بعضاً ﴿يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتَ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا أَنَحْنُ صَدَدْتَنَّاكَ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكَ بِل كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرَ الْإِنْسِ وَالنَّهَارِ﴾: أى مكركم بنا. فهما كما يُقال: عزم الأمر وفلان نهاره صائم وليله قائم. قال الشاعر:

#### ❖ ونمت وما ليل المطى بنائم ❖

وقيل: مكر الليل والنهار بهم طول السلامة فيهما كقوله: ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ﴾ (الحديد: ١٦)، ونحوه. ﴿إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسْرُوا﴾: أظهروا ﴿التَّدَامَةَ﴾، وهو من الأضداد؛ يكون بمعنى الإخفاء، والإبداء ﴿لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ﴾: الجوامع من النار ﴿فِي أَعْتَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: الأتباع والمتبوعين، ﴿هَلْ يُجِزُونَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: فى الدنيا. ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرِيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ﴾: رسول ﴿إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا﴾: رؤساؤها وأغنياؤها ﴿إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ وَقَالُوا أَنَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا﴾: منكم، ولو لم يكن راضياً بما نحن عليه من الدين والعمل لم يخولنا الأموال والأولاد.

﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ﴾ قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾، وليس يدل ذلك على العواقب والمنقلب، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾: أنها كذلك.



﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ﴾: لكن من آمن ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا﴾: من الثواب بالواحد عشرة، و﴿مَنْ﴾: يحتمل وجهين: أحدهما: أن يكون محله نصباً بوقوع تقرب عليه، والآخر: رفع تقديره: وما هو إلا من آمن. ﴿وَهُمْ فِي الْعُرْفِ﴾: الدرجات ﴿ءَامِنُونَ﴾.

وقراءة العامة: ﴿جَزَاءُ الضَّعْفِ﴾: بالإضافة، وقرأ يعقوب: (جزاء) منصوباً منوناً. الضعف رفع مجازه: فأولئك لهم الضعف جزاء على التقدير والتأخير، وقراءة العامة: الغرفات بالجمع، واختاره أبو عبيد قال: لقوله: ﴿لَتُبَرَّئْتُمْ مِنَ الْجَنَّةِ عُزُوفًا﴾ (العنكبوت: ٥٨)، وقرأ الأعمش وحمزة: (فى الغرفة) على الواحدة.

﴿وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ﴾: يعملون ﴿فِي آيَاتِنَا﴾: يبطل حججنا وكتابتنا، ﴿مُعَاجِزِينَ﴾: معاونين معاندين يحسبون أنهم يفوتوننا بأنفسهم ويعجزوننا، ﴿أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُخَضَّرُونَ﴾ ﴿قُلْ إِنْ رَبِّي يَسُبُّ الرَّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِي وَيَقْدِرْ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾. قال سعيد بن جبیر: ما كان من غير إسراف ولا تقتير فهو يخلفه، وقال الكلبي: ما تصدقتم من صدقة وأنفقتم فى الخير والبر من نفقة فهو يخلفه إما أن يعجله فى الدنيا وإما أن يدخر له فى الآخرة: أخبرنى الحسين ابن محمد بن الحسين قال: حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان بن عبد الله قال: حدثنا أبى قال: حدثنا على بن داود القنطرى قال: حدثنا عبد الله بن صالح، قال: حدثنا الليث بن سعد، عن عمرو بن الحارث عن أبى يونس مولى أبى هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الله عز وجل قال لى: أنفق أنفق عليك».

وأخبرنا عبد الله بن حامد قال: أخبرنا ابن شاذان عن جعونة بن محمد قال: حدثنا صالح ابن محمد عن سليمان بن عمرو عن ابن حزم عن أنس بن مالك أن النبى ﷺ قال: «ينادى مناد كل ليلة: لدوا للموت وينادى مناد: ابنوا للخراب، وينادى مناد: اللهم هب للمنفق خلفاً، وينادى مناد: اللهم هب للممسك تلفاً، وينادى مناد: ليت الناس لم يخلقوا، وينادى مناد ليتهم إذ خلقوا فكروا فيما له خلقوا».

وأخبرنى الحسين بن محمد الحافظ قال: حدثنا موسى بن محمد قال: حدثنا الحسن بن علويه قال: حدثنا إسماعيل بن عيسى قال: حدثنا المسيب، قال: حدثنا محمد بن عمرو عن يحيى بن عبد الرحمن عن أبية قال: قال عمر لصهيب: إنك رجل لا تمسك شيئاً، قال: إني سمعت الله عز وجل يقول: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾.

﴿وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾، وأخبرنى أبو سفيان الثقفى قال: حدثنا الفضل بن الفضل الكندى

قال: حدثنا الحسن بن داود الحشّاب قال: حدثنا سويد بن سعيد قال: حدثنا عبد الحميد بن الحسن عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «كل معروف صدقة وما أنفق الرجل على نفسه وأهله فهو له صدقة وما وقى به عرضه فهو صدقة، وما أنفق المؤمن من نفقة فإن خلفها على الله ضامن إلا ما كان نفقة في بئان أو معصية».

قال عبد الحميد: فقلت لمحمد: ما معنى: «ما يقى به الرجل عرضه»؟ قال: يعطى الشاعر أو ذا اللسان المتقى.

وقال مجاهد: إذا كان فى يد أحدكم شىء فليقتصد ولا يتأول هذه الآية: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ فإن الرزق مقسوم، فلعل رزقه قليل وهو ينفق نفقة الموسع عليه، ومعنى الآية (ما كان من خلف فهو منه)، وربما أنفق الإنسان ماله أجمع فى الخير ثم لم يزل عائلاً حتى يموت، ولكن ما كان من خلف فهو منه، ودليل تأويل مجاهد ما أخبرنى أبو سفيان الحسين بن محمد بن عبد الله قال: حدثنا محمد بن الحسن بن بشير، قال: أخبرنى أبو بكر بن أبى الخصيب، قال: حدثنا معاذ بن المثنى قال: حدثنا عمرو بن الحصين قال: حدثنا ابن علانة - وهو محمد - عن الأوزاعى عن ابن أبى موسى عن أبى أمامة قال: إنكم تؤولون هذه الآية على غير تأويلها ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾.

وسمعت رسول الله ﷺ يقول وإلا فصمتا: «إياكم والسرف فى المال والنفقة، وعليكم بالاعتقاد، فما افتقر قوم قط اقتصدوا».

وقال (عليه السلام): «ما عال من اقتصد».

وأخبرنى ابن فنجويه قال: حدثنا موسى بن محمد بن إبراهيم بن هاشم البغوى قال: حدثنا أحمد بن حنبل قال: حدثنا عاصم بن خالد قال: أخبرنى أبو بكر قال: حدثنا حمزة عن أبى الدرداء عن النبى ﷺ قال: «من فقه الرجل رفقه فى معيشته».

﴿وَهُوَ خَيْرُ الرِّزْقَيْنِ﴾: وإنما جاز الجمع؛ لأنه يُقال: رزق السلطان الجند، وفلان يرزق عياله، كأنه قال: وهو خير المعطين.

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا﴾: يعنى هؤلاء الكفار ﴿ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهْتُولَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾: فى الدنيا؟ فتتبرأ منهم الملائكة فتقول: ﴿سُبْحَانَكَ﴾: تنزيهاً لك. ﴿أَنْتَ وَإِيَّانَا﴾: ربنا ﴿مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ﴾: أى يطيعون إبليس وذريته وأعوانه فى معصيتك. ﴿أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾: مصدقون.

قال قتادة: هو استفهام تقديره كقوله لعيسى: ﴿أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي...﴾ (المائدة: ١١٦).

﴿فَالْيَوْمَ لَا يَتْلِكَ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفَعًا وَلَا ضَرًّا﴾: شفاعة ولا عذابًا، ﴿وَقَوْلِ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾: فى الدنيا فقد وردتموها.

﴿وَإِذَا تَنَجَّى عَلَيْهِمُ آيَاتُنَا تَيَسَّبَتْ قَالُوا مَا هَذَا﴾: يعنى محمداً عليه السلام ﴿إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانُ يَعْبُدُ آبَاءَكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُّفْتَرَى﴾: يعنون القرآن ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ وَمَاءٌ آتَيْنَاهُمْ﴾: هؤلاء المشركين ﴿مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا﴾: يقرؤونها ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ﴾ وكذب الذين من قبلهم: من الأمم رسلنا وتنزلنا ﴿وَمَا بَلَّغُوا﴾: يعنى هؤلاء المشركين ﴿مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ﴾: يعنى مكذوبى الأمم الحالية من القوة والنعمة وطول العمر ﴿فَكَذَّبُوا رَسُولِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾: إنكارى وتغيرى عليهم، يحذر كفر هذه الأمة عذاب الأمم الماضية.

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّا أَعْظَمُكُمْ﴾: أمركم وأوصيكم ﴿بِوَاحِدَةٍ﴾: بخصلة واحدة وهى ﴿أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ﴾: لأجل الله و﴿أَنْ﴾: فى محل الخفض على البيان من واحدة: والترجمة عنها ﴿مَتَنَّى﴾: يعنى اثنين اثنين متناظرين، ﴿وَفَرْدَى﴾: واحداً واحداً متفكرين ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾: جميعاً، والفكر: طلب المعنى بالقلب، فتعلموا، ﴿مَا بِصَاحِبِكُمْ﴾: محمد ﴿مِنْ جَنَّةٍ﴾: جنون كما تقولون، و﴿مَا﴾: جحد ونفى. ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ: على تبليغ الرسالة والنصيحة ﴿مَنْ أَجْرٌ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾: أى ما ثوابى إلا على الله ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ قُلْ إِنْ رَبِّي يَقْذِفُ: يرمى ويأتى ﴿بِالْحَقِّ﴾: ينزله من السماء إلى خير الأنبياء، ﴿عَلَّمَهُ الْغُيُوبِ﴾ رفع بخبر ﴿إِنْ﴾.



﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبَدِّئُ الْبَاطِلَ وَمَا يُعِيدُ﴾ قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنْ أَهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحَىٰ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿١٠﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَرِعُوا فَلَاقُوا وَأَخَذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿١١﴾ وَقَالُوا ءَأَمْنَا بِهِ وَأَنْزَلْنَا لَهُمُ التَّنَاوُشَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿١٢﴾ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْدِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿١٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾

﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ﴾: القرآن والإسلام، وقال الباقر: يعنى السيف. ﴿وَمَا يُبَدِّئُ الْبَاطِلَ وَمَا يُعِيدُ﴾: يعنى ذهب الباطل وزهق فلم تبق له بقية بيدى بها ولا يعيد، وهذا كقوله: ﴿بَلْ يَقْدِفُ

بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴿ (الأنبياء: ١٨) .

وقال الحسن: ﴿وَمَا يُعِيدُ﴾: الباطل، وهو كل معبود من دون الله لأهله خيراً فى الدنيا، ﴿وَمَا يُعِيدُ﴾: فى الآخرة.

وقال قتادة: الباطل إبليس، أى ما يخلق إبليس أحداً ولا بيعته، وأخبرنى الحسين بن محمد بن الحسين عن عبد الله بن إبراهيم بن على عن محمد بن عمران بن هارون عن سفیان ابن وكيع عن ابن عيينة عن ابن أبى نجيح عن مجاهد عن أبى معمر عن عبد الله بن مسعود قال: دخل النبى ﷺ مكة وحول البيت ثلاثمائة وستون صنماً فجعل يطعنهما بعود معه ويقول: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ (الإسراء: ٨١) ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُعِيدُ الْبَاطِلَ وَمَا يُعِيدُ﴾ .  
﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي﴾: وأخذ بجنايتى ﴿وَإِنِ اهْتَدَيْتَ فِيمَا يُوحَىٰ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ .

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَرَغُوا فَلَا قُوَّةَ﴾: يعنى من عذاب الدنيا، فلا نجاة ﴿وَأَخِذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾: يعنى عذاب الدنيا، وقال الضحاك وزيد بن أسلم: هو يوم بدر. الكلبى: من تحت أقدامهم. وأخبرنا محمد بن نعيم عن محمد بن يعقوب عن الحسن بن على بن عفان عن الحسن بن عطية عن يعقوب الأصفهاني عن ابن أبى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَرَغُوا فَلَا قُوَّةَ﴾ قال: خسف بالبيداء. أخبرنى عقيل بن محمد أن المعافى بن زكريا البغدادي أخبرهم قال: أخبرنا محمد بن جرير قال: حدثنى عصام بن رواد بن الجراح قال: حدثنا أبى قال: حدثنا سفیان بن سعيد قال: حدثنا منصور بن المعتمر، عن ربيع بن خراش قال: سمعت حذيفة بن اليمان يقول: قال رسول الله ﷺ وذكر فتنة تكون بين أهل المشرق والمغرب: «بينما هم كذلك إذ خرج عليهم السفيناني من الوادى اليابس فى فورة ذلك حتى ينزل دمشق، فيبعث جيشين: جيشاً إلى المشرق، وجيشاً إلى المدينة حتى ينزلوا بأرض بابل فى المدينة الملعونة والبقعة الحبيثة، فيقتلون أكثر من ثلاثة آلاف، ويقتلون بها أكثر من مائة امرأة، ويقتلون بها ثلاثمائة كبش من بنى العباس، ثم ينحدرون إلى الكوفة فيخرجون ما حولها، ثم يخرجون متوجهين إلى الشام، فتخرج راية هدى من الكوفة، فتلحق ذلك الجيش منها على ليلتين فيقتلونهم ولا يفلت منهم مخبر ويستقذون ما فى أيديهم من السبى والغنائم، ويحل جيشه الثانى بالمدينة فينتهبونها ثلاثة أيام وليالها. ثم يخرجون متوجهين إلى مكة حتى إذا كانوا بالبيداء بعث الله سبحانه جبرئيل (عليه السلام) فيقول: يا جبرئيل اذهب فأبدهم. فيضربها برجله يخسف الله بهم، فذلك قوله عز وجل فى سورة سبأ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَرَغُوا فَلَا قُوَّةَ وَأَخِذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ فلا

ينفلت منهم إلا رجلاً أحدهما بشير والآخر نذير وهما من جهينة». فلذلك جاء القول: «وعند جهينة الخبر اليقين».

وقال قتادة: ذلك حين يخرجون من قبورهم، وقال ابن معقل: إذا عاينوا عذاب الله يوم القيامة وأخذوا من مكان قريب؛ لأنهم حيث كانوا فهم من الله قريب لا يبعدون عنه ولا يفوتونه.

﴿وَقَالُوا﴾ حين عاينوا العذاب فى الدنيا والآخرة وقت البأس ﴿إِنَّمَا بِهِ وَانِّي﴾: من أين ﴿إِنَّمَا﴾ التناؤش﴾: تناول التوبة ونيل ما يتمنون؟

قال ابن عباس: يسألون الراد وليس يحين الرد، وقرأ أبو عمرو والأعمش وحمزة والكسائي وخلف: (التناؤش): بالهمز والمد، وهو الإبطاء والبعد. يقال: تناشيت الشيء أى أخذته من بعيد، والنيش الشيء البطيء.

قال الشاعر:

تمنى نيشاً أن يكون أطاعنى      وقد حدثت بعد الأمور أمور

وقال آخر:

❖ وجئت نيشاً بعدها فاتك الخبر ❖

وقرأ الباقون: بغير همز، من التناول. يقال: نشته نوشاً إذا تناولته.

قال الراجز:

فهى تنوش الحوض نوشاً من علا      نوشاً به تقطع أجواز الفلا

وتناوش القوم فى الحرب إذا تناول بعضهم بعضاً وتدانوا، واختار أبو عبيد: ترك الهمز؛ لأن معناه التناول، وإذا همز كان معناه البعد. فكيف يقول: أنى لهم البعد ﴿من مكان بعيد﴾: من الآخرة؟ فكيف يتناولون التوبة، وإنما يقبل التوبة فى الدنيا وقد ذهبت الدنيا فصارت بعيدة من الآخرة؟

﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلٍ﴾: أى من قبل نزول العذاب ﴿وَيَقْدُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ يعنى يرمون محمداً ﷺ بالظنون لا باليقين، وهو قولهم: إنه ساحر، بل شاعر، بل كاهن، هذا قول مجاهد، وقال قتادة: يعنى يرمون بالظن، يقولون لا بعث ولا جنة ولا نار.

﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾، يعنى التوبة والإيمان والرجوع إلى الدنيا ﴿كَمَا فَعَلَ بِأَشْيَاعِهِمْ﴾: أى أهل دينهم وموافقهم من الأمم الماضية حين لم يقبل منهم الإيمان والتوبة فى وقت البأس ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ﴾.

## سُورَةُ فَاطِمَةَ (الملائكة)

أخبرني محمد بن القاسم الفارسي قال : أخبرنا محمد بن جعفر بن مطير النيسابوري قال : حدثنا إبراهيم بن شريك الكوفي قال : حدثنا أحمد بن يونس اليربوعي قال : حدثنا سلام بن سليم المدائني قال : حدثنا هارون بن كثير عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي أمامة عن أبي بن كعب قال : قال رسول الله ﷺ : « من قرأ سورة الملائكة دعته يوم القيامة ثلاثة أبواب من الجنة أن ادخل في أي الأبواب شئت » .

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولَىٰ أَجْنَحَةٍ مَّتَنَّى وَثَلَاثَ وَرُبْعَ يَزِيدٌ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾ وَإِنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٤﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾

قوله عز وجل : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولَىٰ أَجْنَحَةٍ مَّتَنَّى وَثَلَاثَ وَرُبْعَ يَزِيدٌ فِي الْخَلْقِ ﴾ : يعني في أجنحة الملائكة .

أخبرنا عبد الله بن حامد قال : حدثنا ابن شاذان قال : حدثنا جعونة بن محمد قال : حدثنا

صالح بن محمد قال: حدثنا مسلم بن إياس عن عبد الله بن المبارك عن ليث بن سعد عن عقيل عن ابن شهاب أن رسول الله ﷺ سأل جبرئيل (عليه السلام): أن يتراءى له فى صورته، فقال له جبرئيل (عليه السلام): «إنك لن تطيق ذلك». قال: «إني أحب أن تفعل».

فخرج رسول الله ﷺ إلى المصلى فى ليلة مقمرة، فأناه جبرئيل (عليه السلام) فى صورته، فغشى على رسول الله ﷺ حين رآه، فلما أفاق وجبرئيل (عليه السلام) مسنده واضعاً إحدى يديه على صدره والأخرى بين كتفيه، فقال رسول الله ﷺ: «سبحان الله ما كنت أرى أن شيئاً من الخلق هكذا». فقال جبرئيل (عليه السلام): «فكيف لو رأيت إسرافيل (عليه السلام)؟ إن له لاثنى عشر جناحاً؛ جناح منها بالمشرق وجناح بالمغرب، وإن العرش على كاهله وإنه ليتضاءل الأحايين لعظمة الله عز وجل حتى يعود هذا الوصع - والوصع عصفور صغير - حتى ما يحمل عرشه إلا عظمته».

وأخبرنى أبو الحسن السامانى قال: أخبرنى أبو حامد البلالى عن العباس بن محمد الدورى قال: أخبرنى أبو عاصم النبيل عن صالح التاجى عن ابن جريج عن ابن شهاب فى قول الله عز وجل: ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ قال: حسن الصورة.

وأخبرنى الحسين بن محمد عن أحمد بن جعفر بن حمدان عن عبد الله بن محمد بن سنان عن سلمة بن حبان عن صالح التاجى عن الهيثم القارئ قال: رأيت النبى ﷺ فى المنام فقال: أنت الهيثم الذى تزين القرآن بصوتك؟ جزاك الله خيراً، وقيل الخط الحسن.

أخبرنى ابن فنجويه عن ابن شيبه عن ابن زنجويه عن سلمة عن يحيى بن أحمد الفزارى ويحيى بن أكنم قالوا: أخبرنا أبو اليمان عن عاصم بن مهاجر الكلاعى عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: الخط الحسن يزيد الحق وضحاً.

وأخبرنى ابن فنجويه قال: حدثنا عبد الله بن يوسف قال: حدثنى الحسن بن على بن يزيد الوشاء عن على بن سهل الرملى قال: أخبرنى الوليد بن مسلم عن خلود بن دعلج عن قتادة فى قول الله عز وجل: ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ قال: الملاحه فى العينين.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: من الزيادة والنقصان.

﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ﴾: نعمة، ﴿فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾: لا يستطيع أحد حبسها ﴿وَمَا يُمْسِكُ﴾: فلا مرسى له من بعده وهو العزيز: ﴿فِي مَا أَمْسَكَ﴾: فيما أرسل.

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَذْكَرُوا تَعَمَّتْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ﴾. قرأ سفيان بن سلمة وأبو

جعفر وحمزة والأعمش والكسائى: (غير) بالخفض وهو اختيار أبى عبيد. الياقوت: بالرفع.

وهذه الآية حجة على القدرية؛ لأنه نفى خالقاً غيره وهم يشتون معه خالقين كثيرين .  
﴿يَرْزُقْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ قَائِنٌ تُوَفَّقُونَ﴾ وَإِن يَكْذِبُوا فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ : فعزى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ، ﴿وَاللَّهِ تَرْجِعُ الْأُمُورَ﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغْرِبَنَّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغْرِبَنَّكُمْ بِاللَّهِ الْعُرُورُ ، قراءة العامة بفتح الغين ، وهو الشيطان ، وأخبرني ابن فنجويه قال : حدثنا ابن حبيش قال : حدثنا أبو القاسم بن الفضل قال : حدثنا أبي قال : حدثنا أحمد بن يزيد المقرئ عن محمد بن المصنف عن أبي حية ، قرأ : ﴿وَلَا يَغْرِبَنَّكُمْ بِاللَّهِ الْعُرُورُ﴾ برفع الغين ، وهو قراءة ابن السماك العدوي يدل عليه وما حدثنا .

قال : أخبرنا عبد الله بن حامد محمد بن خالد قال : أخبرنا داود بن سليمان قال : أخبرنا عبد بن حميد عن يحيى بن عبد الحميد عن ابن المبارك عن عبد الله بن عقبة عن عطاء بن ديار عن سعيد بن جبير : ﴿وَلَا يَغْرِبَنَّكُمْ بِاللَّهِ الْعُرُورُ﴾ قال : أن يعمل المعصية ويتمنى العفو .  
﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ : أشياعه وأولياؤه ﴿إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ﴾ : ليسوقهم إلى النار ، فهذه عداوته ثم بين حال موافقيه ومخالفيه فقال عز من قائل : ﴿لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ : فعادوه ولا تطيعوه ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ .

قوله : ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ﴾ : أى شبّه وموه وحسن له ﴿سَوْءَ عَمَلٍ﴾ : قبح عمله وفعله ﴿فَرَأَاهُ حَسَنًا﴾ : زين ذلك الشيطان بالوسواس ونفسه تميله إلى الشبهة وترك النظر فى الحجة المؤدية إلى الحق ، والله سبحانه وتعالى يخلق ذلك فى قلبه ، وجوابه محذوف مجازه : أفمن زين له سوء عمله كمن لم يزين له سوء عمله ورأى الحق حقاً والباطل باطلاً؟ نظيره قوله : ﴿أَفَمَن هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ (الرعد: ٣٣) ، وقوله : ﴿أَمَّنْ هُوَ قَلْبُتٌ﴾ (الزمر: ٩) ونحوها .  
وقيل : معناه : أفمن زين له سوء عمله فأضله الله كمن هداه؟ دليله قوله : ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ .

وقيل : معناه تحت قوله : ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ﴾ ، فيكون معناه : أفمن زين له سوء عمله فأضله الله ذهبت نفسك عليه حسرة ، أى تتحسّف عليه؟ فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ، وقال الحسين بن الفضل : فيه تقديم وتأخير ، مجازه : أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً فلا تذهب نفسك عليهم حسرات فإن الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء ، والحسرة : شدة الحزن على ما فات من الأمر .

وقراءة العامة : (تذهب نفسك) : بفتح الباء والهاء وضم السين ، وقرأ أبو جعفر بضم التاء



وكسر الهاء وفتح السين ، ومعنى الآية : لا تغتم بكفرهم وهالاكهم إذ لم يؤمنوا ، نظيره :  
﴿فَلَمَّا كَبَحَ بِحَاجَّتِ نَفْسُكَ﴾ (الكهف: ٦ ، الشعراء: ٣) .  
﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ .



﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَثِيرُ سَحَابًا فُسُقِنَهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۗ كَذَٰلِكَ النُّشُورُ﴾ من كان يُريدُ العِزَّةَ فَلِلَّهِ العِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الكَلِمَةُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَٰئِكَ هُوَ يُورُثُ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقِضُ مِنْ عُمْرٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شْرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمَنْ كُلَّ تَاكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حَلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَآخِرَ لَتَبْنَعُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ

﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَثِيرُ سَحَابًا فُسُقِنَهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۗ كَذَٰلِكَ النُّشُورُ﴾ : من القبور .

أخبرنا عبد الله بن حامد عن محمد بن خالد عن داود بن سليمان عن عبد بن حميد عن المؤمل بن إسماعيل عن حماد بن سلمة عن يعلى بن عطاء عن وكيع بن عدس عن عمه أبي رزين قال : قلت يا رسول الله : كيف يحيى الله الموتى ؟ وما آية ذلك في خلقه ؟ فقال : ﷺ : «هل مررت بواد أهلك محلاً ثم مررت به يهتز خضراً؟» قلت : نعم .

قال : «فكذلك يحيى الله الموتى ، وتلك آيته في خلقه» .

قوله عز وجل : ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ﴾ ، يعنى علم العزة لمن هى ، ﴿فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ ، وذلك أن الكفار عبدوا الأصنام وطلبوا بها التعزز كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله : ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ

الْكٰفِرِيْنَ اَوْ لِيَاۤءٍ مِّنْ دُوْنِ الْمُؤْمِنِيْنَ اَيْتَعُوْنَ عِنْدَهُرُ الْعِزَّةِ فَاِنَّ الْعِزَّةَ لِلّٰهِ جَمِيْعًا ﴿النساء: ١٣٩﴾، وقال سبحانه: ﴿وَاتَّخَذُوْا مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ اِلٰهَةً لِّيَكُوْنُوْا لَهُمْ عَزَاۗءًا﴾ (مريم: ٨١)، كلاً، ورد الله عليهم: من أراد أن يعلم لمن العزة الحقيقية فأية العزة لله، ومن أراد أن يكون في الدارين عزيزاً فليطع الله فإن العزة لله جميعاً.

﴿إِيَّاهُ﴾: أي إلى الله، ومعناه: إلى محل القبول وإلى حيث لا يملك فيه الحكم إلا الله عز وجل، وهو كما يقال: ارتفع أمرهم إلى القاضي. ﴿يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾: يعني: «لا إله إلا الله» وكل ذكر مرض لله تعالى، وقرأ أبو عبد الرحمن: (الكلام الطيب)، وأخبرني أبو عبد الله الحسين بن محمد بن عبد الله الدينوري قال: حدثنا أبو جعفر محمد بن محمد بن أحمد الهمداني قال: أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد المسكين البصري عن أحمد بن محمد المكي عن علي بن عاصم عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ في قول الله تعالى: ﴿إِيَّاهُ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ قال: «هو قول الرجل: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، إذا قالها العبد عرج بها ملك إلى السماء فحيا بها وجه الرحمن عز وجل، فإذا لم يكن عمل صالح لم يقبل منه».

واختلف العلماء في حكم هذه الكناية ومعنى الآية، فقال أكثر المفسرين: الهاء في قوله: ﴿يَرْفَعُهُ﴾ راجعة إلى ﴿الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾، يعني أن العمل الصالح يرفع الكلم فلا يقبل القول إلا بالعمل، وهذا اختيار نحاة البصرة، وقال الحسن وقتادة: ﴿الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾: ذكر الله ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ﴾: أداء فرائضه. فمن ذكر الله ولم يؤد فرائضه زاد كلامه على عمله، وليس الايمان بالتمنى ولا بالتحلى، ولكن ما وقر في القلب وصدقته الأعمال. فمن قال حسناً وعمل غير صالح رد الله عليه قوله، ومن قال حسناً وعمل صالحاً رفعه العمل ذلك؛ فإن الله يقول: ﴿إِيَّاهُ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾.

ودليل هذا التأويل قوله (عليه السلام): «لا يقبل الله قولاً إلا بعمل، ولا يقبل قولاً وعملاً إلا بنية ولا يقبل قولاً ونية إلا بإصابة السنة».

وجاء في الخبر: «الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب». وفي هذا المعنى يقول الشاعر:

لا ترضَ من رجل حلاوة قوله      حتى يزيّن ما يقول فعلاً  
فإذا وزنت فعاله بمقاله      فتوازننا فإخاء ذاك جمالاً

قال ابن المقفع: قول بلا عمل كثريد بلا دسم، وسحاب بلا مطر، وقوس بلا وتر، وفيه

قيل:

إِنَّمَا الْقَوْلُ زِينَةٌ فِي الْفِعَالِ	لَا يَكُونُ الْمَقَالُ إِلَّا بِفِعْلِ
مِثْلَ مَاءٍ يُصَبُّ فِي غُرْبَالٍ	كُلُّ قَوْلٍ يَكُونُ لَا فِعْلَ فِيهِ
وَكُلُّ قَوْلٍ بِلَا فِعَالٍ هَبَاءٌ	لَا يَكُونُ الْمَقَالُ إِلَّا بِفِعْلِ
وَنِكَاحًا بِلَا وِلَى سِوَاءِ	إِنْ قَوْلًا بِلَا فِعَالٍ جَمِيلٌ

وقال بعض أهل المعاني على هذا القول: معنى ﴿يَرْفَعُهُ﴾، أى يجعله رفيعاً ذا وزن وقيمة، كما يقال: طود رفيع ومرتفع، وقيل: العمل الصالح هو الخالص، يعنى أن الإخلاص سبب قبول الخيرات من الأقوال والأعمال، دليله قوله: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾ (الكهف: ١١٠) أى خالصاً ثم قال: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (الكهف: ١١٠)، فجعل تقيض الصالح الشرك والرياء، وقال قوم: هذه الكناية راجعة إلى العمل، يعنى أن الكلم الطيب يرفع العمل؛ فلا يرفع ولا يقبل عمل إلا أن يكون صادراً عن التوحيد وعائد الذكر يرفع وينصب، وهذا التأويل اختيار نُحاة الكوفة وقال آخرون: الهاء كناية عن العمل، والرفع من صفة الله سبحانه، أى يرفعه الله.

﴿وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ﴾: أى يعملون، قال مقاتل: يعنى الشرك، وقال أبو العالية: يعنى الذين مكروا برسول الله ﷺ فى دار الندوة، وقال الكلبي: ﴿وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ﴾: يعنى يعملون السيئات فى الدنيا، وقال ابن عباس ومجاهد وشهر بن حوشب: هم أصحاب الرياء. ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُؤْرَثُ﴾: أى يكسد ويفسد ويضل ويضمحل فى الآخرة. ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقِضُ مِنْ عُمْرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ قراءة العامة: (ينقص) بضم الياء، وقرأ الحسن وابن سيرين وعيسى (ينقص) بفتح الياء وضم القاف، وقرأ الأعرج: ﴿مِنْ عُمْرِهِ﴾ بالتخفيف.

قال سعيد بن جبير: مكتوب فى أول الكتاب عمره كذا وكذا سنة، ثم يكتب أسفل من ذلك ذهب يوم ذهب يوماً من ذهب ثلاثه أيام حتى ينقطع عمره.

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذَبٌ فُرَاتٌ﴾: طيب ﴿سَائِغٌ﴾: جائرهنى ﴿شَرَابُهُ﴾. وقرأ عيسى: (سَيْغ) مثل: ميّت وسيد. ﴿وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾: شديد الملوحة، عن ابن عباس، وقال الضحّاك: هو المرّ مزاجه كأنه يحرق من شدة المرارة والملوحة. ﴿وَمِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا﴾: طعاماً شهياً، يعنى: السمك من العذب والملح، ﴿وَتَسْتَخْرِجُونَ﴾: من

الملح دون العذب ﴿حَلِيَّةٌ تَلْبَسُونَهَا﴾: يعنى اللؤلؤ، وقيل: فيه عيون عذبة، ومما بينهما يخرج اللؤلؤ. ﴿وَتَرَى الْفَلَكَ فِيهِ مَوَآخِرٌ﴾: جوارى، وقال مقاتل: هو أن يرى سفينتين إحداهما مقبلة والأخرى مدبرة، وهذه تستقبل تلك وتلك تستدبر هذه، يجريان بريح واحدة، ﴿لَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْلَكُكُمْ تُشْكُرُونَ﴾: الله على نعمه.

أخبرنا عبد الله بن حامد الوزان قال: أخبرنا ابن شاذان قال: حدثنا جيفويه بن محمد قال: حدثنا صالح بن محمد عن القاسم بن عبد الله عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «كلم الله البحرين فقال للبحر الذى بالشام: يا بحر إني قد خلقتك وأكثرت فيك من الماء وإني حامل فيك عبداً يسبحوننى ويحمدوننى ويهللوننى ويكبروننى فما أنت صانع بهم؟ قال: أغرقهم. قال الله عز وجل: فإني أحملهم على ظهرك وأجعل بأسك فى نواحيك وحاملهم على يدي.

وقال للبحر الذى باليمن: إني قد خلقتك وأكثرت فيك من الماء وإني حامل فيك عبداً لى يسبحوننى ويحمدوننى ويهللوننى ويكبروننى فما أنت صانع بهم؟ قال: أسبحك وأحمدك وأهللك وأكبرك معهم، وأحملهم على ظهري بطنى. قال الله سبحانه: فإني أفضلك على البحر الآخر بالحلية والطرى».

قوله: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ وهى القشرة الرقيقة البيضاء التى بين التمرة والنواة، عن أكثر المفسرين. وقال ابن عباس: هو شق النواة، وقال السدى: هو ما ينقطع به القمع.

﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾: يتبرءون منكم ومن عبادتكم إياها، ﴿وَلَا يَنْبُتُكَ مِثْلَ خَيْرٍ﴾: يعنى نفسه تعالى.



﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتُّعِبَ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ إن يشأ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَرَكَا فإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ ۗ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿وَلَا

الظلمتُ وَلَا النُّورُ ﴿١٠﴾ وَلَا الظُّلُّ وَلَا الحُرُورُ ﴿١١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الأَحْيَاءُ وَلَا الأَمْوَاتُ إِنَّ اللهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي القُبُورِ ﴿١٢﴾ إِنَّ أَنتَ إِلا نَذِيرٌ ﴿١٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّن أُمَّةٍ إِلا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿١٤﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿١٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿١٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنَ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تَجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴿١٩﴾ لِيُؤْتِيَهُمُ أَجْرَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾ جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلِّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٤﴾ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا

لُغُوبٌ ﴿٢٥﴾

﴿١٠﴾ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَتَمُّ الْفُقَرَاءِ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْعَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١١﴾ إِنَّ شَيْئاً يُذَمِّبُكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٣﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴿١٤﴾ سئل الحسين بن الفضل عن الجمع بين هذه الآية وبين قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلِيَحْمِلَنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ (العنكبوت: ١٣) فقال: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾: طوعاً ﴿وَلِيَحْمِلَنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾: كرهاً. ﴿وَأَن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جَمَلٍهَا لَا يَحْمِلُ مِنْهُ﴾: يعني وإن تدع نفس مثقلة بذنوب غيرها إلى حملها، أي حمل ما عليها من الذنوب ﴿لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾: ولو كان المدعو ذا قرى له: ابنه أو أمه أو أباه أو أخاه.

أخبرني ابن فنجويه قال: حدثنا عن أحمد بن محمد بن رزمة القزويني عن محمد بن عبد ابن عامر السمرقندي قال: حدثنا إبراهيم بن الأشعث قال: سمعت الفضيل بن عياض يقول: قوله سبحانه: ﴿لَا يُحْمَلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ قال: يعنى الوالدة تلقى ولدها يوم القيامة فتقول: يا بنى ألم تكن بطنى لك وعاء؟ ألم يكن لك ثدى سقاء؟ فيقول: بلى يا أمه. فتقول: يا بنى قد أثقلتني ذنوبى فاحمل عني ذنباً واحداً. فيقول: يا أمه إليك عني، فإنى اليوم عنك مشغول.

﴿إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾: أى يخافونه ولم يروه، ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمِن تَرَكِّي﴾: صلح عمل خيراً وصالحاً ﴿فَإِنَّمَا يَتَرَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾. ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾: يعنى: الجاهل والعالم، ﴿وَلَا الظُّلْمَتُ وَلَا النُّورُ﴾: يعنى: الكفر والإيمان، ﴿وَلَا الظُّلُّ وَلَا الْحَرُورُ﴾: يعنى: الجنة والنار، والحرور: الريح الحارة بالليل، والسموم بالنهار، وقال بعضهم: الحرور: بالنهار مع الشمس، ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾: يعنى: المؤمنين والكفار. ﴿إِنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ مَن يَشَاءُ﴾، حتى يتعظ ويجيب ﴿وَمَا آتَى بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾: يعنى: الكفار شبههم بالأموات، وقرأ أشهب العقيلي: (بسمع من فى القبور) بلا تنوين على الإضافة.

﴿إِن أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿ وَإِن يَكْفُرُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾: كرر وهما واحد لاختلاف اللفظين.

﴿ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾. ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا﴾: قدم النعت على الاسم فلذلك نصب. ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ﴾: طرق، واحداً جُدَّة نحو مدة و(مدد)، وأما جمع الجديد فجدد (بضم الدال) مثل: سرير وسُرر ﴿بَيْضٌ وَخُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾، قال الفراء: فيه تقديم وتأخير، مجازه: سود غرابيب، وهى جمع غريب، هو الشديد السواد يشبهها بلون الغراب قال الشاعر يصف كرمًا:

ومن تعاجيب خلق الله غاطية  
والبعض منها ملاحى وغريب

﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالْأَنْعَامِ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ﴾: قال المورج: إنما ﴿أَلْوَانُهُ﴾: لأجل ﴿مِنَ﴾، وسمعت أستاذنا أبا القاسم بن حبيب يقول: سمعت أبا بكر محمد بن عياض يقول: إنما قال: ﴿أَلْوَانُهُ﴾؛ لأجل أنها مردودة إلى «ما» فى الإضمار، مجازه: ومن الناس والدواب والأنعام

ما هو مختلف ألوانه .

﴿كَذَلِكَ﴾ : تمام الكلام ههنا ، أى ومن هذه الأشياء مختلف ألوانه باختلاف الثمرات ، ثم ابتداءً فقال سبحانه وتعالى : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ روى عن عمر بن عبد العزيز أنه قرأ : (إنما يخشى الله) رفعا و(العلماء) نصبا ، وهو اختيار أبى حنيفة على معنى يعلم الله ، وقيل : يختار ، والقراءة الصحيحة ما عليه العامة .

وقيل : نزلت هذه الآية فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه أخبرنى ابن فنجويه قال : حدثنا ابن شنبه عن إسحاق بن صدقة قال : حدثنا عبد الله بن هاشم عن سيف بن عمر قال : حدثنا عباس بن عوسجة عن عطاء الخراسانى رفع الحديث قال : ظهر من أبى بكر خوف حتى عرف فيه فكلمه النبى ﷺ فى ذلك فأنزل الله سبحانه تعالى : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ فى أبى بكر رضى الله عنه وفى الحديث : «أعلمهم بالله أشدهم له خشية» .

وقال مسروق : كفى بالمرء علما أن يخشى الله ، وكفى بالمرء جهلا أن يعجب بعلمه .

وأخبرنى الحسين بن محمد بن الحسين الثقفى قال : حدثنا محمد بن إبراهيم الربيعى قال : حدثنا إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن أيوب المحرمى قال : حدثنا صالح بن مالك الأزدي قال : حدثنا عبيد الله بن سعد عن صالح بن مسلم الليثى قال : أتى رجل الشعبى فقال : أفتنى أيها العالم ؟ فقال : العالم من خشى الله عز وجل .

﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ ﴿الآية قال مطرف بن عبد الله بن الشخير : هذه آية القراء ، ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ .

أخبرنا عبد الله بن حامد الوزان قال : حدثنا ابن شاذان قال : حدثنا جيعويه قال : حدثنا صالح بن محمد عن عبد الله بن عبد الله ، عن عبيد الله بن الوليد الوصافى ، عن عبد الله بن عبيد الله بن عمير الليثى أنه قال : قام رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، ما لى لا أحب الموت ؟ قال : «ألك مال ؟» . قال : نعم . قال : «فقدمه» . قال : لا أستطيع . قال : «فإن قلب المرء مع ماله إن قدمه أحب أن يلحق به ، وإن أخره أحب أن يتأخر معه» .

﴿يَرْجُونَ تَجْدَةً لَّنْ تَبُورَ﴾ ، قال الفراء : قوله : ﴿يَرْجُونَ﴾ جواب لقوله : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ﴾ . ﴿لِيُوقِفَهُمْ أَجْرَهُمْ وَيَرْبُدَّهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿ثُمَّ﴾ : مردود إلى ما قبله من كتب الله فى قوله : ﴿لَمَّا بَيَّنَّ يَدَيْهِ﴾ أى قبله من الكتب السالفة ، أى أنزلنا تلك الكتب ، ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا﴾ : هذا ﴿الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ ، ويجوز أن تكون ﴿ثُمَّ﴾ : بمعنى الواو أى وأورثنا كقولهم : ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ﴾

الَّذِينَ آمَنُوا ﴿البلد: ١٧﴾ أى وكان ومعنى ﴿أَوْزُنَا﴾ : أعطينا؛ لأن الميراث عطاء، قاله مجاهد، وقال بعض أهل المعانى: ﴿أَوْزُنَا﴾ أى أخرنا، ومنه الميراث؛ لأنه تأخر عن الميت ومعناه: أخرنا القرآن عن الأمم السالفة وأعطيناكموه وأهلناكم له، وقال عنتره:

وأورثت سيفى عن حصين بن معقل إلى جده إني لثارى طالب  
أى أخرت، وفى هذا كرامة لأمة محمد ﷺ حيث قال لهم: ﴿أَوْزُنَا﴾ وقال: لسائر الأمم  
﴿وَرِثُوا الْكِتَابَ﴾ (الأعراف: ١٦٩): الآية يعنى القرآن.

﴿الْكِتَابَ الَّذِي آصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ وهم أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم. ثم قسمهم ثلاث طبقات ورتبهم على ثلاث درجات فقال الله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ قيد اللفظ وعلق الظلم بالنفس؛ فلذلك ساغ أن يكون من أهل الاصطفاء مع ظلمه.

فإن قيل: ما وجه الحكمة فى تقديم الظالم وتأخير السابق وإنما يقدم الأفضل؟ فالجواب عنه أن نقول: إنما أخر السابق ليكون أقرب إلى الجنان والثواب، كما قدم الصوامع والبيع والصلوات فى سورة الحج على المساجد التى هى أفضل بقاع الأرض، فتكون الصوامع أقرب إلى الهدم والخراب وتكون المساجد أقرب إلى ذكر الله تعالى.

ومنهم من قال: إنما جعل ذلك؛ لأن الملوك إذا أرادوا الجمع بين الأشياء بالذكر قدموا الأدنى على الأفضل. كقوله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (المائدة: ٩٨)، وقال: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ﴾ (الحج: ٦١)، وقال: ﴿يَهْبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنْتِثَا وَيَهْبُ لِمَنْ يَشَاءُ الدُّكُورَ﴾ (الشورى: ٤٩) وقال: ﴿خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾ (الملك: ٢).

وقيل: قدم الظالم لثلا يياس من رحمته وأخر السابق لثلا يعجب بعمله. وقال جعفر الصادق (عليه السلام): «بدأ بالظالم إخباراً أنه لا يتقرب إليه إلا بصرف رحمته وكرمه، وأن الظلم لا يؤثر فى الاصطفائية ثم ثنى بالمقتصدين؛ لأنهم بين الخوف والرجاء، ثم ختم بالسابقين لثلا يامن أحد مكر الله وكلهم فى الجنة بحرمة كلمة الإخلاص». وقال بعضهم: قدم الظالم؛ لأنه لم يكن له شىء يتكل عليه إلا رحمة الله فاعتمد على الله واتكل على رحمته واتكل المقتصد على حسن ظنه بربه واتكل السابق على حسناته وطاعته.

وقال محمد بن على الترمذى: جمعهم فى الاصطفاء إزالة للعلل عن العطاء؛ لأنّ الاصطفاء أوجب الإرث لا الإرث أوجب الاصطفاء؛ لذلك قيل: صحح النسبة ثم اطمع فى الميراث.

وقال أبو بكر الوراق: إنما رتبهم هذا الترتيب على مقامات الناس؛ لأن أحوال العبد



ثلاث: معصية، وغفلة، ثم توبة وقربة. فإذا عصى دخل في حيز الظالمين، وإذا تاب دخل في جملة المقتصدين وإذا صحت التوبة وكثرت العبادة والمجاهدة اتصل بالله ودخل في عداد السابقين.

واختلف المفسرون والمتأولون في معنى الظالم والمقتصد والسابق فأكثرُوا، وأنا ذاكر نصوص ما قالوا وبالله التوفيق:

أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن محمد بن الحسين بن عبد الله الحافظ، قال: حدثنا برهان ابن علي الصوفي والفضل بن الفضل الكندي قالا: أخبرني أبو خليفة الفضل بن الحباب قال: حدثنا محمد بن كثير قال: أخبرنا سفيان عن الأعمش عن أبي ثابت أن رجلاً دخل المسجد فقال: اللهم ارحم غربتي وأنس وحشتي ويسر لي جليساً صالحاً. قال أبو الدرداء: لئن كنت صادقاً لأنا أسعد بذلك منك، سمعت رسول الله ﷺ: قرأ هذه الآية: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ﴾، فقال: «أما السابق فيدخل الجنة بغير حساب، وأما المقتصد فيحاسب حساباً يسيراً، وأما الظالم لنفسه فيحسب في المقام ثم يدخل الجنة، فهم الذين قالوا: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ...﴾ إلى قوله: ﴿لُغُوبٌ﴾.

قال الكندي والأعمش عن رجل عن أبي ثابت: وأخبرني الحسين بن محمد قال: أخبرني أبو بكر بن مالك القطيعي عن عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثني أبي عن إسحاق بن عيسى حدثني أنس بن عياض الليثي أبو ضمرة عن موسى بن عتبة عن علي بن عبد الله الأزدي عن أبي الدرداء قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله عز وجل: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ﴾، فأما الذين سبقوا بالخيرات فأولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب، وأما الذين اقتصدوا فأولئك يحاسبون حساباً يسيراً، وأما الذين ظلموا أنفسهم فأولئك الذين يحسبون في طول المحشر ثم هم الذين تلقاهم الله برحمته فهم الذين يقولون: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ...﴾ إلى قوله: ﴿لُغُوبٌ﴾.

وأخبرني الحسين قال: حدثنا أبو عمرو عثمان بن أحمد بن سمعان الذراري قال: حدثنا يوسف بن يعقوب بن الحسن المقرئ بواسط قال: حدثنا محمد بن خالد بن عبد الله المزني قال: حدثنا: فرج بن فضالة عن أزهر بن عبد الله الحرازي قال: حدثني من سمع عثمان بن عفان تلا هذه الآية: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ الآية، فقال: سابقنا أهل جهادنا،

ومقتصدنا: أهل حضرنا، وظالمنا: أهل بدوننا.

وأخبرني الحسين قال: حدثنا عمر بن الخطاب قال: حدثنا محمد بن إسحاق قال: حدثنا إسماعيل بن يزيد قال: حدثنا داود عن الصلت بن دينار قال: حدثنا عقبة بن صهبان قال: دخلت على عائشة فسألتها عن قول الله عز وجل: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ...﴾ فقالت لى: يا بنى كلهم فى الجنة؛ أما السابق بالخيرات فمن مضى على عهد رسول الله ﷺ شهد له رسول الله ﷺ بالجنة، وأما المقتصد فمن اتبع أثره من أصحابه حتى لحق به، وأما الظالم لنفسه فمثلى ومثلكم فجعلت نفسها معنا.

وقال مجاهد والحسن وقتادة: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ قالوا: هم أصحاب المشأمة، ﴿وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ﴾: هم أصحاب الميمنة ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ﴾: هم السابقون المقربون من الناس كلهم.

قال قتادة: فهذا فى الدنيا على ثلاث منازل وعند الموت قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ إلى قوله: ﴿وَتَصْلِيَةُ جَجِيمٍ﴾ (الواقعة: ٩٠-٩٤)، وفى الآخرة أيضاً، قال عز وجل: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ۖ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ إلى قوله: ﴿الْمُقْرَّبُونَ﴾ (الواقعة: ٧-١١).

وقال ابن عباس: السابق: المؤمن المخلص، والمقتصد: المرأى، والظالم: الكافر بنعمة الله غير الجاحد لها؛ لأنه حكم للثلاثة بدخول الجنة فقال: ﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾، وسمعت أبا محمد شيبه بن محمد بن أحمد الشعبي يقول: سمعت أبا بكر بن عبد يقول: قالت عائشة: السابق: الذى أسلم قبل الهجرة، والمقتصد: الذى أسلم بعد الهجرة، والظالم: نحن.

وقال بكر بن سهل الدمياطى: الظالم لنفسه: الذى مات على كبيرة ولم يتب منها، والمقتصد: الذى لم يصب كبيرة، والسابق بالخيرات: الذى لم يعص الله والتائب من الذنب كمن لا ذنب له.

وعن الحسن أيضاً قال: السابق: من رجحت حسناته، والمقتصد: من استوى حسناته وسيئاته، والظالم: الذى ترجح سيئاته على حسناته.

سهل بن عبد الله: السابق: العالم، والمقتصد: المتعلم، والظالم: الجاهل، وعنه أيضاً: السابق: الذى اشتغل بمعاده، والمقتصد: الذى اشتغل بمعاده عن معاشه، والظالم: الذى اشتغل بمعاشه عن معاده.

وقيل: الظالم: طالب الدنيا، والمقتصد: طالب العقبى، والسابق: طالب المولى.

وقيل : الظالم : المسلم ، والمقتصد : المؤمن ، والسابق : المحسن .

وقيل : الظالم : المرائى فى جميع أعماله ، والمقتصد : من تكون أعماله بعضها رياء وبعضها إخلاص ، والسابق : المخلص فى أفعاله كلها ، وقيل : الظالم : من أخذ الدنيا حلالاً كان أو حراماً ، والمقتصد : من يجتهد فى طلب الحلال ، والسابق : الذى ترك الدنيا جملةً وأعرض عنها .

أبو عثمان الحبرى : الظالم : من وحد الله بلسانه ولم يوافق فعله قوله . والمقتصد : من وحده بلسانه وأطاعه بجوارحه ، والسابق : من وحده بلسانه وأطاعه بجوارحه وأخلص فى عمله ، وقيل : السابقون : هم المهاجرون الأولون ، والمقتصدون : عامة الصحابة ، والظالمون : التابعون .

وسمعت محمد بن الحسين السلمى يقول : سمعت منصور بن عبد الله يقول : سمعت أبا القاسم البزاز بمصر يقول : قال ابن عطاء : الظالم : الذى تحبه من أجل الدنيا ، والمقتصد : الذى تحبه من أجل العقبى ، والسابق : الذى أسقط مراده بمراد الحق ، فلا يرى لنفسه طلباً ولا مراداً لغلبة سلطان الحق عليه ، وقيل : الظالم : من كان ظاهره خيراً من باطنه ، والمقتصد : الذى استوى ظاهره وباطنه ، والسابق : الذى باطنه خيراً من ظاهره .

وقيل : الظالم : الذى يعبد الله خوفاً من النار ، والمقتصد : الذى يعبد طمعاً فى الجنة ، والسابق : الذى يعبده لا لسبب ، وقيل : الظالم : الزاهد ، والمقتصد : العارف ، والسابق : المحب ، وقيل : الظالم : الذى يجزع عند البلاء ، والمقتصد : الذى يصبر عند البلاء ، والسابق : الذى يتلذذ بالبلاء ، وقيل : الظالم : الذى يعبد على الغفلة والعادة ، والمقتصد : الذى يعبد على الرغبة والرغبة ، والسابق : الذى يعبد على الهيبة ورؤية المنة ، وقيل : الظالم : الذى أعطى فمنع ، والمقتصد : الذى أعطى فبذل ، والسابق : الذى مُنِع فشكر ، وقيل : الظالم : غافل ، والمقتصد : طالب ، والسابق : واجد ، وقيل : الظالم : من استغنى بماله ، والمقتصد : من استغنى بدينه ، والسابق : من استغنى بربه ، وقيل : الظالم التالى للقرآن ، والمقتصد : القارئ له والعالم به ، والسابق : القارئ لكتاب الله العالم بكتاب الله العامل به ، وقيل : السابق : الذى يدخل المسجد قبل تأذين المؤذن ، والمقتصد : الذى يدخل المسجد وقد أذن ، والظالم : الذى يدخل المسجد وقد أقيم ، وقيل : الظالم : الذى يحب نفسه ، والمقتصد : الذى يحب ربه ، والسابق : الذى يحبه ربه ، وقيل : الظالم : مريد ، والمقتصد : مُراد ، والسابق : مطلوب ، وقيل : الظالم : مدعو ، والمقتصد : مأذون له ، والسابق : مقرب ، وقيل : الظالم : عيوف ،

والمقتصد: ألوف، والسابق: حليف.

وسمعت أبا القاسم بن حبيب يقول: الظالم: ينتصف ولا ينصف، والمقتصد: ينصف وينتصف والسابق: ينصف ولا ينتصف. ذو النون المصري: الظالم: الذى لا يذكر الله بلسانه، والمقتصد: الذى يذكره بقلبه، والسابق: الذى لا ينسى ربه.

أحمد بن عاصم الأنطاكى: الظالم: صاحب الأقوال، والمقتصد: صاحب الأفعال، والسابق: صاحب الأحوال.

ثم جمعهم الله سبحانه وتعالى فى دخول الجنة فقال سبحانه وتعالى: ﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾. أخبرنى ابن فنجويه قال: حدثنا أحمد بن محمد بن زرعة قال: حدثنا يوسف بن عاصم الرازى قال: حدثنا أبو أيوب سليمان بن داود المنقرى المعروف بالشاذكوى عن حصين ابن غير أبو محصن عن ابن أبى ليلى عن أخيه عن أبيه عن أسامة بن زيد عن النبى ﷺ: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ الآية قال: «كلهم فى الجنة».

وأخبرنى ابن فنجويه قال: حدثنا على بن محمد بن على بن الحسين الفأفاء القاضى قال: حدثنا بكر بن محمد المروزى قال: حدثنا أبو قلابة قال: حدثنا عمرو بن الحصين عن الفضل ابن عميرة عن ميمون الكردى عن أبى عثمان الهندى قال: سمعت عمر بن الخطاب قرأ على المنبر: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾: الآية فقال: قال رسول الله ﷺ: «سابقنا سابق، ومقتصدنا ناج، وظالمنا مغفور له». قال أبو قلابة: فحدثت به يحيى بن معين فجعل يتعجب منه.

﴿مُجَلِّونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾: أخبرنى الحسين بن محمد بن الحسين قال: حدثنا محمد بن الحسن بن بشير قال: حدثنا أبو الحارث أحمد بن سعيد بن أم سعيد قال: حدثنا الربيع بن سليمان المرادى قال: حدثنا أسيد بن موسى عن ابن ثومان عن عطاء ابن قرة عن عبد الله بن ضمرة عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لو أن أدنى أهل الجنة حلية عدلت حليته بحلية أهل الدنيا جميعاً لكان ما يحليه الله سبحانه به فى الآخرة أفضل من حلية أهل الدنيا جميعاً».

﴿وَقَالُوا﴾: أى يقولون إذا دخلوا الجنة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾ أخبرنى الحسين ابن محمد العدل قال: حدثنا محمد بن مظفر قال: حدثنا على بن إسماعيل بن حماد البغدادى قال: حدثنا عمرو بن على الفلاس قال: حدثنا معاذ بن هشام، قال: حدثنى أبى عن عمرو بن مالك عن ابن أبى الجوزاء عن ابن عباس فى قول الله عز وجل: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى

أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ ﴿٣٥﴾ قال : حزن النار .

أخبرني الحسين بن محمد عن محمد بن علي بن الحسن الصوفى قال : حدثنا أبو شعيب الحرانى قال : حدثنا عبد العزيز بن أبى داود الحرانى قال : حدثنا جرير عن أشعث بن قيس عن شمر بن عطية فى قول الله عز وجل : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾ قال حزن الحبز .

عكرمة : حزن الذنوب والسيئات وخوف رد الطاعات ، وقيل : حزن الموت ، وقيل : حزن الجنة والنار لا يُدرى إلى أيهما يصير . الثمالى : حزن الدنيا . الضحاك : حزن إبليس ووسوسته . ذو النون : حزن القطيعة .

الكلبى : يعنى الحزن الذى يحزننا فى الدنيا من يوم القيامة ، وقيل : حزن العذاب والحساب ، وقيل : حزن أهوال الدنيا وأوجالها ، وقال القاسم : حزن زوال النعم وتقلب القلب وخوف العاقبة .

وسمعت السلمى يقول : سمعت النصرأبادى يقول : ما كان حزنهم إلا تدبير أحوالهم وسياسة أنفسهم ، فلما نجوا منها حمدوا : ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ ، أخبرني أبو عبد الله الدينورى قال : أخبرني أبو حذيفة أحمد بن محمد بن علي عن عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوى عن يحيى بن عبد الحميد الحماني عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « ليس على أهل (لا إله إلا الله) وحشة فى قبورهم ولا فى محشرهم ولا فى منشرهم ، وكأنى بأهل (لا إله إلا الله) يخرجون من قبورهم وهم يفضون التراب عن وجوههم ويقولون : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ .

﴿الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمَقَامَةِ﴾ : أى الإمامة ﴿مِنْ فَضْلِهِ لَا يَسْتَأْذِنُ فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَسْتَأْذِنُ فِيهَا لُغُوبٌ﴾ : أى كلال وإعياء وفتور ، وقراءة العامة بضم اللام ، وقرأ السلمى بنصب اللام وهو مصدر أيضاً كالولوع ، وقال الفراء : كأنه جعله ما يلغب مثل لغوب .

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله الجوزقى : قال : أخبرنا أبو الحسين محمد بن محمد بن مهدى ، قال : أبو عبد الله محمد بن زكريا بن محمدويه الرجل الصالح ، عن عبد الله بن عبد الوهاب الخوارزمى قال : حدثنا عاصم بن عبد الله قال : حدثني إسماعيل عن ليث بن أبى سليم عن الضحاك بن مزاحم فى قول الله سبحانه : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾ قال : إذا دخل أهل الجنة استقبلهم الولدان والخدم كأنهم اللؤلؤ المكنون . قال : فيبعث الله ملكاً من الملائكة معه هدية من رب العالمين وكسوة من كسوة الجنة فيلبسه . قال : فيريد أن يدخل الجنة

فيقول الملك: كما أنت فيقف ومعه عشرة خواتيم من خواتيم الجنة هدية من رب العالمين فيضعها في أصابعه. مكتوب في أول خاتم منها: ﴿طَيْبَتْهُ فَأَدْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ (الزمر: ٧٣)، وفي الثاني مكتوب: ﴿أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾ (ق: ٣٤)، وفي الثالث مكتوب: «رفعت عنكم الأحزان والهموم»، وفي الرابع مكتوب: «زوجناكم الحور العين»، وفي الخامس مكتوب: «ادخلوها بسلام آمنين»، وفي السادس مكتوب: ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ (المؤمنون: ١١١)، وفي السابع مكتوب: «إنهم هم الفائزون»، وفي الثامن: «صرت آمنين لا تخافون»، وفي التاسع مكتوب: «رافقتم النبيين والصديقين والشهداء»، وفي العاشر مكتوب: «سكنتم في جوار من لا يؤذي الجيران». ثم تقول الملائكة: «ادخلوها بسلام آمنين».

فلما دخلوا بيوتاً ترفع: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ...﴾ إلى قوله: ﴿لُغُوبٌ﴾.



﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فِيمَوْتُهَا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾ وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَدَقَاتٍ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أُولَٰئِكَ نُعَذِّبُهُمْ مَا يُنَادُونَ فِيهِمْ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَهُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٠١﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ خَلْقَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يُزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يُزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿١٠٢﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَ الَّذِينَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أُرُونِي مَا ذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْهُ بَلْ إِنْ يَعْذِلُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿١٠٣﴾ إِنْ اللَّهُ يُسْئَلُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكُنَّ مِنْ أَحَدٍ مِنْ عِبَادِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿١٠٤﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿١٠٥﴾ اسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرَ السَّيِّئِ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأُولَىٰ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿١٠٦﴾ أُولَٰئِكَ يَسِيرُونَ فِي

الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿١٠﴾ وَلَوْ يُوَاقِدُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى الْأَجَلِ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ﴿١١﴾

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا﴾ : أى لا يقبضون فيستريحون .

وذكر عن الحسن : فيموتون ، ﴿لا﴾ يكون حينئذ جواباً للنفي ، والمعنى : لا يقضى عليهم ولا يموتون . كقوله : ﴿وَلَا يُؤَذِّنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ (المرسلات : ٣٦) .

﴿وَلَا يُخَفِّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نُجْزِي كُلَّ كَافِرٍ﴾ : قراءة العامة بنصب النون واللام وقرأ

أبو عمرو بضم الياء واللام وفتح الزاي على غير تسمية الفاعل .

﴿وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا﴾ : يدعون ويستغيثون ويصيحون فيها ، وهو افتعال من الصراخ ،

ويقال للمغيث : صارخ وللمستغيث : صارخ . ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا﴾ : من النار ﴿تَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي

كُنَّا نَعْمَلُ﴾ : فى الدنيا ، فيقول الله عز وجل : ﴿أَوَلَمْ نَعْمَرْكُمْ مَا يُتَذَكَّرُ فِيهِ مِنْ تَذَكَّرٍ﴾ . اختلفوا

فى هذه المدة ، فقال قتادة والكلبي : ثمانى عشرة سنة ، وقال الحسن : أربعون سنة ، وقال ابن

عباس : ستون سنة .

أخبرنى أبو عبد الله بن فنجويه قال : حدثنا ابن شنبه وأحمد بن جعفر بن حمدان قالا :

حدثنا إبراهيم بن سهلويه قال : حدثنا أبو سلمة يحيى بن المغيرة ، حدثنا ابن أبى فديك ، عن

عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى حصين عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله

وسلم : «إذا كان يوم القيامة نودى أين أبناء الستين؟ وهو الذى قال الله عز وجل فيه : ﴿أَوَلَمْ

نَعْمَرْكُمْ مَا يُتَذَكَّرُ فِيهِ مِنْ تَذَكَّرٍ﴾ .

وأخبرنى ابن فنجويه قال : حدثنا أبو بكر بن حرجة قال : حدثنا محمد بن أيوب قال :

حدثنا الحجبى عن عبد العزيز بن أبى حازم قال : سمعت أبى يحدث عن سعيد بن أبى سعيد

المقبرى عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «من عمّره الله ستين سنة

فقد أعذر الله إليه فى العمر» .

وأخبرنى ابن فنجويه عن أحمد بن جعفر بن حمدان عن إبراهيم بن سهلويه عن الحسين بن

عرفة ، عن محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : «أعمار

أمتى ما بين الستين إلى السبعين وأقلهم من يجوز ذلك» .

وقال رسول الله ﷺ: «معترك منايا أمتي ما بين الستين إلى السبعين».  
 ﴿وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ﴾: أي الرسول، وقال زيد بن علي: القرآن، وقال عكرمة وسفيان بن  
 عيينة ووكيع والحسين بن الفضل: يعنى الشيب، وفيه قيل:

رأيت الشيب من نُذُرِ المنايا      لصاحبها وحسبك من نذير  
 فحدّ الشيب أهبة ذى وقار      فلا خلف يكون مع القتير

وقال آخر:

وقائلة تبيض والغواني      نوافر عن معاينة القتير  
 فقلت لها المشيب نذير عمري      ولست مسوداً وجه النذير

﴿فَذُوقُوا﴾: أي العذاب ﴿فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ  
 عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يُزِيدُ الْكَافِرِينَ  
 كُفْرَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا﴾: غضباً ﴿وَلَا يُزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَ كُمُ الَّذِينَ  
 تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ ﴿: أي فى الأرض ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ  
 آتَيْنَهُمْ كِتَابًا﴾: يأمرهم بذلك ﴿فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْهُ﴾.

قرأ ابن كثير وأبو عمرو والأعمش وحمزة: (بينه) على الواحد، وقرأ غيرهم (بينات)  
 بالجمع، وهو اختيار أبي عبيد قال: لموافقة الخط. فإني قد رأيتها فى بعض المصاحف بالألف  
 والتاء. ﴿بَلْ إِنْ يَدْعُوا الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ يُسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْ تَزُولَا  
 وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾، روى مغيرة عن إبراهيم قال: جاء من  
 أصحاب عبد الله بن مسعود إلى كعب ليتعلم من علمه، فلما رجع قال عبد الله: هات الذى  
 أصبت من كعب. قال: سمعت كعباً يقول: إنَّ السماء تدور فى قطبة مثل قطبة الرحا فى  
 عمود على منكب ملك. فقال عبد الله: وددت أنك انفلتت من رحلتك براحتك ورحلها،  
 كذب كعب ما ترك يهوديته بعد، إنَّ الله عز وجل يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْ  
 تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا﴾ الآية، إنَّ السموات لا تدور، ولو كانت تدور لكانت قد زالت.

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾: وذلك أن قريشاً لما بلغهم أن أهل الكتاب كذبوا رسلهم قالوا:  
 لعن الله اليهود والنصارى أتتهم الرسل فكذبوهم، فوالله لئن أتانا رسول لنكونن أهدي ديناً  
 منهم، وهذا قبل قدوم النبى ﷺ، فلما بعث محمد ﷺ كذبوه فأنزل الله عز وجل: ﴿وَأَقْسَمُوا  
 بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنْ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ﴾، يعنى اليهود والنصارى، ﴿فَلَمَّا  
 جَاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾: محمد ﷺ ﴿مَا زَادَهُمْ إِلَّا تَقْوَرًا﴾: بعداً ونفاراً.



﴿أَسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ﴾: ونصب ﴿أَسْتَكْبَارًا﴾: على البدل من النفور، قاله الأخفش، وقيل: على المصدر، وقيل: نزع الخافض. ﴿وَمَكَرَ السَّيِّئِ﴾: يعنى العمل القبيح، وقال الكلبي: هو إجماعهم على الشرك وقتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم ﴿وَلَا يَحْقِيقُ الْمَكْرَ السَّيِّئِ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ أى لا يحل ولا ينزل، ويحيط ويلحق فقتلوا يوم بدر، وقراءة العامة: ﴿السَّيِّئِ﴾: بإشباع الإعراب فيها، وجزم الأعمش وحمزة (ومكر السى) تخفيفاً وكرهاته لالتقاء الحركات ولم يعملا ذلك فى الأخرى، والقراءة المرضية ما عليه العامة.

وفى الحديث أن كعباً قال لابن عباس: قرأت فى التوراة: من حفر حفرة وقع فيها. فقال: ابن عباس: أنا أوجد لك ذلك فى القرآن، ثم قرأ قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا يَحْقِيقُ الْمَكْرَ السَّيِّئِ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾.

وأخبرنى أبو عبد الله الحسين بن فنجويه قال: حدثنا ابن شنبه قال: حدثنا محمد بن الحسن البلخى قال: حدثنا عبد الله بن المبارك قال: أخبرنا يونس بن يزيد عن الزهرى قال: بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: «لا تمكر ولا تعن ماكرًا؛ فإن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَلَا يَحْقِيقُ الْمَكْرَ السَّيِّئِ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾، ولا تبغ ولا تعن باغياً، لقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا بِغِيكُمُ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ﴾ (يونس: ٢٣) ولا تنكث ولا تعن ناكثًا فإن الله سبحانه يقول: ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ﴾ (الفتح: ١٠)».

﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ﴾: يعنى العذاب إذا كفروا ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾.

﴿أَوْ مَرَّ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا﴾: من الجرائم ﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرهَا﴾، يعنى الأرض كناية عن غير مذكور ﴿مِن دَابَّةٍ﴾.

قال الأخفش والحسين بن الفضل: أراد بالدابة: الناس دون غيرهم، وأجراها الآخرون على العموم. أخبرنى ابن فنجويه قال: حدثنا ابن شنبه عن الفريابى قال: حدثنى أبو مسعود أحمد بن الفرات قال: أخبرنا أبو عوانة قال: حدثنا عبد الله بن المبارك عن يونس بن يزيد عن الزهرى عن حمزة بن عبد الله بن عمر عن أبيه قال: قال النبى ﷺ: «إذا أصاب الله عز وجل قومًا بعذاب أصاب به من بين ظهرانيهم ثم بيعثون على أعمالهم يوم القيامة».

وقال قتادة فى هذه الآية: قد فعل الله ذلك فى زمن نوح فأهلك الله ما على ظهر الأرض من دابة إلا ما حمل فى سفينة نوح، وقال ابن مسعود: كاد الجعل يُعذب فى جحره بذنب ابن

آدم ثم قرأ هذه الآية، وقال أنس: إن الضب ليموت هزلاً في جحره بذنب ابن آدم، وقال يحيى ابن أبي كثير: أمر رجل بمعروف ونهى عن منكر، فقال له رجل: عليك نفسك فإنّ الظالم لا يضر إلا نفسه. فقال أبو هريرة: كذبت والذي نفسى بيده، إن الحبارى لتموت هزلاً في وكرها بظلم الظالم.

وقال أبو حمزة الثمالي في هذه الآية: يحبس المطر فيهلك كل شيء.

﴿وَلَكِنْ يُؤَخَّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾



## سورة يس

مكية ، وهى ثلاثة آلاف حرف  
وسبعمائة وتسع وعشرون كلمة وثلاث وثمانون آية

### ❖ فى فضلها:

أخبرنا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد الناقد قال : أخبرنى أبو العباس محمد بن إسحاق السراج قال : حدثنا حميد بن عبد الرحمن عن الحسين بن صالح عن هارون أبى محمد عن مقاتل بن حيان عن قتادة عن أنس : أن رسول الله ﷺ قال : « لكل شىء قلب وإن قلب القرآن (يس) ومن قرأ (يس) كتب الله له بقراءتها قراءة القرآن عشر مرات » .

وأخبرنى محمد بن الحسين بن محمد قال : حدثنا محمد بن محمد بن يعقوب قال : حدثنا محمد بن عبد الله بن محمد بن مسلم الملقب بمصر قال : حدثنا إسماعيل بن محمود النيسابورى قال : حدثنا أحمد بن عمران الرازى عن محمد بن عمير عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : « إن فى القرآن لسورة تشفع لقراءها ويغفر لمستمعها ، ألا وهى سورة يس » .

وأخبرنا أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد بن إبراهيم الطبرانى بها قال : حدثنا العباس بن محمد بن قوهيار قال : حدثنا الفضل بن حماد وأخبرنا أحمد بن أبى الفراتى قال : أخبرنا أبو نصر السرخسى قال : حدثنا محمد بن أيوب قال : حدثنا إسماعيل بن أبى أوس عن محمد بن عبد الرحمن بن أبى بكر الجعدانى عن سليمان بن مرقاع عن هلال بن الصلت أن أبى بكر قال : قال رسول الله ﷺ : « يس تدعى المعمة » . قيل : يا رسول الله وما المعمة ؟ قال : « تعم صاحبها خير الدنيا وتدفع عنه أهويل الآخرة ، وتدعى الدافعة والقاضية » قيل يا رسول الله وكيف ذلك ؟ .

قال : « تدفع عنه كل سوء وتقضى له كل حاجة ، ومن قرأها عدلت له عشرون حجة ، ومن سمعها كان له ألف دينار فى سبيل الله ، ومن كتبها وشربها أدخلت جوفه ألف دواء وألف يقين وألف زلفى وألف رحمة ، ونزع عنه كل داء وغل » .

وأخبرنا أبو الحسن بن أبي إسحاق المزكى قال: حدثنا أبو الأحرز محمد بن عمر بن جميل قال: حدثنا أبو بكر أحمد بن إبراهيم - وهو أبو بسطام البغدادي - قال: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم قال: حدثنا يوسف بن عطية عن هارون بن كثير عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي أمامة عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ (يس) يريد بها الله عز وجل غفر الله له وأعطى من الأجر كأنما قرأ القرآن اثنتي عشرة مرة، وأما مريض قرئت عنده سورة (يس) نزل عليه بعدد كل حرف عشرة أملاك يقومون بين يديه صفوفًا فيصلون ويستغفرون له ويشهدون قبضه وغسله ويتبعون جنازته ويصلون عليه ويشهدون دفنه، وأما مريض قرأ سورة يس وهو في سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيئه رضوان خازن الجنان بشرية من الجنة فيشربها وهو على فراشه فيموت وهو ريان ويبعث وهو ريان ويحاسب وهو ريان ولا يحتاج إلى حوض من حياض الأنبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان».

وحدثنا أبو الفضل علي بن محمد بن أحمد بن علي الشارعي الخوارزمي إملاء قال: حدثنا أبو سهل بن زياد القطان قال حدثنا ابن مكرم قال: حدثنا مصعب بن المقدم قال: حدثنا أبو المقدم هشام عن الحسن بن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة (يس) في ليلة أصبح مغفوراً له».

وأخبرني الحسين بن محمد الثقفي قال: حدثنا الفضل بن الفضل الكندي قال: حدثنا حمزة بن الحسين بن عمر البغدادي قال: حدثنا محمد بن أحمد الرياحي قال: حدثنا أبي قال: حدثنا أيوب بن مدرك عن أبي عبيدة عن الحسن بن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: «من دخل المقابر فقرأ سورة (يس) خفف عنهم يومئذ وكان له بعدد من فيها حسنة».

وأخبرني ابن فنجويه قال: حدثنا ابن شنبه قال: حدثنا علي بن ماهان عن علي بن محمد الطنافسي قال: حدثنا عبد الرحمن المحاربي قال: حدثنا عامر بن يساف اليمامي عن يحيى بن كثير قال: بلغنا أنه من قرأ (يس) حين يصبح لم يزل في فرح حتى يمسي، ومن قرأها حين يمسي لم يزل في فرح حتى يصبح، وقد حدثني من جربها.

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَسَّ ۝ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ۝ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝ تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ۝ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ۝ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا

يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْيُنِهِمْ أَغْلًا لَّا فِيهِ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُّقْمَحُونَ ﴿١١﴾ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١٤﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٥﴾

﴿يس﴾ : اختلف القراء فيه، فقرأ حمزة والكسائي وخلف في أكثر الروايات ﴿يس﴾ : بكسر الياء بين اللفظين قراءة أهل المدينة، وهو اختيار أبي عبيد وأبي حاتم. الباقون: بفتح الياء، وقرأ أبو جعفر وأبو عمرو وحمزة وأيوب وأبو حاتم وعاصم في أكثر الروايات، (يسين)، بإظهار النون والسكون.

واختلف فيه عن نافع وابن كثير، فقرأ عيسى بن عمر: (يس) بالنصب، شبهه بـ (أين) و(كيف)، وقرأ ابن أبي إسحاق بكسر النون، شبهه بأمس ورقاش وحذام وقرأ هارون الأعمور: بضم النون، شبهه بمنذٌ وحيثٌ وقطٌ. الآخرون: بإخفاء النون.

واختلف المفسرون في تأويله، ف قيل: قسم، وقال ابن عباس: يعني يا إنسان بلغة طيبي عطا: بالسريانية، وقال أبو العالية: يا رجل، وقال سعيد بن جبير: يا محمد، دليله قوله: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

وقال السيد الحميري:

يا نفس لا تمحضي بالنصح جامدة على المسودة إلا آل ياسينا

وقال أبو بكر الوراق: يا سيد البشر.

فإن قيل: لم عدّ ﴿يس﴾ آية ولم يعدّ ﴿طس﴾ آية؟

فالجواب أنّ ﴿طس﴾ أشبه قاييل من جهة الزنة والحروف الصحاح و﴿يس﴾ أوله حرف علة وليس مثل ذلك في الأسماء المفردة، فأشبهه الجملة والكلام التام وشاكل ما بعده من رءوس الآي.

﴿وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ : وهو جواب لقول الكفار: لست مرسلًا.

﴿عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ تَنْزِيلٌ : قرأ ابن عامر وأهل الكوفة بنصب اللام على المصدر كأنه قال: نزل تنزيلاً، وقيل على الخروج من الوصف، وقرأ الآخرون بالرفع أي هو تنزيلٌ

﴿الْعَزِيزِ﴾: الشديد المنع على الكافرين ﴿الرَّحِيمِ﴾: بعباده وأهل طاعته .  
 ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ﴾: فى الفترة، وقيل: بما أنذر آباؤهم ﴿فَهُمْ غَافِلُونَ﴾: عن الإيمان  
 والرشد .

﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ﴾: وجب العذاب ﴿عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهَمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿إِنَّا جَعَلْنَا﴾، نزلت فى أبى  
 جهل وأصحابه المخزوميين، وذلك أن أبى جهل كان قد حلف لئن رأى محمداً يُصلى ليرضخن  
 برأسه . فأتاه وهو يُصلى ومعه حجر ليذمغه فلما رفعه أثبتت يده إلى عنقه ولزق الحجر بيده .  
 فلما عاد إلى أصحابه وأخبرهم بما رأى سقط الحجر، فقال رجل من بنى مخزوم: أنا أقتله بهذا  
 الحجر .

فأتاه وهو يُصلى ليرميه بالحجر فأعمى الله بصره فجعل يسمع صوته ولا يراه، فرجع إلى  
 أصحابه فلم يرهم حتى نادوه وقالوا له: ما صنعت؟ فقال: ما رأيته، ولقد سمعت صوته  
 وحال بينى وبينه كهية الفحل يخطر بذنبه لو دنوت منه لأكلنى، فأنزل الله عز وجل: ﴿إِنَّا  
 جَعَلْنَا﴾ .

﴿فِي أَعْتَقِهِمْ أَغْلًا﴾: إلى الأذقان فهُم مُّقْمَحُونَ﴾: مغلولون، وأصل الإقماح غض البصر  
 ورفع الرأس، يُقال: بغير مقمح إذا رفع رأسه وغض بصره، وبغير قماح إذا أروى من الماء  
 فأقمح . قال الشاعر يذكر سفينة كان فيها:

ونحن على جوانبها قعود      نغض الطرف كالإبل القماح

وقال أبو عبيدة: هذا على طريق المثل، ولم يكن هناك غل، وإنما أراد: منعناهم عن الإيمان  
 وعمّا أرادوا بموانع، فجعل الأغلال مثلاً لذلك، وفى الخبر أن أبى ذؤيب كان يهوى امرأة فى  
 الجاهلية، فلما أسلم أتته المرأة - واسمها أم مالك - فراودته عن نفسه، فأبى وأنشد يقول:

فليس كعهد الدار يا أم مالك      ولكن أحاطت بالرقاب السلاسل  
 وعاد الفتى كالكهل ليس بقائل      سوى العدل شيئاً فاستراح العواذل

أراد منعنا: بموانع الإسلام عن تعاطى الزنا والفسق، وقال عكرمة: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْتَقِهِمْ  
 أَغْلًا﴾ يعنى ظلمات وظلالا كانوا فيها .

﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَعْشَيْنَهُمُ﴾: فأعميناهم، العامة بالغبين .

أخبرنى الحسن بن محمد الثقفى قال: حدثنا البغوى ببغداد قال: حدثنا أحمد بن محمد بن  
 أبى شنبه البغدادى قال: حدثنا أبو القاسم عثمان بن صالح الحناط قال: حدثنا عثمان بن عمر  
 عن شعبة عن على بن نديمة قال: سمعت عكرمة يقول: (فأعشيناهم) - بالعين غير معجمة -

وروى ذلك عن ابن عباس .

﴿فَهُمْ لَا يَبْصُرُونَ﴾ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ : أخبرنا ابن فنجويه الدينورى عن عبد الله بن محمد بن شنبه قال : حدثنا عمير بن مرداس قال : حدثنى سلمة بن شبيب قال : حدثنا الحسين بن الوليد قال : حدثنا حنان بن زهير العدوى عن أبيه عن عمر بن عبد العزيز ، وأخبرنى ابن فنجويه قال : حدثنا ابن شنبه ، عن الفريابى قال : حدثنا عبيد الله بن معاذ قال : حدثنا أبى قال : حدثنا محمد بن عمرو الليثى أن الزهرى حدثه قال : دعا عمر بن عبد العزيز غيلان القدرى فقال : يا غيلان بلغنى أنك تكلم فى القدر؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، إنهم يكذبون على . قال : يا غيلان اقرأ أول سورة (يس) ، فقرأ : ﴿يَسَّ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾ إلى قوله : ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ . فقال غيلان : يا أمير المؤمنين والله لكأنى لم أقرأها قط قبل اليوم ، أشهدك يا أمير المؤمنين أنى تائب مما كنت أقول فى القدر . فقال عمر بن عبد العزيز : اللهم إن كان صادقاً فتب عليه ، وإن كان كاذباً فسلط عليه من لا يرحمه واجعله آية للمؤمنين .

قال : فأخذه هشام فقطع يديه ورجليه .

وأخبرنى ابن فنجويه قال : حدثنا ابن شنبه عن الفريابى قال : حدثنا عبد الله بن معاذ قال : حدثنا أبى عن بعض أصحابه قال : حدث محمد بن عمير بهذا الحديث ابن عون ، فقال ابن عون : أنا رأيته مصلوباً على باب دمشق .

﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ﴾ : يعنى إنما ينفع إنذارك - لأنه كان ينذر الكل - ﴿مَنْ اتَّبَعَ الذِّكْرَ﴾ : القرآن فعمل به ﴿وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ﴾ : أخبره ﴿بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَى : عند البعث ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا﴾ : من الأعمال ﴿وَأَشْرَهُمْ﴾ : ما استن به بعدهم ، نظيره قوله : ﴿يَلْبَسُوا الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ مَّا قَدَّمْ وَأَخَّرَ﴾ (القيامة : ١٣) ، وقوله : ﴿عَلِمْتَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ (الانقطار : ٥) .

وقال المغيرة بن شعبه والضحاك : نزلت فى بنى عذرة ، وكانت منازلهم بعيدة عن المسجد فشق عليهم حضور الصلوات ، فأنزل الله عز وجل : ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَأَشْرَهُمْ﴾ يعنى خطاهم إلى المسجد .

أخبرنا ابن فنجويه قال : حدثنا ابن شنبه قال : حدثنا جعفر بن محمد الفريابى قال : حدثنا حنان بن موسى قال : حدثنا عبد الله بن المبارك عن سعيد الحريرى عن أبى نصره عن جابر عن عبد الله قال : «أردنا النقلة إلى المسجد والباق حول المسجد خالية فبلغ ذلك النبى ﷺ فأتانا فى

ديارنا فقال: «يا بنى سلمة، بلغنى أنكم تريدون النقلة إلى المسجد؟» فقالوا: يا رسول الله، بعد علينا المسجد، والباق حول المسجد خالية. فقال: «يا بنى سلمة، دياركم فإنما تكتب آثاركم». قال: فما ودنا بحضرة المسجد لما قال رسول الله ﷺ عليه الذى قال.

أخبرنا أبو على الروزبارى قال: حدثنا أبو بكر محمد بن مهرويه الرازى قال: حدثنا أبو حاتم الرازى قال: حدثنا قرة بن حبيب قال: حدثنا عتبة بن عبد الله عن ثابت عن أنس فى قوله سبحانه: ﴿وَكُتِبَ مَا قَدَّمُوا وَعَأْتَرَهُمْ﴾ قال: الخُطى يوم الجمعة.

﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ﴾: علمناه وعددناه وبيناه ﴿فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾: وهو اللوح المحفوظ.



﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٠١﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ ﴿١٠٢﴾ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٠٣﴾ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٠٤﴾ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنْهَوْا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٦﴾ قَالُوا طَبَّرَكُم مَّعَكُمْ أَلَيْسَ ذِكْرُكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٠٧﴾ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَتَقَوْمِ آبَعُوهَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٨﴾ آتَبِعُوا مِنْ لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿١٠٩﴾ وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١٠﴾ ءَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ ﴿١١١﴾ إِنِّي إِذْ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١١٢﴾ إِنِّي ءَأَمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمِعُونِ ﴿١١٣﴾ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَلِيَّتْ قَوْمِي يَعْلمُونَ ﴿١١٤﴾ بِمَا غَفَر لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿١١٥﴾ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ ﴿١١٦﴾ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خُلُودٌ ﴿١١٧﴾ يَحْسِرَةَ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١١٨﴾ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١١٩﴾ وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿١٢٠﴾ وَعَايَةُ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿١٢١﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴿١٢٢﴾ لِيَأْكُلُوا



مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُثَلِّثُ  
 الْأَرْضُ وَمِمَّنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ وَعَايَةُ لَهُمْ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلَمُونَ ﴿١٢﴾  
 وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٣﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ  
 كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيرِ ﴿١٤﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ  
 يَسْبَحُونَ ﴿١٥﴾ وَعَايَةُ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفَلَكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٦﴾ وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا  
 يَرْكَبُونَ ﴿١٧﴾ وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ ﴿١٨﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ  
 حِينٍ ﴿١٩﴾ ﴿

﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ﴾: وهى أنطاكية: «إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ يعنى رسل  
 عيسى: قالت العلماء بأخبار الأنبياء: بعث عيسى (عليه السلام) رسولين من الخواريين إلى  
 أنطاكية، فلما قربا من المدينة رأيا شيخاً يرعى غنيمات وهو حبيب صاحب (يس)، فسلما  
 عليه، فقال الشيخ: من أنتما؟ قالوا: رسولا عيسى يدعوكم من عبادة الأوثان إلى عبادة  
 الرَّحْمَنِ. فقال: أمعكما آية؟ قالوا: نعم، نشفى المرضى ونبرئ الأكمه والأبرص بإذن الله.  
 فقال الشيخ: إن لى ابناً مريضاً صاحب فراش منذ سنين. قالوا: فانطلق بنا إلى منزلك نتطلع  
 حاله.

فأتى بهما إلى منزله، فمسحها ابنه فقام فى الوقت بإذن الله صحيحاً، ففشا الخبر فى المدينة  
 وشفى الله على يديهما كثيراً من المرضى، وكان لهم ملك يقال له سلاحين، وقال وهب:  
 اسمه أبطيحيس، وكان من ملوك الروم يعبد الأصنام، قالوا: فانتهى الخبر إليه فدعاهما، فقال  
 لهما: من أنتما؟ قالوا: رسولا عيسى. قال: وما آيتكما؟ قالوا: نبرئ الأكمه والأبرص،  
 ونشفى المرضى بإذن الله. قال: وفيم جئتما؟ قالوا: جئناك ندعوك من عبادة ما لا يسمع ولا  
 يبصر إلى عبادة من يسمع ويبصر. فقال الملك: أولنا إله سوى آلهتنا؟ قالوا: نعم من أوجدك  
 وآلهتك. قال: قوما حتى أنظر فى أمركما. فتبعهما الناس فأخذوهما وضربوهما فى السوق.  
 وقال وهب بن منبه: بعث عيسى (عليه السلام) هذين الرسولين إلى أنطاكية فأتياها ولم  
 يصلا إلى ملكها فطالت مدة مقامهما، فخرج الملك ذات يوم: فكبرا وذكرنا الله، فغضب الملك  
 وأمر بهما فأخذا وحبسوا وجلد كل واحد منهما مائة جلدة. قالوا: فلما كذب الرسولان  
 وضربا، بعث عيسى رأس الخواريين شمعون الصفا على أثرهما لينصرهما.

فدخل شمعون البلدة متنكراً وجعل يُعاشر حاشية الملك حتى أنسوا له فرغ خبره إلى الملك فدعاه فرضى عشرته، وأنس به وأكرمه. ثم قال له ذات يوم: أيها الملك بلغنى أنك حبست رجلين فى السجن وضربتكما حين دعواك إلى غير دينك، فهل كلمتهما وسمعت قولهما؟ فقال الملك: حال الغضب بينى وبين ذلك. قال: فإذا رأى الملك دعاهما حتى نتطلع ما عندهما.

فدعاهما الملك فقال لهما شمعون: من أرسلكما إلى هاهنا؟ قالا: الله الذى خلق كل شىء وليس له شريك. فقال لهما شمعون: فصفاهُ وأجزا. فقالا: إنه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد. قال شمعون: وما آيتكما؟ قالا له: ما تتمناه. فأمر الملك حتى جاءوا بغلام مطموس العينين موضع عينيه كالجبهة. فما زال يدعوهم حتى انشق موضع البصر، فأخذا بندقتين من الطين فوضعاهما فى حدقتيه فصارتا مقلتين فبصر بهما، فتعجب الملك، فقال شمعون للملك: أرايت لو سألت إلهك حتى يصنع صنيعاً مثل هذا فيكون لك الشرف وإلهك. فقال له الملك: ليس عندى سر إن إلهنا الذى نعبده لا يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع، وكان شمعون إذا دخل الملك على الصنم يدخل بدخوله ويصلى كثيراً ويتضرع، حتى ظنوا أنه على ملتهم.

وقال الملك للرسولين: إن قدر إلهكما الذى تعبدانه على إحياء ميت آمننا به وبكما. قالا: إلهنا قادر على كل شىء. فقال الملك: إن ههنا ميتاً مات منذ سبعة أيام ابناً لدهقان وأنا أخرته فلم أدفنه حتى يرجع أبوه وكان غائباً. فجاءوا بالميت وقد تغير وأروح، فجعلوا يدعوهم ربهما علانية، وجعل شمعون يدعوهم سرراً. فقام الميت وقال: إنى قد مت منذ سبعة أيام، ووُجدت مشرکاً فأدخلت فى تسعة أودية من النار، وأنا أحذرکم ما أنتم فيه، فأمنوا بالله.

ثم قال: فتحت أبواب السماء فنظرت فرأيت شاباً حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة. قال الملك: ومن الثلاثة؟ قال: شمعون وهذان، وأشار إلى صاحبيه، فتعجب الملك، فلما علم شمعون أن قوله أثر فى الملك أخبره بالحال ودعاه، فأمن قوم وكان الملك فيمن آمن، وكفر آخرون.

وقال ابن إسحاق عن كعب ووهب: بل كفر الملك، وأجمع هو وقومه على قتل الرسل، فبلغ ذلك حبيباً وهو على باب المدينة الأقصى فجاء يسعى إليهم ويذكرهم ويدعوهم إلى طاعة المرسلين فذلك قوله سبحانه: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ﴾.

واختلفوا فى اسميهما، فقال ابن عباس: تاروص وماروص، وقال وهب: يحيى

ويونس، ومقاتل: تومان ومانوص.

﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَكَرَزْنَا بِاللَّيْلِ﴾: أى فقوينا برسول ثالث. قرأ طلحة بن مصرف وعاصم عن حفص: ﴿فَكَرَزْنَا﴾ مخففاً، أى فغلبناهم، من عزيز برسول ثالث وهو شمعون.

وقال مقاتل: شمعان، وقال كعب: الرسولان صادق وصدوق والثالث شلوم وإنما أضاف الإرسال إليه لأن عيسى (عليه السلام) إنما بعثهم بأمره عز وجل، وكانوا فى جملة الرسل، فقالوا جميعاً لأهل أنطاكية: ﴿إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ﴾ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ: ما أنتم إلا كاذبون. ﴿قَالُوا رَبَّنَا عَلِّمْنَا لِنَا إِلَيْكُمُ لِمَرْسَلُونَ﴾ وَمَا عَلَّمْنَا إِلَّا الْبَلْغَ الْمُبِينِ ﴿قَالُوا إِنَّا نَطِيرُنَا﴾: تشاءمنا.

﴿بِكُمْ﴾: قال مقاتل: حبس عنهم المطر فقالوا: هذا بشؤمكم ﴿لَئِنْ لَمْ تَنْهَوُا النَّاسَ عَنْكُمْ﴾، قال قتادة: بالحجارة، وقال آخرون: لنقتلنكم، ﴿وَلَيْسَنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ قَالُوا طَبَّرَكُمُ: شؤمكم ﴿مَعَكُمْ﴾: بكفركم، وقال ابن عباس والضحاك: حظكم من الخير والشر. قال قتادة: أعمالكم؛ وقرأ الحسن والأعرج: طيركم.

﴿أَيْنَ ذُكِّرْتُمْ﴾: وعظمت، وقرأ أبو جعفر بالتخفيف، يعنى من حيث ذكرتم، وجوابه محذوف مجازه: أئن ذكرتم قلت هذا القول، ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّشْرِقُونَ﴾: مشركون مجاوزون الحد.

قوله: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى﴾: وهو حبيب بن مرى، وقال ابن عباس ومقاتل: حبيب بن إسرائيل النجار، وقال وهب: وكان رجلاً سقيماً قد أسرع فيه الجذام، وكان منزله عند أقصى باب من أبواب المدينة، وكان مؤمناً ذا صدقة يجمع كسبه إذا أمسى فيقسمه نصفين: فيطعم نصفاً عياله ويتصدق بنصفه، فلما بلغه أن قومه قصدوا قتل الرسل جاءهم فقال: ﴿يَقَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْئَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ، قال قتادة: لما انتهى حبيب إلى الرسل قال لهم: تسألون على هذا من أجر؟ قالوا: لا. فقال ذلك. قال: وكان حبيب فى غار يعبد ربه، فلما بلغه خبر الرسل أتاهم وأظهر دينه وما هو عليه من التوحيد وعبادة الله، فقبل له: وأنت مخالف لدينا وتابع دين هؤلاء الرسل ومؤمن بالههم؟ فقال: ﴿وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ءَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً إِنْ يُرَدِّنِ الرَّحْمَنُ بِصُرٍّ لَّا تُعْنِ عَنِّي شَفَعَتُهُمْ شَيْئاً وَلَا يُنْقِذُونِ ﴿إِنِّي﴾: إن فعلت ذلك ﴿إِذْ أَنَّى ضَلَلِ سَبِيلِي﴾ إِنْ ءَأَمَنْتَ رَبَّكَ فَاسْمَعُونِ: فلما قال لهم ذلك وثبوا إليه وثبة رجل واحد فقتلوه ولم يكن أحد يدفع عنه.

قال عبد الله بن مسعود: وطئوه بأرجلهم حتى خرج قضيبه من دبره، وقال السدى: كانوا

يرمونه بالحجارة وهو يقول: اللهم اهد قومي حتى قطعوه وقتلوه، وقال الحسن: خر قوا خر قًا في حلقه فعلقوه من سوق المدينة، وقبره في سور أنطاكية فأوجب الله له الجنة، فذلك قوله: ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾.

فلما أفضى إلى جنة الله وكرامته ﴿قَالَ يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾ بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين. أخبرنا أبو بكر عبد الرحمن بن عبد الله بن علي بن حمشاد المزكي بقرآتي عليه في شعبان سنة أربع مائة فأقر به قال: أخبرنا أبو ظهير عبد الله بن فارس بن محمد بن علي بن عبد الله بن سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب في شهر ربيع الأول سنة ست وأربعين وثلاثمائة قال: حدثنا إبراهيم بن الفضل بن مالك قال: حدثنا عن أخيه عيسى عن عبد الرحمن ابن أبي ليلى عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «سباق الأمم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين: علي بن أبي طالب، وصاحب آل يس، ومؤمن آل فرعون، فهم الصديقون وعلي أفضلهم». قالوا: فلما قُتل حبيب غضب الله له وعجل لهم النعمة، فأمر جبرئيل (عليه السلام) فصاح بهم صيحة ماتوا عن آخرهم، فذلك قوله عز وجل: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنْ سَمَاءٍ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ﴾ إن كانت إلا صيحة واحدة، وفي مصحف عبد الله: (إن كانت إلا زقية واحدة)، وهي الصحيحة أيضًا وأصلها من الزقا، وقرأ أبو جعفر: (صيحة) بالرفع، جعل الكون بمعنى الوقوع ﴿فَإِذَا هُمْ خَلِيدُونَ﴾: ميتون.

﴿يَحْسِرَةَ عَلَى الْعِبَادِ﴾: قال عكرمة: يعني على أنفسهم، وفيه قولان: أحدهما: أن الله يقول: ﴿يَحْسِرَةَ عَلَى الْعِبَادِ﴾ وكأبه عليهم حين لم يؤمنوا. والآخر: أنه من قول الهالكين. قال أبو العالية: لما عاينوا العذاب قالوا: ﴿يَحْسِرَةَ عَلَى الْعِبَادِ﴾ يعني الرسل الثلاثة حين لم يؤمنوا بهم، فتمنوا الإيمان حين لم ينفعهم، وقرأ عكرمة: ﴿يَحْسِرَةَ عَلَى الْعِبَادِ﴾ بجزم الهاء ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾: وكان خبر الرسل الثلاثة في أيام ملوك الطوائف.

﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾: يعني أهل مكة ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ﴾؟ والقرن: أهل كل عصر؛ سموا بذلك لاقترابهم في الوجود ﴿أَنْتُمْ إِلَهُهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ وإن كل لنا بالتشديد، ابن عامر والأعمش وعاصم وحمزة. الباقون: بالتخفيف. فمن شدد جعل ﴿إِنْ﴾: بمعنى الجحد، و﴿لَنَا﴾: بمعنى (إلا)، تقديره: وما كل إلا جميع، كقولهم: سألتك لما فعلت، أي إلا فعلت، ومن خفف جعل ﴿إِنْ﴾: للتحقيق وحققه، وما صلة، مجازه: وكل ﴿جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُخْضَرُونَ﴾ وعآية لهم الأرض الميتة أحيينها: بالمطر، ﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ وجعلنا فيها جنت: ﴿

بساتين ﴿مَنْ يُخِيلِ وَأَعْتَبِ وَفَجَرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴿١٠﴾ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ ﴿١١﴾، قرأ الأعمش: بضم الثاء وجزم الميم (ثمره)، وقرأ خلف ويحيى وحمزة والكسائي بضم الثاء والميم، وقرأ الآخرون بفتحهما ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾: قرأ العامة بالهاء، وقرأ عيسى بن عمر وأهل الكوفة: (عملت) بلا هاء، ويجوز في ﴿مَا﴾ ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: الجحد، بمعنى ولم تعمله أيديهم، أي وجدوها معمولة ولا صنع لهم فيها، وهذا معنى قول الضحاك ومقاتل.

والوجه الثاني: معنى المصدر، أي ومن عمل أيديهم.

والوجه الثالث: معنى الذى، أي وما عملت أيديهم من الحرث والزرع والغرس، وهو

معنى قول ابن عباس: ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾: نعمه؟

﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ﴾: الأشكال والأصناف ﴿كُلَّمَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ﴾: ننزع ونخرج ﴿مِنْهُ النَّهَارَ﴾، وقال الكلبي: نذهب به ﴿وَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾: داخلون فى الظلام.

﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾: يعنى إلى مستقر لها. قال ابن عباس: لا تبلغ مستقرها حتى ترجع إلى منازلها، وقال قتادة: إلى وقت واحد لها لا تعدوه، وقيل: إلى انتهاء أمرها عند انقضاء الدنيا، وقيل: إلى أبعد منازلها فى الغروب.

وأخبرنى ابن فنجويه قال: حدثنا عمر بن الخطاب وأحمد بن جعفر قالوا: حدثنا إبراهيم ابن سهل قال: حدثنا محمد بن بكر العيسى قال: حدثنا إسماعيل بن عليه قال: حدثنا يونس ابن عبيد عن إبراهيم التيمى عن أبيه عن أبى ذر عن النبى ﷺ فى قوله: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ قال: «مستقرها تحت العرش».

وأخبرنى ابن فنجويه قال: حدثنا ابن حبيش قال: حدثنى أبو الطيب أحمد بن عبد الله بن يحيى الدارمى قال: حدثنا أبو عبد الله أحمد بن محمد السمرقندى بدمياط قال: حدثنا أبو عبيد القاسم بن سلام قال: حدثنا مروان بن معاوية عن محمد بن أبى حسان عن عمرو بن دينار عن ابن عباس أنه قرأ: والشمس تجرى لا مستقر لها، وهى قراءة ابن مسعود أيضاً، أى لا قرار لها، فهى جارية أبداً.

﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ ﴿وَالْقَمَرَ﴾: بالرفع: نافع وابن كثير وأبو عمر وأيوب ويعقوب غير ورش، واختاره أبو حاتم قال: لأنك شغلت الفعل عنه فرفعته للابتداء، وقرأ الباقون بالنصب، واختاره أبو عبيد، قال: للفعل المتقدم قبله والمتأخر بعده، فأما المتقدم فقوله:

﴿تَسْلُخُ مِنْهُ النَّهَارَ﴾ وأما المتأخر فقولُه: ﴿قَدَرْنَاهُ﴾، أى قدرنا له المنازل.

﴿مَنَازِلَ﴾، أى قدرنا له المنازل وهى ثمانية وعشرون منزلاً ينزل القمر كل ليلة بمنزل منها، وأسمائها: الشرطان، والبطين، والثريا، والدبران، والهقعة، والهنعة، والذراع، والنثرة والطرف، والجهة والزبرة، والصرفة، والعوّاء، والسماك، والغفر، والزبانى، والإكليل، والقلب، والشولة، والنعائم، والبلدة، وسعد الذابح، وسعد بلع، وسعد السعود، وسعد الأخبية، وفرغ الدلو المقدم، وفرغ الدلو المؤخر، وبطن الحوت.

فإذا صار إلى آخر منزله ﴿عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيرِ﴾، وهو العذق الذى فيه الشماريخ، فإذا أقدم وعتق يبس وتقوس واصفر فشبّه القمر فى دقته وصفرته به، ويُقال لها أيضاً الأهان.

﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾: بل هما يسيران دائبين ولكل حدًّا ليعدوه ولا يقصر دونه، فإذا جاء سلطان هذا ذهب ذلك وإذا جاء سلطان ذلك ذهب هذا، فذلك قوله: ﴿وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾. فإذا اجتمعا وأدرك كل واحد صاحبه قامت القيامة وذلك قوله سبحانه: ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ (القيامة: ٩).

﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾: يجرون.

﴿وَأَيُّ آيَةٍ لَهُمْ أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِكِ الْمَشْحُونِ﴾: الموقر المملوء، وهى سفينة نوح؛ الآباء فى السفينة، والأبناء فى الأصلاب، والحمل: منع الشيء أن يذهب إلى جهة السفلى.

﴿وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِمْ مَثَلًا﴾: أى مثل سفينة نوح ﴿مَا يَرْكَبُونَ﴾: وهى السفن كلها.

أخبرنا عبيد بن محمد بن محمد بن مهدي قال: حدثنا أبو العباس الأصم قال: حدثنا أحمد بن حازم قال: حدثنا عبد الله بن موسى عن سفيان عن السدى عن أبى مالك فى قوله: ﴿وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِمْ مَثَلًا مَا يَرْكَبُونَ﴾ قال: السفن الصغار، وقال ابن عباس: الإبل سفن البر.

﴿وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَدُونَ﴾: ينجون من الغرق ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾: يعنى انقضاء آجالهم.



﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ

يَخْصِمُونَ ﴿٣٦﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٣٧﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴿٣٨﴾ قَالُوا يَا نَبِيَّانَا مَن بعثنا من مَّوَدَّنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٤٠﴾ فَالْيَوْمَ لَا تُظَلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكَّهُونَ ﴿٤٢﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّلٍ عَلَى الْأَرْبَابِكِ مُتَكَبِّرُونَ ﴿٤٣﴾ لَهُمْ فِيهَا فَلَكَهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ ﴿٤٤﴾ سَلَّمَ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَأَمْتَزَرُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمَجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾ : أى ما بين أيديكم من الآخرة فاعملوا لها ﴿وَمَا خَلَقَكُمْ﴾ : من أمر الدنيا فاحذروها ولا تغتروا بها . قاله ابن عباس ، وقال مجاهد : ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾ : ما يأتى من الذنوب ، ﴿وَمَا خَلَقَكُمْ﴾ : ما مضى من الذنوب .  
الحسن : ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾ : يعنى وقائع الله فيمن كان قبلكم من الأمم ﴿وَمَا خَلَقَكُمْ﴾ : من أمر الساعة .

مقاتل : ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾ عذاب الأمم الخالية ، ﴿وَمَا خَلَقَكُمْ﴾ : عذاب الآخرة .  
﴿لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ﴾ : والجواب محذوف تقديره : إذا قيل لهم هذا عرضوا ، دليله ما بعده : ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا رَزَقَكُمْ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْطَعِمُ﴾ : الرزق ﴿مَنْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ أَطْعَمَهُمْ﴾ : يتوهمون أن الله تعالى لما كان قادراً على إطعامه وليس يشاء إطعامه ، فنحن أحق بذلك . نزلت فى مشركى مكة حين قال لهم فقراء أصحاب رسول الله ﷺ : أعطونا ما زعمتم من أموالكم أنها لله ، وذلك قوله : ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا﴾ (الأنعام: ١٣٦) فحرموهم ، وقالوا : لو شاء الله أطعمكم فلا نُعطِيكم شيئاً حتى ترجعوا إلى ديننا .

﴿إِنْ أُنْتَهَىٰ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ : فى اتباعكم محمداً ومخالفتكم ديننا . عن مقاتل بن حيان ، وقال غيره : هو من قول أصحاب رسول الله ﷺ لهم .

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ : أنا نُبعث؟ فقال الله تعالى : ﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ : وهى نفخة إسرافيل : ﴿تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ أى يختصمون ويخاصم بعضهم بعضاً .

واختلف القراء فيه ؛ فقرا ابن كثير وورش وأبو عبيد وأبو حاتم بفتح الحاء وتشديد الصاد

ومثله روى هشام عن أهل الشام: لما أذغموا نقلوا حركة الياء إلى الخاء.

وقرأ أبو جعفر وأيوب ونافع غير ورش ساكنة الخاء مخففة الصاد، وقرأ أبو عمرو: بالإخفاء، وقرأ حمزة: ساكنة الخاء مخففة الصاد، أى يغلب بعضهم بعضاً بالختام، وهى قراءة أبي بن كعب، وقرأ الباقر: بكسر الخاء وتشديد الصاد.

﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾: فلا يقدرّون على أن يوصى بعضهم بعضاً، ﴿وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ وَنَفَخَ فِي الصُّورِ: وهى النفخة الأخيرة: نفخة البعث، وبين النفختين أربعون سنة، ﴿فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾: أى القبور، واحداها جدث ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾: يخرجون، ومنه قيل للولد: نسلاً؛ لأنه يخرج من بطن أمه، والنسلان والعسلان: الإسراع فى السير.

﴿قَالُوا يَنْوِيئُنَا مِنْ بَعَثْنَا مِنْ مَّرْقَدِنَا﴾: أى منامنا قال أبى بن كعب وابن عباس وقتادة: إنما يقولون هذا؛ لأن الله رفع عنهم العذاب فيما بين النفختين فيرقدون، وقال أهل المعانى: إن الكفار إذا عاينوا جهنم وأنواع عذابها صار ما عذبوا فى القبور فى جنبها كالنوم، فقالوا: ﴿مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَّرْقَدِنَا﴾؟ ثم قال: ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾: أقرّوا حين لم ينفعهم الإقرار، وقال مجاهد: يقول الكفار: ﴿مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَّرْقَدِنَا﴾؟ ويقول المؤمنون: ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾.

﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ فَأَلْيَوْمَ لَا تَطَلُّمُ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، محل ﴿مَا﴾: نصب من وجهين:

أحدهما: مفعول ما لم يسم فاعله.

والثانى: بنزع حرف الصفة، أى بـ (ما).

﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمِ فِي شُغْلٍ﴾، قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وشيبة بجزم الغين، واختاره أبو حاتم، وقرأ الآخرون: بضم الغين، واختاره أبو عبيد، وهما لغتان مثل السُّحْتِ والسُّحْتِ ونحوهما.

واختلف المفسرون فى معنى الشغل. فأخبرنا محمد بن حمدون قال: أخبرنا مكى بن عبدان قال: حدثنا أبو الأزهر قال: حدثنا أسباط بن محمد عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس فى قول الله تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمِ فِي شُغْلٍ فَكِهِونَ﴾ قال: افتضاض الأبقار.

وأخبرنى ابن فنجويه قال: حدثنا عبد الله بن يوسف قال: حدثنا أحمد بن الوليد الشطوى قال: حدثنا محمد بن موسى قال: حدثنا معلى بن عبد الرحمن قال: حدثنا شريك عن عاصم الأحول عن أبى المتوكل الناجى عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّ



أهل الجنة إذا جامعوا نساءهم عادوا أبكاراً».

وقال الكلبي والثمالي والمسيب: يعنى فى شُغل عن أهل النار وعما هم فيه، لا يهتمهم أمرهم ولا يذكر ونهم، وقال وكيع بن الجراح: يعنى فى السماع، سئل يحيى بن معاذ: أى الأصوات أحسن؟ قال: مزامير أنس فى مقاصير قدس بألحان تجميل فى رياض تمجيد فى مقعد صدق عند مليك مقتدر.

وقال ابن كيسان: يعنى فى زيارة بعضهم بعضاً، وقيل: فى ضيافة الله وقيل: فى شغلهم بعشرة أشياء: ملك لا عزل معه، وشباب لا هرم معه، وصحة لا سقم معها، وعز لا ذل معه، وراحة لا شدة معها، ونعمة لا محنة معها، وبقاء لا فناء معه، وحياة لا موت معها، ورضا لا سخط معه، وأنس لا وحشة معه.

وقيل: شغلهم فى الجنة بسبعة أنواع من الثواب لسبعة أعضاء: فأما ثواب الرجل فقوله: ﴿أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِينَ﴾ (الحجر: ٤٦)، وثواب اليد قوله: ﴿يَتَنَزَّعُونَ فِيهَا كَأْسًا﴾ (الطور: ٢٣)، وثواب الفرج قوله: ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ (الواقعة: ٢٢)، وثواب البطن قوله: ﴿كُلُوا وَأَشْرَبُوا وَهْنِيَا﴾ (الطور: ١٩) الآية، وثواب اللسان قوله: ﴿وَأَخْرَجُوا لَهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (يونس: ١٠)، وثواب الأذن قوله: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيهَا إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾ (الواقعة: ٢٥-٢٦)، وثواب العين قوله: ﴿وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾ (الزخرف: ٧١).

قال طاوس: لو علم أهل الجنة عمّن شغلوا ما هنّاهم ما اشتغلوا به، وسئل بعض الحكماء عن قوله عليه السلام: «أكثر أهل الجنة البله» قال: لأنهم فى شغل بالنعيم عن المنعم، ثم قال: من رضى بالجنة عن الله فهو أبله.

﴿فَكَهَيَّوْنَ﴾: قرأ العامة: بالألف، وقرأ أبو جعفر (فكهون وفكهين) بغير ألف حيث كانا، وهما لغتان: كالحاذر والحذر والفاره والفره، وقال الكسائى: الفاكه والفاكهة مثل شاحم ولاحم ولابن وتامر، واختلف العلماء فى معناهما، فقال ابن عباس: فرحون. مجاهد والضحاك: معجبون. السدى: ناعمون.

﴿هُرُّوْا وَرَآجِهْتُمْ﴾: حلائلهم ﴿فِي ظِلِّلٍ﴾: قرأ العامة بالألف وكسر الظاء على جمع (ظل)، وقرأ ابن مسعود وعبيد بن عمير وحمزة والكسائى وخلف: (ظلل) على جمع (ظلة).

﴿عَلَى الْأَرْبَابِكِ﴾: يعنى السرر فى الحجال، واحداً أربكة، مثل سفينة وسفن وسفائن وقيل: هى الفرش، ﴿مُتَّكِنُونَ﴾ لَهْمُ فِيهَا فَكَيْهَةٌ وَلَهْمٌ مَا يَدْعُونَ﴾ قال ابن عباس: يسألون. قال مقاتل: يتمنون ويريدون، وقيل: معناه: من ادعى منهم شيئاً فهو له بحكم الله عز وجل؛

لأنهم لا يدعون إلا ما يحسن .

﴿سَلَّمَ﴾ قرأ العامة بالرفع ، أى لهم سلام ، وقرأ النخعي : بالنصب على القطع والمصدر .  
 أخبرني الحسن بن محمد بن عبد الله الحافظ قال : حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان قال :  
 حدثنا أحمد بن الفرج المقرئ قال : حدثنا محمد بن عبد الملك أبي الشوارب قال : حدثنا أبو  
 عاصم عبد الله بن عبد الله العباداني قال : حدثنا الفضل بن عيسى الرقاشي ، وأخبرنا عبد الخالق  
 ابن علي بن عبد الخالق المؤذن قال : حدثني أبو بكر أحمد بن محمد بن موسى الملحمي  
 الأصفهاني قال : حدثنا الحسن بن أبي علي الزعفراني قال : حدثنا ابن أبي الشوارب قال :  
 حدثنا أبو عاصم قال : حدثنا الفضل الرقاشي عن محمد بن المنكدر عن جابر قال : قال النبي  
 ﷺ : «بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور ، فرفعوا رؤوسهم ، فإذا الرب عز وجل قد  
 أشرف عليهم من فوقهم ، فقال : السلام عليكم يا أهل الجنة . فذلك قوله عز وجل : ﴿سَلَّمَ  
 قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾ فينظر إليهم وينظرون إليه فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ما داموا ينظرون  
 إليه حتى يحتجب عنهم ، فيبقى نوره وبركته عليهم في ديارهم» .

﴿وَأَمْتَرُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ : قال ابن عباس : تفرقوا . أبو العالية : تميزوا . السدي :  
 كونوا على حدة . قتادة : اعدلوا عن كل خير . الضحاك : إن لكل كافر في النار بيتًا ، يدخل  
 ذلك البيت ويردم به بالنار فيكون فيه أبد الأبدين فلا يرى ولا يرى .



﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يٰبَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ وَأَنْ  
 أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿١٦٦﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَا تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٧﴾  
 هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٦٨﴾ أَصَلُّوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٦٩﴾ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى  
 أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٧٠﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ  
 فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ ﴿١٧١﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَاتَتِهِمْ فَمَا اسْتَبَقُوا مِصْرًا وَلَا  
 يَرْجِعُونَ ﴿١٧٢﴾ وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ  
 إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ ﴿١٧٤﴾ لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿١٧٥﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا  
 خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِيهِمْ أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَلَكَوْنَ ﴿١٧٦﴾ وَذَلَّلْنَا لَهُم مِّنْهَا رَكُوبَهُمْ وَمِنْهَا

يَأْكُلُونَ ﴿١٠﴾ وَهُمْ فِيهَا مَتَّعٌ وَمَشَارِبٌ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿١١﴾ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ  
يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نصرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُخَضَّرُونَ ﴿١٣﴾ فَلَا يَحْزِنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا  
يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿١٤﴾ أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْقَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ وَضَرَبَ  
لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿١٦﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ  
بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ تُوقَدُونَ ﴿١٨﴾  
أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ  
الْعَلِيمُ ﴿١٩﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٢٠﴾ فَسُبْحَانَ الَّذِي يَدِينُهُ  
مَلَائِكَةٌ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾

﴿أَوْ أَعِزُّ إِلَيْكُمْ يَتَّبِعِي عَادَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾: أى لا تطيعوه فى معصية الله. ﴿إِنَّهُ لَكُمْ  
عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ وَأَنْ عِبْدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿لَقَدْ أَضَلُّ مِنْكُمْ﴾: أى أغوى بالدعاء إلى المعصية  
﴿جِيلًا كَثِيرًا﴾: قرأ على رضى الله عنه (جبالاً) بالباء مخففاً، وقرأ أهل المدينة وعاصم وأيوب  
وأبو عبيد وأبو حاتم بكسر الجيم والباء، وتشديد اللام، وقرأ يعقوب بضم الجيم والباء،  
وتشديد اللام، وبه قرأ الحسن وعبيد بن عمير وعيسى بن عمر والأشهب، وقرأ ابن عامر وأبو  
عمرو بضم الجيم وجزم الباء مخففاً، وقرأ الباقون: بضم الجيم والباء وتخفيف اللام، وكلها  
لغات.

معناه: الخلق والأمة، وإنما اختار أبو عبيد وأبو حاتم ضم الجيم والباء والتشديد؛ لقوله  
تعالى: ﴿وَالْجِبَالُ الْأُولَى﴾ (الشعراء: ١٨٤).

﴿أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ: تحذرون، ﴿أَصَلُّوْهَا﴾: ادخلوها ﴿الْيَوْمَ  
بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ: فلا يتكلمون. قال قتادة: جرى بينهم خصومات  
وكلام فكان هذا آخرها.

أخبرنى الحسين بن محمد بن الحسين قال: حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان قال: حدثنا  
أبو عامر حامد بن سعدان قال: حدثنا أحمد بن صالح قال: حدثنا عبد الله بن وهب قال:  
حدثنى عمرو بن الحارث عن دراج عن أبى الهيثم عن أبى سعيد الخدرى عن رسول الله ﷺ أنه  
قال: «إذا كان يوم القيامة عرف الكافر بعمله، فجحد وخاصم، فيقال له: هؤلاء جيرانك

يشهدون. فيقول: كذبوا. فيقال: أهلك وعشيرتك. فيقول: كذبوا. فيقال: احلفوا، فيحلفون. ثم يصمتهم الله عز وجل ويشهد عليهم ألسنتهم ثم يدخلهم النار.

وأخبرني ابن فنجويه قال: حدثنا ابن شنبه قال: حدثنا الربابي قال: حدثنا هشام بن عمار قال: حدثنا إسماعيل بن عياش قال: حدثني ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن عقبه ابن عامر أنه سمع النبي ﷺ يقول: «أول عظم من الإنسان يتكلم يوم يختم على الأفواه فخذ من الرجل الشمال».

وأخبرني ابن فنجويه قال: حدثنا القطيعي قال: حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: حدثنا أبي قال: حدثنا يزيد قال: أخبرنا الحريري أبو مسعود عن حكيم بن معاوية بن حيدة عن أبيه عن النبي ﷺ قال: «يجيئون يوم القيامة على أفواههم الفدام وإن أول ما يتكلم من الآدميين فخذ وكفه».

﴿وَتَكَلَّمْنَا أَيْدِيَهُمْ وَشَهِدَ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ : فتبادروا إلى الطريق، ﴿فَأَنَّى يُبْصِرُونَ﴾ : وقد طمسنا أعينهم؟ قال ابن عباس ومقاتل وعطاء وقتادة: يعنى ولو نشاء لتركانهم عمياً يترددون، فكيف يُبصرون الطريق حينئذ؟  
﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَاتِحِهِمْ﴾ ، أى أقعدناهم فى منازلهم قرده وخنازير، والمسوخ تحويل الصورة، ﴿فَمَا اسْتَطَعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ : إلى ما كانوا عليه، وقيل: لا يستطيعون الذهاب ولا الرجوع.

﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ﴾ ، قرأ الأعمش وعاصم وحمزة بالتشديد. غيرهم بفتح النون وضم الكاف مخففاً. أى يرده إلى أرذل العمر شبه حال الصبى الذى هو أول الخلق، وقيل: يصيره بعد القوة إلى الضعف، وبعد الزيادة إلى النقصان، وبعد الحدة والطلاوة إلى البلى والخلوقة، فكانه نكس حاله.

وأخبرني ابن فنجويه قال: حدثنا ابن حبيش المقرئ قال: حدثنا أبو القاسم بن الفضل قال: حدثنا محمد بن حميد قال: حدثنا مهران بن أبي عمر عن سفيان: ﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ﴾ قال: إذا بلغ ثمانين سنة تغير جسمه. ﴿أَفَلَا يَعْلَمُونَ﴾ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ: لأنه يورث الشبهة.

أخبرني ابن فنجويه قال: حدثنا أحمد بن محمد بن إسحاق قال: حدثنا حامد بن شعيب عن شريح بن يونس قال: حدثنا يحيى بن عبد الملك بن أبي عيينة عن أبيه عن الحكم قال: كان رسول الله ﷺ يتمثل بقول العباس بن مرداس: «أتجعل نهبي ونهب العبيد بين الأقرع وعيينة».

قالوا: يا رسول الله إنما قال: بين عينة والأقرع. فأعادها وقال: «بين الأقرع وعيينة». فقام إليه أبو بكر رضى الله عنه فقبل رأسه وقال: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾.

وأخبرنا الحسين بن محمد الحديثي قال: حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان قال: حدثنا يوسف بن عبد الله بن همام قال: حدثنا موسى بن إسماعيل قال: حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن الحسن أن النبي ﷺ كان يتمثل بهذا البيت: «كفى بالإسلام والشيب للمرء ناهياً».

فقال أبو بكر: يا نبي الله، إنما قال الشاعر:

❖ كفى الشيب والإسلام للمرء ناهياً ❖

فقال أبو بكر أو عمر: أشهد أنك رسول الله، يقول الله عز وجل: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾.

أخبرني الحسين قال: حدثنا أحمد بن محمد بن إسحاق المسيبي قال: حدثنا حامد بن شعيب قال: حدثنا شريح بن يونس قال: حدثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾ قال: بلغني أن عائشة سألت هل كان رسول الله ﷺ يتمثل بشيء من الشعر؟ فقالت: كان الشعر أبغض الحديث إليه، قالت: ولم يتمثل بشيء من الشعر إلا بيت أخي بنى قيس طرفة:

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً  
ويأتيك بالأخبار من لم تزود

فجعل يقول: «من لم تزود بالأخبار»، فقال أبو بكر: ليس هكذا يا رسول الله. فقال صلى

الله عليه وآله وسلم: «إني لست بشاعر، وما ينبغى لى».

﴿إِنْ هُوَ﴾: يعنى القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾ لِيُنذِرَ: بالتاء وهى قراءة أهل المدينة والشام والبصرة إلا أبا عمرو، والباقون بالياء؛ قال: التاء للنبي ﷺ والياء للقرآن. ﴿مَنْ كَانَ حَيًّا﴾: أى عاقلاً مؤمناً فى علم الله؛ لأن الكافر والجاهل ميت الفؤاد، ﴿وَيَحِقُّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ أَوْلَىٰ زُرُوا أَنَا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِيُنَا﴾: يعنى عملناه من غير واسطة ولا وكالة ولا شركة، ﴿أَنَعَمَّا فَهَمَّ لَهُمَا مَسْلُكُونَ﴾: ضابطون وقاهرون.

﴿وَدَلَّلْنَاهَا لَهُمْ﴾: سخرناها ﴿فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ﴾: قرأ العامة بفتح الراء أى مركوبهم، كما يقال:

ناقة حلوب، أى محلوب، وقرأ الأعمش والحسن: بضم الراء على المصدر.

أخبرني ابن فنجويه قال: حدثنا ابن حمدان قال: حدثنا ابن همام قال: حدثنا موسى بن

إسماعيل قال: حدثنا حماد بن سلمة عن هشام بن عروة عن عروة قال: فى مصحف عائشة:

(ركوبتهم)، والركوب والركوبة واحد مثل: الحمول والحمولة. ﴿وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾ : لحمانها. ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾ : من أصوافها ولحومها وغير ذلك من المنافع. ﴿وَمَشَارِبٌ﴾ : يعنى ألبانها ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ وَاَتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ : أى لتمنعهم من عذاب الله، ولا يكون ذلك قط.

﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُّحَضَّرُونَ﴾ : فى النار؛ لأنهم مع أوثانهم فى النار فلا يدفع بعضهم عن بعض النار.

﴿فَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ﴾ : يعنى تكذيبهم وأذاهم وجفاهم. تم الكلام ههنا ثم استأنف فقال ﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُبْشِرُونَ وَمَا يَعْزُبُونَ﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنَا خَلَقْتُهُمْ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ : جدل بالباطل ﴿مُبِينٌ﴾ .

واختلفوا فى هذا الإنسان من هو؟ فقال ابن عباس : هو عبد الله بن أبى، وقال سعيد بن جبير : هو العاص بن وائل السهمى، وقال الحسن : هو أمية بن خلف، وقال قتادة : أبى بن خلف الجمحى؛ وذلك أنه أتى النبى ﷺ بعظم حائل قد بلى فقال : يا محمد أترى الله يحيى هذا بعدما قدرم؟ فقال ﷺ : (نعم، ويبعثك ويدخلك النار) فأنزل الله هذه الآية : ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾ . بدء أمره، ﴿قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ : بالية، وإنما لم يقل رميمة؛ لأنه معدول من فاعله وكل ما كان معدولاً عن وجهه ووزنه كان مصروفاً عن إعرابه كقوله : ﴿وَمَا كَانَتْ أُمَّكَ بَغِيًّا﴾ (مرم: ٢٨) أسقط الهاء؛ لأنها مصروفة عن باغية.

﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا﴾ : خلقها ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا ، وإنما لم يقل الخضر، والشجر - جمع الشجرة - لأنه رده إلى اللفظ. قال ابن عباس : هما شجرتان يُقال لإحدهما مرخ، والأخرى العفار. فمن أراد منهم النار قطع منها غصنين مثل السواكين، وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ وهو ذكر على العفار أنثى فتخرج منهما النار بإذن الله عز وجل.

يقول العرب : فى كل شجر نار، واستمجد المرخ والعفار، وقال الحكماء : كل شجر فيه نار إلا العناب. ﴿فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ﴾ : النار فذلك زادهم.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِقَدِيرٍ﴾ : قرأ العامة بالألف، وقرأ يعقوب (بقدر - على الفعل) - ﴿عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ ، ثم قال : ﴿بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا : أى وجود شئ، ﴿أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ فُسَبِّحَنَّ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ .



## سُورَةُ الصَّافَاتِ

مكية ، وهي ثلاثة آلاف وثمانمائة وستة وعشرون حرفاً ،  
وثمانمائة وستون كلمة ، ومائة واثنان وثمانون آية

أخبرنا كامل بن أحمد المفيد قال : أخبرنا محمد بن جعفر الوراق قال : حدثنا إبراهيم بن الفضل قال : حدثنا أحمد بن يونس قال : حدثنا سلام بن سليم قال : حدثنا هارون بن كثير الأملى عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي أمامة عن أبي بن كعب قال : قال رسول الله ﷺ : «من قرأ ﴿وَالصَّافَاتِ﴾ أُعْطِيَ مِنَ الْأَجْرِ عَشْرَ حَسَنَاتٍ بَعْدَ كُلِّ جَنِيٍّ وَشَيْطَانٍ ، وَتَبَاعَدَ عَنْهُ مَرْدَةُ الشَّيَاطِينِ وَبِرِيٍّ مِنَ الشَّرْكِ ، وَشَهِدَ لَهُ حَافِظَاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَّهُ كَانَ مُؤْمِنًا بِالْمُرْسَلِينَ» .

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالصَّافَاتِ صَفَاً ﴿١﴾ فَالزَّاجِرَاتِ زَجْراً ﴿٢﴾ فَالتَّلِيَّتِ ذِكْراً ﴿٣﴾ إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ ﴿٤﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ ﴿٥﴾ إِنَّا زَيْنَا أَسْمَاءَ الَّذِيْنَ بَرِيئَةٌ الْكُؤَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقَذِفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُوراً وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شَهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾ فَاسْتَفْتِهِمْ أَهْمُ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ ﴿١١﴾ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِرُوا لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾ وَقَالُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ أَعِدَّا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْماً أَعِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوْءَابَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ ﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا يَتَوَلَّنَا هَذَا يَوْمَ الَّذِينَ ﴿٢٠﴾ هَذَا يَوْمَ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾ أَحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَأَهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾﴾

﴿وَالصَّفَاتِ صَفًا﴾ : قال ابن عباس ومسروق والحسن وقتادة: يعنى صفوف الملائكة فى السموات كصفوف الخلق فى الدنيا للصلاة، وقيل: هم الملائكة تصف أجنتها فى الهواء واقفة فيه حتى يأمرها بما يريد، وقيل: هى الطير، دليله قوله: ﴿وَالطَّيْرُ صَفَاتٍ﴾ (النور: ٤١) وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ قَوْفَهُمْ صَفَاتٍ﴾ (الملك: ١٩).

والصف: ترتيب الجمع على خط كالصف فى الصلاة والحرب.

﴿فَالزَّجْرَاتِ زَجْرًا﴾ : يعنى الملائكة تزجر السحاب وتسوقه، وقال قتادة: هى زواجر القرآن.

﴿فَالتَّلْبِيتِ ذِكْرًا﴾ : يعنى جبرئيل والملائكة تتلو كتب الله، عن مجاهد والسدى، وقيل: هى جماعة قراء القرآن، وهى كلها جمع الجمع، فالصافة جمع الصاف، والصفات جمع الصافة وكذلك أختها، وقيل: هو قسم بالله تعالى على تقدير: وربّ الصافات.

﴿إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾ : موضع القسم قال مقاتل: لأنّ كفار مكة قالوا: أجعل الآلهة إلهًا واحدًا؟ فأقسم الله تعالى بهؤلاء: ﴿إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾ وقرأ الأعمش وأبو عمرو وحمزة كلّهم بالإدغام، والباقون بالبيان.

﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا رَبُّ الْمَشْرِقِ﴾ : أى مطالع الشمس؛ وذلك أن الله تعالى خلق للشمس ثلاثمائة وستين كوة فى المشرق، وثلاثمائة وستين كوة فى المغرب على عدد أيام السنة تطلع كل يوم من كوة منها وتغرب فى كوة منها فهى المشرق والمغرب. حدثنا أبو محمد الحسن بن أحمد المخلدى إملاءً قال: حدثنا أبو العباس محمد بن إسحاق ابن إبراهيم الثقفى إملاءً قال: حدثنى إسحاق بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عمر بن منيع - صدوق ثقة - قال: حدثنا ابن عليه عن عمارة بن أبى حفصة عن عكرمة قال: قال ابن عباس: إنّ الشمس تطلع كل سنة فى ثلاثمائة وستين كوة تطلع كل يوم فى كوة ولا ترجع إلى تلك الكوة إلاّ ذلك اليوم من العام القابل، ولا تطلع إلا وهى كارهة، فتقول: رب لا تطلعنى على عبادك؛ فإنى أراهم يعصونك ويعملون بمعاصيك أراهم. قال: أولم تسمعوا إلى ما قال أمية ابن أبى الصلت: حتى تجر وتجلد؟

قلت: يا مولاي وتجلد الشمس؟ قال: عضضت بهن أبيك، إنما اضطره الروى إلى الجلد. وقيل: وكل موضع شرقت عليه الشمس فهو مشرق، وكل موضع غربت عليه فهو مغرب، كأنه أراد ربّ جميع ما شرقت عليه الشمس.

﴿إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ﴾ : قرأ عاصم برواية أبى بكر (بزينة) منونة (الكواكب)



نصباً، يعنى بتزييننا الكواكب، وقيل: أعنى الكواكب، وقرأ حمزة وعاصم فى سائر الروايات ﴿زِينَةً﴾: منونة. ﴿الْكَوَاكِبِ﴾: خفضاً على البدل، أى بزينة الكواكب.

وقرأ الباقون: (بزينة الكواكب): مضافة. قال ابن عباس: يعنى بضوء الكواكب.

﴿وَحِفْظًا﴾: أى وحفظناها حفظاً، أو جعلناها أيضاً حفظاً، وذلك شائع فى اللغة ﴿مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ﴾: خبيث خال عن الخير.

﴿لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى﴾: كأنه قال: فلا يسمعون. قرأ أهل الكوفة ﴿يَسْمَعُونَ﴾: بالتشديد، أى يتسمعون، قال مجاهد: كانوا يتسمعون ولكن لا يسمعون، وهو اختيار أبى عبيد، وقرأ الآخرون بالتخفيف، وهو اختيار أبى حاتم، ﴿الْمَلَأِ الْأَعْلَى﴾: يعنى الكتبة من الملائكة فى السماء ﴿وَيَقْدُرُونَ﴾، ويرمون ﴿مِنْ كُلِّ جَانِبٍ﴾: من آفاق السماء.

﴿دُحُورًا﴾: يبعدونهم عن مجالس الملائكة، والدحر والدحور: الطرد والإبعاد، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾: دائم، نظيره قوله سبحانه: ﴿وَلَهُ الَّذِينَ وَاصِبًا﴾ (النحل: ٥٢)، وقال ابن عباس: شديد. الكلبي: موجع، وقيل: خالص.

﴿إِلَّا مَنْ خَطَفَ السَّحَابَةَ﴾: مسارق فسمع الكلمة، ﴿فَاتَّبَعَهُ رَشَابًا ثَقِيبًا﴾: تبعه ولحقه كوكب مضى قوى لا يخطئه يقتل أو يحرق أو يحيل، وإنما يعودون إلى استراق السمع مع علمهم بأنهم لا يصلون إليه؛ طمعاً فى السلامة ونيل المراد كراكب البحر.

﴿فَأَسْتَفْتِهِمْ﴾: فسألهم، يعنى: أهل مكة ﴿أَهْمُرُ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا﴾: يعنى: من الأمم الخالية، وقد أهلكتناهم بذنوبهم، وقيل يعنى السموات والأرض وما بينهما.

نزلت فى أبى الأسد بن كلد، وقيل: أبى بن أسد، وسُمى بالأسدين؛ لشدة بطشه وقوته، نظيرها: ﴿لَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرَ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ (غافر: ٥٧) وقوله سبحانه: ﴿أَتُنْتَرِ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ﴾ (النازعات: ٢٧).

﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ﴾: أى جيد حر يلبصق، ويعلق باليد ومعناه اللزيم تبدل الميم كأنه يلزم اليد، وقال السدى: خالص. قال مجاهد والضحاك: الرمل.

﴿بَلْ عَجِبْتَ﴾: قرأ حمزة والكسائى وخلف (عجبت). بضم التاء وهى قراءة ابن مسعود وابن عباس على معنى أنهم قد حللوا محل من تعجب منهم، وقال الحسين بن الفضل: العجب من الله، إنكار الشئ وتعظيمه وهو لغة العرب، وقد جاء فى الخبر: عجب ربكم من إلكم وقتوسطكم والخبر الآخر: إن الله ليعجب من الشاب إذا لم يكن له صبوة ونحوها، وسمعت أبا القاسم الحسن بن محمد النيسابورى يقول: سمعت أبا عبد الله محمد بن على البغدادى

يقول: سئل جنيد عن هذه الآية فقال: إن الله لا يعجب من شيء، ولكن الله وافق رسوله لما عجب رسوله فقال: ﴿وَإِنْ تَعَجَّبْتَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ﴾ (الرعد: ٥). أى هو لما يقوله.

وقرأ الآخرون بفتح التاء على خطاب النبي ﷺ، وهى قراءة شريح القاضى. قال: إنما يعجب من لا يعلم، والله عنده علم كل شيء، ومعناه، بل عجبت من تكذيبهم إياك. ﴿وَيَسْخَرُونَ﴾: وهم يسخرون من تعجبك.

﴿وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ﴾: وإذا وعظوا لا يتعظون.

﴿وَإِذَا رَأَوْا آيَةً﴾: يعنى انشقاق القمر ﴿يَسْتَسْخِرُونَ﴾: يسخرون وقيل: يستدعى بعضهم بعضاً إلى أن يسخر.

﴿وَقَالُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ أءذا مبتنا وكنا ترابا وعظماً أءنا لمبعوثون ﴿أوءآبآؤنآ﴾: يعنى: وآبآؤنآ ﴿أور﴾: بمعنى الواو ﴿الآؤلون﴾ قُلْ نَعْمَ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ﴾: صاغرون. ﴿فإنآهى﴾: يعنى: النفخة والقيامة ﴿زجرة﴾: صيحة ﴿وَآحِدةٌ فآذآهمَ يَظُنُونَ﴾: أحياء. ﴿وقآلوا يئولنآ هذآ يومُ آلذين﴾ هذآ يومُ الفصِلِ آلذى كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ ﴿آحشروآ آلذين ظلموآ وآزوا جهم﴾: أخبرنى الحسن بن محمد المدنى قال: حدثنا محمد بن على الحسن الصوفى قال: حدثنا محمد بن عثمان بن أبى شيبة قال: حدثنا عمى أبو بكر قال: حدثنا وكيع عن سفيان عن سماك، عن النعمان بن بشير عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ﴿آحشروآ آلذين ظلموآ وآزوا جهم﴾ قال: «ضرباهم»، وقال ابن عباس: أشباههم. ضحك ومقاتل: قرناءهم من الشياطين، كل كافر معه شيطانه فى سلسلة. قتادة والكلبى: كل من عمل مثل عملهم، فأهل الخمر مع أهل الخمر، وأهل الزنا مع أهل الزنا، وقال الحسن: وآزوا جهم المشركات.

﴿ومآ كآؤآ يعبدون﴾ من دون الله: فى الدنيا ﴿فآهدؤهم﴾: فادعؤهم، قاله الضحاك، وقال ابن عباس: دلؤهم، وقال ابن كيسان: فدلؤهم، والعرب تسمى السائق هادياً، ومنه قيل: الرقية هادية السائق.

قال امرؤ القيس:

عصارة حنا بشيب مرجل

كأن دماء الهاديات بنحره

﴿إل صرآط آلججيم﴾: طريق النار.



﴿وَقَفَّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ﴿٣٧﴾ مَا لَكُمْ لَا تَتَّصِرُونَ ﴿٣٨﴾ بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٣٩﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا إِنَّا كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴿٤١﴾ قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٤٢﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٤٣﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَٰبِقُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَعْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غٰوِينَ ﴿٤٥﴾ فَأَنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٤٦﴾ إِنَّا كَذَّابُكَ نَفَعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿٤٧﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَارِكُوا إِلَهًا آخَرَ لَشَاعِرٍ مَجْنُونٍ ﴿٤٩﴾ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَقَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا كُنَّا لَذَٰبِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ﴿٥١﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٥٣﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٥٤﴾ فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ ﴿٥٥﴾ فِي جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٥٧﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَّعِينٍ ﴿٥٨﴾ بَيضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّٰرِبِينَ ﴿٥٩﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ ﴿٦٠﴾ وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَاتُ الْطَّرْفِ عِينٌ ﴿٦١﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ ﴿٦٢﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٦٣﴾ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٦٤﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٦٥﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٦٦﴾ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطْعَمُونَ ﴿٦٧﴾ فَأَطَّلَعَ فَرَأَاهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدَتْ لَتُرْدِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَوْ لَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُخْضِرِينَ ﴿٧٠﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٧١﴾ إِلَّا مَوْتَتْنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَدِّينَ ﴿٧٢﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَوْرُ الْعَظِيمُ ﴿٧٣﴾ لِيُثَلِّ هَٰذَا فَيَعْمَلَ الْعَمَلُونَ ﴿٧٤﴾

﴿وَقَفَّوهُمْ﴾ : واحبسوهم، يُقال وقفته وقفًا فوقف ووقوفًا. ﴿إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ : قال ابن عباس: عن لا إله إلا الله. ضحاك: عن خطاياهم. القرظي: عن جميع أقوالهم وأفعالهم. أخبرني الحسين بن محمد الدينوري قال: حدثنا عمر بن أحمد بن القاسم النهاوندي قال: حدثنا محمد بن أيوب قال: أخبرنا محمد بن عقبة قال: حدثنا أبو حصين بن نمير الهمداني قال: حدثنا حسين بن قيس الرحبي - وزعم أنه شيخ صدوق - قال: حدثنا عطاء عن أبي عمر عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة حتى يسأل عن خمس خصال: عن شبابه فيم أبلاه، وعن عمره فيم أفناه، وعن ماله من أين كسبه، وفيم أنفقه، وما عمل فيم علم».

وأخبرني ابن فنجويه قال: حدثنا محمد بن الحسن بن صقلاب قال: حدثنا محمد بن

أحمد بن عبد الرَّحْمَنِ بطرسوس قال: حدثنا أحمد بن خليل قال: حدثنا يوسف بن يونس الأخطف الأقطس قال: حدثنا سليمان بن بلال عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ دَعَا اللَّهُ سَبْحَانَهُ بَعْدَ مَنْ عِيْدُهُ فَيُوقِفُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَيَسْأَلُهُ عَنْ جَاهِهِ كَمَا يَسْأَلُهُ عَنْ مَالِهِ».

﴿مَا لَكُمْ لَا تَتَّصِرُونَ﴾: أى لا تنتقمون ولا ينصر بعضهم بعضاً، يقوله خزنة النار للكفار، وهذا جواب أبى جهل حين قال يوم بدر: نحن جميع منتصر. قال الله سبحانه وتعالى: ﴿بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُتَسَلِّمُونَ﴾ قال ابن عباس: خاضعون. الحسن: منقادون. الأخصش: ملقون بأيديهم، وقال أهل المعانى: مسترسلون لما لا يستطيعون له دفعا ولا منه امتناعاً كحال الطالب السلامة فى نزل المنازعة.

﴿وَأَقْبَلْ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾: يعنى: الرؤساء والأتباع ﴿يَسْأَلُونَ﴾: يتخاصمون. ﴿قَالُوا﴾: يعنى: الأتباع للرؤساء: ﴿إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ﴾: أى من قبل اليمين فتصلوننا عنه، قاله الضحاك، وقال مجاهد: عن الصراط الحق: وقال أهل المعانى: أى من جهة النصيحة والبركة والعمل الذى يتيمن به، والعرب تتيمن بما جاء عن اليمين، وقال بعضهم: أى عن القوة والقدرة كقول الشماخ:

إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين

أى بالقوة وعرابة اسم ملك اليمن.

﴿قَالُوا﴾: يعنى: الرؤساء ﴿بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَافِينَ ﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا﴾: وعليكم ﴿قَوْلَ رَبَّنَا﴾: يعنون قوله سبحانه: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (السجدة: ١٣).

﴿إِنَّا﴾: جميعاً ﴿لَذَاتُونَ﴾: العذاب.

﴿فَأَعْوَيْنَاكُمْ﴾: فأضللناكم لأننا كنا ﴿غَنِيْنٌ﴾: ضالين، قال الله سبحانه: ﴿فَأَيُّهُمْ يَوْمَئِذٍ مِنَ الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ وَقُولُونَ إِنَّا لَنَّا لَتَارِكُوا آلَ الْهَيْتِنَا لَشَاعِرٍ مُّجْتَوِينَ﴾: يعنى النبى صلى الله عليه وآله وسلم. قال الله سبحانه رداً عليهم: ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ﴾ إِنَّكُمْ لَذَاتُ قَوْلٍ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ﴿وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ﴾: يعنى بكرة وعشية، كقوله: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةٌ وَعَشِيًّا﴾ (مریم: ٦٢).

﴿فَوَاكِهَ﴾: جمع الفاكهة، وهى كل طعام يؤكل للتلذذ لا للقوت الذى يحفظ الصحة،

يُقال: فلان يتفكّه بهذا الطعام، ﴿وَهُمْ مُكْرِمُونَ﴾ فِي جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ: إناء فيه شراب، ولا يكون كأساً حتى يكون فيه شراب، وإلا فهو إناء، قال الأخفش: كل كأس في القرآن فهو خمر ﴿مِنْ مَعِينٍ﴾: خمر جارية في أنهار طاهرة العيون، ويجوز أن يكون فعياً من (المعن) وهو الإسراع والشدة من (أمعن في الأمر) إذا اشتد دخوله فيه. يعني: خمرأ شديدة الجرى سريعته.

﴿بَيْضَاءَ﴾: أى صافية فى نهاية اللطافة و﴿لَذَّةٍ﴾: لذية ﴿لِلشَّارِبِينَ﴾ لا فيها عَوَلٌ: أى إثم عن الكلبي، نظيره ﴿لَا تَقُوْفِيْهَا وَلَا تَأْتِيْهَا﴾ (الطور: ٢٣). قتادة: وجع البطن. الحسن: صداع. مجاهد: داء. ابن كيسان: مغص. الشعبي: لا تغتال عقولهم فتذهب بها، وقال أهل المعاني: الغول: فساد يلحق فى خفاء، يُقال: اغتاله اغتيالاً إذا فسد عليه أمره فى خفية، ومنه الغول والغيلة وهو القتل خفية.

﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزِفُونَ﴾: قرأ حمزة والكسائي وخلف: بكسر الزاى ههنا وفى سورة الواقعة، وافقه عاصم فى الواقعة. الباقون: بفتح الزاى فيهما. فمن فتح الزاى، فمعناه: لا تغلبهم على عقولهم ولا يسكرون، يقال: نزف الرجل فهو منزوف ونزيف، إذا سكر وزال عقله، قال الشاعر:

فلثمتُ فاهَا آخذاً بقرونها      شرب النزيف ببرد ماء الحشرج

أى السكران، ومن كسر الزاى فمعناه: لا ينفذ شرابهم. يُقال: أنزف الرجل فهو منزوف إذا فنيت خمره. قال الحطيئة:

لعمري لئن أنزفتم أو صحوتم      لبئس الندامى كنتم آل أبجرا

﴿وَعِنْدَهُمْ قَلْصِرَاتُ الْطَّرْفِ﴾: حابسات الأعين، غاضات الجفون، قصرن أعينهن عن غير أزواجهن، فلا ينظرن إلا إلى أزواجهن ﴿عَيْنٍ﴾: نجل العيون حسانها، واحدتها: عيناء، يُقال: رجل أعين وامرأة عيناء ورجال ونساء عين.

﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ﴾: جمع البيضة ﴿مَكْنُونٌ﴾: مستور مصون: قال الحسن وابن زيد شبههن ببيض النعامة تكنها بالريش من الريح والغبار، وقيل: شبههن ببطن البيض قبل أن يقشر، وهو معنى قول ابن عباس، وإنما ذكر المكنون والبيض جمع؛ لأنه رده إلى اللفظ.

﴿فَأَقْبَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَسْتَأْذِنُونَ﴾: فى الجنة. ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾: فى الدنيا. قال مجاهد: كان شيطاناً، وقال آخرون: كان من الإنس. قال مقاتل: كانا أخوين، وقال الباقون: كانا شريكين: أحدهما فطروس وهو الكافر، والآخر يهوذا وهو المؤمن، وهما

اللذان قصَّ الله حديثهما في سورة الكهف .

﴿يَقُولُ أَهْلِكَ لِمَنِ الْمُصَدِّقِينَ﴾ : بالبعث؟ ﴿أَهَذَا مِمَّا وَكُنَّا تَرَاتِبًا وَعِظْنَا أَمَّا لَمَدِينُونَ﴾ : مجزيون ومحاسبون ومملوكون ﴿قَالَ﴾ الله سبحانه لأهل الجنة : ﴿هَلْ أَنتُمْ مُطَّلِعُونَ﴾ إلى النار؟ أخبرني ابن فنجويه قال : حدثنا ابن حبيش قال : حدثنا أبو القاسم بن الفضل قال : حدثنا أحمد بن يزيد المقرئ عن جلاّد عن الحكم بن طاهر، عن السدي، عن أبي مالك عن ابن عباس أنه قرأ (هل مطلعون . فاطلع) : بخفضهما وبكسر اللام، قال : رافعون فرفع، قال ابن عباس : وذلك أن في الجنة كوى فينظر أهلها منها إلى النار وأهلها .

﴿فَأَطَّلِعَ﴾ : هذا المؤمن ﴿فَرَأَاهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ : فرأى قرينه في وسط النار .

﴿قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدَتْ لَتُرْدِينَ﴾ : ما أردت إلا أن تهلكوا وأصله من التردى . ﴿وَأُولَا نِعْمَةٍ رَبِّي﴾ : عصمته ورحمته ﴿لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ : معك في النار .

﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَبْتَلِينَ﴾ إلا موتنا الأولى وما نحن بمعدنين ، فتقول لهم الملائكة : لا ، وقيل : إنما يقولونه على جهة الحديث بنعمة الله سبحانه عليهم في أنهم لا يموتون ولا يعذبون ، وقيل : يقوله المؤمن على جهة التوبيخ لقرينه بما كان ينكره .

﴿إِنَّ هَذَا هُوَ الْقَوْمُ الْعَظِيمُ﴾ لمثل هذا فليعمل العملون .



﴿أَذَلِكَ خَيْرٌ نَزْلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ﴾ إنا جعلناها فتنة للظالمين ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ طلعها كأنه ورءوس الشيطيين ﴿فَأَنَّهُمْ لَأَكَلُونَ مِنْهَا فَمَالِكُونَ مِنْهَا الْبَطُونَ﴾ ثم إن ربهم عليها لشوبا من حميم ﴿ثُمَّ إِنْ مَرَّجَعُهُمْ لِأَلَى الْجَحِيمِ﴾ إنهم ألقوا ءآباءهم ضالين ﴿فَهُمْ عَلَىٰ ءَآثَرِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾ ولقد ضل قبلهم أكثر الأولين ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنذِرِينَ﴾ فأنظر كيف كان عقبة المنذرين ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ ولقد نادانا نوح فلنعمه المجيئون ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ وجعلنا ذريته وهم الباقين ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾

﴿أَذَلِكَ خَيْرٌ نَزْلًا﴾ : زقا ﴿أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ﴾ ، والزقوم ثمرة شجرة كريهة الطعم جدا ، من قولهم : يزقم هذا الطعام ، إذا تناوله على كره ومشقة شديدة .

﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ﴾ : للكافرين ، وذلك أنهم قالوا : كيف يكون في النار شجرة

والنار تحرق الشجر؟! وقال ابن الزبير لصناديد قریش: إِنَّ مُحَمَّدًا يَخُوفُنَا بِالزَّقُومِ وَإِنَّ الزَّقُومَ بِلِسَانِ بَرْبَرٍ وَأَفْرِيقِيَةِ الزَّيْدِ وَالتَّمْرِ، فَأَدْخَلَهُمْ أَبُو جَهْلٍ بَيْتَهُ وَقَالَ: يَا جَارِيَةَ زَقْمِينَا. فَأَتَتْهُمُ بِالزَّيْدِ وَالتَّمْرِ، فَقَالَ: تَزَقَّمُوا فَهَذَا مَا يُوْعِدُكُمْ بِهِ مُحَمَّدٌ، فَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾: قعر النار. قال الحسن: أصلها في قعر جهنم، وأغصانها ترتفع إلى دركاتها.

﴿طَلَعَهَا﴾: ثمرها، سُمِّيَ طَلَعُهَا لَطَلُوعِهِ ﴿كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيْطَانِ﴾: قال بعضهم: هم الشياطين بأعيانهم، شبهه بها لقبحة؛ لأن الناس إذا وصفوا شيئاً بعاهة القبح قالوا: كأنه شياطين، وإن كانت الشياطين لا تُرى؛ لأن قبح صورتها متصور في النفس، وهذا معنى قول ابن عباس والقرظي، وقال بعضهم: أراد بالشياطين الحيات، والعرب تُسمى الحية القبيحة الخفيفة الجسم شيطاناً، قال الشاعر:

تلاعب مثنى حضرمي كأنه      تعمج شيطان بذى خروج قفر

وقال الراجز:

عنجرد تحلف حين أحلف      كمثل شيطان الحماط أعرف

والأعرف: الذي له عرق، وقيل: هي شجرة قبيحة خشنة مرة منتنة، تنبت في البادية تسميها العرب رءوس الشياطين.

﴿فَأَنَّهُمْ لَا يَكُونُونَ مِنْهَا فَمَا لَوْ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾، والملاء: حشو الوعاء بما لا يحتمل زيادة عليه، ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا﴾: خلطاً ومزاجاً، وقال مقاتل: شراباً ﴿مِنْ حَمِيمٍ﴾: ماء حار شديد الحرارة، ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ﴾: ثم بمعنى قبل، مجازة: وقبل ذلك مرجعهم لإلى الجحيم، كقول الشاعر:

إن من ساد ثم ساد أبوه      ثم قد ساد قبل ذلك جده

أي قبل ذلك ساد أبوه، ويجوز أن تكون بمعنى الواو.

وأخبرني ابن فنجويه قال: حدثنا أبو علي المقرئ قال: حدثني علي بن الحسن بن سعد الهمداني قال: حدثنا عباس بن يزيد بن أبي حبيب قال: حدثنا عبد الرزاق قال: أخبرنا سفيان عن ميسرة عن المنهال عن أبي عبيدة عن عبد الله أنه قرأ (ثم إن مقتلهم لإلى الجحيم).

﴿فَأَنَّهُمْ الْقَوْمُ﴾: وجدوا ﴿إِنَّمَا أَنَا هُمْ ضَالِّينَ﴾ ﴿فَهُمْ عَلَىٰ أَثَرِهِمْ يَهْرَعُونَ﴾: يسرعون. ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ بِقَبْلِهِمْ أَكْثَرُ الْأُولِينَ﴾ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنذِرِينَ﴾: مرسلين ﴿فَأَنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذِرِينَ﴾ ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ﴾ ﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ﴾ ﴿نظيره﴾: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِنْ قَبْلٍ﴾ (الأنبياء: ٧٦)

وهو قوله: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ رَأَى مَغْلُوبٌ فَأَتَصَرَ﴾ (القمر: ١٠).

﴿فَلَيْعَمَ الْمُجِيبُونَ﴾: على التعظيم، ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ مِنْ آلِكَبِ الْعَظِيمِ﴾: وهو الغرق، ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾، أخبرني ابن فنجويه قال: حدثنا الفضل بن الفضل الكندي قال: حدثنا زكريا بن يحيى الساجي قال: حدثنا بNDAR قال: حدثنا محمد بن خالد بن غيمة قال: حدثنا سعيد بن بشير عن قتادة عن الحسن عن سمرة عن النبي ﷺ في قوله: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾ قال: «سام وحام ويافث».

وأخبرني ابن فنجويه قال: حدثنا ابن شنبه قال: حدثنا محمد بن عمران بن هارون قال: حدثنا أبو عبد الله المخزومي قال: حدثنا سفيان بن عيينة عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب قال: كان ولد نوح ثلاثة: سام وحام ويافث، فسام أبو العرب وفارس وروم، وحام أبو السودان من المشرق إلى المغرب، ويافث أبو الترك ويأجوج ومأجوج وما هنالك.

وأخبرني ابن فنجويه قال: حدثنا مخلد بن جعفر الباقري قال: حدثنا الحسن بن علوية قال: حدثنا إسماعيل بن عيسى قال: حدثنا إسحاق بن بشر قال: أخبرنا جويبر ومقاتل عن الضحاك عن ابن عباس قال: لما خرج نوح عليه السلام من السفينة مات من معه من الرجال والنساء إلا ولده ونساءهم، فذلك قوله: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾. ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾، أي لقينا له ثناء حسناً وذكرًا جميلاً فيمن بعده من الأنبياء والأئمة.



﴿سَلَّمَ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾ إنا كذالك نجزي المحسنين إنه من عبادنا المؤمنين ﴿ثُمَّ أَعْرَقْنَا الْآخِرِينَ﴾ وإن من شيعته لإبراهيم ﴿إِذْ جَاء رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ إذ قال لأبيه وقومه ما ذا تعبدون ﴿أَفِئْكَاءَ الْهَيْهَةَ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ فما ظنكم برب العالمين ﴿فَنظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ﴾ فقال إني سقيم ﴿فَقَالُوا عَنْهُ مُدْبِرِينَ﴾ فرأغ إلى آلهتهم فقال ألا تأكلون ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ﴾ فرأغ عليهم ضرباً باليمين ﴿فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُونَ﴾ قال تعبدون ما تتحتون ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ قالوا أبنوا له، بنينا فألقوه في الجحيم ﴿فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾ ﴿سَلَّمَ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾ إنا كذالك نجزي المحسنين إنه من عبادنا المؤمنين ﴿ثُمَّ أَعْرَقْنَا



الْآخِرِينَ ﴿٣٠﴾ وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ ﴿٣١﴾ : أهل دينه وسنته ﴿لِإِبْرَاهِيمَ﴾ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ : مُخلص من الشرك والشك ، وأخبرني ابن فنجويه قال : حدثنا ابن شنبه قال : حدثنا الفريابي قال : حدثنا محمد بن العلا قال : حدثنا عصام بن علي عن هشام بن عروة عن أبيه أنه قال : يا بني لا تكونوا لعانين أو لم تروا إلى إبراهيم لم يلعن شيئاً قط فقال الله سبحانه : ﴿إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ ؟ .

﴿إِذْ قَالَ لِأَيِّهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا﴾ : ما الذي ﴿تَعْبُدُونَ﴾ أَيْفَكَ ءَالِهَةَ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ : إذا لقيتموه وقد عبدتم غيره؟ ﴿فَنظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ﴾ ، قال ابن عباس : كان قومه يتعاطون علم النجوم فعاملهم حيث كانوا؛ لئلا ينكروا عليه؛ وذلك أنه كان لهم من الغد عيد ومجمع ، وكانوا يدخلون على أصنامهم ويقربون لهم القرابين ويصنعون بين أيديهم الطعام قبل خروجهم إلى عيدهم زعموا التبرك عليه ، فإذا انصرفوا من عيدهم أكلوه . قال مقاتل : وكانت الأصنام اثنين وسبعين صنماً من خشب وحديد وورصاص وشبه فضة وذهب ، وكان كبيرهم من ذهب في عينيه ياقوتتان ، وقالوا لإبراهيم (عليه السلام) : لا تخرج غداً معنا إلى عيدنا . فنظر إلى النجوم ، ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ ، قال ابن عباس : مطعون ، وقال الحسن : مريض ، وقال الضحاك : سأسقم ؛ لقوله سبحانه : ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ (الزمر: ٣٠) .

وقيل : سقيم بما في عنقي من الموت ، وقيل : سقيم بما أرى من أحوالكم القبيحة ، وقيل : سقيم بعلّة عرضت له ، وإنه إنما نظر في النجوم مستدلاً بها على وقت حمى كانت تأتبه ، والصحيح أنه لم يكن سقيماً ؛ لما روى عن النبي عليه السلام أنه قال : «لقد كذب إبراهيم ثلاث كذبات ، ما منها واحدة إلاّ وهو بماحل وناصل بها عن دينه : قوله : ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ ، وقوله : ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ﴾ (الأنبياء: ٦٣) وقوله لسارة : هذه أختي» .

﴿فَقُولُوا عَنْهُ مُدْبِرِينَ﴾ : إلى عيدهم ، فدخل إبراهيم إلى الأصنام فكسرها ووضع الفأس على عاتق الصنم الكبير ، وكانوا إذا رجعوا من عيدهم دخلوا على أصنامهم قبل أن يرجعوا إلى منازلهم ، فدخلوا عليها فإذا هي مكسورة ، فذلك قوله سبحانه : ﴿فَرَاغَ﴾ : فمال ﴿إِلَىٰ آلِهِمْ﴾ فَقَالَ : ﴿إِظْهَارًا لِّضَعْفِهِمْ وَعَجْزِهِمْ : ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنْظُرُونَ ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾ ؛ لأنها أقوى على العمل من الشمال ، وهذا قول الربيع بن أنس قال : يعني يده اليمنى ، وقيل : بالقسم الذي سبق منه ، وذلك قوله : ﴿وَتَأْتِيهِمْ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ﴾ (الأنبياء: ٥٧) وقال الفراء : بالقوة .

﴿فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ﴾ : إلى إبراهيم ﴿يَرْفُونَ﴾ ، أي يسرعون عن الحسن . مجاهد : يرفون زفيف

النعام وهو حال بين المشى وال الطيران . الضحاك : يسعون ، وقرأ يحيى والأعمش وحمزة ﴿يَرْفُونَ﴾ : بضم الياء ، وهما لغتان : فقال لهم إبراهيم على وجه الحجاج : ﴿قَالَ أَتُبَدُونَ مَا تَتَحْتُونَ﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ؟ وفي هذه الآية دليل على أن أفعال العباد مخلوقة لله سبحانه وتعالى حيث قال : ﴿وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ : على أنها مكتسبة للعباد حيث أثبت لهم عملاً ، فأبطل مذهب القدرية والجبرية بهذه الآية ، وقال رسول الله ﷺ : «إِنَّ اللَّهَ خَالِقُ كُلِّ صَانِعٍ وَصَنَعْتَهُ» .  
 ﴿قَالُوا أَبْنَاؤُهُ بُنِينَا فَأَلْفُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾ : معظم النار . قال مقاتل : بنوا له حائطاً من الحجر طوله ثلاثون ذراعاً و عرضه عشرون ذراعاً وملووه من الحطب وأوقدوا فيه النار .  
 ﴿فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾ : المقهورين .



﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَئِي إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَتَأْتٍ أَفْعَلٌ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ وَتَدَيَّنَّهٗ أَنْ يَتَّيَّرَ بِرَأْسِهِ ﴿قَدْ صَدَّقَتِ الرَّءْيَا إِنَّا كَذَّا لِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ إِنْ هَذَا هُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿﴾

﴿وَقَالَ﴾ : إبراهيم : ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ ، أى إلى مرضاة ربي ، وهو المكان الذى أمر بالذهاب إليه . نظيره قوله : ﴿وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ (العنكبوت: ٢٦) ، وقيل : ذاهب إلى ربي بنفسى وعملى ﴿سَيِّدِينَ﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿ : مختصر . أى رب هب لى ولداً صالحاً من الصالحين .

﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ ﴿ : ذلك الغلام ، ﴿قَالَ يَبْنَئِي إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾ الآية ، واختلف السلف من علماء المسلمين فى الذى أمر إبراهيم بذبحه من ابنه بعد إجماع أهل الخاص على أنه كان إسحاق ، فقال قوم : الذبيح إسحاق ، وإليه ذهب من الصحابة عمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب وعبد الله بن مسعود والعباس بن عبد المطلب ، ومن الباقيين وأتباعهم كعب الأخبار وسعيد بن جبير وقتادة ومسروق وعكرمة والقاسم بن أبى بزة وعطاء ومقاتل وعبد الرحمن بن سابط والزيبرى والسدى .

وهى رواية عكرمة وابن جبير عن ابن عباس . أخبرنى الحسن بن محمد بن عبد الله قال :

حدثنا طلحة بن محمد، وعبيد الله بن أحمد قالا: حدثنا أبو بكر بن مجاهد قال: حدثنا أحمد ابن حرب قال: حدثنا سنيد بن داود قال: حدثني حجاج عن ليث بن سعد بن صفوان بن عمرو عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: هو إسحاق.

وأخبرني الحسن قال: حدثنا عبيد الله بن أحمد بن يعقوب قال: حدثنا رضوان بن أحمد الصيدلاني قال: حدثنا أحمد بن عبد الجبار العطاردي قال: حدثنا أبو معاوية عن حجاج عن القاسم بن نافع عن أبي الطفيل، عن علي قال: «الذي أراد إبراهيم (عليه السلام) ذبحه إسحاق».

وروى شعبة عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص قال: افتخر رجل عند ابن مسعود فقال: أنا فلان ابن فلان ابن الأشياح الكرام. فقال عبد الله: ذاك يوسف بن يعقوب بن إسحاق ذبيح الله ابن إبراهيم خليل الله (عليه السلام).

وأخبرنا الحسين محمد قال: حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان قال: حدثنا يوسف بن عبد الله قال: حدثنا موسى بن إسماعيل قال: حدثنا المبارك عن الحسن عن الأحنف بن قيس عن العباس بن عبد المطلب قال: الذي فداه الله بذبح عظيم إسحاق.

وأخبرنا الحسين قال: حدثنا ابن حبيش قال: حدثنا أحمد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفى قال: حدثنا أبو عبد الله محمد بن بكار قال: حدثنا خالد بن عبد الله الواسطي عن داود بن أبي هند عن عكرمة، عن ابن عباس أنه قال: الذي أراد إبراهيم ذبحه إسحاق (عليهما السلام).

وأخبرنا الحسن قال: أخبرنا أحمد بن جعفر بن حمدان بن عبد الله قال: حدثنا يوسف بن عبد الله قال: حدثنا موسى بن إسماعيل قال: حدثنا حماد قال: أخبرنا عبد الله بن عثمان بن خثيم عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال: الذي أراد إبراهيم ذبحه هو إسحاق.

وأخبرني الحسن قال: حدثنا طلحة بن محمد وعبيد الله بن أحمد قالا: حدثنا أبو بكر بن مجاهد قال: حدثنا عباس الدورى قال: حدثنا أبو سلمة - يعنى المنقرى - قال: حدثنا محمد بن ثابت العبدى عن موسى مولى أبى بكر الصديق عن سعيد بن جبيرة قال: لما أرى إبراهيم ذبح إسحاق فى المنام سار به مسيرة شهر فى غداة واحدة حتى أتى به المنحر بمنى، فلما صرف الله عنه الذبح وأمره أن يذبح الكبش فذبحه فسار به مسيرة شهر فى روحة واحدة، طويت له الأودية والجبال.

وروى سفيان عن زيد بن أسلم عن عبد الله بن عمر عن أبيه قال: قال موسى: «يا رب يقولون: إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب، فبم قالوا ذلك؟» قال: «إن إبراهيم لم يعدل بى شيئاً

قط إلا اختارنى عليه، وإن إسحاق جاد لى بالذبح وهو بغير ذلك أجود، وإن يعقوب كلما زدته بلاء زاد بى حسن ظنّ». .

وروى حمزة الزيات عن أبى إسحاق عن أبى ميسرة قال: قال يوسف للملك: «ترغب أن تأكل معى أو تنكف وأنا والله يوسف بن يعقوب نبى الله ابن إسحاق ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله (عليهم السلام)؟!». .

وقال الآخرون: هو إسماعيل، وإلى هذا القول ذهب عبد الله بن عمر وأبو الطفيل عامر ابن وائلة وسعيد بن المسيب والشعبى والحسن البصرى ويوسف بن مهران ومجاهد والربيع بن أنس ومحمد بن كعب القرظى وهى رواية عطاء بن أبى رباح وأبى حمرة نصر بن عمران الضبعى ويوسف بن ماهك عن ابن عباس قال: المقدى إسماعيل، وزعمت اليهود أنه إسحاق، وكذبت اليهود.

وقد روى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم كلا القولين، ولو كان فيهما صحيح بالإجماع لم يعزه إلى غيره، وأما الرواية التى رويت عنه ﷺ أن الذبيح إسحاق ما أخبرنى ابن فنجويه قال: حدثنا طلحة بن محمد وعبيد الله بن أحمد قالا: حدثنا ابن مجاهد قال: حدثنا موسى بن إسحاق قال: حدثنا عبد الله بن أبى شنه قال: أخبرنا الأشيب قال: حدثنا حماد بن سلمة عن على بن زيد عن الحسن عن الأحنف بن قيس قال: قال رسول الله ﷺ: «الذى أراد إبراهيم أن يذبح إسحاق».

أخبرنى ابن فنجويه قال: حدثنا محمد بن على بن لؤلؤ قال: أخبرنا الهيثم بن خلف قال: حدثنا أحمد بن إبراهيم قال: حدثنا حجاج عن ابن جريح قال: أخبرت عن صفوان بن سليم وزيد بن أسلم عن النبى عليه السلام أنه قال: «إن إسحاق الذى أراد إبراهيم أن يذبحه». . وأخبرنا أبو طاهر بن خزيمة فى شهر ربيع الأول سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة فأقرأني قال: أخبرنا جدى قال: حدثنا على بن حجر قال: حدثنا عمر بن حفص عن أبان عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «يشفع إسحاق بعدى فيقول: يا رب صدقت نبيك وجدت بنفسى للذبح فلا تدخل النار من لم يشرك بك شيئاً». قال: «فيقول تبارك وتعالى: وعزتى لا أدخل النار من لا يشرك بى شيئاً».

وأخبرنى ابن فنجويه قال: حدثنا محمد بن أحمد بن نصرويه قال: حدثنا أبو حفص عمر ابن محمد بن عيسى الجوهرى قال: حدثنا عيسى بن مساور الجوهرى قال: حدثنا الوليد بن مسلم قال: حدثنا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه، عن عطاء بن يسار، عن أبى هريرة

قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل خيرني بين أن يغفر لنصف أمتي أو شفاعتي فاخترت شفاعتي ورجوت أن تكون أعم لأمتي، ولولا الذي سبقني إليه العبد الصالح لتعجلت منها دعوتي؛ إن الله سبحانه لما فرج عن إسحاق كرب الذبح قيل: يا إسحاق سل تُعط. فقال: أما والذي نفسي بيده لأتبعنّها قبل نزغة الشيطان، اللهم من مات لا يُشرك بك شيئاً فاغفر له وأدخله الجنة».

وأما ما روى عنه ﷺ أن الذبيح إسماعيل فروى عمر بن عبد الرحمن، عن عبيد الله بن محمد العتبي - من ولد عتبة بن أبي سفيان - عن أبيه قال: حدثني عبد الله بن سعيد عن الصنابحي قال: كنا عند معاوية بن أبي سفيان فذكروا الذبيح إسماعيل أو إسحاق، فقال: على الخبر سقطتم، كنت عند النبي ﷺ فجاء رجل فقال: يا رسول الله عدّ علىّ مما أفاء الله عليك يا ابن الذبيحين فضحك رسول الله ﷺ، فقيل له: يا أمير المؤمنين وما الذبيحان؟ فقال: إن عبد المطلب لما حفر بئر زمزم نذر الله عز وجل لئن سهل الله عز وجل له أمرها ليزبحن أحد ولده، قال: فخرج السهم على عبد الله، فمنعه أخواله وقالوا: افد ابنك بمائة من الإبل ففداه بمائة من الإبل والثاني إسماعيل (عليه السلام).

فهذا ما ورد من الأخبار في هذا الباب، فأما حجة القائلين بأنه إسحاق من القرآن فهو أن الله سبحانه أخبر عن خليله إبراهيم (عليه السلام) حين فارق قومه مهاجراً إلى الشام مع امرأته سارة وابن أخيه لوط وقال: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَاهِدِينَ﴾ أنه دعا فقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾: وذلك أنه قبل أن يعرف هاجر، وقبل أن تصير له أم إسماعيل. ثم اتبع ذلك الخبر عن إجابته ودعوته وتبشيريه أتاه بغلام حلیم ثم عن رؤيا إبراهيم أن يذبح ذلك الغلام الذي بشر به حين بلغ معه السعى في كتاب الله بشير لإبراهيم بولد ذكر إلا بإسحاق.

واحتج من قال: إنه إسماعيل من القرآن بما روى محمد بن إسحاق عن محمد بن كعب القرظي أنه كان يقول: إن الذي أمر الله سبحانه إبراهيم بذبحه من ابنه إسماعيل، وإنا لنجد ذلك في كتاب الله سبحانه، وذلك أن الله عز وجل يقول حين فرغ من قصة المذبوح: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾.

وقال عز من قائل: ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ (هود: ٧١) يقول: بابن ويابن ابن، فلم يكون يأمره بذبح إسحاق وليه فيه من الله سبحانه وتعالى الموعود. فلما لم يذكر الله تعالى إسحاق إلا بعد انقضاء قصة الذبح، ثم بشره بولد إسحاق علمنا أن الذبيح إسماعيل.

قال القرظي: فذكرت ذلك لعمر بن عبد العزيز وهو خليفة، إذ كنت معه بالشام، فقال لى عمر: إن هذا الشيء ما كنت أنظر فيه، وإنى لأراه كما قلت: ثم أرسل إلى رجل كان عنده بالشام، وكان يهودياً فأسلم وحسن إسلامه، وكان يرى أنه من علماء اليهود، فسأله عمر بن عبد العزيز عن ذلك وأنا عنده فقال: أى ابنى إبراهيم أمر بذبحه؟ فقال: إسماعيل: ثم قال: والله يا أمير المؤمنين إن اليهود لتعلم ذلك ولكنهم ليحسدونكم معشر العرب على أن يكون أن أباكم الذى كان من أمر الله سبحانه وتعالى فيه والفضل الذى ذكره الله سبحانه منه لصبره على ما أمر به، فهم يجحدون ذلك ويزعمون أنه إسحاق؛ لأن إسحاق أبوهم.

واحتجوا أيضاً بأن قرنى الكباش كانا منوطين بالكعبة فى أيدى بنى إسماعيل إلى أن احترق البيت واحترق القرنان فى أيام ابن الزبير والحجاج، قال الشعبي: رأيت قرنى الكباش منوطين بالكعبة، وكان القرنان ميراناً لولد إسماعيل عن أبيهم، فلم يزاحمهم على ذلك ولد إسحاق وهم الروم، وكانوا أكبر وأعز وأمنع من العرب: وهذا أدل دليل على أن الذبيح إسماعيل.

وقال الأصمعى: سألت أبا عمرو بن العلاء عن الذبيح إسحاق كان أو إسماعيل؟ فقال

لى: يا أصمع أين ذهب عنك عقلك؟

ومتى كان إسحاق عليه السلام بمكة؟ وإنما كان إسماعيل بمكة، وهو الذى بنى البيت مع أبيه إبراهيم (عليهما السلام)، كما قال الله سبحانه: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ (البقرة: ١٢٧)، والمنحر بمكة لا شك فيه.

وسمعت أبا القاسم الحبيبي يقول: سمعت أبا بكر محمد بن المنذر الضرير يقول: سمعت

أبا محمد الزنجاني المؤدب يقول: سئل أبو سعيد الضرير عن الذبيح فأشد:

إن الذبيح هُديت إسماعيلُ	نطق الكتاب بذاك والتنزيلُ
شرف به خص الإله نبينا	وأتى به التفسير والتأويلُ
إن كنت أمته فلا تنكر له	شرفاً به قد خصه التفضيلُ

وأما قصة الذبيح فقال السدى بإسناده: لما فارق إبراهيم الخليل (عليه السلام) قومه مهاجراً إلى الشام هارباً بدينه، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ دعا الله سبحانه وتعالى أن يهب له ابناً صالحاً من سارة فقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾. فلما نزل به أضيافه من الملائكة المرسلين إلى المؤتفكة وبشروه بغلام حلیم، قال إبراهيم لما بشر به: فهو إذن لله ذبيح. فلما ولد الغلام وبلغ معه السعى، قيل: أوف بنذرك الذى نذرت. فكان هذا هو السبب فى أمر الله تعالى رسوله إبراهيم بذبح ابنه، فقال إبراهيم عند ذلك لإسحاق: «انطلق

نقرب قرباناً لله تعالى»، وأخذ سكيناً وحبلًا ثم انطلق معه حتى إذا ذهب به بين الجبال قال له الغلام: يا أبت أين قربانك؟ فقال: ﴿يَلْبَنِي إِيَّيْ أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَأَنْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَتَأَبَّتْ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ .

وقال محمد بن إسحاق بن يسار: كان إبراهيم إذا زار هاجر وإسماعيل حمل على البراق فيغدو من الشام فيصلى بمكة، ويروح من مكة فيبيت عند أهله بالشام. حتى إذا بلغ إسماعيل معه السعى، وأخذ بنفسه ورجاه لما كان يأمل فيه من عبادة ربه وتعظيم حرماته، أرى في المنام أن يذبحه، فلما أمر بذلك قال لابنه: «يا بني خذ الحبل والمديّة ثم انطلق بنا إلى هذا الشعب لنحتطب». فلما خلا إبراهيم بابنه في شعب ثبير، أخبره بما أمر، كما ذكر الله تعالى، قالوا: فقال له ابنه الذي أراد أن يذبحه: «يا أبت اشدد رباطي حتى لا أضطرب، واكفف عني ثيابك حتى لا ينضح عليها من دمي شيء، فينقص أجرى وتراه أمي فتحزن، واشحد شفريك، وأسرع مرّ السكين على حلقي ليكون أهون للموت عليّ، فإن الموت شديد، وإذا أتيت أمي فاقرا عليها السلام مني، وإن رأيت أن ترد قميصي على أمي فافعل فإنه عسى أن يكون أسلى لها عني». فقال له إبراهيم (عليه السلام): «نعم العون أنت يا بني على أمر الله».

ففعل إبراهيم ما أوصاه به ابنه، ثم أقبل عليه يقبله، وقد ربطه وهو يبكي والابن يبكي حتى استنقع الدموع تحت خده، ثم إنه وضع السكين على حلقه فلم تنحر السكين. قال السدي: ضرب الله صفحة من النحاس على حلقه. قالوا: فقال الابن عند ذلك: «يا أبت كبنى لوجهي على جبينى، فإنك إذا نظرت فى وجهى رحمتى، وأدرت رقة تحول بينك وبين أمر الله وأنا لا أنظر إلى الشفرة فأجزع». ففعل ذلك إبراهيم، ووضع السكين على قفاه فانقلب السكين، نُودى: «يا إبراهيم مه، قد صدقت الرؤيا، هذه ذبيحتك فداءً لابنك فاذبحها دونه»، فنظر إبراهيم فإذا هو بجبرئيل ومعه كبش أقرن أملح فكبر جبرئيل فكبر الكبش فكبر إبراهيم فكبر ابنه وأخذ إبراهيم الكبش وأتى به المنحر من منى فذبحه.

قال ابن عباس: فوالذى نفسى بيده، لقد كان أول الإسلام، وإن رأس الكبش لمعلق بقرنه فى ميزاب الكعبة.

قال السدي: فلما أخذ إبراهيم (عليه السلام) الكبش خلى عن ابنه، وأكبّ عليه وهو يقبله ويقول: «يا بني وهبت لى»، ثم رجع إلى سارة فأخبرها الخبر، فجزعت سارة وقالت: يا إبراهيم، أردت أن تذبح ابنى ولا تعلمنى؟» .

وروى أبو هريرة عن كعب الأحبار وابن إسحاق عن رجاله قالوا: لما أرى إبراهيم (عليه

(السلام) ذبح ابنه قال الشيطان : والله لئن لم أفتن عند هذا آل إبراهيم ، لا أفتن منهم أحداً أبداً . فتمثل لهم الشيطان رجلاً وأتى أم الغلام فقال لها : هل تدرين أين ذهب إبراهيم بابنك ؟ قال : ذهب به يحطبنا من هذا الشعب . قال : لا والله ما ذهب به إلا ليذبحه . قالت : كلا هو أرحم به وأشد حباً له من ذلك . قال : إنه يزعم أن الله أمره بذلك . قالت : فإن كان ربه أمره بذلك فقد أحسن أن يطيع ربه ، وسلماً لأمر الله عز وجل .

فخرج الشيطان من عندها حتى أدرك الابن وهو يمشى على إثر أبيه فقال له : يا غلام هل تدرى أين يذهب أبوك ؟ قال : « يحطب أهلنا من هذا الشعب » . قال : والله ما يريد إلا أن يذبحك . قال : « ولم » .

قال : زعم أن ربه أمره بذلك ، قال : « فليفعل ما أمره به ربه ، فسمعاً وطاعة » . فلما امتنع منه الغلام أقبل على إبراهيم ، فقال له : أين تريد أيها الشيخ ؟ قال : « أريد هذا الشعب لحاجة لى فيه » . فقال : والله إنى لأرى الشيطان قد جاءك فى منامك ، فأمرك بذبح بُنيك هذا . فعرفه إبراهيم فقال : « إليك عني يا عدو الله ، فوالله لأمضين لأمر الله » . وروى أبو الطفيل عن ابن عباس أن إبراهيم لما أمر بذبح ابنه ، عرض له الشيطان بهذا المشعر فسابقه فسابقه إبراهيم ، ثم ذهب إلى جمرة العقبة فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ، ثم عرض له عند الجمرة الوسطى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ، ثم أدركه عند الجمرة الكبرى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ، ثم مضى بأمر الله عز وجل فى ذلك . وقال أمية بن أبى الصلت :

ولإبراهيم الموفى بالندر	احتساباً وحامل الأحدا
بكره لم يكن ليصبر عنه	لو يراه فى معشر أقتال
يا بنى إنى نذرتك للذ	ه شحيطاً فاصبر فدى لك حالى
واشدد الصفد لا أحمى عن السك	ين حيد الأسير ذى الأغلال
وله مدية تخايل فى اللح	م هذام حنية كالهلال
بينما يخلع السراويل عنه	فكّه ربه بكبش حلال
قال خذه ذا وأرسل ابنك إنى	للذى قد فعلتما غير قال
ربما تجزع النفوس من الأم	رله فرجة كحل العقال

فهذه قصة الذبح كما قال الله سبحانه : ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ ﴾ قال ابن عباس : يعنى المشى مع أبيه إلى الحيل . قال الحسن ومقاتل بن حيان : يعنى العقل الذى يقوم به الحجة ، وقال



الضحاك: يعنى الحركة، وقال ابن زيد: هو السعى فى العبادة.

﴿يَتَّبِعُنِيْ اِنِّىْ اَرَى فِى الْمَنَامِ﴾: رأيت فى المنام ﴿اِنِّىْ اَذْبَحُكَ﴾: لنذر علىّ فيك أمرت بذلك، وذلك أن إبراهيم (عليه السلام) رأى ليلة التروية كأن قائلاً يقول له: إن الله يأمرك بذبح ابنك هذا. فلما أصبح روى فى نفسه - أى فكّر - من الصباح إلى الرواح أمن الله هذا الحكم أو من الشيطان؟ فمن ثم سُمى يوم التروية. فلما أمسى رأى فى المنام ثانياً ما رآه من ذبح الولد، فلما أصبح عرف أن ذلك الحكم من الله، فمن ثم سُمى يوم عرفة.

وقال مقاتل: رأى ذلك إبراهيم ثلاث ليال متتابعات، وقال عطاء ومقاتل: أمر إبراهيم أن يذبح ابنه بيت المقدس فلما تيقن ذلك أخبر ابنه فقال لابنه: ﴿فَانظُرْ مَاذَا تَرَى﴾؟ قرأ العامة بفتح التاء، وقرأ حمزة والكسائى (ترى) بضم التاء وكسر الراء - أى ماذا تشير؟ وإنما جاز أن يؤامر ابنه فى المضى لأمر الله؛ لأنه أحب أن يعلم صبره على أمر الله وعزمه على طاعته فقال له ابنه: ﴿يَتَأْتِى أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِيْ اِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِيْنَ﴾.

﴿فَلَمَّا اسْلَمْنَا﴾: أى انقادا وخضعا لأمر الله سبحانه وتعالى ورضيا به، وقرأ ابن مسعود (فلما سلما) أى فوضا، وقرأ ابن عباس (استسلما). قال قتادة: أسلم هذا ابنه وهذا نفسه ﴿وَتَلَّهُ لِلْجَبِيْنَ﴾: أى صرعه وأضجعه وكبه على وجهه للذبح ﴿وَوَدَّيْتَنَّهُ﴾، قال أهل المعانى: (الواو) مقحمة صلة، مجازه: ناديناه، كقوله: ﴿وَأَجْمَعُونَ أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا﴾ (يوسف: ١٥) يعنى: أوحينا، وقوله: ﴿وَمِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ ﴿وَأَقْرَبَ الْوَعْدِ﴾ (الأنبياء: ٩٦)، ٩٧) وقال امرؤ القيس:

❖ فلما أجزنا ساحة الحى وانتحى ❖

وقال الشاعر:

حتى إذا قملت بطونكم      ورأيتم أبناءكم شبوا  
وقلبتم ظهر الحجن لنا      إن اللئيم العاجز الحب

أراد: قلبتم.

﴿أَنْ يَتَّيْرَاهِمُ﴾ قَدْ صَدَقَتْ آرْءِيَاءُ إِنَّا كَذَلِكَ نَحْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿إِنَّ هَذَا لَهُ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ﴾: الاختبار المظهر فيما يوجب النعمة أو النعمة، ولذلك قيل للنعم: بلاء وللمحنة بلاء؛ لأنها سميت باسم سببها المؤدى به إليها، كما قيل لأسباب الموت: هذا الموت بعينه.



﴿وَقَدَّيْنَهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَلَّمَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٥١﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٥٢﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٣﴾ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٥٤﴾ وَبَدَّرْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿١٥٥﴾ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٥٦﴾ وَجَعَلْنَاهُمَا قَوْمَهُمَا مِنْ الْأَكْرَبِ الْعَظِيمِ ﴿١٥٧﴾ وَنَصَرْنَاهُمْ فَاكُونُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴿١٥٨﴾ وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ ﴿١٥٩﴾ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦٠﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ ﴿١٦١﴾ سَلَّمَ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٦٢﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦٣﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٤﴾

﴿وَقَدَّيْنَهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾ ، والذَّبْحُ: المهيأ لأن يذبح، والذبح - بالفتح - المصدر، وقد اختلفوا في هذا الذبح وسبب تسميته عظيماً؛ فأخبرنا أبو الحسن الفهندري قال: حدثنا أبو العباس الأصم قال: حدثنا إبراهيم بن مرزوق البصري قال: حدثنا أبو عامر العقدي عن سفیان ابن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن سعيد بن جبیر، عن ابن عباس قال: الكبش الذي ذبحه إبراهيم هو الذي قربه ابن آدم، وقال سعيد بن جبیر: حق له أن يكون عظيماً وقد رعى في الجنة أربعين خريفاً، وقال مجاهد سماه عظيماً لأنه متقبل، وقال الحسين بن الفضيل: لأنه كان من عند الله، وقال أبو بكر الوراق: لأنه لم يكن عن نسل وإنما كان بالتكوين، وقيل: لأنه فداء عبد عظيم، وقال أهل المعاني: قيل له: عظيم؛ لأنه يصغر مقدار غيره من الكباش بالإضافة إليه، وأكثر المفسرين على أنه كان كبشاً من الغنم أعين أقرن أملح، وروى عمر بن عبيد عن الحسن أنه كان يقول: ما فدى إسماعيل إلا تيس من الأروى، وأهبط عليه من السماء، وهي رواية أبي صالح عن ابن عباس قال: وكان وعلاً.

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ سَلَّمَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٥٠﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٥٣﴾ .

أخبرني ابن فنجويه قال: حدثنا طلحة وعبيد الله قالا: حدثنا ابن مجاهد قال: حدثني أحمد بن حرب قال: حدثنا سيك قال: حدثنا وكيع عن سفیان عن داود عن عكرمة عن ابن عباس. ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ﴾: بشرى نبوة بشر به مرتين حين ولد وحين نبئ، ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ﴾: أي على إبراهيم في الأولاد، ﴿وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ﴾: حين أخرج أنبياء بني إسرائيل من صلبه. ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ﴾: مؤمن ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُبِينٌ﴾: كافر ظاهر الكفر.

﴿وَلَقَدْ مَنَّا﴾ : أنعمنا ﴿عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾ : بالنبوة .

﴿وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا﴾ : بنى إسرائيل ﴿مِنَ الْكُرْبِ الْعَظِيمِ﴾ ، يعنى الغرق ، حيث أغرقنا فرعون وقومه ﴿وَنَصَّرْنَاهُمْ﴾ : يعنى موسى وهارون وقومهما ﴿فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ﴾ : على القبط ، ﴿وَأَتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ﴾ : المستنير ﴿وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ ﴿سَلَّمْ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾ إِنَّا كَذَّلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ .



﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾ اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ سَلَّمْ عَلَىٰ إِيَّاسِينَ ﴿إِنَّا كَذَّلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿وَإِنْ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ وَاجْمَعِينَ ﴿إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخِرِينَ ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ﴾ وَبِالْبَيْتِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿

﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ ، أخبرنا أبو محمد بن أبى القاسم بن المؤهل قال : حدثنا أبو العباس الأصم قال : حدثنا بكار بن قتيبة قال : حدثنا أبو داود الطيالسى قال : حدثنا قيس بن أبى إسحاق عن عبيدة بن ربيعة عن ابن مسعود قال : إلیاس هو إدريس ، وإسرائيل هو یعقوب ، وإلى هذا ذهب عكرمة ، وقال : هو فى مصحف عبد الله : (وإن إدريس لمن المرسلين) وتفرد عبد الله وعكرمة بهذا القول .

وقال آخرون : هو نبى من أنبياء بنى إسرائيل . قال ابن عباس : هو ابن عم اليسع ، وقال ابن إسحاق : إلیاس بن یاسين بن العيزار بن هارون بن عمران ، وقال أيضاً محمد بن إسحاق ابن یاسر والعلماء من أصحاب الأخبار : لما قبض الله سبحانه حزقيل النبى عظمت الأحداث فى بنى إسرائيل ، وظهر فيهم الفساد والشرك ، ونسوا عهد الله ، ونصبوا الأوثان وعبدوها من دون الله ، فبعث الله إليهم إلیاس (عليه السلام) : نبياً وإنما دانت الأنبياء من بنى إسرائيل بعد موسى عليه السلام يبعثون إليهم تجديد ما نسوا من التوراة ، وبنو إسرائيل يومئذ متفرقون فى أرض الشام وفيهم ملوك كثيرة وكان سبب ذلك أن يوشع بن نون لما فتح أرض الشام بعد موسى وملكها بوآها بنى إسرائيل وقسمها بينهم ، فأحل سبطاً منهم بعلبك ونواحيها ، وهم

سبط إلياس الذي كان منهم إلياس فبعثه الله إليهم نبياً، وعليهم يومئذ ملك يقال له: أجب قد ضلّ وأضلّ قومه، وأجبرهم على عبادة الأصنام، وكان يعبد هو وقومه صنماً يقال له: بعل، وكان طوله عشرين ذراعاً، وكانت له أربعة وجوه. قال: فجعل إلياس يدعوهم إلى الله سبحانه، وهم في كل ذلك لا يسمعون منه شيئاً إلا ما كان من أمر الملك الذي كان يبعلك، فإنه آمن به وصدقّه وكان إلياس يقوم أمره، ويسدده ويرشده وكان لأجب الملك هذا امرأة يقال لها أزييل، وكان يستخلفها على رعيته إذا غاب عنهم في غزاة أو غيرها، فكانت تبرز للناس كما يبرز زوجها وتركب كما يركب، وتجلس في مجلس القضاء فتقضى بين الناس، وكانت قتالة للأنبياء.

قال: وكان لها كاتب رجل مؤمن حكيم يكتما إيمانه، وكان كاتبها قد خلّص من يدها ثلاثمائة نبى كانت تريد قتل كل واحد منهم إذا بعث سوى الذين قبلهم ممن يكثر عددهم، وكانت في نفسها غير محصنة، ولم يكن على وجه الأرض أفحش منها، وهى مع ذلك قد تزوجت سبعة ملوك من بنى إسرائيل وقتلتهم كلهم بالاغتيال، وكانت معمّرة حتى يُقال: إنها ولدت سبعين ولداً.

قال: وكان لأجب هذا جار من بنى إسرائيل، رجل صالح يُقال له: (مزدكى) وكانت له جنية يعيش منها ويقبل على عمارتها ويزينها، وكانت الجنية إلى جانب قصر الملك وامراته، وكانا يشرفان على تلك الجنية يتنزهان فيها ويأكلان ويشربان ويقيلان فيها، وكان أجب الملك مع ذلك يحسن جار صاحبها مزدكى ويحسن إليه، وامراته أزييل تحسده على ذلك لأجل تلك الجنية، وتحتال في أن تغصبها إياه لما تسمع الناس يكثرون ذكر الجنية ويتعجبون من حسنها، ويقولون: ما أحرى أن تكون هذه الجنية لأهل هذا القصر! ويتعجبون من الملك وامراته كيف لم يغصباها صاحبها. فلم تزل امرأة الملك تحتال على العبد الصالح مزدكى في أن تقتله وتأخذ جنيته والملك ينهاها عن ذلك فلا تجد عليه سبيلاً.

ثم إنه اتفق خروج الملك إلى سفر بعيد، وطالت غيبته، فاغتنمت امرأته أزييل ذلك للحيلة على مزدكى، وهو غافل عما تريد به، مقبل على عبادة ربه وإصلاح معيشته، فجمعت أزييل جمعاً من الناس وأمرتهم أن يشهدوا على مزدكى أنه سبّ زوجها أجب فأجابوها إلى ملتمسها من الشهادة عليه.

وكان من حكمهم في ذلك الزمان على من سبّ الملك القتل إذا قامت عليه البينة بذلك فأحضرت مزدكى، وقالت له: بلغنى أنك شتمت الملك وعيبته، فأنكر مزدكى ذلك، فقالت

المرأة: إنّ عليك شهوداً، وأحضرت الشهود فشهدوا بحضرة الناس عليه بالزور، فأمرت بقتل مزدكى فقتل وأخذت جنينته غضباً فغضب الله عليهم بقتل العبد الصالح.

فلما قدم الملك من سفره أخبرته الخبير، فقال لها: ما أصبت ولا وفقت ولا أرانا نفلح بعده أبداً، وإنا كنا عن جنينته لأغنياء، قد كنا نتزّه فيها، وقد جاورنا وتحرم بنا منذ زمان طويل، فأحسننا جواره وكفنا عنه الأذى، لوجوب حقه علينا، فختمت أمره بأسوأ الجوار، وما حملك على اجترائك عليه إلاّ سفهك وسوء رأيك وقلة تفكيرك في العواقب. فقالت: إنما غضبت لك وحكمت بحكمك. فقال لها: أو ما يسعه حلمك ويحدوك عظيم خطرِك على العفو عن رجل واحد فتحفظين له جواره؟ قالت: قد كان ما كان.

فبعث الله تعالى إلياس (عليه السلام) إلىّ أجب الملك وقومه وأمره أن يخبرهم أنّ الله سبحانه قد غضب لوليّه حين قتلوه بين أظهرهم ظلماً، وآلى على نفسه أنهما إن لم يتوبا عن صنعهما ولم يرذا الجنينة على ورثة مزدكى أن يهلكهما - يعنى أجب وامرأته - فى جوف الجنينة أشرّ ما يكونان بسفك دميها ثم يدعها جيفتين ملقتين فيها حتى تتعري عظامهما من لحومهما ولا يمتعان بها إلاّ قليلاً.

قال: فجاء إلياس وأخبره بما أوحى الله تعالى إليه فى أمره وأمر امرأته والجنينة، فلما سمع الملك ذلك اشتد غضبه عليه ثم قال له: يا إلياس والله ما أرى ما تدعو إليه إلاّ باطلاً، والله ما أرى فلاناً وفلاناً، سمي ملوكاً منهم قد عبدوا الأوثان - إلاّ على مثل ما نحن عليه يأكلون ويشربون ويتنعمون مملكين ما ينقص من دنياهم ولا من أمرهم الذى تزعم أنه باطل، وما نرى لكم علينا ولا عليهم من فضل.

قال: وهم الملك بتعذيب إلياس وقتله، فلما سمع إلياس ذلك وأحسّ بالشر، رفضه وخرج عنه، فلحق بشواحق الجبال، وعاد الملك إلىّ عبادة بعل. فارتقى إلياس أصعب جبل وأشمخه، فدخل مغارة فيه، فيقال: إنه قد بقى فيه سبع سنين شريداً طريداً خائفاً يأوى إلىّ الشعاب والكهوف يأكل من نبات الأرض وثمار الشجر، وهم فى طلبه قد وضعوا عليه العيون، يتوقعون أخباره ويجتهدون فى أخذه، والله سبحانه وتعالى يستره ويدفع عنه. فلما تم له سبع سنين أذن الله تعالى فى إظهاره عليهم وشفاء غيظه منهم، فأمرض الله سبحانه ابناً لأجب - وكان أحبّ ولده إليه، وأعزهم عليه، وأشبههم به - فأدنف حتى يئس منه، فدعا صنمه بعلاً - وكانوا قد فتنوا ببعل وعظموه، حتى جعلوا له أربعمائة سادن فوكلوهم به وجعلوهم أمناء، فكان الشيطان يدخل فى جوف الصنم فيتكلّم بأنواع الكلام، وأربعمائة

يصغون بأذانهم إلى ما يقول الشيطان، ويوسوس إليهم الشيطان بشريعة من الضلال فيكتبونها للناس فيعملون بها، ويسمونهم الأنبياء.

فلما اشتدّ مرض ابن الملك طلب إليهم الملك أن يتشفعوه إلى بعل ويطلبوا لابنه من قبله الشفاء والعافية فدعوه فلم يجبههم، ومنع الله بقدرته الشيطان عن صنمهم فلم يمكنه الولوج في جوفه ولا الكلام، وهم مجتهدون في التضرع إليه وهو لا يزداد إلاّ خموداً. فلما طال عليهم ذلك قالوا لأجب: إن في ناحية الشام آلهة أخرى، وهى فى العظم مثل إلهك، فابعث إليها الأنبياء ليشفّعوا لك إليها، فلعلها أن تشفع لك إلى إلهك بعل، فإنه غضبان عليك، ولولا غضبه عليك لكان قد أجابك وشفى لك ابنك.

قال أجب: ومن أجل ماذا غضب على، وأنا أطيعه وأطلب رضاه منذ كنت، لم أسخطه ساعة قط؟ قالوا: من أجل أنك لم تقتل إلياس، وفرطت فيه حتى نجح سليمان، وهو كافر بإلهك، يعبد غيره، فذلك الذى أغضبه عليك. قال أجب: وكيف لى أن أقتل إلياس يومى هذا، وأنا مشغول عن طلبه بوجع ابنى؟ فليس لإلياس مطلب، ولا يعرف له موضع فيقصد، فلو عوفى ابنى تفرغت لطلبه، ولم يكن لى هم ولا شغل غيره حتى أخذه فأقتله، فأريح إلهى منه وأرضيه.

قال: ثم إنه بعث أنبياءه الأربعمائة ليشفّعوا إلى الآلهة التى بالشام، ويسألوها أن تشفع إلى صنم الملك ليشفى ابنه. فانطلقوا حتى إذا كانوا بحيال الجبل الذى فيه إلياس، أوحى الله سبحانه إلى إلياس أن يهبط من الجبل ويعارضهم ويستوقفهم ويكلّمهم، وقال له: «لا تخف فإنى سأصرف عنك شرهم، وألقى الرعب فى قلوبهم» فنزل إلياس من الجبل، فلما لقيهم استوقفهم، فلما وقفوا، قال لهم: «إن الله سبحانه أرسلنى إليكم وإلى من وراءكم، فاسمعوا أيها القوم رسالة ربكم لتبلغوا صاحبكم، فارجعوا إليه وقولوا له: إن الله يقول لك: أأنت تعلم يا أجب أتى أنا الله لا إله إلا أنا إله بنى إسرائيل الذى خلقهم ورزقهم وأحياهم وأماتهم، أفجهلك وقلة علمك حملك على أن تشرك بى، وتطلب الشفاء لابنك من غيرى ممن لا يملكون لأنفسهم شيئاً إلا ما شئت؟ إنى حلفت باسمى لأغيظنك فى ابنك ولأميتته فى فوره هذا حتى تعلم أن أحداً لا يملك له شيئاً دونى».

فلما قال لهم هذا رجعوا، وقد ملئوا منه رعباً، فلما صاروا إلى الملك قالوا له ذلك وأخبروه بأن إلياس انحط عليهم وهو رجل نحيف طوال، قد قشف وقحل وتمعت شعره وتقرش جلده، عليه جبة من شعر وعباءة قد خللها على صدره بخلاف، فاستوقفنا، فلما صار

معنا قذفت له فى قلوبنا الهيبة والرعب، وانقطعت ألسنتنا، ونحن فى هذا العدد الكبير وهو واحد، فلم نقدر على أن نكلّمه ونراجعه ونملاً أعيننا منه، حتى رجعنا إليك، وقصّوا عليه كلام إيلياس، فقال أجب: لا ينتفع بالحياة ما كان إيلياس حيّاً، ما الذى منعكم أن تبطشوا به حين لقيتموه وتوثقوه وتأتونى به. وأنتم تعلمون أنه طلبى وعدوى؟ فقالوا: قد أخبرناك ما الذى منعنا منه ومن كلامه والبطش به. قال أجب: ما يُطاق إذن إيلياس إلا بالمكر والخديعة.

فقيّض له خمسين رجلاً من قومه من ذوى القوة والبأس، وعهد إليهم عهده وأمرهم بالاحتيال عليه والاعتناء به، وأن يطمعوه فى أنهم قد آمنوا به هم ومن وراءهم ليستنيم إليهم ويغترّب بهم فيمكنهم من نفسه، فيأتوا به ملكهم. فانطلقوا حتى ارتقوا ذلك الجبل الذى فيه إيلياس (عليه السلام)، ثم تفرقوا فيه وهم ينادونه بأعلى أصواتهم، ويقولون: يا نبي الله ابرز لنا وأشرف بنفسك فإننا قد آمنّا بك وصدقناك، وملكنا أجب وجميع قومنا، وأنت آمن على نفسك، وجميع بنى إسرائيل يقرءون عليك السلام ويقولون: قد بلغتنا رسالة ربك وعرفنا ما قلت وآمنا بك، وأجبتك إلى ما دعوتنا فهلم إلينا، فأنت نبينا ورسول ربنا، فأقم بين أظهرنا واحكم فينا، فإننا نقاد لما أمرتنا وننتهى عما نهيتنا، وليس يسعك أن تتخلف عنا مع إيماننا وطاعتنا. فتداركنا وارجع إلينا، وكلّ هذا كان منهم مماكرة وخديعة.

فلما سمع إيلياس مقاتلهم وقعت بقلبه، وطمع فى إيمانهم وخاف الله، وأشفق من سخطه إن هو لم يظهر ولم يجبهم بعد الذى سمع منهم، فلما أجمع على أن يبرز لهم، رجع إلى نفسه فقال: «لو أنى دعوت الله سبحانه وتعالى وسألته أن يعلمنى ما فى أنفسهم ويطلعنى على حقيقة أمرهم»، وذلك أن الله سبحانه وفقه وألهمه التوقف والدعاء والتحرز، فقال: «اللهم إن كانوا صادقين فيما يقولون فائذن لى فى البروز إليهم، وإن كانوا كاذبين فاكفنيهم وارمهم بنار تحرقهم».

فما استتم قوله حتى حصبوا بالنار من فوقهم أجمعين.

قال: وبلغ أجب وقومه الخبر فلم يرتدع من همه بالسوء، واحتال ثانياً فى أمر إيلياس، وقيّض فئة أخرى مثل عدد أولئك، أقوى منهم وأمكن من الحيلة والرأى فأقبلوا حتى توغلوا فى تلك الجبال متفرقين، وجعلوا ينادون: يا نبي الله إنا نعوذ بالله وبك من غضب الله وسطواته، إنا لسنا كالذين أتوك قبلنا، إن أولئك فرقة ناقفوا وخالفوا، فصاروا إليك ليكيدوا بك من غير رأينا ولا علمنا، وذلك أنهم حسدونا وحسدوك وخرجوا إليك سرّاً، ولو علمنا بهم لقتلناهم ولكفيناك مؤونتهم، والآن فقد كفاك ربك أمرهم وأهلكهم بسوء نياتهم وانقم

دونك منهم . فلما سمع إلياس مقالتهم دعا الله بدعوته الأولى ، فأمطر عليهم النار فاحترقوا عن آخرهم .

وفى كل ذلك ابن الملك فى البلاء الشديد من وجعه كما وعده الله سبحانه وتعالى على لسان نبيه إلياس ، لا يقضى عليه فيموت ولا يخفف عنه من عذابه ، فلما سمع الملك بهلاك أصحابه ثانياً ازداد غضباً إلى غضب ، وأراد أن يخرج فى طلب إلياس بنفسه إلا أنه شغله عن ذلك مرض ابنه ، فلم يمكنه ، فوجه نحو إلياس الكاتب المؤمن الذى هو كاتب امرأته ، رجاء أن يأنس به إلياس ، فينزل معه وأظهر للكاتب أنه لا يريد بإلياس سوءاً ، وإنما أظهر له ذلك لما اطلع عليه من إيمانه ، وأن الملك مع اطلاعه على إيمانه كان مغضباً عنه فيه ؛ لما هو عليه من الأمانة والكفاءة والحكمة وسداد الرأى والبصر بالأمر - فلما وجهه نحوه أرسل معه فئة من أصحابه ، وأوعز إليهم دون الكاتب أن يوثقوا إلياس ويأتوه به إن أراد التخلف عنهم ، وإن جاء مع الكاتب واثقاً به أنسأ لمكانته لم يوحشوه ولم يرؤعوه . ثم أظهر للكاتب الإنابة ، وقال له : إنه قد أن لى أن أتوب وأتعظ ، وقد أصابتنا بلايا من حريق أصحابنا ، والبلاء الذى فيه ابنى ، وقد عرفت أن ذلك بدعوة إلياس ، ولست آمن أن يدعو على جميع من بقى منها فهلك بدعوته ، فانطلق لنا إليه وأخبره أنا قد تبنا وأبنا ، وأنه لا يصلحنا فى توبتنا ، وما نريد من رضا ربنا وخلع أصنامنا إلا أن يكون إلياس بين أظهرنا ، يأمرنا وينهانا ، ويخبرنا بما يرضى ربنا .

قال : وأمر قومه فاعزلوا الأصنام وقال له : أخبر إلياس أنا قد خلعنا آلهتنا التى كنا نعبد وأرجأنا أمرها حتى ينزل إلياس إلينا فيكون هو الذى يحرقها ويهلكها ، وكان ذلك مكرراً من الملك . فانطلق الكاتب والفئة حتى علا الجبل الذى فيه إلياس ، ثم ناداه ، فعرف إلياس صوته ، فتاقت نفسه إليه وأنس به ، وكان مشتاقاً إلى لقائه .

قال : وأوحى الله سبحانه وتعالى إلى إلياس أن انزل إلى أخيك الصالح ، فالقه وجدد العهد به . فنزل إليه وسلم عليه وصافحه وقال له : ما الخبر؟ فقال المؤمن : إنه بعثنى إليك هذا الجبار الطاغية وقومه ، ثم قصّ عليه ما قالوا ، ثم قال له : إني لخائف إن رجعت إليه ولست معى أن يقتلنى ، فمرنى بما شئت أفعله وأنتهى إليه ، وإن شئت انقطعت إليك فكنت معك وتركته ، وإن شئت جاهدته معك ، وإن شئت ترسلنى إليه بما تحبّ فأبلغه رسالتك ، وإن شئت دعوت ربك فجعل لنا من أمرنا فرجاً ومخرجاً .

قال : فأوحى الله سبحانه إلى إلياس أن كل شىء جاءك منهم مكر وكذب ليظفروا بك ، وإن أجب إن أخبرته رسله أنك قد لقيت هذا الرجل ولم يأت بك إليه اتهمه وعرف أنه قد داهن



فى أمرك فلم يأمن أن يقتله فانطلق معه ، فإن انطلقك معه عذره وبراءته عند أحب ، وإتى سأشغل عنكما أحب ، فأضاعف على ابنه البلاء حتى لا يكون لهم هم غيره ثم أميته على شرّ حال ، فإذا مات هو فارجع عنه ولا تقم .

قال : فانطلق معهم حتى قدموا على أحب فلما قدموا عليه شدّد الله الوجد على ابنه وأخذ الموت يكظمه فشغل الله بذلك أحب وأصحابه عن إلياس ، ورجع إلياس سالماً إلى مكانه . فلما مات ابن أحب ، وفرغوا من أمره وقلّ جزعه ، انتبه لإلياس وسأل عنه الكاتب الذى جاء به ، فقال : ليس لى به علم وذلك أنه شغلنى عنه موت ابنك والجزع عليه ولم أكن أحسبك إلا وقد استوثقت منه . فأضرب عنه أحب وتركه لما كان فيه من الجزع على ابنه .

فلما طال الأمر على إلياس ملّ المكث فى الجبال والمقام بها واشتاق إلى العمران والناس ، نزل من الجبل وانطلق حتى نزل بامرأة من بنى إسرائيل ، وهى أم يونس بن متى ذى النون ، فاستخفى عندها ستة أشهر ويونس بن متى يومئذ مولود يرضع ، وكانت أم يونس تخدمه بنفسها وتواسيه بذات يدها ولا تدّخر عنه كرامة تقدر عليها .

قال : ثم إن إلياس سئم ضيق البيوت بعد تعوده فسحة الجبال دوحها فأحبّ اللّحوق بالجبال ، فخرج وعاد إلى مكانه ، فجزعت أم يونس لفراقه وأوحشها فقده ثم لم تلبث إلا يسيراً حتى مات ابنها حين فطمته ، فعظمت مصيبتها فيه ، فخرجت فى طلب إلياس فلم تزل ترقى الجبال وتطوف فيها حتى عثرت عليه ووجدته فقالت له : إنى قد فجعت بعدك بموت ابنى فعظمت فيه مصيبتى واشتد لفقده بلائى وليس لى ولد غيره فارحمنى وادع ربك جل جلاله ليُحيى لى ابنى ويجبر مصيبتى ، وإنى قد تركته مسجّى لم أدفنه ، وقد أخفيت مكانه . فقال لها إلياس : « ليس هذا مما أمرت به ، وإنما أنا عبدٌ مأمورٌ أعمل بما يأمرنى ربي ، ولم يأمرنى بهذا » فجزعت المرأة وتضرعت ، فأعطف الله سبحانه قلب إلياس لها ، فقال لها : « ومتى مات ابنك ؟ » قالت : منذ سبعة أيام .

فانطلق إلياس معها وسار سبعة أخرى حتى انتهى إلى منزلها فوجد ابنها يونس بن متى ميتاً منذ أربعة عشر يوماً ، فتوضأ وصلّى ودعا فأحيا الله يونس بن متى بدعوة إلياس . فلما عاش وجلس ، وثب إلياس وانصرف وتركه وعاد إلى موضع ما كان فيه . فلما طال عصيان قومه ضاق بذلك إلياس ذرعاً وأجهد البلاء ، قال : فأوحى الله سبحانه إليه بعد سبع سنين وهو خائف مجهود : « يا إلياس ما هذا الحزن والجزع الذى أنت فيه ؟ أأنت أمينى على وحيى ، وحجتى فى أَرْضى ، وصفوتى من خلقى ؟ فسلى أعطك فإنى ذو الرحمة الواسعة والفضل

العظيم» قال: «تمتني فتلحقني بأبائي فيأني قد مللت بنى إسرائيل وملّوني، وأبغضتهم فيك وأبغضوني». فأوحى الله سبحانه إليه: «يا إيلياس، ما هذا باليوم الذي أعرى منك الأرض وأهلها، وإنما قوامها وصلاحها بك وأشباهاك وإن كنتم قليلاً، ولكن تسألني فأعطيك».

قال إيلياس: «فإن لم تمتني يا إلهي فأعطني ثأري من بنى إسرائيل». قال الله سبحانه: «وأي شيء تريد أن أعطيك يا إيلياس؟».

قال: «تمكنني من خزائن السماء سبع سنين فلا تنشأ عليهم سحابة إلا بدعوتي، ولا يطر عليهم سبع سنين قطرة إلا بشفاعتي، فإنهم لا يذلّهم إلا ذلك». قال الله سبحانه وتعالى: «يا إيلياس، أنا أرحم بخلقى من ذلك وإن كانوا ظالمين». قال: «فستّ سنين». قال: «أنا أرحم بخلقى من ذلك وإن كانوا ظالمين».

قال: «فخمس سنين». قال: «أنا أرحم بخلقى من ذلك وإن كانوا ظالمين، ولكنّي أعطيك ثأرك ثلاث سنين، أجعل خزائن المطر بيدك، ولا تنشأ عليهم سحابة إلا بدعوتك، ولا ينزل عليهم قطرة إلا بشفاعتك». قال إيلياس: «فبأي شيء أعيش».

قال: «أسخر لك جنساً من الطير ينقل إليك طعامك وشرابك من الريف والأرض التي لم تقحط». قال إيلياس: «قد رضيت».

قال: فأمسك الله عنهم المطر حتى هلكت الماشية والدواب والهوام والشجر، وجهد الناس جهداً شديداً، وإيلياس على حالته مستخف من قومه يوضع له الرزق حيثما كان، وقد عرفه بذلك قومه، فكانوا إذا وجدوا ريح الخبز في البيت قالوا: لقد دخل إيلياس هذا المكان، فطلبوه ولقى منهم أهل ذلك المنزل شيئاً.

قال ابن عباس: أصاب بنى إسرائيل ثلاث سنين القحط، فمرّ إيلياس بعجوز، فقال لها: هل عندك طعام؟ فقالت: نعم، شيء من دقيق وزيت قليل. قال فدعا بهما ودعا فيه بالبركة ومسه حتى ملأ جرابها دقيقاً وملأ خوابيها زيتاً، فلما رأى بنو إسرائيل ذلك عندها قالوا: من أين لك هذا؟ قالت: مرّ بى رجل من حاله كذا وكذا فوصفته بصفته، فعرفوه وقالوا: ذلك إيلياس، فطلبوه فوجدوه فهرب منهم.

ثم إنه أوى ليلة في بيت امرأة من بنى إسرائيل لها ابن يقال له: اليسع ابن أخطوب وكان به ضر، فأوته وأخفت أمره، فدعا له فعوفى من الضر الذي كان به، واتبع اليسع إيلياس فأمن به وصدّقه ولزمه، وكان يذهب به حيثما ذهب، وكان إيلياس قد أسنّ وكبر، وكان اليسع غلاماً شاباً.

ثم إن الله سبحانه وأوحى إلى إيلياس: «إنك قد أهلك كثيرًا من الخلق ممن لم يعص سوى بنى إسرائيل من البهائم والدواب والطيور والهوام والشجر يحبس المطر من بنى إسرائيل». فيزعمون - والله أعلم - أن إيلياس قال: «يا ربّ دعنى أكن أنا الذى أدعو لهم به، وآتيهم بالفرج مما هم فيه من البلاء الذى أصابهم لعلهم أن يرجعوا وينزعوا عما هم عليه من عبادة غيرك». قيل له: «نعم».

فجاء إيلياس إلى بنى إسرائيل فقال لهم: «إنكم قد هلكتم جوعاً وجهداً، وهلكت البهائم والدواب والطيور والهوام والشجر لخطاياكم، وإنكم على باطل وغرور، فإن كنتم تحبون أن تعلموا ذلك فاخرجوا بأصنامكم تلك فإن استجابت لكم فذلك كما تقولون، وإن هى لم تفعل علمتم أنكم على باطل فنزعتهم، ودعوت الله ففرج عنكم ما أنتم فيه من البلاء». قالوا: أنصفت.

فخرجوا بأوثانهم فدعوها فلم تستجب لهم ولم يفرج عنهم ما كانوا فيه من البلاء، ثم قالوا للإيلياس (عليه السلام): يا إيلياس إنا قد هلكنا فادع الله لنا. فدعا لهم إيلياس ومعه اليسع بالفرج عنهم مما هم فيه، وأن يسقوا، فخرجت سحابة مثل الترس على ظهر البحر، وهم ينظرون، فأقبلت نحوهم وطبقت الآفاق، ثم أرسل الله تعالى عليهم المطر وأغاثهم وحييت بلادهم. فلما كشف الله عنهم الضرر نقضوا العهد، ولم ينزغوا عن كفرهم، ولم يقلعوا عن ضلالتهم، وأقاموا على حيث ما كانوا عليه، فلما رأى إيلياس ذلك دعا ربه عز وجل أن يريحه منهم، فليل له - فيما يزعمون - انظر يوم كذا، فخرج فيه إلى موضع كذا، فما جاءك من شىء فاركبه ولا تهبه.

فخرج إيلياس ومعه اليسع بن أخطوب، حتى إذا كان بالموضع الذى أمر، أقبل فرس من نار حتى وقف بين يديه، فوثب عليه إيلياس، فانطلق به الفرس، فناداه اليسع: يا إيلياس، ما تأمرنى؟ فقذف إليه بكسائه من الجوّ الأعلى، وكان ذلك علامة استخلافه إياه على بنى إسرائيل، فكان ذلك آخر العهد به، ورفع الله سبحانه إيلياس من بين أظهرهم، وقطع عنه لذّة الطعام والمشرب، وكساه الرّيش، فكان إنسياً ملكياً، أرضياً سماوياً، وسلّط الله تعالى على أجب الملك وقومه عدواً لهم، فقصدتهم من حيث لم يشعروا بهم حتى رهقهم، فقتل أجب ملكهم وأزبيل امرأته فى بستان مزدكى، فلم تزل جيفتاهما ملقاتين فى تلك الجنينة حتى بليت لحومهما ورميت عظامهما.

ونبأ الله سبحانه بفضل اليسع، وبعثه رسولاً إلى بنى إسرائيل وأوحى إليه وأيده بمثل ما أيد

به عبده إلياس ، فأمنت به بنو إسرائيل ، فكانوا يعظمونه ويتنهون إلى أمره ، وحكم الله تعالى فيهم قائم إلى أن فارقههم اليسع .

أخبرني ابن فنجويه قال : حدثنا أبو بكر بن مالك القطيعي ، قال : حدثنا عبد الله بن أحمد ابن حنبل قال : حدثنا الحسن بن عبد العزيز الجدوي ، عن ضمرة ، عن السدي بن يحيى عن عبد العزيز بن أبي رواد قال : إلياس والخضر عليهما السلام يصومان شهر رمضان بيت المقدس ، ويوافيان الموسم في كل عام .

وأخبرني ابن فنجويه قال : حدثنا ابن ماجه ، قال : حدثنا الحسن بن أيوب ، قال : حدثنا عبد الله بن أبي زياد قال : حدثنا يسار قال : حدثنا بشر بن منصور قال : حدثني سعيد بن أبي سعيد البصري قال : قال حدثني العلاء الجلي عن زيد مولى عون الطفاوى عن رجل من أهل عسقلان كان يمشى بالأردن عند نصف النهار ، فرأى رجلاً فقال : يا عبد الله من أنت ؟ قال : فجعل لا يكلمنى ، قلت : يا عبد الله من أنت ؟ قال : «أنا إلياس» قال فوكت على رعدة ، فقلت : ادع الله يرفع عنى ما أجد حتى أفهم حديثك وأعقل عنك . قال : فدعا لى بشمانى دعوات : «يا بر يا رحيم يا حنان يا منان يا حى يا قيوم» ، ودعوتين بالسريانية لم أفهمهما .

قال : ورفع الله عنى ما كنت أجد ، فوضع كفه بين كتفى فوجدت بردها بين يدي ، قال : فقلت له : يوحى إليك اليوم؟ قال : «منذ بعث الله سبحانه محمداً رسولاً فإنه ليس يوحى إلى» قال : قلت له : كم الأنبياء اليوم أحياء؟ قال : «أربعة ، اثنان فى الأرض ، واثنان فى السماء ، فى السماء عيسى وإدريس ، وفى الأرض إلياس والخضر . قلت : كم الأبدال؟ قال : «ستون رجلاً ، خمسون منهم من لدن عريش مصر إلى شاطئ الفرات ، ورجل بالمصيصة ورجلان بعسقلان وسبعة فى سائر البلدان ، كلما أذهب الله بواحد ، جاء الله بأخر ، بهم يدفع عن الناس وبهم يمتطرون» . قلت : فالخضر أين يكون؟ قال : «فى جزائر البحر» . قلت : فهل تلقاه؟ قال : «نعم» . قلت : أين؟ قال : «بالموسم» قلت : فما يكون من حديثكما؟ قال : «يأخذ من شعرى وأخذ من شعره» .

قال : وذاك حين كان بين مروان بن الحكم وبين أهل الشام القتال ، فقلت : فما تقول فى مروان بن الحكم؟ قال : «ما تصنع به؟ رجل جبّار عات على الله سبحانه ، القاتل والمقتول والشاهد فى النار» . قال : قلت : فإنى قد شهدت فلم أظعن برمح ولم أرم بسهم ولم أضرب بسيف ، وأنا أستغفر الله عز وجل من ذلك المقام أن أعود إلى مثله أبداً . قال : «أحسنت ، هكذا فكن» .

قال: فإنني وإياه قاعدان، إذ وضع بين يديه رغيفان أشد بياضاً من الثلج، أكلت أنا وهو رغيفاً وبعض آخر ثم رفع فما رأيت أحداً وضعه ولا أحداً رفعه. قال: وله ناقة ترعى في وادي الأردن، فرفع رأسه إليها فما دعاها حتى جاءت فبركت بين يديه فركبها، قلت: أريد أن أصحبك. قال: «إنك لا تقدر على صحبتي». قلت: إني خلوّ، ما لي زوجة ولا عيال. قال: «تزوج وإياك والنساء الأربع: إياك والناشز والمختلعة والملاعنة والمبارية، وتزوج ما بدا لك من النساء». قال: قلت: إني أحب لقاءك. قال: «إذا رأيتني فقد لقيتني»، ثم قال: «إني أريد أن أعتكف في بيت المقدس في شهر الله المبارك رمضان».

قال: ثم حالت بيني وبينه شجرة، فوالله ما أدري كيف ذهب، فذلك قوله عز وجل: ﴿وَإِنَّ الْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۖ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَأَنْتُمْ أَكْبَرُونَ ۖ أَتَعْبُدُونَ بَعْلًا؟ وَهُوَ اسْمُ صَنَمٍ لَهُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَهَا، ولذلك سميت مدينتهم بعلبك، وقال مجاهد وعكرمة والسدي: البعل الرب بلغة أهل اليمن، وهى رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس قال ابن عباس: وسألت أعرابياً يقول لآخر: من بعل هذه الناقة؟ يعنى صاحبها. قال الفراء: هى بلغة هذيل.

﴿وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَلْقِينَ﴾، فلا تعبدونه: ﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ﴾، قرأ حمزة والكسائي وخلف ويعقوب بنصب الهاء والباءين على البدل، وهى اختيار أبو عبيد وأبو حاتم ورواية حفص عن عاصم، وقرأ الآخرون برفعها على الاستئناف.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأْتَهُمْ لَحِظْرُونَ﴾: فى العذاب والنار ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾: من قومه فإنهم... (١) ﴿وَوَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ سَلَّمْ عَلَىٰ إِيَّاسِينَ﴾: قرأ ابن محيصن وشيبة ﴿سَلَّمْ عَلَىٰ إِيَّاسِينَ﴾: موصولاً.

وقرأ ابن عامر ونافع ويعقوب (آل ياسين) بالمد. الباقون: ﴿إِلَّا يَاسِينَ﴾: بالقطع والقصر، فمن قرأ آل ياسين بالمد، فإنه أراد آل محمد عن بعضهم، وقيل: أراد إلياس، وهو أليق بسياق الآية، ومن قرأ آل ياسين فقد قيل: إنها لغة فى إلياس مثل إسماعيل وإسماعين وميكائيل ومكائين، وقال الفراء: هو جمع، أراد إلياس وأتباعه من المؤمنين كقولهم: الأشعرون والمكيون وقال الكسائي: العرب تشي وتجمع الواحد كقول الشاعر:

❖ قدنى من نصر الحبيبين قدى

وإنما هو أبو خبيب عبد الله بن الزبير. وقال الآخر:

❖ جزانى الزهدمان جزاء سوء

وإنما هو زهدم، وفي حرف عبد الله: (وإن إدريس لمن المرسلين، وسلام على إدراسين).  
 ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿وَإِنْ لَوْطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ  
 أَجْمَعِينَ ﴿إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ ﴿وَإِنكُمْ لَتَمُرُونَ عَلَيْهِمْ﴾: أى على آثارهم  
 ومنازلهم، ﴿مُضْجِحِينَ﴾: وقت الصباح، ﴿وَبَالِيلٍ﴾: أيضاً تمرّون، وههنا تمّ الكلام، ثم قال:  
 ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: فتعتبروا؟



﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ  
 الْمُدْحَضِينَ﴾ فَالتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ  
 إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ وَأَنْبَأْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ ﴿  
 وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ﴿فَأَسْتَفْتِهِمُ الرِّبَا  
 الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبُنُونَ﴾ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ ﴿أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ  
 لِيَقُولُونَ﴾ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ  
 تَحْكُمُونَ ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطٰنٌ مُبِينٌ ﴿فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِن كُنْتُمْ  
 صَادِقِينَ﴾ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسْبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿سُبْحٰنَ  
 اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ  
 بِفٰلْتِنِينَ ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ﴾ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ  
 الصَّافُونَ﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ﴾ لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأُولِينَ ﴿  
 لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ﴾ فَكْفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِإِِبَادِنَا  
 الْمُرْسَلِينَ﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿وَإِنْ جُنَدْنَا لَهُمُ الْغٰلِبُونَ﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ ﴿  
 وَأَبْصَرْتُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ  
 الْمُنْدَرِينَ﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ ﴿وَأَبْصَرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ سُبْحٰنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ  
 عَمَّا يُصِفُونَ ﴿وَسَلِّمْ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعٰلَمِينَ ﴿﴾

﴿وَإِنْ يُؤَسِّرْ لِمَنِ الْمُرْسَلِينَ﴾ إِذْ أَبَقَ: ﴿إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾، قال ابن عباس ووهب: كان يونس (عليه السلام) قد وعد قومه العذاب فلما تأخر العذاب عنهم خرج كالمنشور منهم، فقصده البحر وركب السفينة، فاحتبست السفينة، فقال الملاحون: ههنا عبد أبق من سيده، وهذا رسم السفينة إذا كان فيه أبق لا تجرى. فاقترعوا، فوقعت القرعة على يونس، فقالوا: ألا نلقيه في الماء؟ واقترعوا ثانياً وثالثاً فوقعت القرعة على يونس، فقال: «أنا الآبق» وزج نفسه في الماء، فذلك قوله سبحانه: ﴿فَسَاهَمَ﴾: فقارع، والمساهمة: إلقاء السهام على جهة القرعة. ﴿فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾: المقروعين المخلوعين المغلوبين.

﴿فَالْقَمَّةُ﴾: فابتلعه والقمة ﴿الْحُوتِ﴾: وأوحى الله سبحانه إليه أتى جعلت بطنك سجنًا ولم أجعل لك طعاماً، ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾: مذنب، قد أتى بما يلام عليه.

﴿قُلْ لَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾: المنزهين الذاكرين لله سبحانه قبل ذلك في حال الرخاء، وقال ابن عباس: من المصلين، وقال مقاتل: من المصلحين المطيعين قبل العصية، وقال وهب: من العابدين، وقال سعيد بن جبیر: يعنى قوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (الأنبياء: ٨٧) وقال الحسن: ما كانت له صلاة في بطن الحوت ولكنه قدم عملاً صالحاً، ﴿كَلِمَاتٍ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾: لصار بطن الحوت قبراً له إلى يوم القيامة.

﴿فَبَيَّنَّا لَهُ﴾: طرحناه ﴿بِالْعُرَاءِ﴾ قال الكلبي: يعنى وجه الأرض. مقاتل بن حيان: يعنى ظهر الأرض. مقاتل بن سليمان بالبرارى من الأرض. الأخفش بالفناء، الفراء: بالأرض الواسعة. السدى: بالساحل، وأصل العراء الأرض الخالية من الشجر والتّبات، ومنه قيل للمتجرد: عريان. قال الشاعر:

ترك الهام... (١) بالعراء صار للخير حاصر العبقا

﴿وَهُوَ سَقِيمٌ﴾: عليل كالفرخ المغط، واختلفوا في المدة التي لبث يونس (عليه السلام) في بطن الحوت، فقال مقاتل بن حيان: ثلاثة أيام. عطاء: سبعة أيام، ضحاك: عشرين يوماً. السدى والكلبي ومقاتل بن سليمان: أربعين يوماً.

﴿وَأَنْبَأْنَا عَلَيْهِ﴾: أى له، وقيل: عنده، كقوله: ﴿وَلَهُمْ عَلَى ذَنْبٍ﴾ (الشعراء: ١٤) أى عندى ﴿شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ﴾: قال ابن مسعود: يعنى القرع. ابن عباس والحسن ومقاتل هو كل نبت يمتد وينبسط على وجه الأرض، ولا يبقى على الشتاء وليس له ساق نحو القثاء والبطيخ والقرع والحنظل. سعيد بن جبیر: هو كل شىء ينبت ثم يموت من عامه، وقيل: هو يفيعيل من (قطن

(١) يياض بالأصل المخطوط.

بالمكان) إذا قام به إقامة زائل لا إقامة ثابت، وقال مقاتل بن حيان: وكان يستظل بالشجرة، وكانت وعة تختلف إليه فيشرب من لبنها، ﴿وَأَرْسَلْتُهُ﴾: يجوز أن يكون من حبسه في بطن الحوت، تقدير الآية وقد أرسلناه، ويجوز أن يكون بعده، ويجوز أن يكون إلى قوم آخرين.

﴿إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ قال ابن عباس: معناه ويزيدون، قال الشاعر:

فلما اشتد أمر الحرب فينا      تأملنا رياحاً أو رزاما

أى ورزاما، وقال مقاتل: بل يزيدون.

واختلفوا في مبلغ الزيادة على مائة ألف؛ فقال ابن عباس ومقاتل: عشرون ألفاً. الحسن والربيع: بضع وثلاثون ألفاً، ابن حيان: سبعون ألفاً، ﴿فَقَامُوا﴾: عند معاينة العذاب، ﴿فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾: انقضاء آجالهم.

﴿فَأَسْتَفْتِيهِمْ﴾: فسئل يا محمد أهل مكة ﴿الزَّيْنِكَ الْبَنَاتِ وَالَهُمُ الْبَنُونَ﴾؛ وذلك أن جهينة وبنى سلمة بن عبد الدار زعموا أن الملائكة بنات الله، ﴿أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ﴾: حاضرون خلقنا إياهم، نظيره قوله: ﴿أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ﴾ (الزخرف: ١٩).

﴿أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِنْكَهَرِي يُقُولُونَ﴾ ولَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿أَصْطَفَى﴾. قرأ العامة بقطع الألف؛ لأنه ألف استفهام دخلت على ألف الوصل فحذفت ألف الوصل وبقيت ألف الاستفهام مفتوحة على حالها مثل ﴿أَسْتَكْبِرْتَ﴾ (ص: ٧٥) و﴿أَسْتَفْتَرْتَ﴾ (المنافقون: ٦) و﴿أَذْهَبْتُمْ﴾ (الأحقاف: ٢٠) ونحوها.

وقرأ أبو جعفر ونافع في بعض الروايات (الكاذبون اصطفى) موصولة على الخبر والحكاية عن قول المشركين، مجازه: ﴿يَقُولُونَ﴾ ولَدَ اللَّهُ: ويقولون ﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ﴾: ثم رجع إلى الخطاب: ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطٰنٌ مُّبِينٌ﴾: برهان بين على أن الله ولداً ﴿فَأَتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسْبًا: فجعلوا الملائكة بنات الله، فسَمَّى الملائكة جنًا لا خبائثهم عن الأبصار، هذا قول مجاهد وقتادة، وقال ابن عباس: قالوا لحي من الملائكة - يقال لهم الجن ومنهم إبليس - بنات الله.

قال الكلبي: قالوا (لعنهم الله): بل تزوج من الجن فخرج منها الملائكة، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، وقال الحسن: أشركوا الشيطان في عبادة الله فهو النسب الذي جعلوه.

﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ﴾: يعنى قائلى هذا القول ﴿لَمُخَضَّرُونَ﴾: فى النار.

﴿سُبْحٰنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخٰصِينَ؛ فإنهم من النار ناجون. ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾: يعنى الأصنام ﴿مَا أَنْتَ عَلَيْهِ﴾: أى مع ذلك ﴿بِفِتْنَيْنِ﴾: ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ



الْجَحِيمِ ﴿١﴾ : أى إلامن هو فى علم الله وإرادته سيدخل النار .

أخبرنى ابن فنجويه قال حدثنا ابن شنبه قال : حدثنا الفريابى قال : حدثنا أبو بكر بن شنبه قال : حدثنا عبد الله بن إدريس عن عمر بن ذر قال : قدمنا على عمر بن عبد العزيز فذكر عنده القدر ، فقال عمر بن عبد العزيز : لو أراد الله ألا يعصى ما خلق إبليس وهو رأس الخطيئة ، وإن فى ذلك لعلمًا من كتاب الله ، وجهله من جهله وعرفه من عرفه ، ثم قرأ ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١﴾ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَتَنِينَ ﴿٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ ﴿٣﴾ ، وقد فصلت هذه الآية بين الناس .

وأخبرنى ابن فنجويه قال : حدثنا ابن شنبه قال : حدثنا الفريابى قال : حدثنا إسحاق بن موسى الأنصارى قال : حدثنا أنس بن عياض قال : حدثنى أبو سهيل نافع بن مالك بن أبى عامر قال لى عمر بن عبد العزيز (من فيه إلى أذنى) : ما تقول فى الذين يقولون لا قدر؟ قال : أرى أن يستتابوا ، فإن تابوا وإلا ضربت أعناقهم . قال عمر بن عبد العزيز : ذلك الرأى فىهم والله لو لم يكن إلا هذه الآية الواحدة لكفى بها : ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١﴾ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَتَنِينَ ﴿٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ ﴿٣﴾ .

﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ﴾ : يعنى إلامن له ﴿مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ : مكان مخصوص فى العبادة . قال ابن عباس : ما فى السموات موضع شبر إلا وعليه ملك مصل أو مسبح ، وقال أبو بكر الوراق : ﴿إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ : يعبد الله عليه ، كالخوف والرجاء ، والمحبة والرضا ، وقال السدى : يعنى فى القربى والمشاهدة .

﴿وَأِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ﴾ : فى الصلاة ، ﴿وَأِنَّا لَنَحْنُ الْمُسْتَجِبُونَ﴾ : وإن كانوا : وقد كادوا يعنى أهل مكة ﴿يَقُولُونَ﴾ : لام التأكيد : ﴿لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأُولِينَ﴾ : كتابًا مثل كتبهم ، ﴿لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ : فكفروا به : فيه اختصار تقديره : فلما أتاهم ذلك الكتاب كفروا به . نظيره قوله : ﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ﴾ (الأنعام : ١٥٧) .

﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ : وهذا وعيد لهم .

﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾ ، وهى قوله : ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ (المجادلة : ٢١) .

﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ﴾ : وَإِنْ جُنَدَنَا لَهُمُ الْعَالِيُونَ ﴿١﴾ قَوْلٌ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢﴾ قال ابن عباس : يعنى الموت ، وقال مجاهد : يعنى يوم بدر ، وقيل : إلى يوم القيامة ، وقال مقاتل بن حيان : نسختها آية القتال .

﴿وَأَبْصِرْهُمْ﴾ : أنظر إليهم إذا عدوا ، وقيل : أبصر حالهم بقليل ، وقيل انتظرهم ﴿فَسَوْفَ

يُبْصِرُونَ»: ما أنكروا ﴿أَفِعِدَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾: وذلك أن رسول الله عليه السلام لما أوعدهم العذاب، قالوا: متى هذا الوعد؟ فأنزل الله سبحانه هذه الآية.

﴿فَإِذَا نَزَلَ﴾: العذاب ﴿بِسَاحَتِهِمْ﴾: بناحيتهم وفنائهم ﴿فَسَاءَ﴾: فبئس ﴿صَبَاحُ الْمُنذِرِينَ﴾: الكافرين. أخبرنا أبو عبد الله بن محمد بن عبد الله الزاهد، قال: أخبرنا أبو العباس السراح قال حدثنا محمد بن رافع قال: أخبرنا عبد الرزاق قال: أخبرنا معمر عن قتادة عن أنس في قوله: ﴿فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذِرِينَ﴾ قال: لما أتى النبي ﷺ خيبر فوجدهم حين خرجوا إلى زرعهم ومعهم مساحيهم، فلما رأوه ومعهم الجيش نكصوا، فرجعوا إلى حصنهم، فقال النبي عليه السلام: «الله أكبر خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين».

﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ۖ وَأَتِصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾: تأكيد للأولى.

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ﴾- إلى آخر السورة- أخبرني ابن فنجويه قال: حدثنا عمر بن الخطاب قال: حدثنا أبو مسلم: حدثنا محمد بن إسماعيل بن محمد بن أسد بن عبد الله الأصفهاني قال: حدثنا أسيد بن عاصم قال: حدثنا أبو سفيان بن صالح بن مهران قال: حدثنا نعمان قال: حدثنا أبو العوام عن قتادة عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا سلمتم علىّ فسلموا على المرسلين؛ فإنما أنا رسول من المرسلين».

قال أبو العوام: كان قتادة يذكر هذا الحديث إذا تلا هذه الآية: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ﴾ إلى آخر السورة.

وأخبرنا ابن فنجويه قال: حدثنا موسى بن محمد قال: حدثنا الحسن بن علوية قال: حدثنا إسماعيل بن عيسى قال حدثنا المسيب قال: حدثنا مطرف عن أبي هارون العبدى عن أبي سعيد الخدرى قال: كان رسول الله ﷺ يقول قبل أن يسلم: ﴿سُبْحَانَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۖ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ۖ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

وأخبرني ابن فنجويه قال: حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان قال: حدثنا إبراهيم بن سهلويه قال: حدثنا علي بن محمد الطنافسى قال: حدثنا وكيع عن ثابت بن أبي صفية عن الأصعب بن نباتة عن علي بن رضى الله عنه قال: «من أحب أن يكتال بالملكيات الأوفى من الأجر يوم القيامة، فليكن آخر كلامه من مجلسه ﴿سُبْحَانَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۖ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ۖ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾».

أخبرنا ابن فنجويه، أخبرنا الحسن الخلدى المقرئ عن أبي الحسن علي بن أحمد عن أبي

عثمان البصرى عن أبى خليفة الجمحى عن عبد المؤمن عن إبراهيم بن إسحاق عن عبد الصمد عن صالح بن مسافر قال: قرأت على عصام بن أبى النجود سورة الصافات فلما أتيت على آخرها سكت، فقال: لم؟ اقرأ.

فقلت: قد ختمت، قال إنى فعلت كما فعلت على أبى عبد الرحمن السلمى، فقال أبو عبد الرحمن: كذلك قال لى على وقال لى: قل: آذنتكم بأذانه المرسلين و(لتسألن عن النبأ العظيم).



## سُورَةُ الصَّ

وهي ثلاثة آلاف وسبعة وستون حرفاً ،  
وسبعمائة واثنان وثلاثون كلمة ، وثمان وثمانون آية

من كتاب ثواب الأعمال : أخبرنا إبراهيم قال : حدثنا سلام في إسناده قال : ومن قرأ سورة ص كان له من الأجر مثل جبل سحره الله لداود عشر حسنات ، وعصم من أن يصر على ذنب صغير أو كبير .

حدثنا إبراهيم بن محمد بن الحسن قال : حدثنا أبو الربيع قال : حدثنا ابن وهب قال : حدثني العطف بن خلد عن عبد الرحمن بن حرملة عن برد مولى سعيد بن المسيب : أن ابن المسيب كان لا يدع أن يقرأ كل ليلة ص .

قال العطف : فلقيت عمران بن محمد بن سعيد بن المسيب فسألته عن ذلك .  
قال : بلغني أنه ما من عبد يقرأها كل ليلة إلا اهتز له العرش .

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿صَّ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَلَا تَحْنِمْهُمْ ﴿٣﴾ وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَاْفِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَّ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ ﴿٥﴾ وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ آمَسُوا وَأَصْبَرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَافٌ ﴿٧﴾﴾

﴿صَّ﴾ : قرأ العامة بالجزم ، واختلفوا في معناه .

فقال الكلبي : عن أبي صالح ، سئل جابر بن عبد الله وابن عباس عن ﴿صَّ﴾ : فقالوا : لا

ندري .

وقال عكرمة : سأل نافع الأزرق عبد الله بن عباس عن ﴿صَّ﴾ : فقال : كان بحراً بمكة

وكان عليه عرش الرحمن، إذ لا ليل ولا نهار.

سعید بن جبیر: ﴿صَّ﴾: بحر يُحْيِي الله به الموتى بين النفختين.

الضحاك: صدق الله. مجاهد: فاتحة السورة. قتادة: اسم من أسماء القرآن. السدي:

قسم أقسم الله سبحانه وتعالى به، وهو اسم من أسماء الله عز وجل. وهى رواية الوالبي عن ابن عباس.

محمد بن كعب القرظي: هو مفتاح أسماء الله، صمد، وصانع المصنوعات، وصادق الوعد.

وقيل: هو اسم السورة، وقيل: هو إشارة إلى صدور الكفار من القرآن.

وقرأ الحسن وابن أبي إسحاق: صاد بخفض الدال، من المصاداة، أى عارض القرآن

بعملك وقابله به، واعمل بأوامره، وائته عن نواهيته.

وقرأ عيسى بن عمر صاد بفتح الدال، ومثله قاف ونون، لاجتماع الساكنين، حركها إلى

أخف الحركات.

وقيل: على الإغراء.

وقيل فى ﴿صَّ﴾: إن معناه صاد محمد قلوب الخلق واستمالها حتى آمنوا به.

﴿وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾: قال ابن عباس ومقاتل: ذى البيان.

الضحاك: ذى الشرف، دليله قوله عز وجل ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ (الزخرف: ٤٤).

وقيل: ذى ذكر الله عز وجل.

واختلفوا فى جواب القسم، فقال قتادة: موضع القسم قوله: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ كما قال

سبحانه: ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ ﴿بَلِ عَجِبُوا﴾ (ق: ١، ٢). وقال الأخفش جوابه قوله: ﴿إِنْ كُلُّ إِلَّا

كَذَّبَ الرُّسُلَ﴾ (ص: ١٤). كقوله عز وجل: ﴿تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا...﴾ (الشعراء: ٩٧). وقوله: ﴿وَالسَّمَاءِ

وَالطَّارِقِ... إِنْ كُلُّ نَفْسٍ﴾ (الطارق: ١-٤). وقيل: قوله: ﴿إِنَّ هَذَا لِرِزْقِنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾ (ص: ٥٤).

وقال الكسائي: قوله: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لِحَقٌّ تَخَاصُرُ أَهْلِ النَّارِ﴾ (ص: ٦٤).

وقيل: مقدم ومؤخر تقديره: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ ﴿وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾.

وقال الفراء: ﴿صَّ﴾ معناها وجب وحق، فهى جواب لقوله: ﴿وَالْقُرْآنِ﴾ كما تقول: نزل

والله.

وقال القتيبي من قال جواب القسم ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قال: «بل» إنما تجيء لتدارك كلام

ونفى آخر، ومجاز الآية أن الله أقسم بـ ﴿صَّ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ

وَشَقَاقٍ ﴿﴾ : ويعنى حمية جاهلية وتكبر .

﴿وَشَقَاقٍ﴾ : يعنى خلاف وفراق .

﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوا﴾ : بالإيمان والاستغاثة عند نزول العقوبة وحلول النعمة

بهم .

﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ : وليس بوقت فرار ولا بر .

وقال وهب : ﴿وَلَاتَ﴾ : بلغة السريانية إذا أراد السريانى أن يقول وليس يقول : ولات .

وقال أئمة أهل اللغة : ﴿وَلَاتَ حِينَ﴾ : مفتوحتان كأنهما كلمة واحدة ، وإنما هى «لا»

زيدت فيها التاء كقوله : رَبُّ وَرَبَّتْ ، وَثَمَّ وَثَمَّتْ .

قال أبو زيد الطائى :

طلبوا صلحنا ولات أو ان فأجبنا أن ليس حين بقاء

وقال آخر :

تذكرت حبّ ليلى لات حيناً وأمسى الشيب فقطع القرينا

وقال قوم : إن التاء زيدت فى حين كقول أبى وجزة السعدى :

العاطفون حين ما من عاطف والمطعمون زمان ما من مطعم

وتقول العرب : تلان بمعنى الآن ، ومنه حديث ابن عمر سأله رجل عن عثمان رضى الله

عنه فذكر مناقبه ثم قال : اذهب بها تلان إلى أصحابك يريد الآن .

وقال الشاعر :

تولى قبل يوم بين حمانا وصلينا كما زعمت تLANا

فمن قال : إن التاء مع «لا» قالوا : قف عليه لأن بالتاء . . . (١) .

وروى قتبية عن الكسائى أنه كان يقف : وراه بالهاء ، ومثله روى عن أهل مكة ، ومن قال :

إن التاء مع حين . قالوا : قف عليه ولا ، ثم يتدئ بحين مناص . وهو اختيار أبى عبيد قال :

لأنى تعمدت النظر إليه فى مصحف الإمام عثمان بن عفان رضى الله عنه فوجدت التاء متصلة

مع حين قد ثبتت : «تحين» .

وقال الفراء : النوص بالنون التأخر ، والبوص بالباء التقدم . وجمعهما امرؤ القيس فى بيت

فقال :

أمن ذكر ليلى إذ نأتك تنوص فتقصر عنها خطوة وتبوص

(١) بياض بالأصل المخطوط .

فمناص مفعل من ناص مثل مقام .

قال ابن عباس : كان كفار مكة إذا قاتلوا فاضطروا فى الحرب قال بعضهم لبعض : مناص ، أى اهربوا وخذوا حذرکم ، فلما نزل بهم العذاب بيدر قالوا : مناص ، فأنزل الله سبحانه ﴿وَلَات حِينَ مَنَاصٍ﴾ .

﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكٰفِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذٰبٌ ۗ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلٰهًا وَّاحِدًا ۗ﴾ .

وذلك أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أسلم فشق ذلك على قريش وفرح به المؤمنون ، فقال الوليد بن المغيرة للملأ من قريش ، وهم الصناديد والأشراف ، وكانوا خمسة وعشرين رجلاً ، الوليد بن المغيرة وهو أكبرهم سنًا ، وأبو جميل ابن هشام ، وأبى وأمىة ابنا خلف ، وعمر بن وهب بن خلف ، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة ، وعبد الله بن أمية والعاص بن وائل ، والحارث بن قيس ، وعدى بن قيس ، والنضر بن الحارث ، وأبو البحتري بن هشام ، وقرط بن عمرو ، وعامر بن خالد ، ومحرمة بن نوفل ، وزمعة بن الأسود ، ومطعم بن عدى ، والأخنس ابن سريق ، وحويطب ابن عبد العزى ، ونيبه ومنبه ابنا الحجاج ، والوليد بن عتبة ، وهشام بن عمر بن ربيعة ، وسهيل بن عمرو ، فقال لهم الوليد بن المغيرة : امشوا إلى أبى طالب . فأتوا أبا طالب فقالوا له : أنت شيخنا وكبيرنا ، وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء ، وإنا أتيناك لتقضى بيننا وبين ابن أخيك . فأرسل أبو طالب إلى النبى ﷺ فدعاه فقال له : يا ابن أخ هؤلاء قومك يسألونك السواء فلا تم كل الميل على قومك .

فقال رسول الله ﷺ : «وماذا يسألوننى؟» فقال : يقولون ارفضنا وارفض ذكر آلهتنا وندعك وإلهك .

فقال النبى عليه السلام : «أتعطوننى كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم؟» فقال أبو جهل : لله أبوك لنعطينكها وعشر أمثالها .

فقال رسول الله ﷺ : «قولوا لا إله إلا الله» . فنفروا من ذلك وقاموا وقالوا : ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلٰهًا وَّاحِدًا ۗ﴾ : كيف يسع الخلق كلهم إله واحد .

﴿إِنَّ هَذَا شَيْءٌ عَجَابٌ ۗ﴾ : أى عجيب .

قال مقاتل : بلغة أزد شنوءة .

قال أهل اللغة : العجيب والعجاب واحد كقولك كريم وكبير وكبار وطويل وطوال وعريض وعراض وسكين حديد وحداد .

أنشد الفراء:

كحلقة من أبى رماح      تسمعها لاهة الكبار

وقال آخر:

نحن أجدنا دونها الضرابا      إننا وجدنا ماءها طيابا

يريد طيباً.

وقال عباس بن مرداس: تعدو به سلمية سُرعة. أى سريعة.

وقرأ أبو عبد الرحمن السلمى وعيسى بن عمر: عَجَابٌ بالتشديد. وهو المفرط فى

العجب.

فأنشد الفراء:

أثرت إدلاجى على ليل جرة      هضيم الحشا حسانة المتجرد

وأنشد أبو حاتم:

جاءوا بصيد عَجَبٍ من العجب      أزيق العينين طوال الذنب

﴿وَأَنْطَلِقُ الْمَلَأَ مِنْهُمْ أَنْ آمَسُوا﴾: يعنى إلى أبى طالب فاشكوا إليه ابن أخيه ﴿وَأَصْبِرُوا﴾:

واثبتوا ﴿عَلَى الْهَيْكَةِ﴾: نظيرها فى الفرقان ﴿لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾ (الفرقان: ٤٢).

﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾: أى لأمر يراد بنا ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا﴾: الذى يقول محمد ﴿فِي الْمَلَةِ

الْآخِرَةِ﴾.

قال ابن عباس والقرطى والكلبى ومقاتل: يعنون النصرانية، لأن النصرارى تجعل مع الله

إلهاً.

وقال مجاهد وقتادة: يعنون ملة قريش، ملة زماننا هذا.

﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا آخِلِقُ﴾.



﴿أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَدُوُّوا عَذَابٍ ﴿١﴾ أَمْ

عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ﴿٢﴾ أَمْ لَهُمْ مَثَلُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا

فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ ﴿٣﴾ جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ ﴿٤﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ

وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ﴿٥﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ ﴿٦﴾ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ ﴿٧﴾ إِنَّ كُلَّ



إِلَّا كَذَّبَ الرَّسُلَ فَحَقَّ عِقَابٌ ﴿١٠﴾ وَمَا يَنْظُرُ هَتَّوْلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ ﴿١١﴾  
 وَقَالُوا رَبَّنَا عَجَلْنَا قَطْنًا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴿١٢﴾ أَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا  
 الْأَيْدِ إِنَّهُ وَأَوَّابٌ ﴿١٣﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعُشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٤﴾ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً  
 كُلٌّ لَهُ وَأَوَّابٌ ﴿١٥﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَءَاتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَلَ الْخِطَابِ ﴿١٦﴾ وَهَلْ أَتَاكَ  
 نَبُؤُا الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴿١٧﴾

﴿أَمْ بَرَأَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ﴾ : القرآن ﴿مِنْ بَيْنِنَا﴾ : قال الله عز وجل : ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي﴾ أى

وحىي .

﴿بَلْ لَمَّا﴾ : أى لم ﴿يَدْعُوا عَذَابِ﴾ : ولو ذاقوه لما قالوا هذا القول ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنٌ رَحْمَةٍ﴾ :  
 نعمة ﴿رَبِّكَ﴾ : يعنى مفاتيح النبوة، نظيرها فى الزخرف ﴿أَمْ هُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾  
 (الزخرف: ٣٢) أى نبوة ربك ﴿الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ﴾ أم لهم ملك السموات والأرض وما بينهما فليزققوا فى  
 الأسباب : أى فليصعدوا فى الجبال إلى السموات، فليأتوا منها بالوحى إلى من يختارون  
 ويشاءون، وهذا أمر توييخ وتعجيز .

وقال الضحاك ومجاهد وقتادة: أراد بالأسباب: أبواب السماء وطرقها .

﴿جُنْدٌ﴾ : أى هم جُند ﴿مَّا هُنَالِكَ﴾ : أى هنالك و(ما) صلة ﴿مَهْرُومٌ﴾ : مغلوب، ممنوع عن  
 الصعود إلى السماء ﴿مِنَ الْأَحْزَابِ﴾ : أى من جملة الأجناد .

وقال أكثر المفسرين: يعنى أن هؤلاء الملأ الذين يقولون هذا القول، جند مهزوم مقهور  
 وأنت عليهم مظفر منصور .

قال قتادة: وعده الله عز وجل بمكة أنه سيهزمهم، فجاء تأويلها يوم بدر من الأحزاب، أى  
 كالقرون الماضية الذين قهروا وأهلكوا، ثم قال معزياً لنبيه ﷺ : ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ  
 وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ﴾ : قال ابن عباس: ذو البناء المحكم .

وقال القتيبي: والعرب تقول: هم فى عز ثابت الأوتاد، وملك ثابت الأوتاد، يريدون أنه  
 دائم شديد، وأصل هذا أن البيت من بيوتهم بأوتاده .

قال الأسود بن يعفر: فى ظل ملك ثابت الأوتاد .

وقال الضحاك: ذو القوة والبطش .

وقال الحلبي ومقاتل: كان يعذب الناس بالأوتاد، وكان إذا غضب على أحد مدّه مستلقياً

بين أربعة أوتاد كل رجل منه إلى سارية وكل يد منه إلى سارية، فيتركه كذلك في الهواء بين السماء والأرض حتى يموت.

وقال مقاتل بن حيان: كان يمد الرجل مستلقياً على الأرض ثم يشده بالأوتاد.

وقال السدي: كان يمد الرجل ويشده بالأوتاد ويرسل عليه العقارب والحيات.

وقال قتادة وعطاء: كان له أوتاد وأرسال وملاعب يلعب عليها بين يديه.

﴿وَتُؤَدُّ وَقُورًا لَوْ طِ وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَخْرَابُ ﴿١٠﴾﴾: ما كل منهم ﴿إِلَّا كَذَّابٌ﴾  
 أُرْسِلَ فَحَقَّ عِقَابٌ ﴿﴾: فوجب عليهم ونزل بهم عذابي ﴿وَمَا يَنْظُرُونَ﴾: ينتظر ﴿هَتُؤَاءً﴾: يعني  
 كفار مكة ﴿إِلَّا صَيِّحَةً وَاحِدَةً﴾: وهى نفخة القيامة.

وقد روى هذا التفسير مرفوعاً إلى النبي عليه السلام.

﴿مَأَلَهَا مِنْ فَوَاقٍ﴾.

قال ابن عباس وقتادة: من رجوع. الوالبي: يزداد. مجاهد: نظرة. الضحاك: مستوية.

وفيه لغتان: (فُواق) بضم الفاء وهى لغة تميم، وقراءة يحيى والأعمش وحمزة والكسائى  
 وخلف. و(فَواق) بالفتح وهى لغة قريش، وقراءة سائر القراء واختيار أبى عبيد.  
 قال الكسائى: هما لغتان بمعنى واحد، كما يقال حُمام المكوك وحمامه، وقصاص الشعر  
 وقصاصه.

وفرَّق الآخرون بينهما.

قال أبو عبيدة والمؤرج: بالفتح بمعنى الراحة والإفاقة كالجواب من الإجابة، ذهباً به إلى  
 إفاقة المريض من علته، و(الفُواق) بالضم ما بين الحلبتين، وهو أن يحلب الناقة ثم تترك ساعة  
 حتى يجتمع اللبن فما بين الحلبتين فواق. فاستعير فى موضع الانتظار مدة يسيرة.

قال رسول الله ﷺ: «من رابط فواق ناقة فى سبيل الله حرّم الله جسده على النار».

﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطْنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾.

قال سعيد بن جبير عن ابن عباس: يعنى كتابنا.

وعنه أيضاً: القط الصحيفة التى أحصت كل شىء.

قال أبو العالية والكلبى: لما نزلت فى الحاقة ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِرَيْمِينِهِ﴾ (الحاقة: ١٩)، ﴿وَأَمَّا  
 مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ﴾ (الحاقة: ٢٥).

قالوا على جهة الاستهزاء: (عجّل لنا قطنا) يعنون كتابنا عجله لنا فى الدنيا.

قيل: يوم الحساب.

وقال الحسن وقتادة ومجاهد والسدى: يعنى عقوبتنا وما كتب لنا من العذاب.  
قال عطاء: قاله النضر بن الحارث، وهو قوله: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ أَلْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (الأنفال: ٣٢) وهو الذى قال الله سبحانه ﴿سَأَلُ بِعَذَابٍ وَّاقِعٍ﴾ (المعارج: ١).

قال عطاء: لقد نزلت فيه بضع عشرة آية من كتاب الله عز وجل.  
وقال سعيد بن جبير: يعنون حظنا ونصيبنا من الجنة التى تقول.  
قال الفراء: القط فى كلام العرب الحظ، ومنه قيل للصك قط.  
وقال أبو عبيدة والكسائى: القط الكتاب بالجوائذ.  
قال الأعشى:

ولا الملك النعمان يوم لقيته      بغبطته يعطى القطوط ويأفق

يعنى كتب الجوائز أى بفضل وبعلو يقال فرس أفق وناقاة أفقة إذا كانا كريمين، وفضلاً على غيرهما.

وقال مجاهد: قطنًا حسابنا، ويقال لكتاب الحساب: قط، وأصل الكلمة من الكتابة.  
فقال الله سبحانه لنبيه عليه السلام: ﴿أَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ﴾: ذا القوة فى العبادة ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾: مطيع.  
عن ابن عباس: رجاع إلى التوبة.  
عن الضحاك، سعيد بن جبير: هو المسبح بلغة الحبش.

أخبرنى الحسين بن محمد الدينورى قال: حدثنا الفضل بن الفضل الكندى قال: حدثنا أبو العباس عبد الله بن جعفر بن أحمد بن فارس ببغداد قال: حدثنا أحمد بن عبد الله بن القاسم قال: حدثنا عمرو بن حصين قال: حدثنا الحسين بن عمر عن أبى بكر الهذلى عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «الزرقة يمين وكان داود النبى (عليه السلام) أزرق».

﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ﴾: بتسبيحه.

قال ابن عباس: وكان يفهم تسبيح الحجر والشجر.  
﴿بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾

أخبرنى ابن فتجويه قال: حدثنا ابن شنيه قال: حدثنا الحسين بن يحيويه قال: حدثنا أبو أمية محمد بن إبراهيم قال: حدثنا الحجاج بن نصير قال: حدثنا أبو بكر الهذلى عن عطاء بن

أبى رباح عن ابن عباس قال كنت أمرُّ بهذه الآية لا أدري ما العشى والإشراق، حتى حدثتني أم هانئ بنت أبى طالب أن رسول الله عليه السلام دخل عليها فدعا بوضوء فتوضأ، ثم صلى الضحى وقال: «يا أم هانئ هذه صلاة الإشراق».

وروى عطاء الخراسانى عن ابن عباس قال: لم يزل فى نفسى من صلاة الضحى شىء حتى طلبتها فى القرآن فوجدتها فى هذه الآية ﴿يَسْبَحْنَ بِالْعُشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾ .  
قال عكرمة: وكان ابن عباس لا يصلى صلاة الضحى ثم صلى بعدها .  
وروى أن كعب الأحبار قال لابن عباس رضى الله عنهما: إنى لأجد فى كتاب الله صلاة بعد طلوع الشمس .

فقال ابن عباس: أنا أوجدك ذلك فى كتاب الله فى قصة داود ﴿يَسْبَحْنَ بِالْعُشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾ :  
وليس الإشراق طلوع الشمس، إنما هو صفاؤها وضوءها .  
﴿وَالطَّيْرِ﴾ : أى وسخرنا له الطير ﴿مَخْشُورَةً﴾ : مجموعة، ﴿كُلُّ لَهْرٍ﴾ : أى لداود،  
﴿أَوْابٍ﴾ : مطيع، ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ﴾ : أى قويناه .  
وقرأ الحسن: وشددنا بتشديد الدال .

قال ابن عباس: كان أشد ملوك الأرض سلطاناً كان يحرس محرابه كل ليلة ثلاثة وثلاثون ألف رجل، فذلك قوله ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ﴾ : بالحرس .  
وأخبرنا عبد الله بن حامد قال: أخبرنا محمد بن خالد بن الحسن قال: حدثنا داود بن سليمان قال: حدثنا عبد بن حميد قال: حدثنا محمد بن الفضل قال: حدثنا داود بن أبى الفرات عن على بن أحمد عن عكرمة عن ابن عباس: أن رجلاً من بنى إسرائيل استعدى على رجل من عظمائهم، فاجتمعا عند داود النبي فقال المستعدى: إن هذا غصبنى بقرتى .  
فسأل داود الرجل عن ذلك فجحده، وسأل الآخر البينة فلم يكن له بيّنة . فقال لهما داود:  
قوما حتى أنظر فى أمركما .

فقاما من عنده، فأوحى الله سبحانه إلى داود (عليه السلام) فى منامه: أن يقتل الرجل الذى استعدى عليه .

فقال: هذه رؤيا ولست أعجل حتى أتثبت .  
فأوحى الله سبحانه إليه مرة أخرى أن يقتله . فلم يفعل، فأوحى الله سبحانه وتعالى إليه الثالثة: أن يقتله أو تأتيه العقوبة من الله، فأرسل داود إلى الرجل فقال له: إن الله قد أوحى إلى أن أقتلك .

فقال له الرجل : تقتلني بغير بينة ولا ثبت!

فقال له داود : نعم ، والله لأنفذن أمر الله فيك .

فلما عرف الرجل أنه قاتله قال : لا تعجل حتى أخبرك أنى والله ما أخذت بهذا الذنب

ولكنى كنت اغتلت والد هذا فقتلته ، فلذلك أخذت .

فأمر به داود فقتل ، فاشتدت هيئته فى بنى إسرائيل عند ذلك لداود ، واشتد به ملكه فهو

قوله سبحانه : ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ﴾ .

﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ﴾ : يعنى النبوة والإصابة فى الأمور . وقال أبو العالية : العلم الذى لا

ترده العقول .

﴿وَفَضَّلَ الْخِطَابِ﴾ : قال ابن عباس : بيان الكلام .

وقال الحسن والكلبى وابن مسعود ومقاتل وأبو عبد الرحمن السلمى : يعنى علم الحكم

والبصر بالقضاء ، كأن لا يتتبع فى القضاء بين الناس ، وهى إحدى الروايات عن ابن عباس .

وقال على بن أبى طالب : هو البينة على المدعى واليمين على من أنكر .

وأخبرنا أبو حفص عمر بن أحمد بن محمد بن عمر الجورى قال : أخبرنا أبو بكر بالويه بن

محمد بن بالويه المرتانى بها ، قال : حدثنا محمد بن حفص الحونى قال : حدثنا نصر بن على

الخميصى قال : أخبرنا أبو أحمد قال : أخبرنا شريك عن الأعمش عن أبى صالح عن كعب

فى قوله : ﴿وَفَضَّلَ الْخِطَابِ﴾ : قال : الشهود والأيمان .

أنبأنى عبد الله بن حامد قال : أخبرنا عبد الله بن محمد قال : حدثنا محمد بن يحيى قال :

حدثنا وهب بن جرير قال : أخبرنا شعبة عن الحكم عن شريح فى قوله : ﴿وَفَضَّلَ الْخِطَابِ﴾ :

قال : الشهود والأيمان . وهو قول مجاهد وعطاء بن أبى رباح .

وأخبرنى ابن فنجويه قال : حدثنا عبد الله بن عبد الله بن أبى سمرة البغوى قال : حدثنا

أحمد بن محمد أبى شيبة قال : حدثنا إسحاق بن إبراهيم البغوى قال : حدثنا إسحاق بن

يوسف الأزرق عن زكريا يعنى ابن أبى زائدة عن السبيعى قال : سمعت زياداً يقول : ﴿وَفَضَّلَ

الْخِطَابِ﴾ الذى أعطى داود ، أما بعد وهو أول من قالها .

﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْرِ﴾ : الآية . اختلف العلماء بأخبار الأنبياء فى سبب امتحان الله

سبحانه نبيه داود بما امتحنه به من الخطيئة .

فقال قوم : كان سبب ذلك أنه تمنى يوماً من الأيام على ربه عز وجل منزلة آبائه إبراهيم

وإسحاق ويعقوب (عليهم السلام) وسأله أن يمتحنه نحو الذى كان امتحنهم ، ويعطيه من

الفضل نحو الذي كان أعطاهم .

وروى السدى والكلبي ومقاتل : عن أشياخهم دخل حديث بعضهم فى بعض قالوا : كان داود قد قسّم الدهر ثلاثة أيام : يوماً يقضى فيه بين الناس ، ويوماً يخلو فيه لعبادة ربّه ، ويوماً يخلو فيه لنسائه وأشغاله . وكان يجد فيما يقرأ من الكتب فضل إبراهيم وإسحاق ويعقوب فقال : يا رب أرى الخير كله قد ذهب به آبائى الذين كانوا قبلى .

فأوحى الله عزّ وجلّ إليه : أنهم ابتلوا ببلاء ما لم تبتل بشيء من ذلك فصبروا عليها . ابتلى إبراهيم بنمرود وبذبح ابنه ، وابتلى إسحاق بالذبح وبذهاب بصره ، وابتلى يعقوب بالحزن على يوسف . وإنك لم تبتل بشيء من ذلك .

فقال داود : ربّ فابتلىنى بمثل ما ابتليتهم وأعطنى مثل ما أعطيتهم .

فأوحى الله سبحانه إليه : أنك مبتلى فى شهر كذا فى يوم كذا واحترس .

فلما كان ذلك اليوم الذى وعده الله تعالى ، دخل داود محرابه وأغلق بابه وجعل يصلى ويقرأ الزبور ، فبينما هو كذلك إذ جاءه الشيطان قد تمثّل فى صورة حمامة من ذهب فيها من كل لون حسن ، فوقعت بين رجليه ، فمدّ يده ليأخذها ويدفعها إلى ابن صغير له ، فلما أهوى إليها طارت غير بعيد ، من غير أن توثيسه من نفسها فامتد إليها ليأخذها فتنحت ، فتبعها فطارت حتى وقعت فى كوة ، فذهب ليأخذها فطارت من الكوة ، فنظر داود أين تقع ، فبعث إليها من يصيدها ، فأبصر امرأة فى بستان على شط بركة لها تغتسل ، هذا قول الكلبي .

وقال السدى : رآها تغتسل على سطح لها ، فرأى امرأة من أجمل النساء خلقاً ، فتعجب داود من حسنها وحانت منها التفاتة وأبصرت ظله ، فنفضت شعرها فغطى بدنّها ، فزاده ذلك إعجاباً بها فسأل عنها . فقيل : هى تشابع بنت شايع امرأة أوريا بن حنانا ، وزوجها فى غزاة بالبلقاء مع أيوب بن سوريا ابن أخت داود .

فكتب داود إلى ابن أخته أيوب صاحب بعث البلقاء : أن ابعث أوريا إلى موضع كذا وقدمه قبل التابوت وكان من قدم على التابوت لا يحل له أن يرجع وراءه حتّى يفتح الله سبحانه على يديه أو يستشهد ، فبعثه وقدمه ففتح له ، فكتب إلى داود بذلك ، فكتب إليه أيضاً : أن ابعثه إلى عدو كذا وكذا . فبعثه ففتح له ، فكتب إلى داود بذلك ، فكتب إليه أيضاً : أن ابعثه إلى عدو كذا أشدّ منه بأساً . فبعثه فقتل فى المرة الثالثة ، فلما انقضت عدّة المرأة تزوّجها داود فهى أم سليمان .

وقال آخرون : سبب امتحانه أن نفسه حدثته أنّه يطيق قطع يوم بغير مقارفة .

وهو ما أخبرنا شعيب بن محمد قال: أخبرنا مكي بن عبدان قال: حدثنا أحمد بن الأزهر قال: حدثنا روح بن عبادة قال: حدثنا سعيد عن مطر عن الحسن قال: إن داود جزأ الدهر أربعة أجزاء: يوماً لنفسائه، ويوماً للعبادة، ويوماً للقضاء بين بنى إسرائيل، ويوماً لبنى إسرائيل يذاكرهم ويذاكرونه ويكيههم ويكونه.

قال: فلما كان يوم بنى إسرائيل ذكروا فقالوا: هل يأتي على الإنسان يوم لا يصيب فيه ذنباً؟

فأضمر داود في نفسه أنه سيطبق ذلك، فلما كان يوم عبادته غلق أبوابه وأمر أن لا يدخل عليه أحد، وأكبّ على قراءة التوراة، وبينما هو يقرأ إذ حمامة من ذهب فيها من كل لون حسن قد وقعت بين يديه، فأهوى إليها ليأخذها، فطارت فوقعت غير بعيد من غير أن توثيسه من نفسها، فما زال يتبعها حتى أشرف على امرأة تغتسل فأعجبه خلقها وحسنها، فلما رأت ظله في الأرض جللت نفسها بشعرها، فزاده ذلك بها إعجاباً، وكان قد بعث زوجها على بعض جيوشه، فكتب إليه أن أسر إلى مكان كذا وكذا مكاناً، إذا سار إليه قُتل ولم يرجع ففعل فأصيب، فخطبها داود فتزوجها.

وقال بعضهم في سبب ذلك ما أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن محمد قال: حدثنا مخلد بن جعفر الباقر جى قال: حدثنا الحسين بن علوية قال: حدثنا إسماعيل قال: حدثنا إسحاق قال: حدثنا سعيد بن بشير عن قتادة عن الحسن قال: قال داود لبنى إسرائيل حين ملك: والله لأعدلن بينكم، فلم يستثن فابتلى به.

وقال أبو بكر محمد بن عمر الوراق، كان سبب ذلك أن داود (عليه السلام) كان كثير العبادة فأعجب بعلمه فقال: هل في الأرض أحد يعمل عملي؟

فأتاه جبريل فقال: إن الله عز وجل يقول: أعجبت بعبادتك والعُجب يأكل العبادة، فإن أعجبت ثانياً وكتلتك إلى نفسك.

قال: يارب كلنى إلى نفسى سنة.

قال: إنها لكثيرة.

قال: فساعة.

قال: شأنك بها.

فوكل الأحراس ولبس الصوف ودخل المحراب ووضع الزبور بين يديه، فبينما هو في نسكه وعبادته إذ وقع الطائر بين يديه وكان من أمر المرأة ما كان.

قالوا: فلما دخل داود بامرأة أوريا لم تلبث إلا يسيراً حتى بعث الله سبحانه ملكين فى صورة إنسيين فطلبا أن يدخلوا عليه، فوجداه فى يوم عبادته فمنعهما الحرس أن يدخلوا عليه، فتسورا المحراب عليه، فما شعر وهو يصلى إلا وهو بهما بين يديه جالسين، فذلك قوله: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾: وإنما جعلوا جمع الفعل، لأن الخصم اسم يصلح للواحد والجميع والاثنين والمذكر والمؤنث.

قال لييد:

وقصم يعدون الدخول كأنهم قروم غيارى كل أزهري مصعب

وقال آخر:

وقصم عضاب ينفضون لحاهم كنفض البراذين العراب المخاليا

وإنما جمع وهما اثنان، لأن معنى الجمع ضم شيء إلى شيء فالاثنان فما فوقهما جماعة، كقوله عز وجل: ﴿صَعَتِ قُلُوبُكُمْ﴾ (التحریم: ٤).



﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِمَانِ بَغِي بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَأَحْكَمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿١٠﴾ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَإِلَى نَعْجَةٍ وَاحِدَةٍ فَقَالَ أَكْفِنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿١١﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نَعْجَةٍ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿١٢﴾ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحَسَنَ مَّآبٍ ﴿١٣﴾ يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿١٤﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿١٥﴾ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿١٦﴾﴾

﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ﴾: قال الفراء: قد كرر إذ مرتين، ويكون معناهما كالواحد، كقولك:

ضربتك إذ دخلت على إذ اجترأت، فالدخول هو الاجترأ، ويجوز أن يجعل إحداهما على



مذهب لما .

﴿فَفَرَعَ مِنْهُمُ﴾ : حين همّاً عليه محرابه بغير إذنه .

﴿قَالُوا لَا تَخَفْ﴾ : يا داود ﴿خَصْمَانِ﴾ : أى نحن خصمان ﴿بَعَى بَعْضَنَا عَلَى بَعْضٍ فَأَحْكَمَ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تَشْطِطْ﴾ : ولا تجز، عن ابن عباس والضحاك .

وقال السدى : لا تسرف . المورج : لا تفرط .

وقرأ أبو رجاء العطاردي : ولا تَشْطِطْ بفتح التاء وضم الطاء الأولى ، والشطط والإشطاط مجاوزة الحد ، وأصل الكلمة من حدهم شطت الدار ، وأشطت إذا بعدت .

﴿وَأَهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾ : أى وسط الطريق ، فإن قيل : كيف قال : إن هذا أخى فأوجب الأخوة بين الملائكة ولا مناسبة بينهم ، لأنهم لا ينسلون .

فى الجواب : أن معنى الآية : نحن الخصمين كما يقال : وجهه القمر حسناً ، أى كالقمر .

قال أحد الخصمين ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي﴾ : على التمثيل لا على التحقيق ، على معنى كونهما على طريقة واحدة وجنس واحد ، كقوله سبحانه : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ : وقد يقال : إن المتسورين كانوا أخوين من بنى إسرائيل لأب وأم ، وإن أحدهما كان ملكاً والآخر لم يكن ملكاً ، فنبها داود على ما فعل .

﴿أَلَمْ تَسْعَ وَتَسْعُونَ نَعْجَةً لِي نَعْجَةً وَاحِدَةً﴾ : وهذا من أحسن التعريض ، حتى كنى بالنعاج عن

النساء .

والعرب تفعل ذلك كثيراً تورى عن النساء ، بالظباء والشاة والبقر وهو كثير وأبين فى أشعارهم .

قال الحسن بن الفضل : هذا تعريض التنبيه والتفهيم ، لأنه لم يكن هناك نعاج ولا بغى ، وإنما هو كقول الناس ضرب زيد عمرأ ، وظلم عمرو زيدأ ، واشترى بكر دارأ وما كان هناك ضرب ولا ظلم ولا شراء .

﴿فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا﴾ . قال ابن عباس : أعطينها .

ابن جبیر عنه : تحوّل لى عنها .

مجاهد : أنزل لى عنها .

أبو العالية : ضمها إلىّ حتى أكفلها .

ابن كيسان : اجعلها كفى ، أى نصيبى .

﴿وَعَزَّنِي﴾ : وغلبنى ﴿فِي الْخِطَابِ﴾ .

قال الضحاك: إن تكلم كان أفصح منى، وإن حارب كان أبطش منى .  
 وقرأ عبيد بن عمير: وعازنى فى الخطاب بالألف من المعاز وهى المغالبة .  
 فقال داود: ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجْتِكَ إِلَىٰ نَعَاجِهِ﴾ فإن قيل: كيف جاز لداود أن يحكم  
 وهو لم يسمع كلام الخصم الآخر؟  
 قيل: معنى الآية أن أحدهما لما ادعى على الآخر عرف له صاحبه، فعند اعترافه فصل  
 القضية بقوله: (لقد ظلمك) فحذف الاعتراف، لأن ظاهر الآية دال عليه، كقول العرب:  
 أمرتك بالتجارة فكسبت الأموال .  
 وقال الشاعر:

تقول ابنتى لما رأتنى شاحباً كأنك سعيد يحميك الطعام طيب  
 تتابع أحداث تخر من إخوتى فشيبن رأسى والخطوب تشيب  
 ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ﴾ : الشركاء ﴿أَيَّبِنِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا  
 الصَّالِحَاتِ﴾ : فليسوا كذلك ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ .

ودليل ما ذكرنا من التأويل ما قاله السدى، بإسناده: أن أحدهما لما قال: ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي﴾  
 الآية فقال داود للآخر: ما تقول؟ فقال إن لى تسعاً وتسعين نعجة، ولأخى هذا نعجة واحدة،  
 وأنا أريد أن أخذها منه فأكمل نعاजी مائة . قال: وهو كاره .

قال: إذا لا ندعك وذلك، وإن رمت ذلك ضربنا منك هذا وهذا وهذا يعنى طرف الأنف  
 وأصله الجبهة .

فقال: يا داود أنت أحق أن يضرب منك هذا وهذا، حيث لك تسع وتسعون امرأة ولم يكن  
 لأوريا إلا امرأة واحدة، فلم تزل به تعرضه للقتل حتى قتل وتزوجت امرأته .

قال: فنظر داود فلم ير أحداً، فعرف ما قد وقع فيه، فذلك قوله سبحانه: ﴿وَظَنَّ﴾ : وأيقن  
 ﴿دَاوُدَ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ﴾ : ابتليناه .

قال سعيد بن جبیر: إنما كانت فتنة داود النظر .

قلت: ولم يتعمد داود النظر إلى المرأة، ولكنه أعاد النظر إليها فصارت عليه .

فهذه أقاويل السلف من أهل التفسير فى قصة امتحان داود .

وقد روى عن الحارث الأعور عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال: من حدث  
 بحديث داود على ما روته القصاص معتقداً صحته جلدته حدين لعظيم ما ارتكب وجليل ما  
 احتقب من الوزر والإثم، برمى من قدر رفع الله سبحانه وتعالى محله، وأبانه رحمة للعالمين

وحجة للمهتدين .

فقال القائلون بتزيه المرسلين فى هذه القصة : إنه ذنب لما كان أنه تمنى أن تكون له امرأة أوريا حللاً له وحدث نفسه بذنب ، واتفق غزو أوريا وتقدمه فى الحرب وهلاكه ، فلما بلغه قتله لم يجزع عليه ولم يتوجع له ، كما جزع على غيره من جنده إذا هلك ، ثم تزوج امرأته ، فعاتبه الله سبحانه على ذلك ، لأن ذنوب الأنبياء وإن صغرت فهى عظيمة عند الله سبحانه وتعالى .

وقال بعضهم : كان ذنب داود أن أوريا كان قد خطب تلك المرأة ووطن نفسه عليها ، فلما غاب فى غزاته خطبها داود فزوجت منه لجلالته ، فاغتم لذلك أوريا غمًا شديدًا ، فعاتبه الله تعالى على ذلك حيث لم تزل هذه الواحدة مخاطبها الأول ، وقد كانت عنده تسع وتسعون امرأة .

ومما يصدق ما ذكرنا ما قيل عن المفسرين المتقدمين ، ما أخبرنى عقيل بن محمد بن أحمد الفقيه : أن المعافى بن زكريا القاضى ببغداد أحمد بن زكريا أخبره عن محمد بن جرير قال : حدثنى يونس بن عبد الأعلى قال : أخبرنى ابن وهب قال : أخبرنى ابن لهيعة عن أبى صخر عن يزيد الرقاشى عن أنس بن مالك سمعه يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إن داود النبى حين نظر إلى المرأة وأهم ، قطع على بنى إسرائيل ، وأوصى صاحب البعث فقال : إذا حضر العدو فقرب فلاناً بين يدى التابوت ، وكان التابوت فى ذلك الزمان يستنصر به من قدم بين يدى التابوت وكان التابوت لم يرجع حتى يقتل أو يهزم عنه الجيش ، فقتل زوج المرأة ونزل الملكان يقصان عليه قصته ، ففطن داود فسجد ، فمكث أربعين ليلة ساجداً حتى نبت الزرع من دموعه وأكلت الأرضة من جبينه ، وهو يقول فى سجوده : ربّ زلّ داود زلة أبعد مما بين المشرق والمغرب ، ربّ إن لم ترحم ضعف داود وتغفر ذنبه جعلت ذنبه حديثاً فى الخلوف من بعده . فجاءه جبريل (عليه السلام) من بعد أربعين ليلة فقال : يا داود إن الله غفر لك الهم الذى هممت به .

فقال داود : عرفت أن الربّ قادر على أن يغفر لى الهم الذى هممت به ، وقد عرفت أن الله عدل لا يميل ، فكيف بفلان إذا جاء يوم القيامة فقال : ربّ دمي الذى عند داود؟ فقال جبريل : ما سألت ربك عن ذلك ، ولئن شئت لأفعلن . قال : نعم .

فخرج جبريل وسجد داود فمكث ما شاء الله ثم نزل ، فقال : قد سألت الله تعالى يا داود عن الذى أرسلتنى فيه فقال : قل لداود إن الله يجمعكمما يوم القيامة فيقول له هب لى دمك الذى

عند داود . فيقول : هو لك يا رب . فيقول : فإن لك في الجنة ما شئت وما اشتهيت عوضاً .  
وأخبرني ابن فنجويه قال : حدثنا الباقر جى قال : حدثنا الحسن بن علوية قال : حدثنا  
إسماعيل بن عيسى قال : حدثنا إسحاق بن بشير قال : أخبرنا جويبر ومقاتل عن الضحاک عن  
ابن عباس قال : وأخبرنا سعيد بن بشير وعصمة بن حداس القطعي ، عن قتادة عن الحسن وابن  
سمعان ، عن يخبهره عن كعب الأحبار قال : وأخبرني أبو إلياس عن وهب بن منبه قالوا  
جميعاً : إن داود لما دخل عليه الملكان فقضى على نفسه ، فتحولوا في صورتها فمرجا وهما  
يقولان : قضى الرجل على نفسه . وعلم داود أنه عنى به ، فخر ساجداً أربعين يوماً لا يرفع  
رأسه إلا الحاجة ولو وقت صلاة مكتوبة ، ثم يعود ساجداً ثم لا يرفع رأسه إلا الحاجة لا بد منها ،  
ثم يعود ويسجد تمام أربعين يوماً ، لا يأكل ولا يشرب وهو يبكي حتى نبت الزرع حول رأسه  
وهو ينادى ربّه عزّ وجلّ ويسأله التوبة ، وكان يقول في سجوده :

سبحان الملك الأعظم الذى يتلى الخلق بما يشاء ، سبحان خالق النور ، سبحان الحائل بين  
القلوب ، سبحان خالق النور ، إلهى خلقت بينى وبين عدوى إبليس ، فلم أقم لفتنته إذ نزلت  
بى ، سبحان خالق النور ، إلهى تبكى الثكلى على ولدها إذا فقدته وداود يبكى على خطيئته ،  
سبحان خالق النور ، إلهى لم أتعظ بما وعظت به غيرى ، سبحان خالق النور ، إلهى أنت  
خلقتنى ، وكان فى سابق علمك ما أنا إليه صائر ، سبحان خالق النور ، إلهى يُغسل الثوب  
فيذهب درنه ووسخه والخطيئة لازمة بى لا تذهب عنى ، سبحان خالق النور ، إلهى أمرتنى أن  
أكون لليتيم كالأب الرحيم وللأرملة كالزوج الرحيم فنسيت عهدك ، سبحان خالق النور ،  
إلهى الويل لداود إذا كشف عنه الغطاء فيقال : هذا داود الخاطئ ، سبحان خالق النور ، إلهى  
بأى عينين أنظر بهما إليك يوم القيامة ، وإنما ينظر الظالمون من طرف خفى ، إلهى بأى قدم أقوم  
بها أمامك يوم تزول أقدام الخاطئين ، سبحان خالق النور ، إلهى ويل للخاطئين يوم القيامة من  
سوء الحساب ، سبحان خالق النور ، إلهى مضت النجوم وكنت أعرفها بأسمائها ، فتركتنى  
والخطيئة لازمة بى ، سبحان خالق النور ، إلهى من أين تطلب المغفرة إلا من عند سيده ،  
سبحان خالق النور ، إلهى مطرت السماء ولم تمطر حولى ، سبحان خالق النور ، إلهى أعشبت  
الأرض ولم تعشب حولى بخطيئتى ، سبحان خالق النور ، إلهى أنا الذى لا أطيق حرّ شمسك  
فكيف أطيق حرّ نارك ، سبحان خالق النور ، إلهى أنا الذى لا أطيق صوت رعدك فكيف أطيق  
صوت جهنم ، سبحان خالق النور ، إلهى كيف يستتر الخاطئون بخطاياهم دونك وأنت  
شاهدهم حيث كانوا ، سبحان خالق النور ، إلهى قرح الجبين وجمدت العينان من مخافة

الحريق على جسدى ، سبحان خالق النور ، إلهى الطير تسبح لك بأصوات ضعاف تخافك وأنا العبد الخاطئ الذى لم أرفع وصيتك ، سبحان خالق النور ، إلهى الويل لداود من الذنب العظيم الذى أصاب ، سبحان خالق النور ، إلهى أنت المغيث وأنا المستغيث فمن يدعو المستغيث إلا المغيث ، سبحان خالق النور ، إلهى قد تعلم سرى وعلايتى فاقبل عذرى ، سبحان خالق النور .

اللهم إنى أسألك إله إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ، أن تعطينى سؤلى فإن إليك رغبتى ، سبحان خالق النور ، اللهم برحمتك اغفر لى ذنوبى ولا تباعدنى من رحمتك لهوانى ، سبحان خالق النور ، اللهم إنى أعوذ بك من دعوة لا تستجاب وصلاة لا تُتقبل وذنب لا يغفر وعذر لا يقبل ، سبحان خالق النور ، إلهى أعوذ بنور وجهك الكريم من ذنوبى التى أوبقتنى ، سبحان خالق النور ، فررت إليك بذنوبى وأعترف بخطيئتى ، فلا تجعلنى من القانطين ولا تخزننى يوم الدين ، سبحان خالق النور ، إلهى قرح الجبين وجمدت الدموع وتناثر الدود من ركبتي وخطيئتى ألزم بى من جلدى ، سبحان خالق النور .

قال : فأناه نداء : يا داود أجاجع أنت فتطعم ، أظمان أنت فتسقى ، أمظلوم أنت فتتنصر ؟ ولم يجبه فى ذكر خطيئته بشىء ، فصاح صيحة هاج ما حوله ثم نادى : يا رب الذنب الذنب الذى أصبته .

ونودى : يا داود ارفع رأسك فقد غفرت لك .

فلم يرفع رأسه حتى جاء جبريل (عليه السلام) فرفعه .

قال وهب : إن داود (عليه السلام) أتاه نداء : أنى قد غفرت لك .

قال : يا رب كيف وأنت لا تظلم أحداً .

قال : اذهب إلى قبر أوريا فناده وأنا أسمعه نذاك فتحلل منه .

قال : فانطلق حتى أتى قبره وقد لبس المسوح حتى جلس عند قبره ثم نادى : يا أوريا .

فقال : لييك من هذا الذى قطع على لذتى وأيقظنى ؟

قال : أنا داود .

قال : ما جاء بك يا نبى الله ؟

قال : أسألك أن تجعلنى فى حل مما كان منى إليك !

قال : وما كان منك إلى ؟

قال : عرضتك للقتل .

قال: عرضتني للجنة وأنت في حلّ.

فأوحى الله تعالى إليه: يا داود ألم تعلم أنى حكم عدل لا أفضى بالتعنت والتغريب، ألا أعلمته أنك قد تزوجت امرأته.

قال: فرجع إليه فناده فأجابه.

فقال: من هذا الذى قطع علىّ لذتى؟

قال: أنا داود.

قال: يا نبي الله أليس قد عفوت عنك؟

قال: نعم، ولكن إنما فعلت ذلك بك لمكان امرأتك وتزوجتها.

قال: فسكت فلم يجبه، ودعاه فلم يجبه، وعأوده فلم يجبه، فقام عند قبره وجعل التراب على رأسه ثم نادى: الويل لداود ثم الويل الطويل له حين يؤخذ برقبتة فيدفع إلى المظلوم، سبحان خالق النور، الويل لداود ثم الويل الطويل له حين يسحب على وجهه مع الخاطئين إلى النار، سبحان خالق النور، الويل لداود ثم الويل الطويل له حين تقربه الزبانية مع الظالمين إلى النار، سبحان خالق النور.

قال: فأتاه نداء من السماء: يا داود قد غفرت لك ذنبك ورحمت بكاءك واستجبت دعائك وأقلت عثرتك.

قال: يا رب كيف لى أن تعفو عني وصاحبى لم يعف عني.

قال: يا داود أعطيه يوم القيامة ما لم تر عيناه ولم تسمع أذناه فأقول له: رضى عبدى؟

فيقول: يا رب من أين لى هذا ولم يبلغه عملى.

فأقول له: هذا عوض من عبدى داود فأستوهبك منه فيهبك لى.

قال: يا رب الآن قد عرفت أنك قد غفرت لى.

فذلك قوله سبحانه: ﴿فَأَسْتَغْفِرُ بِهِ، وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۗ﴾ ﴿فَغَفَرْنَا لَهُ، ذَلِكَ﴾: يعنى ذلك الذنب

﴿وَأَن لَّهُ﴾: بعد المغفرة ﴿عِنْدَنَا﴾ يوم القيامة ﴿وَأَلْفَى وَحَسَنَ مَّثَابٍ﴾: يعنى حسن مرجع.

وأخبرنى ابن فنجويه قال: حدثنا مخلد بن جعفر قال: حدثنا الحسن بن علوية قال:

حدثنا إسماعيل بن عيسى قال: حدثنا إسحاق بن بشر قال: أخبرنا أبو إلياس ومقاتل وأبو

عبد الرحمن الجندى عن وهب بن منبه قال: إن داود لما تاب الله عزّ وجلّ عليه بكى على

خطيئته ثلاثين سنة، لا ترقأ له دمعاً ليلاً ونهاراً، وكان أصاب الخطيئة وهو ابن سبعين سنة،

فقسم الدهر بعد الخطيئة على أربعة أيام: فكان يوم للقضاء بين بنى إسرائيل، ويوم لنسائه،

ويوم يسيح في الفيافي وفي الجبال والساحل ويوم يخلو في دار فيها أربعة آلاف محراب، فيجتمع إليه الرهبان فينوح معهم على نفسه ويساعدونه على ذلك، فإذا كان يوم سياحته، يخرج في الفيافي فيرفع صوته بالمزامير، فيبكي وتبكي معه الشجر والرمال والطيور والوحوش حتى تسيل من دموعهم مثل الأنهار، ثم يجيء إلى الجبال فيرفع صوته بالمزامير فيبكي وتبكي معه الحجارة والجبال والدواب والطيور حتى تسيل أودية من بكائهم، ثم يجيء إلى الساحل فيرفع صوته بالمزامير فيبكي وتبكي معه الحيتان ودواب البحر والسباع وطيور الماء، فإذا أمسى رجع.

فإذا كان يوم نوحه على نفسه، نادى مناديه: أن اليوم يوم نوح داود على نفسه، فليحضر من يساعده.

قال فيدخل الدار التي فيها المحاريب فييسط له ثلاث فرش من مسوح، حشوها ليف فيجلس عليها وتجيء الرهبان أربعة آلاف راهب عليهم البرانس وفي أيديهم العصي فيجلسون في تلك المحاريب، ثم يرفع داود صوته بالبكاء والنوح على نفسه، ويرفع الرهبان معه أصواتهم، فلا يزال يبكي حتى يغرق الفراش من دموعه، ويقع داود فيها مثل الفرخ يضطرب فيجىء ابنه سليمان فيحمله، فيأخذ داود من تلك الدموع بكفيه ثم يمسح بها وجهه ويقول: يا رب اغفر ما ترى، فلو عدل بكاء داود ببكاء أهل الدنيا لعدله.

وأخبرني ابن فنجويه قال: حدثنا ابن ماجه قال: حدثنا الحسن بن أيوب قال: حدثنا عبد الله ابن أبي زياد قال: حدثنا سيار عن جعفر قال: سمعت ثابتاً يقول: ما شرب داود شراباً بعد المنة إلا وهو ممزوج بدموع عينيه.

وأخبرني ابن فنجويه قال: حدثنا ابن مالك قال: حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: حدثنا أبي قال: حدثنا الوليد بن مسلم قال: حدثنا عثمان بن أبي العاتكة: أنه كان من دعاء داود:

سبحانك إلهي إذا ذكرت خطيئتي، ضاقت على الأرض برحبها، وإذا ذكرت رحمتك ارتدت إلى روعي، إلهي أتيت أطباء عبادك ليداووا إليّ خطيئتي، فكلهم عليك يدلني.

وأخبرني ابن فنجويه قال: حدثنا عبد الله بن يوسف بن أحمد بن مالك قال: حدثنا محمد ابن موسى الحلواني قال: حدثنا مهني بن يحيى الرملي قال: حدثنا الوليد بن مسلم قال: حدثنا الأوزاعي قال: بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: «خَدَ الدموع في وجه داود (عليه السلام) خديد الماء في الأرض»

وأخبرني ابن فنجويه قال: حدثنا ظفران بن الحسن بن جعفر بن هاشم قال: حدثنا أبو العباس أحمد بن موسى بن سليمان قال: حدثنا أبو حفص عمر بن محمد النسائي قال: حدثني إبراهيم بن عبد الله عن ابن بشر بن محمد بن أبان قال: حدثنا الحسن بن عبد الله القرشي قال: لما أصاب داود (عليه السلام) الخطيئة فزع إلى العباد، فأتى راهباً في قلة جبل فناداه بصوت عال فلم يجبه، فلما أكثر عليه الصوت قال الراهب: من هذا الذي يناديني؟ قال: أنا داود نبي الله.

قال: صاحب القصور الحصينة والحيل المسومة والنساء والشهوات، لئن نلت الجنة بهذا لأنت أنت.

فقال داود: فمن أنت؟

قال: أنا راهب راغب مترقب.

قال: فمن أنيسك وجليسك؟

قال: اصعد تره إن كنت تريد ذلك.

قال: فتخلل داود الجبل حتى صار إلى القلة فإذا هو بميت مسجى.

فقال له: هذا جليسك وهذا أنيسك؟

قال: نعم.

قال: من هذا؟

قال: تلك قصته مكتوب في لوح من نحاس عند رأسه.

قال: فقرأ الكتاب فإذا فيه: أنا فلان ابن فلان ملك الأملاك، عشت ألف عام وبنيت ألف مدينة وهزمت ألف عسكر وألف امرأة أحصنت وافتضضت ألف عذراء، فيينا أنا في ملكي أتاني ملك الموت وأخرجني مما أنا فيه، فهذا التراب فراشي والدود جيراني. قال: فخر داود مغشياً عليه.

وأخبرني ابن فنجويه قال: حدثنا أحمد بن محمد بن علي الهمداني قال: حدثنا عثمان بن نصر البغدادي قال: حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن غزوان قال: حدثنا الأشجعي عن الثوري عن عبيد الله بن عمر العمري عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «كان الناس يعودون داود يظنون أن به مرضاً، وما به مرض وما به إلا الحياء والخوف من الله سبحانه».

وقال وهب: لما تاب الله تعالى على داود كان يبدأ إذا دعا يستغفر للخاطئين قبل نفسه.



وأخبرني ابن فنجويه قال : حدثنا الباقر جى قال : حدثنا الحسن قال : حدثنا إسماعيل قال : حدثنا إسحاق بن بشر قال : حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن قال : كان داود ساجداً من بعد الخطيئة لا يجالس إلا الخاطئين ثم يقول : تعالوا إلى داود الخاطئ .

ولا يشرب شراباً إلا مزجه بدموع عينيه ، وكان يجعل خبز الشعير اليابس فى قصعته ، فلا يزال يبكى حتى يبتل بدموع عينيه ، وكان يذر عليه الملح والرماد فيأكل ويقول هذا أكل الخاطئين .

قال : وكان داود قبل الخطيئة يقوم نصف الليل ويصوم النصف من الدهر ، فلما كان من خطيئته ما كان ، صام الدهر كله وقام الليل كله .

وأخبرنا عن إسحاق قال : حدثنا مقاتل وأبو إلياس قالا : حدثنا وهب بن منبه : أن داود لما تاب الله عليه قال : يا رب غفرت لى ؟  
قال : نعم .

قال : فكيف لى أن لا أنسى خطيئتي فأستغفر منها وللخطائين إلى يوم القيامة .  
قال : فوسم الله عزّ وجلّ خطيئته فى يده اليمنى ، فما رفع فيها طعاماً ولا شراباً إلا بكى إذا رآها ، وما كان خطيباً فى الناس إلا بسط راحته فاستقبل الناس ، ليروا وسم خطيئته .

وأخبرني ابن فنجويه قال : حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان قال : حدثنا يوسف بن عبد الله ابن ماهان قال : حدثنا موسى بن إسماعيل قال : حدثنا حماد عن عطاء بن السائب عن أبي عبد الله الجدلى قال : ما رفع داود رأسه بعد الخطيئة إلى السماء حتى مات .

وأخبرنا عبد الله بن حامد قال : حدثنا محمد بن خالد قال : حدثنا داود بن سليمان قال : حدثنا عبد بن حميد قال : حدثنا أبو أسامة عن محمد بن سليمان قال : حدثنا ثابت قال : كان داود إذا ذكر عقاب الله تخلعت أوصاله لا يسدها إلا الأسر وإذا ذكر رحمته تراجعت .

قال : وروى المسعودى عن يونس بن حباب وعلقمة بن مرثد قالا : لو أن دموع أهل الأرض جمعت لكانت دموع داود أكثر حيث أصاب الخطيئة ، ولو أن دموع داود ودموع أهل الأرض جمعت لكانت دموع آدم (عليه السلام) أكثر حيث أخرجه الله تعالى من الجنة وأهبط إلى الأرض .

ويروى أن داود كان إذا قرأ الزبور بعد الخطيئة لا يقف له الماء ولا تصغى إليه البهائم والوحوش والطيور كما كان قبله ، ونقصت نعمته فقال : يا إلهى ما هذا ؟  
فأوحى الله سبحانه : يا داود إن الخطيئة هى التى غيرت صوتك وحالك .

فقال: إلهي أوليس قد غفرتها لي؟

فقال: نعم قد غفرتها لك، ولكن ارتفعت الحالة التي كانت بيني وبينك من الودّ والقربة، فلن تدركها أبداً فذلك قوله: ﴿فَأَسْتَغْفِرُ رَبِّيَ، وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابٌ﴾.

قال الحسين بن الفضل: سألتني عبد الله بن طاهر وهو الوالي عن قوله سبحانه: ﴿وَأَخْرَجَ رَاكِعًا﴾ هل يقال للراعي خرٌّ؟ قلت: لا.

قال: فما معنى الآية؟

قلت: معناها فخرٌّ بعد أن كان راکعاً، أي سجد.

أخبرني الحسن بن محمد بن الحسين قال: حدثنا هارون بن محمد بن هارون العطار قال: حدثنا محمد بن عبد العزى قال: حدثنا سليمان بن داود قال: حدثنا ابن أبي عدي، عن حميد الطويل، عن بكر بن عبد الله المزني، عن أبي سعيد الخدري قال: رأيتني أكتب سورة ص والقرآن ذي الذكر، فلما أتيت على هذه الآية: ﴿وَلَمَّا دَاوُدُ أَنَا فَنَنَّهُ فَأَسْتَغْفِرُ رَبِّيَ، وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابٌ﴾، رأيت فيما يرى النائم كأن القلم خرّ ساجداً، فأتيت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له. فقال النبي ﷺ: «تقول كما قال وتسجد كما سجد» فتلاها فسجدوا وأمرنا أن نسجد فيها. وأخبرني الحسين بن محمد قال: حدثنا صمد بن علي بن الحسن الصوفي قال: حدثنا أبو حفص بكر بن أحمد بن مقبل قال: حدثنا عمر بن علي الصيرفي قال: حدثنا اليمان بن نصر الكعبي قال: حدثنا عبد الله أبو سعد المدني قال: حدثني محمد بن المنكدر، عن محمد بن عبد الرحمن بن عوف قال: حدثني أبو سعيد الخدري، قال: أتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله إني رأيت الليلة في منامي كأنني تحت شجرة، والشجرة تقرأ ص، فلما بلغت السجدة سجدت، فسمعتها تقول في سجودها:

اللهم اكتب لي بها أجراً، وحط عني بها وزراً، وارزقني بها شكراً، وتقبلها مني كما تقبلت من عبدك داود سجده.

فقال رسول الله ﷺ: «أفسجدت أنت يا أبا سعيد؟».

قلت: لا يا رسول الله.

قال: «أنت أحق بالسجدة من الشجرة» ثم قرأ رسول الله ﷺ حتى بلغ السجدة فسجد ثم قال مثل ما قالت الشجرة.

وأخبرني الحسين بن محمد قال: حدثنا محمد بن علي بن الحسن قال: حدثنا بكر بن أحمد

ابن مقبل قال : حدثنا نصر بن علي قال : حدثنا محمد بن يزيد بن خنيس قال : حدثنا الحسن ابن محمد بن عبيد الله بن أبي يزيد قال : قال لي ابن جريج : حدثنا حسن قال : حدثني جدك عبيد الله بن أبي يزيد قال : حدثني ابن عباس قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله إنني رأيت الليلة فيما يرى النائم كأنني أصلى خلف شجرة ، فرأيت كأنني قرأت السجدة فسجدت فرأيت الشجرة كأنها سجدت ، فسمعتها وهي ساجدة تقول :

اللهم اكتب لي عندك بها أجراً ، واجعلها لي عندك ذخراً ، وضع عني بها وزراً ، واقبلها مني كما قبلت من عبدك داود .

قال ابن عباس : فرأيت النبي ﷺ قرأ السجدة ثم سجد فسمعتة وهو ساجد يقول مثل ما قال الرجل من كلام الشجرة ، قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ فَعَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَؤْلُقًا وَحُسْنَ مَقَابٍ ﴾ .

روى أبو معشر عن محمد بن كعب ومحمد بن قيس أنهما قالوا في قوله عز وجل : ﴿ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَؤْلُقًا وَحُسْنَ مَقَابٍ ﴾ .

روى أبو معشر عن محمد بن كعب قال : إن أول من يشرب الكأس يوم القيامة داود .

﴿ يَدَاوُدَ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾ : تركوا الإيمان بيوم الحساب ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ النَّارِ ﴾ أمر نجعل الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَمَتِّينَ كَالْفَجَّارِ .



﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ ﴿ وَوَهَبْنَا لِداوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ ﴿ إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّفَوْنَتُ الْجِيَادُ ﴾ ﴿ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴾ ﴿ رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴾ ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴾ ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ ﴿ فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴾ ﴿ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بِنَاءٍ وَعَوَاصٍ ﴾ ﴿ وَءَاخِرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي

الْأَصْفَادِ ﴿١٠﴾ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١١﴾ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّآبٍ ﴿١٢﴾ وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسْنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿١٣﴾ أَرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿١٤﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذَكَرَىٰ لِأُولَى الْأَلْبَابِ ﴿١٥﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُثْ إِنََّّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٦﴾ ﴿١٧﴾

﴿كِتَابُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا﴾ : ليتدبروا ﴿آيَاتِهِ﴾ . هذه قراءة العامة . وقرأ أبو جعفر وعاصم في رواية الأعشى والترجمنى : (ليدبروا) بياء واحدة مفتوحة مخففة على الحذف .

قال الحسن : تدبر آياته : اتباعه .

﴿وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ وَوَهَبْنَا لِداوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٥﴾ إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ ﴿١٦﴾ .

قال الكلبي : غزا سليمان (عليه السلام) أهل دمشق ونصيبين فأصاب منهم ألف فرس .

وقال مقاتل : ورث سليمان من أبيه داود ألف فرس وكان أبوه أصابها من العمالقة .

وقال عوف عن الحسن : بلغني أنها كانت خيلاً خرجت من البحر لها أجنحة .

قالوا : فصلى سليمان الصلاة الأولى وقعد على كرسيه وهى تعرض عليه ، فعرضت عليه منها تسعمائة فتنبه لصلاة العصر ، فإذا الشمس قد غابت وفاتته الصلاة ولم يعلم بذلك بفتنته له ، واغتم لذلك فقال : ردوها على .

فردوها عليه فعزقت وعقرت بالسيف ونحرها لله سبحانه ، وبقي منها مائة فرس ، فما فى

أيدى الناس اليوم من الخيل فهو من نسل تلك المائة .

قال الحسن : فلما عقر الخيل ، أبدله الله سبحانه مكانها خيراً منها وأسرع من الريح التى

تجرى بأمره كيف يشاء ، وكان يغدو من إيليا فيقبل بقرير الأرض يا صطخر ويروح من قرير بكابل .

وقال ابن عباس : سألت على بن أبى طالب عن هذه الآية فقال : ما بلغك فى هذا يا ابن

عباس ؟

فقلت له : سمعت كعب الأخبار يقول : إن سليمان اشتغل ذات يوم بعرض الأفراس

والنظر إليها حتى توارت الشمس بالحجاب .

فقال لما فاتته الصلاة: ﴿إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ ۖ رُدُّوَهَا عَلَيَّ ۗ : يعنى الأفراس وكانت أربعة وعشرين، ويقول: أربعة عشر، فردوها عليه فأمر بضرب سوقها وأعناقها بالسيف فقتلها، وأن الله سلبه ملكه أربع عشر يوماً، لأنه ظلم الخيل بقتلها .  
فقال على بن أبى طالب رضى الله عنه: كذب كعب الأحبار، لكن سليمان اشتغل بعرض الأفراس ذات يوم، لأنه أراد جهاد عدو حتى توارت الشمس بالحجاب، فقال بأمر الله للملائكة المواطنين بالشمس: رُدُّوَهَا عَلَيَّ . يعنى الشمس، فردوها عليه حتى صلى العصر فى وقتها .

فإن أنبياء الله لا يظلمون ولا يأمرون بالظلم ولا يرضون بالظلم، لأنهم معصومون مطهرون، فذلك قوله سبحانه: ﴿إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّفْفَنَتُ﴾ : وهى الخيل القائمة على ثلاث قوائم، وقد أقامت الأخرى على طرف الحافر من يد أو رجل .  
قال عمرو بن كلثوم:

تركنا الخيل عاكفة عليه مقلدة أعنتها صفونا

وقال القتيبي: الصافن فى كلام العرب الواقف من الخيل وغيرها .

قال النبى ﷺ: «من سره أن يقوم له الرجال صفوناً فليتبوأ مقعده من النار» أى وقوفاً ﴿الْجِيَادُ﴾: الخيار السراع واحدها جواد ﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ﴾ : يعنى الخيل، والعرب تعاقب بين الرء واللام فيقول: انهملت العين وانهمرت، وختلت الرجل وخترت أى خدعته .  
وقال مقاتل: ﴿حُبَّ الْخَيْرِ﴾ يعنى المال وهى الخيل التى عرضت عليه ﴿عَنْ ذِكْرِ رَبِّي﴾ : يعنى الصلاة، نظيرها ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ (النور: ٣٧)، ﴿حَتَّى تَوَارَتْ﴾ : يعنى الشمس، كناية عن غير مذكور .  
كقول لييد:

❖ حتى إذا ألفت بدأ فى كافر ❖

يعنى الشمس ﴿بِالْحِجَابِ﴾ : وهو جبل دون قاف بمسيرة سنة، تغرب الشمس من ورائه .  
﴿رُدُّوَهَا﴾ : كرؤها ﴿عَلَى فُطْفِقٍ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْتَاقِ﴾ : أى فأقبل يمسخ سوقها وأعناقها بالسيف، وينحرها تقريباً بها إلى الله سبحانه وطلباً لرضاه، حيث اشتغل بها عن طاعته، وكان ذلك قرباناً منه ومباحاً له، كما أبيع لنا ذبح بهيمة الأنعام .  
وقال قوم: معناه حبسها فى سبيل الله، وكوى سوقها وأعناقها بكى الصدقة .

ويقال للكيفة على الساق: علاظ، وللكيفة على العنق: دهاو.

وقال الزهرى وابن كيسان: كان يمسح سوقها وأعناقها، ويكشف الغبار عنها حباً لها. وهى رواية ابن أبى طلحة عن ابن عباس.

﴿وَلَقَدْ قَتْنَا سَلِيمَنَ﴾: هذه قصة محنة نبي الله سليمان وسبب زوال ملكه مدة، واختلفوا فى سبب ذلك.

فروى محمد بن إسحاق عن بعض العلماء قال: قال وهب بن منبه: سمع سليمان بمدينة فى جزيرة من جزائر البحر يقال لها صيدون: بها ملك عظيم الشأن لم يكن للناس إليه سبيل لمكانه فى البحر، وكان الله قد أتى سليمان فى ملكه سلطاناً لا يمتنع عليه شىء فى بر ولا بحر، إنما يركب إليه إذا ركب على الريح، فخرج إلى تلك المدينة تحمله الريح على ظهر الماء حتى نزل بها بجنوده من الجن والإنس، فقتل ملكها واستقام فيها وأصاب فيما أصاب بتناً لذلك الملك يقال لها: جرادة، لم ير مثلاً حسناً وجمالاً، واصطفها لنفسه ودعاها إلى الإسلام، فأسلمت على جفاء منها وقلة ثقة، وأحبها حباً لم يحبه شيئاً من نساءه، وكانت على منزلتها عنده، لا يذهب حزنها ولا يرقأ دمعها، فشق ذلك على سليمان فقال لها: ويحك ما هذا الحزن الذى لا يذهب والدمع الذى لا يرقأ؟

قالت: إن أبى أذكره وأذكر ملكه وما كان فيه وما أصابه فيحزنى ذلك.

فقال سليمان: فقد أبدلك الله به ملكاً هو أعظم من ملكه، وسلطاناً أعظم من سلطانه، وهداك للإسلام وهو خير من ذلك كله.

قالت: إن ذلك لكذلك، ولكننى إذا ذكرته أصابنى ما ترى من الحزن، فلو أنك أمرت الشياطين فصوروا صورته فى دارى التى أنا فيها أراها بكرة وعشياً، لرجوت أن يذهب ذلك حزنى، وأن يسلى عنى بعض ما أجد فى نفسى.

فأمر سليمان الشياطين فقال: مثلوا لها صورة أبيها فى دارها حتى لا تنكر منه شيئاً.

فمثلوا لها حتى نظرت إلى أبيها بعينه، إلا أنه لا روح فيه، فعمدت إليه حين صنعوه فأزرتة وقمصته وعممته، وردته بمثل ثيابه التى كان يلبس، ثم كانت إذا خرج سليمان من دارها تغدو عليه فى ولائها حتى تسجد له ويسجدن معها كما كانت تصنع به فى ملكه، وتروح كل عشية بمثل ذلك، وسليمان لا يعلم بشىء من ذلك أربعين صباحاً وبلغ ذلك آصف بن برخيا، وكان صديقاً وكان لا يرد عن باب سليمان أى ساعة أراد دخول شىء من بيوته، حاضراً كان سليمان أو غائباً، فأتاه فقال: يا نبي الله كبرت سنى، ودق عظمى، ونفد عمري، وقد حان منى

الذهاب، وقد أحببت أن أقوم مقاماً قبل الموت، أذكر فيه من مضى من أنبياء الله، وأثنى عليهم بعلمى فيهم، وأعلم الناس بعض ما كانوا يجهلون من كثير من أمورهم.  
فقال: افعل.

فجمع له سليمان الناس، فقام فيهم خطيباً، فذكر من مضى من أنبياء الله، فأثنى على كل نبي بما فيه وذكر ما فضّله الله به، حتى انتهى إلى سليمان فقال: ما كان أحلمك في صغرك، وأورعك في صغرك، وأفضلك في صغرك، وأحكم أمرك في صغرك، وأبعدك من كل ما يكره في صغرك، ثم انصرف.

فوجد سليمان في نفسه من ذلك حتى ملأه غضباً، فلما دخل سليمان داره أرسل إليه فقال: يا آصف ذكرت من مضى من أنبياء الله، وأثنت عليهم خيراً في كل زمانهم وعلى كل حال من أمرهم، فلما ذكرتني جعلت تشني على بخير في صغري، وسكت عما سوى ذلك من أمرى في كبرى فما الذى أحدثت في آخر عمري؟

قال: إن غير الله ليعبد في دارك منذ أربعين صباحاً في هوى امرأة.  
فقال: في دارى؟  
فقال: في دارك.

قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، لقد علمت أنك ما قلت الذى قلت إلا عن شىء بلغك.  
ثم رجع سليمان إلى داره فكسّر ذلك الصنم، وعاقب تلك المرأة وولائدها، ثم أمر بثياب الطهرة فأتى بها - وهى ثياب لا يغزلها إلا الأبقار، ولم تمسها امرأة رأت الدم - فلبسها ثم خرج إلى فلاة من الأرض وحده، وأمر برماد ففرش له، ثم أقبل تائباً إلى الله عزّ وجلّ حتى جلس على ذلك الرماد وتمعك فيه بثيابه تذلاًّ لله سبحانه وتضرعاً إليه، يبكى ويدعو ويستغفر مما كان في داره ويقول فيما يقول:

رب ماذا ببلائك عند آل داود أن يعبدوا غيرك وأن يقرّوا في دورهم وأهاليهم عبادة غيرك.  
فلم يزل كذلك يومه ذلك حتى أمسى، ثم يرجع إلى داره، وكانت أم ولد له يقال لها: الأمانة، كان إذا دخل مذهبه أو أراد إصابة امرأة من نسائه وضع خاتمه عندها حتى يتطهر، وكان لا يلبس خاتمه إلا وهو طاهر، وكان ملكه فى خاتمه، فوضعه يوماً من تلك الأيام عندها كما كان يضعه ثم دخل مذهبه، فأتاها الشيطان صاحب البحر وكان اسمه: صخر، على صورة سليمان لا ينكر منه شيئاً.

فقال: يا أمانة خاتمى.

فناولته إياه فجعله فى يده ثم خرج حتى جلس على سرير سليمان، وعكفت عليه الطير والجن والإنس، وخرج سليمان فأتى الأمانة، وقد غيرت حاله وهيئته عند كل من رأى فقال: يا أمانة خاتمى.

فقال: ومن أنت؟

قال: أنا سليمان بن داود.

فقال: كذبت لست بسليمان وقد جاء سليمان وأخذ خاتمه وهو جالس على سريره فى ملكه.

فعرف سليمان أن خطيئته قد أدركته، فخرج فجعل يقف على الدار من دور بنى إسرائيل فيقول: أنا سليمان بن داود. فيحثون عليه التراب ويسبونونه ويقولون: انظروا إلى هذا المجنون أى شىء يقول يزعم أنه سليمان بن داود.

فلما رأى سليمان ذلك عمد إلى البحر فكان ينقل الحيتان لأصحاب البحر إلى السوق، فيعطونه كل يوم سمكتين فإذا أمسى باع إحدى سمكتيه بأرغفة وشوى الأخرى فأكلها، فمكث بذلك أربعين صباحاً، عدة ما كان عبد ذلك الوثن فى داره، فأنكر آصف وعظماء بنى إسرائيل حكم عدو الله الشيطان فى تلك الأربعين اليوم.

فقال آصف: يا معشر بنى إسرائيل هل رأيتم من اختلاف حكم ابن داود ما رأيتم؟ قالوا: نعم.

قال: أمهلونى حتى أدخل على نساءه فاسألهن: هل أنكرن منه فى خاصة أمره، ما أنكرناه فى عامة أمر الناس وعلايته؟

فدخل على نساءه فقال: ويحك هل أنكرتن من أمر ابن داود ما أنكرناه؟ فقلن: أشده ما يدع امرأة منّا من دمها، ولا يغتسل من جنابة. فقال: إنّا لله وإنا إليه راجعون إن هذا لهو البلاء المبين.

ثم خرج إلى بنى إسرائيل فقال: ما فى الخاصة أعظم ممّا فى العامة. فلما قضى أربعون صباحاً طار الشيطان عن مجلسه، ثم مرّ بالبحر فقذف الخاتم فيه، فبلعته سمكة وأخذها بعض الصيادين، وقد عمل له سليمان صدر يومه ذلك حتى إذا كان العشى أعطاه سمكته وأعطى السمكة التى أخذت الخاتم، وخرج سليمان بسمكته فباع التى ليس فى بطنها الخاتم بالأرغفة، ثم عمد إلى السمكة الأخرى فبقرها ليشويها، فاستقبله خاتمه فى جوفها فأخذه فجعله فى يده، ووقع ساجداً وعكفت عليه الطير والجنّ وأقبل عليه الناس، وعرف الذى كان دخل عليه



لما كان أحدث في داره، فرجع إلى ملكه وأظهر التوبة من ذنبه وأمر الشياطين فقال: ائتوني بصخر. فطلبت له الشياطين حتى أخذ له فأتى به فجاءت له صخرة، فأدخله فيها ثم شد عليه أخرى ثم أوثقها بالرصاص والحديد، ثم أمر به فقذف في البحر. فهذا حديث وهب بن منبه.

قال السدي في سبب ذلك: كان لسليمان (عليه السلام) مائة امرأة، وكانت امرأة منهن يقال لها: جرادة، وهي أبر نساءه وأمنهن عنده، فكان إذا أحدث أو أتى حاجة، نزع خاتمه ولم يأتمن عليه أحدًا من الناس غيرها، فجاءته يوماً من الأيام فقالت له: إن أخى بينه وبين فلان خصومة، وأنا أحب أن تقضى له إذا جاءك.

فقال: نعم. ولم يفعل، فابتلى بقوله وأعطاهما خاتمه ودخل المخرج فخرج الشيطان في صورته، فقال لها: هات الخاتم.

فأعطته، فجاء حتى جلس على مجلس سليمان، وخرج سليمان بعده فسألهما أن تعطيه خاتمه.

فقالت: ألم تأخذه قبل؟

قال: لا. وخرج من مكانه تائبًا، ومكث الشيطان يحكم بين الناس أربعين يوماً.

قال: فأنكر الناس حكمه، فاجتمع قراء بنى إسرائيل وعلماءهم، فجاءوا حتى دخلوا على نساءه، فقالوا: إننا قد أنكرنا هذا، فإن كان سليمان فقد ذهب عقله، وأنكرنا أحكامه، فبكى النساء عند ذلك قال: فأقبلوا يمشون حتى أتوه فأحذقوا به ثم نشروا التوراة فقرأوها، فلما قرءوا التوراة طار من بين أيديهم حتى وقع على شرفة والخاتم معه، ثم طار حتى ذهب إلى البحر فوق الخاتم منه في البحر فابتلعه حوت.

قال: فأقبل سليمان في حاله التي كان فيها، حتى انتهى إلى صياد من صيادي البحر وهو جائع وقد اشتد جوعه، فاستطعمه من صيدهم، وقال: إني أنا سليمان. فقام إليه بعضهم فضربه بعضا فشجه.

قال: فجعل يغسل دمه وهو على شاطئ البحر، فلام الصيادون صاحبهم الذي ضربه، وقالوا: بئس ما صنعت حين ضربته.

فقال: إنه زعم أنه سليمان، فأعطوه سمكتين مما قد مذر عنهم، فلم يشغله ما كان به من الضرب، حتى قام إلى شط البحر فشق بطونهما وجعل يغسلهما، فوجد خاتمه في بطن إحدىهما فأخذه فلبسه، فرد الله عليه ملكه وبهائه، وجاء الطير حتى حامت عليه، فعرف القوم

أنه سليمان ، فقاموا يعتذرون مما صنعوا .

فقال : ما أحمدكم على عذرکم ولا ألومکم على ما كان منكم هذا أمر كان لابد منه .  
ثم جاء حتى أتى ملكه وأمر حتى أتى بالشیطان الذى أخذ خاتمه ، وجعله فى صندوق من  
حديد ثم أطبق عليه ، وأقفل عليه بقفل وختم عليه بخاتمه ثم أمره فألقى فى البحر ، وهو  
كذلك حتى حوَّ الساعه .

وفى بعض الروايات : أن سليمان لما افتتن ، سقط الخاتم من يده وكان فيه ملكه ، فأخذه  
سليمان فأعاده إلى يده فسقط من يده ، فلما رآه سليمان لا يثبت فى يده أيقن بالفتنة ، وأن  
أصف قال لسليمان : إنك مفتون بذنك والخاتم لا يماسك فى يدك أربعة عشر يوماً .

ففرَّ إلى الله تائباً من ذنبك ، وأنا أقوم مقامك وأسير فى عالمك وأهل بيوتك بسيرتك ، إلى  
أن يتوب الله عليك ويردك إلى ملكك .

ففرَّ سليمان هارباً إلى ربه ، وأخذ أصف الخاتم فوضعه فى يده فثبت ، وأن الجسد الذى قال  
الله تعالى : ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً﴾ كان هو أصف كاتباً لسليمان ، وكان عنده علم من  
الكتاب ، فأقام أصف فى ملك سليمان وعالمه يسير بسيرته ويعمل بعمله أربعة عشر يوماً ، إلى  
أن رجع سليمان إلى منزله تائباً إلى الله سبحانه وردَّ الله عليه ملكه ، فقام أصف من مجلسه  
وجلس سليمان على كرسيه ، وأعاد الخاتم فى يده فثبت فيها .

وأخبرنا شعيب بن محمد قال : أخبرنا مكى بن عبدان قال : أخبرنا أحمد بن الأزهر قال :  
حدثنا روح بن عباد قال : حدثنا حماد بن سلمة عن على بن زيد بن جدعان عن سعيد بن  
المسيب : أن سليمان بن داود احتجب عن الناس ثلاثة أيام ، فأوحى الله عزَّ وجلَّ إليه : أن يا  
سليمان احتجبت عن الناس ثلاثة أيام فلم تنظر فى أمور عبادى ، ولم تنصف مظلوماً من  
ظالم . وذكر حديث الخاتم وأخذ الشيطان إياه كما روينا .

وقال فى آخره : قال على : فذكرت ذلك للحسن فقال : ما كان الله عزَّ وجلَّ يسلطه على  
نسائه .

وقال بعض المفسرين : كان سبب فتنة سليمان أنه أمر أن لا يتزوج امرأة إلا من بنى  
إسرائيل ، فتزوج امرأة من غيرهم فعوقب على ذلك .

وقيل : إن سليمان لما أصاب ابنة ملك صيدون أعجب بها ، فعرض عليها الإسلام فأبت  
وامتنعت فحوقها سليمان .

فقال : إن أكرهتنى على الإسلام قتلت نفسى .

فخاف سليمان أن تقتل نفسها، فتزوج بها وهى مشركة، وكانت تعبد صنماً لها من ياقوت أربعين يوماً فى خفية من سليمان إلى أن أسلمت، فعوقب سليمان بزوال ملكه أربعين يوماً. وقال الشعبى فى سبب ذلك: ولد لسليمان ابن، فاجتمعت الشياطين وقال بعضهم لبعض: إن عاش له ولد لم ننفك مما نحن فيه من البلاء والسحر، فسيبنا أن نقتل ولده أو نحيله.

فعلم سليمان بذلك فأمر السحاب حتى حملته الريح وغدا ابنه فى السحاب خوفاً من معرفة الشيطان، فعاقبه الله لحوفه من الشيطان، ومات الولد فألقى ميتاً على كرسيه، فهو الجسد الذى قال الله سبحانه: ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ﴾.

وقيل: هو أن سليمان قال يوماً: لأطوفن الليلة على نساءى كلهن، حتى يولد لى من كل واحدة منهن ابن فيجاهد فى سبيل الله. ولم يستثن، فجامعهن كلهن فى ليلة واحدة، فما خرج له منهن إلا شق مولود، فجاءت به القابلة وألقته على كرسي سليمان. فذلك قوله عز وجل: ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً﴾ وهو ما أخبرنا عبد الله بن حامد عن آخرين قالوا: حدثنا ابن الشرقى، قال: حدثنا محمد بن عقيل وأحمد بن حفص قالوا: حدثنا حفص قال: حدثنى إبراهيم بن طهمان، عن موسى بن عقبة، قال: أخبرنى أبو الزناد، عن عبد الرحمن الأعرج عن أبى هريرة.

قال: قال رسول الله ﷺ: «قال سليمان بن داود لأطوفن الليلة على سبعين امرأة، كل واحدة تأتى بفارس يجاهد فى سبيل الله. فقال له صاحبه: قل إن شاء الله. فلم يقل: إن شاء الله. فطاف عليهن فلم تحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل، والذى نفس محمد بيده لو قال: إن شاء الله لجاهدوا فى سبيل الله فرساناً أجمعون». فذلك قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ﴾.

قال مقاتل: فتن سليمان بعد ملك عشرين سنة، وملك بعد الفتنة عشرين سنة.

﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً﴾: أى شيطاناً، عن أكثر المفسرين.

واختلفوا فى اسمه، فقال مقاتل وقتادة: اسمه صخر بن عمر بن عمرو بن شرحبيل وهو الذى دل سليمان على الألباس حين أمر ببناء بيت المقدس وقيل له: لا يسمعن فيه صوت حديد، فأخذوا الألباس فجعلوا يقطعون به الحجارة والجواهر ولا تصوت، وكان سليمان إذا أراد أن يدخل الخلاء والحمام لم يدخل بخاتمه، فدخل الحمام وذكر القصة فى أخذ الشيطان الخاتم.

قال: وكان فيهم رجل يشبهونه بعمر بن الخطاب في القوة: أما والله لأجربنه، فقال: يا نبي الله - وهو لا يرى أنه نبي الله - أ رأيت أ حدنا تصيبه الجنابة في الليلة الباردة فيدغ الغسل عمداً حتى تطلع الشمس، أ ترى عليه بأساً؟ قال: لا. فرخص له ذلك، وذكر الحديث.

وروى أبو إسحاق عن عمارة بن عبد عن علي رضي الله عنه قال: بينما سليمان جالس على شاطئ البحر وهو يلعب بخاتمه، إذ سقط في البحر وكان ملكه في خاتمه.

وروى حماد بن سلمة عن عمر بن دينار عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ:

«كان نقش خاتم سليمان بن داود لا إله إلا الله محمد رسول الله».

رجع إلى حديث علي قال: فانطلق سليمان وخلف شيطاناً في أهله وأتى عجوزاً فأوى إليها فقالت له العجوز: إن شئت أن تنطلق فأكفيك عمل البيت وإن شئت أن تكفيني البيت وانطلق والتمس.

قال: فانطلق يلتمس، فأتى قوم يصيدون السمك فجلس إليهم فنبذوا إليه سمكات، فانطلق بهن حتى أتى العجوزة، فأخذت تصلحه فشقت بطن سمكة، فإذا فيها الخاتم فأخذته وقالت لسليمان: ما هذا؟

فأخذه سليمان فلبسه، فأقبلت الشياطين والجنّ والإنس والطير والوحوش، وهرب الشيطان الذي خلف في أهله، فأتى جزيرة في البحر فبعث إليه الشياطين فقالوا: لا نقدر عليه، ولكنه يرد علينا في الجزيرة في كل سبعة أيام يوماً، لا نقدر عليه حتى يسكر.

قال: فنزع ماءها وجعل فيها خمراً. قال: فجاء يوم وروده فإذا هو بالخمير فقال: والله إنك لشراب طيب إلا أنك تصبين الحليم وتزيدين الجاهل جهلاً.

ثم رجع حتى عطش عطشاً شديداً ثم أتاها فقال: إنك لشراب طيب إلا أنك تصبين الحليم وتزيدين الجاهل جهلاً.

قال: ثم شربها حتى غلبته على عقله، ثم أروه الخاتم فقال: سمع وطاعة.

قال: فأتى به سليمان فأوثقه ثم بعث به إلى جبل، فذكروا أنه جبل الدخان الذي يرون من نفسه، والماء الذي يخرج من الجبل هو بوله.

وقال السدي: اسم ذلك الشيطان اسمذي وقيل خفيف.

وقال مجاهد: اسمه آصف.

أخبرنا أبو صالح بن أبي الحسن البيهقي الفقيه قال: أخبرنا أبو حاتم التميمي قال: حدثنا أبو الأزهر العبدى قال: حدثنا روح بن عبادة قال: حدثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد

﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً﴾ : قال : شيطاناً يقال له : آصف . قال له سليمان : كيف تفتنون الناس ؟

قال : أرني خاتمك أخبرك . فلما أعطاه نبذه آصف في البحر ، فساح سليمان فذهب ملكه وقعد آصف على كرسيه ومنعه الله سبحانه نساء سليمان فلم يقربهن ، وأنكر الناس أمر سليمان ، وكان سليمان يستطيع فيقول : أتعرفونني ؟ أنا سليمان فيكذبونه حتى أعطته امرأة يوماً حوتاً فبطّ بطنه ، فوجد خاتمه في بطنه فرجع إليه ملكه وفرّ آصف فدخل البحر . وقيل : إن الجسد هو آصف بن برخيا الصديق ، وقد مضت القصة .

وقيل : هو الولد الميت الذي غدا في السحاب .

وقيل : هو الولد الناقص الخلق .

وقيل : معنى قوله : ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً﴾ : أن سليمان ضرب بعلة أشرف منها على الموت ، حتى صار جسداً في المثل بلا روح ، وقد وصف المريض المضنى بهذه الصفة ، فيقال كالجسد الملقى ولم يبق منه إلا جسده وتقدير الآية ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً﴾ .

#### ❖ وأما صفة كرسي سليمان :

فروى أن سليمان لما ملك بعد أبيه ، أمر باتخاذ كرسي ليجلس عليه للقضاء ، وأمر بأن يعمل بديعاً مهولاً ، بحيث إن لو رآه مبطل أو شاهد زور ارتدع وتهيب .

قال : فعمل له كرسي من أنياب الفيل ، وفصصوه بالياقوت واللؤلؤ والزبرجد وأنواع الجواهر ، وحففوه بأربع نخلات من ذهب شماريخها الياقوت الأحمر والزمرد الأخضر ، على رأس نخلتين منها طاوسان من ذهب وعلى رأس الآخرين نسران من ذهب بعضها مقابل لبعض ، وقد جعلوا من جنبتي الكرسي أسدين من الذهب ، على رأس كل واحد منهما عمود من الزمرد الأخضر ، وقد عقدوا على النخلات أشجار كروم من الذهب الأحمر ، واتخذوا عنقيدها من الياقوت الأحمر ، بحيث أظل عريش الكروم النخل والكرسي .

قال : وكان سليمان إذا أراد صعوده وضع قدميه على الدرجة السفلى ، فيستدير الكرسي كله بما فيه دوران الرحى المسرعة ، وتنشر تلك النسور والطواويس أجنحتها ويبسط الأسدان أيديهما فيضربان الأرض بأذناهما ، وكذلك يفعل كل درجة يصعد بها سليمان ، فإذا استوى بأعلاه أخذ النسران اللذان على النخلتين تاج سليمان فوضعه على رأس سليمان ، ثم يستدير الكرسي بما فيه ويدور معه النسران والطاوسان والأسدان مائلات برؤوسها إلى سليمان

ينضحن عليه من أجوافها المسك والعنبر ثم تناولت حمامة من ذهب قائمة على عمود من جوهر من أعمدة الكرسى التوراة، ويفتحها سليمان ويقرأها على الناس ويدعوهم إلى فصل القضاء، ويجلس عظماء بنى إسرائيل على كراسى الذهب المفصصة وهى ألف كرسى عن يمينه، ويجىء عظماء الجن ويجلسون على كراسى من الفضة عن يساره وهى ألف كرسى حافين جميعاً به، ثم تحف بهم الطير تظلمهم، ويتقدم إليه الناس للقضاء، فإذا دعى بالبينات وتقدمت الشهود لإقامة الشهادات، دار الكرسى بما فيه من جميع ما حوله دوران الرحى المسرعة، ويبسط الأسدان أيديهما ويضربان الأرض بأذنايهما وينشر النسران والطاوسان أجنحتهما، فيفزع منه الشهود ويدخلهم من ذلك رعب شديد، فلا يشهدون إلا بالحق.

﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي﴾ : ذنبى ﴿وَهَبْ لِي مَلَكًا لَا يَتَّبِعِي لِأَحَدٍ﴾ .

وقال ابن كيسان: أى لا يكون لأحد.

﴿مَنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ : المعطى.

قال عطاء بن أبى رباح: يريد هب لى ملكاً لا أسلبه فى باقى عمرى كما سلبته فى ماضى عمرى.

وقال مقاتل بن حيان: كان سليمان ملكاً ولكنه أراد بقوله: ﴿لَا يَتَّبِعِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي﴾

تسخير الرياح والطيور، يدل عليه ما بعده.

وقيل: إنما سأل ذلك ليكون آية لنبوته ودلالة على رسالته ومعجزاً لمن سواه.

وقيل: إنما سأل ذلك ليكون علماً له على المغفرة وقبول التوبة، حيث أجاب الله سبحانه

وتعالى دعاءه ورد إليه ملكه وزاد فيه.

وقال عمر بن عثمان الصدفي: أراد به ملك النفس وقهر الهوى.

يؤيده ما أخبرنا عبد الله بن حامد قال: أخبرنا محمد بن خالد قال: حدثنا داود بن سليمان

قال: حدثنا عبد بن حميد قال:

أخبرنا عبد الله بن يزيد قال: حدثنا عبد الرحمن بن زياد الأفريقي قال: حدثنا سلمان بن

عامر الشيباني قال: بلغنى أن رسول الله ﷺ قال: «أرأيتم سليمان وما أعطاه الله من ملكه؟

فإنه لم يرفع طرفه إلى السماء تخشعاً لله عز وجل حتى قبضه الله عز وجل».

وأخبرنا شعيب بن محمد قال: أخبرنا مكى بن عبدان قال: حدثنا أبو الأزهر قال: حدثنا

روح بن عباد قال: حدثنا هشام عن الحسن أن النبى ﷺ قال: «قد عرض لى الشيطان فى

مصلاى الليلة كأنه هر كم هذا، فأخذته فأردت أن أحبسه حتى أصبح، فذكرت دعوة أختى

سليمان ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي﴾: فتركته.

وعنه عن روح عن شعبة عن محمد بن زياد قال: سمعت أبا هريرة قال: إن رسول الله ﷺ قال: «إن عفريتًا من الجن جعل يتقلب على البارحة ليقطع على صلواتي وإن الله عز وجل أمكنني منه فرعته فلقد هممت أن أربطه إلى سارية من سوارى المسجد حتى يصبح فتنتظرون إليه كلكم، فتذكرت قول سليمان: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي﴾ فرده الله عز وجل خاسئًا».

﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِ رُحَاءَ﴾: لينة رطبة ﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾: حيث أراد وشاء، بلغة

حمير.

تقول العرب: أصاب الصواب وأخطأ الجواب، أى أراد الصواب.

قال الشاعر:

أصاب الكلام فلم يستطع فأخطأ الجواب لدى المفصل

﴿وَالشَّيْطِينِ﴾: أى وسخرنا له الشياطين ﴿كُلَّ بَنَاءٍ وَشَوَاصٍ﴾: يستخرجون له اللآئى من البحر، وهو أول من استخرج اللؤلؤ من البحر ﴿وَأَخْرَجَ مَقْرِنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾: يعنى مشدودين فى القيود واحدها صنف ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ﴾: فأعط، من قوله سبحانه: ﴿وَلَا تَمَنَّ سَتَكُنَّ﴾ (المدثر: ٦).

وتقول العرب: من على برغيف، أى أعطانيه.

قال الحسن: إن الله عز وجل لم يعط أحدا عطية إلا جعل فيها حسابًا، إلا سليمان فإن الله سبحانه أعطاه عطاء هنيئًا فقال: ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ﴾.

﴿أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾: قال: إن أعطى أجر وإن لم يعط لم يكن عليه تبعه.

قال مقاتل: هو فى أمر الشياطين، خذ من شئت منهم فى وثاقتك لا تبعه عليك فيما تتعاطاه.

﴿وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى﴾: قرية ﴿وَحُسْنَ مَّآبٍ﴾: مصير.

﴿وَأَذْكَرَ عَبْدَنَا أَيُّوبَ﴾.

قال مقاتل: كنيته أبو عبد الله.

﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ أُنَى مَسْنَى الشَّيْطَانِ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾: بتعب ومشقة وبلاء وضر.

قال مقاتل: بنصب فى الجسد وعذاب فى المال.

وفيه أربع لغات: (نُصِبَ) بضم نين وهى قراءة أبى جعفر، و(نَصَبَ) بفتح النون والصاد

وهى قراءة يعقوب و(نَصَب) بفتح النون وجزم الصاد وهى رواية هبيرة عن حفص عن عاصم، و(نُصَب) بضم النون وجزم الصاد وهى قراءة الباقيين.

واختلفوا فى سبب ابتلاء أيوب:

فقال وهب: استعان رجل أيوب على ظلم يدرأه عنه، فلم يعنه فابتلى.

وروى حيان عن الكلبي: أن أيوب كان يغزو ملكاً من الملوك كافراً، وكانت مواشى أيوب

فى ناحية ذلك الملك، فداهنه ولم يغزه فابتلى.

وقال غيرهما: كان أيوب كثير المال فأعجب بماله فابتلى.

﴿أَرْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾: الأرض، أى ادفع وحرك ﴿هَذَا مُغْتَسَلٌ﴾.

ثم نبعت له عين أخرى باردة فقال: هذا ﴿بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذَكَرْنَا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿وَخَذَ يَدِيكَ ضَعْفًا﴾: أى حزمة من الحشيش ﴿فَأَضْرِبْ بِهِ﴾: امرأتك

﴿وَلَا تَحْنَثْ﴾: فى يمينك ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾.



﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ إِنَّا  
أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ﴿وَأَنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ﴾ وَأَذْكُرْ  
إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ الْأَخْيَارِ ﴿هَذَا ذِكْرٌ وَإِن لِلْمُتَّقِينَ لِحُسْنِ  
مَّآبٍ ﴿جَنَّتْ عَدْنٌ مُّفْتَحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ ﴿مُتَّكِنِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَكَهَةٍ كَثِيرَةٍ  
وَشَرَابٍ ﴿وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَاتٌ الْطَّرْفِ أترَابٌ ﴿هَذَا مَا تُوْعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿إِن  
هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ ﴿هَذَا وَإِنَّا لِلطَّغْيِينِ لَشَرٌّ مَّآبٍ ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ  
الْمِهَادُ ﴿هَذَا فَلْيَذوقوه حَمِيمٌ وَعَسَاقُ ﴿وَعَاخِرُ مِنْ شَكْلِهِمْ أَزْوَاجٌ ﴿هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ  
مَّعَكُمْ لَا مَرْجَا بِهِمْ ﴿إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ﴿قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَأَمْرَجَاءُ بِكُمْ أَنْتُمْ قَدْ مَتَمُّوهُ لَنَا فَبِئْسَ  
الْقَرَارُ ﴿

﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا﴾ قرأه العامة: بالألف.

وقرأ ابن كثير: (عبدنا) على الواحد، وهى قراءة ابن عباس.

أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن يوسف الفقيه قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن يحيى



ابن بلال قال : حدثنا يحيى بن الربيع المكي قال : حدثنا سفيان بن عيينة عن عمر بن عطاء عن ابن عباس أنه كان يقرأ : ﴿وَأذْكَرَ عَبْدَنَا﴾ ويقول : إنما ذكر إبراهيم ثم ولده بعده ﴿إِبْرَاهِيمَ وَاسْحَقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدَى﴾ : ذوى القوة فى العبادة ﴿وَالْأَبْصَرَ﴾ : التبصر فى العلم والدين ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذَكَرَى الدَّارِ﴾ .

قرأ أهل المدينة مضافاً وهى رواية هشام عن الشام .

وقرأ الآخرون : بالتثوين على البدل ﴿وَأَنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنِ الْأَخْيَارِ﴾ وَأَذْكَرُ اسْمَعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ ﴿هَذَا﴾ : الذى ذكرت ﴿ذَكَرٌ وَإِنَّ الْمُتَّقِينَ لِحُسْنِ مَقَابِ ﴿جَنَّتِ عَذْرَبٌ مُفْتَحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ ﴿مُتَّكِنِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفِكَهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ الْأُنْثَى ﴿لذات مستويات على ملاذ امرأة واحدة بنات ثلاث وثلاثين سنة ، واحدها ترب ﴿هَذَا مَا تَدْعُونَ﴾ : بالتاء .

ابن كثير وأبو عمر والباقون : بالياء .

﴿لِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ : أى فى يوم الحساب .

قال الأعشى :

المهينين ما لهم لزمان السوء حتى إذا أفاق أفاقوا

أى فى زمان السوء ﴿إِنَّ هَذَا الرِّزْقُ مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾ : هلاك وفناء ﴿هَذَا وَإِنَّ لِلطَّغِينِ﴾ : الكافرين ﴿لَشَرِّ مَقَابِ ﴿جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا﴾ : يدخلونها ﴿فَبَيْسَ الْبِهَادِ ﴿هَذَا﴾ : أى هذا العذاب ﴿فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾ .

قال الفراء : رفعت الحميم والغساق بـ(هذا) مقدماً ومؤخراً ، والمعنى هذا حميم وغساق فليذوقوه ، وإن شئت جعلته مستأنفاً وجعلت الكلام فيه مكثفياً كاملاً قلت : هذا فليذوقوه ثم قلت منه حميم وغساق .

كقول الشاعر :

حتى إذا ما أضاء الصبح فى غلس وغودر البقل ملوى ومحصول

واختلف الفراء فى قوله : (وغساق) ، فشددها يحيى بن وثاب وحمزة والكسائى وخلف وحفص وهى قراءة أصحاب عبد الله ، وخففها الآخرون .

قال الفراء : من شدد جعله اسماً على فعال نحو الحَبَّازِ والطَّبَّاحِ . ومن خفف جعله اسماً

على فعال نحو العذاب .

واختلف المفسرون فيه :

فقال ابن عباس: هو الزمهرير يحرقهم ببرده كما تحرقهم النار.  
وقال مجاهد ومقاتل: هو الثلج البارد الذي قد انتهى برده، أى يريد هو المبين بلغة  
الطحارية وقد بلغه النزل.

محمد بن كعب: هو عصارة أهل النار.  
قتادة والأخفش: هو ما يغسق من قروح الكفرة والزناة بين لحومهم وجلودهم، أى تسيل.  
قال الشاعر:

إذا ما تذكرت الحياة وطبيها      وإلى جرى دمع من العين غاسق  
﴿وَأَخْرُ﴾ : قرأ أهل البصرة ومجاهد: (وأخر) بضم الألف على جمع أخرى، واختاره أبو  
عبيد وأبو حاتم، لأنه نعتة بالجمع فقال: أرواح مثل الكبرى والكبر.  
وقرأ غيرهم: على الواحد وآخر.  
﴿مِنْ شَكَلِي﴾ : مثله ﴿أَزْوَاجُ﴾ : أصناف من العذاب والكناية فى شكله راجعة إلى العذاب  
فى قوله هذا.

وأما قوله: ﴿هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِرٌ مَّعَكُمْ﴾ : قال ابن عباس: هو أن القادة إذا دخلوا النار ثم دخل  
بعدهم الأتباع قالت الحزنة للقادة ﴿هَذَا﴾ : يعنى الأتباع ﴿فَوْجٌ﴾ : جماعة ﴿مُّقْتَحِرٌ مَّعَكُمْ﴾ :  
النار، أى داخلوها كما دخلتم.

فقال السادة: ﴿لَا مَرْحَبًا بِهِمْ﴾ : يعنى بالأتباع ﴿إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ﴾ كما صليناها، فقال الأتباع  
للسادة: ﴿قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدْ مَثُمُوا لَنَا﴾ : أى شرعتم وسنتم الكفر لنا ﴿فَبَسَّ  
الْقُرْآنُ﴾ : أى قرارنا وقراركم، والمرحب والرحب السعة، ومنه رحبة المسجد.

قال أبو عبيدة: يقول العرب للرجل: لا مرحباً بك، أى لا رحبت عليك الأرض، أى  
اتسعت.

وقال القتبي: معنى قولهم: مرحباً وأهلاً وسهلاً، أى أتيت رحباً وسعة، وأتيت سهلاً لا  
حزناً، وأتيت أهلاً لا غرباء فأنس ولا تستوحش، وهى فى مذهب الدعاء كما تقول: لقيت  
خيراً، فلذلك نصب.

قال النابغة:

لا مرحباً بغد ولا أهلاً به      إذا كان تفريق الأجابة فى غد



﴿قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ﴾ وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ ﴿أَتَّخَذْتَنَّهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ﴾ إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَائِكَةِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ إِنَّ يُوْحَىٰ إِلَىٰ إِلَّا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿

﴿قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا﴾: أى شرّعه وسنّه ﴿فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ﴾: على عذابنا.

وقال ابن مسعود: يعنى حيات وأفاعى.

﴿وَقَالُوا﴾: يعنى صنديد قريش وهم فى النار ﴿مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ﴾: فى دار الدنيا، يعنى فقراء المؤمنين ﴿أَتَّخَذْتَنَّهُمْ سِخْرِيًّا﴾.

قرأ أهل العراق إلا عاصمًا وأيوب: بوصل الألف، واختاره أبو عبيد قال: من جهتين: إحداهما: أن الاستفهام متقدم فى قوله: ﴿مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا﴾.

والأخرى: أن المشركين لم يكونوا يشكون فى اتخاذهم المؤمنين فى الدنيا سخريًا، فكيف يستفهمون عمّا قد عملوه. ويكون على هذه القراءة بمعنى بل.

وقرأ الباقر: بفتح الألف وقطعها على الاستفهام وجعلوا (أم) جوابًا لها مجازًا: اتخذناهم سخريًا فى الدنيا وليسوا كذلك، فلم يدخلوا معنا النار.

﴿أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ﴾: فلا نراهم وهم فى النار، ولكن احتجوا عن أبصارنا.

وقال الفراء: هو من الاستفهام الذى معناه التعجب والتوبيخ، فهو يجوز باستفهام ويطرحة.

وقال ابن كيسان: يعنى أم كانوا خيرًا منّا ولا نعلم نحن بذلك، فكانت أبصارنا تزيغ منهم فى الدنيا فلا نعدّهم شيئًا.

أخبرنا أبو بكر الحمشادى قال: أخبرنا أبو بكر القطيعى قال: حدثنا إبراهيم بن عبد الله بن مسلم قال: حدثنا عصمة بن سليمان الجرار عن يزيد عن ليث عن مجاهد ﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ﴾.

قال: صهيب وسلمان وعمّار لا نراهم فى النار ﴿أَتَّخَذْتَنَّهُمْ سِخْرِيًّا﴾: فى الدنيا ﴿أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ﴾: فى النار ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾: الذى ذكرت ﴿لِحَقٍّ﴾: ثم بين فقال: ﴿تَخَاسُمُ﴾: أى

هو تخاصم ﴿أَهْلِ النَّارِ﴾: ومجاز الآية: أن تخاصم أهل النار فى النار لحق ﴿قُلْ﴾: يا محمد لمشركى مكة ﴿إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ﴾: مخوف ﴿وَمَا مِن إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ: يعنى القرآن.

عن ابن عباس ومجاهد وقتادة، وروى معمر عنه يوم القيامة، نظيرها ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ عن النَّبِيِّ الْعَظِيمِ ﴿النبا: ١، ٢﴾.

﴿أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾ ما كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ: فى شأن آدم وهو قولهم حين قال الله سبحانه لهم: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا﴾ (البقرة: ٣٠) الآية هذا قول أكثر المفسرين.

وروى ابن عباس عن النبى عليه السلام قال: «قال ربى: أتدرى فىم يختصم الملاء الأعلى يعنى الملائكة؟  
فقلت: لا.

قال: اختصموا فى الكفارات والدرجات، فأما الكفارات: فإسباغ الوضوء فى السبرات، ونقل الأقدام إلى الجماعات، وانتظار الصلاة بعد الصلاة: وأما الدرجات: فإفشاء السلام، وإطعام الطعام، والصلاة بالليل والناس نيام».

﴿إِنْ يُوحَىٰ إِلَىٰ إِلَٰهِنَا أَنَا تَذِيرٌ مَّبِينٌ﴾  
قال الفراء: إن شئت جعلت (إنما) فى موضع رفع، كأنك قلت: ما يوحى إلى إلا الإنذار، وإن شئت جعلت المعنى ما يوحى إلى إلا لأنى نذير مبين.  
وقرأ أبو جعفر (إنما) بكسر الألف، لأن الوحى قول.



﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿فَسَجَدَ الْمَلَكَةُ كُلُّهُمْ أَسْجُودًا﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿قَالَ فَأخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ

الْمُخْلِصِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ ﴿٣٩﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾  
 قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٤١﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾  
 وَلِتَعْلَمَنَّ نَبَأُهُ بَعْدَ حِينٍ ﴿٤٣﴾

﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰئِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ رُوحَ سٰجِدِينَ ﴿٣٨﴾ فَسَجَدَ الْمَلٰئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكٰفِرِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِيْ ﴿٤١﴾: وفي تحقيق الله سبحانه وتعالى التنشئة في اليد، دليل على أنه ليس بمعنى النعمة والقوة والقدرة، إنما هما وصفان من صفات ذاته.

قال مجاهد: اليد ههنا بمعنى التأكيد، والصلة مجاز لما خلقت، كقوله سبحانه: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ﴾ (الرحمن: ٢٧) أي ربك، وهذا تأويل غير قوى، لأنه لو كان بمعنى الصلة فكان لإبليس أن يقول: إن كنت خلقتك فقد خلقتني. وكذلك في القدرة والنعمة، لا تكون لآدم في الخلق مزية على إبليس وقد مضت هذه المسألة عند قوله: ﴿مِمَّا عَمِلْتَ آيٰتِيآ﴾ (يس: ٧١).

قال: العرب تسمى الاثنين جميعاً لقوله سبحانه: ﴿هٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا﴾ (الحج: ١٩)، وقوله: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (النور: ٢) قال: هما رجلان وقال: ﴿فَقَدَّ صَغَفْتَ قُلُوبُكُمَا﴾ (التحریم: ٤).

﴿أَسْتَكْبَرْتَ﴾: ألف الاستفهام تدخل على ألف الخبر ﴿أَزَكُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾: المتكبرين على السجود كقوله سبحانه: ﴿إِن فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ (القصص: ٤). ﴿قَالَ﴾: إبليس ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ قَالَ فَأَخْرَجْنَا مِنْهَا: أي من الجنة. وقيل: من السموات.

وقال الحسن وأبو العالية: أي من الحلقة التي أنت فيها.

قال الحسين بن الفضل: وهذا تأويل صحيح، لأن إبليس تجبر وافتخر بالخلقة، فغير الله تعالى خلقه فاسودَّ بعدما كان أبيض وقبح بعدما كان حسناً وأظلم بعد أن كان نورانياً.

﴿فَأَنبَأَكَ رَبِّجِمٍ﴾: مطرود معذب ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يَبْعَثُونَ ﴿٤٠﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٤١﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٤٢﴾: وهو النفخة الأولى ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلِصِينَ ﴿٤٣﴾ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ ﴿٤٤﴾.

قرأ مجاهد والأعمش وعاصم وحزمة وخلف: برفع الأول ونصب الثانية على معنى فأنا الحق أو فمضى الحق، وأقول الحق.

وقال الباقون: بنصبها.

واختلف النحاة في وجهيهما، قيل: نصب الأول على الإغراء والثاني بإيقاع القول عليه. وقيل: هو الأول قسم، والثاني مفعول مجاز قال: فبالحق وهو الله عز وجل أقسم بنفسه والحق أقول.

وقيل: إنه أتبع قسماً بعد قسم.

وقال الفراء وأبو عبيد: معناهما حقاً لم يدخل الألف واللام، كما يقال: الحمد لله وأحمد الله، هما بمعنى واحد.

وقرأ طلحة بن مصرف: فالحق والحق بالكسر فهما على القسم.

وسمعت أبا القاسم بن حبيب يقول: سمعت أبا بكر بن عبدش يقول: هو مردود إلى ما قبله ومجازه: فبعزتك وبالحق والحق قال الله سبحانه: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ﴾: أى من نفسك وذريتك ﴿وَمَنْ يَمَكُّ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ: أى على تبليغ الوحى، كناية عن غير مذكور ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾: قال الحسين بن الفضل: هذه الآية ناسخة لقوله ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ (الشورى: ٢٣).

﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾: المتقولين القرآن من تلقاء نفسى.

أخبرنا ابن فنجويه قال: حدثنا أحمد بن محمد بن إسحاق البستى قال:

حدثنا أحمد بن عمير بن يوسف قال: حدثنا محمد بن عوف قال: حدثنا محمد بن المصفى قال: حدثنا حنوة بن سريج بن يزيد قال: حدثنا أرطأة بن المنذر عن ضمرة بن حبيب عن سلمة بن مقبل قال: قال رسول الله ﷺ: «للمتكلف ثلاث علامات: ينازع من فوقه، ويتعاطى ما لا ينال، ويقول فيما لا يعلم».

وأخبرنا ابن فنجويه قال: حدثنى السنّى قال: حدثنى عبد الله بن محمد بن جعفر قال: حدثنا أحمد بن يحيى الصوفى قال: حدثنا شعيب بن إبراهيم قال: حدثنا سيف بن عمر الضبى عن وائل بن داود عن يزيد البهى عن الزبير بن العوام قال: نادى منادى رسول الله ﷺ: «اللهم اغفر للذين يدعون أمواتى ولا يتكلفون إلا أنى برىء من التكلف وصالحو أمتى».

وأخبرنى الحسين قال: حدثنا ابن شيبه قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن وهب قال: حدثنا إبراهيم بن عمرو بن بكر السكسكى ببيت المقدس قال: حدثنا أبى قال: حدثنا إبراهيم بن . . . (١) عليه الزهرى عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه صعد المنبر

(١) يياض بالأصل المخطوط.

فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس من آتاه الله عزّ وجلّ علماً فليتق الله وليعلمه الناس ولا يكتمه ، فإنه من كتم علماً يعلمه كان كمن كتم ما أنزل الله تعالى على نبيه وأمره أن يعلمه الناس ، ومن لم يعلم فليسكت وإياه أن يقول ما لا يعلم فيهلك ويصير من المتكلفين ويرق من الدين ، وإن الله عزّ وجلّ قال : ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ من أفتى بغير السنة فعليه الإثم .

وأخبرني الحسن قال : حدثنا السني قال : أخبرنا أبو خليفة قال : حدثنا محمد بن خير العبدى قال : أخبرنا سفيان الثوري عن الأعمش عن منصور عن أبي الضحى عن مسروق عن عبد الله بن مسعود قال : يا أيها الناس من علم شيئاً فليقل به ومن لم يعلم شيئاً فليقل الله أعلم ، فإن من العلم أن يقول لما لا يعلم : الله أعلم وإن الله عزّ وجلّ قال لنبيه : ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ ﴿إِن هُوَ﴾ : ما هو يعنى القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ : عظة ﴿لِّلْعَالَمِينَ﴾ ﴿وَلِتَعْلَمَنَ نَبَأُهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ .  
قال قتادة : يعنى بعد الموت .  
وابن عباس : يعنى بعد القيامة .



## سُورَةُ الزُّمَرِ

مكية، إلا قوله سبحانه: ﴿قُلْ يَعْبَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا﴾ الآية، وهي أربعة آلاف وتسعمائة وثمانية أحرف، وألف ومائة واثنان وسبعون كلمة، وخمس وسبعون آية<sup>(١)</sup>

أخبرنا ابن المقرئ قال: أخبرنا ابن مطر قال: حدثنا ابن شريك قال: حدثنا ابن يونس قال: حدثنا أبو سليمان قال: حدثنا هارون بن كثير عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي أمامة عن أبي ابن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الزمر لم يقطع الله رجاءه، وأعطاه ثواب الحائفين».

وأخبرني ابن فنجويه قال: حدثنا ابن حمدان قال: حدثنا ابن ماهان قال: حدثنا مسدد قال: حدثنا حماد بن يزيد عن مروان أبي لبابة مولى عبد الرحمن بن زياد عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يقرأ كل ليلة بنى إسرائيل والزمر.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿تَنْزِيلَ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٢﴾ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يَكُونُ أَتِلًا عَلَى النَّهَارِ وَيَكُونُ أُنْهَارًا عَلَى

(١) قال القرطبي في تفسيره تعليقاً على هذه السورة: سورة الزمر، ويقال سورة الغرف.

قال وهب بن منبه: من أحب أن يعرف قضاء الله في خلقه فليقرأ سورة الغرف.

وهي مكية في قول الحسن، وعكرمة، وعطاء وجابر، وابن زيد.

وقال ابن عباس: إلا آيتين نزلتا بالمدينة إحداهما: ﴿الله نزل أحسن الحديث﴾. والأخرى: ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم﴾ الآية.

وقال آخرون: إلا سبع آيات من قوله تعالى: ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم﴾ إلى آخر سبع آيات نزلت في وحشى وأصحابه.



الَّيْلِ وَسَخَرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿١٠﴾ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَنِيَّةً ۚ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَدُونٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ فَآذَى تُصْرَفُونَ ﴿١١﴾ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۗ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٢﴾ ۖ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ۗ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوًّا إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ ۗ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۗ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۗ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴿١٣﴾ ۖ أَمَنْ هُوَ قَدِيتُ ۗ أَنَاءَ الْيَلْبِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَخْذُرُ الْأَحْرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٤﴾

﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾. قال الفراء: معناه هذا تنزيل الكتاب، وإن شئت رفعت له من، مجازه:

من الله تنزيل الكتاب، وإن شئت جعلته ابتداء وخبره بما بعده.

﴿مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾. إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١٠﴾: أى الطاعة

﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾: قال قتادة: شهادة أن لا إله إلا الله.

قال أهل المعانى: لا يستحق الدين الخالص إلا الله.

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾: يعنى الأصنام ﴿مَا تَعْبُدُهُمْ﴾: والخبر محذوف مجازه (١):

أى قالوا.

﴿إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾.

(١) جاء بأعلى هذه الصفحة وقف الكتاب بما نصه وفتى الله تعالى فى ذى القعدة سنة (١٢٤١) هذا المجلد من تفسير الإمام الثعلبى، والنظر فيه لنفسى، ثم للأرشد من ذرىتى إن كان لى عقب وإلا فللأرشد من ذرية جدى شيخ الإسلام محمد مراد بن الحافظ يعقوب بن محمود الأنصارى السندى ذكراً كان أو أنثى ينتفع بنظره الخاص والعام.

كتبه واقفه محمد بن أحمد بن شيخ أحمد على ابن محمد الأنصارى رضى الله عنه وعن والديه وأسلافه ومشايخه رضاء لا سخط بعده أمين. اهـ.

ثم كتب بأعلى زاوية الصفحة من ناحية اليسار:

ورد هذا إلى محمد صديق بن عبد الله فى نوبة الفقير جعفر يحيى قادر فى جمادى سنة (١٢٤٨).

قال قتادة: وذلك أنهم كانوا إذا قيل لهم من ربكم ومن خلقكم وخلق السموات والأرض ونزل من السماء ماء؟.

قالوا: الله.

فيقال لهم: فما يعنى عبادتكم الأوثان؟.

قالوا: ليقربونا إلى الله زلفى وتشفع لنا عند الله.

قال الكلبي: وجوابه فى الأحقاف ﴿فَلَوْلَا نَصْرُهُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً﴾

(الأحقاف: ٢٨) الآية.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ : يوم القيامة ﴿فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ : من أمر الدين ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي﴾ :

لدينه وحجته ﴿مَنْ هُوَ كَذِبٌ كَفَّارٌ﴾ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿كَمَا زَعَمُوا﴾ لَا صَطْفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يَكْوَرُ أَيْلٌ عَلَى النَّهَارِ وَيَكْوَرُ النَّهَارُ عَلَى أَيْلٍ﴾ .

قال قتادة: يعنى يغشى هذا على هذا ويغشى هذا على هذا<sup>(١)</sup>، نظيره قوله: ﴿يَغْشَى أَيْلٌ

النَّهَارُ﴾ (الأعراف: ٥٤).

وقال المؤرج: يدخل هذا على هذا وهذا على هذا، نظيره قوله: ﴿يُولِجُ أَيْلٌ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ

النَّهَارَ فِي أَيْلٍ﴾ (فاطر: ١٣).

قال مجاهد: يُدور.

وقال الحسن وابن حيان والكلبي: ينقص من الليل فيزيد فى النهار وينقص من النهار فيزيد

فى الليل، فما نقص من الليل دخل فى النهار وما نقص من النهار دخل فى الليل، ومنتهى

النقصان تسع ساعات ومنتهى الزيادة خمس عشرة ساعة<sup>(٢)</sup>، وأصل التكوير اللف والجمع،

ومنه كور العمامة.

(١) قلت: لأهل العلوم العصرية من أهل علوم الفضاء والجيولوجيا أقوال كثيرة علمية فى تفسير: ﴿يكور الليل على

النهار﴾ وقد تكلم فى ذلك الأستاذ الدكتور زغلول النجار، فأفاد وأجاد، وبين سبب تقديم الليل على النهار فى

هذا التكوير وبين أن النهار غبار ذرى وأنه غلالة ذرية حول الأرض، الأرض تضىء بسقوط الشمس عليها أو ما

هذا معناه.

(٢) ليس ما قال هنا على إطلاقه، وإنما المعروف أن ذلك متعلق بالقرب والبعد عن خط الاستواء فكلما بعد عنه قلَّ

النهار وطال الليل والعكس بالعكس حتى يصل إلى أن يستويا اثنتى عشرة ليلاً ونهاراً لا يزيدان ولا ينقصان،

وهناك ليل يطول إلى ستة أشهر أو يزيد ونهار ستة أشهر أو يزيد، وهناك ليل دائم، ونهار دائم وهذا معروف لدى

طلاب المدارس الأولية فى هذه الأزمان، ولكن لا حياة هناك لبشر فى تلك المناطق المسماة بالقطبية.

﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّورُ ۗ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ مِنْهَا نِزْلًا مِّنْ رَّبِّهَا ۗ وَنَسُوا وَجْعَلُ لَكُمْ﴾ : وقال بعض أهل المعانى : جعلنا لكم نزلاً وورزقاً .  
 ﴿مِنَ الْأَنْعَامِ تَمَثَّلَ لَكُمْ أَزْوَاجٌ يَخْلُقْكُمْ﴾ : أصناف وأفراد ، تفسيرها فى سورة الأنعام ﴿فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلَقْنَا مِنْ بَعْدِ خَلْقِكُمْ﴾ : نطفة ثم علقة ثم مضغة ، كما قال : ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ (نوح: ١٤) .

وقال ابن زيد : معناه يخلقكم فى بطون أمهاتكم من بعد الخلق الأول الذى خلقكم فى ظهر آدم .

﴿فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾ يعنى البطن والرحم والمشيمة<sup>(١)</sup> ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ : عن عبادته إلى عبادة غيره ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ .

فإن قيل : كيف ؟ .

قال : ولا يرضى لعباده الكفر وقد كفروا .

قلنا : معناه لا يرضى لعباده أن يكفروا به ، وهذا كما يقول : لست أحب الإساءة وإن أحببت أن يسىء فلان فلانا فيعاقب .

وقال ابن عباس والسدى : معناه ولا يرضى لعباده المخلصين المؤمنين الكفر ، وهم الذين قال : ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ (الإسراء: ٦٥) : فيكون عاماً فى اللفظ خاصاً فى المعنى كقوله : ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ (الإنسان: ٦) وإنما يريد به بعض العباد دون البعض .

﴿وَإِنْ تَشْكُرُوا﴾ : تؤمنوا ربكم وتطيعوه ﴿يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ : ويشيكم عليه ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۗ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۗ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾ : مخلصاً راجعاً إليه مستغيثاً به ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ﴾ : أعطاه ، ومنه قيل للمال والعطاء : خول ، والعييد خول .

قال أبو النجم :

أعطى فلم يبخل ولم يبخل كوم الذرى من خول المخول  
 ﴿نِعْمَةٌ مِنْهُ نَبِيٌّ﴾ : ترك ﴿مَا كَانَ يَدْعُوا إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ﴾ : فى حال النصر ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ : يعنى

الأوثان .

(١) وذكر القرطبي عن الماوردي فيها قوله فى ظهر الأب ، ثم خلقا فى بطن الأم ، ثم خلقا بعد الوضع . قلت : وأهل الطب أكثر بها علماً خصوصاً علماء الأجنة . والله أعلم .

وقال السدي: يعنى أنداداً من الرجال، يطيعهم<sup>(١)</sup> فى معاصى الله.

﴿لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلٌّ تَتَمَعَّ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ۗ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ﴾ .

قرأ نافع وابن كثير ويحيى بن وثاب والأعمش وحمزة: (أمن) بتخفيف الميم.

وقرأ الآخرون بتشديده، فمن شدده فله وجهان، أحدهما: تكون الميم فى أم صلة ويكون معنى الكلام الاستفهام، وجوابه محذوف مجازة: أمن هو قانت كمن هو غير قانت، كقوله: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ (الزمر: ٢٢): كمن لم يشرح الله صدره، أو تقول: أمن هو قانت كمن جعل لله أنداداً.

والوجه الثانى: أن يكون بمعنى العطف على الاستفهام مجازة: فهذا خير أم من هو قانت، فحذف لدلالة الكلام عليه ونحوها كثير.

ومن خفف فله وجهان:

أحدهما: أن يكون الألف فى (أمن) بمعنى حرف النداء، تقديره: يا من هو قانت، والعرب تنادى بالألف كما تنادى بياء فتقول: يا زيد أقبل، وأزيد أقبل.

قال أوس بن حجر:

أبنى لىنى لستم بيد ألا يد لىست لها عضد

يعنى يا بنى لىتنى .

وقال آخر:

أضمر بن ضمرة ماذا ذكرت من صرمة<sup>(٢)</sup> أذت بالمغار

فىكون معنى الآية: قل تمتع بكفرك قليلاً إنك من أصحاب النار، ويا من هو قانت آناء الليل إنك من أهل الجنة، كما تقول: فلان لا يصلى ولا يصوم، فيا من تصلى وتصوم أبشر، فحذف لدلالة الكلام عليه.

والوجه الثانى: أن يكون الألف فى (أمن) ألف استفهام، ومعنى الكلام: أهذا كالذى جعل لله أنداداً، فاكتفى بما سبق إذ كان معنى الكلام مفهوماً.

كقول الشاعر:

فاقسم لوشىء أتاناً رسوله سواك ولكن لم نجد لك مدفعا

أراد لدفعناه .

(١) فى متن المخطوط: «يطيعونهم» والتصويب من الهامش.

(٢) فوقها فى المتن: «حرمة».

وقال ابن عمر: القنوت قراءة القرآن وطول القيام.

وقال ابن عباس: الطاعة.

﴿إِنَاءَ اللَّيْلِ﴾ : ساعاته ﴿سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ﴾ .

أخبرنا عبد الله بن حامد الوزان، أخبرنا محمد بن خالد، أخبرنا داود بن سليمان، أخبرنا عبد بن حميد، حدثنا الحسن بن موسى، حدثنا يعقوب بن عبد الله عن جعفر عن سعيد بن جبير: أنه كان يقرأ: (أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر عذاب الآخرة).

﴿وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ .

قال مقاتل: نزلت في عمار بن ياسر وأبي حذيفة بن المغيرة بن عبد الله المخزومي.

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ﴾ : يعنى عمار ﴿وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ : يعنى أبا حذيفة ﴿إِنَّمَا

يَتَذَكَّرُ أُولَ الْأَلْبَابِ﴾ .

أخبرنا الحسين بن محمد بن العدل حدثنا هارون بن محمد بن هارون العطار حدثنا حازم ابن يحيى الحلوانى حدثنا محمد بن يحيى بن الطفيل حدثنا هشام بن يوسف حدثنى محمد بن إبراهيم اليمانى قال: سمعت وهب بن منبه يقول: سمعت ابن عباس يقول: من أحب أن يهون الله تعالى الموقف عليه يوم القيامة، فليره الله فى سواد الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه.



﴿قُلْ يَاعِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَأَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةٌ إِنَّمَا يُؤْفَى الصَّابِرُونَ أَجْرُهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾ ﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ﴾ ﴿قُلْ إِنْ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ ﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظِلٌّ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظِلٌّ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ يَاعِبَادِ فَاتَّقُونِ﴾ ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمْ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ

كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُتَّقِدُ مَنْ فِي النَّارِ ﴿١﴾ .

﴿قُلْ يٰعِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ : يعنى الجنة، عن

مقاتل .

وقال السدى : يعنى العافية والصحة .

﴿وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ﴾ : فهاجروا فيها واعتزلوا الأوثان، قاله مجاهد .

وقال مقاتل : يعنى أرض الجنة .

﴿إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ .

قال قتادة : لا والله ما هنالك مكيال ولا ميزان .

أخبرنا الحسين بن محمد بن فنجويه الدينورى بقراءتى عليه، حدثنا أحمد بن محمد بن إسحاق السنى حدثنا إبراهيم بن محمد بن الضحاك حدثنا نصر بن مرزوق حدثنا أسيد بن موسى حدثنا بكر بن حبيش عن ضرار بن عمرو عن زيد الرقاشى عن أنس بن مالك عن النبى ﷺ : «تنصب الموازين يوم القيامة، فيؤتى بأهل الصلاة فيؤتون أجورهم بالموازين، ويؤتى بأهل الصيام فيؤتون أجورهم بالموازين، ويؤتى بأهل الصدقة فيؤتون أجورهم بالموازين، ويؤتى بأهل الحج فيؤتون أجورهم بالموازين، ويؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان، ويصب عليهم الأجر صباً بغير حساب، قال الله تعالى : ﴿إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ : حتى يتمنى أهل العافية فى الدنيا أن أجسادهم تُقرض بالمقاريض مما يذهب به أهل البلاء من الفضل»<sup>(١)</sup> .

قال حدثنا أبو على المقرئ قال : حدثنا أبو سهل عن إسماعيل بن سيف عن جعفر بن سليمان الضبعى عن سعد بن الطريف عن الأصبع بن نبأة قال : دخلت مع على بن أبى طالب إلى الحسن بن على رضى الله عنهما نعوده فقال له على : كيف أصبحت يا ابن رسول الله ؟ .

قال : أصبحت بنعمة الله بارئاً .

قال : كذلك إن شاء الله .

ثم قال الحسن : أسندونى . فأسنده على إلى صدره ثم قال : سمعت جدى رسول الله ﷺ يقول : «يا بنى أد الفرائض تكن من أعبد الناس، وعليك بالقنوع تكن أغنى الناس، يا بنى إن فى الجنة شجرة يُقال لها : شجرة البلوى، يؤتى بأهل البلاء فلا يُنصب لهم ميزان ولا يُنشر لهم

(١) هذا حديث ضعيف فى إسناده يزيد الرقاشى وهو ضعيف .

ديوان، يُصب عليهم الأجر صبا. ثم تلا رسول الله ﷺ هذه الآية - ﴿إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

حدثنا الحارث بن أبي أسامة حدثنا داود بن المحبر حدثنا عباد بن كثير عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي أنه قال: «من سره أن يلحق بذي الألباب والعقول فليصبر على الأذى والمكاره فذلك آية العقل وكمال التقوى، وآية الجهل الجزع ومن جزع صيره جزعه إلى النار، وما نال الفوز في القيامة إلا الصابرون إن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ وقال الله تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ۖ سَلَمٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (الرعد: ٢٣، ٢٤).

﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ۗ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾: من هذه الأمة ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾: فعبدت غيره ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾: وهذا حين دعى إلى دين آبائه، قاله أكثر المفسرين.

وقال أبو حمزة الثمالي والسبب هذه الآية منسوخة<sup>(١)</sup>، إنما هذا قبل أن عُفِرَ ذنب رسول الله ﷺ.

﴿قُلْ اللَّهُ أَعْبَدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ۗ فَأَعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ﴾<sup>(٢)</sup>  
 أمر توييح وتهديد كقوله: ﴿أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ (فصلت: ٤٠). وقيل: نسخها آية القتال<sup>(٣)</sup> ﴿قُلْ  
 إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ: وَأَزْوَاجَهُمْ وَخَدَمَهُمْ فِي الْجَنَّةِ﴾ ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ إِلَّا ذَلِكَ  
 هُوَ الْخَسِرَانُ الْمُبِينُ﴾.

قال ابن عباس: إن الله تعالى جعل لكل إنسان منزلاً في الجنة وأهلاً، فمن عمل بطاعة الله تعالى كان له ذلك المنزل والأهل، ومن عمل بمعصية الله صيره الله تعالى إلى النار، وكان المنزل ميراناً لمن عمل بطاعة الله إلى ما كان له قبل ذلك وهو قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ (المؤمنون: ١٠).

﴿لَهُمْ مِنْ قَوْعِهِمْ ظُلَلٌ﴾: أطباق وسرادق ﴿مِنَ النَّارِ﴾: ودخانها ﴿وَمِنْ تَحْتِهَا ظُلَلٌ﴾: مهاد وفراش من نار، وإنما سمى الأسفل ظلاً، لأنها ظلل لمن تحتهم، نظيره قوله تعالى: ﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ قَوْعِهِمْ غَوَاشٍ﴾ (الأعراف: ٤١) وقوله: ﴿يَوْمَ يَعْشَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ قَوْعِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ

(١) تكلمت في أكثر من موضع من هذا الكتاب عن خلاف العلماء في مسألة النسخ والمنسوخ فهم بين معارض ومؤيد، وهذه الآية أرى أنه لا يشوبها نسخ والله تعالى أعلم.

(٢) انظر التعليق السابق.

أَرْجُلَهُمْ ﴿العنكبوت: ٥٥﴾ وقوله: ﴿أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ وقوله: ﴿وَظِلٌّ مِّنْ يَحْمُورٍ﴾ (الواقعة: ٤٣) وقوله سبحانه وتعالى: ﴿أَنْطَلِقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾ (المرسلات: ٣٠).  
 ﴿ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِعِبَادِهِ يِعْبَادُهُ فَاتَّقُونَ ﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّنُوعَ ﴾ : الأوثان ﴿أَنْ يَّعْبُدُوهَا وَأَنْبِؤُا﴾ : رجعوا له ﴿إِلَى اللَّهِ﴾ : إلى عبادة الله ﴿لَهُمُ الْبَشَرَى﴾ : فى الدنيا بالجنة وفى العقبى ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾<sup>(١)</sup> ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ : أرشده وأهداه إلى الحق .

أخبرنا الحسين بن محمد الدينورى حدثنا أحمد بن محمد بن إسحاق أخبرنا إبراهيم بن محمد حدثنا يونس حدثنا ابن وهب أخبرنا يحيى بن أيوب عن خالد بن يزيد عن عبد الله بن زحر عن سعيد بن مسعود قال : قال أبو الدرداء : لولا ثلاث ما أحببت أن أعيش يوماً واحداً : الظماً بالهواجر ، والسجود فى جوف الليل ، ومجالسة أقوام ينتقون من خير الكلام كما ينتقى طيب التمر .

قال قتادة : أحسنه طاعة الله .

وقال السدى : أحسنه ما يرجون به فيعملون به .

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَأَوْلَيْتُكَ هُمُ أُولُوا الْأَلْسِبِ﴾ .

عن ابن زيد فى قوله: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّنُوعَ﴾ الآيتين، حدثنى أبى: أن هاتين الآيتين نزلتا فى ثلاثة نفر كانوا فى الجاهلية يقولون: لا إله إلا الله، وهم زيد بن عمرو وأبو ذر الغفارى وسلمان الفارسى .

﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كِتْمَةُ الْعَذَابِ﴾ : بكفره ﴿أَفَأَنْتَ تُنقِذُ مَنْ فِي النَّارِ﴾ أى : هو يكون من أهل النار، كرر الاستفهام كما كرر: أنكم ﴿أَيَّدِكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظْمًا أَنْكُمْ مُخْرَجُونَ﴾ (المؤمنون: ٣٥) .

ومثله كثير .



﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ ﴿ أَمْ تَرَأْنَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعٌ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطْلًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا

(١) فى المخطوط : «عبادى» والرسم من مصحف حفص عن عاصم .



لِأُولَى الْأَلْبَابِ ﴿١٠﴾ أَمَّنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَلَيْسِيَّةِ  
 قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١١﴾ اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا  
 مَثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى  
 اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضَلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿١٢﴾ أَمَّنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ  
 الْقِيَامَةِ وَقَلِيلٌ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿١٣﴾ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَاتَّهَمُوا الْعَذَابُ مِنْ  
 حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا  
 يَعْلَمُونَ ﴿١٥﴾ وَقَدْ صَرَّبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿١٦﴾ قُرْءَانَا  
 عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٧﴾

﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ﴾ : غرف مبنية، قال ابن عباس : من زبرجد وياقوت .

حدثنا عبد الله بن محمد بن شنبه حدثنا الفريابي قال : حدثني يحيى بن معين حدثنا معن  
 ابن عيسى عن مالك بن أنس عن صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري  
 عن رسول الله عليه السلام قال : «إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون  
 الكوكب الدرى الغابر من الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم، فقالوا : يا رسول الله  
 تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم قال : بلى والذى نفسى بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا  
 المرسلين» . ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَّ اللَّهُ﴾ : نصب على المصدر ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ  
 السَّمَاءِ﴾ : أى من السحاب ﴿مَاءً فَسَالَكُمُ﴾ : فأدخله ﴿يَنْبِيعٌ﴾ : عيوناً ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ ، قال  
 الشعبى والضحاك : كل ماء فى الأرض فمن السماء نزل وإنما ينزل من السماء إلى الصخرة ثم  
 يقسم منها العيون والركايا ﴿ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زُرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيَجُ﴾ : يبيس ﴿فَقَتَرَهُ﴾ : بعد  
 خضرته ﴿مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا﴾ : أى فتاتا منكسراً متفتتاً ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولَى الْأَلْبَابِ﴾  
 ﴿أَمَّنْ شَرَحَ اللَّهُ﴾ : فتح الله ﴿صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ : للإيمان ﴿فَهُوَ عَلَى نُورٍ﴾ : على دلالة ﴿مِنْ رَبِّهِ﴾ :  
 قال قتادة : النور كتاب الله منه تأخذ وإليه تنتهى ومجاز الآية ﴿أَمَّنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ  
 عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ : أى أفتح شرح الله صدره للإسلام كمن ألقى قلبه .

أخبرنا أبو عبد الله بن فنجويه حدثنا عبيد الله بن محمد بن شيبه حدثنا أبو جعفر محمد بن  
 الحسن بن يزيد حدثنا الموصلى ببغداد حدثنا أبو فروة واسمه يزيد بن محمد حدثني أبي عن أبيه

حدثنا زيد بن أبي أنيسة عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن الحارث عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله عليه السلام : «أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه» .

قلنا : يا رسول الله كيف انشرح صدره؟

قال : «إذا دخل النور لقلبه انشرح وانفتح» .

قلنا : يا رسول الله فما علامة ذلك؟

قال : «الإجابة إلى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والتأهب للموت قبل نزول الموت» . وقال الثمالي : بلغنا أنها نزلت في عمّار بن ياسر وقال مقاتل : «أفمن شرح الله صدره

لِلْإِسْلَامِ : يعنى النبى ﷺ .

﴿فَوَيْلٌ لِلنَّاسِ لِلَّذِينَ قَلْبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ : أبو جهل وذويه من الكفار ﴿أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ .

أخبرنا الحسن بن محمد بن الحسين الحافظ أخبرنا أبو أحمد القاسم بن محمد بن أحمد بن عبدويه<sup>(١)</sup> السراج الصوفى أخبرنا إبراهيم بن محمد بن يعقوب البزاز حدثنا الحسين بن الفضل ابن السمح البصرى ببغداد ، حدثنا جنبد ، حدثنا أبو مالك الواسطى الحسينى ، حدثنا أبو عبد الرحمن السلمى عن داود بن أبي هند عن أبي نصر عن أبي سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ قال : «قال الله عز وجل : اطلبوا الحوائج من السمحاء فإنى جعلت فيهم رحمتى ولا تطلبوها من القاسية قلوبهم فإنى جعلت فيهم سخطى»<sup>(٢)</sup> .

أخبرنا الحسين بن محمد حدثنا عبد الله بن إبراهيم بن على بن عبد الله قال : حدثنا عبد الله ابن محمد عن وهب حدثنا يوسف بن الصباح العطار حدثنا إبراهيم بن سليمان بن الحجاج حدثنا عمى محمد بن الحجاج حدثنا يوسف بن ميسرة بن جبيرة عن أبي إدريس الخولانى عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ : «إن الله رفيق يحب الرفق فى الأمر كله ويحب كل قلب خاشع حلیم رحيم يعلم الناس الخير ويدعو إلى طاعة الله ، ويبغض كل قلب قاس ينام الليل كله فلا يذكر الله تعالى ولا يدرى يرد عليه روحه أم لا» .

أخبرنا أبو عبد الله بن فنجويه حدثنا ابن نصرويه حدثنا ابن وهب حدثنا إبراهيم بن بسطام حدثنا سعيد بن عامر حدثنا جعفر بن سليمان عن مالك بن دينار قال : ما ضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة قلبه وما غضب الله تعالى على قوم إلا نزع منهم الرحمة .

﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا﴾ . قال ابن مسعود وابن عباس : قال الصحابة : يا

(١) فى المتن : «عبد ربه» والتصويب من الهامش .

(٢) هذا خبر لا يصح .

رسول الله لو حدثنا، فنزلت: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا﴾: يشبه بعضه بعضاً في الحسن ويصدق بعضه بعضاً ليس فيه تناقض ولا اختلاف فيه.

وقال قتادة: تشبه الآية الآية والكلمة الكلمة والحرف الحرف.

﴿مَثَانِي﴾: القرآن. قال المفسرون: يسمى القرآن مثنى لأنه تثنى فيه الأخبار والأحكام والحدود وتثنى للتلاوة فلا ميل ﴿تَقَشَّرُ﴾: وتستنفر ﴿مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾.

يعنى إلى العمل بكتاب الله والتصديق به وقيل إلى بمعنى اللام.

أخبرنا الحسين بن محمد بن فنجويه حدثنا عبيد الله بن محمد بن شنبه حدثنا أحمد بن داود حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا خلف بن سلمة عنه حدثنا هشيم عن حصين عن عبد الله بن عروة ابن الزبير قال: قلت لجدتي أسماء بنت أبي بكر كيف كان أصحاب رسول الله ﷺ يفعلون إذا قرئ عليهم القرآن؟

قالت: كانوا كما نعتهم الله تعالى تدمع أعينهم وتتشعر جلودهم.

فقلت لها: إن ناساً اليوم إذا قرئ عليهم القرآن؟

قالت: كما نعتهم: خر أحدهم مغشياً عليه.

فقالت: أعود بالله من الشيطان الرجيم.

وبه عن سلمة حدثنا يحيى بن يحيى حدثنا سعيد بن عبد الرحمن الجمحي: أن ابن عمر مرَّ

برجل من أهل العراق ساقط<sup>(١)</sup> فقال: ما بال هذا؟

قالوا: إنه إذا قرئ عليه القرآن وسمع ذكر الله تعالى سقط.

فقال ابن عمر: إنا لنخشى الله وما نسقط.

وقال ابن عمر: إن الشيطان يدخل في جوف أحدهم، ما كان هذا صنيع أصحاب محمد

ﷺ.

أخبرنا الحسين بن محمد بن فنجويه حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان بن عبد الله حدثنا إبراهيم بن الحسين بن ديزيل حدثنا أبو نعيم حدثنا عمران أو حمران بن عبد العزيز قال: ذكر

عند ابن سيرين الذين يصرعون إذا قرئ عليهم القرآن فقال: بيننا وبينهم أن يقعد أحدهم على ظهر بيت باسطاً رجله ثم يقرأ عليه القرآن من أوله إلى آخره، فإن رمى بنفسه فهو صادق.

حدثنا الحسن بن محمد حدثنا أبو بكر بن مالك حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثنا

(١) في المخطوط: «حافظ». وهو تحريف.

صلت بن مسعود الجحدري حدثنا جعفر بن سليمان حدثنا أبو عمران الجوني قال: وعظ موسى (عليه السلام) قومه فشق رجل منهم قميصه فقبل لموسى قل لصاحب القميص لا يشق قميصه أشرح لي عن قلبه.

أخبرنا الحسين بن محمد حدثنا عبيد الله بن عبد الله بن أبي سمرة البغوي حدثنا أحمد بن محمد بن أبي شيبة حدثنا الحسن بن سعيد بن عمر حدثنا سعدان بن نصر أبو علي حدثنا نشابة عن أبي غسان المدني محمد بن مطرف عن زيد بن أسلم قال: قرأ أبي بن كعب عند النبي ﷺ (ومعه أصحابه) (١) فرقوا فقال رسول الله ﷺ: «اغتموا الدعاء عند الرقة فإنها رحمة».

أخبرنا الحسين بن محمد حدثنا محمد بن عبد الله بن برزة وموسى بن محمد بن علي بن عبد الله قالوا: حدثنا محمد بن يحيى بن سليمان المروزي حدثنا يحيى بن عبد الحميد الحماني (ح) (٢) وأخبرنا الحسين بن محمد وحدثنا موسى بن محمد بن علي حدثنا محمد بن عبدوس ابن كامل حدثنا يحيى بن عبد الحميد الحماني حدثنا عبد العزيز بن محمد عن يزيد بن الهاد عن محمد بن إبراهيم التيمي عن أم كلثوم بنت العباس عن العباس بن عبد المطلب قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا اقشعر جلد العبد من خشية الله تعالى تحاتت عنه ذنوبه كما تحاتت عن الشجرة اليابسة ورقها».

أخبرنا الحسين بن محمد حدثنا أحمد بن جعفر حدثنا حمدان حدثنا موسى بن إسحاق الأنصاري حدثنا محمد بن معونة حدثنا الليث بن سعد حدثنا يزيد بن عبد الله بن الهاد عن محمد بن إبراهيم التيمي عن أم كلثوم بنت العباس بن عبد المطلب (٣) قالت: سمعت النبي ﷺ يقول: «إذا اقشعر جلد العبد من خشية الله تعالى حرّمه الله تعالى على النار».

﴿ذَلِكَ﴾: يعني أحسن الحديث ﴿هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضَلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ﴾: وفيه ردّ على القدرية ﴿أَفَمَن يَتَّبِعِ بَوَّجْهِ سَوْءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: أي شدته يوم القيامة. قال مجاهد: يجر على وجهه في النار. وقال عطاء: يرمى به في النار منكوساً، فأول شيء تمسه النار وجهه. وقال مقاتل: هو أن الكافر يرمى به في النار مغلولة (٤) يده إلى عنقه، وفي

(١) زيادة من تفسير القرطبي.

(٢) زيادة حديثة يتطلبها سياق الإسناد.

(٣) في الهامش السفلى للصفحة تعليق نصه: في نسخة بنت العباس عن جابر قال.

(٤) في متن المخطوط: «مغلولاً» والتصويب من الهامش.

قلت والخبر لا يصح اعتقاده إذ إن الله تعالى أخبر أنه لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد فيكفي ما وصف الله به عذابه ومن تقول غير ذلك فلا يقبل منه إلا أن يأتي على ما يقوله ببرهان.

عنقه صخرة ضخمة مثل الجبل العظيم من الكبريت ، فاشتعل النار في الحجر وهو معلق في عنقه ، فحرها ووهجها على وجهه لا يطيق دفعها من وجهه من أجل الأغلال التي في يده وعنقه ، ومجاز الآية ﴿أَفَمَنْ يَتَّبِعِي بَوَجهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ : كمن هو آمن من العذاب وهو كقوله : ﴿أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَبِيرًا﴾ (فصلت : ٤٠) الآية .

قال المسيب : نزلت هذه الآية في أبي جهل .

﴿وَقِيلَ﴾ أي : ويقول الخزنة ﴿لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ أي : وباله ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَاتَّخَذَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ فأذاقهم الله الخزي : العذاب والذل الذي يستحيا منه ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْعَذَابِ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعالمهم يتذكرون ﴿قرء أنا عربياً﴾ : نصب على الحال ﴿غَيْرِ ذِي عِوَجٍ﴾ .

قال مجاهد : يعنى غير ذى لبس .

قال عثمان بن عفان : غير متضاد .

ابن عباس : غير مختلف .

السدى : غير مخلوق .

بكر بن عبد الله المزنى : غير ذى لحن .

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ : الكفر والتكذيب به .



﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴿ثم إنكم يوم القيمة عند ربكم تختصمون﴾ ﴿فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق إذ جاءه﴾ اليس في جهنم مثوى للكافرين ﴿والذى جاء بالصدق وصدق به﴾ أولئك هم الممتقون ﴿لهم ما يشاءون عند ربهم﴾ ذلك جزاء المحسنين ﴿ليكفر الله عنهم أسوأ الذى عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الذى كانوا يعملون﴾ اليس الله بكاف عبده ﴿ويخوفونك بالذين من دونه﴾ ومن يضلل الله فما له من هاد ﴿ومن يهد الله فما له من مضل﴾ اليس الله بعزير ذى انتقام ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله قل أفرء يئتم ما تدعون من دون الله إن

أَرَادَنِي اللَّهُ بِضُرِّ هَلْ هُنَّ كَشَفَتْ ضُرَّهُ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمَسِكَتُ رَحْمَتَهُ<sup>ع</sup>  
 قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٠٠﴾ قُلْ يَتَقَوْمِ أَعْمَلُوا عَلَيَّ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَمَلٌ فَسَوْفَ  
 تَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا﴾ .

قال الكسائي: نصب رجلاً، لأنه ترجمة للمثل وتفسير له، وإن شئت نصبته بنزع  
 الخافض، مجازه ضرب الله مثلاً لرجل أو في رجل.

﴿فِيهِ شُرَكَاءٌ مَّتَشَكِّسُونَ﴾: مختلفون متنازعون متشاحون فيه وكل واحد منهم يستخدمه  
 بقدر نصيبه فيه يقال رجل شكس وشرس وضرس وضبس، إذا كان سيئ الخلق مخالفاً  
 للناس.

وقال المورج: متشاكسون متماكسون يقال شاكسني فلان أي ماكسني.

﴿وَرَجُلًا سَلَمًا﴾ .

قرأ ابن عباس ومجاهد والحسن وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب سالمًا بالألف، واختاره أبو  
 عبيد، قال: إنما اخترنا سالمًا لصحة التفسير فيه، وذلك أن السالم الخالص وهو ضد المشترك،  
 وأما السلم فهو ضد المحارب، ولا موضع للحرب ههنا.

وقرأ سعيد بن جبير: سلمًا بكسر السين وسكون اللام.

وقرأ الآخرون: سلمًا بفتح السين واللام من غير ألف، واختاره أبو حاتم وقال: هو الذي  
 لا تنازع فيه.

﴿رَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾: وهذا مثل ضربه الله تعالى للكافر الذي يعبد آلهة شتى، والمؤمن  
 لا يعبد إلا الله الواحد، ثم قال عز من قائل: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: الشكر الكامل لله سبحانه دون كل  
 معبود سواه ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿إِنَّكَ﴾: يا محمد ﴿مَيِّتٌ﴾: عن قليل ﴿وَأَنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ .

وقرأ ابن محيصن وابن أبي عليّة: إنك مايت وإنهم مايتون، بالألف فيهما.

قال الحسن والكسائي والفراء: (الميت)، بالتشديد، من لم يميت سيموت، و(الميت)،  
 بالتخفيف الذي فارقه الروح، لذلك لم يخفف ههنا.

قال قتادة: نُعِيَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَفْسَهُ، وَنُعِيَتْ إِلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ.

أخبرنا ابن فنجويه حدثنا ابن ماجه حدثنا الحسين بن أيوب حدثنا عبد الله بن أبي زياد حدثنا  
 سيار بن حاتم حدثنا جعفر بن سليمان حدثنا ثابت قال: نعى رجل إلى صلت بن أشيم أخاه

فوافقه يأكل فقال: ادن فكل فقد نعى إلى أخى منذ حين.

[قال: وكيف وأنا أول من أتك بالخبر؟] <sup>(١)</sup> قال: [إن] <sup>(١)</sup> الله تعالى [نعاه إلى] <sup>(١)</sup> فقال الله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾.

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾: المحق والمبطل والظالم والمظلوم.

أخبرنا ابن فنجويه الدينورى حدثنا ابن مالك حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثنى أبى حدثنا ابن نمير حدثنا محمد بن عمرو عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب عن عبد الله بن أنس عن الزبير بن العوام قال: لما نزلت على رسول الله ﷺ: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾. قال الزبير: يا رسول الله أكرر علينا ما كان بيننا فى الدنيا مع خواص الذنوب؟ قال: «نعم ليكررن عليكم حتى يؤدى إلى كل ذى حق حقه».

قال الزبير: والله إن الأمر لشديد.

أخبرنا الحسين بن محمد حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان بن عبد الله حدثنا إبراهيم بن الحسين بن ديزيل حدثنا آدم بن أبى أياس بن أبى ذنب حدثنا سعيد المقرئ عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من كانت عنده مظلمة لأخيه من ماله أو عرضه فليتحللها اليوم منه قبل أن يؤخذ حين لا يكون درهم ولا دينار إن كان له عمل صالح أخذ بقدر مظلمته، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحملت عليه».

أخبرنا الحسين بن محمد الثقفى حدثنا الفضل بن الفضل الكندى حدثنا أبو عبد الله محمد ابن عبد الله بن محمد بن النعمان حدثنا محمد بن بكر بن أبى بكر البرجمى حدثنا محمد بن المنهال حدثنا يزيد بن زريع حدثنا روح بن القاسم عن العلاء عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «تدرون من مفلس أمتى؟».

قلنا: نعم من لا مال له.

قال: «لا، مفلس أمتى من يُجاء به يوم القيامة قد ضرب هذا وشتم هذا وأخذ مال هذا، فيؤخذ من حسناته فيوضع على حسنات الآخر، وإن فضل عليه فضل أخذ من سيئات الآخر فطرحت عليه ثم يؤخذ فيلقى فى النار».

وقال أبو العالية: هم أهل القبلة.

أخبرنا الحسين بن فنجويه حدثنا موسى بن على بن عبد الله بن الحسن بن علوية حدثنا عبيد

(١) زيادة يتطلبها السياق زدتها من القرطبي.

ابن جناد العلوي الحلبي حدثنا عبيد الله بن عمرو عن زيد بن أبي أنيسة عن الليث<sup>(١)</sup> بن عوف البكري قال: سمعت ابن عمر يقول: لقد عشنا برهة من دهرنا ونحن نرى أن هذه الآية أنزلت فينا وفي أهل الكتابين ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾: قلنا: كيف نختصم وبنينا واحد فما هذه الخصومة وكتابنا واحد؟ حتى رأيت بعضنا يضرب وجه بعض بالسيف، فعرفت أنه فينا نزلت.

وروى خلف بن خليفة عن أبي هاشم عن أبي سعيد الخدري في هذه الآية قال: كنا نقول: ربنا واحد وديننا واحد، فما هذه الخصومة؟ فلما كان يوم صفين وشدّ بعضنا على بعض بالسيوف قلنا: نعم هو هذا.

أخبرنا الحسين بن فنجويه حدثنا عبد الله بن يوسف حدثنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي حدثنا أبو الربيع الزهراني حدثنا حماد بن زيد: زعم ابن عون عن إبراهيم قال: لما نزلت ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾: قالوا: كيف نختصم ونحن إخوان؟ فلما قتل عثمان قالوا: هذه خصومتنا.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ﴾: فزعم أن له ولداً وشريكاً ﴿وَكَذَّبَ بِالْصِّدْقِ﴾: بالقرآن ﴿إِذْ جَاءَهُ الْبُرْهَانُ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى﴾: منزل ومقام ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ والَّذِي جَاءَ بِالْصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ﴿. قال السدي: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالْصِّدْقِ﴾ يعني جبريل جاء بالقرآن ﴿وَصَدَّقَ بِهِ﴾ محمد تلقاه بالقبول.

وقال ابن عباس: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالْصِّدْقِ﴾ يعني رسول الله جاء بلا إله إلا الله ﴿وَصَدَّقَ بِهِ﴾ هو أيضاً رسول الله بلغه إلى الخلق.

وقال علي بن أبي طالب وأبو العالية والكلبي: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالْصِّدْقِ﴾ يعني رسول الله ﷺ ﴿وَصَدَّقَ بِهِ﴾ أبو بكر.

وقال قتادة ومقاتل: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالْصِّدْقِ﴾ رسول الله ﴿وَصَدَّقَ بِهِ﴾ هم المؤمنون واستدلا بقوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾.

وقال عطاء: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالْصِّدْقِ﴾ الأنبياء (عليهم السلام) ﴿وَصَدَّقَ بِهِ﴾ الأتباع وحينئذ يكون (الذي) بمعنى (الذين) على طريق الجنس كقوله: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ (البقرة: ١٧) ثم قال: ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ (البقرة: ١٧) وقوله: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنٌ خَصِيسٌ﴾ (إلا الَّذِينَ ءَامَنُوا) (العصر: ٢، ٣).

(١) كذا في المتن، وفي هامش المخطوط: «أبي القاسم».



ودليل هذا التأويل ما أخبرنا ابن فنجويه حدثنا طلحة بن محمد بن جعفر وعبيد الله بن أحمد بن يعقوب قالوا: حدثنا أبو بكر عن مجاهد حدثنا عبدان بن محمد المروزي حدثنا عمار ابن الحسن حدثنا عبد الله بن أبي جعفر الرازي عن أبيه عن الربيع: أنه كان يقرأ (والذين جاءوا) يعنى الأنبياء (عليهم السلام) (وصدقوا به) الأتباع.

وقال الحسن: هو المؤمن صدق به فى الدنيا وجاء به يوم القيامة.

يدل عليه ما أخبرنا ابن فنجويه حدثنا أبو على بن حبش المقرئ أخبرنا يعنى الظهرانى أخبرنا يحيى بن الفضل الخرقى حدثنا وهيب بن عمرو أخبرنا هارون النحوى عن محمد بن حجارة عن أبى صالح الكوفى وهو أبو صالح السمان أنه قرأ ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾: مخففة، قال: هو المؤمن جاء به صادقاً فصدق به.

وقال مجاهد: هم أهل القرآن يجيئون به يوم القيامة يقولون هذا الذى أعطيتمونا فعملنا بما فيه.

﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٠٠﴾ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠١﴾ لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٢﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾.

قرأ أبو جعفر ويحيى بن وثاب والأعمش وحزمة والكسائى وخلف: عباده بالجمع.  
وقرأ الباقون: عبده يعنون محمداً ﷺ.

﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾: وذلك أنهم خوفوا النبى ﷺ معرفة الأوثان وقالوا: إنك تعيب ألهتنا وتذكرها بسوء، فوالله لتكف عن ذكرها أو لنخلىنك أو يصيبك بسوء ﴿وَمَنْ يَضِلَّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿١٠٣﴾ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ ﴿١٠٤﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَتُ رَحْمَتِي﴾: شدة وبلاء ﴿هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ﴾: نعمة ورخاء ﴿هَلْ هُنَّ مُمْسِكَتُ رَحْمَتِي﴾.

قرأ شيبه وأبو عمرو ويعقوب: بالتنوين فيهما، واختاره أبو عبيدة وأبو حاتم.

وقرأ الباقون: بالإضافة.

قال مقاتل: فسألهم النبى عليه السلام فسكتوا فأنزل الله سبحانه ﴿قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٠٥﴾ قُلْ يَتَقَوَّمُ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَاتِكُمْ إِنِّي عَسِمْ فُسُوقَ تَعْمَلُونَ﴾: إذا جاءكم بأس الله تعالى من المحق منا ومن المبطل.



﴿مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿١٠﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿١١﴾ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فِيمَسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٢﴾ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلُوبَهُمْ أَوْ لَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿١٣﴾ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٥﴾ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِيمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٦﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿١٧﴾ وَبَدَأَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿١٨﴾ وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتٍ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٩﴾ فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِمَّا قَالُوا إِنَّمَا أَوْتَيْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٠﴾ قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٢١﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٢٢﴾ أَوْ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٣﴾﴾

﴿مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿١٠﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿١١﴾ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فِيمَسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٢﴾ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلُوبَهُمْ أَوْ لَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿١٣﴾ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٥﴾ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِيمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٦﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿١٧﴾ وَبَدَأَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿١٨﴾ وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتٍ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٩﴾ فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِمَّا قَالُوا إِنَّمَا أَوْتَيْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٠﴾ قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٢١﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٢٢﴾ أَوْ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٣﴾﴾

﴿مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿١٠﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿١١﴾ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فِيمَسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٢﴾ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلُوبَهُمْ أَوْ لَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿١٣﴾ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٥﴾ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِيمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٦﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿١٧﴾ وَبَدَأَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿١٨﴾ وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتٍ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٩﴾ فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِمَّا قَالُوا إِنَّمَا أَوْتَيْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٠﴾ قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٢١﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٢٢﴾ أَوْ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٣﴾﴾

حملهم على الإيمان .  
﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾: فيقبضها عند فناء أجلها وانقضاء مدتها ﴿وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾: كما يتوفى التي ماتت، فجعل النوم موتاً ﴿فِيمَسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ﴾: عنده .  
قرأ يحيى بن وثاب والأعمش وحمزة والكسائي وخلف: قُضِيَ بضم القاف وكسر الضاد وفتح الباء ﴿الْمَوْتُ﴾: رفع على مذهب ما لم يُسم فاعله .

وقرأ الباقر بفتحها، واختاره أبو عبيد وأبو حاتم، قالا: لقوله: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ فهو يقضى عليها.

قال المفسرون: إن أرواح الأحياء والأموات تلتقى في المنام فيتعارف ما شاء الله تعالى منها، فإذا أراد جميعها الرجوع إلى أجسادها، أمسك الله تعالى أرواح الأموات عنده وحبسها، وأرسل أرواح الأحياء حتى ترجع إلى أجسادها.

﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ : وقت انقضاء مدة حياتها ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ .  
أخبرنا عبد الله بن حامد الأصبهاني أخبرنا محمد بن جعفر المطري حدثنا علي بن حرب الموصلي حدثنا ابن فضل حدثنا عطاء عن سعيد بن جبير في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ قال: يقبض أنفوس الأموات والأحياء، فيمسك أنفوس الأموات ويرسل أنفوس الأحياء إلى أجل مسمى لا يغلط.

وقال ابن عباس: في ابن آدم نفس وروح بينهما مثل شعاع الشمس، فالنفس التي بها العقل والتمييز، والروح التي بها النفس والتحرك، فإذا نام العبد قبض الله نفسه ولم يقبض روحه.

أخبرنا الحسين بن محمد الثقفى حدثنا الفضل بن الفضل الكندى حدثنا إبراهيم بن سعد بن معدان حدثنا ابن كاسب حدثنا عبد الله بن رجاء عن عبيد الله عن سعيد عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «إذا أوى أحدكم إلى فراشه، فليضطجع على شقه الأيمن وليقل: باسمك ربى وضعت جنبي وبك أرفعه، إن أمسكت نفسي فاغفر لها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين».

﴿أَمْ آتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلُوبَهُمْ أَوْ لَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا﴾ : من الشفاعة ﴿وَلَا يَعْلَمُونَ﴾ : يعنى وإن كانوا لا يملكون شيئاً من الشفاعة ولا يعقلون أنكم تعبدونهم أفتعبدونهم ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا﴾ : فمن يشفع فبإذنه يشفع ﴿لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ تَعْبُدُونَهُ تَرْجِعُونَ﴾ وإذا ذكر الله وحده أشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة.

قال ابن عباس ومجاهد ومقاتل: انقبض.  
قتادة: كفرت واستكبرت.

الضحاك: نفرت.

الكسائي: انتفضت.

المؤرج: أنكرت، وأصل الاشمزاز النفور والازورار.

قال عمرو بن كلثوم:

إذا عضَّ الثقافُ بها اشمأزت وولتهم عشوزنة زبوناً<sup>(١)</sup>

﴿وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾: يعنى الأوثان، وذلك حين ألقى الشيطان فى أمانة رسول الله ﷺ عن قراءته سورة النجم: تلك الغرائيق العلى منها الشفاعة تُرتجى<sup>(٢)</sup> ﴿إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾: يفرحون ﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: أى يا فاطر السموات والأرض ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

أخبرنا الحسين بن محمد بن فنجويه حدثنا أحمد بن إبراهيم بن شاذان حدثنا عبيد الله بن ثابت حدثنا أبو سعيد الكندى حدثنا ابن فضيل حدثنا سالم بن أبى حفصة عن منذر الثورى قال: كنت عند الربيع بن خيثم فدخل عليه رجل مِّن شهد قتل الحسين مِّن كان يقاتله فقال ابن خيثم يا معلقها. يعنى الرؤوس، ثم أدخل يده فى حنكه تحت لسانه فقال: والله لقد قتلتهم صفوة لو أدركهم رسول الله ﷺ لقبِل أفواههم وأجلسهم فى حجره، ثم قرأ: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾. ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: أشركوا ﴿مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَاقْتَدُوا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾.

أخبرنا ابن فنجويه حدثنا عبيد الله بن محمد بن شنبه حدثنا ابن وهب حدثنى محمد بن الرايد القرشى حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن ابن عمران الجونى قال: سمعت أنس بن مالك يحدث عن رسول الله ﷺ قال: «يقول الله تعالى لأهون أهل النار عذاباً لو أن لك ما على الأرض من شىء أكنت مفتدياً به؟ فيقول: نعم. فيقول: قد أردت منك أهون من هذا وأنت فى صلب آدم أن لا تشرك بى شيئاً فأبيت إلا أن تشرك بى».

﴿وَبَدَأَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا مَرَّ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾: فى الدنيا أنه نازل بهم فى الآخرة.

قال السدى: ظنوا أنها حسنات فبدت لهم سيئات.

(١) جاء بهامش القرطبى تعريف بمعانى هذا البيت نصه:

الثقاف: ما تقوم به الرماح.

وعشوزنة: صلبة شديدة.

والبيت فى وصف فتاة، وقيله:

فإن قناتنا يا عمرو أعييت على الأعداء قبلك أن تلين

(٢) إشارة إلى حديث ضعيف لا يصح وهو فى خبر سجود أهل مكة عقب تلاوة السورة.

وقال سفيان: ويل لأهل الرياء، ثم قرأ هذه الآية<sup>(١)</sup>.

أخبرنا أبو عبد الله بن فنجويه حدثنا عبيد الله بن محمد بن شنبه حدثنا الفريابي حدثني محمد بن عبد الله بن عماد حدثني عقبة بن سالم عن عكرمة بن عمار قال: جزع محمد بن المنكدر عند الموت فقيل له: تجزع.

فقال: أخشى آية من كتاب الله تعالى: ﴿وَبَدَأَ لَهُمِ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾: فأنا أخشى أن يبدولى من الله ما لم أحاسب.

﴿وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتٍ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ: أعطيناه ﴿نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾: من الله بأني له أهل.

قال قتادة: على خير عندي.

﴿بَلْ هِيَ﴾: يعنى النعمة ﴿فِتْنَةٌ﴾.

وقال الحسين بن الفضل: بل كلمته التى قالها فتنة.

﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ: يعنى: قارون إذ قال إنما أوتيته على

علم عندي.

﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتٍ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَتُولَاءِ: يعنى كفار هذه الأمة ﴿سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتٍ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ أَوْ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ.



﴿قُلْ يٰٓعِبَادِىَ الَّذِينَ اسْرَفُوا عَلَىٰٓ اَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَّحْمَةِ اللّٰهِ اِنَّ اللّٰهَ يَغْفِرُ الذَّنۜوۜبَ جَمِيعًا اِنَّهٗ هُوَ الْغَفُوۜرُ الرَّحِيۜمُ﴾ وَأَنِبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ اَنْ يَّاتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿وَاتَّبِعُوا اَحْسَنَ مَا اُنزِلَ اِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ اَنْ يَّاتِيَكُمُ الْعَذَابُ بِغَتَّةٍ وَاَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿اَنْ تَقُوْلَ نَفْسٌ يٰٓحَسْرَتَىٰ عَلٰى مَا فَرَطْتُ فِيْ جَنۜبِ اللّٰهِ وَاِنۜ كُنْتُ لَمِنَ السَّٰخِرِيۜنَ ﴿اَوْ تَقُوْلَ لَوْ اَنَّ اللّٰهَ هَدٰنِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِيۜنَ ﴿اَوْ تَقُوْلَ حِيۜنَ تَرٰى الْعَذَابَ لَوْ اَنَّ لِيْ كَرَّةً فَاَكُوۜنَ مِنَ الْمُحْسِنِيۜنَ ﴿بَلٰى قَدْ جَاۜءَ تٰكُ ءَايٰتِيْ فَكَذَّبَتْ بِهَا وَاَسْتَكْبَرَتْ

(١) فى الهامش نقل نصاً آخر للعبارة من نسخة أخرى هذا نص ما بالهامش عنه: فى نسخة: وقال سفيان وقرأ هذه الآية: ويل لأهل الرياء ويل لأهل الرياء.

وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦١﴾ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمِثَاقَاتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٣﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٤﴾ قُلْ أَغْفِرَ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَنْ أَعْبُدَ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴿٦٥﴾

﴿٦٥﴾ قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ﴿٦٥﴾ الآية .

اختلف المفسرون في المعنيين بهذه الآية .

فقال بعضهم : عنى بها قوم من المشركين .

قال ابن عباس : نزلت فى أهل مكة قالوا يزعم محمد أنه من عبد الأوثان وقتل النفس التى حرم الله لم يغفر له ، فكيف نهاجر ونسلم وقد عبدنا مع الله إلهاً آخر وقتلنا النفس التى حرم الله ؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية .

أنبأنى عبد الله بن حامد بن محمد الأصفهانى أخبرنى إبراهيم بن محمد بن عبد الله البغدادى حدثنا أبو الحسن أحمد بن حمدان الجلبى حدثنا أبو إسماعيل حدثنا إسحاق بن سعيد أبو سلمة الدمشقى حدثنا أنس بن سفيان عن غالب بن عبد الله عن عطاء بن أبى رباح عن ابن عباس قال : بعث رسول الله ﷺ إلى وحشى يدعو إلى الإسلام ، فأرسل إليه : يا محمد كيف تدعونى إلى دينك<sup>(١)</sup> وأنت تزعم أنه من قتل أو شرك أو زنى يلقى أثاماً ويضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً ، وأنا قد فعلت ذلك كله ، فهل تجدى رخصة ؟ فأنزل الله تعالى : ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ (مریم : ٦٠) الآية .

قال وحشى : هذا شرط شديد فلعلى لا أقدر على هذا ، فهل غير ذلك ؟ فأنزل الله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ لِمَن يُشْرِكُ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ (النساء : ٤٨) .

فقال وحشى : أرانى بعد فى شبهة فلا أدرى يغفر لى أم لا ، فهل غير ذلك ؟ فأنزل الله

تعالى : ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾

فقال وحشى : نعم هذه ، فجاء فأسلم .

فقال المسلمون : هذه له خاصة أم للمسلمين عامة ؟

(١) فى متن المخطوط : «دين» والتصويب من الهامش .

قال: «بل للمسلمين عامة».

وقال قتادة: ذكر لنا أن ناساً أصابوا ذنوباً عظماً في الجاهلية، فلما جاء الإسلام أشفقوا أن لن يتاب عليهم، فدعاهم الله بهذه الآية.

قال ابن عمر: نزلت هذه الآيات في عياش بن أبي ربيعة والوليد بن الوليد ونفر من المسلمين، كانوا أسلموا ثم فتنوا وعذبوا فافتتنوا فكننا نقول: لا يقبل الله تعالى من هؤلاء صرفاً ولا عدلاً أبداً، قوم أسلموا ثم تركوا دينهم بعذاب عذبوا به، فنزلت على هؤلاء الآيات فكان عمر بن الخطاب كاتباً فكتبها بيده، ثم بعث بها إلى عياش بن أبي ربيعة والوليد بن الوليد وإلى أولئك النفر فأسلموا وهاجروا.

أخبرنا أبو عبد الله بن فنجويه حدثنا أبو بكر بن خزيمة حدثنا محمد بن عبد الله بن سلمان الحضرمي حدثنا محمد بن العلاء حدثنا يونس بن بكير حدثنا ابن إسحاق حدثنا نافع عن ابن عمر عن عمر رضى الله عنه أنه قال: لما اجتمعنا إلى الهجرة أبعدت أنا وعياش بن أبي ربيعة وهشام بن العاص بن وائل وقلنا: الميعاد بيننا المناصف ميقات بنى غفار، فمن حبس منكم لم يأبها فقد حبس فليمض صاحبه، فأصبحت عندها أنا وعياش وحبس عنا هشام وفتن فافتن، فقدمنا المدينة فكننا نقول: هل يقبل الله من هؤلاء توبة قوم عرفوا الله ورسوله ثم رجعوا عن ذلك لما أصابهم من الدنيا؟ فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿الَّذِينَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾.

قال عمر: فكتبتها بيدي كتاباً ثم بعثت بها إلى هشام.

قال هشام: فلما قدمت علىَّ خرجت بها إلى ذى طوى فقلت اللهم فهمنيها، فعرفت أنها أنزلت فينا، فرجعت فجلست على بعيري فلحقت برسول الله ﷺ. فقتل هشام شهيداً بأجنادين في ولاية أبي بكر رضى الله عنه.

وقال بعضهم: نزلت في قوم كانوا يرون أهل الكباثر من أهل النار، فأعلمهم الله تعالى أنه يغفر الذنوب جميعاً لمن يشاء.

وروى مقاتل بن حيان عن نافع عن ابن عمر قال: كنا معشر أصحاب رسول الله نرى أو نقول: إنه ليس شيء من حسناتنا إلا وهي مقبولة حتى نزلت هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ (محمد: ٣٣) فلما نزلت هذه الآية قلنا: ما هذا الذى يبطل أعمالنا؟ فقيل لنا: الكباثر والفواحش.

قال: فكان إذا رأينا من أصاب شيئاً منها قلنا: قد هلك، فنزلت هذه الآية، فلما نزلت كففتنا

عن القول فى ذلك، فكنا إذا رأينا أحداً أصاب منها شيئاً خفنا عليه، وإن لم يصب منها شيئاً رجونا له. وأراد بالإسراف ارتكاب الكبائر، والآية عامة للناس أجمعين ﴿لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾.

قرأ أبو عمرو والأعمش ويحيى بن وثاب وعيسى والكسائى ويعقوب (لا تقنطوا) بكسر النون.

وقرأ أشهب العقيلي: بضمه.

وقرأ الآخرون: بفتحه.

روى الأعمش عن أبى سعيد الأزدي عن أبى الكنود قال: دخل عبد الله بن مسعود المسجد فإذا قاص يقص وهو يذكر النار والأغلال، فجاء حتى قام على رأسه وقال: يا مذكر لم تقنط الناس ثم قرأ: ﴿قُلْ يَتَّبِعُونَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ الآية.

أخبرنا ابن فنجويه حدثنا أبو حبش المقرئ حدثنا ابن فنجويه حدثنا سلمة حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن زيد بن أسلم: أن رجلاً كان فى الأمم الماضية يجتهد فى العبادة فيشدد على نفسه ويقنط الناس من رحمة الله ثم مات فقال: أى رب ما لى عندك؟ قال: النار.

قال: أى رب وأين عبادتى واجتهادى؟

فيقول: إنك كنت تقنط الناس من رحمتى فى الدنيا، فأنا اليوم أفنطك من رحمتى<sup>(١)</sup>.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾.

أخبرنا عبد الله بن حامد أخبرنا حامد بن محمد بن عبد الله حدثنا محمد بن صالح الأشج حدثنا داود بن إبراهيم حدثنا حماد بن سلمة حدثنا ثابت بن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً ولا يبالى».

وفى مصحف عبد الله: (إن الله يغفر الذنوب جميعاً لمن يشاء).

﴿إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.

أخبرنا ابن فنجويه حدثنا محمد بن المظفر حدثنا عمرو بن على حدثنا معاذ بن هشام حدثنا أبى عن عمرو بن مالك عن أبى الجوزاء قال: ما علمت أحداً من أهل العلم ولا من أصحاب

(١) هذا قول لا يقبله عاقل أو لبيب إذ إن هذا من أمر الغيب الذى لا يعلمه إلا الله ولم يبين لنا الراوى من أخبره بهذا، ثم إن الله تعالى أرحم وأعدل من أن يعاقب عبداً صالحاً أراد نصح الناس بحرماته من رحمته حاشى الله تعالى.



محمد يقول للذنب: إن الله لا يغفر هذا.

أخبرنا عقيل بن محمد بن أحمد: أن المعافى بن زكريا أخبرهم عن محمد بن جرير حدثنا زكريا بن يحيى وهداد بن أبي زائدة حدثنا حجاج حدثنا ابن لهيعة عن أبي قنبل قال: سمعت أبا عبد الرحمن المزني يقول: حدثني أبو عبد الرحمن الجيلاني أنه سمع ثوبان مولى رسول الله ﷺ يقول سمعت رسول الله عليه السلام يقول: «ما أحب أن لى الدنيا وما فيها بهذه الآية ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾».

فقال رجل: يا رسول الله ومن أشرك؟

فسكت النبي عليه السلام ثم قال: «ألا ومن أشرك ألا ومن أشرك ألا ومن أشرك».

وبإسناده عن محمد بن جرير حدثنا يعقوب حدثنا ابن علي حدثنا يونس عن ابن سيرين قال: قال علي رضي الله عنه: ما فى القرآن آية أوسع من ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ الآية.

وبه عن ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا جرير عن منصور عن الشعبي عن بشير<sup>(١)</sup> بن شكل قال: سمعت ابن مسعود يقول: إن أكثر آية فرجاً فى القرآن ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا﴾ الآية.

أخبرنا الحسين بن محمد الحديثي حدثنا محمد بن علي بن الحسن الصوفى حدثنا علي بن محمد بن ماهان حدثنا سلمة بن شبيب قال: قرئ على عبد الرزاق وأنا أسمع عن معمر عن الزهري قال: دخل عمر بن الخطاب على النبي ﷺ وهو يبكى فقال له رسول الله ﷺ: «ما يبكيك يا عمر؟».

قال: يا رسول الله إن بالباب شاباً قد أحرق فؤادى وهو يبكى.

فقال له رسول الله: «أدخله على».

فدخل وهو يبكى فقال له رسول الله ﷺ: «ما شأنك يا شاب؟».

قال: يا رسول الله أبكاني ذنوب كثيرة وخفت من جبار غضبان على.

قال: «أشركت بالله يا شاب؟».

قال: لا.

قال: «أقتلت نفساً بغير حقها؟».

(١) فى هامش المخطوط: «شبير».

قال: لا .

قال: «فإن الله يغفر لك ذنبك ولو مثل السموات السبع والأرضين السبع والجبال

الرواسي» .

قال: يا رسول الله ذنب من ذنوبى أعظم من السموات السبع ومن الأرضين السبع .

قال: «ذنبك أعظم أم العرش؟» .

قال: ذنبى .

قال: «ذنبك أعظم أم الكرسي» .

قال: ذنبى .

قال: «ذنبك أعظم أم إلهك؟» .

قال: بل الله أجلّ وأعظم .

فقال: «إن ربنا لعظيم ولا يغفر الذنب العظيم إلا الإله العظيم» .

قال: «أخبرنى عن ذنبك» .

قال: إنى مستحى من وجهك يا رسول الله .

قال: «أخبرنى ما ذنبك؟» .

قال: إنى كنت رجلاً نباشاً أنبش القبور منذ سبع سنين ، حتى ماتت جارية من بنات

الأنصار فنبشت قبرها فأخرجتها من كفنها ، ومضيت غير بعيد إذ غلبنى الشيطان على نفسى ،

فرجعت فجامعتها ومضيت غير بعيد إذ قامت الجارية فقالت: الويل لك يا شاب من ديان يوم

الدين يوم يضع كرسية للقضاء ، يأخذ للمظلوم من الظالم تركتى عريانة فى عسكر الموتى

ووقفتنى جنباً بين يدى الله تعالى .

فقام رسول الله ﷺ وهو يضرب فى قفاه ويقول: «يا فاسق اخرج ما أقربك من النار» .

قال: فخرج الشاب تائباً إلى الله تعالى حتى أتى عليه ما شاء الله ثم قال: يا إله محمد وآدم

وحواء إن كنت غفرت لى فأعلم محمداً وأصحابه وإلا فأرسل ناراً من السماء فأحرقنى بها

ونجنى من عذاب الآخرة .

قال: فجاء جبريل وله جناحان جناح بالشرق وجناح بالمغرب قال: السلام يقرئك السلام .

قال: «هو السلام وإليه يعود السلام» .

قال: يقول: أنت خلقت خلقى؟ .

قال: «لا ، بل هو الذى خلقنى» .

قال: يقول: أنت ترزقهم؟.

قال: «لا، بل هو يرزقني».

قال: أنت تتوب عليهم؟.

قال: «لا، بل هو الذي يتوب عليّ».

قال: فتب على عبدى.

قال: فدعا النبي ﷺ الشاب فتاب عليه وقال: «إن الله هو التواب الرحيم»<sup>(١)</sup>.  
 ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾: أى وأقبلوا وارجعوا إليه بالطاعة. ﴿وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾: واخضعوا له ﴿مِن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾.

أخبرنا أبو عبد الله بن فنجويه الحافظ حدثنا أحمد بن محمد بن إسحاق السننى حدثنا أبو يعلى الموصلى حدثنا أبو خيثمة حدثنا أبو أحمد الزبيرى حدثنا كثير بن زيد عن الحارث بن أبى يزيد قال: سمعت جابر بن عبد الله يقول: قال رسول الله ﷺ: «إن من السعادة أن يطول عمر العبد ويرزقه الله تعالى الإنابة».

﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾: والقرآن كله حسن وإنما معنى الآية ما قال الحسن: التزموا طاعته واجتنبوا معصيته، فإن الذى أنزل على ثلاثة أوجه: ذكر القبيح لنجتبه، وذكر الأدون لثلا نرغب فيه، وذكر الحسن لنؤثره.

وكذلك قال السدى: الأحسن ما أمر الله به فى الكتاب.

وقال ابن مسعود<sup>(٢)</sup>: (واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم) يعنى المحكمات وكلوا علم المتشابهات إلى عالمها.

﴿مِن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ أن تقول نفسُ: يعنى لأن لا تقول كقوله:  
 ﴿أَنْ تَبِيدَ بِكُمْ﴾ (النحل: ١٥) ﴿وَأَنْ تَصُومُوا﴾ (البقرة: ١٨٤) ونحوهما.

﴿يَحْسِرْتَنِي﴾<sup>(٣)</sup>: يا ندامتا وحزنى، والتحسر الاغتمام على ما فات، سُمى بذلك لانحساره عن صاحبه بما يمنع عليه استدراكه وتلا فى الأمر فيه، والألف فى قوله: (يا حسرتا) هى بالكناية للمتكلم وإنما أريد يا حسرتى على الإضافة، ولكن العرب تحوّل الياء التى هى

(١) هذه قصة لا تحتاج إلى التذليل على وضعها عافانا الله وإياكم من الكذب على الله ورسوله ورزقنا الله وإياكم حسن الاعتقاد وحسن الختام بالموت على دين الإسلام اللهم آمين.

(٢) كذا فى المتن، وفى الهامش: «زيد».

(٣) رسمت فى المخطوط: «حسرتا» ورسمت ما فى مصحف حفص عن نافع المطبوع والمتداول.

كناية اسم المتكلم فى الاستغاثة ألقاً فتقول: يا ويلتا ويا ندامتا، فيخرجون ذلك على لفظ الدعاء، وربما ألحقوا بها الهاء.

أنشد الفراء:

يا مرحباه بحمار ناجيه إذا أتى قربته للسانيه

وربما ألحقوا بها الياء بعد الألف ليدل على الإضافة.

وكذلك قرأ أبو جعفر: يا حسرتاى.

﴿عَلَى مَا فَرَطْتُ﴾: قصرت ﴿فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾: قال الحسن: فى طاعة الله. سعيد بن جبير: فى

حق الله فى أمر الله. قاله مجاهد.

قال أهل المعانى: هذا كما يقال هذا صغير فى جنب ذلك الماضى، أى فى أمره.

وقيل: فى سبيل الله ودينه. والعرب تسمى السبب والطريق إلى الشئ جنباً تقول:

تجرعت فى جنبك عُصصاً وبلاءً، أى بسببك ولأجلك.

قال الشاعر:

أفى جنب بكر قطعتنى ملامة لعمرى لقد كانت ملامتها ثنى

وقال فى الجانب الذى يؤدى إلى رضى الله تعالى وثوابه، والعرب تسمى الجانب جنباً.

قال الشاعر:

❖ الناس جنب والأمير جنب ❖

يعنى الناس من جانب والأمير من جانب.

﴿وَإِنْ كُنْتُ لِمَنِ السَّخِرِينَ﴾: المستهزئين بدين الله تعالى وكتابه ورسوله والمؤمنين.

قال قتادة: فى هذه الآية لم يكفه أن ضيع طاعة الله تعالى، حتى جعل يسخر بأهل طاعة

الله.

أخبرنا الحسين بن محمد بن فنجويه حدثنا هارون بن محمد حدثنا محمد بن عبد العزيز

حدثنا سلمة حدثنا أبو الورد الوزان عن إسماعيل عن أبى صالح: ﴿يَلْحَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي

جَنْبِ اللَّهِ﴾ قال: كان رجل عالم فى بنى إسرائيل ترك علمه وأخذ فى الفسق، أتاه إبليس فقال

له: لك عمر طويل فتمتع من الدنيا ثم تب.

فأخذ فى الفسق، وكان عنده مال فأنفق ماله فى الفجور، فأتاه ملك الموت فى ألد ما كان.

فقال: من أنت؟

فقال: أنا ملك الموت جئت لأقبض روحك.

فقال: يا حسرتى على ما فرطت فى جنب الله، ذهب عمرى فى طاعة الشيطان وأسخطت ربي.

فندم حين لم تنفعه الندامة، قال: فأنزل الله سبحانه وتعالى خبره فى القرآن<sup>(١)</sup>.  
 ﴿أَوْ تَقُولُ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٠﴾ أَوْ تَقُولُ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً ﴿٥١﴾: رجعة إلى الدنيا ﴿فَأَكُونُ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾: وفى نصب قوله: ﴿فَأَكُونُ﴾ وجهان: أحدهما: على جواب لو.

والثانى: على الرد على موضع الكرة، وتوجيه الكرة فى المعنى لو أن لى أن أكر.  
 كقول الشاعر: أنشده الفراء:

فما لك منها غير ذكرى وحسرة      وتسأل عن ركبائها أين يمشوا  
 فنصب تسأل عطفًا على موضع الذكرى، لأن معنى الكلام: فما لك منها إلا أن يذكر،  
 ومنه قول الله تعالى: ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾ (الشورى: ٥١) عطف يرسل على موضع الوحي فى قوله  
 تعالى: ﴿إِلَّا وَحْيًا﴾ (الشورى: ٥١).

﴿بَلَىٰ قَدْ جَاءَ تِلْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكٰفِرِينَ ﴿٥١﴾.  
 قرأ العامة: بفتح الكاف والتاء.

وقرأت عائشة: بكسرها أجمع، ردتها إلى النفس.  
 وروى ذلك عن رسول الله ﷺ.

حدثنا ابن فنجويه حدثنا عمر بن الخطاب حدثنا عبد الله بن الفضل أخبرنا سعيد بن نصير  
 قال سمعت إسحاق بن سلمة الرازى قال: سمعت أبا جعفر الرازى يذكر عن الربيع بن أنس  
 (ح)<sup>(٢)</sup> وأنبأنى عبد الله بن حامد أخبرتنا سعيذة بنت حفص بن المهتدى ببخارى قالت: حدثنا  
 صالح بن محمد البغدادي حدثنا عبد الله بن يونس بن بكر حدثنا أبى حدثنا عيسى بن عبد الله  
 ابن ماهان أبو جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أم سلمة زوج النبى ﷺ قالت: سمعت  
 رسول الله عليه السلام يقول: ﴿بَلَىٰ قَدْ جَاءَ تِلْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ  
 الْكٰفِرِينَ﴾ على مخاطبة النفس.

(١) هذه قصة تصلح أن تروى للأطفال فى مدارس الروضة، ولا يصح ذكرها فى كتاب جليل مثل هذا، وأبو صالح  
 هذا منهم من اتهمه بالكذب فلا ينظر إلى أخباره إلا على حذر ولا يقبل منها إلا ما كان مدعومًا بدليل قوى وله  
 شواهد من آخرين.

(٢) حرف الحاء، رمز لإحالة الإسناد وهى زيادة يتطلبها سياق الإسناد حتى لا يحدث خلط.

قال المروزي: وهي رواية السريحي عن الكسائي.  
 ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ﴾: فزعم أن له ولداً وشريكاً ﴿وَجُوهُهُمْ مُسْوَدَةٌ﴾.  
 قال الأخفش: ترى غير عاملة في قوله: ﴿وَجُوهُهُمْ مُسْوَدَةٌ﴾ إنما ابتداء وخبر.  
 ﴿الَّذِينَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمِقَاتِ تِيمَمٍ .  
 قرأ أهل الكوفة: بالألف على الجمع.

وقرأ الباقون: بغير ألف على الواحد، واختاره أبو عبيد وأبو حاتم والأخفش، لأن المفازة  
 ههنا الفوز، ومعنى الآية: بنجاتهم من العذاب بأعمالهم الحسنة.  
 ﴿لَا يَسْهَرُهُمُ السُّوءُ﴾: لا يصيبهم المكروه ﴿وَلَا هُمْ يُخْزَنُونَ﴾ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ  
 وَكِيلٌ ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: أى مفاتيح خزائن السموات والأرض، واحدها مقلاد  
 مثل مفتاح ومفاتيح، ومقلد مثل منديل ومناديل وفيه لغة أخرى أقاليد.  
 واحدها أقليد، وقيل: هي فارسية... (١) إكليد.

أخبرنا أبو عبد الله بن فنجويه الدينورى بقراءتى عليه حدثنا عبيد الله بن محمد بن شنبه  
 حدثنا أبو حامد أحمد بن جعفر المستملى حدثنا عمر بن أحمد بن شنبه حدثنا إسماعيل بن  
 سعيد الخدرى حدثنا أغلب بن تميم عن مخلد أبى الهذيل عن عبد الرحمن أخيه قال: ابن  
 عيينة (٢) عن عبد الله بن عمر عن عثمان بن عفان رضى الله عنه أنه سأل رسول الله ﷺ عن  
 تفسير هذه الآية ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

فقال: «يا عثمان ما سألتى عنها أحد قبلك، تفسيرها: لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله  
 وبحمده وأستغفر الله لا قوة إلا بالله، هو الأول والآخِر والظاهر والباطن، بيده الخير يحيى  
 ويميت وهو على كل شىء قدير، يا عثمان من قالها إذا أصبح أو أمسى عشر مرات أعطاه الله  
 تعالى ست خصال: أما أولها: فيحرس من إبليس وجنده، والثانية: يحضره اثنا عشر ملكاً،  
 والثالثة: يعطى قنطاران من الجنة، والرابعة: يرفع له درجة، والخامسة: يزوجه الله تعالى  
 زوجة من الحور العين، والسادسة: يكون له من الأجر كمن قرأ القرآن والتوراة والإنجيل، وله  
 أيضاً من الأجر كمن حج أو اعتمر فقبلت حجته وعمرته، فإن مات من ليلته مات شهيداً».

أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن محمد بن العدل بقراءتى عليه حدثنا أحمد بن  
 محمد بن يحيى أخبرنا أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن زكريا الجرجانى الفقيه حدثنا أحمد بن

(١) كلمة محوطة من مصورة المخطوط.

(٢) فى المتن: ابن عتبة.

جعفر بن نصر الرازي حدثنا محمد بن يزيد النوفلي حدثنا حماد بن محمد المرزوي حدثنا أبو عصمة نوح بن أبي مريم عن أبي إسحاق عن الحارث عن علي رضي الله عنه قال: سألت النبي ﷺ عن تفسير المقاليد.

فقال: «يا علي سألت عظيمًا، المقاليد هو أن تقول عشرًا إذا أصبحت وعشرًا إذا أمسيت: لا إله إلا الله والله أكبر سبحان الله والحمد لله وأستغفر الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، هو الأول والآخر والظاهر والباطن، له الملك وله الحمد يحيي ويميت بيده الخير وهو على كل شيء قدير، من قالها عشرًا إذا أصبح وعشرًا إذا أمسى أعطاه الله تعالى خصالًا ستًا؛ أولهن: يحرسه من إبليس وجنده فلا يكون لهم عليهم سلطان، والثانية: يعطى قنطاران<sup>(١)</sup> في الجنة أثقل في ميزانه من جبل أحد، والثالثة: يرفع الله له درجة لا ينالها إلا الأبرار، والرابعة: يزوجه الله من الحور العين، والخامسة: يشهده اثنا عشر ألف ملك يكتبونها في رق منشور يشهدون له بها يوم القيامة، والسادسة: كمن قرأ التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، وكان كمن حج واعتمر فقبل الله حجته وعمرته، وإن مات من يومه أو ليلته أو شهره طبع بطابع الشهداء، فهذا تفسير المقاليد».

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ قُلْ أَفَعَبَّرَ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ : وذلك حين دعا إلى دين آبائه. واختلف القراء في قوله: ﴿تَأْمُرُونِي﴾ فقرأ أهل المدينة: بنون واحدة مخففة على الحذف والتحقيق.

وقرأ أهل الشام: بنونين على الأصل.

وقرأ الآخرون: بنون واحدة مشددة على الإدغام.



﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِن أَشْرَكَتْ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴿ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَتْ بِالنَّبِيِّينَ

(١) في الهامش: قنطارًا.

وَالشَّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٠٠﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿١٠١﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿١٠٢﴾ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبئسَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿١٠٣﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلِّمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿١٠٤﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَّبِعُونَ نَبَأَ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١٠٥﴾ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٦﴾

﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَنْ أَشْرَكَنَّ لِيُحِبَطَّنَ عَمَلُكَ﴾: الذي عملته قبل الشرك.

وقال أهل الإشارة: معناه لئن طالعت غيري في السر ليحبطن عملك.

﴿وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾: ثم دلّه على التوحيد فقال عز من قائل: ﴿بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ لله تعالى على نعمة الإيمان ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾: حين أشركوا به غيره، ثم خبر عن عظمتها فقال: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ﴾ أي ملكه ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: بلا مانع ولا منازع ولا مدّع، وهي اليوم أيضاً ملكه، ونظيره قوله تعالى: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ (الفاتحة: ٤)، ﴿وَلَمَنْ أَلْمَلِكُ الْيَوْمَ﴾ (غافر: ١٦).

قال الأخفش: هذا كما يقال خراسان في قبضة فلان، ليس أنها في كفه وإنما معناه ملكه.

﴿وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾: للطي معان منها: الإدراج كطي القرطاس والثوب بيانه ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِ لِلْكِتَابِ﴾ ومنه الإخفاء كما تقول: طويت فلاناً عن الأعين<sup>(١)</sup>، واطو هذا الحديث عنى أي استره.

ومنه: الإعراض يقال: طويت عن فلان أو أعرضت عنه.

ومنه: الإفناء، تقول العرب: طويت فلاناً بسيفي، أي أفنيته.

وقراءة العامة: مطويات بالرفع. وقرأ عيسى بن عمر: بالكسر ومحلها النصب على الحال

(١) بهامش المخطوط: عن عين الناس.



والقطع ، وإنما يذكر اليمين للمبالغة في الاقتدار .

وقيل : هو معنى القوة ، كقول الشاعر :

❖ تلقاها عرابة باليمين ❖

وقيل : اليمين بمعنى القسم ، لأنه حلف أنه يطويها ويفنيها . وهو اختيار على بن مهدي

الطبرى قال : معناه مضميات بقسمه .

حكى لى أستاذنا أبو القاسم بن حبيب عنه ثم نزه نفسه ، وقال تعالى : ﴿سُبْحٰنَهُ وَتَعَالٰى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ثم إنى ذاكر بعض ما ورد من الأخبار<sup>(1)</sup> فى تفسير هذه الآية .

أخبرنا عبد الله بن حامد بقراءتى عليه حدثنا محمد بن جعفر المطرى حدثنا على بن حرب الموصلى حدثنا ابن فضيل حدثنا الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال : جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال : يا أبا القاسم إن الله يمكس السموات على إصبع ، والأرضين على إصبع ، والجبال على إصبع ، والشجر على إصبع ، والخلائق على إصبع ، ثم يقول : هكذا بيده .

فضحك النبى ﷺ حتى بدت نواجذه ، ثم قال : ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ .

وأبأنى عبد الله بن حامد أخبرنا أبو بكر أحمد بن إسحاق الفقيه أخبرنا العباس بن الفضل الأسقاطى حدثنا أحمد بن يونس حدثنا فضيل بن عياض عن منصور عن إبراهيم عن عبيدة عن عبيد الله قال : جاء حبر إلى رسول الله ﷺ . فقال يا محمد أو يا أبا القاسم إن الله يمكس السموات يوم القيامة على إصبع ، والأرضين على إصبع ، والجبال على إصبع ، والشجر على إصبع ، والثرى على إصبع ، وسائر الخلق على إصبع ، يهززه فى يقول : أنا الملك أنا الملك .

فضحك النبى ﷺ تعجباً مما قال الحبر تصديقاً له ، ثم قرأ : ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ﴾ .

أخبرنا أحمد بن محمد بن يوسف القصرى بها أخبرنا إسماعيل بن محمد بن إسماعيل ببغداد حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا محمد بن صالح الواسطى عن سليمان بن محمد عن عمر ابن نافع عن أبيه قال : قال عبد الله بن عمر رأيت رسول الله ﷺ قائماً على هذا المنبر - يعنى منبر رسول الله عليه السلام وهو يحكى عن ربّه تبارك وتعالى فقال : «إن الله تعالى إذا كان يوم القيامة جمع السموات والأرضين السبع فى قبضته - ثم قال هكذا وشد قبضته ثم بسطها - ثم يقول : أنا الله ، أنا الرحمن ، أنا الملك ، أنا القدوس ، أنا السلام ، أنا المؤمن ، أنا المهيمن ، أنا العزيز ، أنا الجبار ، أنا المتكبر ، أنا الذى بدأت الدنيا ولم يك شيئاً ، أنا الذى أعدتها ، أين الملوك

(1) كذا فى المتن وفى الهامش : «الآثار» .

أين الجبارة» .

أخبرنا ابن فنجويه الدينورى حدثنا عمر بن الخطاب حدثنا عبد الله بن الفضل حدثنا هدية ابن خالد حدثنا حماد بن سلمة عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن عبيد الله بن مقسم عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ قرأ على المنبر: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ فبسط رسول الله ﷺ يديه ثم قال: «فيمجد الله نفسه، أنا الجبار، أنا المتكبر، أنا العزيز، أنا الملك، أين الجبارون، أين المتكبرون» .

قال: فرجف المنبر حتى قلنا ليتحركنَّ به، وقيل: ليخرنَّ به .

أخبرنا الحسين بن محمد حدثنا عمر عن عبد الله حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا أبو أسامة عن عمر بن حمزة عن سالم بن عبد الله حدثني عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «يطوى الله السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟» .

أخبرنا عبد الله بن حامد إجازة أخبرنا محمد بن الحسين حدثنا محمد بن جعونة أخبرنا أبو اليمان الحكم بن نافع حدثنا أبو بكر بن أبي مريم الغساني عن سعيد بن ثوبان الكلاعي عن أبي أيوب الأنصاري عن النبي ﷺ: أنه أتاه جبر من أبحار اليهود فقال: إنى سائلك عن أشياء فخبرنى بها .

فقال له النبي ﷺ: «اسأل ذلك» .

قال الحبر: رأيت قول الله تعالى فى كتابه: ﴿يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ﴾ (إبراهيم: ٤٨) فأين الخلق عند ذلك؟ .

فقال النبي ﷺ: «هم أضياف الله تعالى فلن يعجزهم ما لديه» .

فقال الحبر: فقله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ فأين الخلق عند ذلك؟

فقال النبي ﷺ: «هم فيها كالرقيم فى الكتاب» .

وقال ابن عباس: فى هذه الآية كل ذلك يمينه، وليس فى يده الأخرى شىء، وإنما يستعين بشماله المشغولة يمينه، وما السموات والأرضون السبع فى يدي الله تعالى إلا كخردلة فى يد أحدكم .

أنبأني عقيل بن أحمد: أن المعافى بن زكريا أخبره عن محمد بن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا سلمة حدثني ابن إسحاق عن محمد عن سعيد قال: أتى رهط من اليهود النبي ﷺ

وقالوا: يا محمد هذا الله خلق الخلق، فمن خلقه؟

فغضب النبي ﷺ حتى انتقع لونه ثم ساورهم غضباً لربه فجاءه جبريل (عليه السلام) فسكنه وقال: اخفض عليك جناحك وجاءه من الله بجواب ما سأله عنه، قال يقول الله: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝﴾.

فلما تلاها عليهم النبي ﷺ قالوا له: صف لنا ربك كيف خلقه وكيف عضده وكيف ذراعه؟

فغضب النبي ﷺ أشد من غضبه الأول ثم ساورهم فجاءه جبريل فقال: مثل مقالته، وأتاه بجواب ما سأله ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: الآية. وقال مجاهد: وكلتا يدي الرحمن يمين.

أخبرنا أبو محمد عبد الله بن حامد الأصبهاني أخبرنا أبو بكر أحمد بن إسحاق أخبرنا بشير ابن موسى حدثنا الحميدى حدثنا سفيان حدثنا عمرو بن دينار أخبرنا عمرو بن أوس الثقفي: أنه سمع عبد الله بن عمرو يقول: قال رسول الله ﷺ: «المقسطون عند الله تعالى يوم القيامة على منابر من منابر النور على يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا».

وقال الحسين بن الفضل والأخفش معنى الآية: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا... مَطْوِيَّتٌ بِيَمِينِهِ﴾ أى مضبوطات مربوطات بيمينه، أى بقدرته وهى كلها فى ملكه وقبضته، نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ (النساء ٣٦) أى وما كانت لكم قدرة، وليس الملك لليمين دون سائر الجسد والله أعلم. ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾.

أخبرنا أبو محمد الحسين بن أحمد المخلدى إملاء وقراءة أخبرنا عبد الله بن محمد بن مسلم حدثنا أحمد بن محمد بن أبي رجاء المصيصى حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن سليمان التيمي عن أسلم العجلي عن بشر بن شغاف عن عبد الله بن عمرو قال: سألت رسول الله ﷺ عن الصور.

فقال: «قرن ينفخ فيه».

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾: أى ماتوا وهى النفخة الثانية ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾: اختلفوا فى الذين استثناهم الله تعالى.

أخبرنا أبو على الحسين بن محمد بن محمد الروذبادى حدثنا أبو القاسم عبد الرحمن بن

محمد بن عبد الرحيم الشروطي حدثنا عبدان بن عبد الله بن أحمد حدثنا محمد بن مصفى حدثنا بقية عن محمد بن عمرو بن محمد عن زيد بن أسلم عن أبيه، عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ سأل جبريل عن هذه الآية: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾: «من أولئك الذين لم يشأ الله أن يصعقهم؟».

فقال: هم الشهداء متقلدون أسيا فهم حول العرش.

أخبرنا الحسين بن فنجويه بقراءة عليه حدثنا أبو علي بن حبش المقرئ قال: قرأ على أبي يعلى أحمد بن علي بن المثنى الموصلى وأنا أسمع حدثنا يحيى بن معين حدثنا أبو اليمان الحكم ابن نافع حدثنا إسماعيل بن عياش عن عمر بن محمد عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه سأل جبريل (عليهما السلام) عن هذه الآية: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾: «من الذين لم يشأ الله تعالى أن يصعقهم؟».

قال: هم الشهداء متقلدون حول عرشه تلتقاهم الملائكة يوم القيامة إلى المحشر بنجائب من نور<sup>(١)</sup>، أزمته الدرّ بحائل السندس والإستبرق نمارها ألين من الحرير، مدّ خطاها مدّ أبصار الرجال يسرون في الجنة يقولون عند طول البرهة: انطلقوا إلى ربنا لننظر كيف يقضى بين خلقه، فيضحك إليهم إلهى عزّ وجلّ، فإذا ضحك إلى عبد في موطن فلا حساب عليه.

أخبرنا ابن فنجويه حدثنا عبد الله بن يوسف حدثنا الحسن بن يحيويه حدثنا عمرو بن ثور وإبراهيم بن أبي سفیان قالوا:

حدثنا محمد بن يوسف الفريابي حدثنا سليمان بن حيان عن محمد بن إسحاق عن يزيد الرقاشى عن أنس بن مالك قال: تلا رسول الله عليه السلام: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ قالوا: يا رسول الله من هؤلاء الذين استثنى الله تعالى؟

قال: «هو جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت - قال: فيقول يا ملك الموت خذ نفس إسرافيل. فيقول: يا ملك الموت من بقى؟ فيقول: سبحانك ربّي وتعاليت ذا الجلال والإكرام بقى جبريل وميكائيل وملك الموت. فيقول: يا ملك الموت خذ نفس ميكائيل. فيأخذ نفس ميكائيل فيقع كالطود العظيم. فيقول: يا ملك الموت من بقى؟ فيقول: سبحانك ربّي تباركت وتعاليت ذا الجلال والإكرام بقى جبريل وملك الموت.

فيقول: مُت يا ملك الموت فيموت. فيقول: يا جبريل من بقى؟ فيقول: تباركت وتعاليت

(١) في الهامش: «ياقوت».

ذا الجلال والإكرام وجهك الباقي الدائم وجبريل الميث الفاني - قال: فيقول: يا جبريل لا بد من موتك، فيقع ساجداً يخفق بجناحيه فيقول: سبحانك ربّي تباركت وتعاليت ذا الجلال والإكرام».

فقال رسول الله ﷺ: «إن فضل خلقه على خلق ميكائيل كالطود العظيم على الضرب من الضراب».

أخبرنا عبد الرحمن بن أحمد بن جعفر حدثنا حاجب بن أحمد بن يرحم حدثنا محمد بن حماد حدثنا محمد بن الفضيل عن سليمان التيمي عن أبي نصره عن جابر في قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ قال: موسى ممن استثنى الله تعالى، وذلك بأنه قد صعق مرة.

يدل عليه ما أخبرنا عقيل بن أحمد: أن أبا الفرج البغدادي القاضي أخبرهم عن محمد بن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا عبدة بن سليمان حدثنا محمد بن عمرو حدثنا أبو سلمة عن أبي هريرة قال: قال يهودى بسوق المدينة: والذي اصطفى موسى على البشر، قال: فرفع رجل من الأنصار يده فصك بها وجهه فقال: تقول هذا وفينا رسول الله.

فقال رسول الله ﷺ: «﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ فأكون أنا أول من يرفع رأسه، فإذا موسى أخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدرى أرفع رأسه قبلي أو كان ممن استثنى الله تعالى».

وقال كعب الأحبار: هم اثنا عشر، حملة العرش وجبرئيل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت.

الضحاك: هم رضوان والخور ومالك والزبانية.

قتادة: الله أعلم بثنياه.

الحسن: ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ يعني الله وحده. وقيل: عقارب النار وحياتها، ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ﴾: أى فى الصور ﴿أُخْرَى﴾: مرة أخرى ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ﴾: من قبورهم ﴿يَنْظُرُونَ﴾: يعنى ينظرون إلى البعث.

وقيل: ينتظرون أمر الله تعالى فيهم.

قالت العلماء: ووجه النفخ فى الصور أنه علامة جعلها الله تعالى ليتصور بها العاقل وأخذ الأمر، ثم تجديد الخلق.

﴿وَأَشْرَقَتِ﴾: وأضاءت ﴿الْأَرْضُ﴾.

وقرأ عبيد بن عمير: ﴿وَأَشْرَقَتْ﴾ : على لفظ ما لم يُسم فاعله كأنها جعلت مضيئة .  
 ﴿بُنُورِ رَبِّهَا﴾ : قال أكثر المفسرين : بضوء ربها ، وذلك حين يبرز الرحمن لفصل القضاء بين خلقه فما يتضارون في نوره إلا كما يتضارون في الشمس في اليوم الصحو الذي لا دخن فيه .  
 وقال الضحاك : بحكم ربها .

وقال السدي : يعدل ربها . ويقال : إن الله تعالى خلق في القيامة نوراً يلبسه وجه الأرض فتشرق الأرض به ، ويقال : إن الله يتجلى للملائكة فتشرق الأرض بنوره ، وأراد بالأرض عرصات القيامة .

﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَ بِالنَّبِيِّنَ وَالشَّهَدَاءِ﴾ .

قال ابن عباس : يعنى الذين يشهدون للرسول بتبليغ الرسالة .

وقال السدي : الذين استشهدوا في طاعة الله .

وقيل : هم الحفظة ، يدل عليه قوله تعالى : ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ (ق: ٢١) .  
 ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ : سوفاً عنيفاً يسحبون على وجوههم ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُرَّارًا﴾ : أفواجاً بعضها على أثر بعض ، كل أمة على حدة .

وقال أبو عبيد والأخفش : يعنى جماعات فى تفرقة ، واحدتها زمرة .

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ : السبعة وكانت قبل ذلك مغلقة .

واختلف القراء فى قوله : (فتحت) و(فتحت) فخففهما أهل الكوفة ، وشددهما الآخرون على التكثير .

﴿وَقَالَ لَهُمْ خُزِّنْهَا﴾ : توبيخاً وتقريعاً لهم ﴿أَمْ يَأْتِيكُمْ رَسُولٌ مِّنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ﴾ : وجبت ﴿كَلِمَةُ الْعَذَابِ﴾ : وهى قوله تعالى :  
 ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (هود: ١١٩) .

﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ ﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ وَحْشَر الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ﴾ : فأطاعوه ولم يشركوا به ﴿إِلَى الْجَنَّةِ زُرَّارًا﴾ : ركبانا ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ﴾ : الواو فيه واو الحال ومجازه وقد فتحت أبوابها ، فأدخل الواو ههنا لبيان أنها كانت مفتحة قبل مجيئهم ، وحذفها من الآية الأولى لبيان أنها كانت مغلقة قبل مجيئهم ، ويقال : زيدت الواو ههنا ، لأن أبواب الجنة ثمانية ، وأبواب الجحيم سبعة ، فزيدت<sup>(١)</sup> الواو ههنا

(١) فى المتن : «فوكلت» والتصويب من هامش المخطوط .

فرقاً بينهما .

حكى شيخنا عبد الله بن حامد عن أبي بكر بن عبدش أنها تسمى واو ثمانية .

قال : وذلك أن من عادة قريش أنهم يعدون العدد من الواحد إلى الثمانية ، فإذا بلغوا الثمانية زادوا فيها واواً فيقولون : خمسة ، ستة ، سبعة ، وثمانية ، يدل عليه قول الله تعالى : ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ (الحاقة: ٧) وقال سبحانه : ﴿التَّيَّبُونَ الْعَبِيدُونَ﴾ (التوبة: ١١٢) ، فلما بلغ الثامن من الأوصاف قال : ﴿وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ (التوبة: ١١٢) ، وقال سبحانه وتعالى : ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ (الكهف: ٢٢) ، وقال تعالى : ﴿ثَلَاثَةٌ وَأَبْكَارًا﴾ (التحریم: ٥) .

وقيل : زيادة الواو في صفة الجنة علامة لزيادة رحمة الله على غضبه وعقوبته .

﴿وَقَالَ لَهُمْ خِرَافَتُهَا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ طَبْتُمْ فَأَدْخَلُوهَا خَالِدِينَ﴾ : قال قتادة فإذا قطعوا النار حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار ، فيقتص بعضهم من بعض ، حتى إذا هددوا واطمئنوا قال لهم رضوان وأصحابه : سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين .

أخبرنا أبو صالح شعيب بن محمد السيهقي أخبرنا أبو حاتم مكى بن عبدان التميمي حدثنا أبو الأزهر أحمد بن الأزهر السليطي حدثنا روح بن عبادة القيسي حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن عاصم بن ضمرة عن علي رضي الله عنه : أنه سئل عن هذه الآية : ﴿وَسَيِّقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ الآية .

فقال : سيقودهم إلى أبواب الجنة حتى إذا انتهوا إليها وجدوا عند بابها شجرة تخرج من تحت ساقها عينان ، فعمدوا إلى إحداهما فتطهروا فيها فجرت عليهم بنضرة النعيم ، فلن تغير أجسادهم بعدها أبداً ولن تشعث أشعارهم بعدها أبداً كأنما دهنوا بالدهان ، ثم عمدوا إلى الأخرى فشربوها منها فأذهبت ما في بطونهم من أذى أو قذى ، وتلقتهم الملائكة على أبواب الجنة : سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ، ويلقى كل غلمان صاحبهم يطوفون به فعل الولدان بالحميم إذا جاء من الغيبة يقولون : أبشر قد أعد الله لك كذا وكذا وأعد لك كذا وكذا ، وينطلق غلام من غلمانه يسعى إلى أزواجه من الحور العين فيقول : هذا فلان - باسمه في الدنيا - قد قدم .

فيقلن : أنت رأيتة؟

فيقول : نعم .

فيستخفهن الفرح حتى<sup>(١)</sup> يخرجن إلى أسكفة الباب ويجيء ويدخل، فإذا سرر مرفوعة<sup>(٢)</sup> وأكواب موضوعة، ونمارق مصفوفة، وزرابي مبثوثة، ثم ينظر إلى تأسيس بنيانه، فإذا هو قد أسس على جندل اللؤلؤ بين أخضر وأحمر وأبيض وأصفر من كل لون، ثم يتكئ على أريكة من أرائكه، ثم يرفع طرفه إلى سقفه، فلولا أن الله تعالى قدر له لألم أن يذهب بصره، أنه مثل البرق فيقول: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ (الأعراف: ٤٣) قال: فيناديهم الملائكة ﴿أَنْ تَلْكُمْ الْجَنَّةُ أَوْ رِشْمُهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (الأعراف: ٤٣).

واختلف أهل العربية في جواب قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَوهَا﴾.

فقال بعضهم: جوابه: (فتحت) والواو فيه مثبتة مجازها حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً﴾ (الأنبياء: ٤٨) أى ضياء. وقيل: جوابه: قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ خُزِّنْهَا﴾ والواو فيه ملغاة تقديره: حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها قال لهم خزنتها.

كقول الشاعر:

فإذا وذلك يا كيشة لم يكن إلا توهم حالم بخيال

أراد فإذا ذلك لم يكن.

وقال بعضهم: جوابه مضمرة ومعنى الكلام: حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها: سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدن، فدخلوها. ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: قال أبو عبيدة: جوابه محذوف مكفوف عن خبره، والعرب تفعل هذا للدلالة الكلام عليه.

قال الأخطل في آخر قصيدة له:

خلا أن حياً من قريش تفضلوا على الناس أو أن الأكارم نهشلا

وقال عبد مناف بن ربيع في آخر قصيدة:

حتى إذا أسلكوهم في قنائه شلاء كما تطرد الجمالة الشردا

﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَحَدَّثَنَا وَأَوْزَنَنَا الْأَرْضَ﴾: يعنى أرض الجنة، وهو قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (الأنبياء: ١٠٥).

﴿تَتَّبِعُوا مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾: ثواب المطيعين ﴿وَرَبِّ الْمَلْبَكَةِ حَاقِبِينَ﴾:

(١) فى المتن «ثم» والتصويب من الهامش.

(٢) كذا فى المتن وفى الهامش: «موضونة»



محدثين محيطين ﴿مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾ : ودخول (من) للتوكيد ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ : متلذذين بذلك لا متعبدين به ، لأن التكليف يزول في ذلك اليوم ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ﴾ : أى بين أهل الجنة والنار بالحق ﴿وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ .

أخبرنا أبو صالح شعيب بن محمد البيهقي الفقيه أخبرنا مكى بن عبدان أخبرنا أبو الأزهر أحمد بن الأزهر حدثنا روح بن عبادة حدثنا سعيد عن قتادة فى هذه الآية قال : فتح أول الخلق بالحمد وقال : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ﴾ (الأنعام : ١) وختم بالحمد فقال : ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ .

أخبرنا أبو عبد الله بن فنجويه حدثنا عبد الله بن يوسف بن أحمد بن مالك حدثنا أبو طلحة أحمد بن محمد بن عبد الكريم الفزارى حدثنا نصر بن على حدثنا عبد الرحمن بن عثمان<sup>(١)</sup> عن عبادة بن ميسرة عن محمد بن المنكدر عن ابن عمر أن النبى ﷺ قرأ على المنبر آخر سورة الزمر فتحرك المنبر مرتين .



(١) كذا وفى الهامش : «عفان»

## سُورَةُ غَاثِ (المؤمن)

مكية، وهي خمس وثمانون آية،

وألف ومائة وتسع وتسعون كلمة، وأربعة آلاف وتسعمائة وستون حرفاً

قال الثمالي: إنما سميت بذلك من أجل حزقيل مؤمن آل فرعون.

❖ (فصل)<sup>(١)</sup> في فضل الحواميم؛

أخبرنا الأستاذ أبو الحسن علي بن محمد بن الحسن الجنازي قراءة عليه حدثنا أبو الشيخ الأصبهاني حدثنا محمد بن أبي عصام حدثنا إبراهيم بن سليمان الحرّاني حدثنا عثمان المزني حدثنا عبد القدوس بن حبيب عن الحسن بن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «الحواميم دياج القرآن».

أخبرنا أبو محمد ابن الرومي أخبرنا أبو العباس السراج حدثنا قتيبة حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب أن الجراح بن أبي الجراح حدثه عن ابن عباس قال: لكل شيء لباب ولباب القرآن الحواميم.

أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن يعقوب القصرى بها أخبرنا أبو علي الصفار ببغداد حدثنا سعدان بن نصر (ح)<sup>(٢)</sup> وأخبرنا أبو الحسين الخبازي أخبرنا السنّادى<sup>(٣)</sup> وهو أبو بكر أحمد بن نصر حدثنا ابن المنادى عن سعدان بن نصر: أن المعتمر بن سليمان الرقي حدثهم عن الخليل بن مرة مرسلًا قال: كان النبي ﷺ يقول: «الحواميم سبع وأبواب جهنم سبع: جهنم، والحطمة، ولظى، والسعير، وسقر، والهاوية، والجحيم، فتجىء كل حاء ميم منهن يوم القيامة على باب من هذه الأبواب فتقول: لا يدخل الباب من كان يؤمن بي ويقرأني».

أخبرنا علي بن محمد بن الحسن حدثنا أبو جعفر محمد بن عبد الله بن بذرة حدثنا أبو علي أحمد بن بشر المرثدي حدثنا إسحاق بن إسماعيل الطالقاني حدثنا جعفر بن عون عن مسعر<sup>(٤)</sup>

(١) زيادة يتطلبها التصنيف للفصل بين تفسير السورة، والتقديم للسور اللاحقة لها.

(٢) زيادة حديثة يتطلبها سياق الإسناد.

(٣) كذا في المتن وفي الهامش: «الشنداني».

(٤) كذا وبالهامش: «مسعود».

عن سعد بن إبراهيم قال: كن الحواميم يسمون العرائس.

وروى عن النبي ﷺ أنه قال: «لكل شىء ثمرة، وإن ثمرة القرآن ذوات حم هن روضات حسان مخصبات متجاورات، فمن أحب أن يرتع فى رياض الجنة فليقرأ الحواميم».

وقال ابن مسعود: إذا وقعت فى الحواميم وقعت فى روضات أتائق فيهن.

وقال ﷺ: «مثل الحواميم فى القرآن مثل الحبرات فى الثياب».

وقال ابن سيرين: رأى رجل<sup>(١)</sup> فى المنام سبع جوار حسان فى مكان واحد لم ير أحسن منهن فقال لهن: لمن أنتن؟ قلن: لمن قرأ الحواميم.

### ❖ فأما فضائل هذه السورة خاصة:

فأخبرنا أبو عبد الله حدثنا ظفران حدثنا أبو محمد بن أبى حاتم حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح (ح)<sup>(٢)</sup> وأخبرنا أبو الحسين الحلبازى حدثنا ظفران حدثنا ابن أبى داود حدثنا محمد بن عاصم (ح)<sup>(٣)</sup> وأخبرنا الحلبازى، حدثنا ابن حبش المقرئ حدثنى أبو العبّاس محمد بن موسى الدقاق حدثنا عبد الله بن روح المدائنى حدثنا نشابة بن سوار حدثنا مخلد بن عبد الواحد عن على بن زيد وعن عطاء بن أبى ميمونة عن زر بن حبيش عن أبى بن كعب عن النبي ﷺ قال: «من قرأ حم المؤمن لم تبقى (روح)<sup>(٣)</sup> نبى ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن إلا صلوا عليه واستغفروا له».

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿حَمْرٌ ﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهَ الْمَصِيرِ ﴿ مَا يَجْدُلُ فِيْ آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبَلَدِ ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْرَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَدَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ

(١) فى متن المخطوط: «واحد» وما أثبتته فمن الهامش لمناسبته للسياق.

(٢) زيادة حديثة يتطلبها سياق الإسناد حتى لا يحدث خلط بين طرق الحديث.

(٣) زيادة من هامش المخطوط.

عِقَابٍ ۝ وَكَذَلِكَ حَقَّتْ لِكِمْتِ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ۝ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ۝ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ينادُونَ لَمَقْتُ اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ مَقَّتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ۝ قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأُحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَأَعْرَفْنَا بِدُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجِ مِنَ سَبِيلٍ ۝ ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ۝

﴿حمر﴾ : أنبأنا أبو عبد الله بن فنجويه حدثنا أبو على بن حبش المقرئ حدثنا أبو القاسم ابن الفضل حدثنا على بن الحسن حدثنا جعفر بن مسافر حدثنا يحيى بن حسان حدثنا رشد عن الحسن بن ثوبان عن عكرمة قال : قال رسول الله ﷺ : «حم اسم من أسماء الله تعالى وهى مفاتيح خزائن ربك تعالى» .

أخبرنا عبد الله بن حامد الوزان ، أخبرنا مكى بن عبدان ، حدثنا عبد الله بن هاشم ، حدثنا عبد الرحمن ابن مهدي حدثنا شعبة قال : سألت السدى عن حم ؟

فقال : قال ابن عباس : هو اسم الله الأعظم .

وروى عكرمة عن ابن عباس قال : (الر) و(حم) و(ن) <sup>(١)</sup> حروف الرحمن مقطوعة .

الوالبى عنه : قسم أقسم الله تعالى به ، وهو اسم من أسماء الله تعالى .

وقال قتادة : حم اسم من أسماء القرآن .

مجاهد : فواتح السور .

القرطبى : أقسم الله تعالى بحلمه وملكه أن لا يعذب أحداً عاد إليه يقول لا إله إلا الله مخلصاً من قلبه .

الشعبى : شعار السورة .

(١) فى المخطوط : «نون» وأثبت الحرف بدل اللفظ .

وقال عطاء بن أبي مسلم الخراسانى: الحاء افتتاح أسماء الله تعالى: حلیم، وحمید، وحی، وحنان، وحکیم، والمیم افتتاح أسمائه: ملك، ومجید، ومنان. يدل عليه ما روى عن أنس بن مالك أنه قال: سأل أعرابى رسول الله ﷺ ما حم، فإننا لا نعرفها فى لغتنا؟ فقال: «بدء أسماء وفواتح سور».

وقال الضحاك والكسائى: معناه قضى ما هو كائن، كأنه أراد الإشارة إلى حم بضم الحاء وتشديد الميم.

﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾: واختلف القراء فى قوله: (حم) فكسر الحاء حيث كان، عيسى وحمزة والكسائى وخلف، ومثله روى يحيى وحماد عن أبى بكر عن عاصم. وقرأ أبو جعفر وأبو عبيد وأبو حاتم وابن ذكوان بين الفتح والكسر. ومثله روى بكر بن سهل الدمياطى وإسماعيل النخاس عن ورش عن نافع. وقرأ الباقون: بالفتح.

﴿غَافِرِ الذَّنْبِ﴾: قال ابن عباس: لمن قال: لا إله إلا الله. ﴿وَقَائِلِ التَّوْبِ﴾: ممن قال: لا إله إلا الله ﴿شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾: لمن لا يقول: لا إله إلا الله ﴿ذِي الطُّولِ﴾: ذى الغنى عمن لا يقول: لا إله إلا الله. وقال الضحاك: ذى المن<sup>(١)</sup>.

قتادة: ذى النعم.

السدى: ذى السعة.

الحسن: ذى الفضل.

ابن زيد: ذى القدرة، وأصل الطول: الإنعام الذى تطول مدته على صاحبه، يقال: اللهم طل علينا، أى أنعم علينا وتفضل، ومنه قيل للمنفع: طائل، ويقال فى الكلام: ما خليت من فلان بطائل وما حظيت منه بنائل، أى لم أجد منه منفعة.

حدثنا الحسن بن محمد بن فنجويه حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان حدثنا يوسف بن عبد الله بن ماهان حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد عن ثابت قال: كنت إلى جانب سرادق مصعب بن الزبير فى مكان لا يمر فيه الدواب، وقد استفتحت: ﴿حَرِّمَ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ إذ مرَّ رجل على دابة فلما قلت: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ﴾. قال: قل: يا غافر الذنب اغفر لى ذنبى.

(١) فى الهامش: «المن».

قلت: ﴿وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾.

قال: قل: يا قابل التوب اقبل توبتي. قلت: ﴿شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾.

قال: قل: يا شديد العقاب اعف عن عقابي.

قلت: ﴿ذِي الطُّولِ﴾.

قال: قل يا ذا الطول طلّ علىّ بخير.

قال: ثم التفت يميناً وشمالاً فلم أر شيئاً.

وقال أهل الإشارة: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ﴾ فضلاً، ﴿وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾: وعداً، ﴿شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾:

عدلاً.

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهٌ مَّصِيرٌ﴾: فرداً. و(التوب) يجوز أن يكون مصدرًا، ويحتمل أن يكون

جمع التوبة، مثل دومة ودوم وعومة وعوم.

أخبرنا عبد الله بن حامد قرأه عليه حدثنا محمد بن خالد بن الحسن أخبرنا داود بن سليمان حدثنا عبد بن حميد حدثنا كثير بن هشام أخبرنا جعفر بن مرقان حدثنا يزيد بن الأصم: أن رجلاً كان ذا بأس، وكان يوفد إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه لبأسه، وكان من أهل الشام، وأن عمر فقدته فسأل عنه فقيل له: يتابع في هذا الشراب فدعا عمر كاتبه فقال: اكتب من عمر بن الخطاب إلى فلان بن فلان سلام عليكم، فإني أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ تَزِيلُ الْكُتُبِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطُّولِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهٌ مَّصِيرٌ﴾. وختم على الكتاب ثم دفعه إلى رسوله وقال: لا تدفعن الكتاب إليه حتى تجده صحوان.

ثم أمر من عنده فدعوا له أن يقبل الله تعالى عليه بقلبه، وأن يتوب عليه، فلما أتت الصحيفة الرجل جعل يقرأها ويقول قد وعدنى الله تعالى أن يغفر لى وخذرنى عقابه، فلم يزل يرددّها على نفسه حتى بكى ثم نزع، فأحسن النزع وحسنت توبته وحاله، فلما بلغ عمر أمره قال: هكذا فاصنعوا إذا رأيتم أحاكم زل زلة<sup>(١)</sup> فسددوه ووقفوه وادعوا الله تعالى له أن يتوب عليه، ولا تكونوا أعواناً للشياطين عليه.

﴿مَا يُجَدِّدُ﴾: ما يخاصم ويعدى<sup>(٢)</sup> ﴿فِي آيَاتِ اللَّهِ﴾: بالإنكار لها ﴿إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

أخبرنا عبد الله بن حامد أخبرنا محمد بن يعقوب حدثنا محمد بن إسحاق حدثنا خالد بن

(١) كذا، وفي الهامش: «ذَا زَلَّةً».

(٢) كذا فى المتن وفى الهامش: «بِمَارَى».

الوليد<sup>(١)</sup> حدثنا أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية قال: آيتان ما أشدهما على الذين يجادلون في القرآن: ﴿مَا يُجَدِّلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ و﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ (البقرة: ١٧٦).

أخبرنا عبد الله بن حامد حدثنا محمد بن خالد حدثنا داود بن سليمان أخبرنا عبد بن حميد حدثنا الحسين بن علي الجعفي عن زائد عن ليث عن سعد بن إبراهيم عن أبي أسامة<sup>(٢)</sup> عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إن جدالاً في القرآن كفر».

﴿فَلَا يُعْرَضُكَ تَقَبُّلَهُمْ﴾: تصرفهم ﴿فِي الْبَلَدِ﴾: للتجارات ويقائهم فيها مع كفرهم، فإن الله تعالى يمهلهم ولا يمهلهم، نظيره: ﴿لَا يُعْرَضُكَ تَقَبُّلُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبَلَدِ﴾ مَتَّعٌ قَلِيلٌ ﴿ال عمران: ١٩٦-١٩٧﴾، ثم قال: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ﴾ والكفار الذين تحزبوا على أنبيائهم بالمخالفة والعداوة ﴿مِنْ بَعْدِهِمْ﴾، أي من بعد قوم نوح ﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾: ويقتلوه.

قال الفراء: كان حقه أن يقول برسولها وكذلك هي في قراءة عبد الله، ولكنه أراد بالأمة الرجال فكذلك قال: ﴿بِرَسُولِهِمْ﴾.

﴿وَجَدَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا﴾: ليطلوا ويزيلوا ﴿بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ﴾: من الملائكة.

قال ابن عباس: حملة العرش ما بين كعب أحدهم إلى أسفل قدميه مسيرة خمسمائة عام. وقال: مسيرة أرجلهم في الأرض السفلى ورؤوسهم قد خرقت العرش، وهم خشوع لا يرفعون طرفهم، وهم أشد خوفاً من أهل السماء السابعة، وأهل السماء السابعة أشد خوفاً من أهل السماء التي تليها، والتي تليها أشد خوفاً من التي تليها<sup>(٣)</sup>. قال مجاهد: بين الملائكة وبين العرش سبعون حجاباً من نور<sup>(٣)</sup>.

أخبرنا ابن فنجويه الدينوري حدثنا مخلص بن جعفر حدثنا الحسن بن علويه حدثنا إسماعيل ابن عيسى حدثنا إسحاق أخبرني مقاتل عن الضحاك عن ابن عباس قال: لما خلق الله حملة العرش قال لهم: احملوا عرشي. فلم يطيقوا، فخلق مع كل ملك منهم من أعوانهم مثل

(١) هو محدث وليس بالصحابي المشهور.

(٢) كذا في المتن وفي الهامش: «سَلْمَةٌ».

(٣) هذه الأقوال وما يليها ليس عليها دليل من كتاب الله تعالى، ولا سنة صحيحة عن رسول الله ﷺ فلا يعتد بها.

جنود من فى السموات من الملائكة ومن فى الأرض من الخلق، فقال: احملوا عرشى. فلم يطيقوا، فخلق مع كل واحد منهم جنود سبع سموات وسبع أرضين وما فى الأرض من عدد الحصى والثرى فقال: احملوا عرشى. فلم يطيقوا، فقال: قولوا لا حول ولا قوة إلا بالله. فقالوا: لا حول ولا قوة إلا بالله استقلينا عرش ربنا.

قال: فنفذت أقدامهم فى الأرض السابعة على متن الثرى فلم تستقر، فكتب على قدم كل ملك اسم من أسمائه تعالى، فاستقرت أقدامهم<sup>(١)</sup>.

وروى شهر بن حوشب عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تفكروا فى عظمته ولكن تفكروا فيما خلق الله تعالى من الملائكة، فإن خلقاً من الملائكة يقال له: إسرافيل زاوية من زوايا العرش على كاهله وقدماه فى الأرض السفلى، وقد مرق رأسه من سبع سموات وإنه ليتضاءل من عظمة الله تعالى حتى يصير كأنه الوصع»<sup>(٢)</sup>.

وروى موسى بن عقبة عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «أذن لى أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة عرشه ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام».

وفى الخبر: إن الله تعالى أمر جميع الملائكة أن يغدوا ويروحوا بالسلام على حملة عرشه، تفضيلاً لهم على سائر الملائكة، فهذه صفة حملة العرش<sup>(٣)</sup>.

❖ وأما صفة العرش<sup>(٤)</sup>:

فروى لقمان بن عامر عن أبيه قال: إن الله تعالى خلق العرش من جوهرة خضراء، للعرش ألف ألف رأس زاجون ومن وراء هؤلاء مائة ألف صف من الملائكة قد وضعوا اليمنى على اليسرى ليس منهم أحد إلا وهو يسبح بتحميد لا يسبحه الآخر، ما بين جناحي أحدهم مسيرة ثلاثمائة عام، وما بين شحمة أذنه إلى عاتقه أربعمائة عام، واحتجب الله تعالى بينه وبين الملائكة الذين هم حول العرش بسبعين حجاباً من نار، وسبعين حجاباً من ظلمة، وسبعين

(١) راجع التعليق السابق.

(٢) الوصع: هو صغير العصافير، ويقال: الصغير من أولاد العصافير.

والخبر كسوابقه لا يصح ولا يجب التحدث به.

(٣) هذا الباب لا يصح فيه شيء وما نسب إلى النبى ﷺ فهو منه براء، وما نسب إلى ابن عباس وغيره من أهل العلم فهو مدسوس عليهم من وضع اليهود وأهل الكتاب، وأهل الأهواء عافانا الله وإياكم ورزقنا وإياكم حسن الختام.

(٤) كل ما يرد فى هذا الباب ينطبق عليه ما سبق من كلام على حملة العرش من تعليق، ولا يغترن مغترن بكبير أسماء من تروى عنهم هذه الأخبار.



حجاباً من نور، وسبعين حجاباً من در أبيض، وسبعين حجاباً من ياقوت أحمر، وسبعين حجاباً من زبرجد أخضر، وسبعين حجاباً من ثلج، وسبعين حجاباً من ماء، وسبعين حجاباً من برد وما لا يعلمه إلا الله تعالى.

قال: ولكل واحد من حملة العرش ومن حوله أربعة وجوه: وجه ثور، ووجه أسد، ووجه نسر، ووجه إنسان، ولكل واحد منهم أربعة أجنحة: أما جناحان فعلى وجه من أن ينظر إلى العرش فيصعق، وأما جناحان فيتبوا فيقوى بهما، ليس لهم كلام إلا التسييح والتحميد والتكبير والتمجيد.

وقال يزيد الرقاشي: إن لله تعالى ملائكة حول العرش يسمون المخلصين، تجرى أعينهم مثل الأنهار إلى يوم القيامة يمدون كأنما ينفضهم من خشية الله، فيقول لهم الربّ جلّ جلاله: يا ملائكتي مخافة تخيفكم؟

فيقولون: يا ربنا لو أن أهل الأرض اطلعوا من عزتك وعظمتك على ما اطلعنا عليه، ما أساغوا طعاماً ولا شرباً ولا انبسطوا في فرشهم، ولخرجوا إلى الصحارى يخورون كما يخور البقر<sup>(١)</sup>.

﴿يَسْتَحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: وهذا تفسير لقوله: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ﴾ (الشورى: ٥) ﴿رَبَّنَا﴾: أى ويقولون: ربنا ﴿وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةٌ وَعِلْمًا﴾: نصباً على التفسير، وقيل: نصباً على النقل، أى وسعت رحمتك وعلمك كل شيء ﴿فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ﴾: دينك ﴿وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾.

روى الأعمش عن إبراهيم قال: كان أصحاب عبد الله يقولون الملائكة خير من ابن الكواء (هم)<sup>(٢)</sup> يستغفرون لمن فى الأرض، وابن الكواء يشهد عليهم بالكفر، وابن الكواء رجل من الخوارج قال: وكانوا لا يحبون الاستغفار على أحد من أهل هذه القبلة.

وقال: وجدنا أنصح عباد الله لعباد الله الملائكة، ووجدنا أغش عباد الله للعباد الشيطان.

وسمعت أبا القاسم بن حبيب يقول: سمعت أبى يقول: سمعت محمد بن علي بن محمد الوراق يقول: سمعت يحيى بن معاذ الرازى يقول لأصحابه إذا قرأ هذه الآية: افهموا فما فى العالم خيراً أرجى منه.

﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ﴾: فى محل نصب عطفاً على الهاء والميم ﴿صَلَحَ﴾

(١) سبق التعليق من أول الكلام فى الباب على أن هذا من وضع الرضاة والقصاصين.

(٢) زيادة يتطلبها السياق.

مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٠﴾ .

قال سعيد بن جبير: يدخل الرجل الجنة فيقول: أين أبى أين أمى أين ولدى أين زوجى؟  
فيقال: لم يعملوا مثل عملك .  
فيقول: كنت أعمل لى ولهم .  
فيقال: أدخلوهم الجنة .

﴿وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ﴾: أنواع العذاب ﴿وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾  
إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ: يوم القيامة وهم فى النار وقد مقتوا أنفسهم حين عاينوا العذاب فيقال  
لهم: ﴿لَمَقْتُ اللَّهِ﴾ إياكم فى الدنيا إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون ﴿أَكْبُرُ مِنْ مَقْتِكُمْ﴾ اليوم  
﴿أَنْفَسِكُمْ﴾ عند حلول العذاب بكم ﴿إِذْ تَدْعُونَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ﴾ قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَيْنِ وَأَخْيَبْنَا  
أَثْنَيْنِ ﴿١١﴾ .

قال ابن عباس وقتادة والضحاك: كانوا أمواتا فى أصلاب آبائهم، فأحياهم الله تعالى فى  
الدنيا ثم أماتهم الموتة التى لا بد منها، ثم أحياهم للبعث يوم القيامة، فهما حياتان وموتتان،  
وهذا مثل قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾ (البقرة: ٢٨) الآية .  
وقال السدى: أميتوا فى الدنيا ثم أحيوا فى قبورهم، فسئلوا ثم أميتوا فى قبورهم، ثم  
أحيوا فى الآخرة .

﴿فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾: فنصلح أعمالنا، نظيرها قوله: ﴿هَلْ إِلَى مَرَدٍ مِنْ  
سَبِيلٍ﴾ (الشورى: ٤٤) ﴿ذَلِكَ بِأَنَّكُمْ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ﴾: فى الكلام متروك استغنى بدلالة  
الظاهر عليه، مجازه: فأجيبوا أن لا سبيل إلى ذلك وهو العذاب والخلود فى النار، بأنه إذا  
دعى الله وحده فى الدنيا كفرتم به وأنكرتم أن لا تكون الإلهية له خالصة، وقتلتم أجعل الآلهة  
إلهًا واحدًا ﴿وَإِنْ يُشْرِكْ بِهِ﴾: غيره .

﴿تَوَمَّنُوا﴾: تصدقوا ذلك المشرك . وسمعت بعض العلماء يقول: وإن يشرك به بعد الرد إلى  
الدنيا لو كان تومنوا تصدقوا المشرك ذكره بلفظ الاستفهام . نظيره قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا  
لِمَا نُهَوْا عَنْهُ﴾ (الأنعام: ٢٨) ﴿فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ .



﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّل لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ﴾  
فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿١٢﴾ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي

الرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴿١٠﴾ يَوْمَ هُمْ بَدْرُؤًا لَا يَخْفَىٰ عَلَىٰ  
 اللَّهُ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١١﴾ الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ  
 الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٢﴾ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْأَازِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظِيمِينَ ﴿١٣﴾ مَا  
 لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٤﴾ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿١٥﴾ وَاللَّهُ يَقْضِي  
 بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١٦﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا  
 فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَانَارًا فِي  
 الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴿١٧﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ  
 بِالْبَيِّنَاتِ فَاكْفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٨﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا  
 وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿١٩﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَمْلَانَ وَقَالُوا فَقَالُوا سِحْرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٠﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ  
 بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكٰفِرِينَ  
 إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٢١﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ  
 أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ  
 بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٢٣﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ  
 اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ  
 بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾

﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ وَيُنزِلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا﴾: بإدراج الغيث ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ  
 يُنِيبُ﴾ فادعوا الله مخلصين له الدين: العبادة والطاعة ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكٰفِرُونَ﴾ رفيع: أى هو  
 رفيع ﴿الَّذَرَجَاتِ﴾: يعنى رافع طبقات الثواب للأنبياء والمؤمنين فى الجنة.

قال ابن عباس: رافع السموات وهو فوق كل شىء وليس فوقه شىء.

﴿ذُو الْعَرْشِ﴾: خالقه ومالكة ﴿يَلْتَقَى الرُّوحُ﴾: ينزل الوحي، سمّاه وحياً، لأنه يحيى به القلوب كما يحيى بالأرواح الأبدان ﴿مِنْ أَمْرِهِ﴾: من قوله وقيل بأمره ﴿عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾.

قراءة العامة: بالياء أى ينذر الله تعالى .

وقرأ الحسن: بالتاء، يعنى لتنذرن أنت يا محمد يوم التلاق.

أخبرنا أبو الحسين بن الفضل الفقيه حدثنا أبو العباس الأصم حدثنا محمد بن عبيد الله حدثنا أبو أسامة حدثنا المبارك بن فضالة عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس فى قوله تعالى: ﴿لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ قال: يوم يلتقى أهل السماء وأهل الأرض .

وقال قتادة ومقاتل: يلتقى فيه الخلق والخالق .

ابن زيد: يتلاقى العباد .

ميمون بن مهران: يلتقى الظالم والمظلوم والخصوم . وقيل: يلتقى العابدون والمعبودون . وقيل: يلتقى فيه المرء مع عمله ﴿يَوْمَ هُمْ بَبْرُونَ﴾: خارجون من قبورهم، ظاهرون لا يستترهم شىء ﴿لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ﴾: من أعمالهم وأحوالهم ﴿شَيْءٌ﴾: ومحل (هم) رفع على الابتداء و(بارزون) خبره ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾: وذلك عند فناء الخلق، وقد ذكرنا الأخبار فيه .

قال الحسن: هو السائل وهو المجيب، لأنه يقول ذلك حين لا أحد يجيبه فيجيب نفسه فيقول: ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾: الذى قهر الخلق بالموت .

أخبرنا شعيب أخبرنا مكى حدثنا أبو الأزهر حدثنا روح حدثنا حماد عن عاصم بن بهدلة عن أبى وائل عن ابن مسعود قال: يجمع الله الخلق يوم القيامة بصعيد واحد، بأرض بيضاء كأنها سبيكة فضة لم يعص الله تعالى فيها قط، فأول ما تتكلم به أن ينادى مناد ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ .

﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾: فأول ما يبدءون به من الخصومات الدماء ﴿وَأُنذِرُهُمْ يَوْمَ الْآزِقَةِ﴾: أى بيوم القيامة، سميت بذلك لأنها قريبة، إذ كل ما هو آت قريب .

قال النابغة:

أزف الترحل غير أن ركابنا لم تزل بركابها<sup>(١)</sup> وكان قد

أى: قُرب، ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿أَزِفَتِ الْآزِقَةُ﴾ (النجم: ٥٧) أى قربت القيامة .

(١) فى الهامش: «برحالها» .

﴿إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ﴾: من الخوف قد زالت وشخصت من صدورهم، فتعلقت بحلوقهم فلا هي تعود إلى أماكنها ولا هي تخرج من أفواههم فيموتوا فليسوا سواء نظيره قوله: ﴿وَأَفِيدَتْهُمْ مَوَاءُ﴾ (إبراهيم: ٤٣) ﴿كَتِّمِينَ﴾: مكرويين ممتلئين خوفاً وحزناً، والكاظم المسك للشيء على ما فيه، ومنه كظم قربته إذا شد رأسها، فهم قد أطبقوا أفواههم على ما في قلوبهم من شدة الخوف، والکظم تردد الغيظ والخوف والحزن في القلب حين يضيق به. يقول العرب للبئر الضيقة وللساقية المملوءة: ماء كظامة وكاظمة، ومنه الحديث: كيف بكم إذا بعجت<sup>(١)</sup> مكة بكاظميها.

قال الشاعر:

يخرجن من كاظمة العصن الغرب  
يحملن عباس بن عبد المطلب  
ونصب كاظمين على الحال والقطع.

﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ﴾: قريب وصدیق، ومنه قيل للأقرباء والخاصة حامة ﴿وَلَا شَفِيعَ يُطَاعُ﴾: فيشفع فيهم ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ﴾.

وقال المؤرج: فيه تقديم وتأخير مجازه أى الأعين الخائنة قال ابن عباس: هو الرجل يكون جالساً مع القوم، فتمر المرأة فيسارقهم النظر إليها. وقال مجاهد: هى نظر الأعين إلى ما نهى الله تعالى عنه.

قتادة: هى همزة بعينه وإغماضه فيما لا يحب الله تعالى ولا يرضاه.

﴿وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾: يعنى الأوثان ﴿لَا يَقْضُونَ بَشَيْئاً﴾: لأنها لا تعلم شيئاً ولا تقدر على شيء.

وقرأ أهل المدينة وأيوب: تدعون بالتاء، ومثله روى هشام عن أهل الشام والباقون: بالياء. ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ \* أَوْ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾.

قرأ العامة: بالهاء.

وقرأ ابن عامر: منكم بالكاف. وكذلك هو فى مصاحفهم.

﴿وَأَنَارًا فِي الْأَرْضِ﴾: فلم ينفعهم ذلك حين أخذهم الله ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾: يعنى من عذاب الله من واق ينفعهم ويدفع عنهم ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَعَكَّرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ \* وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿إِلَى﴾

(١) كتب فى تلك الكلمة: «نفخت».

فِرْعَوْنَ وَهَمَلْنَ وَقَرُونِ فَقَالُوا سِحْرٌ كَذَابٌ ﴿١٠﴾ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا ﴿١١﴾: يعني فرعون وقومه ﴿أَقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ﴾.

قال قتادة: هذا قتل غير القتل الأول، لأن فرعون كان أمسك عن قتل الولدان، فلما بُعث إليه موسى أعاد القتل عليهم.

﴿وَأَسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ﴾: ليصدوهم بقتل الأبناء واستحياء النساء عن متابعة موسى ومظاهرته ﴿وَمَا كُنْتُمْ بِالْكَافِرِينَ﴾: وما مكر فرعون وقومه واحتيالهم ﴿إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ﴿١٢﴾: ملته ﴿ذُرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ﴾: الذى يزعم أنه أرسله إلينا فيمنعه منا ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ﴾ يغير ﴿دِينَكُمْ﴾: الذى أنتم عليه بسحر ﴿أَوْ أَنْ﴾.

قرأ أبو عمر وأهل المدينة وأهل الشام وأهل مكة: وأن بغير ألف، وكذلك هي في مصاحف أهل الحرمين والشام.

وقرأ الكوفيون وبعض البصريين: (أو أن) بالألف، وكذلك هي في مصاحف أهل العراق. وقال أبو عبيد: وبها يقرأ للزيادة التى فيها، ولأن (أو) ربما كانت فى تأويل الواو، ولا تكون الواو فى معنى أو.

﴿يُظْهِرُ<sup>(١)</sup> فِي الْآرْضِ الْفَسَادَ﴾.

قرأ أهل المدينة والبصرة: (يُظْهِرُ) بضم الياء وكسر الهاء، و(الفساد) بنصب الدال على التعدية.

ومثله روى حفص عن عاصم وهى اختيار أبى عبيد قال لقومه: يبدل دينكم، فكذلك يظهر ليكون الفعلان على نسق واحد.

وقرأ الآخرون: بفتح الياء والهاء ورفع الدال على اللزوم، وهى اختيار أبى حاتم. والفساد انتقاص الأمر، وأراد فرعون به تبديل الدين وعبادة غيره.

﴿وَقَالَ مُوسَى﴾: لما توعده فرعون بالقتل: ﴿إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ ﴿١٣﴾: اختلفوا فى هذا المؤمن.

فقال بعضهم: كان من آل فرعون، غير أنه كان آمن بموسى، وكان يكتُم إيمانه من فرعون وقومه خوفاً على نفسه.

قال السدسى ومقاتل: كان ابن عم فرعون وهو الذى أخبر الله تعالى عنه فقال: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ

(١) رسمها فى المخطوط: بفتح الياء، وسكون الظاء وفتح الهاء، ورسمت ما فى مصحف حفص عن عاصم وتركت المؤلف يظهر الفرق عند أهل الأمصار على ما سيرد ذكره إن شاء الله تعالى.

مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى ﴿ (القصص: ٢٠).

وقال آخرون: كان إسرائيلياً، ومجاز الآية: وقال رجل مؤمن يكتُم إيمانه من آل فرعون .  
واختلفوا أيضاً في اسمه .

فقال ابن عباس وأكثر العلماء: اسمه حزيبيل .

وهب بن منبه: اسمه حزيقال .

ابن إسحاق: خبرل .

أخبرنا عبد الله بن حامد أخبرنا محمد بن خالد أخبرنا داود بن سليمان أخبرنا عبد الواحد  
أخبرنا أحمد بن يونس حدثنا خديج بن معاوية عن أبي إسحاق قال: وكان اسم الرجل الذي  
آمن من آل فرعون (حبيب) .

﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ : أَى لَأَنَّ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ  
كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضَ الَّذِي يَعِدُكُمْ ﴾ : من العذاب .

وقال بعض أهل المعاني: أراد يصبكم كل الذي يعدكم .

والعرب تذكر البعض وتريد الكل ، كقول لبيد:

تراك أمكنة إذا لم أرضها      أو يرتبط بعض النفوس حمامها

أى كل النفوس .

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ ﴾ : مشرك .

وقال السدي: قتال .

﴿ كَذَّابٌ ﴾ : على الله .

أخبرنا الإمام أبو منصور محمد بن عبد الله الجمشاذي حدثنا أبو العباس الأصم حدثنا  
العبّاس بن محمد الثوري حدثنا خالد بن مخلد القطواني حدثنا سليمان بن بلال حدثنا هشام  
ابن عروة عن أبيه عن عمرو بن العاص قال: ما تؤول من رسول الله ﷺ شيء كان أشد من أن  
طاف بالبيت فلقوه حين فرغ فأخذوا بمجامع رذائه فقالوا: أنت الذي تنهاننا عما كان يعبد  
آباؤنا؟

فقال: «أنا ذاك» .

فقام أبو بكر رضى الله عنه فالتزمه من ورائه وقال: ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ  
بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ إلى آخر الآية رافع صوته بذلك ، وعيناه تسفحان حتى أرسلوه .



﴿يَقَوْمٍ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَهَرْنَ فِي الْأَرْضِ فَمن يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ  
فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿١٠٥﴾ وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَقَوْمِ إِنِّي  
أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْرَابِ ﴿١٠٦﴾ مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ  
يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ ﴿١٠٧﴾ وَيَقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴿١٠٨﴾ يَوْمَ تَوَلَّوْنَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ  
مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿١٠٩﴾ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلِ الْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي  
شَكِّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ نَبْعَثَ اللَّهَ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ  
مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ ﴿١١٠﴾ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ كِبْرٌ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ  
الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿١١١﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَنْهَى لِي مَنْ لِي  
صَرَخَالِي أَتْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿١١٢﴾ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لِأَظُنُّهُ كَذِبًا  
وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿١١٣﴾

﴿يَقَوْمٍ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَهَرْنَ﴾ : غالبين مستعدين على بنى إسرائيل ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ :  
أرض مصر ﴿فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ﴾ : عذاب الله ﴿إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ﴾ : من الرأى  
والنصيحة ﴿إِلَّا مَا أَرَى﴾ : لنفسى .

وقال الضحاك : ما أعلمكم إلا ما أعلم نظيره ﴿بِمَا أَرْزَاكَ اللَّهُ﴾ (النساء : ١٠٥) . ﴿وَمَا أَهْدِيكُمْ  
إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْرَابِ ﴿١٠٦﴾ مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ  
وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ : مثل ما أصابهم من العذاب ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ﴾ وَيَقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ  
عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴿١٠٨﴾ .

قرأه العامة : بتخفيف الدال ، بمعنى يوم ينادى المناد بالشقاوة والسعادة ، إلا إن فلان ابن  
فلان سعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً ، إلا إن فلان ابن فلان شقى شقاوة لا يسعد بعدها أبداً ،  
وينادى الناس بعضهم بعضاً ، وينادى أصحاب الأعراف ، وأهل الجنة أهل النار ، وأهل النار  
أهل الجنة ، وينادى حين يذبح الموت : يا أهل الجنة خلود فلا موت ، ويا أهل النار خلود فلا  
موت ، وينادى كل قوم بأعمالهم . وقرأ الحسن : (التنادى) بتخفيف الدال وإثبات الياء على  
الأصل .

وقرأ ابن عباس والضحاك : بتشديد الدال ، على معنى يوم التنافر ، وذلك إذا ندوا فى  
الأرض كما تند الإبل إذا شردت على أربابها .



قال الضحاك : وذلك إذا سمعوا زفير النار ندوا هراباً ، فلا يأتون قطراً من الأقطار إلا وجدوا ملائكة صفوفاً ، فيرجعون إلى المكان الذي كانوا فيه ، فذلك قوله : ﴿يَوْمَ التَّنَادِ﴾ وقوله تعالى : ﴿يَسْمَعُونَ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِذَا اسْتَرْعَضُوا فَأَنْذَرْتَهُمْ وَأَنْذَرُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَآفَقُوا﴾ (الرحمن : ٣٣) ﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا﴾ (الحاقة : ١٧) .

﴿يَوْمَ تُولُّونَ مُدْبِرِينَ﴾ : أى منصرفين عن موقف الحساب إلى النار .

وقال مجاهد : يعنى فارين غير معجزين .

﴿مَا لَكُمْ مِنْ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾ : ناصر يمنعكم من عذابه ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ ولقد جاءكم يوسف : ابن يعقوب (عليه السلام) ﴿مِنْ قَبْلِ الْبَيْتِ﴾ : أى من قبل موسى بالبينات . قال وهب : إن فرعون موسى هو فرعون يوسف ، عمر إلى زمن موسى . وقال الباقون : هو غيره .

﴿فَمَا زُلْفَتُمْ فِي شَكِّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ نَبْعَثَ اللَّهَ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾ : مشرك ﴿مُزْتَابٌ﴾ : شاك ﴿الَّذِينَ يُجَسِّدُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بَغْيَ سُلْطَنٍ أَتَاهُمْ كَبِيرٌ مَقْتًا﴾ : أى كبر ذلك الجدال مقْتًا كقوله : ﴿كَبِيرٌ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا﴾ (الص : ٣) و﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً﴾ (الكهف : ٥) ﴿عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ﴾ : يختم الله بالكفر ﴿عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ .

وقرأ أبو عمرو وابن عامر : (قلب) منوناً .

وقرأ الآخرون : بالإضافة .

واختاره أبو حاتم وأبو عبيد ، وفى قراءة ابن مسعود : (على قلب كل متكبر جبار) .

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ سَتَكُنُنَّ آتِينَ لِي صَرْحًا﴾ : قصرأ . والصرح البناء الظاهر الذى لا يخفى على

الناظر وإن بعد ، وأصله من التصريح وهو الإظهار .

﴿لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾ استبب السموات : أى طرقها وأبوابها ﴿فَأُطَلَعُ﴾ .

قرأه العامة : برفع العين نسقاً على قوله : (أبلغ) .

وقرأ حميد الأعرج : بنصب العين .

ومثله روى حفص عن عاصم على جواب (لعلى) بالفاء .

وأُشْدُ الْفِرَاءِ عَنْ بَعْضِ الْعَرَبِ :

على صروف الدهر أو دولاتها يدلنا

اللِّمَّةُ مِنْ لِمَاتِهَا فَتَسْتَرِيحُ النَّفْسُ مِنْ زَفْرَاتِهَا

بنصب الحاء على جواب حرف التمني .

﴿إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لِأَظُنُّهُ﴾ : يعني موسى ﴿كَذِبًا﴾ : فيما يقول : إن له ربًّا غيري أرسله إلينا ﴿وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ : خسار وضلال . نظيره : ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ (المسد : ١) .



﴿وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَتَقَوَّمُ آبِعُونَ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ يَتَقَوَّمُ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا مَتَعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿وَيَتَقَوَّمُ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾ تَدْعُونَنِي لِأَكْفَرُ بِاللَّهِ وَأُشْرِكُ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفِيرِ ﴿لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَّرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ فَسَتَذَكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفْوِضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿فَوَقَّهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِئَالِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿وَإِذْ يَتَحَاوَرُونَ فِي النَّارِ يُقُولُ الضَّعْفَةُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَتِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ﴿قَالُوا أَوْلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دَعَاؤُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا نَبِيَّ إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ ﴿هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا

كَبْرًا مَا هُمْ بِبَلِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٣٦﴾ لَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَكْبَرَ  
مِنَ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾

﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَنْقُومِ آتِبِعُونَ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ : طريق الصواب ﴿يَنْقُومُ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ  
الدُّنْيَا مَتَّعٌ﴾ : متعة وبلاغ ، تنتفعون بها مدة ثم تزول عنكم ﴿وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ مَنْ عَمِلَ  
سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِمَّنْ ذَكَرَ وَأُنْتَبِئَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ  
فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ وَيَنْقُومُ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ﴿٣٩﴾ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأَشْرِكَ  
بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفُورِ ﴿٤٠﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي  
الْآخِرَةِ ﴿٤١﴾ : ينتفع بها .

وقال السدي : يعنى لا يستجيب لأحد فى الدنيا ولا فى الآخرة ، فكان معنى الكلام :  
ليست له استجابة دعوة .

وقال قتادة : ليست له دعوة مستجابة . وقيل : ليس له دعوة فى الدنيا ولا فى الآخرة إلا  
عبدوها ، لأن الأوثان لم تأمر بعبادتها فى الدنيا ، ولم تدع الربوبية وفى الآخرة تتبرأ من  
عابديها<sup>(١)</sup> ﴿وَأَنْ مَرَدَّنَا﴾ : مرجعنا ﴿إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ .

قال ابن عباس وقتادة : يعنى المشركين .

وقال مجاهد : هم السفاكون الدماء بغير حقها .

وقال عكرمة : الجبارين المتكبرين .

﴿فَسْتَذْكُرُونَ مَا أَقُولَ لَكُمْ﴾ : إذا عاينتم العذاب حين لا ينفعكم الذكر ﴿وَأَفْوُضْ أَمْرِي إِلَى  
اللَّهِ﴾ : وذلك أنهم توعدوه لمخالفة دينهم ﴿إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ : عالم بأموهم من المحق منهم  
ومن المبطل ﴿فَوَقَّلهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا﴾ .  
قال قتادة : نجما مع موسى وكان قبلياً .

﴿وَحَاقَ﴾ : نزل ﴿بِئْسَ الْفِرْعَوْنُ سَوْءَ الْعَذَابِ﴾ : فى الدنيا الغرق وفى الآخرة النار وذلك  
قوله : ﴿النَّارُ﴾ : وهى رفع على البدل من السوء ﴿يَعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ : وأصل العرض  
إظهار الشيء .

قال قتادة : يعرضون عليها صباحاً ومساءً ، يقال لهم : يا آل فرعون هذه منازلكم توبيخاً  
ونقمة وصغاراً لهم .

(١) فى الهامش : «عبادتها» .

وقال السدي وهذيل بن شرحبيل: هو أنهم لما هلكوا جعلت أرواحهم في أجواف طير سود، فهي تُعرض على النار كل يوم مرتين تغدو وتروح إلى النار حتى تقوم الساعة.

أخبرني عقيل بن محمد بن أحمد الجرجاني: أن أبا الفرج البغدادي القاضي أخبرهم عن محمد بن جرير حدثنا عبد الكريم بن أبي عمير حدثنا حماد بن محمد القاري<sup>(١)</sup> قال: سمعت الأوزاعي وسأله رجل فقال: يرحمك الله رأينا طيوراً تخرج من البحر تأخذ ناحية الغرب بيضاً فوجاً فوجاً، لا يعلم عددها إلا الله تعالى، فإذا كان العشي رجع مثلها سوداً.

قال: وفطنتم لذلك؟

قال: نعم.

قال: إن تلك الطيور في حواصلها أزواج آل فرعون يعرضن على النار غدواً وعشيا، فترجع إلى وكورها وقد احترقت رياشها وصارت سوداً<sup>(٢)</sup>، فنبت عليها أرياش من الليل بيض وتناثر السود، ثم تغدو فيعرضون على النار غدواً وعشيا ثم ترجع إلى وكورها، فذلك دأبهم في الدنيا، فإذا كان يوم القيامة قال الله تعالى: ﴿أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾.

قال: وكانوا يقولون: إنهم ستمائة ألف مقاتل.

قال عكرمة ومحمد بن كعب: هذه الآية تدل على عذاب القبر، لأن الله تعالى ميز عذاب الآخرة فقال: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ أدخلوا.

قرأ أهل المدينة والكوفة إلا أبا بكر ويعقوب: بقطع الألف وكسر الحاء من الإدخال.

وقرأ الباقون: بوصل الألف وضم الحاء من الدخول.

﴿وَإِذْ يَتَحَاوَرُونَ فِي النَّارِ يَقُولُ الضَّعِيفَتَا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾: في الدنيا ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُتَعْتُونَ عَنَّا نَصِيحًا مِّنَ النَّارِ﴾: والتبع يكون واحداً وجمعاً.

وقال نحويو البصرة: وواحد تابع.

وقال أهل الكوفة: هو جمع لا واحد له، لأنه كالمصدر وجمعه أتباع.

﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا﴾.

وقرأ ابن السميع: (إنا كلاً فيه) بالنصب، جعلها تأكيداً<sup>(٣)</sup> لـ (إنا).

(١) في الهامش: «الفزاري».

(٢) في الهامش: «شواء». وهذا خبر لا يعتد به حيث إن هذا من علوم الغيب ومتشابه القرآن وما استأثر الله فلا

يخاض فيه.

(٣) كذا في المتن، وفي هامش المخطوط تعليق نصه: في نسخة: جعلها نعتاً وتأكيذاً.

﴿إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ﴾ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ ﴿إِذَا اشْتَدَّ عَلَيْهِمُ الْعَذَابُ﴾ ﴿لَخَزَنَةٌ جَهَنَّمَ آذَعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفُ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ﴾ قَالُوا أَوْمَرْنَاكَ تَأْتِيكُمْ رَسُولُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا ﴿أَنْتُمْ إِذَا رَبَّكُمْ﴾ وَمَا دَعَوْا الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿لأنه لا ينفعهم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ قال ابن عباس، بالغلبة. وقال الضحاك: بالحجة في الدنيا، والعدو في الآخرة. وقيل: بالانتقام من أعدائهم في الدنيا والآخرة.

قال السدي: قد كانت الأنبياء والمؤمنون يقتلون في الدنيا، وهم منصورون، وذلك أن تلك الأمة التي تفعل ذلك بالأنبياء والمؤمنين لا تذهب حتى يبعث الله تعالى قوماً فينتصر لهم بأولئك الذين قتلوا منهم.

وقال بعضهم: أراد بقوله: ﴿رُسُلَنَا﴾ محمد ﷺ كقوله: ﴿يَتَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾. وقال أبو العالية: أراد أن الله تعالى يفلح حجتهم في الدنيا والآخرة.

﴿وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ من الملائكة والأنبياء والمؤمنين.

﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ﴾ قرأ الكوفيون ونافع: بالتاء ﴿الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتَهُمْ وَهُمْ لَعَنَةُ﴾ البعد من رحمة الله ﴿وَأَلْهَمُوا سَوَاءَ الدَّارِ﴾ شر المنقلب.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿هُدًى وَذِكْرًا لِأُولَى الْأَلْبَابِ﴾ فَأَصْبِرْ يا محمد على أذاهم ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ في إظهارك وإهلاك أعدائك ﴿حَقٌّ﴾ وقال الكلبي: نسخت آية القتال الصبر<sup>(١)</sup> ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ وصل بالشكر منك لربك ﴿بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ قال الحسن: يعني صلاة العصر وصلاة الفجر.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ﴾ ما في قلوبهم، والصدر موضع القلب فكنى به عن القلب لقرب الجوار، ولهذا قيل للموضع الشريف من المجلس: صدر. ﴿الْإِكْبَرِ﴾ يتكبرون من أجله عن اتباعك وقبول الحق الذي أتيتهم به حسداً منهم وبغياً. ﴿مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ﴾ يقول: الذي حسدوك عليه أمر ليسوا بمدركيه ولا نائله لأن ﴿ذَلِكَ فَضَّلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾ وليس بالتمنى.

قال مجاهد: معناه: إن في صدورهم إلا عظمة ما هم ببالغي تلك العظمة لأن الله تعالى مذلهم.

قال المفسرون: نزلت في اليهود، وذلك أنهم قالوا للنبي ﷺ: إن صاحبنا المسيح بن داود،

(١) كلام كثير كررته في أمر الناسخ والمنسوخ واختلاف العلماء فيه ولا أرى هذه منسوخة.

يعنون الدجال يخرج فى آخر الزمان فيبلغ سلطانه البر والبحر، ويرد الملك إلينا وتسير معه الأنهار، وهو آية من آيات الله عز وجل<sup>(١)</sup>، فأنزل الله تعالى هذه الآية .

ثم قال: «فَأَسْتَعِذُّ بِاللَّهِ» من فتنة الدجال «إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ» لَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرَ» أعظم «مِنْ خَلْقِ النَّاسِ» يعنى إعادتهم من بعد الموت . وقال أكثر المفسرين: يعنى من خلق الدجال «وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ» يعنى اليهود الذين يخاصمون المؤمنين فى أمر الدجال .

أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن محمد الثقفى حدثنى موسى بن محمد بن على بن عبد الله، أخبرنا أبو شعيب الحرانى<sup>(٢)</sup> أخبرنا يحيى بن عبد الله أخبرنا الأوزاعى أخبرنا قتادة أخبرنا شهر ابن حوشب حدثنى أسماء بنت يزيد بن السكن - وهى بنت عم معاذ - قالت: أتى رسول الله ﷺ طائفة من أصحابه فذكروا الدجال، فقال رسول الله ﷺ: «إن قبل خروجه ثلاث سنين: أول سنة تمسك السماء ثلث قطرها والأرض ثلث نباتها، والسنة الثانية تمسك السماء ثلثى قطرها، وتمسك الأرض ثلثى نباتها، والسنة الثالثة تمسك السماء ما فيها والأرض ما فيها، ويهلك كل ذات ضرس وظلف»<sup>(٣)</sup>.

وأخبرنا الحسين بن محمد أخبرنا عمر بن الخطاب أخبرنا عبد الله بن الفضل بن داجرة أخبرنا أحمد بن وردان أخبرنا ضمرة بن ربيعة أخبرنا يحيى بن أبى عمرو والشيبانى عن عمرو ابن عبد الله الحضرمى عن أبى أمامة قال: خطبنا رسول الله ﷺ ذات يوم، وكان أكثر خطبته أن يحدثنا عن الدجال، ويحذرنا، فكان من قوله: «يا أيها الناس إنه لم تكن فتنة فى الأرض أعظم من فتنة الدجال، وأن الله تعالى لم يعث نبياً إلا حذرته أمته، وأنا آخر الأنبياء وأتم آخر

(١) كلام كثير فى نزول عيسى عليه السلام وخروج المهدي، والدجال والحساسة وفى ذلك كتب كثيرة بين مؤيدة ومعارضة فمن قائل: لا مهدي إلا عيسى، ومن قائل: إن عيسى عليه السلام قد بلغ رسالته كما بلغ غيره من الأنبياء وانتهى أمره ولا عودة له مرة أخرى كأصحابه من الأنبياء إلا يوم يجمع الله الرسل، ومن متكلم عن الدابة وفى تضعيف الأحاديث الواردة فيها، وعلى العموم فمعظم ما هو فى أمارات الساعة الكبرى فقيه نظر، والأولى ترك الخوض فيه لأنه فى غالب رواياته ضعف ووضع وكذب على الله ورسوله والمؤمن يؤمن أن الله حميت الخلق وباعثهم ومحاسبهم ومجازيهم بالإحسان وإحساناً وبالكفران عذاب النار، عافانا الله وإياكم من ذلك آمين وجعلنا وإياكم من المخلصين من المسلمين آمين .

(٢) كذا فى المتن: «الحرسانى» والتصويب من الهامش . وهو عبد الله بن الحسن بن أحمد بن أبى شعيب ولد سنة (٢٠٦) وتوفى سنة (٢٩٥)، وقيل عاش مائة وعشرين سنة .

(٣) هذا الحديث أخرجه أحمد فى مسنده (٥٠٣/٦) عن جرير بن حازم عن قتادة، ومما قيل فى ترجمته هو مستقيم الحديث صالح فيه إلا روايته عن قتادة فإنه يروى عنه أشياء لا يروىها غيره . وقيل أيضاً كان كثير الغلط، وقيل أيضاً اختلط بآخره . والحديث فى مسند أحمد بآتم ما هنا .

الأُم، فهو خارج فيكم لا محالة فإن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيح كل مسلم وإن يخرج بعدى فكل امرئ حجيح نفسه، والله خليفتى على كل مسلم، إنه يخرج بين حلتين بين العراق والشام، فيبعث يميناً وشمالاً، فيا عباد الله أنبيوا، فإنه يبدأ فيقول أنا نبى، ولا نبى بعدى، ثم يثنى فيقول أنا ربكم، فلن تروا ربكم حتى تموتوا، وإنه أعور، وليس ربكم بأعور وإنه مكتوب بين عينيه كافر يقرأه كل مؤمن، فمن لقيه منكم فليتنفل فى وجهه، وإن من فتنته أن معه ناراً وجنة فناره جنة، وجنته نار، فمن ابتلى بناره فليقرأ بفواتح سورة الكهف، ويستغيث بالله فتكون عليه برداً وسلاماً كما كانت على إبراهيم عليه السلام، وإن من فتنته أن معه شياطين تتمثل على صورة الناس فيأتى الأعرابى فيقول: إن بعثت لك أباك وأمك أتشهد أنى ربك؟ فيقول: نعم، فتمثل له شياطينه على صورة أبيه وأمه، فيقولان يا بنى اتبعه فإنه ربك، ومن فتنته أنه يسלט على نفس فيقتلها ثم يحييها، فيقول لها: من ربك؟ فيقول: ربى الله، وأنت الدجال عدو الله، ولن تعود لها بعد ذلك ولن يصنع ذلك بنفس غيرها، فيقول: انظروا إلى عبدى هذا، فإنى بعثته الآن ويزعم أن له رباً غيرى».

قال ضمرة: وسمعت أن النفس التى يُسلط عليها إلياس عليه السلام.

وقال ضمرة: وسمعت مقاتل بن سليمان يقول: الرجل الذى يسלט عليه الدجال رجل من خثعم فيبعثه الله، فيقول: من ربك؟ فيقول ربى الله، وأنت الدجال عدو الله. وإن من فتنته أن يقول للأعرابى: أرايت إن بعثت لك إبلك أتشهد أنى ربك؟ فيقول: نعم، فتمثل له الشياطين على صورة إبله.

وإن من فتنته أن يأمر السماء أن تمطر فتمطر، ويأمر الأرض أن تنبت فتنبت.

وإن من فتنته أن يمر بالحقى فيكذبوه فلا تبقى له سائمة إلا هلكت، ويمر بالحقى فيصدقوه فيأمر السماء أن تمطر فتمطر، ويأمر الأرض أن تنبت فتنبت، فتروح لهم مواشيهم من يومهم ذلك أعظم ما كانت وأسمنه وأمدته خواصر، وأدره ضروعاً.

وإن أيامه أربعون يوماً، فيوم كالسنة ويوم دون ذلك، ويوم كالشهر، ويوم دون ذلك، ويوم كالجمعة، ويوم دون ذلك، ويوم كالיום، ويوم دون ذلك، وآخر أيامه كالشررة فى الحديدية فيصبح الرجل بباب المدينة فلا يبلغ بابها الآخر حتى تغرب الشمس.

فقالوا: يا رسول الله كيف نصلى فى تلك الأيام القصار؟ قال: «تقدرون فيها كما تقدرون فى هذه الأيام الطوال، ثم تصلون، أنه لا يبقى شىء من الأرض إلا وطئه وغلب عليه إلا مكة والمدينة، فإنه لا يأتيهما من نقب من أنقابهما إلا لقيه ملك مسلط السيف حتى ينزل الضرب

الأحمر عند مجتمع السيول عند منقطع السبخة، ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات فلا يبقى منافق ولا منافقة إلا خرج إليه، تنفى المدينة يومئذ الخبث كما ينفى الكير خبث الحديد، يدعى ذلك اليوم يوم الخلاص».

قالت أم شريك: يا رسول الله أين الناس يومئذ؟ قال: «ببيت المقدس، ثم يخرج حتى يحاصرهم، وإمام الناس يومئذ رجل صالح، فيقول له: صل الصبح، فإذا كبر ودخل فى الصلاة نزل عيسى ابن مريم عليه السلام، فإذا رآه ذلك الرجل عرفه، فرجع يمشى القهقري فيتقدم عيسى عليه السلام فيضع يده بين كتفيه فيقول: صل فإنما أقيمت لك الصلاة، فيصلى عيسى عليه السلام وراءه، ثم يقول: افتحوا الباب فيفتحون الباب، ومع الدجال يومئذ سبعون ألف يهودى كلهم ذوو سلاح وسيف محلى فإذا نظر إلى عيسى عليه السلام ذاب كما يذوب الرصاص فى النار أو الملح فى الماء، ثم يخرج هؤلاء فيقول عيسى عليه السلام فيقول: إن لى فيك ضربة لن تفوتنى فيدركه عند باب لُد الشرقى فلا يبقى شىء مما خلق الله تعالى يتوارى به يهودى إلا أنطق الله ذلك الشىء ولا شجر ولا حجر، ولا دابة إلا قال: يا عبد الله المسلم هذا كافر فاقتله إلا الغرقد فإنها من شجرهم، فلا تنطق فيكون عيسى عليه السلام حكماً عدلاً وإماماً مقسطاً، فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويترك الصدقة ولا يسعى على شاة ولا بقرة، ترفع الشحناء والتباغض وتنزع حمة كل دابة حتى يدخل الوليد يده فى الحنش فلا يضره، ويلقى الوليد الأسد فلا يضره، ويكون فى الإبل كأنه كلبها، ويكون الذئب فى الغنم كأنه كلبها، وتغلا الأرض من الإسلام ويسلب الكفار ملكهم، ولا يكون الملك إلا للإسلام، وتكون الأرض كصفا تور الفضة تنبت نباتها كما كانت على عهد آدم عليه السلام ويجتمع النفر على الرمانة، وتكون الفرس بالدرهيمات، ويكون الثور بالدرهم الكثيرة»<sup>(١)</sup>.

وأخبرنى ابن فنجويه أخبرنا ابن حمدان أخبرنا المسوحى أخبرنا سهل بن عثمان أخبرنا ابن أبى زائدة، وعبد الرحمن عن مجالد عن الشعبي قال: كنية الدجال أبو يوسف.



﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمَسِيءَ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ إِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢﴾﴾ وَقَالَ

(١) أخرج هذا الحديث ابن خزيمة، والحاكم، ابن ماجه فى سننه (٤٠٧٧) وفى إسناده هذا ممن لم أقف لهم على ترجمة.



رَبِّكُمْ أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿١٠﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لَتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿١١﴾ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿١٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤَفِّكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿١٣﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤﴾ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ هُمُ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٥﴾ قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسَلِّمَ لِلرَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلٍ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلِعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قُضِيَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿١٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَجْعَلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ آثِي يُصْرَفُونَ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَمِمَّا أُرْسِلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٢٠﴾ إِذِ الْأَغْلُلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلْسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٢١﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَٰلِكَ يَضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءَ قَلِيلًا مَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ :

بالتاء أهل الكوفة وغيرهم : بالياء .

واختاره أبو عبيد قال : لأن أول الآيات وآخرها خبر عن قوم .

﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ﴾ : لجائية ﴿لَا رَبَّ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ : بها ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ : أى وحدونى وابدونى دون غيرى أجبكم وأجركم وأثبكم وأغفر لكم ، هذا قول أكثر المفسرين . يدل عليه سياق الآية .

وقال بعضهم : هو الذكر والدعاء والسؤال .

أخبرنا ابن فنجويه حدثنا محمد بن الحسن حدثنا أبو بكر بن أبى الخصيب حدثنى عثمان بن

خرداد حدثنا قطر بن بشير حدثنا جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «ليسأل أحدكم ربه حاجته كلها حتى شسع نعله إذا انقطع».

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾: توحيدى وطاعتى، عن أكثر المفسرين.

وقال السدى: عن دعائى.

أخبرنا عقيل بن محمد أبو المعافى بن زكريا أخبرنا محمد بن جرير حدثنا محمد بن بشار حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا سفيان عن منصور والأعمش عن زر عن سبيع الحضرمي عن النعمان بن بشير قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الدعاء هو العبادة - ثم تلا هذه الآية: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾: عن دعائى.

وبإسناده عن ابن جرير حدثنى يعقوب بن إبراهيم حدثنا هشام بن القاسم عن الأشجع قال: قيل لسفيان: ادع الله. قال: إن ترك الذنوب هو الدعاء ﴿سَيَدْخُلُونَ﴾. قرأ ابن كثير وأبو جعفر وأبو حاتم: بضم الياء وفتح الخاء.

واختلف فيه عن أبى عمرو وعاصم، وقرأ غيرهم ضده.

﴿جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾: صاغرين ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لَتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ ذاكم الله ربكم خلق كل شيء لا إله إلا هو فأنى تؤفكون ﴿كَذَلِكَ﴾: كما أفكتم عن الحق مع قيام الدلائل، كذلك ﴿يُؤَفِّكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ الله الذى جعل لكم الأرض قرارا والسماء بناء وصوركم فأحسن صوركم. قرأه العامة: بضم الصاد. وقرأ أبو رزين العقيلي: وأحسن صوركم بكسر الصاد، وهى لغة.

﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَاكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ هو الذى لا إله إلا هو فأدعوه مخلصين له الذين الحمد لله رب العالمين: قال الفراء: هو خير وفيه إضمار الأمر، مجازة: فادعوه واحمدوه.

أخبرنى عقيل إجازة أخبرنا المعافى أخبرنا محمد بن جرير أخبرنا محمد بن على بن الحسن ابن شقيق قال: سمعت أبى أخبرنا الحسين بن واقد أخبرنا الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس قال: من قال: لا إله إلا الله، فليقل على أثرها الحمد لله رب العالمين، فذلك قوله تعالى: ﴿فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْحَمْدِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿قُلْ إِنِّي نَهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسَلِّمَ لِلرَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾: وذلك حين دعى إلى الكفر فأمر أن يقول هذا.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تَرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾: أى أطفالا، نظيره ﴿أَوْ

الطِّفْلِ الَّذِينَ مَرَّيْتَهُمْ عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ﴿النور: ٣١﴾ .

﴿ثُمَّ لَتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لَتَكُونُوا شُيُوخًا﴾ : قرأ نافع<sup>(١)</sup> وأبو عمرو وحفص وهشام بضم الشين، (وقرأ)<sup>(٢)</sup> الباقر بكسرها ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يَتُوفَىٰ مِنْ قَبْلِ﴾ : أن يصير شيخاً ﴿وَلَتَبْلُغُوا﴾ : جميعاً ﴿أَجَلًا مَسِيًّا﴾ : وقتاً محدوداً لا تجاوزونه ولا تسبقونه ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ : ذلك فتعرفوا أن لا إله غيره فعل ذلك ﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ﴾ .

قال ابن زيد : هم المشركون .

وقال أكثر المفسرين : نزلت في القدرية .

أخبرني عقيل بن محمد إجازة أخبرنا المعافى بن زكريا أخبرنا محمد بن جرير أخبرنا محمد ابن بشار ومحمد بن المثني حدثنا مؤمل حدثنا سفيان عن داود بن أبي هند عن محمد بن سيرين قال : إن لم تكن هذه الآية نزلت في القدرية فأنا لا أدري فيمن نزلت . ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ﴾ : إلى قوله : ﴿بَلْ لَرَنكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا﴾ إلى آخر الآية .

وبه عن ابن جرير حدثنا يونس أخبرنا ابن وهب أخبرني مالك بن أبي الخير الزيادي عن أبي قبيل عن عقبة بن عامر الجهني : أن رسول الله ﷺ قال : «سيهلك من أمتي أهل الكتاب وأهل اللين» .

فقال عقبة : يا رسول الله وما أهل الكتاب؟

قال : «قوم يتعلمون كتاب الله يجادلون الذين آمنوا» .

فقال : وما أهل اللين؟ فقال : «قوم يتبعون الشهوات ويضيعون الصلوات» .

قال أبو قتيل : لا أحسب المكذبين بالقدر إلا الذين يجادلون الذين آمنوا، وأما أهل اللين فلا أحسبهم إلا أهل العمود ليس عليهم إمام جماعة ولا يعرفون شهر رمضان .  
قال محمد بن جرير : أهل العمود الحى العظيم .

﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ إِذِ الْأَعْلَىٰ فِي آعْتَابِهِمْ .

أخبرنا ابن فنجويه الدينورى حدثنا ابن حبش المقرئ حدثنا ابن فنجويه حدثنا سلمة حدثنا عبد الرزاق أخبرنا ابن التيمي عن أبيه قال : لو أن غلاً من أغلال جهنم وضع على جبل

(١) كتب في متن المخطوط فوق كلمة «نافع» «مقدم» ووضع سهماً منها إلى ما قبل كلمة : «قرأ» . والمراد : أنه كان في المخطوط الذى نسخ هذا منه : «نافع قرأ» فعل الناسخ العبارة على ما هو مرسوم هنا .

(٢) زيادة يتطلبها السياق تركها المؤلف اختصاراً .

لوهسه حتى يبلغ الماء الأسود.

﴿وَأَسْأَلُكَ﴾ قرأه العامة: بالرفع، عطفًا على الأغلال.

أخبرنا ابن فنجويه الدينوري حدثنا أبو علي بن حبش المقرئ حدثنا أبو القاسم بن الفضل حدثنا أبو زرعة حدثنا نصر بن علي حدثني أبي عن هارون عن عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء عن ابن عباس أنه قرأ: ﴿وَأَسْأَلُكَ يُسْحَبُونَ﴾ فِي الْحَمِيمِ ﴿ بنصب اللام والياء. يقول: إذا كانوا يسحبونها كان أشد عليهم.

أخبرنا الحسين بن محمد حدثنا محمد بن علي بن الحسن الصوفي حدثنا عبد الله بن محمد ابن عبد العزيز البغوي حدثني جدتي منصور بن عمار حدثنا بشر بن طلحة عن خالد بن الدريك عن يعلى بن منبه رفعه قال: ينشئ الله تعالى لأهل النار سحابة سوداء مظلمة فيقال يا أهل النار ما تشتتهون؟

فيسألون بارد الشراب. فتمطرهم أغلالاً تزيد في أغلالهم وسلاسل تزيد في سلاسلهم وجمراً يلتهب النار عليه.

﴿تُرْفِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾: أى توقد بهم النار.

قال مجاهد: يصيرون وقوداً للنار.

﴿تُرْقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴿: يعنى الأصنام ﴿قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا﴾: فلا نراهم ﴿بَلْ لَمْ تَكُنْ تَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا﴾: أنكروا. وقيل: جهلوا.

وقال بعضهم: فيه إضمار، أى لم تكن ندعو من قبل شيئاً ببصر وسمع وبصر وبنفع.

وقال الحسين بن الفضل: يعنى لم تكن نصنع من قبل شيئاً، أى ضاعت عبادتنا لها فلم تكن نصنع شيئاً.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ﴾.



﴿ذَٰلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ أَدْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبئسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿ فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرَبِّتْكَ بِعَضِّ أَلْدَى نَعْدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيْتْكَ فَإِلَيْنَا يَرْجِعُونَ ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِبَيِّنَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرٌ

اللَّهُ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا  
وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبَلَّغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى  
الْفَلَكَ تَحْمَلُونَ ﴿٣﴾ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ ﴿٤﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ  
فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرُ مِنْهُمْ وَأَشَدُّ قُوَّةً وَءَاتَارًا فِي الْأَرْضِ  
فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٥﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ  
وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ  
مُشْرِكِينَ ﴿٧﴾ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ  
هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾

﴿ذَلِكَ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ﴾: تبطرون وتأمرون ﴿فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾: بما كنتم تفرحون ﴿: تفخرون وتختالون وتنشطون﴾: أدخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فليس مثوى المتكبرين ﴿فَأَصْبِرْ إِنَّ  
وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا قَائِمًا نَزِيلًا بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾: من العذاب في حياتك ﴿أَوْ تَوَفِّيْنَا﴾: قبل أن يحل  
بهم ذلك ﴿فَالْيَا بَرِّجَعُونَ﴾: ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك منهم من قصصنا عليك ﴿: خبرهم في القرآن  
﴿وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ يَنْقُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِبَيِّنَاتٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ  
هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾: الله الذي ﴿: تحقق له العبادة هو الذي ﴿جَعَلَ﴾: خلق ﴿لَكُمْ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا  
مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾: ولكم فيها منافع ﴿: في أصوافها وأوبارها وأشعارها وألبانها ﴿وَلِتَبَلَّغُوا  
عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ﴾: تحمل أثقالكم في أسفاركم من بلد إلى بلد ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفَلَكَ  
تَحْمَلُونَ﴾: نظيره ﴿وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ (الإسراء: ٧٠).

﴿وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ﴾: أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من  
قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وءاتارا في الأرض ﴿: يعني مصانعهم وقصورهم ﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ﴾:  
أى لم ينفعهم ﴿مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾: وقيل: هو بمعنى الاستفهام، ومجازه: أى شىء أغنى عنهم  
كسبهم.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا﴾: يعنى الأمم ﴿بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾:

قال مجاهد: قولهم نحن أعلم منهم لن نعذب ولن نبعث، وقيل: أشروا بما عندهم من  
العلم، بما كان عندهم أنه علم وهو جهل.

وقال الضحاك : رضوا بالشرك الذى كانوا عليه .

وقال بعضهم : هو الفرح راجع إلى الرسل يعنى فرح الرسل بما عندهم من العلم بنجاتهم وهلاك أعدائهم .

﴿وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدَّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾ : أى تبرأنا مما كنا نعدل بالله ﴿فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾ : عذابنا ﴿سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي﴾ : فى نصبها ثلاثة أوجه أحدها : بنزع الخافض أى كسنة الله .

والثانى : على المصدر ، لأن العرب تقول سنّ يسنّ سناً وسنة .

والثالث : على التحذير والإغراء ، أى احذروا سنة الله كقوله : (ناقة الله وسنة الله) .

﴿قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ﴾ : وهى أنهم إذا عاينوا عذاب الله لم ينفعهم إيمانهم ﴿وَحَسِيرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾ : بذهاب الدارين .



## سُورَةُ فَصَّلَتْ

(حم السجدة)

مكيّة، وهى أربع وخمسون آية، وسبعمائة وست وتسعون كلمة،  
وثلاثة آلاف وثلاثمائة وخمسون حرفاً

قال أبى بن كعب: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ (حم) السجدة أعطى من الأجر بعدد كل حرف منها عشر حسنات».

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿حمر﴾ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ كِتَابٌ فَصَّلَتْ ءَايَاتُهُ رُقْرُقًا أَنَا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٣﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي ءَاذَانِنَا وَقْرٍ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ فَاغْمَلْ إِنَّا نَحْنُ غَمْلُونَ ﴿٤﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىٰ أَنَا إِلَهَ الْهَكْمِ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزُّكُوةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٧﴾ ﴿٨﴾ قُلْ أَنبِئُكُمْ لَتَكْفُرُنَّ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُمُ ءَأْدَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيًّ مِنْ فَوْقِهَا وَبَدَلَ فِيهَا قَدَرًا فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّالِبِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾

﴿حمر﴾ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ كِتَابٌ فَصَّلَتْ ﴿٢﴾: بينت ﴿٣﴾ ءَايَاتُهُ رُقْرُقًا أَنَا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٤﴾: ولو كان غير عربى لما علموه. وفى نصب القرآن وجوه:

أحدها: إنه شغل الفعل علامات حتى صارت بمنزلة الفاعل، فنصب القرآن وقوع البيان عليه.

والثانى: على المدح.

والثالث: على إعادة الفعل، أى فصلنا قرآنًا.

والرابع: على إضمار فعل، أى ذكرنا قرآنًا.

والخامس: على الحال.

والسادس: على القطع.

﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾: نعتان للقرآن ﴿فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾: أى لا يسمعون ولا يصغون إليه ﴿وَقَالُوا﴾: يعنى مشركى مكة ﴿قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ﴾: أغطية ﴿مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ﴾: فلا نفقه ما يقول، قال مجاهد: كالجعبة للنبيل ﴿وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ﴾: فلا نسمع ما يقول، وإنما قالوا ذلك ليؤيسوه من قبولهم لدينه وهو على التمثيل. ﴿وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾: خلاف فى الدين، فجعل خلافهم ذلك ساتراً وحاجزاً لا يجتمعون ولا يوافقون من أجله ولا يرى بعضهم بعضاً. ﴿فَاعْمَلْ﴾: بما يقتضيه دينك. ﴿إِنَّا عَمَلُونَ﴾: بما يقتضيه ديننا. قال مقاتل: فاعبد أنت إلهك، وإنا عابدون آلهتنا.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىٰ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ﴾: قال الحسن: علمه الله التواضع ﴿فَأَسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ﴾: وجهوا وجوهكم إليه بالطاعة والإخلاص ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا﴾: من ذنوبكم التى سلفت. ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾: قال ابن عباس: لا يشهدون لا إله إلا الله وهى زكاة الأنفس، وقال الحسن وقتادة: لا يقرؤون بالزكاة ولا يؤمنون بها، ولا يرون إيتاءها واجباً، وقال الضحاك ومقاتل: لا يتصدقون ولا ينفقون فى الطاعة.

وكان يقال: الزكاة قنطرة الإسلام، فمن قطعها نجا ومن تخلف عنها هلك، وقد كان أهل الردة بعد النبى ﷺ، قالوا: أما الصلاة فنصلى، وأما الزكاة فوالله لا تغصب أموالنا.

وقال أبو بكر رضى الله عنه: والله لا أفرق بين شىء جمع الله تعالى بينه والله لو منعونى عقلاً مما فرض الله ورسوله لقاتلتهم عليه.

وقال مجاهد والربيع: يعنى لا يزكون أعمالهم، وقال الفراء: هو أن قریشاً كانت تطعم الحاج، فحرموا ذلك على من آمن بمحمد ﷺ. ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾: إن الذين آمنوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿قال ابن عباس: غير مقطوع. مقاتل: غير منقوص، ومنه المنون لأنه ينقص منه الإنسان أى قوته. مجاهد: غير محسوب، وقيل: غير ممنون به. قال السدى: نزلت هذه الآية فى المرضى والزمنى والهرمى إذا عجزوا عن الطاعة يكتب لهم

(١) فى المخطوط: «فإننا» وهو سهو من الناسخ.



الأجر كأصح ما كانوا يعلمون منه<sup>(١)</sup>.

﴿قُلْ أَيْنَكُمْ لَتُكْفَرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾: الأحد والاثنين<sup>(٢)</sup>. ﴿وَتَجْعَلُونَ لَهُمُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا: أى فى الأرض بما خلق فيها من المنافع، قال السدى: أنبت شجرها. ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾: قال الحسن والسدى: يعنى أرزاق أهلها ومعاشهم وما يصلحهم، وقال مجاهد وقتادة: وخلق فيها بحارها، وأنهارها، وأشجارها، ودوابها فى يوم الثلاثاء ويوم الأربعاء، روى ابن نجيح عن مجاهد، قال: هو المطر.

قال عكرمة والضحاك: يعنى وقدر فى كل بلدة منها، ما لم يجعله فى الأخرى، ليعيش بعضهم من بعض بالتجارة من بلد إلى بلد، فالسابرى من سابور، والطيالسة من الرى، والحيرة<sup>(٣)</sup> اليمانية من اليمن، وهى رواية حصين، عن مجاهد. وروى حيان، عن الكلبي، قال: الخبز لأهل قطر، والتمر لأهل قطر، والذرة لأهل قطر، والسّمك لأهل قطر، وكذلك أقواتها<sup>(٤)</sup>.

﴿فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾: يعنى أن هذا مع الأول أربعة أيام، كما يقول: تزوجت أمس امرأة واليوم اثنتين وأحدهما التى تزوجتها أمس، ويقال: أتيت واسط فى خمسة والبصرة فى عشرة، فالخمس من جملة العشرة. فرد الله سبحانه الآخر على الأول، وأجمله فى الذكر.

﴿سَوَاءٌ﴾: رفعه أبو جعفر على الابتداء، أى هى سواء، وخفضه الحسن ويعقوب على نعت قوله: فى أربعة أيام، ونصبه الباقون على المصدر، أى استوت استواءً، وقيل: على الحال والقطع، ومعنى الآية: سواءٌ. ﴿لِلسَّائِلِينَ﴾: عن ذلك، قال قتادة والسدى: من سأله عنه، فهكذا الأمر، وقيل: للسائلين الله حوائجهم.

قال ابن زيد: قدر ذلك على قدر مسائلهم، لأنه لا يكون من مسائلهم شىء إلا قد علمه قبل أن يكون.

قال أهل المعانى: معناه سواءٌ للسائلين وغير السائلين، يعنى أنه بين أمر خلق الأرض وما

(١) فى متن المخطوط كتب: «فيه» وفوقها «منه» فأبدلت بالمناسب للسياق.

(٢) هذا قول ليس عليه دليل من إثارة من آثار العلم التى طلبنا الله أن نطالب بها كل مدع، ومن أوضح الدلالات على أن هذا التأويل غير دقيق أن الأيام لم تكن إذ ذاك مسماة، ثم إن يوماً عند ربك غير عندنا نحن ولم تستقر الأيام التى نعرفها نحن البشر بأطوالها فى ساعات الليل والنهار إلا بعد ذلك بأمد بعيد. والله أعلم.

(٣) فى هامش المخطوط: الخبر اليمانية.

(٤) فى المخطوط: «أخراتها». وهو تحريف.

فيها لمن سأل ومن لم<sup>(١)</sup> يسأل، ويعطى من سأل ومن لم يسأل.

﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾ : أى عمد إلى خلق السماء وقصد تسويتها، والاستواء من صفة الأفعال على أكثر الأقوال، يدل عليه قوله سبحانه وتعالى : ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ : بخار الماء. ﴿فَقَالَ لَهَا وَالْأَرْضَ أَيْنَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ : أى جيئًا بما خلقت فيكما من المنافع، وأخرجاها، وأظهرها بمصالح خلقى. قال ابن عباس : قال الله تعالى للسموات : أطلعي شمسك وقمرك ونجومك، وقال للأرض : شقى أنهارك وأخرجى ثمارك.

﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ : ولم يقل طائعتين، لأنه ذهب به إلى السموات والأرض ومن فيهن، مجازه : أتينا بمن فينا طائعين، فلما وصفهما بالقول أخرجهما فى الجمع مجرى ما يعقل، وبلغنا أن بعض الأنبياء، قال : يا رب لو أن السموات والأرض حين قلت لهما اتبيا طوعًا أو كرهًا عصيناك، ما كنت صانعًا بهما؟ قال : كنت أمر دابة من دوابي فتبتلعهما. قال : وأين تلك الدابة؟ قال : فى مرج من مروجى. قال : وأين ذلك المرج؟ قال : فى علم من علمى<sup>(٢)</sup>.  
وقرأ ابن عباس : أتينا وآتينا بالمد، أى أعطينا الطاعة من أنفسكما. قالتا : أعطينا.



﴿فَقَضَيْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ ۞ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ۞ إِذْ جَاءَهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ۞ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ۞ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنَذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلِعَذَابِ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ۞ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذْتُمُ صَاعِقَةَ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۞ وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ۞ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ۞ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ

(١) فى المتن : «لا» والتصويب من الهامش.

(٢) ليس لهذا الخبر إسناد فلا يقبل وكذا كل ما كان على شاكلته بإسناد غير صحيح.

سَمِعَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ وَجَلَدُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾

﴿فَقَضَيْنَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾: أى أتمهن وفرغ من خلقهن ﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَّمَاءٍ أَمْرَهَا﴾: قال قتادة والسدى: يعنى خلق فيها شمسها وقمرها ونجومها، وخلق فى كل سماء خلقها من الملائكة والخلق الذى فيها من البحار وجبال البرد، وما لا يعلم، وقيل: معناه وأوحى إلى أهل كل ساء من الأمر والنهى ما أراد.

﴿وَزَيْنًا لِّلسَّمَاءِ الدُّنْيَا بِصَبِيحٍ﴾: كواكب. ﴿وَحِفْظًا﴾: لها من الشياطين الذين يسترقون السمع، ونصب حفظاً على المعنى، كأنه جعلها<sup>(١)</sup> زينة وحفظاً، وقيل: معناه: وحفظاً زينها. على توهم سقوط الواو. أى وزينا السماء الدنيا بمصباح حفظاً لها، وقيل: معناه وحفظها حفظاً.

﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ فَإِنَّ أَعْرَضُوا: يعنى هؤلاء المشركين، ﴿فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ﴾: خوفتكم. ﴿صَلْبَةً﴾: وقية وعقوبة ﴿مِثْلَ صَلْبَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ إِذْ جَاءَتْهُمْ: يعنى عاداً وثموداً ﴿الرَّسُلَ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾: يعنى قبلهم وبعدهم.

وأراد بقوله: ﴿مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾: الرّسل الذين أرسلوا إلى آبائهم من قبلهم ومن خلفهم، يعنى من بعد الرّسل الذين أرسلوا إلى آبائهم، وهو الرسول الذى أرسل إليهم، هود وصالح (عليهما السلام)، والكناية فى قوله: ﴿مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ راجعة إلى عاد وثمود، وفى قوله تعالى: ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ راجعة إلى الرسل.

﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً﴾: بدل هؤلاء الرّسل ملائكة. ﴿فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾.

أخبرنا أبو محمد عبد الله بن حامد بن محمد الأصبهاني، قرأه عليه فى شوال سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة، حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى العبيدى، حدثنا أحمد بن نجدة بن العريان، حدثنا الجماني حدثنا ابن فضيل، عن الأجلح بن الذيال بن حرمة، عن جابر بن عبد الله، قال: قال الملاء من قريش وأبو جهل: قد التبس علينا أمر محمد، فلو التمستم رجلاً عالمًا بالشعر والكهانة والسحر، فأتاه فكلمه ثم أتانا ببيان من أمره، فقال عتبة بن ربيع: والله لقد سمعت بالشعر والكهانة والسحر، وعلمت من ذلك علمًا، وما يخفى على إن كان ذلك. فأتاه، فلما خرج إليه، قال: يا محمد، أنت خير أم هاشم؟ أنت خير أم عبد المطلب؟ أنت خير

(١) فى متن المخطوط: «وحفظاً زينها». والتصويب من الهامش.

أم عبد الله؟ فبم تشتم آلهتنا، ونضلك إيانا، فإن تتمنى الرئاسة<sup>(١)</sup> عقدنا لك ألبوتنا، فكنت رئيسنا ما بقيت، وإن كانت بك الباءة زوجناك عشر نسوة تختار من أى أليات قريش، وإن كان بك المال جمعنا لك ما تستغنى أنت وعقبك من بعدك، ورسول الله ﷺ ساكت لا يتكلم، فلما فرغ، قرأ رسول الله عليه السلام: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ، قُرْءَانًا عَرَبِيًّا...﴾ إلى قوله: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثُودٍ﴾ فأخذ<sup>(٢)</sup> عتبة على فيه و(قال)<sup>(٣)</sup> ناشده بالرحم، ورجع إلى أهله ولم يخرج إلى قريش، فاحتبس عنهم عتبة، فقال أبو جهل: يا معشر قريش، والله ما نرى عتبة إلا قد صبأ إلى محمد وأعجبه طعامه، وما ذاك إلا من حاجة أصابته، فانطلقوا بنا إليه، فانطلقوا إليه.

فاتاه أبو جهل فقال: والله يا عتبة، ما حبسك عنا إلا إنك صبوت إلى محمد، وأعجبك طعامه، فإن كانت بك حاجة جمعنا لك من أموالنا ما يغنيك عن طعام محمد. فغضب عتبة وأقسم ألا يكلم محمدًا أبدًا، وقال: والله لقد علمتم أنى من أكثر قريش مالا، ولكنى أتيته وقصصت عليه القصة، فأجابنى بشيء، والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر. ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ، قُرْءَانًا عَرَبِيًّا...﴾ إلى قوله: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثُودٍ﴾: فأمسكت بفيه وناشدته بالرحم أن يكف وقد علمتم أن محمدًا إذا قال شيئًا لم يكذب، فخفت أن ينزل بكم العذاب.

﴿فَأَمَّا عَادٌ﴾: يعنى قوم هود. ﴿فَأَسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾: وذلك أنهم كانوا ذوى أجسام طوال وخلق عظيم. ﴿أُولَئِكَ يَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ فأرسلنا عليهم ريحًا صرصراً: أى باردة شديدة الصوت والهبوب وأصله من الصرير، فضوعف كما يقال: نهنت وكفكت، وقد قيل: إن النهر الذى يسمى صرصرًا إنما سمي بذلك لصوت الماء الجارى فيه.

﴿فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ﴾: متتابعات شديداً نكدات مشؤومات عليهم ليس فيها من الخير شيء، وقرأ أبو جعفر وابن عامر وأهل الكوفة ﴿نَحْسَاتٍ﴾ بكسر الحاء، (وقرأ)<sup>(٤)</sup> غيرهم بجزمه. أخبرنا أبو عبد الله بن فنجويه، حدثنا مخلد بن جعفر، حدثنا الحسن بن على، حدثنا

(١) فى هامش المخطوط ذكر العبارة على النحو التالى: إنما بك الرئاسة.

(٢) فى هامش المخطوط: «فأمسك».

(٣) زيادة يتطلبها السياق.

(٤) زيادة يتطلبها السياق تركها المؤلف اختصاراً.

إسماعيل بن عيسى، حدثنا إسحاق بن بشر، حدثنا مقاتل عن الضحاك فى قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾، قال: أمسك الله تعالى عنهم المطر ثلاث سنين ودامت الرياح عليهم من غير مطر، وبه عن مقاتل، عن إبراهيم التيمى وعن أبى الزبير عن جابر بن عبد الله، قال: إذا أراد الله بقوم خيراً، أرسل عليهم المطر وحبس عنهم كثرة الرياح، وإذا أراد الله بقوم شراً حبس عنهم المطر، وأرسل عليهم كثرة الرياح.

﴿لَنذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَعَذَابَ الْآخِرَةِ أَخْرَى﴾: لهم وأشد إذلالاً وإهانة. ﴿وَهُمْ لَا يَصْزُرُونَ﴾ وأما ثمود: قرأ الأعمش ويحيى بن وثاب (ثمود) بالرفع والتنوين، وكانا يجران ثموداً فى القرآن كله إلا قوله: ﴿وَأَتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ﴾ (الإسراء: ٥٩)، فإنهما كانا لا يجرانه ههنا من أجل أنه مكتوب فى المصحف ههنا بغير ألف، وقرأ ابن أبى إسحاق ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ﴾: منصوباً غير ممنون، وقرأ الباقون مرفوعاً غير ممنون.

﴿فَهَدَيْتَهُمْ﴾: دعوناهم وبيننا لهم. ﴿فَأَسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾: فاختاروا الكفر على الإيمان. ﴿فَأَخَذْتَهُمْ صَاعِقَةً﴾: مهلكة. ﴿الْعَذَابِ الْهُونِ﴾: أى الهوان، ومجازه: ذى هون. ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ونحينا الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ﴾: يبعث ويجمع، وقرأ نافع ويعقوب: (نحشر): بنون مفتوحة وضم الشين. ﴿أَعْدَاءُ اللَّهِ﴾: نصباً. ﴿إِلَى النَّارِ فَهُمْ يَوْزَعُونَ﴾: يساقون ويدفعون إلى النار، وقال قتادة والسدى: يحبس أولهم على آخرهم. ﴿حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَقُلُودُهُمْ﴾: أى بشراتهم. ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: وقال السدى وعبيد الله بن أبى جعفر: أراد بالجلود الفروج.

وأنشد بعض الأدياء لعامر بن جوين:

المرء يسعى للسلامة والسلامة حسبه  
أو سالم من قد تثنى جلده وبيض رأسه  
وقال: جلده كناية عن فرجه.



﴿وَقَالُوا الْجُلُودُ هِيَ لِمَ شَهِدَتْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقْنَا اللَّهَ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ فإن يصبروا فالنار مثوى لهم وإن يستعجبوا فما

هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ ﴿١٠﴾ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أَمْرٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِرِينَ ﴿١١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٢﴾ فَلَنذيقنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٤﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذِينَ أُضْلَلْنَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴿١٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَلَّمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿١٧﴾ نَزَّلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿١٨﴾

﴿وَقَالُوا﴾: يعنى الكفار الذين يحشرون إلى النار. ﴿لَجُلُودِهِمْ لِرَشِيدَتِهِ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾: حدثنا عقيل بن محمد: أن أبا الفرج البغدادى القاضى أخبرهم عن محمد بن جرير، حدثنا أحمد بن حازم الغفارى، أخبرنا على بن قادم الفزارى، أخبرنا شريك، عن عبيد المكيث، عن الشعبي، عن أنس، قال: ضحك رسول الله ﷺ ذات يوم حتى بدت نواجذه، ثم قال: «ألا تسألونى مم ضحكت».

قالوا: مم ضحكت يا رسول الله؟

قال: «عجبت من مجادلة العبد ربّه يوم القيامة، قال: يقول يا ربّ أليس وعدتني أن لا تظلمنى؟ قال: فإنّ لك ذلك. قال: فإتى لا أقبل على شاهدًا، إلا من نفسى. قال: أو ليس كفى بى شهيدًا، وبالملائكة الكرام الكاتبين؟ قال: فيختم على فيه وتتكلم أركانها بما كان يعمل».

قال: «فيقول لهنّ بعداً لكنّ وسحقاً عنكنّ كنت أجادل».

قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٩﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾: أى تستخفون فى قول أكثر المفسرين، وقال مجاهد: تتقون. قتادة: تظنون. ﴿أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعَكُمْ وَلَا أَبْصَارَكُمْ وَلَا جُلُودَكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنُّهُ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾: أخبرنا الحسين بن محمد ابن فنجويه، حدثنا هارون بن محمد بن هارون وعبد الله بن عبد الرحمن الوراق، قالوا: حدثنا

محمد بن عبد العزيز، حدثنا محمد بن كثير وأبو حذيفة، قالوا: حدثنا سفيان عن الأعمش، عن عمارة بن عمير، عن وهب بن ربيعة، عن ابن مسعود قال: إني لمستتر بأستار الكعبة، إذ جاء ثلاثة نفر، ثقفى وختناه قريشيان، كثير شحم بطونهم، قليل فقههم، فحدثوا الحديث بينهم، فقال أحدهم: أترى يسمع ما قلنا؟ فقال الآخر: إذا رفعنا يسمع، وإذا خفضنا لم يسمع، وقال الآخر: إن كان يسمع إذا رفعنا فإنه يسمع إذا خفضنا. فأتيت النبي ﷺ، فذكرت له ذلك، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ...﴾ إلى قوله: ﴿فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾: والثقفى عبد ياليل وختناه القريشيان ربيعة وصفوان بن أمية. ﴿وَذَلِكَ ظَنُّكُمْ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ﴾: أهللكم. ﴿فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾: قال قتادة: الظن ههنا بمعنى العلم، وقال النبي ﷺ: «لا يموتن أحدكم، إلا وهو يحسن الظن بالله، وإن قوماً أساءوا الظن بربهم فأهلكهم» فذلك قوله: ﴿وَذَلِكَ ظَنُّكُمْ الَّذِي ظَنَنْتُمْ...﴾ الآية.

أخبرنا الحسين بن محمد بن فنجويه الدينورى، حدثنا عمر بن أحمد بن القاسم النهاوندى، حدثنا عبد الله بن العباس الطيالسى، حدثنا أحمد بن حفص، حدثنا أبى، حدثنا إبراهيم بن طهمان، عن موسى بن عقبة، عن أبى الزناد عن الأعرج، عن أبى هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: يقول الله تعالى: «أنا عند ظن عبدي بى، وأنا معه حين يذكرنى». وقال قتادة: من استطاع منكم أن يموت وهو حسن الظن بربه فيفعل، فإن الظن اثنان: ظن ينجى، وظن يردى، وقال محمد بن حازم الباهلى:

الحسن الظن مستريح	يهتم من ظنه قبيح
من روح الله عنه هبت	من كل وجه عليه <sup>(١)</sup> ريح
لم يمت المرء عن سخاء	وإنما يهلك الشحيح

﴿فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا﴾: يسترضوا ويطلبوا العتبي. ﴿فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ﴾: المرضيين، والمعتب الذى قبل عتابه وأجيب إلى ما يسأل، وقرأ عبيد بن عمير (تستعتبوا): على لفظ الجهول (فما هم من المعتبين): بكسر التاء، يعنى إن سألوا أن يعملوا ما يرضون به ربهم ﴿فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ﴾: أى ما هم بقادرين على إرضاء ربهم لأنهم فارقوا دار العمل.

﴿وَقَفِضْنَا﴾: سلطنا وبعثنا ووكلنا. ﴿لَهُمْ قُرْآنَاءٌ﴾: نظراء من الشياطين. ﴿فَرِثُوا لَهُمْ مَائِينَ أَيْدِيَهُمْ﴾: من أمر الدنيا حتى آثروه على الآخرة. ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: من أمر الآخرة، فدعوهم إلى التكذيب به وإنكار البعث.

(١) كتب فوقها فى المخطوط: إليه.

﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أَمْرِ﴾ : مع أم . ﴿قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِرِينَ﴾<sup>١</sup> وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴿: من مشركى قريش . ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوَا فِيهِ﴾ : قال ابن عباس : يعنى والغطوا فيه ، كان بعضهم يوصى إلى بعض ، إذا رأيتم محمداً يقرأ ، فعارضوه بالزجر والابتعاد .

مجاهد : ﴿وَالْغَوَا فِيهِ﴾ : بالماء والصفير وتخليط فى المنطق على رسول الله ﷺ إذا قرأ . قال الضحاك : أكثروا الكلام فيختلط عليه القول .

السدى : صيحووا فى وجهه .

مقاتل : ارفعوا أصواتكم بالأشعار والكلام فى وجوههم حتى تلبسوا عليهم قولهم ، فيسكتوا .

أبو العالية : قعوا فيه وعبوه .

وقرأ عيسى بن عمرو (والغوا فيه) : بضم الغين . قال الأخفش : فتح الغين ، كان من لغا يلغا مثل طغا يطغا ، ومن ضم الغين كان من لغا يلغو مثل دعا يدعو .

﴿لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ : محمداً على قراءته .

﴿فَلْيَذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ﴾ : أقبح . ﴿الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ : فى الدنيا . ﴿ذَلِكَ﴾ : الذى ذكرت . ﴿جَزَاءَ أَعْدَاءِ اللَّهِ﴾ : ثم بين ذلك الجزاء ما هو ، فقال : ﴿النَّارُ﴾ : أى هو النار . ﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءَ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ : فقد ذكر أنها فى قراءة ابن عباس ذلك جزاء أعداء الله النار دار الخلد ، ترجم بالدار عن النار ، وهو مجاز الآية .

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ أضلانا مِنَ الْجِنَّ﴾ : وهو إبليس الأبالسة . ﴿وَالْإِنْسِ﴾ : وهو ابن آدم الذى قتل أخاه . ﴿تَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا﴾ : فى النار . ﴿لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾ : فى الدرك الأسفل لأنهما سنا المعصية .

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْتَمُوا﴾ : أخبرنا الحسين بن محمد الثقفى بقراءتى عليه ، حدثنا الفضل الكندى ، أخبرنا إبراهيم بن عبد الله الزيدى<sup>(١)</sup> العسكرى ، حدثنا عمرو بن على ، حدثنا أبو قتيبة سلمة بن قتيبة ، حدثنا سهل بن أبى حزم عن ثابت عن أنس عن النبى ﷺ فى قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْتَمُوا﴾ قال : من مات عليها ، فهو ممن استقام .

أخبرنا الحسين بن محمد الثقفى بقراءتى عليه ، حدثنا عبيد بن محمد بن شنبه ، حدثنا جعفر ابن الفريابى ، حدثنا محمد بن الحسن البلخى ، أخبرنا عبد الله بن المبارك أخبرنا سفيان ، عن

(١) فى الهامش : «الزيبى» .



أبى إسحاق، عن عامر بن سعد، عن سعيد بن عمران<sup>(١)</sup>، عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه، ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾ قال: لم يشركوا بالله شيئاً.

أخبرنا ابن فنجويه الثقفى، حدثنا أبو بكر بن مالك القطيعى، حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدثنى أبى، حدثنا عثمان بن عمر، حدثنا يونس، عن الزهرى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه، قال وهو يخطب الناس على المنبر: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾ فقالوا: استقاموا على طريقة الله بطاعته، ثم لم يروغوا وروغان الثعالب، وقال عثمان بن عفان رضى الله عنه: يعنى أخلصوا العمل لله، وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه: أدوا الفرائض. ابن عباس استقاموا على أداء فرائضه.

أخبرنا الحسين بن محمد بن فنجويه، حدثنا عبد الله بن يوسف بن أحمد بن مالك، حدثنا محمد بن موسى الحلوانى، حدثنا إسماعيل بن بشر بن منصور، حدثنا مسكين أبو فاطمة عن شهر بن حوشب، قال: قال الحسن: وتلا هذه الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾ فقال: استقاموا على أمر الله تعالى، فعملوا بطاعته، واجتنبوا معصيته، مجاهد وعكرمة: استقاموا على شهادة أن لا إله إلا الله، حتى لحقوا به، قتادة وابن يزيد: استقاموا على عبادة الله وطاعته، ابن سيرين: لم يعوجّوا، سفيان الثورى: عملوا على وفاق ما قالوا. مقاتل بن حيان: استقاموا على المعرفة ولم يرتدوا. مقاتل بن سليمان: استقاموا على أن الله ربهم. ربيع: أعرضوا عما سوى الله تعالى: فضيل بن عياض: زهدوا فى الفانية ورغبوا فى الباقية: بعضهم: استقاموا إسراراً كما استقاموا إقراراً، وقيل: استقاموا فعلاً كما استقاموا قولاً. روى ثابت عن أنس أن النبى ﷺ، قال لما نزلت هذه الآية: «أمتى ورب الكعبة».

أخبرنا الحسن بن محمد الثقفى، حدثنا الفضل بن الفضل الكندى وأحمد بن محمد بن إسحاق بن إبراهيم السنى، قالا: حدثنا أبو خليفة الفضل بن حيان الجمحى، حدثنا أبو الوليد الطيالسى، حدثنا إبراهيم بن سعد، عن الزهرى، عن محمد بن عبد الرحمن بن ماعن<sup>(٢)</sup>، عن سفيان بن عبد الله الثقفى. قال: قلت: يا رسول الله أخبرنى بأمر أعتصم به، فقال: «قل ربى الله ثم استقم» فقلت<sup>(٣)</sup>: ما أخوف ما تخاف على؟.

فأخذ رسول الله ﷺ بلسان نفسه، وقال: «هذا».

(١) فى هامش المخطوط: «عمران».

(٢) فى هامش المخطوط: «ماعز».

(٣) فى هامش المخطوط: «ما قلت».

وروى أن وفداً أقدموا على النبي ﷺ، فقرأ عليهم القرآن، ثم بكى، فقالوا: أمن خوف الذى بعثك تبكى؟ قال: «نعم، إني قد بعثت على طريق مثل حد السيف، إن استقمت نجوت، وإن زغت عنه هلكت».

وقال قتادة: كان الحسن إذا تلا هذه الآية، قال: اللهم أنت ربنا فارزقنا الاستقامة. ﴿تَنْزَلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَكُوتُ﴾: عند الموت ﴿أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾: قال قتادة: إذا قاموا من قبورهم. قال وكيع بن الجراح البسرى: تكون فى ثلاثة مواطن: عند الموت، وفى القبر، وفى البعث، ألا يخافوا ولا يحزنوا. قال أبو العالية: لا تخافوا على صنيعكم ولا تحزنوا على مخلقكم. مجاهد: لا تخافوا على ما تقدمون عليه من أمر الآخرة ولا تحزنوا على ما خلفتم فى دنياكم من أهل وولد وشيء، فإننا نخلفكم فى ذلك كله. السدى: لا تخافوا ما أمامكم، ولا تحزنوا على ما بعدكم. عطاء بن رباح: لا تخافوا ولا تحزنوا على ذنوبكم، فإنى أغفرها لكم.

وقال أهل اللسان فى هذه الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾: بالوفاء على ترك الجفاء ﴿تَنْزَلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَكُوتُ﴾: بالرضا أن لا تخافوا من العناء ولا تحزنوا على الفناء، وأبشروا بالبقاء مع الذين كنتم توعدون من اللقاء.

(وقيل)<sup>(١)</sup>: لا تخافوا فلا خوف على أهل الاستقامة، ولا تحزنوا فإن لكم أنواع الكرامة، وأبشروا بالجنة التى هى دار السلامة.

(وقيل)<sup>(١)</sup>: لا تخافوا فعلى دين الله استقمتم، ولا تحزنوا فبجبل الله اعتصمتم، وأبشروا بالجنة وإن ارتبتم وأحزنتم.

(وقيل)<sup>(١)</sup>: لا تخافوا فطالما رهبتم، ولا تحزنوا فقد نلتهم ما طلبتم، وأبشروا بالجنة التى فيها رغبتهم.

(وقيل)<sup>(١)</sup>: لا تخافوا فأنتم أهل الإيمان، ولا تحزنوا فأنتم أهل الغفران، وأبشروا بالجنة التى هى دار الرضوان.

(وقيل)<sup>(١)</sup>: لا تخافوا فأنتم أهل الشهادة، ولا تحزنوا فأنتم أهل السعادة، وأبشروا بالجنة التى هى دار الزيادة.

(وقيل)<sup>(١)</sup>: لا تخافوا فأنتم أهل النوال، ولا تحزنوا فأنتم أهل الوصال، وأبشروا بالجنة التى هى دار الجلال.

(١) زيادة يتطلبها السياق وربما كان المؤلف تركها اختصاراً.

(وقيل)<sup>(١)</sup>: لا تخافوا فقد أمتتم الثبور ولا تحزنوا فقد آن لكم الحبور وأبشروا بالجنة التي هي دار السرور.

(وقيل)<sup>(١)</sup>: لا تخافوا فسعيكم مشكور ولا تحزنوا فذنبكم مغفور، وأبشروا بالجنة التي هي دار النور.

(وقيل)<sup>(١)</sup>: لا تخافوا فطالما كنتم من الخائفين، ولا تحزنوا فقد كنتم من العارفين، وأبشروا بالجنة التي عجز عنها وصف الواصفين.

(وقيل)<sup>(١)</sup>: لا تخافوا فلا خوف على أهل الإيمان، ولا تحزنوا فليست من أهل الحرمان، وأبشروا بالجنة التي هي دار الإيمان.

(وقيل)<sup>(١)</sup>: لا تخافوا فليست من أهل الجحيم، ولا تحزنوا فقد وصلتكم إلى الرب الرحيم، وأبشروا بالجنة التي هي دار النعيم.

(وقيل)<sup>(١)</sup>: لا تخافوا فقد زالت عنكم المخافة، ولا تحزنوا فقد سلمتم من كل آفة، وأبشروا بالجنة التي هي دار الضيافة.

(وقيل)<sup>(١)</sup>: لا تخافوا العزل عن الولاية، ولا تحزنوا على ما قدمتم من الخيانة، وأبشروا بالجنة التي هي دار الهداية.

(وقيل)<sup>(١)</sup>: لا تخافوا حلول العذاب، ولا تحزنوا من هول الحساب وأبشروا بالجنة التي هي دار الثواب.

(وقيل)<sup>(١)</sup>: لا تخافوا فأنتم سالمون من العقاب، ولا تحزنوا فأنتم واصلون إلى الثواب، وأبشروا بالجنة فإنها نعم المآب.

(وقيل)<sup>(١)</sup>: لا تخافوا فأنتم أهل الوفاء ولا تحزنوا على ما كسبتم من الجفاء وأبشروا بالجنة فإنها دار الصفاء.

(وقيل)<sup>(١)</sup>: لا تخافوا فقد سلمتم من العطب، ولا تحزنوا فقد نجوتم من النصب، وأبشروا بالجنة فإنها دار الطرب.

﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ﴾: تقول لهم الملائكة الذين تنزل عليهم بالبشارة: نحن أولياؤكم وأنصاركم وأحباؤكم، ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾: قال السدي: نحن أولياؤكم يعني نحن الحفظة الذين كنا معكم في الدنيا، ونحن أولياؤكم في الآخرة.

أخبرنا عبد الله بن حامد، أخبرنا ابن خالد، أخبرنا داود بن عمرو الضبي أخبرنا إبراهيم ابن

(١) زيادة يتطلبها السياق تركها المؤلف اختصاراً.

الأشعث عن الفضيل بن عياض عن منصور عن مجاهد ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ﴾ : فى الحياة الدنيا وفى الآخرة . قال : قرناؤهم الذين كانوا معهم فى الدنيا ، فإذا كان يوم القيامة ، قالوا : لن نفارقكم حتى ندخلكم الجنة .

﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ : تريدون وتسالون وتتمنون ، وأصل الكلمة إن ما تدعون إنه لكم ، إنه لكم ، فهو لكم بحكم ربكم .  
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ السُّبُلَ فَتَفْسَدُوا وَآنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ : من غفور رحيم .



﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ وَلَا تَسْتَوِى الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿ وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿ وَإِنَّمَا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نِزْغٌ فَاستَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿ وَمِنَ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿ فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ هـ ﴿ وَمِنَ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرًا مِّنْ يَأْتِيهِ آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿ مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ؕ أَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَآخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ

أَسَاءَ فَعَلَيْهَا<sup>١</sup> وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٤١﴾ \* إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَاءِي قَالُوا أَاذْنُكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ ﴿٤٢﴾ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظُنُّوا مَا لَهُمْ مِنْ مَّحِيسٍ ﴿٤٣﴾ لَا يَسْمَعُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَسْأَلُ قَوْمَهُ لِيَكْفُرُوا بِهِ وَإِن يُدْعَىٰ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيَقُولُنَّ هَذَا لِيِ عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ فَلْيُنْتَبِئِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا أَعْمَنَّا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَسَا بِنَجَابِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُودُ دُعَاءِ عَرِيضٍ ﴿٤٥﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثَمَرٌ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقِ بَعِيدٍ ﴿٤٦﴾ سَتَرْنَاهُمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ لَيَلْبَنَنَّ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوْ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ<sup>٢</sup> أَلَّا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ﴿٤٨﴾

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾ : إلى طاعة الله . ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ :

قال ابن سيرين والسدي وابن زيد : هو رسول الله ﷺ ، وقال مقاتل : هو جميع الأئمة والدعاة إلى الله تعالى ، وقال عكرمة : هو المؤذن . قال أبو أمامة الباهلي : ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ يعني صلى ركعتين بين الأذان والإقامة .

أبأنى عبد الله بن حامد ، أخبرنا حاجب بن أحمد بن يزحم<sup>(١)</sup> بن سفيان ، حدثنا عبد الله ابن هاشم ، حدثنا وكيع ، حدثنا عبيد الله بن الوليد الرصافي<sup>(٢)</sup> عن عبد الله بن عبيد بن عمير عن عائشة رضی الله عنها قالت : إني لأرى هذه الآية نزلت : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾ الآية في المؤذنين .

وروى جرير بن عبد الحميد ، عن فضيل بن رفيدة ، قال : كنت مؤذناً في زمن أصحاب عبد الله ، فقال لى عاصم بن هبيرة : إذا أذنت وفرغت من أذانك ، فقل : الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله ، وأنا من المسلمين ، ثم اقرأ هذه الآية : ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا أَسِيئَةُ﴾ قال الفراء :

(١) في المخطوط على هذا الرسم : «تَرْجَمَ» وهو تحريف وهو حاجب بن أحمد بن يزحم بن سفيان أبو محمد الطوسي

مسند نيسابور (أعلام النبلاء ١٥/٣٣٦) .

(٢) في الهامش : «الوصافي» .

﴿وَلَا﴾: ههنا صلة معناه ولا تستوى الحسنة ولا السيئة، وأنشده:

ما كان يرضى رسول الله فعلهما  
والطيبان أبو بكر وعمر  
أى أبو بكر وعمر رضى الله عنهما.

﴿أَدْفَعْ بِأَلْتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾: قريبٌ صديق، قال مقاتل: نزلت في أبى سفيان بن حرب وكان مؤذياً لرسول الله ﷺ، فصار له ولياً، بعد أن كان عدواً. نظيره قوله تعالى: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ كَادَبْتُمْ مِنْهُمْ مودةً﴾ (المتحنة: ٧)، قال ابن عباس: أمر الله تعالى في هذه الآية بالصبر عند الغضب، والحلم عند الجهل، والعفو عند الإساءة، فإذا فعلوا ذلك عصمهم الله من الشيطان وخضع لهم عدوهم كأنه ولي حميم. ﴿وَمَا يُلْقِيهَا﴾: يعنى هذه الخصلة والفعلة. ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾: فى الخير والثواب، وقيل: ذو حظ. ﴿وَمَا يَنْزِعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾: لاستعاذتك وأقوالك. ﴿الْعَلِيمُ﴾: بأفعالك وأحوالك.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾: إنما قال خلقهن بالتأنيث لأنه أجرى على طريق جمع التكسير، ولا يجرى<sup>(١)</sup> على طريق التغليب للمذكر على المؤنث؛ لأنه فيما لا يعقل. ﴿إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا﴾: عن السجود. ﴿فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾: يعنى الملائكة. ﴿يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْمُونَ﴾. لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ (الأعراف: ٢٠٦). ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً﴾: يابسة دارسة لا نبات فيها. ﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنْ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحِي الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ إِنْ الَّذِينَ يَلْحَدُونَ فِي آيَاتِنَا﴾: أى ميلون عن الحق فى أدلتنا.

قال ابن عباس: هو تبديل الكلام ووضعه فى غير موضعه، وقال مجاهد: ﴿يَلْحَدُونَ فِي آيَاتِنَا﴾ بالمكاء والتصديّة واللغو واللغط. قتادة: يعنى يكذبون فى آياتنا. السدى: يعاندون ويشاققون. ابن زيد: يشركون ويكذبون. قال مقاتل: نزلت فى أبى جهل لعنه الله. ﴿لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْهَا آفَسَ يُلْقَى فِي النَّارِ﴾: أبو جهل. ﴿خَيْرٌ أَمْرٌ مَنْ يَأْتِيَّ آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: عثمان بن عفان وقيل: عمار بن ياسر ﴿أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾: أمر وعيد وتهديد ﴿إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: عالم فيجازيكم به.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ﴾: بالقرآن. ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ﴾: حين جاءهم. ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ

(١) فى هامش المخطوط: «ولم يجر».

عَزِيزٌ: كريم على الله عن ابن عباس، وقال مقاتل: منيع من الشيطان والباطل. السدى: غير مخلوق. ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ﴾: قال قتادة والسدى: يعنى الشيطان. ﴿مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾. فلا يستطيع أن يُغير أو يُزيد أو يُتقص، وقال سعيد بن جبیر: يعنى لا يأتیه النكير من بين يديه ولا من خلفه، وقيل: لا يأتیه ما يبطله أو يكذبه من الكتب المتقدمة، بل هو موافق لها مصدق ولا يجيء بعده كتاب يبطله وينسخه، بل هو موافق لها مصدق. عن الكلبي. ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ مَا يُقَالُ لَكَ: من الأذى. ﴿إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ﴾: يعزى نبيه ﷺ. ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾: لمن تاب. ﴿وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾: لمن أصر.

﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا﴾: بغير لغة العرب. ﴿لَقَالُوا لَوْلَا فُضِّلَتْ﴾: بينت. ﴿ءَايَاتُهُ﴾: بلغتنا حتى نفهمها<sup>(١)</sup>، فإننا قوم عرب، ما لنا وللأعجمية. ﴿ءَاغَجِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾: يعنى أكتاب أعجمي ونبى عربى. قال مقاتل: وذلك أن رسول الله ﷺ، كان يدخل على يسار غلام ابن الحضرمي وكان يهودياً أعجمياً ويكنى (أبا فكيهة)، فقال المشركون: إنما يعلمه يسار، فأخذه سيده عامر بن الحضرمي، وضربه، وقال: إنك تعلم محمداً. فقال يسار: هو يعلمنى. فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقرأ الحسن: أعجمى بهمزة واحدة على الخبر، وكذلك رواه هشام عن أهل الشام.

ووجهه ما روى جعفر بن المغيرة عن سعيد بن جبیر، قال: قالت قريش: لولا أنزل هذا القرآن أعجمياً وعربياً حتى تكون بعض آياته أعجمياً وبعضها عربياً، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وأنزل فى الفرقان<sup>(٢)</sup> بكل لسان، فمنه السجيل، وهى فارسية عُربت سنك وكل، والقراءة الصحيحة<sup>(٣)</sup> بالاستفهام على التأويل الأول.

﴿قُلْ هُوَ الَّذِي آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقُرْءَانُهُمْ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾.

أخبرنا محمد بن نعيم، أخبرنا الحسين بن الحسين بن أيوب، أخبرنا على بن عبد العزيز، أخبرنا القاسم بن سلام، حدثنا حجاج بن أيوب، عن شعبة، عن موسى بن أبى عائشة، عن سلمان بن قتيبة، عن ابن عباس ومعاوية وعمرو بن العاص، أنهم كانوا يقرأون هذه الحروف بكسر الميم ﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾، وقرأه الباقون بفتح الميم على المصدر، واختاره أبو عبيد، قال: لقوله: ﴿هُدًى وَشِفَاءً﴾: فكذلك ﴿عَمًى﴾: مصدر مثلها، ولو أنها هاد وشاف لكان الكسر فى

(١) فى هامش المخطوط: «نققهها».

(٢) فى الهامش: «القرآن».

(٣) فى الهامش: «وقراءة العامة».

عمى أجود ليكون نعتاً مثلهما.

﴿أُولَئِكَ يَنَادُونَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾: قال بعض أهل المعانى: قوله: ﴿أُولَئِكَ يَنَادُونَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ خير لقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾، وحديث عن محمد بن جرير، قال: حدثني شيخ من أهل العلم، قال: سمعت عيسى بن عمر سأل<sup>(١)</sup> عمرو بن عبيد ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾، أين خبره؟ فقال عمرو: معناه فى التفسير ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّ لَهُمُ الْكِتَابُ عَزِيزٌ﴾: فقال عيسى بن عمر: أجدت يا أبا عثمان.

وقوله تعالى: ﴿يَنَادُونَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾: مثل لقلة استماعهم وانتفاعهم بما يوعظون به، كأنهم ينادون إلى الإيمان والقرآن من حيث لا يسمعون لبعد المسافة.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ﴾: فمؤمن به وكافر، ومصدق ومكذب. كما اختلف قومك فى كتابك. ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾: فى تأخير العذاب. ﴿لَقَضَىٰ بَيْنَهُمْ﴾: من عذابهم وعجل إهلاكهم.

﴿وَإِنَّهُمْ لِنِى سَيْكٍ مِّنْهُ مُرِيبٌ﴾: من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظالم للعبيد ﴿إِلَيْهِ يَرُدُّ عِلْمَ السَّاعَةِ﴾: فإنه لا يعلمه غيره، وذلك أن المشركين قالوا للنبي ﷺ: لئن كنت نبياً، فأخبرنا عن الساعة متى قيامها؟ ولئن كنت لا تعلم ذلك فإنك لست بنبي. فأنزل الله تعالى هذه الآية.

﴿وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ﴾<sup>(٢)</sup>: من صلة ثمرات، بالجمع أهل المدينة والشام، غيرهم ثمرة على واحدة. ﴿مِنْ أَكْمَامِهَا﴾: أوعيتها، واحدها كمة، وهى كل ظرف لمال أو غيره، وكذلك سمى قشرة الكفرى، أى الذين ينشق عن الثمرة كمه. قال ابن عباس: يعنى الكفرى قبل أن ينشق، فإذا انشقت فليست بأكمام. ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا يَعْلَمُهُ﴾: يقول إليه يرد علم الساعة كما يرد إليه علم الثمار والنتاج.

﴿وَيَوْمَ يَنَادِهِمْ﴾: يعنى ينادى الله تعالى المشركين. ﴿أَيْنَ شُرَكَاءِى﴾: الذين (هم)<sup>(٣)</sup> تزعمون فى الدنيا أنهم آلهة. ﴿قَالُوا﴾: يعنى المشركين، وقيل: الأصنام، يحتمل أن يكون القول راجعاً إلى العابدين وإلى المعبودين أيضاً ﴿ءَاذَنْتَكَ﴾: أعلمناك وقيل: أسمعناك. ﴿مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ﴾ شاهد أن لك شريكاً لما عاينوا القيامة تبرءوا من الأصنام، وتبرأ الأصنام منهم ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا

(١) فى الهامش: «يقول سئل».

(٢) فى المخطوط: «ثمرة» ورسمت على ما فى المصحف المطبوع وهو برواية حفص عن عاصم وتركت البيان للمؤلف.

(٣) ساقطة من متن المخطوط وأتمتها من الهامش.



كَانُوا يَدْعُونَ مِن قَبْلُ: ﴿١﴾ فِي الدُّنْيَا. ﴿وَطَنُوا﴾: أَيَقْنُوا. ﴿مَا لَهُمْ مِّن مَّحِصٍ﴾: مَهْرَب، وَ﴿مَا﴾: هَاهُنَا حَرْفٌ وَلَيْسَ بِاسْمٍ، فَلِذَلِكَ لَمْ يَعْمَلْ فِيهِ الظَّنَّ، وَجَعَلَ الْفِعْلَ مَلْقَى.

﴿لَا يَسْتُرُ﴾: يَمْلُ. ﴿الْإِنْسَانُ﴾: يَعْنِي الْكَافِرَ. ﴿مِن دُعَاءِ الْخَيْرِ﴾: أَي مِّن دُعَائِهِ بِالْخَيْرِ وَمَسْأَلَتِهِ رَبَّهُ، وَدَلِيلُ هَذَا التَّأْوِيلِ، قِرَاءَةُ عَبْدِ اللَّهِ (لَا يَسَامُ الْإِنْسَانُ مِّن دُعَائِهِ بِالْخَيْرِ) أَي بِالصَّحَّةِ وَالْمَالِ. ﴿وَإِن مِّنْهُ أَشْرَفِيُوسٌ﴾: مِّن رُّوحِ اللَّهِ. ﴿فَتَوَطَّ﴾: مِّن رَّحْمَتِهِ. ﴿وَلَيْنَ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً﴾: عَافِيَةٌ وَنِعْمَةٌ. ﴿مِنَّا مِّن بَعْدِ ضَرَاءِ مَسَّتَهُ﴾: شِدَّةٌ وَبِلَاءٌ أَصَابَتْهُ. ﴿يَقُولُونَ هَذَا لِي﴾: أَي لِعَمَلِي، وَأَنَا مُحَقَّقٌ بِهَذَا.

﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتَ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ﴾.

أَخْبَرَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ فَنجَوِيهِ، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ شَادَانَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ ثَابِتٍ، حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ الْكِنْدِيُّ، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ بَشْرٍ، عَنْ أَبِي شَرْمَةَ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، قَالَ: الْكَافِرُ فِي أَمْنَيْنِ، أَمَا فِي الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: لَئِن رُّجِعْتَ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ، وَأَمَا فِي الْآخِرَةِ، فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تَرَابًا.

﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِّن عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾: شَدِيدٌ.

﴿وَإِذَا أُنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَسَا بِنِعْمَتِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَدُوًّا دَعَا عَرِيضًا﴾: كَثِيرٌ، وَالْعَرَبُ تَسْتَعْمَلُ الطُّوْلَ وَالْعَرَضَ كِلَيْهِمَا فِي الْكَثْرَةِ، يُقَالُ: أَطَالَ فُلَانٌ الْكَلَامَ وَالِدَعَاءَ، وَأَعْرَضَ إِذَا أَكْثَرَ.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ﴾: الْقُرْآنُ. ﴿مِن عِنْدِ اللَّهِ تَدَكَّرْتُمْ بِهِ مِمَّنَّ أَوْسَلُ مِمَّنَّ هُوَ فِي شِقَاقِ بَعِيدٍ سَتَرِ لَهُمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ﴾: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يَعْنِي مَنَازِلَ الْأُمَمِ الْخَالِيَةِ. ﴿وَفِي أَنفُسِهِمْ﴾: بِالْبَلَاءِ وَالْأَمْرَاضِ، وَقَالَ الْمُنْهَالُ وَالسُّدِّيُّ: فِي الْأَفَاقِ يَعْنِي مَا يَفْتَحُ لِمُحَمَّدٍ ﷺ مِنَ الْأَفَاقِ، وَفِي أَنفُسِهِمْ: مَكَّةَ، وَقَالَ قَتَادَةُ: فِي الْأَفَاقِ يَعْنِي وَقَائِعَ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْأُمَمِ، وَفِي أَنفُسِهِمْ: يَوْمَ بَدْرٍ. عَطَاءُ وَابْنُ زَيْدٍ: فِي الْأَفَاقِ يَعْنِي أَقْطَارَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ مِنَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنُّجُومِ وَالنَّبَاتِ وَالْأَشْجَارِ وَالْأَنْهَارِ وَالْبِحَارِ وَالْأَمْطَارِ، وَفِي أَنفُسِهِمْ مِّن لَطِيفِ الصَّنْعَةِ وَبَدِيعِ الْحِكْمَةِ، وَسَبِيلِ الْغَائِطِ وَالْبَوْلِ، حَتَّىٰ إِنْ الرَّجُلَ لِيَأْكُلَ وَيَشْرَبَ مِنْ مَكَانٍ وَاحِدٍ، وَيَخْرُجَ مَا يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ مِنْ مَكَانَيْنِ.

﴿حَتَّىٰ يَتَّبِعَنَ لَهُمْ اللَّهُ الْحَقُّ﴾: يَعْنِي أَنَّ مَا نَزَّلَهُمْ وَنَفَعَهُمْ مِنْ ذَلِكَ هُوَ الْحَقُّ، وَقِيلَ: إِنَّهُ يَعْنِي الْإِسْلَامَ، وَقِيلَ: مُحَمَّدٌ ﷺ، وَقِيلَ: الْقُرْآنُ ﴿أَوْ مَرِيكَفَ رَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِيَّتِهِ مِّن لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَّا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾.

## سُورَةُ الشُّورَى

﴿حَمْرٌ عَسَقٌ﴾

مكية، وهي ثلاث وخمسون آية، وثمانمائة وست وستون كلمة،  
وثلاثة آلاف وخمسمائة وثمانية وثمانون حرفاً

أخبرنا سعيد بن محمد بن محمد بن محمد بن جعفر بن محمد الحبري، حدثنا  
إبراهيم بن شريك الكوفي، حدثنا أحمد بن عبد الله بن يونس اليربوعي، حدثنا سلام بن  
سليم المدائني، حدثنا هارون بن كثير، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن أبي أمامة الباهلي عن  
أبي بن كعب، قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة: ﴿حَمْرٌ عَسَقٌ﴾ كان ممن تصلى عليه  
الملائكة ويستغفرون له ويسترحمون له».

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿حَمْرٌ عَسَقٌ﴾ كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُ مَا  
فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢﴾ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ  
وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِنْ اللَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٣﴾  
وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيفٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿٤﴾ وَكَذَلِكَ  
أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَنُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَبَّ فِيهِ فِرْقٌ فِي  
الْجَنَّةِ وَفِرْقٌ فِي السَّعِيرِ ﴿٥﴾

﴿حَمْرٌ عَسَقٌ﴾: سمعت أبا إسحاق يقول: سمعت أبا عثمان بن أبي بكر المقرئ الزعفراني  
يقول: سمعت شيخي يقول: سمعت أبا بكر المؤمن يقول: سألت الحسين بن الفضل لم قطع  
﴿حَمْرٌ عَسَقٌ﴾ ولم تقطع ﴿كَمَيْعَصَ﴾، ﴿الْمَرْ﴾ و﴿الْمَصَ﴾؟.

قال: لكونها من سور أوائلها ﴿حَمْرٌ﴾، فجرت مجرى نظائرها، قبلها وبعدها، وكان ﴿حَمْرٌ﴾  
مبتدأ، و﴿عَسَقٌ﴾ خبره، ولأنها آيتان، وعدت أخواتها التي كتبت موصولة آية واحدة.

وقيل: لأن أهل التأويل لم يختلفوا في ﴿كَهَيْصَ﴾ وأخواتها، أنها حروف التهجي لا غيره، واختلفوا في ﴿حَرَ﴾، فأخرجها بعضهم من حيز الحروف وجعلوها فعلاً، وقالوا: معناه ﴿حَرَ﴾، أى قضى ما هو كائن إلى يوم القيامة.

فأمّا تفسيرها أخبرنا عقيل بن محمد بن أحمد الفقيه: أن أبا الفرج المعافى بن زكريا القاضى، أخبرهم عن محمد بن جرير، حدثنى أحمد، حدثنا عبد الوهاب بن نجدة الحوطى، حدثنا أبو المغيرة عبد القدوس بن الحجاج، عن أرطاة بن المنذر، قال: جاء رجل إلى ابن عباس، فقال له وعنده حذيفة بن اليمان: أخبرنى عن تفسير قول الله تعالى: ﴿حَرَ عَسَقَ﴾ قال: فأطرق ثم أعرض عنه، ثم كرر مقالته، فلم يجبه بشىء، وكرر مقالته، ثم كرر الثالثة، فلم يجبه شيئاً، فقال له حذيفة: أنا أنبئك بها، قد عرفت لم كرهها، نزلت فى رجل من أهل بيته، يقال له: عبد الإله أو عبد الله، ينزل على نهر من أنهار المشرق، بينى عليه مدينتين يشق النهر بينهما شقاً، فإذا أذن الله تعالى فى زوال ملكهم وانقطاع دولتهم، بعث الله تعالى على إحداهما ناراً ليلاً، فتصبح سوداء مظلمة قد احترقت كلها لم تكن مكانها، وتصبح صاحبها متعجبة كيف أفلتت<sup>(١)</sup>، فما هو إلا بياض يومها ذلك حتى يجمع فيها كل جبار عنيد منهم، ثم يخسف الله تعالى بها وبهم جميعاً، فذلك قوله تعالى: ﴿حَرَ عَسَقَ﴾. يعنى عزيمة من الله وفتنة وقضاء: ﴿حَرَ عَسَقَ﴾ عدلاً منه، سين سيكون فتنة، قاف يعنى واقع بهاتين المدينتين<sup>(٢)</sup>.

ونظير هذا التفسير ما أخبرنا عبد الله بن أحمد بن محمد، أخبرنا أحمد بن محمد بن الحسن، حدثنا عبد الله بن مخلد، حدثنا إسحاق بن بشر الكاهلى، حدثنا عمار بن سيف الضبى أبو عبد الرحمن، عن عاصم الأحول، عن أبى عثمان النهدى عن جرير بن عبد الله، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: تبنى مدينة بين دجلة ودجيل وقطربل والصرّة تجتمع فيها جبابرة أهل الأرض، تجبى إليها الخزائن، يخسف بها، وقال مرة: يخسف بأهلها، فلهى أسرع ذهباً فى الأرض من الورد الحديد فى الأرض الرخوة.

وذكر عن ابن عباس أنه كان يقرأ (حم سق) بغير عين، ويقال: إنّ السين فيها كل فرقة كائنة، وإنّ القاف كل جماعة كائنة، ويقول: إنّ علياً إنّما كان يعلم الفتن بهما، وكذلك هو

(١) فى المتن: أقبلت والتصويب من الهامش.

(٢) هذا تفسير لا يقبل، وفى إسناده أكثر من رجل متكلم فيهم، وهذا ونظائره مثل الذى بعده من وضع الخصوم السياسيين للدولة العباسية، قد ساد فى ذلك العصر وضاع الحديث وأكثروا الكذب على رسول الله ﷺ نصرأ لمذاهبهم أو تأييداً لحاكم هم بمالئونه يبتغون بذلك إضفاء الشرعية على حكمه وإكسابه رأياً شعبياً عريضاً يمكن ملكه ويوطده.

فى مصحف عبد الله (حم ❖ سق).

وقال عكرمة: سأل نافع بن الأزرق ابن عباس عن قوله: ﴿حَمْرٌ عَسَقٌ﴾.

فقال: (ح) حلمه، (م) مجده، (عين) علمه، (سين) سناه، (ق) قدرته، أقسم الله تعالى

بها.

وفى رواية أبى الجوزاء أن ابن عباس قال لنافع: (عين) فيها عذاب، (سين) فيها مسخ، (ق) فيها قذف، يدلّ عليه ما روى فى حديث مرفوع أنّ النبى ﷺ لما نزلت هذه الآية عرفت الكآبة فى وجهه، فقيل له: ما هذه الكآبة يا رسول الله؟ قال: أخبرت ببلاء ينزل فى أمتى. من خسف ومسخ وقذف، ونار تحشرهم وريح تقذفهم فى اليم، وآيات متتابعات متصلة بنزول عيسى (عليه السلام)، وخروج الدجال.

وقال شهر بن حوشب وعطاء بن أبى رباح: (ح) حرب يعز فيها الذليل ويذل فيها العزيز فى قريش، ثم تُقضى إلى العرب، ثم تُقضى إلى العجم، ثم تمتد إلى خروج الدجال.

وقال عطاء: (ح) حرب فى أهل مكة يجحف بهم حتى يأكلوا الجيف وعظام الموتى، (م) ملك يتحول من قوم إلى قوم (ع) عدو لقريش قصدهم، (س) سيئ يكون فيهم، (ق) قدرة الله النافذة فى خلقه.

وقال بكر بن عبد الله المزنى: (ح) حرب تكون بين قريش والموالى، فتكون الغلبة لقريش على الموالى، (م) ملك بنى أمية، (ع) علو ولد العباس، (سين) سناء المهدي (ق) قوة عيسى (عليه السلام) حين ينزل، فيقتل النصارى ويخرب البيع.

وقال محمد بن كعب: أقسم الله بحلمه ومجده وعلوه وسنائه وقدرته، أن لا يعذب من عاد إليه بلا إله إلا الله مخلصاً له من قلبه، وقال جعفر بن محمد وسعيد بن جبير: (ح) من رحمن، (م) من مجيد، (عين) من عالم، (سين) من قدوس، (ق) من قاهر.

السدى: هو من الهجاء المقطع، (عين) من العزيز، (سين) من السلام، (ق) من القادر. وقيل: هذا فى شأن محمد ﷺ (فالحاء) حوضه المورود، و(الميم) ملكه الممدود، و(العين) عزه الموجود، و(السين) سناؤه المشهود، و(القاف) قيامه فى المقام المحمود، وقربه فى الكرامة إلى المعبود.

وقال ابن عباس: ليس من نبيّ صاحب كتاب إلاّ وقد أوحيت ﴿حَمْرٌ عَسَقٌ﴾ إليه، فلذلك، قال: ﴿كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ﴾ قرأ ابن كثير بفتح الحاء ومثله روى عباس، عن ابن عمرو ورفع الاسم بالبيان، كأنه قال: يوحى إليك.

قيل: من الذى يوحى؟ قال: الله، وهى كقراءة من قرأ: ﴿يَسْبَحُ لَهُ فِيهَا﴾ (النور: ٣٦) بفتح الباء، الباقون بكسره.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ قِبَلِكُمْ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾: وقال مقاتل: نزل حكمها على الأنبياء (عليهم السلام) ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ تكاد السَّمَاوَاتُ يَنْفَطِرْنَ مِنْ قُوَّتِهِنَّ: أى من عظمة الله وجلاله فوقهن.

قال ابن عباس: تكاد السموات كل واحدة منها تنفطر فوق التى تليها من قول المشركين، ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ (البقرة: ١١٦) نظيره قوله: ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَنْفَطِرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًا أَنْ أَدْعُوا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾ (مریم: ٩٠-٩١). ﴿وَالْمَلٰئِكَةُ يَسْبَحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾: من المؤمنين بيانها ويستغفرون للذين آمنوا ﴿أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾. قال الحكماء: وعظم فى الابتداء، ثم بشر والطف فى الانتهاء.

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيفٌ عَلَيْهِمْ﴾: يحفظ أعمالهم ويحصى عليهم أفعالهم ليجازيهم بها ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾: إن عليك إلا البلاغ. ﴿وَكَذٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ فِرْعَانَ نَارًا غَيَّرْنَا لَسُدُورِ أُمَّ الْقُرَيْسِ﴾: مكة، يعنى أهلها. ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا وَنُنزِّلُ فِيهَا مِائِدَاتُ الْغَيْثِ﴾: أى بيوم الجمع. ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ﴾: أى منهم فريق ﴿فِي الْجَنَّةِ﴾: فضلاً وهم المؤمنون. ﴿وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾: عدلاً وهم الكافرون.

أخبرنا الإمام أبو منصور الجمشاذى، حدثنا أبو العباس الأصم، حدثنا أبو عثمان سعيد بن عثمان بن حبيب السوحى، حدثنا بشر بن مطر، حدثنى سعيد بن عثمان، عن أبى راهويه جدير بن كريب، عن عبد الله بن عمرو بن العاص - وكان النبى ﷺ يفضل عبد الله على أبيه - (ح) <sup>(١)</sup> أخبرنا الحسين بن محمد بن فنجويه، حدثنا أبو بكر بن مالك القطيعى، حدثنا عبد الله ابن أحمد بن حنبل، حدثنى أبى، حدثنا هشام بن القاسم، حدثنا ليث، حدثنى أبو قبيلى حى ابن هانئ المعافرى عن شفى الأصبحى عن عبد الله بن عمرو، قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ذات يوم، قابضا على كفيه ومعه كتابان، فقال: «أتدرون ما هذان الكتابان؟» قلنا: لا يا رسول الله

فقال للذى فى يده اليمنى: هذا كتاب من رب العالمين بأسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وعشائريهم وعدتهم قبل أن يستقروا نطقاً فى الأصلاب، وقبل أن يستقروا نطقاً فى الأرحام إذ هم فى الطينة منجدلون، فليس بزايد فيهم، ولا ناقص منهم، إجمال من الله عليهم إلى يوم القيامة»، ثم قال للذى فى يساره: «هذا كتاب من رب العالمين، بأسماء أهل النار وأسماء

(١) زيادة حديثة يتطلبها سياق الإسناد.

آبائهم وعشائرهم وعدتهم، قبل أن يستقروا نطقاً في الأصلاب وقبل أن يستقروا في الأرحام إذ هم في الطينة منجلدون، فليس بزايد فيهم ولا ناقص منهم، إجمال من الله عليهم إلى يوم القيامة». فقال عبد الله بن عمرو: ففيم العمل؟، إذ قال: «اعملوا وسددوا وقاربوا، فإن صاحب الجنة يختم له بعمل أهل الجنة وإن عمل أى عمل، وإن صاحب النار يختم له بعمل أهل النار وإن عمل، أى عمل».

ثم قال: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ عدل من الله تعالى.



﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَاوِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ أمر آخذوا من دونه أولياء فالله هو الوالي وهو يحيى الموتى وهو على كل شئ قدير ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ فاطر السموات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجاً ومن الأنعام أزواجاً يذكركم فيه ليس كمثله شئ وهو السميع البصير ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ ﴿وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٌ﴾ ﴿فَلِذَلِكَ فَادَعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أَمَرْتُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْلَمَ بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا

وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ ۗ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُبَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَنِي ضَلَّلَ بَعِيدٍ ۝ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ  
يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ ۖ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ۝ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ ۖ وَمَنْ كَانَ  
يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ۝ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ  
مِنَ الَّذِينَ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝  
تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ ۗ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي  
رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ۝ ﴿

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ : على ملّة واحدة . ﴿وَلَكِنْ يَدْخُلُ مِنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ﴾ :  
الكافرون . ﴿مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ أمر اتّخذوا من دوني أولياء فالله هو الولي : لا سواه . ﴿وَهُوَ يُحْيِي  
الْمَوْتَى﴾ : مجازه : لأنه يحيى الموتى . ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ : في الدين . ﴿قَدِيرٌ﴾ : وما اختلفت فيه من  
شئ : ﴿فِي الدِّينِ﴾ . ﴿فُحْكُمُهُ﴾ : إلى الله ذلكم الله ربّي عليه توكلت وإليه أئيب ﴿فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ  
لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ : حلائل - وإنما قال : ﴿مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ : لأنه خلق حواء من ضلع آدم -  
﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّوكُمْ﴾ : يخلقكم ويعيشكم ﴿فِيهِ﴾ : أي في الرحم ، وقيل : في البطن ،  
وقيل : في الروح ، وقيل : في هذا الوجه من الخليقة .

قال مجاهد : نسلًا بعد نسل ، ومن الأنعام ، وقيل : ﴿فِي﴾ بمعنى الباء ، أي يذروكم فيه ،  
قال ابن كيسان : يكثرهم .

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ : المثل صلة ومجازه : ليس كهو شئ ، فأدخل المثل توكيداً للكلام ،  
كقوله : ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِ﴾ (البقرة: ١٣٧) وفي حرف ابن مسعود ، (فإن آمنوا بما آمنتم  
به) : وقال أوس بن حجر :

وقتلَى كمثل جذوع النخيل      يغشاهم مطر منهمر  
أي كجذوع ، وقال آخر سعد بن زيد :  
إذا أبصرت فضلهم  
وقال آخر :

ليس كمثل الفتى زهير      خلق يوازيه في الفضائل

وقيل : (الكاف) صلة مجازه : ليس مثله ، كقول الراجز :

❖ وصاليات ككما يؤفين ❖

فأدخل على الكاف كافاً تأكيداً للتشبيه، وقال آخر:

تنفى الغياديق على الطريق

قلص عن كبيضة فى نيق

فأدخل الكاف مع عن .

﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ نَبْطُ الرِّزْقِ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿﴾ \* شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا ﴿﴾ : وهو أول أنبياء الشريعة .

﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ﴿﴾ : فاختلّفوا فى وجه الآية ، فقال قتادة : تحليل الحلال وتحريم الحرام ، وقال الحكم : تحريم الأخوات والأمهات والبنات ، وقال مجاهد : لم يبعث الله تعالى نبياً إلا أوصاه بإقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة والإقرار لله بالطاعة . فذلك دينه الذى شرع لهم ، وهى رواية الوالى عن ابن عباس ، وقيل : الدين : التوحيد ، وقيل : هو قوله : ﴿أَنْ أَوْحِيَا إِلَى الَّذِينَ وَلَا تَفْقَهُوا فِيهِ﴾ : بعث الأنبياء كلهم بإقامة الدين والألفة والجماعة وترك الفرقة والمخالفة . ﴿كَبُرَتْ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ﴾ : من التوحيد ورفض الأوثان . ثم قال عزّ من قائل : ﴿إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ فيستخلصه لدينه .

﴿وَمَا تَفْقَهُوا﴾ : يعنى أهل الأديان المختلفة ، وقال ابن عباس : يعنى أهل الكتاب . دليله ونظيره فى سورة المنفكّين ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ النَّبِيَّةُ﴾ (البينة : ٤) .

﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَ هَرُ الْعِلْمِ﴾ : من قبل بعث محمد وصفته . ﴿فَمَا يَنْبَغُهُمْ لَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ : تأخير العذاب . ﴿إِلَّا أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ : وهو يوم القيامة . ﴿لَقَضَىٰ يُنَبِّهُهُمْ﴾ : بالعذاب . ﴿وَأَنَّ الَّذِينَ أُورَثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ : يعنى من بعد الأمم الخالية ، وقال مجاهد : معناه من قبلهم أى من قبل مشركى مكة وهم اليهود والنصارى . ﴿لَقَدْ لَبِثْنَا مِنْ رَبِّ قَلِيلًا﴾ : أى فإلى ذلك الذين أوتوا الكتاب . ﴿فَادْعُ﴾ : كقوله : ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ (الزلزلة : ٥) أى إليها ﴿وَأَسْمَعُ كَمَا أَمَرْتُ﴾ : اثبت على الدين الذى به أمرت ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأَمَرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ﴾ : أى أن أعدل أو كى أعدل ، كقوله : ﴿وَأَمْرًا لِنُسَلِّبَ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام : ٧١) .

قال ابن عباس : لأسوى بينكم فى الدين ، وأؤمن بكل كتاب وكل رسول ، وقال غيره : لأعدل بينكم فى جميع الأحوال والأشياء . قال قتادة : أمر نبي الله ﷺ أن يعدل ، فعدل حتى مات ، والعدل ميزان الله تعالى فى الأرض ، وذكر لنا أن داود (عليه السلام) ، قال : ثلاث من كنّ فيه فهو الفائز : القصد فى الغنى والفقر ، والعدل فى الرضا والغضب ، والحسنة فى السرّ والعلانية ، وثلاث من كنّ فيه أهانته : شح مطاع ، وهوى متبع ، وإعجاب المرء بنفسه ، وأربع



من أعطيهنّ، فقد أعطى خير الدنيا والآخرة: لسان ذاك، وقلب شاكر، وبدن صابر، وزوجة مؤمنة.

﴿اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلُنَا وَالْكُمْ أَعْمَلُكُمْ لَا حُجَّةَ﴾: لا خصومة. ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾: نسختها آية القتال<sup>(١)</sup>. ﴿اللَّهُ يَجْعَلُ بَيْنَنَا﴾: لفصل القضاء. ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ يَخْتَفُونَ﴾: يخاصمون. ﴿فِي اللَّهِ﴾: فى دين الله نبيه. ﴿مَنْ بَعْدَنَا أَسْتَجِيبْ لَهُمْ﴾: أى من بعد ما استجاب له الناس، فأسلموا ودخلوا فى دينه لظهور معجزته، وقيام حجته. ﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ﴾: باطلة زائلة. ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾: قال مجاهد: نزلت فى اليهود والنصارى. قالوا: كتابنا قبل كتابكم، ونبينا قبل نبيكم، ونحن خير منكم وأولى بالحق.

﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ﴾: أى العدل عن ابن عباس وأكثر المفسرين. مجاهد: هو الذى يوزن به، ومعنى إنزال الميزان: إلهامه الخلق للعمل به<sup>(٢)</sup>، وأمره بالعدل والإنصاف، كقوله: ﴿قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لُبَاسًا﴾ (الأعراف: ٢٦).

وقال علقمة: الميزان محمد ﷺ، يقضى بينهم بالكتاب. ﴿وَمَا يَذُرُّكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾: ولم يقل قريبة لأن تأنيثها غير حقيقى، ومجازها الوقت، وقال الكسائى: إيتاؤها قريب.

﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾: ظننا منهم أنها غير جائية. ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا﴾: خائفون منها. ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُنَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَمُنَّ بَعِيدٌ﴾ الله لطيف بعباده: قال ابن عباس: حفى بهم. عكرمة: بار بهم. السدى: رقيق. مقاتل: لطيف بالبر والفاجر منهم، حيث لم يقتلهم جوعاً بمعاصيه. القرظى: لطيف بهم فى العرض والمحاسبة.

قال الخوافى: غداً عند مولى الخلق، للخلق موقف يسألهم فيه الجليل، فيلطف بهم الصادق فى الرزق من وجهين: أحدهما: أنه جعل رزقك من الطيبات، والثانى: أنه لم يدفعه إليك بمرّة واحدة، وقيل: الرضا بالتضعيف. الحسين بن الفضل: فى القرآن وتيسيره.

وسمعت أبا القاسم بن حبيب يقول: سمعت أبا عبد الله محمد بن عاد البغدادى يقول: سئل جنيد عن اللطيف، فقال: هو الذى لطف بأوليائه حتى عرفوه، فعبدوه، ولو لطف بأعدائه لما جحدوه.

وقال محمد بن على الكتانى: اللطيف بمن لجأ إليه من عباده إذا أيس من الخلق، توكل عليه

(١) سبق الكلام على أن هناك خلافاً بين العلماء بين مجيز النسخ فى القرآن ورافض لذلك وأن القرآن كله محكم ويتغير حكم الآية بتغير الحال أو الدار. والله أعلم.

(٢) فى المتن: «والعمل به» والتصويب من الهامش.

ورجع إليه فحينئذ يقبله ويقبل عليه، وفي هذا المعنى أنشدنا أبو إسحاق الثعلبي، قال: أنشدني أبو القاسم الحبيبي. قال أنشدني أبي، أنشدني أبو علي محمد بن عبد الوهاب الثقفي:

أمر بأفناء القبور كأنني      أخو قطنة والثوب فيه نحيف  
ومن شق فاه الله قدر رزقه      وربى بمن يلجأ إليه لطيف

وقيل: اللطيف الذي ينشر من عباده المناقب، ويستتر عليه المثالب، وقيل: هو الذي يقبل القليل، ويبدل الجزيل، وقيل: هو الذي يجبر الكسير، ويسر العسير، وقيل: هو الذي لا ييأس أحد في الدنيا من رزقه، ولا ييأس مؤمن في العفو من رحمة.

وقيل: هو الذي لا يخاف إلا عدله، ولا يرجى إلا فضله، وقيل: هو الذي يبذل لعبده النعمة، فوق الهمة ويكلفه الطاعة دون الطاقة، وقيل: هو الذي لا يعاجل من عصاه ولا يخيب من رجاءه، وقيل: هو الذي لا يرد سائله ولا يؤسس أمه، وقيل: هو الذي يعفو عن المدحة وقيل: هو الذي أوقد في أسرار عارفيه من المشاهدة سراجاً، وجعل الصراط المستقيم لهم منهاجاً، وأنزل عليهم من سحائب بره ماءً ثجاجاً.

﴿رَزَقُ مَنْ يَشَاءُ﴾: كما يشاء من شاء موسعاً، ومن شاء مقتراً، ومن شاء قليلاً ومن شاء كثيراً، ومن شاء حلالاً، ومن شاء حراماً، ومن شاء في خفض ودعة، ومن شاء في كد وعناء، ومن شاء في بلده ومن شاء في الغربة، ومن شاء بحساب ومن شاء بغير حساب. ﴿وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ: يعني يريد بعمله الآخرة. ﴿يُزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ﴾: بالتضعيف بالواحدة عشرة إلى ما شاء الله من الزيادة. ﴿وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا﴾: يعني يريد بعمله الدنيا ﴿تُؤْتِيهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾.

قال قتادة: يقول: من عمل لآخرته زد له في حرقته، ومن أثر دنياه على آخرته، لم يجعل الله له نصيباً في الآخرة إلا التار، ولم يصب من الدنيا إلا رزق قد فرغ منه وقسم له.

أنبأني عبد الله بن حامد، أخبرنا أحمد بن محمد بن شاذان، حدثنا الحسين بن إدريس، حدثنا سويد بن نصير، أخبرنا عبد بن المبارك عن أبي سنان الشيباني، أن عمر بن الخطاب رضی الله عنه، قال: الأعمال على أربعة وجوه: عامل صالح في سبيل هدى يريد به دنيا، فليس به في الآخرة شيء ذلك بأن الله تعالى، قال: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا..﴾ (هود: ١٥) الآية، وعامل الرياء ليس به ثواب في الدنيا والآخرة إلا الويل، وعامل صالح في سبيل هدى يتغى به وجه الله والدار الآخرة، فله الجنة في الآخرة، معها

نعاته فى الدنيا، وعامل خطأ وذنوب ثوابه عقوبة الله، إلا أن يعفو فإنه أهل التقوى وأهل المغفرة.

﴿أمر لهم شرَكُوا شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الَّذِينَ مَا أَرَادَ أَنْ يَهْدِيَهُمْ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ﴾ : يوم القيامة، حيث قال: ﴿بَلِ السَّاعَةِ مَوْعِدُهُمْ﴾ (القمر: ٤٦). ﴿لَقَضَىٰ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ تَرَى الظَّالِمِينَ : المشركين يوم القيامة ﴿مُشْفِقِينَ﴾ : وجلين. ﴿مِمَّا كُتِبُوا وَهُوَ وَاقَعُ بَيْنَهُمْ﴾ : أى نازل بهم لا محالة. ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ .



﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾  
 ﴿ذَلِكَ الَّذِي﴾ : ذكرت من نعيم الجنات. ﴿يُبَشِّرُ اللَّهُ﴾ : به. ﴿عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ : فإنهم أهله.

﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾  
 قال ابن عباس: لما قدم رسول الله ﷺ من المدينة كانت تنوبه نوائب وحقوق، وليس فى يديه سعة لذلك، قالت الأنصار: إن هذا الرجل قد هداكم الله به، وهو ابن أختكم، منوبة به. فقالوا له: يا رسول الله إنك ابن أختنا، وقد هدانا الله على يدك، وتنوبك نوائب وحقوق، ولست لك عندها سعة، فرأينا أن نجمع لك من أموالنا، فأتيتك به، فتستعين به على ما ينوبك وما هو ذا، فنزلت هذه الآية.

وقال قتادة: اجتمع المشركون فى مجمع لهم، فقال بعضهم لبعض: أترون محمداً يسأل على ما يتعاطاه أجراً، فأنزل الله تعالى هذه الآية، يحثهم على مودته، ومودة أقربائه، وهذا التأويل أشبه بظاهر الآية والتنزيل؛ لأن هذه السورة مكية، واختلف العلماء فى معنى الآية. أخبرنا أبو عبد الله بن فنجويه بقراءتى عليه، حدثنا عمر بن أحمد بن القاسم النهاوندى، حدثنا أبو بكر الأزدي، حدثنا عاصم بن على، حدثنا قزعة بن سويد، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس، عن النبى ﷺ: «لا أسألكم على ما أتيتكم من البيئات والهدى أجراً إلا أن تودوا الله تعالى، وتقربوا إليه بطاعته».

وإلى هذا ذهب الحسن البصرى، فقال: هو القربى إلى الله تعالى، يقول إلا التقرب إلى الله تعالى والتودد إليه بالطاعة والعمل الصالح، وروى طاوس والشعبى والوالبى والعوفى عن ابن

عباس، قال: لم يكن بطن من بطون قريش إلا وبين رسول الله وبينهم قرابة، فلما كذبوه وأبوا أن يبايعوه، أنزل الله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ يعني أن تحفظوني وتودوني وتصلوا رحمتي، فقال رسول الله: «إذا أبيتم أن تبايعوني، فاحفظوا قرابتي فيكم ولا تؤذوني، فإنكم قومي وأحق من أطاعني وأجابني».

وإليه ذهب أبو مالك وعكرمة ومجاهد والسدي والضحاك وابن زيد وقتادة، وقال بعضهم: معناه إلا أن تودوا قرابتي وعترتي وتحفظوني فيهم، وهو قول سعيد بن جبير وعمرو ابن شعيب.

ثم اختلفوا في قرابة رسول الله ﷺ، الذين أمر الله تعالى بمودتهم. أخبرنا الحسين بن محمد ابن فنجويه الثقفي العدل، حدثنا برهان بن علي الصوفي، حدثنا محمد بن عبد الله بن سليمان الحضرمي، حدثنا حرب بن الحسن الطحان، حدثنا حسين الأشقر، عن قيس، عن الأعمش، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: لما نزلت: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ قالوا: يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟

قال: «علي وفاطمة وأبناؤهما»، ودليل هذا التأويل ما أخبرنا أبو منصور الجمشاذي، قال: حدثني أبو عبد الله الحافظ، حدثني أبو بكر بن مالك، حدثنا محمد بن يونس، حدثنا عبيد الله بن عائشة، حدثنا إسماعيل بن عمرو، عن عمر بن موسى، عن زيد بن علي بن حسين، عن أبيه، عن جده علي بن أبي طالب رضى الله عنه، قال: «شكوت إلى رسول الله ﷺ، حسد الناس لي». فقال: «أما ترضى أن تكون رابع أربعة، أول من يدخل الجنة أنا وأنت والحسن والحسين وأزواجنا عن أيمننا وشمالنا، وذريتنا خلف أزواجنا وشيعتنا من ورائنا»<sup>(١)</sup>.

حدثنا أبو منصور الجمشاذي، حدثنا أبو نصر أحمد بن الحسين بن أحمد، حدثنا أبو العباس محمد بن همام، حدثنا إسحاق بن عبد الله بن محمد بن رزين، حدثنا حسان بن حسان، حدثنا حماد بن سلمة ابن أخت حميد الطويل، عن علي بن زيد بن جدعان، عن شهر بن حوشب، عن أم سلمة، عن رسول الله ﷺ أنه قال لفاطمة: «أئتيني بزوجك وابنيك، فجاءت بهم، فألقى عليهم كساء»<sup>(٢)</sup>، ثم رفع يديه عليهم، فقال: اللهم هؤلاء آل محمد، فاجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد، فإنك حميد مجيد». قالت: فرفعت الكساء لأدخل معهم، فاجتذبه وقال: «إنك على خير».

(١) هذا حديث غير صحيح.

(٢) في الهامش: «فدكية». قلت: وهو نوع من أنواع الأكسية.

وروى أبو حازم عن أبي هريرة، قال: نظر رسول الله ﷺ إلى علي وفاطمة والحسن والحسين، فقال: «أنا حرب لمن حاربتهم، وسلم لمن سالمتم».

أخبرنا عقيل بن محمد، أخبرنا المعافى بن زكريا بن المبتلى، حدثنا محمد بن جرير، حدثني محمد بن عمارة، حدثنا إسماعيل بن أبان، حدثنا الصياح بن يحيى المزني، عن الحسين<sup>(١)</sup>، عن أبي الديلم، قال: «لما جرى بعلي بن الحسين أسيراً فأقيم على درج دمشق، وقام رجل من أهل الشام، فقال: الحمد لله الذي قتلكم واستأصلكم وقطع قرن الفتنة، فقال علي ابن الحسين: أقرأت القرآن؟

قال: نعم. قال: قرأت الـ«حم»؟ قال: قرأت القرآن، ولم أقرأ الـ«حم». قال: ما قرأت «قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ»؟ قال: وإنكم لأنتم هم؟ قال: نعم».

أخبرنا الحسين بن العلوي الوصي، حدثنا أحمد بن علي بن مهدي، حدثني أبي، حدثنا علي بن موسى الرضا، حدثني أبي موسى بن جعفر، حدثنا أبي جعفر بن محمد الصادق، قال: كان نقش خاتم أبي محمد بن علي: ظنّي بالله حسن وبالنبى المؤتمن وبالوصى ذى المن والحسين والحسن. أنشدنا محمد بن القاسم الماوردي، أنشدني محمد بن عبد الرحمن الزعفراني، أنشدني أحمد بن إبراهيم الجرجاني، قال: أنشدني منصور الفقيه لنفسه:

إن كان حبي خمسة      زكت بهم فرائضى  
وبغض من عاداهم      رفضاً فأبى رافضى

وقيل: هم ولد عبد المطلب. يدلّ عليه ما حدثنا أبو العباس سهل بن محمد بن سعيد المروزي، حدثنا أبو الحسن الحمودي، حدثنا أبو جعفر محمد بن عمران الأرسابندي حدثنا هديّة بن عبد الوهاب، حدثنا سعيد بن عبد الحميد بن جعفر، حدثنا عبد الله بن زياد اليمامي، عن إسحاق بن أبي عبد الله بن أبي طلحة، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «نحن ولد عبد المطلب سادة أهل الجنة، أنا وحمزة وجعفر وعلي والحسن والحسين والمهدي».

علي بن موسى الرضا: حدثني أبي موسى بن جعفر، حدثني أبي جعفر بن محمد، حدثني أبي محمد بن علي، حدثني أبي علي بن الحسين، قال: قال رسول الله ﷺ: «حرمت الجنة علي من ظلم أهلي بيتي وأذاني في عترتي، ومن اصطنع صنيعة إلى أحد من ولد عبد المطلب ولم يجازه عليها، فأنا أجازيه غداً إذا لقيني في يوم القيامة».

وقيل: الذين تحرم عليهم الصدقة ويقسم فيه الخمس وهم بنو هاشم وبنو عبد المطلب

(١) في الهامش: «السدّي».

الذين لم يقترفوا في جاهلية ولا إسلام. يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ تُحْسَهُمُ وَاللِّرْسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ﴾ (الأنفال: ٤١)، وقوله: ﴿مَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَاللِّرْسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ﴾ (الحشر: ٧)، وقوله: ﴿وَأَتْ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ (الإسراء: ٢٦).

أخبرنا عقيل بن محمد إجازة، أخبرنا أبو الفرج البغدادي، حدثنا محمد بن جدير، حدثنا أبو كريب، حدثنا مالك بن إسماعيل، حدثنا عبد السلام حدثني يزيد بن أبي زياد عن مقسم عن ابن عباس، قال: قالت الأنصار: فعلنا وفعلنا فكأنهم مخزوك، فقال ابن عباس أو العباس: شل عبد السلم لنا الفضل عليكم. فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فاتاهم في مجالسهم. فقال: «يا معشر الأنصار ألم تكونوا أذلة فأعزكم الله بي؟». قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «ألم تكونوا ضللاً فهداكم الله بي؟». قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «أفلا تحيوني؟». قالوا: ما نقول يا رسول الله؟. فقال: «ألا تقولون، ألم يخرجك قومك فأويناك، أولم يكذبوك فصدقتك، أولم يخذلوك فنصرتك؟».

قال: فما زال يقول حتى جثوا على الركب، وقالوا: أموالنا وما في أيدينا لله تعالى ولرسوله. قال: فنزلت ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾.

أخبرنا الحسين بن محمد بن فنجويه، حدثنا محمد بن عبد الله بن حمزة، حدثنا عبيد بن شريك البزاز، حدثنا سلمان بن عبد الرحمن ابن بنت شرحبيل، حدثنا مروان بن معاوية الفزاري، حدثنا يحيى بن بشير الأسدي، عن صالح بن حباب<sup>(١)</sup> الفزاري عبد الله بن شداد بن الهاد عن العباس بن عبد المطلب أنه قال: يا رسول الله ما بال قریش يلقى بعضهم بعضاً بوجوه تكاد أن تسایل من الود، ويلقوننا بوجوه قاطبة، تعنى بأسرة عابسة، فقال رسول الله عليه السلام: «أو يفعلون ذلك؟». قال: نعم، والذي بعثك بالحق. فقال: «أما والذي بعثني بالحق، لا يؤمنوا حتى يحبوكم لي».

وقال قوم: هذه الآية منسوخة فإثماً نزلت بمكة وكان المشركون يؤذون رسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالى هذه الآية وأمرهم فيها بمودة رسول الله وصلة رحمه. فلما هاجر إلى المدينة وآواه الأنصار وعزروه ونصروه أحب الله تعالى أن يلحقه بإخوانه من الأنبياء (عليهم السلام) حيث قالوا: ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الشعراء: ١٠٩)، فأنزل الله تعالى عليه: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ اللَّهِ﴾ (سبأ: ٤٧)، فهي منسوخة بهذه الآية وبقوله: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ (ص: ٨٦)، وقوله: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا

(١) في الهامش: «حيان».

فَخَرَّاجَ رَبِّكَ خَيْرٌ ﴿المؤمنون: ٧٢﴾، وقوله: ﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ (يوسف: ١٠٤)، وقوله: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَّفْرِمٍ مُّقْتَلُونَ ﴿٤٠﴾﴾ (الطور: ٤٠) وإلى هذا ذهب الضحاك بن مزاحم والحسين بن الفضل.

وهذا قول غير قوى ولا مرضى، لأن ما حكينا من أقاويل أهل التأويل فى هذه الآية لا يجوز أن يكون واحد منها منسوخاً، وكفى فتحاً بقول من زعم أن التقرب إلى الله تعالى بطاعته ومودة نبيه وأهل بيته منسوخ.

والدليل على صحة مذهبنا فيه، ما أخبرنا أبو محمد عبد الله بن حامد الأصبهاني، أخبرنا أبو عبد الله بن محمد بن على بن الحسين البلخي، حدثنا يعقوب بن يوسف بن إسحاق، حدثنا محمد بن أسلم الطوسى، حدثنا يعلى بن عبيد، عن إسماعيل بن أبى خالد، عن قيس بن أبى حازم، عن جرير بن عبد الله البجلي، قال: قال رسول الله ﷺ: «من مات على حب آل محمد مات شهيداً، ألا ومن مات على حب آل محمد مات مغفوراً له، ألا ومن مات على حب آل محمد مات تائباً، ألا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمناً مستكمل الإيمان، ألا ومن مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة ثم منكر ونكير، ألا ومن مات على حب آل محمد جعل الله تعالى زوار قبره ملائكة الرحمن، ألا ومن مات على حب آل محمد فتح له فى قبره بابان من الجنة. ألا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله، ألا ومن مات على بغض آل محمد مات كافراً، ألا ومن مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة»<sup>(١)</sup>.

﴿وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً﴾: يكتسب طاعة. ﴿تَزِدْ لَهُ فِيهَا حَسَنَةً﴾: بالضعف. ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾. أخبرنا الحسين بن محمد بن فنجويه، حدثنا ابن حنش المقرئ، حدثنا أبو القاسم بن الفضل، حدثنا على بن الحسين، حدثنا إسماعيل بن موسى، حدثنا الحكم بن طهر، عن السدى عن أبى مالك عن ابن عباس فى قوله: ﴿وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً تَزِدْ لَهُ فِيهَا حَسَنَةً﴾، قال: المودة لآل محمد ﷺ.



(١) كل ما سبق من أحاديث أو أخبار فى هذا الباب إنما هى تدور بين الوضع والضعف فلا يغتر بذلك القارئ وعلينا بحب النبى ﷺ وحب آله فى حدود ما يثبت لنا الولاء للنبى وآل بيته الكرام فى غير تعصب ولا مغالاة ولا انتقاص من أقدارهم، هداانا الله وإياكم إلى ما يحبه ويرضاه ويرضيه عنا أمين برحمته رب العالمين.

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَاءِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٠﴾ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١١﴾ وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ﴿١٢﴾ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٣﴾ وَأَوْبَسَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبِغَؤًا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿١٤﴾ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَطَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾

﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾: يعنى كفار مكة. ﴿افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَاءِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ﴾. قال مجاهد: يعنى يربط عليه بالصبر حتى لا يشق عليك أذاهم، وقال قتادة: يعنى يطبع على قلبك فينسبك للقرآن، فأخبرهم أنه لو افترى على الله لفعل به ما أخبرهم فى الآية.

ثم ابتداء، فقال عزّ من قائل: ﴿وَمَحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ﴾. قال السدى<sup>(١)</sup>: فيه تقديم وتأخير. مجازه: الله يحو الباطل. فحذفت منه الواو فى المصحف، وهو فى وضع رفع كما حذفت من قوله: ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ﴾ (الإسراء: ١١) ﴿سَدَّغَ الرِّبَايَةَ﴾ (العلق: ١٨) على اللفظ.

﴿وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾ . . . . ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ قال ابن عباس: لما نزلت ﴿قُلْ لَا اسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا...﴾: وقع فى قلوب قوم منها شيء، وقالوا: ما يريد إلا أن يحثنا على أقاربه من بعده. ثم خرجوا، فنزل جبريل (عليه السلام) فأخبره أنهم اتهموه وأنزل هذه الآية، فقال القوم يا رسول الله فإننا نشهد أنك صادق، فنزل: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ واختلقت عبارات العلماء فى حقيقة التوبة وشرائطها.

أخبرنا الإمام أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب بقراءته علىّ. فى شهور سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة، حدثنا محمد بن سليمان بن منصور، حدثنا محمد مسكان بن جبلة بساوة. أخبرنا عبد الله بن عبد العزيز بن أبى داود عن إبراهيم بن طهمان عن أبى الزبير عن جابر بن عبد الله، قال: دخل أعرابى مسجد رسول الله ﷺ وقال: اللهم إنى أستغفرك وأتوب إليك، سريعاً وكبّر، فلما فرغ من صلاته قال له على: يا هذا إن سرعة اللسان بالاستغفار توبة الكذابين، وتوبتك تحتاج إلى توبة، قال: يا أمير المؤمنين وما التوبة؟ قال: اسم يقع على ستة معان: على الماضى من الذنوب الندامة، ولتضييع الفرائض الإعادة، وردّ المظالم، وإذابة

(١) فى الهامش: «الكسائى».



النفس فى الطاعة كما أذبتها فى المعصية، وإذافة النفس مرارة الطاعة كما أذقتها حلاوة المعصية، والبكاء بدل كلّ ضحك ضحكته.

وسمعت الحسن بن محمد بن الحسن، يقول: سمعت إبراهيم بن يزيد، يقول: سمعت حسن بن محمد الترمذى يقول: قيل لأبى بكر محمد بن عمر الوراق: متى يكون الرجل تائباً؟ فقال: إذا رجع إلى الله فراقبه واستحياه وخاف نقمته فيما عصاه، والتجأ إلى رحمته فرجاه، وذكر حلمه فى ستره فأبكاه، وندم على مكروه أتاها، وشكر ربه على ما أتاها، وفهم عن الله وعظه فوعاه، وحفظ عهده فيما أوصاه.

وسمعت الحسن بن محمد بن حبيب، يقول: سمعت أبى منصور محمد بن محمد بن سمعان المذكر، يقول: سمعت أبى بكر بن الشاه الصوفى الفارسى، يقول: سئل الحرب بن أسد المحاسبى: من التائب؟ فقال: من رأى نفسه من الذنوب معصوماً، وللخيرات موفقاً، ورأى الفرح من قلبه غائباً والحزن فيه باقياً، وأحبّه أهل الخير، وهابه أهل الشر، ورأى القليل من الدنيا كثيراً، ورأى الكثير من عمل الآخرة قليلاً، ورأى قلبه فارغاً من كلّ ما ضمن له، مشغولاً بكلّ ما أمر به.

وقال السرى بن المغلس السقطى: التوبة صدق العزيمة على ترك الذنوب، والإنابة بالقلب إلى علام الغيوب، والندامة على ما فرط من العيوب، والاستقصاء فى المحاسبة مع النفس بالاستكانة والخضوع.

وقال عمرو بن عثمان: ملاك التوبة إصلاح القوت.

وسمعت أبى القاسم بن أبى بكر بن عبد الله البابى، يقول: سمعت أبى يعلى حمزة بن وهب الطبرى، يقول: سمعت الحسن بن علوية الدامغانى، يقول: سمعت يحيى بن معاذ، وسئل: من التائب؟ فقال: من كسر شبابه على رأسه وكسر الدنيا على رأس الشيطان، ولزم الفطام حتى أتاها الحمام.

وقال سهل بن عبد الله: التوبة، الانتقال من الأحوال المذمومة إلى الأحوال المحمودة، وسئل ابن الحسن البوشىخى: عن التوبة؟ فقال: إذا ذكرت الذنب فلا تجد حلاوته فى قلبك.

وقال الراعى: التوبة ترك المعاصى نيةً وفعلاً، والإقبال على الطاعة نيةً وفعلاً، وسمعت أبى القاسم الحبيبى، يقول: سمعت أبى عبد الله محمد بن عماد البغدادى، يقول: سئل جنيد: من التائب؟

فقال : من تاب عما دون الله .

وقال شاه الكرمانى : اترك الدنيا وقد تبت وخالف هواك وقد وصلت ، ويعفو عن السيئات إذا تابوا فيمحوها .

أخبرنا الحسن بن محمد بن الحسن بن جعفر ، حدثنا أبى ، حدثنا جعفر بن سواد ، حدثنا عطية بن لفته ، حدثنا أبى ، حدثنا الزبيرى ، عن الزهرى عن سعيد بن المسيب ، عن أبى هريرة . قال : قال رسول الله ﷺ : «إن الله تعالى أفرح بتوبة عبده المؤمن من الضال الواجد ، ومن العقيم الوالد ، ومن الظمان الوارد . فمن تاب إلى الله تعالى توبة نصوحاً أنسى الله حافظيه وبقاع الأرض خطاياهم وذنوبهم» . أو قال : «ذنوبه وخطاياهم» .

﴿وَيَعْلَمُ مَا تَعْمَلُونَ﴾ . قرأ الأعمش وحمزة والكسائى وخلف بالتاء ، وهى قراءة عبد الله وأصحابه ، ورواية حفص عن عاصم غيرهم بالياء ، وهى اختيار أبى عبيد ، قال : لأنه لمن خبرنى عن قوم . قال قبله : عن عباده ، وقال بعده : ويزيدهم من فضله .

﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ : أى يطيع الذين آمنوا ربهم فى قول بعضهم . جعل الفعل للذين آمنوا ، وقال الآخرون : ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ جعلوا الإجابة فعل الله تعالى ، وهو الأصوب والأعجب إلى لأنه وقع بين فعلين لله تعالى : الأول قوله : ﴿يَقْبَلُ﴾ والثانى ﴿وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ ، ومعنى الآية : ويجيب الله المؤمنين إذا دعوه ، وقيل : معناه نجيب دعاء المؤمنين بعضهم لبعض .

أخبرنا عبد الله بن حامد الوزان ، أخبرنا مكى بن عبدان ، حدثنا عبد الله بن هاشم ، حدثنا أبو معاوية بن الأعمش ، عن شقيق بن سلمة ، عن سلمة بن سبرة ، قال : خطبنا معاذ بالشام ، فقال : أنتم المؤمنون وأنتم أهل الجنة والله إنى لأرجو أن يدخل الجنة من تسبون من فارس والروم وذلك بأن أحدهم إذا عمل لأحدكم العمل ، قال : أحسنت يرحمك الله أحسنت بارك الله فيك ويقول الله سبحانه وتعالى : ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ .

﴿وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ .

أخبرنا الحسين بن محمد الثقفى ، حدثنا الفضل بن الفضل الكندى ، حدثنى أبو أحمد عبد الله بن أحمد الزعفرانى الهمدانى ، حدثنا محمد بن الحسين بن قتيبة بعسقلان ، حدثنا محمد بن أيوب بن سويد ، حدثنى أبى ، عن أبى بكر الهذلى ، عن أبى صالح عن ابن عباس فى قول الله تعالى : ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ ، قال : تشفعهم فى إخوانهم . ﴿وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ . قال : فى إخوان إخوانهم .

﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ﴾ . الآية نزلت فى قوم من أهل الصفة<sup>(١)</sup> تمنوا سعة الدنيا والغنى . قال خباب بن لادن : فىنا نزلت هذه الآية وذلك أننا نظرنا إلى بنى قريظة والنضير وبنى القينقاع ، فتمنينها فأنزل الله تعالى : ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ﴾ أى وسع الرزق لعباده .  
﴿ابْتِغُوا فِي الْأَرْضِ﴾ : أى لطفوا وعصوا<sup>(٢)</sup> . قال ابن عباس : بغيهم ظلماً ، منزلة بعد منزلة ودابة بعد دابة ومركباً بعد مركب وملبساً بعد ملبس .

أخبرنا الحسين بن محمد بن إبراهيم التستانى الأصبهاني ، حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد ابن العباس العصى الهروى ، أخبرنى محمد بن على بن الحسين ، حدثنا أحمد بن صالح الكرابيسى ، يقول : سمعت قصير بن يحيى يقول : قال : سفيان<sup>(٣)</sup> بن إبراهيم فى قول الله تعالى : ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ﴾ ، قال : لورزق الله العباد من غير كسب وتفرغوا عن المعاش والكسب لطفوا فى الأرض وبغوا وسعوا فى الأرض فساداً ، ولكن شغلهم بالكسب والمعاش رحمة منه وامتناناً .

﴿وَلَكِنْ يَنْزِلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ﴾ : أرزاقهم ﴿بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ﴾ : لكفائتهم . قال مقاتل : ﴿وَلَكِنْ يَنْزِلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ﴾ : فجعل واحداً فقيراً وآخر غنياً .

﴿إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ . قال قتادة : فى هذه الآية كان يقال : خير الرزق ما لا يطغيك ولا يلهيك ، وذكر لنا أن نبي الله ﷺ قال : «أخوف ما أخاف على أمتى ، زهرة الدنيا وكثرتها» .

أخبرنا الحسين بن محمد بن فنجويه ، حدثنا عبد الله بن محمد بن شنبه ، حدثنا أبو جعفر محمد بن الغفار الزرقانى ، حدثنا محمد بن يحيى الأزدي ، حدثنا أبو حفص عمر بن سعيد الدمشقى ، حدثنا صدقة بن عبد الله ، حدثنا عبد الكريم الجزرى ، عن أنس بن مالك ، عن رسول الله ﷺ ، عن جبريل (عليه السلام) ، عن ربه عز وجل قال : «من أهان لى ولياً ، فقد بارزنى بالمحاربة ، وإتى لأسرع شىء إلى نصره أوليائى ، وإتى لأغضب لهم كما يغضب اللئث الحرد ، وما ترددت عن شىء أنا فاعله ، ترددى عن قبض روح عبدى المؤمن ، يكره الموت وأنا أكره إساءته ، ولا بد له منه ، فإذا أحببته كنت له سمعاً وبصراً ولساناً ويداً ومؤيداً ، إن سألتنى أعطيتة وإن دعانى استجبت له وإن من عبادى المؤمنين لمن يسألنى الباب من العبادة ، ولو أعطيتة إياه دخله العجب فأفسده ، وإن من عبادى المؤمنين ، لمن لا يصلحه إلاّ السقم ولو

(١) فى الهامش : «المدنية» .

(٢) فى الهامش : أى وسع الرزق لعباده .

(٣) فى الهامش : «شقيق» .

صحته لأفسدهُ ذلك، وإن من عبادى المؤمنين لمن لا يصلحه إلا الصحة، ولو أسقمته لأفسده ذلك، وإن من عبادى المؤمنين لمن لا يصلحه إلا الغنى ولو أفقرته لأفسده ذلك، وإن من عبادى المؤمنين لمن لا يصلحه إلا الفقر ولو أغنيته لأفسده ذلك. إنى أدبر عبادى لعلمى بقلوبهم إنى عليمٌ خبيرٌ.

قال صدقة: وسمعت أبا بن أبى عياش يحدث بهذا الحديث، عن أنس بن مالك ثم يقول: اللهم إنى من عبادك المؤمنين الذين لا يصلحهم إلا الغنى فلا تفقرنى.

﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ﴾: يعنى المطر، سمي بذلك لأنه يغيث الناس أى يجيرهم ويصلح حالهم.

قال الأصمعى: مررت ببعض قبائل العرب وقد مطروا، فسألت عجوزاً منهم، كم أتاكم المطر؟ فقالت: غثنا ما شئنا.

﴿مِنْ بَعْدِ مَا قَطَّوْا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ﴾: ويسطط مطره نظيره قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُثْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ (الأعراف: ٥٧).

أخبرنا شعيب بن محمد، أخبرنا أبو الأزهر، حدثنا روح، حدثنا سعيد، عن قتادة قال: ذكر لنا أن رجلاً أتى عمر بن الخطاب رضى الله عنه، فقال: يا أمير المؤمنين فحط المطر وقنط الناس. قال: مطرم، ثم قال: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَطَّوْا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ﴾.

﴿وَهُوَ أَوْلَىٰ الْحَمِيدِ﴾.



﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴿ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَمِ ﴿ إِنْ يَشَاءُ يُسَكِّنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿ أَوْ يُوقِنَنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ ﴿ وَعَلَّمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ ﴿ فَمَا أَوْتَيْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّلِعُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿ وَالَّذِينَ يَخْتَفُونَ بَعْضَ الْإِنْتِ وَالْفَوَاحِشِ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿﴾

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ۝ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كُنْتُمْ تُدِيرُكُمْ: ﴿٤٢﴾﴾ من الإجماع والآثار. ﴿وَيَعْتُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾: منها فلا يؤاخذكم بها.

وقرأ أهل المدينة والشام (بما) بغير (فاء)، وكذلك هي في مصاحفهم، وقرأ الباقر ﴿فِيمَا﴾، بالفاء، وكذلك في مصاحفهم واختاره أبو عبيد وأبو حاتم.

أخبرنا الحسين بن محمد المقرئ، حدثنا عبيد الله بن أحمد بن يعقوب، حدثنا رضوان بن أحمد، حدثنا أحمد بن عبد الجبار، حدثنا أبو معاوية الضرير عن إسماعيل بن مسلم، عن الحسن، قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كُنْتُمْ تُدِيرُكُمْ وَيَعْتُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ قال رسول الله ﷺ: «ما من اختلاج عرق ولا خدش عود ولا نكبة حجر إلا بذنب ولما يعفو الله عنه أكثر».

أخبرنا الحسين بن محمد بن فنجويه، حدثنا أبو بكر بن مالك القطيعي، حدثنا بشر بن موسى الأسدي، حدثنا خلف بن الوليد، حدثنا مروان بن معاوية حدثني الأزهر بن راشد الكاهلي، عن الخضر بن القواس العجلي، عن أبي سخيلة، قال: قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ألا أخبركم بأفضل آية في كتاب الله حدثنا بها رسول الله ﷺ: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كُنْتُمْ تُدِيرُكُمْ وَيَعْتُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾، قال: «وسأفسرها لك يا عليُّ: ما أصابكم في الدنيا من بلاء أو مرض أو عقوبة فالله أكرم من أن يثني عليكم العقوبة في الآخرة، وما عفا عنه في الدنيا فالله أحلم من أن يعود بعد عفوه».

قال: بإسناده عن خلف بن الوليد، عن المبارك بن فضالة، عن الحسن، قال: دخلنا على عمران بن الحصين في مرضه الشديد الذي أصابه، فقال رجل منا: إني لا بد أن أسألك عما أرى من الوجع بك، فقال عمران: يا أخى لا تفعل فوالله إن أحبه إلى أحبه إلى الله تعالى. قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كُنْتُمْ تُدِيرُكُمْ وَيَعْتُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾. هذا بما كسبت يداي وعفو ربي تعالى فيما بقى.

أخبرنا الحسين بن محمد بن فنجويه، حدثنا موسى بن محمد بن علي، حدثنا جعفر بن محمد الفرمانى، حدثنا أبو خثيمة مصعب بن سعيد، حدثنا زهير بن معاوية، عن أبي إسحاق، عن مرة الهمداني، قال: رأيت على ظهر كف شريح قرحة، قلت: يا أبا أمامة ما هذا؟ قال: ﴿فِيمَا كُنْتُمْ تُدِيرُكُمْ وَيَعْتُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾.

أخبرنا الحسين بن فنجويه الدينورى، حدثنا أبو بكر بن مالك القطيعي، حدثنا عبد الله بن

أحمد بن حنبل، حدثني إبراهيم بن الحسن الباهلي المقرئ، حدثنا حماد بن زيد أبو إسماعيل عن ابن عون، عن محمد بن سيرين، قال: لما ركب الدين اغتم لذلك، فقال: إني لأعرف هذا العلم، هذا بذنب أصبته منذ أربعين سنة.

أخبرنا ابن فنجويه، حدثنا موسى بن محمد، حدثنا أبو بشر أحمد بن بشر الطيالسي، حدثني بعض أصحابنا، عن أحمد بن الحواري، قال: قيل لأبي سلمان الداراني: ما بال العقلاء أزالوا اللوم عن أساء إليهم؟ قال: لأنهم علموا أن الله تعالى إنما ابتلاهم بذنوبهم، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾.

أخبرنا ابن فنجويه، حدثنا محمد بن عبد الله بن برزة، حدثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي، حدثنا عاصم بن علي، حدثنا ليث بن سعد، عن يزيد بن أبي حبيب، عن سعد بن سنان، عن أنس بن مالك، عن رسول الله ﷺ، قال: «إذا أراد الله تعالى بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد الله بعبده الشر أمسك عليه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة». وقال عكرمة: ما من نكبة أصابت عبداً فما فوقها إلا بذنب لم يكن الله ليغفر له إلا بها، أو درجة لم يكن الله ليلغها إلا بها.

أخبرنا أبو عثمان سعيد بن محمد، حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن رجاء<sup>(١)</sup>، حدثنا الحسن بن سفيان، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا وكيع، عن ابن أبي داود، عن الضحاك، قال: ما تعلم رجل القرآن ثم نسيه إلا بذنب، ثم قرأ: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾، ثم قال: وأي مصيبة أعظم من نسيان القرآن. وقال الحسن في هذه الآية: هذا في الحدود.

﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ﴾: هرباً. ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾: وَمِنْ أَيْدِيهِ الْجَوَارِ: يعني السفن، واحدها جارية وهي السائرة في البحر، قال الله تعالى: ﴿حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ (الحاقة: ١١).

﴿فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَمِ﴾: أي الجبال، مجاهد: القصور، واحدها علم.

وقال الخليل بن أحمد: كل شيء مرتفع عند العرب فهو علم.

قالت الخنساء ترى أخاها صخرًا:

وإن صخرًا لتأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار

﴿إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظَلُّنَّ رَوَاكِدَ﴾: ثوابت وقوفًا. ﴿عَلَى ظَهْرِيَّةٍ﴾: أي على ظهر الماء. ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾: أَوْ يُوَفِّقُنَّ: يهلكهن. ﴿بِمَا كَسَبُوا﴾: أي بما كسب أصحابها

(١) في الهامش: «حاجب».

وركبائها من الذنوب. ﴿وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ﴾: فلا يعاقب عليها ويعلم.

قرأ أهل المدينة والشام بالرفع على الاستئناف كقوله فى سورة براءة: ﴿وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ (التوبة: ١٥)، وقرأها الآخرون نصباً على الصرف كقوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ الصَّيِّرِينَ﴾ (آل عمران: ١٤٢) صرف من حال الجزم إلى النصب استحقاقاً وكرهة لعوال الجزم، كقول النابغة:

فإن يهلك أبو قابوس يهلك      ربيع الناس والشهر الحرام  
ومسك بعده بذناب عيش      أجب الظهر له سنام

وقال الآخر:

لا تنه عن خلق وتأتى مثله      عارٌ عليك إذا فعلت عظيم

﴿وَيَعْلَمُ الَّذِينَ يُجَدِّلونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَّحِيصٍ﴾: محيد عن عقاب الله تعالى. ﴿فَمَا أَوْ تَيْتَهُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾: من ريش الدنيا وقماشها. ﴿فَمَتَّعُ الْحَيوةَ الدُّنْيَا﴾: وليس من زاد المعاد. ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ﴾: من الثواب. ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ.

قرأ يحيى بن رثاب وحمزة والكسائى وخلف ههنا وفى سورة النجم (كبير) على التوحيد وفسروه الشرك عن ابن عباس، وقرأ الباقون: ﴿كَبِيرٍ﴾ بالجمع فى السورتين، وقد بينا اختلاف العلماء فى معنى ﴿كَبِيرٍ﴾ والفواحش. قال السدى: يعنى الزنا، وقال مقاتل: موجبات الخلود.

﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾: يتجاوزون ويتحملون.



﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾  
وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْصَرُونَ ﴿١٥٠﴾ وَجَزَّوْا سَيِّئَةً سَيِّئَةً مِثْلَهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ  
عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٥١﴾ وَكَمِ مِنْ أَنْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ﴿١٥٢﴾  
إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ  
أَلِيمٌ ﴿١٥٣﴾ وَكَمِ صَبْرًا وَغَفَرًا إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٥٤﴾ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مَنْ  
بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ ﴿١٥٥﴾ وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ  
عَلَيْهَا خَشَعِينَ مِنَ الذَّلِيلِ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ

خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا إِنْ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُتِمِّمٍ ﴿١٠٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ ﴿١٠١﴾ اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ ﴿١٠٢﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِلَّا عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلْغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَحَبَّاهَا وَإِنْ تُصِبُّهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ ﴿١٠٣﴾ اللَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ لِمَنْ يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الْذُّكُورَ ﴿١٠٤﴾ أَوْ يَزْوِجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثَاءً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿١٠٥﴾

﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ ، وقيل هذه الآيات نزلت في أبي بكر الصديق رضى الله عنه . حين لامه الناس على إنفاق ماله كله ، وحين شتم فحللم .

أخبرنا ابن فنجويه ، حدثنا عبید الله بن محمد بن شنبه ، حدثنا إسحاق بن صدقة ، حدثنا عبد الله بن هاشم ، حدثنا سيف بن عمر ، عن عطية ، عن أيوب ، عن علي رضى الله عنه قال : اجتمع لأبى بكر رضى الله عنه مال مرة فتصدق به كلّه فى سبيل الخير ، فلامه المسلمون وخطأه الكافرون ، فأنزل الله تعالى : ﴿فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ . . . إلى قوله : ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ خص به أبا بكر وعم به من اتبعه .

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْصُرُونَ﴾ : ينتقمون من ظالمهم من غير أن يعتدوا . وقال مقاتل : هذا فى المجرور ينتصر من الجارح فيقتص منه . قال إبراهيم : فى هذه الآية كانوا يكرهون أن يستدلوا فإذا قدروا عفوا له .

﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ : سُمى الجزء باسم الابتداء وإن لم يكن سيئة لتشابههما فى الصورة . قال ابن نجيح : هو أن يجاب قائل الكلمة القبيحة بمثلها ، فإذا قال : أخزاه الله . يقول له : أخزاه الله ، وقال السدى : إذا شتمك بشتمه فاشتمه بمثلها من غير أن تعتدى .

أخبرنا ابن فنجويه ، حدثنا ابن حنش المقرئ ، حدثنا أبو القاسم بن الفضل ، حدثنا على بن الحسين ، حدثنا محمد بن يحيى بن أبى عمر ، قال سفيان بن عيينة : قلت لسفيان الثورى : ما قوله تعالى : ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ أن يشتمك رجل فتشتمه؟ ، أو أن يفعل بك فتفعل به؟



فلم أجد عنده شيئاً فسألت هشاماً الحجري<sup>(١)</sup> عن هذه الآية، فقال: الجارح إذا جرح تقتص منه وليس هو أن يسبك فتسبه.

وقال سفيان: وكان ابن شبرمة يقول: أليس بمكة مثل هشام بن حجير فمن عفا فلم ينتقم. قال ابن عباس: فمن ترك القصاص وأصلح، وقال مقاتل: وكان العفو من الأعمال الصالحة فأجره على الله.

قال ابن فنجويه العدل، حدثنا محمد بن الحسن بن بشر، أخبرنا أبو العباس محمد بن جعفر بن ملاس الدمشقي، حدثنا أبو عبد الله أحمد بن إبراهيم بن بشر القرشي، حدثنا زهير ابن عباد المدائني، حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن ابن عباس قال: قال النبي ﷺ: «إذا كان يوم القيامة، نادى مناد من كان له على الله أجر، فليقم، قال: فيقوم عنق كثير. قال: فقال: ما أجركم على الله، فيقولون: نحن الذين عفونا عمن ظلمنا، وذلك قوله تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ فيقال لهم: ادخلوا الجنة بإذن الله».

﴿إِنَّهُ﴾: إن الله ﴿لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾. قال ابن عباس: الذين يبدءون بالظلم. لقوله تعالى: ﴿وَلَمَنْ أَنْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ ﴿مبتدئين به. وَيَتَّبِعُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ ﴿. فلم يخاف. ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾: وحزمها. ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَادٍ مِنْ بَعْدِهِ﴾: يهديه أو يمنعه من عذاب الله.

﴿وَتَرَى الظَّالِمِينَ﴾: الكافرين. ﴿لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ﴾: رجوع إلى الدنيا. ﴿مِنْ سَبِيلٍ﴾ وَتَرَاهُمْ يَرْجُؤْنَ عَلَيْهَا ﴿: أى على النار ﴿خَشِعِينَ﴾: خاضعين متواضعين ﴿مِنْ الذَّلِيلِ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾: دليل قد خفى من الذل. قاله ابن عباس، وقال مجاهد وقتادة والسدى والقرظي: سارقو النظر.

واختلف العلماء باللغة فى وجه هذه الآية، فقال يونس: من بمعنى الباء، مجازه: بطرف خفى، أى ضعيف من الذل والخوف، وقال الأخفش: الطرف العين، أى ينظرون من عين ضعيفة، وقيل: إنما قال: ﴿مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ لأنه لا يفتح عينه إنما ينظر ببعضها، وقيل معناه: ينظرون إلى النار بقلوبهم لأنهم يحشرون عمياً، والنظر بالقلب خفى.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّضِعٍّ﴾: دائم. ﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُوهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ﴾: طريق

(١) فى الهامش: «هشام بن حجير».

للولوصول إلى الحق في الدنيا والجنة في العقبى، قد انسدت عليه طرق الخير. ﴿أَسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ﴾: بالإيمان والطاعة. ﴿مَنْ قَبِلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمًا لَا مَرَدَّ لَهُ، مِنْ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ﴾: معقل. ﴿يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ﴾: منكم يغير ما بكم.

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِلَّا أَلْبَلَغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَفَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ﴾: لله مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنْتِثًا﴾: فلا يكون له ولد ذكر.

أخبرنا الحسين بن محمد بن فنجويه، حدثنا الفضل بن الفضل الكندي، حدثنا محمد بن الحسين الفرج، حدثنا أحمد بن الخليل القومى، حدثنا مسلم بن إبراهيم، حدثنا حكيم بن حزام أبو سمير، عن مكحول، عن وائلة بن الأسقع، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ مِنْ يَمِينِ الْمَرْأَةِ تَبْكِيرُهَا بِالْأُنْثَى قَبْلَ الذَّكَرِ، وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنْتِثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكَورَ﴾. ألا ترى أنه بدأ بالإناث قبل الذكور».

﴿وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكَورَ﴾: فلا يكون له أنثى. ﴿أَوْ يَرْوِجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنْتِثًا﴾: يجمع بينهما فيولد له الذكور والإناث. تقول العرب: زوجت وزوجت الصغار بالكبار. أى قرنت بعضها ببعض.

أخبرنا ابن فنجويه، حدثنا طلحة وعبيد، قالوا: حدثنا ابن مجاهد، حدثنا الحسين بن علي ابن العباس، حدثنا سهل بن عثمان، حدثنا عبيد الله، عن إسماعيل بن سلمان، عن أبي عمر، عن ابن الحنفية في قوله تعالى: ﴿أَوْ يَرْوِجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنْتِثًا﴾. قال: التوائم. ﴿وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا﴾: فلا يلد ولا يولد له.

أخبرنا الحسين بن محمد بن الحسين، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا الحسن بن علوية، حدثنا إسماعيل بن عيسى، حدثنا إسحاق بن بشر، في قول الله تعالى: ﴿يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنْتِثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكَورَ﴾ أو يَرْوِجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنْتِثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا﴾ قال: نزلت في الأنبياء (عليهم السلام) ثم عمت، ﴿يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنْتِثًا﴾: يعنى لوطاً (عليه السلام) لم يولد له ذكر إنما ولد له انتتان. ﴿وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكَورَ﴾: يعنى إبراهيم (عليه السلام) لم يولد له أنثى ﴿أَوْ يَرْوِجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنْتِثًا﴾: يعنى النبى ﷺ ولد له بنون وبنات ﴿وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا﴾: يعنى يحيى وعيسى (عليهما السلام).

﴿إِنَّهُ عَلَيْهِ قَدِيرٌ﴾.

أخبرنا أبو محمد الحسين بن أحمد بن محمد المخلدى إملاء، أخبرنا أبو نعيم عبد الملك ابن

محمد بن عدى، حدثنا عمار بن رجاء وعلى بن سهل بن المغيرة، قالوا: حدثنا على بن الحسن ابن شقيق، (ح)<sup>(١)</sup> وأخبرنا ابن فنجويه، حدثنا عبد الله بن يوسف، حدثنا ابن وهب، حدثنا إبراهيم بن سعيد، حدثنا على بن الحسن بن شقيق، حدثنا أبو حمزة السكري المروزي، عن إبراهيم الصائغ عن حماد بن أبي سليمان، عن إبراهيم النخعي، عن الأسود، عن عائشة «رضى الله عنها». قالت: قال رسول الله ﷺ: «إن أولادكم هبة الله لكم» يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنْتِنَا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ فهم وأموالهم لكم إذا احتجتم إليها». قال على بن الحسن: سألتني يحيى بن معين عن هذا الحديث.



﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ مُّبِينٍ ﴿١٠١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَىٰ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠٢﴾ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿١٠٣﴾ ﴾

﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ ﴾ الآية وذلك أن اليهود قالوا للنبي ﷺ: ألا تكلم الله وتنظر إليه إن كنت نبياً كما كلمه موسى ونظر إليه؟ فإننا لا نؤمن لك حتى تفعل ذلك. فقال ﷺ: «لم ينظر موسى إلى الله» فأنزل الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ ﴾. ﴿الْإِوْحَىٰ﴾: يوحى إليه كما<sup>(٢)</sup> يشاء إما بالإلهام أو فى المنام. ﴿أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ﴾: بحيث يسمع كلامه ولا يراه كما كلم موسى (عليه السلام) ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾. إليه من ملائكة، إما جبريل وإما غيره. ﴿فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾.

قرأ شيبه ونافع وهشام (أو يرسل) برفع اللام على الابتداء (فيوحى) بإسكان الياء، وقرأ الباقون بنصب اللام والياء عطفاً بهما على محل الوحي لأن معناه وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا أن يوحى أو يرسل.

﴿ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ مُّبِينٍ وَكَذَٰلِكَ ﴾: أى وما أوحينا إلى سائر رُسُلنا كذلك. ﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ

(١) زيادة حديثة يتطلبها سياق الإسناد.

(٢) فى الهامش: «كيف».

أمرنا». قال الحسن: رحمة. ابن عباس: نبوة. السدي: وحياً. الكلبي: كتاباً. ربيع: جبريل. ملك بن دينار: يعنى القرآن، وكان يقول: يا أصحاب القرآن ماذا زرع القرآن فى قلوبكم فإن القرآن ربيع القلوب كما أن الغيث ربيع الأرض.

﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي﴾: قبل الوحي. ﴿مَا أَلَكْتُبُ وَلَا الْإِيمَنُ﴾: يعنى شرائع الإيمان ومعالمه.

وقال أبو العالية: يعنى الدعوة إلى الإيمان، وقال الحسين بن الفضل: يعنى أهل الإيمان من يؤمن ومن لا يؤمن، وقال محمد بن إسحاق بن جرير: الإيمان فى هذا الموضع الصلاة. دليله قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيْمَانَكُمْ﴾ (البقرة: ١٤٣).

﴿وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا﴾: وحد الكتابة وهما اثنان: الإيمان والقرآن؛ لأن الفعل فى كثرة أسمائه بمنزلة<sup>(١)</sup> الفعل، ألا ترى أنك تقول إقبالك وإدبارك يُعجبني فيوحدوه وهما اثنان.

قال ابن عباس: ﴿وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ﴾ يعنى الإيمان، وقال السدي: يعنى القرآن.

﴿نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي﴾: لترشد وتدعو. ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾: أخبرنا عبد الله بن حامد الوزان، حدثنا أحمد بن محمد بن شاذان، حدثنا الحسين بن محمد، حدثنا صالح بن محمد، قال: سمعت أبا معشر يحدث، عن سهل بن أبى الجعداء وغيره. قال: احترق مصحف فلم يبق إلا قوله سبحانه وتعالى: ﴿أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ وغرق مصحف فامتحنى كل شىء فيه إلا قوله: ﴿أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾.



(١) فى الهامش: يضبطه.

## سورة الزخرف

مكية، وهى تسع وثمانون آية، وثمانمائة وثلاث وثلاثون كلمة،  
وثلاثة آلاف وأربعمائة حرف

أخبرنا ابن المقرئ، أخبرنا ابن مطر، حدثنا ابن شريك، حدثنا ابن يونس، حدثنا سلام بن  
سليم، حدثنا هارون بن كثير، عن زيد بن أسلم عن أبيه، عن أبي أمامة الباهلي، عن أبي بن  
كعب. قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الزخرف كان ممن يقال له يوم القيامة: يا  
عبادى لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون ادخلوا الجنة بغير حساب». قوله تعالى:

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿حمر﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ وَإِنَّا فِي  
أَمْرِ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ ﴿٣﴾ أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا  
مُسْرِفِينَ ﴿٤﴾ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ ﴿٥﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦﴾  
فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ ﴿٧﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقْنَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٨﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا  
سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٩﴾ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ  
تُخْرَجُونَ ﴿١٠﴾ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١١﴾  
لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ  
لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٢﴾ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴿١٣﴾ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنْ  
الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ ﴿١٤﴾

﴿حمر﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا. أى أنزلناه وسميناه وبيناه ووصفناه.  
كقوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ﴾ (المائدة: ١٠٣). وقوله: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ

عَبْدُ الرَّحْمَنِ إِنِّشَاءً<sup>ع</sup> (الزخرف: ١٩)، وقوله: ﴿جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ (الحجر: ٩١)، وقوله تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ﴾ (التوبة: ١٩). كلها بمعنى الوصف والتسمية ويستحيل أن يكون بمعنى الخلق. ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ وَإِنَّهُ: : يعنى هذا الكتاب. ﴿فِي أَمْرِ الْكِتَابِ﴾: يعنى اللوح المحفوظ الذى عند الله تعالى منه ينسخ، وقال قتادة: أصل الكتاب وجملته.

أخبرنا عبد الله بن حامد الوزان، أخبرنا مكى بن عيدان، حدثنا عبد الله بن هاشم بن حيان، حدثنا يحيى بن سعيد القطان، حدثنا هشام الدستوائى، حدثنى القاسم بن أبى بزة، حدثنى عروة بن عامر القريشى، قال: سمعت ابن عباس يقول: إن أول ما خلق الله تعالى القلم وأمره أن يكتب ما يريد أن يخلق والكتاب عنده ثم قرأ ﴿وَإِنَّهُ فِي أَمْرِ الْكِتَابِ﴾. ﴿لَدَيْنَا لَعَلِّي حَكِيمٌ﴾ أَفَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا: اختلفوا فى معناه. فقال قوم: أفنضرب عنكم العذاب ونمسك ونعرض عنكم وترككم فلا نعاقبكم على كفركم، وهذا قول مجاهد والسدى، ورواية الوالى عن ابن عباس. قال: أفحسبتم أنه يصفح عنكم ولما تعقلوا<sup>(١)</sup> ما أمرتم به، وقال آخرون: معناه أفنمسك عن إنزال القرآن وتركه من أجل أنكم لا تؤمنون به فلا ننزله ولا نكرره عليكم، وهذا قول قتادة وابن زيد.

وقال قتادة: والله لو كان هذا القرآن رُفِعَ حين رده أوائل هذه الأمة لهلكوا، ولكن الله تعالى عاد بعائده ورحمته فكرره عليهم ودعاهم إليه عشرين سنة. أو ما شاء الله من ذلك. وقال الكلبي: أفترككم سدى لا نأمركم ولا ننهاكم. الكسائى: أفنطوى عنكم الذكر طياً، فلا تدعون ولا توعظون.

وهذا من فصيحيات القرآن، والعرب تقول لمن أمسك عن الشيء وأعرض عنه: ضرب عنه صفحاً، والأصل فى ذلك أنك إذا أعرضت عنه وليته صفحة عنقك، قال كثير:

صفوحاً فما تلقاك إلا بخيلةً فم من مل منها ذلك الوصل ملّت

أى معرضة بوجهها، وضربت عن كذا وأضربت، إذا تركته وأمسكت عنه.

﴿أَنْ كُنْتُمْ﴾: قرأ أهل المدينة والكوفة إلا عاصماً إن تُكْتَبَ الألف على معنى إذ. كقوله: ﴿وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾، (البقرة: ٢٧٨) وقوله: ﴿إِنْ أَرَدْنَا تَحْصِنًا﴾ (النور: ٢٣).

وقرأ الآخرون بالفتح على معنى لأن كنتم أرادوا على معنى المضى كما يقول فى الكلام: أسبك إن حرمتنى، يريد إذا حرمتنى. قال أبو عبيدة: والنصب أحبُّ إلى؛ لأن الله تعالى عاتبهم على ما كان منهم وعلمه قبل ذلك من فعلهم.

(١) فى الهامش: «تفعلوا».

﴿قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾: مشركين متجاوزين أمر الله. ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ أَىٰ وَمَا كَانَ يَأْتِيهِمْ. ﴿مِنْ نَّبِيِّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾: كاستهزاء قومك بك. يعزى نبيه ﷺ ﴿فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا﴾: قوة. ﴿وَمَضَىٰ مِثْلَ الْأَوَّلِينَ﴾: صفتهم وستهم وعقوبتهم. ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿١١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٢﴾ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ﴾: أى بمقدار حاجتكم إليه. ﴿فَأَنْشَرْنَا﴾: فأحيينا. ﴿بِهِ بَأْدَةً مِثْلًا كَذَلِكَ﴾: أى كما أحيينا هذه البلدة الميتة بالمطر كذلك. ﴿فُنَخْرِجُونَ﴾: من قبوركم أحياء.

﴿وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ﴾: الأصناف. ﴿كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٣﴾ لِيَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ﴾: ذكر الكناية لأنه ردها إلى ما، وقال الفراء: أضاف الظهور إلى الواحد لأن ذلك الواحد فى معنى الجمع كالجند والجيش والرهط والحيل ونحوها من أسماء الجيش. ﴿ثُمَّ تَذَكَّرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحٰنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُّقْرِنِينَ﴾: أى مطبقين ضابطين قاهرين وهو من القرآن، كأنه أراد وما كنا مقاومين له فى القوة. ﴿وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾: لمنصرفون فى المعاد.

أخبرنا ابن فنجويه الدينورى، حدثنا سعيد بن محمد بن إسحاق الصيرفى حدثنا محمد بن عثمان بن أبى شنبه، حدثنا محمد بن عمران بن أبى ليلى، حدثنا أبى عن ابن أبى ليلى، عن الحكم، عن على بن ربيعة، عن على رضى الله عنه، عن النبى ﷺ، أنه كان إذا وضع رجله فى الركاب، قال: «بسم الله» فإذا استوى على الدابة. قال: «الحمد لله على كل حال ﴿سُبْحٰنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُّقْرِنِينَ ﴿١٤﴾ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾، وكبر ثلاثاً وهلل ثلاثاً.

وقال قتادة: فى هذه الآية يعلمكم كيف تقولون إذا ركبتكم فى الفلك والأنعام تقولون: ﴿وَقُلْ رَبِّ أُنزِلْنِي مُنْزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ﴾ (المؤمنون: ٢٩).

﴿وَجَعَلُوا﴾: يعنى هؤلاء المشركين ﴿لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جِزَاءً﴾: أى نصيباً وبعضاً.

وقال مقاتل وقاتدة: عدلاً وذلك قولهم للملائكة هم بنات الله تعالى. ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِكَفَّورٌ مُّبِينٌ﴾.



﴿أَمْ آتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بِنَاتٍ وَأَصْفٰنَكُمْ بِالْبَنِينَ ﴿١٥﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٦﴾ أَوْ مَنْ يَنْشَأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٧﴾﴾

وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنثَاءً أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴿١٠٠﴾ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١٠١﴾ أَمْ آتَيْنَهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿١٠٢﴾ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُهُتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُقْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾ قُلْ أُولُو جُنُوحِكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿١٠٥﴾ فَأَنْتُمْ مِمَّنْ هُمْ أَتَمُّنَا مِنْهُمْ فَأَنْظِرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿١٠٧﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿١٠٨﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٠٩﴾ بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ ﴿١١٠﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴿١١١﴾ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿١١٢﴾ أَهَمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١١٣﴾ وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِيُوبِتَهُمْ لِيُوبِتَهُمْ سَفْهًُا مِنْ فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿١١٤﴾ وَلِيُوبِتَهُمْ آبَاؤًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَكَبَّرُونَ ﴿١١٥﴾ وَزُخْرَفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١١٦﴾

﴿أَمْ آتَيْنَهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ﴾ : نظيره قوله تعالى : ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ : ﴿أَفَأَصْفَكَ رَبُّكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَأَخَذَ مِنْ الْمَلَائِكَةِ إِنثَاءً﴾ (الإسراء: ٤٠).

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا﴾ : يعنى النبات . دليلها فى النحل ﴿ظَلَّ وَجْهَهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ : من الحزن والغىظ .

﴿أَوْ مَنْ يَنْشُؤُا﴾ : قرأها أهل الكوفة بضم الياء وفتح النون وتشديد الشين على غير تسمية الفاعل . أى يربى غيرهم (ينشأ) : بفتح الياء وجزم النون وتخفيف الشين ، أى ينبت ويكبر . ﴿فِي الْحَلِيَّةِ﴾ : فى الزينة ، يعنى النساء . قال مجاهد : رخص للنساء فى الحرير والذهب ، وقرأ



هذه الآية .

أخبرنا عبد الله بن حامد، أخبرنا محمد بن الحسين الزعفراني، حدثنا يحيى بن جعفر بن أبي طالب، حدثنا محمد بن عبيد، حدثنا عبيد الله بن عمر، عن نافع، عن سعيد بن أبي هند، عن أبي موسى الأشعري، قال قال رسول الله ﷺ: «الذهب والحري حرام على ذكور أمتي، حلّ لإناثهم».

﴿وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾: للحجة من ضَعْفهنَّ وَسَفَههنَّ. قال قتادة في هذه الآية: قلما تتكلم امرأة بحجتها إلا تكلمت الحجة عليها، وفي مصحف عبد الله (وهو في الكلام غير مبين).

وقال بعض المفسرين: عنى بهذه الآية أوثانهم التي كانوا يعبدونها ويجلونها ويزينونها وهي لا تتكلم ولا تنبس. قال ابن زيد: هذه تماثيلهم التي يضربونها من فضة وذهب، وينشئونها في الحلية يتعبدونها. في محل من ثلاثة وجوه: الرفع على الابتداء، والنصب على الإضمار، مجازه: أو من ينشأ يجعلونه رباً أو بنات الله، والخفض رداً على قوله: ﴿مِمَّا يَخْلُقُ﴾ وقوله: ﴿بِمَا ضَرَبَ﴾.

﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبْدُ الرَّحْمَنِ إِنثًا﴾ قرأ أبو عمرو وأهل الكوفة ﴿عِبْدُ الرَّحْمَنِ﴾: بالالف والياء، واختاره أبو عبيد قال: لأن الإسناد فيها أعلى ولأن الله تعالى إنما كذبهم في قوله: (بنات الله) فأخبر أنهم عبيده وليسوا بناته، وهي قراءة ابن عباس.

أخبرنا محمد بن نعيم، أخبرنا الحسين بن أيوب، أخبرنا علي بن عبد العزيز، أخبرنا الثاقم بن سلام، حدثنا هيثم عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، أنه قرأها ﴿عِبْدُ الرَّحْمَنِ﴾.

قال سعيد: فقلت لابن عباس: إن في مصحفى عبد الرحمن. فقال: امسحها واكتبها ﴿عِبْدُ الرَّحْمَنِ﴾، وتصديق هذه القراءة، قوله: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾ (الأنبياء: ٢٦)، وقرأ الآخرون عند الرحمن بالنون واختاره أبو حاتم، قال: لأن هذا مدح، وإذا قلت: ﴿عِبْدُ الرَّحْمَنِ﴾: وتصديقها قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ (الأعراف: ٢٠٦).

﴿أَشْهَدُوا﴾: أَحْضَرُوا. ﴿خَلَقَهُمْ﴾: حَتَّى يَعْرِفُوا أَنَّهُمْ إِنَاثٌ، وقرأ أهل المدينة ﴿أَشْهَدُوا﴾<sup>(١)</sup> على غير تسمية الفاعل أى أَحْضَرُوا. ﴿خَلَقَهُمْ﴾: حِينَ خَلَقُوا. ﴿سَكَنَ شَهَدْتُمْ﴾: على الملائكة أنهم بنات الله. ﴿وَيُسْأَلُونَ﴾: عنها.

(١) في الهامش: «أو أشهدوا».

﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ﴾: يعنى الملائكة فى قول قتادة ومقاتل والكلىبى، وقال مجاهد: يعنى الأوثان، وإنما لم يعجل عقوبتنا على عبادتنا إياها الرضا منا بعبادتها. قال الله تعالى: ﴿مَا لَهُمْ بِدَالِكٍ مِنْ عِلْمٍ﴾ فيما يقولون: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾: يكذبون.

﴿أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ﴾: أى من قبل هذا القرآن. ﴿فَهُرَبِهِ مُسْتَمْسِكُونَ﴾ بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على آفةٍ ودين. ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُنْتَدُونَ﴾: وقراءة العامة (أمة) بضم الألف، وهى الدين والملة، وقرأ عمر بن عبد العزيز ومجاهد إمة بكسر الألف واختلفوا فى معناها، فقيل: هى الطريقة والمقصود من قولهم أمت، وقيل: هى النعمة. قال عدى بن زيد: ثم بعد الفلاح والملك والأمة وأريهم هناك القبور، وقيل: هما لغتان بمعنى واحد.

﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ آفةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾: مستنون متبعون.

﴿قُلْ﴾<sup>(١)</sup>: قراءة العامة على الأمر، وقرأ ابن عامر على الخبر ومثله روى حفص بن عاصم. ﴿أَوْ لَوْ جِئْتَكُمْ﴾<sup>(٢)</sup>: بالألف أبو جعفر. الباقون: جئتكم على الواحد. ﴿بِأَهْدَىٰ﴾: بدين أصوب. ﴿مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آباءُكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ فانتقمنا منهم فأنظر كيف كان عقبة المكذبين. ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأبيه وَقَوْمِهِ اتَّبِعُوا آلِيَّ بَرَاءً﴾: أى برىء، ولا يثنى البراء ولا يجمع ولا يؤنث لأنه مصدر وضع موضع النعت، وفى قراءة عبد الله (برىء) بالياء. ﴿مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾: خلقنى، ومجاز الآية: إننى براء من كل معبود إلا الذى فطرنى.

﴿فَإِنَّهُ سَيَّهَدِينَ﴾: إلى دينه. ﴿وَجَعَلَهَا﴾: يعنى هذه الكلمة والمقالة ﴿كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ﴾: قال قتادة ومقاتل<sup>(٣)</sup>: يعنى لا إله إلا الله، وقال القرطبى: يعنى وجعل وصية إبراهيم التى أوصى بها بنيه باقية فى نسله وذريته وهى التى ذكرها الله تعالى فى سورة البقرة: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ﴾ (البقرة: ١٣٢)، وقال ابن زيد: يعنى قوله: ﴿أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (البقرة: ١٣١) وقرأ ﴿هُوَ سَمَنُكُمُ الْمُسْلِمِينَ﴾ (الحج: ٧٨).

﴿عَلَّاهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: من كفرهم إلى الطاعة ويتوبون ﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ﴾: فى الدنيا فلم أهلكهم ولم أعاجلهم بالعقوبة على كفرهم. ﴿حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ﴾: القرآن، وقال الضحاك: الإسلام. ﴿وَرَسُولٌ مُبِينٌ﴾: يبين لهم الأعلام والأحكام وهو محمد ﷺ.

(١) فى المخطوط: «قُلْ» ورسمت فى مصحف حفص عن عاصم المطبوع فيلاحظ ذلك مع قول المؤلف.

(٢) فى المخطوط: «جئناكم» ورسمت ما فى مصحف حفص عن عاصم المطبوع فتابع على ضوء ذلك قول المؤلف.

(٣) فى الهامش: «مجاهد».

﴿وَلَمَّا جَاءَ الْحَقُّ﴾: القرآن ﴿قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ﴾ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقُرَيْتَيْنِ عَظِيمٍ. يعنى من إحدى القريتين ولم يختلفوا فى القريتين أنهما مكة والطائف، واختلفوا فى الرجلين من هما. قال ابن عباس: الوليد بن المغيرة من مكة وكان يسمى ريحانة قريش، وحبيب بن عمرو بن عمير الثقفى من الطائف.

وقال مجاهد: عتبة بن الربيع من مكة وابن عبد ياليل الثقفى من الطائف. قتادة: هما الوليد بن المغيرة المخزومى، وأبو مسعود عروة بن مسعود الثقفى، وقال السدى: الوليد بن المغيرة وكنانة بن عبد عمرو بن عمير.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿أَمْهُمْ يُسْمُونَ رَبَّكَ﴾ نبوته وكرامته فيجعلونها لمن شاءوا. ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا لَبَنِهِمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: فجعلنا هذا غنياً وهذا فقيراً وهذا ملكاً وهذا مملوكاً، وقرأ ابن عباس وابن يحيى (معايشهم) ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾: أى ليسخر الأغنياء بأموالهم الأجراء الفقراء بالعمل ويستخدمونهم ليكون بعضهم لبعض سبب المعاش فى الدنيا، هذا بما له وهذا بأعماله؛ هذا قول السدى وابن زيد، وقال قتادة والضحاك: يعنى ليملك بعضهم بعضاً فهذا عبد هذا، وقيل: يسخر بعضهم من بعض، وقيل: يتسخر بعضهم بعضاً.

﴿وَرَحِمْتُ رَبِّكَ﴾: يعنى الجنة ﴿خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾: فى الدنيا من الأموال ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾: مجتمعين على الكفر فيصيروا كلهم كفاراً. هذا قول أكثر المفسرين، وقال ابن زيد: يعنى: ولولا أن يكون الناس أمة واحدة فى طلب الدنيا واختيارها على العقبى.

﴿لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرْ بِالرَّحْمَنِ لِيُؤْتِيَهُمْ سُقْفًا مِّنْ فِضَّةٍ﴾: وقرأ أبو جعفر وابن كثير وأبو عمرو وحמיד ويحيى بن وثاب ﴿سُقْفًا﴾: بفتح السين على الواحد ومعناه الجمع اعتباراً بقوله: ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ قَوَاهِهِمْ﴾ (النحل: ٢٦)، وقرأ الباقر بضم السين والقاف على الجمع. يقال سقّف وسقّف مثل رهن ورهن: قال أبو عبيد: ولا ثالث لهما، وقيل: هو جمع سقيف، وقيل: هو جمع سقوف وجمع الجمع. ﴿وَمَعَارِجَ﴾: أى مصاعد ومراق ودرجاً وسلالم، وقرأ أبو رجاء العطاردى (ومعاريج) وهما لغتان واحدهما معراج مثل مفتاح ومفاتيح.

﴿عَلَيْهَا يَطَّهَّرُونَ﴾: يعلون ويرتقون ويصعدون بها، ظهرت على السطح إذا علوته. قال النابغة الجعدى:

بلغنا السماء بمجدنا وفعالنا<sup>(١)</sup> وإنا لترجو فوق ذلك مظهرها

(١) فى الهامش: فى نسخة: «بلغنا السماء مجدنا وجدودنا».

أى مصعداً.

﴿وَلِيُوتِمَّ أَبْوَابًا﴾: من فضة ﴿وَسُرْرًا﴾: من فضة ﴿عَلَيْهَا يَتَكُونُونَ﴾ وَزُخْرَفًا﴾: أى ولجعلنا لهم مع ذلك ﴿وَزُخْرَفًا﴾: وهو الذهب نظير بيت مزخرف، ويجوز أن يكون معناه من فضة وزخرف فلما نزع الخافض نصب.

﴿وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾: شدهه عاصم وحمزة على معنى ﴿وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾، وخففه الآخرون على معنى ﴿ذَلِكَ مَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ (ال عمران: ١٤) فتكون لغة الواصلة ﴿وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾: للمؤمنين.

أخبرنا عبد الله بن حامد الوزان، أخبرنا أحمد بن شاذان، أخبرنا جيعويه بن محمد، حدثنا صالح بن محمد، حدثنا إبراهيم بن محمد بن أبان، عن سليمان بن القيس العامري، عن كعب. قال: إني لأجد في بعض الكتب، لولا أن يحزن عبدى المؤمن لكلت رأس الكافر بأكاليل فلا يصدع ولا ينبض منه عرق يوجع.

أخبرنا أبو عبد الله بن فنجويه، حدثنا عبد الله بن محمد بن شنبه، حدثنا الفريابي، حدثنا إبراهيم بن العلاء الزيدى، حدثنا إسماعيل بن عياش، عن ثعلبة بن مسلم، عن مسلم بن أبى الجرير<sup>(١)</sup>، عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه كان يقول: لو أن رجلاً هرب من رزقه لاتبعه حتى يدركه، كما أن الموت يدرك من هرب منه له أجل هو بالغه، أو أثر هو واطئه ورزق هو آكله وحرف هو قائله فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب، فلا يحملنكم استبطاء شىء من الرزق أن تطلبوه بمعصية الله تعالى، فإن الله لا ينال ما عنده إلا بطاعته، ولن يدرك ما عنده بمعصيته. فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب.



﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنِ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نَقِيضَ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهُتَدُونَ﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَدُلُّونَا بِئِنَّا وَمِثْلِكَ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ﴾ وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ أَلْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ أَفَأَنْتَ تَسْمِعُ الْأَصْمُ أَوْ تَهْدِي الْأَعْمَىٰ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُّقْتَدِرُونَ﴾ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ

(١) فى الهامش: «المجرد».

صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٠﴾ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴿١١﴾ وَسَأَلَ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهَةً يُعْبُدُونَ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿١٤﴾ وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٥﴾ وَقَالُوا يَتَّيَأُئِهِ السَّاحِرُ أَدْعُ لَنَا رَبَّنَا بِمَا عَاهَدَ عَلَيْكَ إِنَّا لَمُهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴿١٧﴾

﴿وَمَنْ يَعِشْ﴾: يعرض ﴿عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ﴾: فلم يخف عقابه ولم يرج ثوابه .  
وقال الضحاك: يمض قدماً . القرظي: يولّ ظهره على ذكر الرحمن وهو القرآن . أبو عبيدة والأخفش: أى تظلم عينه ، الخليل بن أحمد: أصل العشو النظر ببصر ضعيف ، وأنشد فى معناه:

متى تأته تعشو إلى ضوء ناره      تجد خير نار عندها خير موقد

وروى نوفل بن أبى عقرب عن ابن عباس أنه قرأ ﴿وَمَنْ يَعِشْ﴾ بفتح الشين ومعناه: «من يعم» . يقال منه: عشى يعشى عشياً إذا عمى ، ورجل أعشى وامرأة عشواء ، ومنه قول الأعرابي:

رأت رجلاً غائب الوافدين      مختلف الخلق أعشى ضريرا

﴿تَقْتِضُ لَهُ شَيْطَانًا﴾: أى نضمه إليه ونسلطه عليه ﴿فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾: فلا يفارقه . ﴿وَأَنَّهُمْ﴾: يعنى الشياطين ﴿لَيُصِدُّوهُمْ﴾: يعنى الكافرين . ﴿عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ حتى إذا جَاءَنَا﴾: قرأ أهل العراق وابن محيصة على الواحد يعنون الكافر ، واختاره أبو عبيد وقرأ الآخرون ﴿جَاءَنَا﴾ على التشبيه يعنون الكافر وقرينه .

﴿قَالَ﴾: الكافر للشيطان . ﴿يَسْتَلِيتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ﴾: أى المشرق والمغرب ، فقلب اسم أحدهما على الآخر ، كما قال الشاعر:

أخذنا بأفاق السماء عليكم      لنا قمرها والنجوم الطوالع

يعنى الشمس والقمر ، ويقال للغداة والعشى العصران : قال حميد بن ثور:

ولن يلبث العصران يوم و ليلة      إذا طلبا أن يدركا ما تيمما

وقال آخر:

وبصرة الأزدي منا والعراق لنا والموصلان ومنا المصر والحرم

أراد الموصل والحزيرة، ويقال للكوفة والبصرة: البصرتان، ولأبى بكر وعمر «رضى الله عنهما»: العمران، وللسبطين: الحسانان، وقال بعضهم: أراد بالمشرقين، مشرق الصيف ومشرق الشتاء. كقوله تعالى: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ (الرحمن: ١٧).  
﴿فَبَسَّ الْقُرَيْنُ﴾: قال أبو سعيد الخدرى: إذا بعث الكافر زوج بقرينه من الشيطان فلا يفارقه حتى يصير إلى النار.

﴿وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ أَيْوَمَ﴾: فى الآخرة ﴿إِذْ ظَلَمْتُمْ﴾: أشركتم فى الدنيا ﴿أَنْتُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾: يعنى لن ينفعكم إشراككم فى العذاب لأن لكل واحد نصيبه الأوفر منه فلا يخفف عنكم العذاب لأجل قرنائكم.

وقال مقاتل: لن ينفعكم الاعتذار والندم اليوم لأنكم أنتم وقرناءكم مشتركون اليوم فى العذاب كما كنتم مشتركين فى الكفر.

﴿أَفَأَنْتَ تَسْمَعُ الصَّهْرَ أَوْ تَهْدَى الْعَمَى وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾: يعنى الكافرين الذين حقت عليهم كلمة العذاب فلا يؤمنون.

﴿فَأَمَّا نَذَبْنِ بِكَ﴾: فميتك قبل أن نعذبهم. ﴿فَأِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ﴾ أو نرينك الذى وعدناهم: فعذبهم فى حياتك.

﴿فَأَمَّا عَلَيْهِمْ مُّقْتَدِرُونَ﴾: قال أكثر المفسرين: أراد به المشركين من أهل مكة فانتقم منهم يوم بدر، وقال الحسن وقتادة: عنى به أهل الإسلام من أمة محمد ﷺ وقد كان بعد نبى الرحمة نعمة شديدة فأكرم الله نبيه وذهب به، ولم يره فى أمته إلا الذى تقر عينه، وأبقى النعمة بعده، وليس من نبى إلا أرى فى أمته العقوبة، وذكر لنا أن النبى ﷺ أرى ما يصيب أمته بعده فما رأتى ضاحكاً منبسطاً<sup>(١)</sup> حتى قبضه الله تعالى.

﴿فَأَسْتَمْسِكُ بِالَّذِي أُوْحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ وإنه: يعنى القرآن. ﴿إِذْ ذُكِّرْتَ﴾: لشرف لك ﴿وَلِقَوْمِكَ﴾: من قريش، نظيره قوله: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ (الأنبياء: ١٠) أى شرفكم. ﴿وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾: عن حقه وأداء شكره.

أخبرنا أبو عبد الله بن فنجويه الدينورى، حدثنا أبو على بن حبش المقرئ، حدثنا أبو بكر ابن محمد بن أحمد بن إبراهيم الجوهري، حدثنا عمى، حدثنا سيف بن عمر الكوفى، عن وائل أبى بكر، عن الزهيرى، عن عبد الله وعطية بن الحسن، عن أبى أيوب، عن على،

(١) فى الهامش: «مستبشراً».

(ح) (١) وعن الضحاك، عن ابن عباس . قال : كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه على القبائل بمكة، ويعدهم الظهور، فإذا قالوا لمن الملك بعدك، أمسك، فلم يخبرهم بشيء، كأنه (٢) لم يؤمر فى ذلك بشيء حتى نزل ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ . فكان بعد ذلك إذا سئل، يقول : فى قريش (٣)، فلا يجيبونه، وقبلته الأنصار على ذلك .

أخبرنا أبو عبد الله بن فنجويه الدينورى، حدثنا نصر بن منصور بن جعفر النهاوندى، حدثنا أحمد بن يحيى بن الجارود، حدثنا هشام بن عمار، حدثنا الوليد، عن العمري، عن نافع، عن ابن عمر، أن رسول الله ﷺ قال : « لا يزال هذا الأمر فى قريش ما بقى من الناس اثنان » .

أخبرنا عبيد الله بن محمد بن عبد الله بن محمد الناهد، أخبرنا أبو العباس محمد بن إسحاق السراج، حدثنا الحسن بن ناصح ومحمد بن يحيى، قالا : حدثنا نعيم بن عماد، حدثنا عبد الله بن المبارك، أخبرنا معمر، عن الزهرى، عن محمد بن حسن بن مطعم، عن معاوية، قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « لا يزال هذا الأمر فى قريش لا يعاديهم أحد إلا كُبَّ على وجهه ما أقاموا الدين » .

أخبرنا عبيد الله بن محمد الزاهد، أخبرنا أبو العباس السراج حدثنا إبراهيم بن عبد الرحيم حدثنا هوزة بن خليفة، حدثنا عوف، عن زياد بن محراق، عن أبي كنانة، عن أبي موسى، قال : قام النبي ﷺ على باب البيت وفيه نفرٌ من قريش، فأخذ بعضادتي الباب، ثم قال : « هل فى البيت إلا قريشى؟ » قالوا : لا يا رسول الله . إلا ابن أخت لنا، قال : « ابن أخت القوم منهم » ثم قال : « لا يزال هذا الأمر فى قريش ما داموا إذا حكموا فعدلوا، واسترحموا فرحموا، وعاهدوا فوفوا، فمن لم يفعل ذلك فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً » .

أخبرنا عبيد الله الزاهد، حدثنا أبو العباس السراج، حدثنا إبراهيم بن عبد الرحيم، حدثنى موسى بن داود وخالد بن خدّاش، قالا : حدثنا بكير بن عبد العزيز، عن يسار بن سلامة، عن أبي بردة (٤)، قال : قال رسول الله ﷺ : « الأمراء من قريش، لى عليهم حق ولهم عليكم حق »

(١) زيادة حديثة يتطلبها السياق .

(٢) فى الهامش : « لأنه » .

(٣) هذا خبر غير صحيح .

(٤) فى الهامش : « برزة » .

ما فعلوا ثلاثاً: ما حكموا فعدلوا، واسترحموا فرحموا، وعاهدوا فوفوا».

زاد خالد: «فمن لم يفعل ذلك فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين».

أخبرنا ابن فنجويه، حدثنا عبيد الله بن محمد بن شنبه قال: سمعت أبى يقول: سمعت مالك بن أنس يقول فى قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ قال: قول الرجل: حدثنى أبى عن جدى .

﴿وَسَأَلَ﴾: يا محمد . ﴿مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يَعْبُدُونَ﴾ .

اختلف العلماء فى هؤلاء المسؤولين<sup>(١)</sup> . فقال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك والسدى وعطاء بن أبى رباح والحسن والمقاتلان: هم المؤمنون أهل الكتابين، وقالوا: هى فى قراءة عبد الله وأبى (وأسئل الذين أرسلنا إليهم قبلك رسلنا)، وقال ابن جبير وابن زيد: هم الأنبياء الذين جمعوا له ليلة أسرى به بيت المقدس .

أخبرنا ابن فنجويه حدثنا موسى بن محمد، حدثنا الحسن بن علويه، حدثنا إسماعيل بن عيسى، حدثنا المسيب، قال: قال أبو جعفر الدمشقى: سمعت الزهرى يقول: لما أسرى بالنبي ﷺ صلى خلفه تلك الليلة كل نبي كان أرسل ف قيل للنبي عليه السلام: ﴿وَسَأَلَ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ﴾ .

أخبرنا الحسين بن محمد الدينورى، حدثنا أبو الفتح محمد بن الحسين بن محمد بن الحسين الأزدي الموصلى، حدثنا عبد الله بن محمد بن غزوان البغدادي، حدثنا على بن جابر، حدثنا محمد بن خالد بن عبد الله ومحمد بن إسماعيل، قالوا: حدثنا محمد بن فضل، عن محمد بن سوقة، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: «أتانى ملك فقال: يا محمد ﴿وَسَأَلَ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا﴾ على ما بعثوا، قال: قلت: على ما بعثوا قال: على ولايتك وولاية على بن أبى طالب» .

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ﴾: وبها يستهزئون ويكذبون .

﴿وَمَا نُزِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾: قرينتها وصاحبها التى كانت قبلها . ﴿وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ﴾: بالسنين والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم . ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ ﴿وَقَالُوا﴾: لما عاينوا العذاب . ﴿يَتَأْتِي السَّاحِرَ﴾: يا أيها العالم الكامل الحاذق، وإنما قالوا هذا توقيراً وتعظيماً منهم، لأن السحر كان عندهم علماً عظيماً وصفة ممدوحة، وقيل: معناه يا

(١) فى المتن: «المشركين»، والتصويب من الهامش .



أيها الذي غلبنا بسحره، كقول القائل<sup>(١)</sup> : خاصمته فخصمته، ونحوها.

ويحتمل أنهم<sup>(٢)</sup> أرادوا به الساحر على الحقيقة عيباً منهم إياه، فلم يناقشهم موسى (عليه السلام) في مخاطبتهم إياه بذلك رجاء أن يؤمنوا.

﴿أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ﴾ أى بما أخبرتنا عن عهده إليك أننا إن آمننا كُشف عنا، فأسأله يكشف عنا، ﴿إِنَّا لَنَهْتَدُونَ﴾ : مؤمنون.

﴿فَلَمَّا كَفَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ﴾ : ينقضون عهدهم ويصرون على كفرهم ويطمارون

فى غيهم.



﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ أمر أنا خير من هذا الذى هو مهين ولا يكادُ يبين ﴿فَلَوْلَا أَلْقَى عَلَيْهِ سُورَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَأِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾ فاستخف قومه، فأطاعوه إنهم كانوا قوماً فاسقين ﴿فَلَمَّا عَسَفْنَا أَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ فجعلناهم سلفاً ومثلاً للآخرين ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُونَ﴾ وقالوا يا الهتنا خير أم هو ما ضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ ولو نشاء لجعلنا منكم مثل كفة في الأرض يخالقون ﴿وَأَنَّهُ لَعَلَّ السَّاعَةَ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ ولا يصدكم الشيطان إنه ل لكم عدو مبين ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ إن الله هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابٍ يَوْمِ الِيسْرِ﴾ هل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾

(١) فى الهامش : «العرب».

(٢) فى المخطوط : «أنه»، وهو تحريف.

ومعظمها أربعة: نهر الملك، ونهر طولون، ونهر دمياط، ونهر تيس. ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِي﴾: بين يدي وجناتي ويساتيني، وقال ابن عباس: حولي. عطاء: فى قبضتى وملكى. الحسن: بأمرى.

﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ أمر أنا بخير. (أم) بمعنى بل، وليس بحرف على قول أكثر المفسرين، وقال الفراء: وقوم من أهل المعانى الوقوف على قوله: (أم)، وعنده تمام الكلام. وفى الآية إضمار ومجازها: أفلا تبصرون أم لا تبصرون أم ابتداء، فقال: أنا خير ﴿مَنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ﴾: ضعيف حقير يعنى موسى (عليه السلام). ﴿وَلَا يَكْذِبِينَ﴾: يفصح بكلامه وحجته، لعيه ولعقدته والرنة التى فى لسانه.

﴿قُلْ لَا أَلْقَى عَلَيْهِ﴾: إن كان صادقاً ﴿أَسُورَةٌ مِنْ ذَهَبٍ﴾: قرأ الحسن ويعقوب وأبو حاتم وحفص ﴿أَسُورَةٌ﴾: على جمع السوار، وقرأ أبى: أساور، وقرأ ابن مسعود: أساوير، وقرأ العامة: أساورة بالألف على جمع الأسورة وهو جمع الجمع.

وقال أبو عمرو بن العلاء: واحد الأساورة والأساور والأساوير أساور، وهى لغة فى السوار. قال مجاهد: كانوا إذا استودوا رجلاً سوروه بسوار، وطوقوه بطوق من ذهب يكون ذلك دلالة لسيادته وعلامة لرياسته. فقال فرعون: هلا ألقى رب موسى أسورة من ذهب.

﴿أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾: متابعين يقارن بعضهم بعضاً يمشون معه شاهدين له. قال الله تعالى: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ﴾ القبط وجدهم جهالاً. ﴿فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ﴾.

أخبرنا أبو عبد الله بن فنجويه، حدثنا ابن مالك، حدثنا ابن حنبل، حدثنا أبى، حدثنا الوليد بن مسلم، قال: قال الضحاك بن عبد الرحيم بن أبى حوشب: سمعت بلال بن سعد يقول: قال أبو الدرداء: لو كانت الدنيا ترز عند الله جناح ذباب ما سقى فرعون منها شراباً.

﴿فَلَمَّا آسَفُونَا﴾: أغضبونا، وقال الحسين بن الفضل: خالفونا ﴿أَنْتَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمِينَ﴾ فجمَلْنَاهُمْ سَلْفًا ﴿قرأ على وابن مسعود بضم السين وفتح اللام، وقال المؤرخ والنضر ابن شميل: هى جمع سلفية، مثل طرقة وطرق، وغرفة وغرف، وقرأ يحيى بن وثاب والأعمش وحمزة والكسائى بضم السين واللام، قال الفراء: هو جمع سليف، وحكى عن القاسم بن معين أنه سمع العرب تقول: مضى سليف من الناس، وقال أبو حاتم: سلف وسلف واحد، مثل خشب وخشب، وثمر وثمر وقرأ الباقر فتح السين واللام على جمع السالف مثل حارس وحرس، وراصد وورصد، وهم جميعاً: الماضون المتقدمون من الأمم. ﴿وَمَثَلًا﴾: عبرة. ﴿لِلَّذِينَ﴾: لمن يجىء بعدهم، قال المفسرون: سلفاً لكفار هذه الأمة

إلى النار.

﴿وَلَمَّا ضُرِبَ أَبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا﴾ : فى خلقه من غير أب . فشبهه بآدم من غير أب ولا أم . ﴿إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ : يقولون ما يريد محمد منا إلا أن نعبده ونتخذة إلهًا كما عبدت النصرى عيسى . قاله قتادة .

وقال ابن عباس : أراد به مناظرة عبد الله بن الزبيرى مع النبى ﷺ وشأن عيسى (عليه السلام) ، وقد ذكرناها فى الأنبياء (عليهم السلام) واختلف القراء فى قوله : ﴿يَصِدُّونَ﴾ فقرأ أهل المدينة والشام وجماعة من الكوفيين بضم الصاد ، وهى قراءة على والنخعى ومعناه يعرضون ، ونظيره قوله : ﴿رَأَيْتَ الْمُنْتَفِقِينَ يَصِدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾ (النساء: ٦١) .

وقرأ الباقون بكسر الصاد ، وهى اختيار أبى عبيد وأبى حاتم واختلفوا فى معناه ، فقال الكسائى : هما لغتان مثل يعرشون ويعرشون ، ويعكفون ويعكفون ، ودرت الشاة تدر وتدر ، وشذ عليه يشذ ويشذ ، وتم الحديث ينمه وينمه ، وقال ابن عباس : معناه يضجون . سعيد بن المسيب : يصيحون ضحاك : يعجون . قتادة : يجزعون ويضحكون ، وقال القرظى : يضجرون .

وقال الفراء : حدثنى أبو بكر بن عياش أن عاصمًا قرأ يصدون من قراءة أبى عبد الرحمن ، وقرأ يصدون ، وفى حديث آخر أن ابن عباس لقى أخى عبيد بن عمير ، فقال : إن عمك لعربى ، فما له يلحن فى قوله سبحانه وتعالى : ﴿إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ ؟ .

﴿وَقَالُوا أَلَهْتْنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ﴾ : يعنون محمدًا ﷺ فنعبد إلهه ونطيعه ونترك آلهتنا ، هذا قول قتادة ، وقال السدى وابن زيد : أم هو يعنون عيسى (عليه السلام) ، قالوا : يزعم محمد أن كل ما عبد من دون الله فى النار ، فنحن نرضى أن تكون آلهتنا مع عزيز وعيسى والملائكة فى النار .

قال الله تعالى : ﴿مَا ضَرَبُوهُ﴾ : يعنى هذا المثل . ﴿لَكَ إِلَّا جَدَلًا﴾ : خصومة بالباطل . ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ : أخبرنا أبو بكر عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن على الجمشاذى الفقيه ، بقراءة على ، حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان بن مالك القطيعى ، حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل . حدثنى أبى ، حدثنا عبد الله بن نمير الكوفى ، حدثنا حجاج بن دينار الواسطى ، أخبرنا ابن فنجويه ، حدثنا هارون بن محمد بن هارون ، حدثنا السرى ، حدثنا أبو النصر ، حدثنا عنيسة بن عبد الواحد القريشى ، عن الحجاج بن دينار ، عن أبى غالب ، عن أبى أمامة ، قال : قال رسول الله ﷺ : «ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه ، إلا أوتوا الجدل ، ثم قرأ : ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾» .

﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ : يعنى آية أو عبرة وعظة لبني إسرائيل. ﴿وَلَوْ تَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ﴾ : لأهلكناكم وجعلنا بدلاً منكم. ﴿مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ﴾ : يعنى يكونون خلفاً منكم فيعمرون الأرض ويعبدوننى ويطيعوننى.

﴿وَإِنَّهُ﴾ : يعنى عيسى (عليه السلام). ﴿لَعَلَّ السَّاعَةَ﴾ : بنزوله يعلم قيام الساعة ويستدل على ذهاب الدنيا وإقبال الآخرة.

أخبرنا ابن فنجويه، حدثنا طلحة بن محمد وعبيد الله بن أحمد، قالوا : حدثنا أبو بشر بن مجاهد، حدثنا فضل بن الحسن، حدثنا عبيد الله بن معاذ، حدثنا أبى، عن عمران بن جرير قال سمعت أبا نضرة يقرأ ﴿وَإِنَّهُ لَعَلَّ السَّاعَةَ﴾ ، قال : هو عيسى، وبإسناده عن ابن مجاهد، حدثنى عبد الله بن عمر بن سعد، حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبى الشوارب، حدثنا خالد ابن الحارث، حدثنا أبو مكى، عن عكرمة ﴿وَإِنَّهُ لَعَلَّ السَّاعَةَ﴾ ، قال : ذلك عيسى (عليه السلام).

وقرأ ابن عباس وأبو هريرة وقتادة ومالك بن دينار والضحاك ﴿وَإِنَّهُ لَعَلَّ السَّاعَةَ﴾ : بفتح السين واللام، أى أمانة وعلامة، وفى الحديث : ينزل عيسى ابن مريم على ثنية بالأرض المقدسة، يقال لها : أفيق، بين مُمصرتين وشعر رأسه دهين وبيده حربة يقتل بها الدجال. فيأتى بيت المقدس والناس فى صلاة العصر، والإمام يؤم بهم فيتأخر الإمام، فيتقدمه عيسى ويصلى خلفه على شريعة محمد ﷺ، ثم يقتل الخنزير، ويكسر الصليب، ويخرب البيع والكنائس، ويقتل النصارى. إلا من آمن به.

وقال قوم : الهاء فى قوله ﴿وَإِنَّهُ﴾ : كناية عن القرآن، ومعنى الآية وإنَّ القرآن لعلمٌ للسَّاعة يعلمكم قيامها ويخبركم بأحوالها وأحوالها، وإليه ذهب الحسن.

﴿فَلَا تَمْتَرَنَّ بِهَا﴾ : فلا تشكَّنَّ بها أى فيها. ﴿وَاتَّبِعُونَ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ ولا يصدنَّكم : ولا يصرفنكم ﴿الشَّيْطَانُ﴾ : عن دين الله. ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ ولَمَّا جَاءَ عِيسَى : بنى إسرائيل. ﴿بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ﴾ : بالنبوة. ﴿وَلَا يُبَيِّنُ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ : من أحكام التوراة.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ : إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ﴾ : اليهود والنصارى. ﴿مِنْ بَيْنِهِمْ قَوْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ : كفروا وأشركوا كما فى سورة مريم. ﴿مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الِأَلْمِ﴾ هل يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿الْأَحْزَاءُ﴾ : على المعصية فى الدنيا. ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يوم القيامة. ﴿بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ المتحابين فى الله على طاعة الله.

أخبرنا عقيل بن محمد أن أبا الهرج البغدادي القاضي أخبرهم، عن محمد بن جرير، حدثنا ابن عبد الأعلى، حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، عن أبي إسحاق، أن علياً رضي الله عنه قال في هذه الآية: خليلان مؤمنان وخليلان كافران، فمات أحد المؤمنين، فقال: يا رب إن فلاناً كان يأمرني بطاعتك وطاعة رسولك، ويأمرني بالخير، وينهاني عن الشر، ويخبرني أتى ملائكتك. يا رب فلا تضلّه بعدى واهده، كما هديتني، وأكرمه كما أكرمتني.

وإذا مات خليله المؤمن جمع بينهما، فيقول: ليشي أحدكما على صاحبه. فيقول: يا رب إنه كان يأمرني بطاعتك وطاعة رسولك، ويأمرني بالخير وينهاني عن الشر، ويخبرني أتى ملائكتك، فيقول: نعم الأخ، ونعم الخليل، ونعم الصاحب. قال: ويموت أحد الكافرين، فيقول: إن فلاناً كان ينهاني عن طاعتك وطاعة رسولك، ويأمرني بالشر، وينهاني عن الخير ويخبرني أتى غير ملائكتك. فيقول: بئس الأخ، وبئس الخليل، وبئس الصاحب.



﴿يَعْبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِعَائِنَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿١﴾ أَدْخَلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٢﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣﴾ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤﴾ لَكُمْ فِيهَا فَلَاحٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٦﴾ لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْسُونَ ﴿٧﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴿٨﴾ وَنَادَوْا يَمْلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَنكِثُونَ ﴿٩﴾ لَقَدْ جِئْتَكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَادِرُونَ ﴿١٠﴾ أَمْ أَمْرُؤٌ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرَمُونَ ﴿١١﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿١٢﴾

﴿يَعْبَادِ﴾: أي فيقال لهم يا عبادي. ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾: أخبرنا عقيل بن محمد، أخبرنا المعافي بن زكريا، أخبرنا محمد بن جرير. أخبرنا ابن عبد الأعلى، حدثنا المعتمر عن أبيه، قال: سمعت أن الناس حتى يبعثون ليس منهم أحد إلا فزع، فينادي مناد:

﴿يَعْبَادٍ لَا خَوْفَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ فيرجوها الناس كلهم . قال : فيتبعها . ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِيَأْتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ : فينكس أهل الأديان رؤوسهم غير المسلمين .  
﴿أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ﴾ : تسرون وتنعمون . ﴿يَطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ﴾ :  
بقصاع واحدها صفحة .

﴿مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾ : أباريق مستديرة الرؤوس ليست لها آذان ولا خراطم ، واحدها كوب . قال الأعشى :

صريفية طيب طعمها لها زيد بين كوب ودن

أخبرنا أبو عبد الله بن فنجويه ، حدثنا أبو بكر بن مالك القطيعي ، حدثنا عبد الله بن أحمد ابن حنبل ، حدثني أبي ، حدثنا حسن بن موسى ، حدثنا السكوني عبد الحميد بن عبد العزيز ، حدثنا الأشعث الضير ، عن شهر بن حوشب ، عن أبي هريرة . قال : قال رسول الله ﷺ : «إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن له سبع درجات هو على السادسة وفوق السابعة ، وإن له ثلاثمائة خادم ، ويغدى ويراح عليه كل يوم ثلاثمائة صحيفة» ، ولا أعلمه إلا قال : «من ذهب في كل صحيفة لون ليس في الأخرى ، وإنه ليلذ أوله كما يلذ آخره ، ومن الأشربة ثلاثمائة إناء ، في كل إناء لون ليس في الأخرى ، وإنه ليلذ أوله كما يلذ آخره ، وإنه ليقول يا رب لو أذنتي لأطعمت أهل الجنة ، وسقيتهم لا ينقص مما عندي شيء إن له من الحور العين لاثنتين وسبعين زوجة ، سوى زوجته في الدنيا ، وإن الواحدة منهن ليأخذ مقعدها قدر ميل من الأرض» .

أخبرنا أبو عبد الله بن فنجويه الدينوري ، حدثنا ابن حبش المقرئ ، حدثنا ابن زنجويه ، حدثنا سلمة ، حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن إسماعيل بن أبي سعيد أن عكرمة أخبره رسول الله ﷺ قال : «إن أدنى أهل الجنة منزلة وأسفلهم درجة ، رجل لا يدخل الجنة بعده أحد ، يفتح له بصره مسيره مائة عام في قصور من ذهب وخيام من لؤلؤ ليس منها موضع شبر ، إلا معمور يغدى عليه ويراح سبعين ألف صحيفة من ذهب ، ليس منها صحيفة إلا وفيها لون ليس في الأخرى مثله» .

«شهوته في آخرها كشهوته في أولها ، لو نزل به جميع أهل الدنيا لوسع عليهم مما أعطى لا ينقص ذلك مما أوتى شيئاً» .

﴿وَفِيهَا﴾ : في الجنة . ﴿مَا تَشْتَهِيهِ<sup>(١)</sup> الْأَنْفُسُ﴾ : قرأ أهل المدينة والشام وحفص عن عاصم

(١) في المخطوط : تشتهى ، ورسمت ما في المصحف المطبوع برواية حفص عن عاصم ولاحظ قول المؤلف مع تغيير ما غيرت .

﴿شَتَّيْهِ﴾ : بالهاء وكذلك هي في مصاحفهم .

﴿وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ : أخبرنا عقيل بن محمد، أخبرنا المعافى بن زكريا، أخبرنا محمد بن جرير، حدثنا ابن يسار، حدثنا عبد الرحمن، حدثنا سفيان، عن علقمة بن مرثد، عن ابن سابط، أن رجلاً قال: يا رسول الله إنى أحب الخيل، فهل فى الجنة خيل؟ . فقال: «إن يدخلك الله الجنة فإن<sup>(١)</sup> تشاء أن تركب فرساً من ياقوتة حمراء تطير بك فى أى الجنة شئت، إلا ركبت» .

فقال أعرابى: يا رسول الله إنى أحب الإبل، فهل فى الجنة إبل؟ . فقال: «يا أعرابى إن يدخلك الله الجنة إن شاء الله . كان لك فيها ما اشتهدت نفسك ولذت عينك»<sup>(٢)</sup> .

وبه عن ابن جرير، حدثنا الحسن بن عرفة، حدثنا عمر بن عبد الرحمن الأياد، عن محمد ابن سعد الأنصارى، عن أبى ظبية السلمى، قال: إنَّ السرب من أهل الجنة لتظلمهم السحابة، فتقول: ما أمطركم؟ . فما يدعوا داع من القوم بشىء إلا مطرتهم، حتى إنَّ القائل منهم ليقول: أمطرتنا كواعب أتراباً .

وبه عن ابن جرير، حدثنا موسى بن عبد الرحمن، حدثنا زيد بن الحبان بن الرِّيان، أخبرنا معاوية بن صالح، حدثنى سليمان بن عامر، قال: سمعت أبا أمامة يقول: إنَّ الرجل من أهل الجنة ليشتهى الطائر وهو يطير، فيقع منفلقاً نضيجاً فى كفه، فيأكل منه حتى تنتهى نفسه، ثم يطير، ويشتهى الشراب فيقع الإبريق فى يده فيشرب منه ما يريد ثم يرجع إلى<sup>(٣)</sup> مكانه .

﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٠﴾ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٠١﴾﴾ . أخبرنا أبو عبد الله بن فنجويه، حدثنا عبد الله بن يوسف بن أحمد بن مالك، حدثنا محمد بن إبراهيم ابن زياد الطيالسى الرازى، حدثنا محمد بن حسان الأزرق، حدثنا ريحان بن سعيد، حدثنا عباد بن منصور، عن أيوب، عن أبى قلابة، عن أبى أسماء الرحبى، عن ثوبان، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لا ينزع رجل من أهل الجنة من ثمرها إلا أعيد فى مكانها مثلاًها» .

﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٠٢﴾ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١٠٣﴾ لَا يَفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿١٠٤﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمْ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٥﴾ وَنَادَوْا يَمَلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ﴿١٠٦﴾: ليمتنا ربك فنستريح، فيجيبهم مالك بعد ألف سنة: ﴿قَالَ إِنَّكُمْ مَّا كُنْتُمْ ﴿١٠٧﴾﴾ مقيمون فى العذاب .

(١) فى الهامش: «فلا» .

(٢) فى الهامش: «عينك» .

(٣) فى المخطوط: «إلا» وهو تحريف .

أخبرنا ابن فنجويه الدينوري، حدثنا ابن حبش المقرئ، حدثنا ابن الفضل، حدثنا جعفر ابن محمد الدنقاي الضبي، حدثنا عاصم بن يوسف اليربوعي، حدثنا قطبة بن عبد العزيز السعدي، عن الأعمش، عن شمر بن عطية، عن شهر بن حوشب، عن أم الدرداء، عن أبي الدرداء، قال: قال رسول الله ﷺ: «يلقى على أهل النار الجوع حتى يعدل ما هم فيه من العذاب، فيستغيثون فيغاثون بطعام من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع، فيستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام ذي غصة فيذكرون أنهم كانوا يجيزون الغصص في الدنيا بالشراب فيستغيثون بالشراب فيدفع إليهم الحميم بكلاليب الحديد فإذا دنت من وجوههم شوت وجوههم فإذا دخلت بطونهم قطعت ما في بطونهم، فيقولون ادعوا خزنة جهنم، فيقولون ألم تك تأتكم رسلكم بالبينات؟ قالوا: بلى، قالوا: فادعوا وما دعاء الكافرين إلا في ضلال، قال: فيقولون ادعوا مالكا، فيدعون: يا مالك ليقض علينا ربك، فيجيبهم إنكم ماكثون!»  
قال: فقال الأعمش: أنبت أن بين دعائهم وبين إجابته إياهم ألف عام.

أخبرنا ابن فنجويه، حدثنا هارون بن محمد بن هارون، حدثنا محمد بن عبد العزيز، حدثنا القاسم بن يونس الهاللي، حدثنا قطبة بن عبد العزيز يعني السعدي، عن الأعمش، عن شمر بن عطية، عن شهر بن حوشب، عن أم الدرداء، عن أبي الدرداء، عن النبي ﷺ: «ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك». باللام.

﴿لَقَدْ جِئْتَكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ : أم أرموا : أحكموا. ﴿أَمْ أَرَأَيْتُمْ﴾ : في المكر برسول الله ﷺ. ﴿فَأَنَّا مُبْرَأُونَ﴾ : محكمون.  
﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سُرُورَهُمْ وَنَجْوَاهُمْ تَلِي﴾ : نسمع ونعقل. ﴿وَرُسُلَنَا آتَيْنَهُم بِكُتُوبٍ﴾ : يعني الحفظة.



﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وِلْدَةٌ فَمَاذَا آوَلُوا الْعَبِيدِينَ﴾ ﴿سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ ﴿فَذَرَهُمْ يَخْضَوْا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يَأْتِيَ الْيَوْمَهُمُ الَّذِي ي وَعَدُونَ﴾ ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ ﴿وَبَارِكْ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ



اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ لَهُ يَرْبِّ إِنَّا هَنَاءٌ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَصْفَحَ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ  
فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٤٥﴾

﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِيدِ﴾ : يعنى ﴿إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ﴾ : فى قولكم  
ويزعمكم ، فأنا أول الموحدين المؤمنين بالله فى تكذيبكم والجاحدين لما قلمت من أن له ولداً .  
قاله مجاهد .

وقال ابن عباس : يعنى ما كان للرحمن ولد وأنا أول الشاهدين له بذلك والعابدين له ،  
جعل بمعنى النفى والجحد ، يعنى ما كان وما ينبغى له ولد . ثم ابتداء : ﴿فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِيدِ﴾ ،  
وقال السدى : معناه ، قل : ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا﴾ أول من عبده بأن له ولد ، ولكن لا  
ولد له ، وقال قوم من أهل المعانى : معناه ، قل : ﴿إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ﴾ الآنفين من  
عبادته .

ويحتمل أن يكون معناه ما كان للرحمن ولداً . ثم قال : فأنا أول العابدین الآنفين من هذا  
القول المنكرين أن له ولداً . يقال عبد إذا أنف وغضب عبداً . قال الشاعر :

ألا هويت أم الوليد وأصبحت      لما أبصرت فى الرأس منى تعبد

وقال آخر :

متى ما يشاء ذو الود يصرم خليله      ويعبد عليه لا محالة ظالما

أخبرنا عقيل بن محمد إجازة ، أخبرنا أبو الفرج ، أخبرنا محمد بن جرير ، حدثني يونس ،  
أخبرنا ابن وهب ، حدثنا ابن أبي ذئب محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة ، عن ابن قسط ، عن  
نعجة بن بدر الجهني أن امرأة منهم دخلت على زوجها - وهو رجل منهم أيضاً - فولدت فى ستة  
أشهر فذكر ذلك زوجها لعثمان بن عفان رضى الله عنه وأمر بها ترجم<sup>(١)</sup> ، فدخل عليه على بن  
أبى طالب رضى الله عنه فقال : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ فِي كِتَابِهِ : ﴿وَحَمَلُهُ وَوَصَلُّهُ تَلَثُّونَ شَهْرًا﴾  
(الأحقاف : ١٥) وقال : ﴿وَفَصَّلُهُ فِي تَامِينَ﴾ (لقمان : ١٤) قال : فولله ما عبد عثمان رضى الله عنه  
أن بعث إليها ترد : قال عبد الله بن وهب : ما استنكف ولا أنف .

﴿سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصْنُونَ﴾ : يكذبون . ﴿فَدَرَّهْمٌ يَخْضُوا﴾ : فى  
باطلهم . ﴿وَيَلْعَبُوا﴾ : فى دنياهم . ﴿حَتَّى يَلْتَقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ وهو الذى فى السماء إله وفى  
الأرض إله : يعنى يعبد فى السماء ويعبد فى الأرض . ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾ : فى تدبير خلقه .

(١) فى المتن : « فرجمت » . والتصويب من الهامش .

﴿الْعَلِيمُ﴾ : بصلاحتهم .

﴿وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ<sup>(١)</sup> مِنْ دُونِهِ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ ؛ اختلف العلماء فى معنى هذه الآية . فقال قوم : ﴿مِنْ﴾ فى محل نصب وأراد بـ ﴿الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ : عيسى وعزير والملائكة ، ومعنى الآية : ولا يملك عيسى وعزير والملائكة ﴿الشَّفَعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ﴾ : فأمن على علم وبصيرة ، وقال آخرون : ﴿مِنْ﴾ فى وضع رفع والذين يدعون الأوثان والمعبودين من دون الله . يقول : ولا يملك المعبودون من دون الله ﴿الشَّفَعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ﴾ : وهم عيسى وعزير والملائكة يشهدون بالحق .

﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ : حقيقة ما شهدوا . ﴿وَلَبِنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لِيَقُولَنَّ اللَّهُ فَإِنِّي يُؤَفِّكُونَ﴾ : عن عبادته . ﴿وَقِيلِهِ﴾ : يعنى قول محمد ﷺ شاكياً إلى ربه . ﴿يَدْرَبُ إِنَّ هُنَّ لَأُمَّ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ .  
واختلف القراء فى قوله : ﴿وَقِيلِهِ﴾ ، فقرأ عاصم وحمزة ﴿وَقِيلِهِ﴾ : بكسر اللام على معنى ﴿وَقِيلِهِ﴾ : وعلم قيله ، وقرأ الأعرج بالرفع ، أى وعنده قيله ، وقرأ الباقون بالنصب وله وجهان : أحدهما : إننا لا نسمع سرهم ونجواهم ونسمع قيله والثانى : وقال : ﴿وَقِيلِهِ﴾ .  
﴿فَأَصْفَحَ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلِّمْ﴾ : نسختها آية القتال<sup>(٢)</sup> ، ثم هددهم .  
﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ : بالتاء أهل المدينة والشام وحفص ، واختاره أيوب وأبو عبيد ، الباقون بالياء .



(١) جاء بالهامش : «قرأ حمزة والكسائي بالتاء» .

(٢) ذهب القائلون بالنسخ أن آية القتال نسخت مائة وأربع وعشرين آية من القرآن هذه منها وعارضهم فى ذلك القائلون بعدم جواز ذلك القول .

## سُورَةُ الدُّخَانِ

مَكِّيَّةٌ، وَهِيَ تِسْعٌ وَخَمْسُونَ آيَةً،  
وِثْلَاثُمِائَةٌ وَسِتُّ وَأَرْبَعُونَ كَلِمَةً، وَأَلْفٌ وَأَرْبَعُمِائَةٌ وَوَاحِدٌ وَثَمَانُونَ حَرْفًا

أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ سَفِيَانَ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ ابْنُ يَزِيدَ، حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ حَبَابٍ، (ح) (١) وَأَخْبَرَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ فَنَجَوِيهِ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ يَحْيَى، حَدَّثَنَا أَبُو عَيْسَى بْنُ عَلِيٍّ الْحَتَلِي، حَدَّثَنَا أَبُو هَاشِمٍ الرَّفَاعِيُّ، حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ الْحَبَابِ، حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي السَّرِيِّ عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، عَنْ أَبِي سَلْمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الدُّخَانِ فِي لَيْلَةٍ أَصْبَحَ يَسْتَغْفِرُ لَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلِكٍ».

أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ، حَدَّثَنَا السَّرَاجُ، حَدَّثَنَا أَبُو يَحْيَى، حَدَّثَنَا كَثِيرُ بْنُ هِشَامٍ، عَنْ هِشَامِ بْنِ الْمَقْدَامِ، عَنِ الْحَسَنِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَرَأَ حَمَّ التِّي يَذُكُرُ فِيهَا الدُّخَانَ فِي لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ، أَصْبَحَ مَغْفُورًا لَهُ».

أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدِ الطَّبْرَانِيِّ بِهَا، حَدَّثَنَا أَبُو عَلِيٍّ الرَّقَاءُ، أَخْبَرَنَا أَبُو مَنْصُورٍ سَلِيمَانَ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ الْفَضْلِ، حَدَّثَنَا طَالُوتُ بْنُ عَبَادٍ، حَدَّثَنَا فَضَالُ بْنُ كَثِيرٍ حَيٌّ، قَالَ: أَتَيْتُ أَبَا أُمَامَةَ، فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ قَرَأَ حَمَّ الدُّخَانِ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ - يَوْمَ الْجُمُعَةِ - بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ».

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿حَمْرٌ ﴿١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَّكَةٍ ﴿٣﴾ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٤﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٥﴾ أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٦﴾ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٧﴾ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٨﴾ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ

(١) زيادة حديشية يتطلبها سياق الإسناد.

رَبِّكُمْ وَرَبِّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ ﴿١٠﴾ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿١١﴾ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٣﴾ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٤﴾ أَلَيْسَ لَهُمُ الذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلِّمٌ مِّثْلُ نَحْنٍ ﴿١٦﴾ إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٨﴾

﴿حمر﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١٠﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبْرَكَةٍ ﴿١١﴾ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿١٢﴾ : قال قتادة وابن زيد: هي ليلة القدر، أنزل الله تعالى القرآن في ليلة القدر من أم الكتاب إلى السماء الدنيا، ثم أنزله على نبيه ﷺ في الليالي والأيام، وقال الآخرون: هي ليلة النصف من شعبان.

أخبرنا الحسين بن محمد فنجويه، حدثنا عمر بن أحمد بن القاسم، حدثنا إبراهيم المستملى الهستجاني، حدثنا أبو حصين بن يحيى بن سليمان، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا أبو بكر بن أبي سيرة، عن إبراهيم بن محمد، عن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، عن أبيه، عن علي بن أبي طالب «رضى الله عنه» قال: قال النبي ﷺ: «إذا كان ليلة النصف من شعبان، قوموا ليلتها وصوموا يومها، فإن الله تعالى ينزل لغروب الشمس إلى سماء الدنيا فيقول: ألا مستغفر فأغفر له، ألا مسترزق فأرزقه، ألا مبتلى فأعافيه، ألا كذا، ألا كذا، حتى يطلع الفجر»، ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾.

﴿فِيهَا يُفْرَقُ﴾: يفصل. ﴿كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٌ﴾: محكم. قال الحسن ومجاهد وقتادة: يبرم في ليلة القدر من شهر رمضان كل أجل وعمل وخلق ورزق، وما يكون في تلك السنة، وقال أبو عبد الرحمن السلمى، يدبر أمر السنة في ليلة القدر، وقال هلال بن نساف: كان يقال: انتظروا القضاء في شهر رمضان.

وقال عكرمة: في ليلة النصف من شعبان، يُبرم فيه أمر السنة، وينسخ الأحياء من الأموات، ويكتب الحاج، فلا يزداد فيهم أحد، ولا ينقص منهم أحد.

يدل عليه ما أخبرنا عقيل بن محمد، أخبرنا أبو الفرج القاضى، أخبرنا محمد بن جبير، حدثني عبيد بن آدم بن أبي إياس، حدثني أبي، حدثنا الليث، عن عقيل بن خالد، عن ابن شهاب، عن عثمان بن محمد بن المغيرة الأخنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «تقطع الآجال من شعبان إلى شعبان. حتى إن الرجل لينكح ويولد له، وقد خرج اسمه في الموتى».

﴿أَمْرًا﴾: أى أنزلنا أمراً. ﴿مَنْ عِنْدَنَا﴾: من لدنا، وقال الفراء: نصب على معنى نفرق كل

أمر فرق وأمرًا. ﴿إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾: محمد ﷺ إلى عبادنا. ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾: وقيل: أنزلناه رحمة، وقيل: أرسلناه رحمة، وقيل: الرحمة.

﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا: كسر أهل الكوفة (باءه) رداً على قوله من ربك، ورفعهُ الآخرون رداً على قوله: ﴿هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ وإن شئت على الابتداء. ﴿إِن كُنْتُمْ مُّوقِنِينَ﴾: إن الله ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾: فأيقنوا أن محمداً رسوله، وأن القرآن تنزيله. ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿فَارْتَبُّبْ﴾: فانتظر. ﴿يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾.

اختلفوا في هذا الدخان، ما هو، ومتى هو، فروى الأعمش <sup>(١)</sup> مسلم بن صبيح، عن مسروق، قال: كنا عند عبد الله بن مسعود جلوساً، وهو مضطجع بيننا، فأتاه رجل، فقال: يا أبا عبد الرحمن، إن قاصاً عند أبواب كندة، يقص ويقول في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ إنه دخان يأتي يوم القيامة، فيأخذ بأنفاس الكفار والمنافقين وأسماعهم وأبصارهم، ويأخذ المؤمنين منه شبه الزكام، فقام عبد الله وجلس، وهو غضبان، فقال: يا أيها الناس اتقوا الله، من علم شيئاً فليقل ما يعلم، ومن لا يعلم، فليقل الله أعلم، فإن الله تعالى، قال لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ (ص: ٨٦) وسأحدثكم عن ذلك: إن قريشاً لما أبطأت عن الإسلام، واستعصت على رسول الله ﷺ دعا عليهم، فقال: «اللهم سبع سنين كسنى يوسف». فأصابهم من الجهد والجوع ما أكلوا الجيف والعظام والميتة والجلود، وجعلوا يرفعون أبصارهم إلى السماء فلا يرون إلا الدخان من ظلمة أبصارهم من شدة الجوع، فأتاه أبو سفيان بن حرب، فقال: يا محمد إنك حيث تأمر بالطاعة وصلة الرحم، وإن قومك قد هلكوا فادع الله لهم فإنهم لك مطيعون.

فقال الله تعالى فقالوا:

﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾: فدعا فكشف عنهم، فقال الله تعالى: ﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾ إلى كفركم. ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾: فعادوا فانتقم الله منهم يوم بدر، فهذه خمس قد مضين: الدخان، واللزام، والبطشة، والقمر، والروم.

وقال الآخرون: بل هو دخان يجيء قبل قيام الساعة، فيدخل في أسمع الكفار والمنافقين، حتى تكون كالرأس الحنيد، ويعتري المؤمن منهم كهيئة الزكام، وتكون الأرض

(١) كتب فوق هذا الحرف في المخطوط: «عن».

كلها كبيت أوقد فيه وليس فيه خصاص .

قالوا: ولم يأت بعد، وهو آت وهذا قول ابن عباس وابن عمير والحسن وزيد بن علي، يدل عليه ما أنبأني عقيل بن محمد، أخبرنا المعافى بن زكريا، أخبرنا محمد بن جرير، حدثنا عصام بن داود الجراح، حدثنا أبي، حدثنا سفيان بن سعيد، حدثنا منصور بن المعتمر عن ربيع بن حراش، قال: سمعت حذيفة بن اليمان يقول، قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ الْآيَاتِ الدُّخَانَ وَنَزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَنَارَ تَخْرُجُ مِنْ قَعْرِ عَدْنِ أَبِيْنَ تَسْوِقُ النَّاسَ إِلَى الْمُحْشَرِ تَقِيلُ مَعَهُمْ إِذَا قَالُوا» .

قال حذيفة: يا رسول الله ما الدخان؟ فتلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: يملاً ما بين المشرق والمغرب يمكث أربعين يوماً وليلة. أما المؤمن فيصيبه منه كهيئة الزكام، وأما الكافر كمنزلة السكران يخرج من منخره وأذنيه ودبره. وبه عن ابن جرير، حدثنا يعقوب، حدثنا ابن عليه، عن ابن جريج، عن عبد الله بن أبي مليكة، قال: غدوت على ابن عباس ذات يوم، فقال: ما نمت الليلة حتى أصبحت. قلت: لم؟ قال: قالوا: طلع الكوكب ذو الذنب فخشيت أن يكون الدخان قد طرق فما نمت حتى أصبحت.

﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ أُنِيَ لَهُمُ الذِّكْرَى﴾: من أين لهم للتذكير والاعتاظ بعد نزول البلاء وحلول العذاب. ﴿وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ﴾: محمد ﷺ. ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ﴾: يعلمه بشر. ﴿مَجْنُونٌ﴾ إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾: إلى كفركم، وقال قتادة: عائدون في عذاب الله.

﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى﴾: وهو يوم بدر. ﴿إِنَّا مُنْتَقِمُونَ﴾: هذا قول أكثر العلماء، وقال الحسن: هو يوم القيامة.

وروى، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: قال ابن مسعود: ﴿الْكُبْرَى﴾ يوم بدر وأنا أقول هي يوم القيامة.



﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ أَنْ أَدُّوا إِلَىٰ عِبَادِ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَنِ مُبِينٍ﴾ وَإِنِّي عَدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ﴾ وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَأَعْتَزِلُونِ﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنْ هَوَّلَاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ﴾ فَأَسْرِ

بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبِعُونَ ﴿١﴾ وَأَتْرَكَ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّعْرِفُونَ ﴿٢﴾ كَمْ تَرَكُوا مِنْ  
جَنَّتٍ وَعَيْونِ ﴿٣﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٤﴾ وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَسْكِينَ ﴿٥﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا  
قَوْمًا آخِرِينَ ﴿٦﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴿٧﴾ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي  
إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿٨﴾ مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ أَخْتَرْنَاهُمْ  
عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ وَءَاتَيْنَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُبِينٌ ﴿١١﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ  
لَيَقُولُونَ ﴿١٢﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿١٣﴾ فَأَتُوا بِبَنَاتِنَا إِنْ كُنْتُمْ  
صَادِقِينَ ﴿١٤﴾ أَمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبْعَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿١٥﴾

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ : على الله وهو موسى بن عمران (عليه السلام)، وقيل : شريف وسيط<sup>(١)</sup> في قومه . ﴿أَنْ أَدُّوْا﴾ : أن ادفعوا . ﴿إِلَىٰ عِبَادِ اللَّهِ﴾ : يعني بنى إسرائيل فلا يعذبهم . ﴿إِنِّي لَكُرْسُولُ آمِينٌ﴾ : على الوحي .

﴿وَأَنْ لَا تَعْلُوا﴾ : تطغوا وتبغوا . ﴿عَلَى اللَّهِ﴾ : فتعصوه وتخالفوا أمره . ﴿إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطٰنٍ مُّبِينٍ﴾ : برهان مبين فتوعده بالقتل . فقال : ﴿وَلِإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ﴾ يقتلون ، وقال قتادة : ترجمون بالحجارة . ابن عباس : يشتمون ويقولون هو ساحر . ﴿وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا إِلَىٰ فَعَزَّوْا﴾ : فخلوا سبيلي غير مرجوم باللسان ولا باليد .

﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنْ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ﴾ : مشركون ، فقال سبحانه : ﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِي﴾ : بنى إسرائيل . ﴿لَيْلًا إِنَّكُمْ مُّتَّبِعُونَ﴾ : يتبعكم فرعون وقومه .

﴿وَأَتْرَكَ الْبَحْرَ رَهْوًا﴾ : إذا قطعته أنت وأصحابك رهوًا ساكنًا على حالته وهيئته التي كان عليها حين دخلته . ﴿إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّعْرِفُونَ﴾ .

واختلفت عبارات المفسرين عن معنى الرهو فروى الوالبي عن ابن عباس رهوًا ، قال : سمّا<sup>(٢)</sup> . وروى العوفي عنه : هو أن يترك كما كان . وقال كعب : طريقًا . وقال ربيع : سهلاً . وقال الضحاك : دمتًا . وقال عكرمة : يابسًا . وقال ابن زيد : جزرًا ، وقيل جدًاذاً . وقال قتادة : طريقًا يابسًا ، وأصل الرهو في كلام العرب السكون . قال الشاعر :

(١) في المتن : «بسيط» . والتصويب من الهامش .

(٢) في هامش المخطوط : سعيًا .

كأنما أهل حجر ينظرون متى  
 طيراً رأت بازياً نضح الدماء به  
 يرونى خارجاً طيراً ساديد<sup>(١)</sup>  
 وأمه خرجت رهواً إلى عيد  
 يعنى عليها سكون.

﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۖ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ ۖ مَجْلِسٍ ۖ كَرِيمٍ﴾ شريف وإنما سماه كريماً لأنه مجلس الملوك، قاله مجاهد وسعيد بن جبير، وقالوا: هي المنابر، وقال قتادة: الكريم الحسن. ﴿وَنِعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَكَيْفَ﴾ : ناعمين فاكهين أشربين بطرين معجبين. ﴿كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ : بنى إسرائيل نظيره قوله: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ﴾ (الأعراف: ١٣٧) الآية. ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾ : وذلك أن المؤمن إذا مات بكت عليه السماء والأرض أربعين صباحاً، وقال عطاء: في هذه الآية بكاءها حمرة أطرافها، وقال السدي: لما قتل الحسين بن علي «رضى الله عنهما» بكت عليه السماء، وبكاؤها حمرتها.

حدثنا خالد بن خدّاش، عن حماد بن زيد، عن هشام، عن محمد بن سيرين. قال: أخبرونا أن الحمرة التي مع الشفق لم تكن، حتى قتل الحسين رضي الله عنه<sup>(٢)</sup>. أخبرنا ابن بكر الخوارزمي، حدثنا أبو العياض الدعولي، حدثنا أبو بكر بن أبي خثيمة، وبه عن أبي خثيمة، حدثنا أبو سلمة، حدثنا حماد بن سلمة، أخبرنا سليم القاضي، قال: مطرنا دماً أيام قتل الحسين.

أخبرنا أبو عبد الله بن فنجويه، حدثنا أبو علي المقرئ، حدثنا أبو بكر الموصلي، حدثنا أحمد بن إسحاق البصري، حدثنا مكى بن إبراهيم، حدثنا موسى بن عبيدة الرمذني، أخبرني يزيد الرقاشي، عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ أنه قال: «ما من عبد إلا له في السماء بابان: باب يخرج منه رزقه، وباب يدخل منه عمله وكلامه، فإذا مات فقداه وبكى عليه وتلا هذه الآية: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾»، وذلك أنهم لم يكونوا يعملون على الأرض عملاً صالحاً تبكى عليهم، ولم يصعد إلى السماء من كلامهم ولا من عملهم كلام طيب ولا عمل صالح فتفقدتهم فتبكى.

أخبرنا عقيل بن محمد: أن المعافى بن زكريا أخبره، عن محمد بن جرير، حدثنا يحيى بن طلحة، حدثنا عيسى بن يونس، عن صفوان بن عمر، عن شريح بن عبيد الحضرمي: قال

(١) في الهامش: «طبر تباذيد».

(٢) هذا قول لا يصح ولا يجب الاعتداد به ولا أظن أن رجلاً مثل ابن سيرين يقول أو ينقل مثل هذا القول إنما هو افتراء عليه رحمتنا الله وإياه، وكذا مثله ما بعده.



رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا، أَلَا لَا غَرِيبَةَ عَلَى مُؤْمِنٍ، مَا مَاتَ مُؤْمِنٌ فِي غَرِيبَةٍ غَابَتْ عَنْهُ فِيهَا بَوَاكِيهِ، إِلَّا بَكَتَ عَلَيْهِ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ». ثم قرأ رسول الله عليه السلام: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾ ، ثم قال: «إِنَهُمَا لَا تَبْكِيَانِ عَلَى الْكَافِرِ».

﴿وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾ ولقد حَجَّنا بِحَيِّ إِسْرَاءِ يَلٍ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ : قتل الأبناء واستحياء النساء .  
 ﴿مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ ولقد أَخْتَرْتَهُمْ : يعنى مؤمنى بنى إسرائيل .

﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ : مثلاً لهم . ﴿عَلَىٰ الْعَالَمِينَ﴾ : يعنى عالمى زمانهم ﴿وَأَتَيْنَهُم مِّنَ آيَاتِنَا مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ﴾ : قال قتادة : نعمة بينة حين فلق لهم البحر وظلل عليهم الغمام وأنزل عليهم المن والسلوى .

وقال ابن زيد : ابتلاهم بالرخاء والشدة ، وقرأ : ﴿وَتَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ (الأنبياء: ٣٥) .

﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ﴾ : يعنى مشركى مكة . ﴿لَيَقُولُنَّ﴾ إن هى إِلَّا مَوْتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ﴾ : بمبعوثين بعد موتنا . ﴿فَأَتُوا بِآبَائِنَا﴾ : الذين ماتوا . ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ : إنا نُبعث أحياء بعد الموت .

﴿أَهْرَ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُتَّبَعُ﴾ : قال قتادة : هو تبع الحميرى ، وكان سار بالجيوش حتى حير الحيرة ، وبنى سمرقند ، وكان إذا كتب ، كتب باسم الذى يملك براً وبحراً وضحاً وريحاً .  
 وذكر لنا أن كعباً يقول : ذم الله قومه ولم يذمه ، وكانت عائشة «رضى الله عنها» تقول : لا تسبوا تبعاً فإنه كان رجلاً صالحاً ، وقال سعيد بن جبير : هو الذى كسا البيت .

أخبرنا أبو عبد الله بن فنجويه ، حدثنا أبو بكر بن محمد القطيعى ، حدثنا عبد الله بن أحمد ابن حنبل ، حدثنا أبى ، حدثنا حسن بن موسى ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا أبو زرعة عمرو بن جابر ، عن سهل بن سعد ، قال : سمعت النبى عليه السلام يقول : «لا تسبوا تبعاً ، فإنه قد كان أسلم» .

أخبرنا ابن فنجويه الدينورى ، حدثنا عبيد الله بن محمد بن شنبه ، حدثنا محمد بن على سالم الهمداني ، حدثنا أبو الأزهر أحمد بن الأزهر النيسابورى ، حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن ابن أبى ذيب ، عن المقبرى ، عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : «ما أدرى تبع نبياً كان أم غير نبي» .

﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ : من الأمم الخالية الكافرة .

﴿أَهْلَكَ نَارُهُمْ إِنْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَعِينًا ﴿١﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾ إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقْوِمِ ﴿٦﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٧﴾ كَأَلْمَهْلِ يُغَلَى فِي الْبُطُونِ ﴿٨﴾ كَغَلِي الْحَمِيمِ ﴿٩﴾ خَذُوهُ فَأَعْتَلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿١٠﴾ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿١١﴾ ذُوقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿١٢﴾ إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ ﴿١٣﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿١٤﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿١٦﴾ كَذَلِكَ وَرَوَّجْتُهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿١٧﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَلَكَهٍءٍ آمِنِينَ ﴿١٨﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَّهْمَ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿١٩﴾ فَضَلًّا مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٢٠﴾ فَأَنَّمَا يُسِرَّتْهُ لِبِلْسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ فَأَرْقَبْ إِنَّمِمْ مُرْتَقِبُونَ ﴿٢٢﴾﴾

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَعِينًا ﴿١﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا ﴿٤﴾ : لا يدفع ابن عم عن ابن عمه ولا صديق عن صديقه .

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَعِينًا ﴿١﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا ﴿٤﴾ : فقال بعضهم : محله رفع بدلاً من الاسم المضمرة في ينصرون ، وإن شئت جعلته ابتداء وأضمرت خبره ، يريد : ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ﴾ : فغنى عنه ونشفع له ، وإن شئت جعلته نصباً على الاستثناء والانقطاع ، عن أول الكلام يريد اللهم ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ﴾ .

﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾ إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقْوِمِ ﴿٦﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٧﴾ : الفاجر وهو أبو جهل بن هشام . أنبأني عقيل بن حمد ، أخبرنا المعافى بن زكريا ، أخبرنا محمد بن جرير ، حدثني أبو السائب ، حدثني أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن همام بن الحارث ، قال : كان أبو الدرداء يقرئ رجلاً ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقْوِمِ ﴿٦﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٧﴾ : فجعل الرجل يقول : طعام اليتيم ، فلما أكثر عليه أبو الدرداء فرآه لا يفهم . قال : قل إن شجرت الزقوم طعام الفاجر .

﴿كَأَلْمَهْلِ يُغَلَى فِي الْبُطُونِ ﴿٨﴾ كَغَلِي الْحَمِيمِ ﴿٩﴾ : بالياء ابن كثير وحفص ، ورؤيس جعل الفعل غيرهم بالتاء لتأنيث

﴿فِي الْبُطُونِ كَغَلِيِّ الْحَمِيمِ خُذُوهُ﴾: يعنى الأثيم. ﴿فَأَعْتَلُوهُ﴾: فأدخلوه وادفعوه وسوقوه إلى النار. يقال: عتله يعتله عتلاً إذا ساقه بالعنف والدفع والجذب. قال الفرزدق:  
ليس الكرام بناحليك أباهم حتى تردّ إلى عطية تُعتل  
أى ساق دفعاً وسحباً، وفيه لغتان: كسر التاء، وهى قراءة أبى جعفر وأبى مرو وأهل الكوفة، وضمها وهى قراءة الباقي.

﴿إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ﴾: وهو الماء الذى قال الله تعالى: ﴿يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ (الحج: ١٩) ثم يقال له: ﴿ذُقْ﴾: هذا العذاب. ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ﴾: فى قومك. ﴿الْكَرِيمُ﴾: بزعمك، وذلك أن أبا جهل. قال: ما بين جبلية رجل أعز ولا أكرم منى. فيقول له الحزنة هذا على طريق الاستخفاف والتحقيق.

وقراءة العامة إنك بكسر الألف على الابتداء، وقرأ الكسائي بالنصب على معنى لأنك. ﴿إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ﴾: تشكون ولا تؤمنون به فقد لقيتموه فذوقوه. ﴿إِنَّ الْمُتَمْتِرِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾: قرأ أهل المدينة والشام بضم (الميم) من المقام على المصدر أى فى إقامة، وقرأ غيرهم بالفتح أى فى مكان كريم.

﴿فِي جَنَّتٍ وَعَيْونٌ يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ﴾: وهو ما رقّ من الديباج. ﴿وَإِسْتَبْرَقٍ﴾: وهو ما غلظ منه معرب. ﴿مُتَمْتِلِينَ﴾ كذالك: وكما أكرمناهم بالجنان والعيون واللباس كذلك أكرمناهم بأن ﴿وَرَوَّجْتَهُمْ بَحُورِ عَيْنٍ﴾: وهى النساء النقيات البيضاء، قال مجاهد: يحار فيهن الطرف من بياضهن وصفاء لونهن، بادية سوقهن من وراء ثيابهن، ويرى الناظر وجهه فى كبد إحداهن كالمرأة من رقة الجلد وصفاء اللون.

ودليل هذا التأويل أنها فى حرف ابن مسعود (بعيس عين) وهى البيض ومنه قيل للإبل البيض عيس، وواحد بعير أعييس، وناقاة عيساء، وقيل: الحور الشديديات بياض الأعين، الشديديات سوادها، واحدها أحور، والعين جمع العينا، وهى العظيمة العينين.

أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن محمد بن عبد الله الطبرى الحاجى، حدثنا أبو على الحسن بن إسماعيل بن خلف الخياط، حدثنا أبو بكر محمد بن الحسين بن الفرّج، حدثنا محمد بن عبيد ابن عبد الملك، حدثنا محمد بن يعلى أبو على الكوفى، حدثنا عمر بن صبيح، عن مقاتل بن حيان، عن الأعرج، عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «مهور الحور العين قبضات التمر ولفلح الخبز».

أخبرنا الحسين بن محمد بن فنجويه، حدثنا محمد بن عمر بن إسحاق، عن حبش، حدثنا

عبد الله بن سليمان بن الأشعث ، حدثنا أيوب بن علي - يعني الصباحي - حدثنا زياد بن سيار - مولى لى - عن عزة بنت أبي قرصافة ، عن أبيها قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إخراج القمامة من المسجد مهور الحور العين» .

﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فُلْكَهٍ﴾ : اشتوها . ﴿ءَامِنِينَ﴾ : من نفاذا وعدهما فى بعض الأزمنة ومن غائلتها ومضرتّها ، وقال قتادة : ﴿ءَامِنِينَ﴾ من الموت والأوصاب والشيطان .  
 ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾ : يعنى سوى ﴿إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾ : وبعدها وضع ﴿إِلَّا﴾ : موضع بعد كقوله : ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ (النساء: ٢٢) .  
 يعنى بعدما قد فعل آباؤكم وسواه ، وهذا كما يقول فى الكلام : ما ذقت اليوم طعاماً سوى ما أكلته أمس .

﴿وَوَقَّهْمُ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ : فُضلاً مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿فَأِنَّمَا يَسْتَرْزَنُ﴾ : سهلناه ، كناية عن غير مذكور .  
 ﴿بِلِسَانِكَ لَعَنَهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ : فَارْتَقِبْ ﴿فَانْتَظِرِ الْفَتْحَ وَالنَّصْرَ مِنْ رَبِّكَ﴾ : ﴿إِنَّهُمْ مُرْتَبِئُونَ﴾ : بزعمهم قهرك .



## سُورَةُ الْجَاثِيَةِ

مكية، وهي سبع وثلاثون آية، وأربعمائة وثمان وثمانون كلمة،  
وألفان ومائة وواحد وتسعون حرفاً

أخبرنا أبو الحسن محمد بن القاسم الفقيه، أخبرنا أبو عمرو محمد بن جعفر العدل، حدثنا إبراهيم بن شريك بن الفضل، حدثنا أحمد بن عبد الله بن يونس، حدثنا سلام بن سليم، حدثنا هارون بن كثير، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن أبي أمامة، عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ حم الجاثية ستر الله عورته وسكن روعته عند الحساب».

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿حَمَّ﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ وَأَخْتَلَفِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٥﴾ وَيَلُّ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٦﴾ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يَصِرُ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشْرَهُ بِعَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٨﴾ مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ ﴿٩﴾ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ هَذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزِ أَلِيمٍ ﴿١١﴾ ﴿١٢﴾ اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٤﴾ قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا

بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٠٠﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٠١﴾  
 وَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ  
 عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَعَآتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا  
 بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٠٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ  
 الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٤﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ  
 الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴿١٠٥﴾ هَذَا بَصَّيْرُ الْإِنسَانِ ۖ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ  
 يُوقِنُونَ ﴿١٠٦﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا  
 الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٠٧﴾

﴿حَمْرٌ﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٩﴾  
 وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ ﴿١١٠﴾ .

قرأ حمزة والكسائي ويعقوب بكسر التاء من آيات وكذلك التي بعدها رداً على قوله:  
 ﴿لَآيَاتٍ﴾ : وقرأ الباقون برفعها على خبر حرف الصفة .

﴿لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ : وَأَخْلَفَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ ﴿١١١﴾ : يعنى الغيث سماه رزقا  
 لأنه سبب أرزاق العباد وأقواتهم ﴿فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ﴾ آيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١١٢﴾  
 تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فِيمَا نَحْدِيثُ بَعْدَ اللَّهِ ﴿١١٣﴾ . أى بعد حديث الله وكلامه .  
 ﴿وَأَيَاتِنَا﴾ : وحججه ودليله . ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ : قرأ أهل الكوفة بالتاء ، واختلف فيه عن عاصم  
 ويعقوب عنهم بالياء .

﴿وَيَلِّ لِكُلِّ أَفَّاكٍ﴾ : كذاب . ﴿أُتِمِرَ﴾ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تَتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا  
 فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١١٤﴾ وَإِذَا عَلِمَ ﴿١١٥﴾ يعنى قوله ﴿مِنَ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ :  
 نزلت فى أبى جهل وأصحابه . ﴿مِنَ وَرَائِهِمْ﴾ : أمامهم . ﴿جَهَنَّمَ﴾ : نظيره فى سورة إبراهيم  
 (عليه السلام) . ﴿وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا﴾ : من الأموال . ﴿شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ  
 أَوْلِيَاءَ﴾ : يعنى الأوثان .

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ هَذَا : القرآن . ﴿هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا رَبَّهُمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ  
 أَلِيمٌ﴾ : من عذاب موجه .

﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ لَتَجْرِيَ فِيهِ أَنْهَارٌ مِنْ قَبْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١﴾  
وَسَخَّرَ لَكُمْ مَاءً فِي السَّمَوَاتِ وَمَاءً فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ ﴿٢﴾﴾ : فلا تجعلوا لله أندادًا .

أخبرنا ابن فنجويه الدينوري ، حدثنا طلحة وعبد الله ، قالوا : حدثنا ابن مجاهد ، حدثني ابن أبي مهران ، حدثني أحمد بن يزيد ، حدثنا شباب<sup>(١)</sup> ، عن أبي ثميلة ، عن عبد العزيز بن علي القريشي ، حدثنا محمد بن عبد الله بن أيوب الثقفي ، عن عثمان بن بشير ، قال : سمعت ابن عباس يقرأ : ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَاءً فِي السَّمَوَاتِ وَمَاءً فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ ﴿٢﴾﴾ : مفتوحة (الميم) ، مرفوعة (النون) ، وبه رواية ، عن ابن عمر ، قال سمعت مسلمة يقرأ : ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَاءً فِي السَّمَوَاتِ وَمَاءً فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ ﴿٢﴾﴾ مفتوحة (الميم) مرفوعة (النون) وهي مشددة ، (والهاء) مضمومة .

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ ﴿٤﴾ : أى لا يخافون وقائع الله ولا يبالون نقمه ، قال ابن عباس ومقاتل : نزلت فى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وذلك أن رجلاً من بنى غفار كان يشتمه فهم عمر أن يبطش به ، فأنزل الله تعالى هذه الآية ، وأمره بالعفو .

أخبرنا الحسين بن محمد بن عبد الله ، حدثنا موسى بن محمد بن علي بن عبد الله ، حدثنا الحسن بن علويه ، حدثنا إسماعيل بن عيسى العطار ، حدثنا محمد بن زياد الشكري ، عن ميمون بن مهران ، عن ابن عباس ، قال : لما نزلت هذه الآية : ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يقرضُ الله قرضًا حسنًا﴾ (البقرة: ٢٤٥) . قال يهودى بالمدينة يقال له فنحاص : احتاج رب محمد .

قال : فلما سمع بذلك عمر بن الخطاب اشتمل على سيفه وخرج فى طلبه . فجاء جبريل إلى محمد ﷺ ، فقال : إن ربك يقول : ﴿قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ ﴿٤﴾﴾ ، واعلم أن عمر بن الخطاب قد اشتمل على سيفه وخرج فى طلب اليهودى . فبعث النبي ﷺ فى طلبه ، فلما جاءه ، قال : «يا عمر خرج سيفك؟» . قال : صدقت يا رسول الله ، أشهد أنك أرسلت بالحق ، قال : «فإن ربك يقول : ﴿قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ ﴿٤﴾﴾» . قال : لا جرم والذي بعثك بالحق لا يرى الغضب فى وجهى .

قال القرظى والسدى : نزلت فى ناس من أصحاب رسول الله ﷺ من أهل مكة كانوا فى أذى شديد من المشركين ، قبل أن يؤمروا بالقتال فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ وأنزل الله تعالى هذه الآية ثم نسختها آية القتال<sup>(٢)</sup> .

(١) فى المتن : «سيار» والتصويب من الهامش .

(٢) اختلف العلماء فى هذه المسألة .

﴿لِيَجْزِيَ قَوْمًا﴾: بفتح الياءين وكسر الزاي، وقرأ أبو جعفر بضم الياء الأولى وجزم الثانية، قال أبو عمرو: وهو لحن ظاهر، وقال الكسائي: وهذه ليجري الجزاء قومًا، وقرأ الباقون بفتح الياءين على وجه الخبر عن الله تعالى، واختاره أبو عبيدة وأبو حاتم لذكر الله تعالى قبل ذلك.

﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ مَن عَمِلَ صَدَقًا فَلِنَفْسِهِ وَمَن أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ﴿١٠١﴾: الحلالات، يعنى المن والسلوى. ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ وَأَاتَيْنَاهُمْ يَتْنَتِ مِنَ الْأَمْرِ ﴿١٠٢﴾: يعنى أحكام التوراة.

﴿فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ نِعْمًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ ﴿١٠٣﴾: سنة وطريقة. ﴿فَمَنِ الْأَمْرِ﴾: من الدين.

﴿فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾: يعنى مُراد الكافرين الجاهلين، وذلك حين دُعى إلى دين أبائه.

﴿إِنَّمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾: إن اتبعت أهواءهم. ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ هَذَا ﴿١٠٤﴾: يعنى هذا القرآن. ﴿بَصَّيْرُ﴾: معالم. ﴿لِلنَّاسِ﴾: فى الحدود والأحكام يبصرون بها.

﴿وَهُدَىٰ وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا ﴿١٠٥﴾: اكتسبوا. ﴿السَّيِّئَاتِ﴾: يعنى الكفر والمعاصى.

﴿أَنْ تَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءٌ﴾: قرأ أهل الكوفة نصبًا واختاره أبو عبيدة، وقال: معناه نجعلهم سواء، وقرأ الآخرون بالرفع على الابتداء والخبر، واختاره أبو حاتم، وقرأ الأعمش (ومما هم) بنصب التاء على الظرف، أى فى ﴿مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾: بئس ما يقضون، قال المفسرون: معناه المؤمن فى الدنيا والآخرة مؤمن، والكافر فى الدنيا والآخرة كافر. نزلت هذه الآية فى نفر من مشركى مكة قالوا للمؤمنين: لئن كان ما تقولون حقًا لفضلنا عليكم فى الآخرة، كما فضلنا عليكم فى الدنيا.

أخبرنا ابن فنجويه، حدثنا عبيد الله بن محمد بن شنبه، حدثنا جعفر بن محمد الفرمانى، حدثنا محمد بن الحسين البلخى، حدثنا عبد الله بن المبارك، أخبرنا شعبة، عن عمرو بن مرة، عن أبى الضحى، عن مسروق، قال: قال لى رجل من أهل مكة: هذا مقام أخيك تميم الدارى، لقد رأيت ذات ليلة، حتى أصبح أو كاد أن يصبح يقرأ آية من كتاب الله، ويركع، ويسجد، ويبكى ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ﴾ . . . الآية.



أخبرنا أبو عبد الله بن فنجويه ، حدثنا أبو بكر بن مالك القطيعي ، حدثنا عبد الله بن أحمد ابن حنبل ، حدثني أبو هشام زياد بن أيوب ، حدثنا علي بن يزيد ، حدثنا عبد الرحمن بن عجلان ، عن بشير عن أبي طعمة<sup>(١)</sup> ، قال : بتّ عند الربيع بن خيثم ذات ليلة ، فقام يصلي فمر بهذه الآية : ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ﴾ فمكث ليله حتى أصبح ما يجوز هذه الآية إلى غيرها ، يبكاء شديداً ، وقال إبراهيم بن الأشعث : كثيراً ما رأيت الفضيل بن عياض ، يردد من أول الليلة إلى آخرها هذه الآية ونظائرها ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ﴾ : ثم يقول : يا فضيل ليت شعري من أي الفريقين أنت .



﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِيُجْزِيَ كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ عِشْوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ وَإِذَا تُنْتَلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتَّبُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وَاللَّهُ مَلِكٌ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُوسِّدُ يُخَسِّرُ السُّبُلُونَ﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَائِئَةٍ كُلِّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنْ كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَاتِي تُنْتَلَىٰ عَلَيْكُمْ فَلَا تُسْتَكْبِرُونَ وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نُنظَرُ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾ وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتٍ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهٖ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسِفُكُمْ كَمَا

(١) في الهامش : بشير بن أبي طعمة .

نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن تَلْوِينٍ ﴿١٠﴾ ذَلِكُمْ بِأَنَّكُمْ أَتَّخَذْتُمْ  
 آيَاتِ اللَّهِ هُزُوعًا وَغَرَّبْتُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿١١﴾ فَلِلَّهِ  
 الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢﴾ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ  
 وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٣﴾

﴿وَوَخَّلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِيُجْزِيَ كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ أفرءيت من  
 اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ﴿١٤﴾.

قال ابن عباس والحسين وقتادة: ذلك الكافر اتخذ دينه ما يهواه، فلا يهوى شيئاً إلا ركه،  
 إنّه لا يؤمن بالله ولا يخافه ولا يحرم ما حرم الله ولا يحل ما أحل الله، إنّما دينه ما هويت نفسه  
 يعمل به ولا يحجزه عن ذلك تقوى.

وقال آخرون: معناه أفرأيت من اتخذ معبوده هواه، فيعبد ما يهوى.

قال سعيد بن جبير: كانت قريش تعبد العزى - وهو حجر أبيض - حيناً من الدهر، وكانت  
 العرب تعبد الحجاره والذهب والفضة، فإذا وجدوا شيئاً أحسن من الأول رموه أو كسروه أو  
 ألقوه في بئر، وعبدوا الآخر، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقال مقاتل: نزلت في الحارث بن قيس التميمي أحد المستهترين، وذلك أنّه كان يعبد ما  
 تهواه نفسه.

أخبرنا ابن فنجويه، حدثنا طلحة وعبيد الله، قالوا: حدثنا ابن مجاهد، حدثني ابن أبي  
 بهرام<sup>(١)</sup>، حدثنا محمد بن يحيى بن أبي عمر، قال: قال سفيان بن عيينة: إنّما عبدوا الحجاره  
 لأنّ البيت حجاره.

وقال الحسين بن الفضل: في هذه الآية تقديم وتأخير مجازها: أفرأيت من اتخذ هواه إلهه.  
 أخبرنا ابن فنجويه، حدثنا عبيد الله بن محمد بن شنبه، حدثنا محمد بن عمران بن  
 هارون، حدثنا أبو عبيد الله الخزومي، حدثنا سفيان بن عيينة، عن ابن شبرمة، عن الشعبي،  
 قال: إنّما سمى الهوى لأنّه يهوى بصاحبه في النار.

وبه عن سفيان، عن سليمان الأحول، عن طاوس، عن ابن عباس، قال: ما ذكر الله عز  
 وجل هوى في القرآن إلاّ ذمه.

(١) في المخطوط بالهامش: «مهران».

فروى أبو أمامة عن النبي ﷺ أنه قال: «ما عبد تحت السماء إله أبغض إلى الله من هوى». وقال ﷺ: «ثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه». وروى ضمرة بن حبيب، عن شداد بن أوس أن النبي ﷺ قال: «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والفاجر من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله». وقال مضر القاضى: لنحت الجبال بالأظافر حتى تتقطع الأوصال، أهون من مخالفة الهوى إذا تمكّن فى النفوس.

وسئل ابن المقفع عن الهوى، فقال: هوانٌ سرقت نونه، فنظمه الشاعر:

نون الهوان من الهوى مسروقة      فإذا هويت فقد لقيت هوانا  
وقال الآخر:

إنّ الهوى لهو الهوان بعينه      فإذا هويت فقد كسبت هوانا  
وإذا هويت فقد تعبدك الهوى      فاخضع لحبك كائناً ما<sup>(١)</sup> كانا

أنشدنا أبو القاسم الحبيبي، أنشدنا أبو حاتم محمد بن حبان<sup>(٢)</sup> البستي، قال: ولم أر أكمل منه. قال: وأنشدنا محمد بن على الحلارى لعبد الله المبرك:

ومن البلاء للبلاء علامة      أن لا يرى لك عن هواك نزوع  
العبد عبد النفس فى شهواتها      والحر يشبع تارة ويجوع

وأنشدنا أبو القاسم الحسن بن محمد الحبيبي، أنشدنا أبو الحسن عيسى بن زيد العقيلي، أنشدنا أبو المثنى معاذ بن المثنى العنبري، عن أبيه لأبي العتاهية:

فاعص هوى النفس ولا ترضها      إنك إن أسخطتها زانكا  
حتى متى تطلب مرضاتها      وإنّها تطلب عدوانكا

وأنشدنا أبو القاسم الحبيبي، أنشدنا أبو عبيد الطوسى:

والنفس إن أعطيتها مناها      فاغرة نحو هواها فاهها

وسمعت أبا القاسم يقول: سمعت أبا نصر بن منصور بن عبد الله الأصبهاني بهراة يقول: سمعت أبا الحسن عمرو بن واصل البحتري يقول: سئل سهل بن عبد الله التستري عن الهوى؛ فقال للسائل: هواك يأمرك فإن خالفته فرط بك، وقال: إذا عرض لك أمران شككت فانظر أبعدهما من هواك فإنه خيرها.

(١) فى الهامش: «من» وهو الأصوب على الأرجح.

(٢) فى المتن: «محمد بن حسان» والتصويب من الهامش. قلت: وهو صاحب كتاب الأنساب.

وأنشدنا أبو القاسم الحبيبي ، أنشدنا الإمام أبو بكر محمد بن علي بن إسماعيل القفال المشاشي بمر و أنشدني أبو بكر الزيدى :

إذا طالتك النفس يوماً بشهوة      وكان إليها للخلاف طريق  
فدعها وخالف ما هويت فإنما      هواك عدوٌ والخلاف صديق

قوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾ : منه بعاقبة أمره . ﴿ وَخَتَمَ ﴾ : طبع . ﴿ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً ﴾ : قرأ حمزة والكسائي وخلف ﴿ غِشَاوَةً ﴾ : بفتح (الغين) من غير (ألف) والباقون ﴿ غِشَاوَةً ﴾ (بالألف) وكسر (الغين) .

﴿ فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ وَقَالُوا : يعنى المشركين . ﴿ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا ﴾ : يموت الآباء ويحيا الأبناء . ﴿ وَمَا يَهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ﴾ : وما يفيتنا إلا الزمان وطول العمر (١) وفى حرف عبد الله : وما يهلكنا الدهر يمر .  
﴿ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ .

أخبرنا الحسين بن فنجويه بقراءة أبي حدثنا أبو حذيفة أحمد بن محمد بن علي الدينورى ، حدثنا أبو عبيد (٢) بن علي بن الحسين بن حرب القاضى ، حدثنا أحمد بن المقدم العجلي ، حدثنا سفيان بن عيينة بن أبى عمران ، عن الزهرى ، عن سعيد ابن المسيب ، عن أبى هريرة عن النبى ﷺ ، قال : « كان أهل الجاهلية يقولون : إنما الليل والنهار هو الذى يهلكنا يميتنا ويحيينا » فقال الله تعالى فى كتابه : ﴿ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يَهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ﴾ فيسبون الدهر . فقال الله تعالى : يؤذنى ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدى الأمر أقلب الليل والنهار .

أخبرنا أبو سعيد محمد بن عبد الله بن حمدون بقراءة عليه فى صفر سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة فأقر به ، أخبرنا أبو حامد أحمد بن محمد بن الحسن ، حدثنا محمد بن يحيى وعبد الرحمن بن بشر وأحمد بن يوسف ، قالوا : حدثنا عبد الرزاق بن همام ، أخبرنا معمر بن راشد ، عن همام بن منبه بن كامل بن سيج ، قال : هذا ما حدثنا أبو هريرة ، عن محمد ﷺ ، قال : « قال الله تعالى : لا يقل ابن آدم يا خيبة الدهر فإنى أنا الدهر ، أرسل الليل والنهار ، فإذا شئت قبضتهما » .

(١) فى الهامش : « الدهر » .

(٢) فى المتن : « عبدة » وكتب فوقها فى المتن أيضاً عبيد . وأثبت ما اعتاد عليه المؤلف من قلب فى الإسناد .

أخبرنا أبو عبد الله بن فنجويه، أخبرنا عبيد الله بن عبد الله بن أبي سمرة، حدثنا عبد الملك ابن أحمد البغدادي، حدثنا محمد<sup>(١)</sup> بن خدّاش، حدثنا سفيان بن محمد الثوري، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله عليه السلام: «لا تسبوا الدهر فإن الله تعالى هو الدهر».

قال أبو عبيد القاسم بن سلام في تفسير هذا الحديث: إنّ هذا مما لا ينبغي لأحد من أهل الإسلام أن يجهل وجهه وذلك أن من شأن العرب أن يذموا الدهر عند المصائب والنوائب . . . اجتاحتهم الدهر وتخوفتهم الأيام وأتى عليهم الزمان وما أشبه ذلك حتى ذكروها في أشعارهم، ونسبوا الأحداث إليه.

قال عمرو بن قميئة:

رمتني بنات الدهر من حيث لا أرى	فكيف بمن يرمى وليس برام
فلو أنّها نبلٌ إذاً لاتقيتها	ولكنني أرمى بغير سهام
على راحتين مرة وعلى العصا	أنوء ثلاثاً بعدهن من قيامي

وروى أن الشعبي دخل على عبد الملك بن مروان وقد ضعف. فسأله عن حاله، فأنشده هذه الأبيات:

فاستأثر الدهر الغداة بهم	والدهر يرميني ولا أرمى
يا دهر قد أكثرت فجعتنا	بسرائنا ووقدت <sup>(٢)</sup> في العظم
وتركتنا لحم على وضم	لو كنت تستبقى من اللحم
وسلبتنا ما كان <sup>(٣)</sup> يعجبنا	يا دهر ما أنصفت في الحكم

وأنشدنا أبو القاسم السدوسي، أنشدنا عبد السميع بن محمد الهاشمي، أخبرنا أبو الحسن العبسي لابن لنكك في هذا المعنى:

قل لدهر عن المكارم عطل	يا قبيح الفعال جهم الحيا
كم كريم حططته من بقاع	ولئيم ألحقته بالثريا

قال أبو عبيدة: وناظرت<sup>(٤)</sup> بعض الملاحدة. فقال: ألا تراه يقول: فإن الله هو الدهر.

(١) في الهامش: «محمود».

(٢) في الهامش: «ووقرت».

(٣) في الهامش: «لست تعيننا».

(٤) كتب فوّه في المخطوط: «عبيد ناظرت».

فقلت له: وهل كان أحد يسب الله في أيام الدهر، بل كانوا يقولون كما قال الأعشى:

استأثر الله بالوفاء وبالعدل      وولى الملامة الرجلا

قال: فتأويل قوله ﷺ: «إن الله هو الدهر»، أن الله جل ذكره هو الذى يأتى بالدهر والشدائد والمصائب فإذا سببت الدهر وقع السب على الله تعالى لأنه فاعل هذه الأشياء وقاضيا ومدبرها.

وقال الحسين بن الفضل: مجازه: فإن الله هو مدهر الدهور.

وروى عن على بن رضى الله عنه فى خطبة له: مدهر الدهور، ومن عنده الميسور، ومن لدنه المعسور.

ودليل هذا التأويل ما أخبرنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن الحسن النيسابورى، حدثنا أبو الحسن محمد بن محمد بن الحسن الكارزى، حدثنا أبو عبد الله محمد بن القاسم الجمحى، حدثنا عسر بن أحمد، قال: بلغنى أن سالم بن عبد الله بن عمر كان كثيراً ما يذكر الدهر، فزجره أبوه عبد الله بن عمر، وقال له: يا بنى إياك وذكر الدهر، وأنشد:

فما الدهر بالجانى لشيء لحينه      ولا جالب البلوى فلا تشتم الدهرا

ولكن متى ما يبعث الله باعثاً      على معشر يجعل مياسيرهم عسراً

وأنشدنا أبو القاسم الحبيبي، أنشدنا الشيخ أبو محمد أحمد بن عبد الله المزنى، أنشدنا معاذ

ابن نجدة بن العريان:

دار الزمان على الأمور فإنه      إن لم تدار رماك بالإيلام<sup>(١)</sup>

وذر الزمان على الملام فإنما      يحكى الزمان مجارى الأقلام

يُشكى الزمان ويستزاد وإنما      بيد المليك منافذ الأحكام

وأنشدنا الأستاذ أبو القاسم، أنشدنى أبى، أنشدنى أبو على محمد بن عبد الوهاب

الثقفى:

يا عالماً يعجب من دهره      لا تلم الدهر على غدره

الدهر مأمور له أمر<sup>(٢)</sup>      يصرف الدهر إلى أمره

كم كافر أمواله جمعة      تزداد أضعافاً على كفره

ومؤمن ليس له درهم      يزداد إيماناً على فقره

(١) فى الهامش: «بالآلام».

(٢) فى الهامش: قد ينتهى الدهر إلى أمره.

﴿وَإِذَا تَنَالَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا نَيَّسَتْ مَا كَانُوا حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتَّبَعْنَا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٠﴾ قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿١١﴾: يعنى ليوم القيامة. ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٢﴾ وَ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْحَسِرُ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٣﴾ وَ تَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةً ﴿١٤﴾: مجتمعة مستوفرة على ركبها من هول ذلك اليوم، وأصل الجثوة الجماعة من كل شىء.

قال طرفة يصف قبرين:

ترى جثوتين من تراب عليهما صفائح صم من صفيح مصمد

أخبرنا ابن فنجويه، حدثنا عبد الله بن يوسف، حدثنا موسى بن محمد الحلوانى، حدثنا يعقوب بن إسحاق العلوى. حدثنا عبد الله بن يحيى الثقفى، حدثنا أبو عران، عن عاصم الأحول، عن ابن عثمان النهدي، عن سلمان الفارسى، قال: فى القيامة ساعة هى عشر سنين يكون الناس فيها جثاة على ركبهم حتى إبراهيم (عليه السلام) ليناى: «لا أسألك اليوم إلا نفسى».

﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا ﴿١٥﴾: الذى فيه أعمالها. ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ ﴿١٧﴾: فيه ديوان الحفظة وقيل اللوح المحفوظ.

أخبرنا ابن فنجويه، حدثنا عمر بن نوح البجلي حدثنا أبو خليفة، حدثنا عثمان بن عبد الله الشامى، حدثنا عقبة بن الوليد، عن أرطاة بن المنذر، عن مجاهد، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «أول شىء خلق الله القلم من نور مسيره خمسمائة عام، واللوح من نور مسيره خمسمائة عام، فقال للقلم: اجر فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة، بردها وحرها، ورطبها ويابسها، ثم قرأ هذه الآية: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ ﴿١٧﴾».

﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾: قال: وهل يكون النسخ إلا من كتاب قد فرغ منه، ومعنى نستنسخ نأمر بالنسخ، وقال الضحاك: ثبت. السدى: نكتب. الحسن: نحفظ.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ﴿١٩﴾: جنته ﴿ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿٢٠﴾: الظفر الظاهر. ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا ﴿٢١﴾ فيقال لهم: ﴿أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَاتِي تَنَالَىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَلْسِنَةٌ غَالِيَةٌ تَلْمِزُهُمْ عَلَىٰ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢٣﴾: قرأه العامة بالرفع على الابتداء وخبره فيما بعده ودليلهم قوله: ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤﴾ (الأعراف: ١٢٨).

قرأ أبو رجاء وحمزة: ﴿وَالسَّاعَةَ ﴿٢٥﴾: نصباً عطفاً بها على الوعد لا ريب فيها.

﴿قُلْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نُظِنُ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَقِينٍ﴾ : إِنَّهَا كَائِنَةٌ . ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا﴾ : أَى جَزَاؤِهَا . ﴿وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَلِكُمْ : نَتْرَكْكُمْ فِى النَّارِ .

﴿كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ : كَمَا تَرَكْتُمْ الْإِيمَانَ بِيَوْمِكُمْ هَذَا . ﴿وَمَا أَوْلَاكُمْ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ ذَالِكُمْ بِأَنَّكُمْ أَتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوعًا وَعَزَّيْتُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ . قرأه العامة بضم الياء ، وقرأ أهل الكوفة إلا عاصم بفتحها .

﴿مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ : يَسْتَرْضِضُونَ . ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ : قرأه العامة بكسر (الباء) فى ثلاثتها ، وقرأ ابن محيصن رفعاً على معنى هورب . ﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ .





## سُورَةُ الْأَحْقَافِ

مكّية ، وهى خمس وثلاثون آية وستمائة وأربع وأربعون كلمة . وألفان وخمسمائة وخمسة وتسعون حرفاً

أخبرنا أبو جعفر كامل بن أحمد المفيد ، أخبرنا أبو عمرو محمد بن جعفر بن محمد الحبرى ، حدثنا إبراهيم بن شريك الكوفى ، حدثنا أحمد بن عبد الله بن يونس ، حدثنا سلام ابن سليم ، حدثنا هارون بن كثير ، عن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن أبى أمانة الباهلى ، عن أبى بن كعب ، قال : قال رسول الله ﷺ : « من قرأ سورة الأحقاف أعطى من الأجر بعدد كل نمل فى الدنيا عشر حسنات ومحى عنه عشر سيئات ويرفع له عشر درجات » .

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿حمر﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُّعْرِضُونَ ﴿٢﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَتُنُونِ بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنِ دَعْوَاهُمْ غَافِلُونَ ﴿٤﴾ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٥﴾ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٧﴾

﴿حمر﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُّعْرِضُونَ ﴿٢﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَتُنُونِ بِكِتَابٍ مِنْ

عند الله جاءكم .

﴿مَنْ قَبِلَ هَذَا﴾ القرآن فيه بيان ما تقولون . ﴿أَوْ أَشْرَةَ مِنْ عِلْمٍ﴾ قرأه العامة بالألف واختلف العلماء فى تأويلها ، أخبرنا عبد الله بن حامد الوزان ، أخبرنا مكى بن عبدان ، حدثنا عبد الله ابن هاشم ، حدثنا يحيى بن سعيد ، عن صفوان بن سليم ، عن أبى سلمة ، عن ابن عباس وأظنه عن النبى ﷺ ﴿أَوْ أَشْرَةَ مِنْ عِلْمٍ﴾ قال : (الخط) ، وقال ميمون بن مهران وأبو سلمة بن عبد الرحمن وقتادة : خاصة من علم . الحسن : أثاره من علم يستخرجونه فيثير .

مجاهد : رواية تأثرونها عمّن كان قبلهم . عكرمة ومقاتل : رواية عن الأنبياء (عليهم السلام) .

محمد بن كعب القرظى : الإسناد وأصل الكلمة من الأثر وهى الرواية . يقال : نموت الحديث أثره ، أثراً وأثارة ، كالشجاعة ، والجلادة ، والصلابة ، فما أثروا ، ومنه قيل للخبر : أثر .

قال الأعشى :

إِنَّ الَّذِي فِيهِ تَمَارَيْتُمَا      بَيْنَ السَّمْعِ وَالْأَثْرِ

وقال الكلبي : بقية من علم . قال الأخفش : تقول العرب لهذه الناقة : أثاره من سمن ، أى

بقية . قال الراعى :

وَذَاتُ أَثَارَةٍ أَكَلَتْ عَلَيْهَا      بَنَاتًا فِي أَكْمَتِهَا قِصَارًا

وقرأ على بن أبى طالب رضى الله عنه ﴿أَوْ أَشْرَةَ﴾ بفتح (الألف) وسكون (الثاء) من غير (ألف) . وقرأ السلمى ﴿أَوْ أَشْرَةَ﴾ بفتح (الهمزة) و(الثاء) من غير (ألف) ، أى خاصة من علم أوتيموه وأوثرتم بها على غيركم . وقول عكرمة : أو ميراث من علم .

﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ وَمَنْ أَضَلُّ أَجْهَلُ . ﴿مَنْ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ﴾ يعنى الأوثان . ﴿عَنْ دُعَائِهِمْ غَفِلُونَ﴾ لا يسمعون ولا يفهمون . فأخرجها وهى جماد مخرج ذكور بنى آدم إذ كانت قد مثلتها عبدتها بالملوك والأمراء التى تخدم .

﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا إِلَهُهمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ جاحدين وعنهم متبرئين . بيانه قوله : ﴿كَمَا عَوَّيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾ (القصص : ٦٣) .

﴿وَإِذَا تَنَالَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيَّنَّتْ قَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنَّ عَذَابِي عَلَى افْتَرَائِي .

﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ﴾ تخوضون . ﴿فِيهِ كَفَى بِهِ شَهِيدًا لِنَبِيِّ وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْعَفْوَورُ الرَّحِيمُ﴾

﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَا مَنِ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفَعَّلُ بِي وَلَا يَكْمُرُ إِنِّ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَّرْتُ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَمَنْ وَاسْتَكْبَرُوا إِنْ أَنَّىٰ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِنْكُافٍ قَدِيرٌ ﴿٤٨﴾ وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانَا عَرَبِيًّا لِنُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَنُشِرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿٤٩﴾

﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَا مَنِ الرُّسُلِ﴾ بديعاً مثل نصف ونصف، من الرسل، لست بأول مرسل، فلم تنكروا نبوتى؟ هل أنا إلا كالأنبياء قبلى؟ وجمع البدع: أبداع، قال عدى بن زيد: فلا أنا بدعٌ من حوادث تعترى رجالاً عرت من بعد بؤسى وأسعدى ﴿وَمَا أَدْرِي مَا يُفَعَّلُ بِي وَلَا يَكْمُرُ﴾ اختلف العلماء فى معنى هذه الآية وحكمها، فقال بعضهم: معناها وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم يوم القيامة. فلما نزلت هذه الآية فرح المشركون فرحاً شديداً، وقالوا: واللوات والعزى ما أمرنا وأمر محمد ﷺ عند الله إلا واحداً، وما له علينا من مزية وفضل، ولولا أنه ابتدع ما يقوله من ذات نفسه لأخبره الذى بعثه بما يفعل به. فأنزل الله تعالى ﴿لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ (الفتح: ٢).

فبين له أمره ونسخت هذه الآية<sup>(١)</sup>، فقالت الصحابة: هنيئاً لك يا نبي الله، قد علمنا ما يفعل بك، فماذا يفعل بنا؟ فأنزل الله تعالى: ﴿لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ (الفتح: ٥) الآية. وأنزل ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُمْ مِنْ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾ (الأحزاب: ٤٧) فبين الله تعالى ما يفعل به وبهم. وهذا قول أنس وقتادة والحسن وعكرمة.

أخبرنى الحسين بن محمد بن الحسين الدينورى، حدثنا أحمد بن محمد بن إسحاق السنى، حدثنا إسماعيل بن داود، حدثنا هارون بن سعيد، حدثنا ابن وهب، أخبرنى يونس بن يزيد،

(١) قد تكلمنا قبل وكثيراً ما سأذكر بعد إن شاء الله أن أهل العلم قد اختلفوا فى مسألة النسخ والمنسوخ بين مؤيد ومعارض، وفى هذا الموضع ليس هناك نسخ ولا تعارض بين الآيات إنما الآية من سورة الأحقاف إنما تتكلم عن عدم معرفته بالغيب وما سيكون فيه من أمور يقدرها الله تعالى، وهو فى هذا ككل الرسل ولا يعلمون من هذا الباب شيئاً فليس هو فيه بدعاً أى محدثاً حتى يأتيهم بعلم ما لم يعلمه الله تعالى له كما لم يعلمه لغيره من الأنبياء وما قد استأثر الله تعالى بمعرفته وعلمه.

والآيات الأخرى التى ادعى بها النسخ إنما هى من الآيات المبشرات له ولأصحابه بالمغفرة والقبول والفضل الكبير من الله تعالى سائلين الله أن ينالنا من ذلك الفضل الكبير آمين.

عن أبي شهاب أنَّ خارجة بن زيد بن ثابت أخبره أنَّ أمَّ العلاء - امرأة من الأنصار قد بايعت رسول الله ﷺ - أخبرته أنَّهم اقتسموا والمهاجرين سكناهم قرعة .

قالت : فطار لنا عثمان بن مظعون فأنزلناه أبياتنا ، موضعه الذي توفي فيه ، فلما توفي غسل وكفن في أثوابه ، فدخل رسول الله ﷺ فقلت لعثمان بن مظعون : رحمة الله عليك أبا السائب ، لقد أكرمك الله ، فقال رسول الله : « وما يدريك أنَّ الله تعالى أكرمه » .

قالت : فقلت : بأبي أنت وأمي لا أدري . قال : « أما هو فقد جاءه اليقين وما رأينا إلا خيراً . فوالله إنني لأرجو له الجنة ، فوالله ما أدري - وأنا رسول الله - ماذا يفعل بي » . قالت : فوالله لا أزكي بعده أحداً .

قالوا : وإنما قال هذا حين لم يخبر بغفران ذنبه ، وإنما غفر الله له ذنبه في غزوة الحديبية قبل موته بستين وشيء ، وقال ابن عباس : لما اشتدَّ البلاء بأصحاب رسول الله ﷺ رأى رسول الله فيما يرى النائم وهو بمكة أرضاً ذات سباخ ونخل رُفعت له ، يهاجر إليها .

فقال له أصحابه وهم بمكة : إلى متى نكون في هذا البلاء الذي نحن فيه ؟ ومتى نهاجر إلى الأرض التي أريت . فسكت .

فأنزل الله تعالى : ﴿ وَمَا أَدْرِي مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ ﴾ أترك في مكاني أو أخرج إلى الأرض التي رفعت لي ، وقال بعضهم : معناها : ولا أدري ما يفعل بي ولا بكم ، إلى ماذا يصير أمرى وأمركم في الدنيا ؟

أنبأني عقيل بن محمد ، أخبرنا المعافى بن زكريا ، أخبرنا محمد بن جرير ، أخبرنا ابن حميد ، حدثنا يحيى بن واضح ، حدثنا أبو بكر الهذلي ، عن الحسن . في قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَدْرِي مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ ﴾ ، فقال : أما في الآخرة فمعاذ الله قد علم أنه في الجنة حين أخذ ميثاقه في الرسل ، ولكن قال : ﴿ وَمَا أَدْرِي مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ ﴾ في الدنيا ، أخرج كما أخرجت الأنبياء من قبلي ولا أدري ما يفعل بكم ، أمّتي المكذبة أم المصدّقة ، أم أمّتي المرمية بالحجارة من السماء قذفاً أم مخسوف بها خسفاً .

ثم أنزل الله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ (الفتح : ٢٨) . يقول : سيظهر دينكم على الأديان . ثم قال في أمّته : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (الأنفال : ٣٣) فأخبره الله تعالى ما يصنع به وبأمّته . وهذا قول السدي واليماني ، وقال الضحاك : ﴿ وَمَا أَدْرِي مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ ﴾ أى ما تؤمرون وما تنهون عنه .

﴿إِنْ أَنْجِ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ ﴿ قَالَ قَتَادَةُ وَالضَّحَّاكُ وَابْنُ زَيْدٍ: هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ شَهِدَ عَلَىٰ نُبُوَّةِ الْمُصْطَفَى ﷺ. ﴿فَقَامَنَّ وَاسْتَكْبَرَتْ﴾ الْيَهُودُ، فَلَمْ يُؤْمِنُوا.

أخبرنا عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد بن يحيى، أخبرنا عبدوس بن الحسين بن منصور، حدثنا محمد بن إدريس يعني الحنظلي، (ح) (١) وأخبرنا عبد الله بن حامد، حدثنا أبو جعفر محمد بن محمد بن عبد الله البغدادي، حدثنا إسماعيل بن محمد بن إسحاق، حدثنا عمر بن محمد بن عبد الله الأنصاري، حدثني حميد الطويل، عن أنس، قال: جاء عبد الله بن سلام إلى رسول الله ﷺ مقدمه المدينة، فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي، ما أول أشرط الساعة؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة؟ والولد ينزع إلى أبيه أو إلى أمه؟.

قال: «أخبرني جبريل بهنّ آنفاً» قال عبد الله: ذاك عدو اليهود من الملائكة.

قال: «أما أول أشرط الساعة فنار تحشرهم من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة مرارة كبد حوت، فأما الولد، فإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد، وإذا سبق ماء المرأة نزع الولد».

فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله. ثم قال: يا رسول الله إن اليهود قوم بهت، وإن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم عنّي بهتوا علىّ عندك، فجاءت اليهود فقال لهم النبي ﷺ: «أى رجل عبد الله فيكم؟» قالوا: خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا، وأعلمنا وابن أعلمنا. قال: «أرأيتم إن أسلم عبد الله» قالوا: أعاده الله من ذلك، فخرج إليهم عبد الله. فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله. قالوا: شرنا وابن شرنا. وانتقصوه، قال: هذا ما كنت أخاف يا رسول الله وأحذر.

ودليل هذا التأويل أنبأني عقيل بن محمد أن المعافى بن زكريا أخبرهم، عن محمد بن جرير، أخبرنا يونس، أخبرنا عبد الله بن يوسف السبكي قال: سمعت مالك بن أنس يحدث، عن أبي النضر، عن عامر بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه، قال: ما سمعت رسول الله ﷺ يقول لأحد يمشى على الأرض: إته من أهل الجنة، إلا لعبد الله بن سلام.

قال: وفيه نزلت ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ﴾.

وقال آخرون: هو موسى بن عمران (عليه السلام).

(١) زيادة حديثة يتطلبها السياق.

وروى الشعبي، عن مسروق في هذه الآية، قال والله ما نزلت في عبد الله بن سلام لأن ﴿حَمَّ﴾ نزلت بمكة، وإنما أسلم عبد الله بالمدينة، وإنما كانت حاجة من رسول الله لقومه، فأنزل الله تعالى هذه الآية ومثل القرآن التوراة، فشهد موسى على التوراة، ومحمد على القرآن، وكلاهما مُصَدِّقُ أحدهما الآخر، وقيل: هو ابن يامين.

وقيل: هو نبي من بنى إسرائيل ﴿فَأَمَّنَ وَاسْتَكْبَرُوا﴾ فلم يؤمنوا. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ لدينه وحبته، وقال أهل المعاني: هذه الآية محذوفة الجواب مجازها ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ﴾ من الحقّ متاً ومنكم، ومن المبطل؟

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من اليهود. ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْ كَانَ﴾ دين محمد ﴿خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾ يعني عبد الله بن سلام وأصحابه، قاله أكثر المفسرين، وقال قتادة: نزلت هذه الآية في ناس من مشركي قريش، قالوا: لو كان ما يدعوننا إليه محمد خيراً ما سبقنا إليه فلان، وفلان ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ (البقرة: ١٠٥).

وقال الكلبي: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني أسدًا وغطفان ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ يعني جهينة ومزينة. ﴿لَوْ كَانَ﴾ ما جاء به محمد ﴿خَيْرًا﴾ ما سبقنا إليه رعاء البهم ورجال الناس. قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ﴾ أي بالقرآن كما اهتدى به أهل الإيمان. ﴿فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِنْكُ قَدِيرٌ﴾ كما قالوا: أساطير الأولين. ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ﴾ أي ومن قبل القرآن. ﴿كِتَابَ مُوسَى إِمَامًا﴾ يؤتم به. ﴿وَرَحْمَةً﴾ لمن آمن وعمل به، ونصبا على الحال، عن الكسائي، وقال أبو عبيدة: فيه إضمار أي أنزلناه أو جعلناه إمامًا ورحمة. الأخصش على القطع لأن قوله: ﴿كِتَابَ مُوسَى﴾ معرفة بالإضافة، والنكرة إذا أعيدت وأضيفت أو أدخلت عليها الألف واللام، صارت معرفة.

﴿وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِمَا نَآءَ عَرَبِيًّا﴾ نصب على الحال، وقيل: أعنى لسانًا. وقيل: بلسان. ﴿لِيُنذِرَ﴾<sup>(١)</sup> (بالتاء) مدني وشامي ويعقوب وأيوب، واختاره أبو عبيد وأبو حاتم على خطاب النبي (عليه السلام)، وقرأ الباقون (بالياء) على الخبر عنه. وقيل: عن الكتاب.

﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أنفسهم بالكفر والمعصية. ﴿وَبَشِّرِ لِلْمُحْسِنِينَ﴾ وجهان من الإعراب: الرفع على العطف على الكتاب مجازه ﴿وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ﴾ وبشري، والنصب على معنى (لتنذر

(١) في المخطوط: «لتنذر» ورسمت ما في مصحف حفص عن عاصم المطبوع والمتداول فلاحظ التغيير الذي أحدثته حتى لا يعترض مع كلام المؤلف.

الذين ظلموا) أو تبشّر. فلما جعل مكان وتبشر وبشري أو وبشارة نصب كما يقال: أتيك لأزورك وكرامة لك، وقضاء حقك يعنى لأزورك وأكرمك وأقضى حقك، فنصبت الكرامة والقضاء بفعل مضمّر.



﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١﴾ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفَصَلُّهُ وَتَلْشُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي اتَّبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ نَقَبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَتَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَّ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أَفِ لَكُمْ مَا أَتَدَانِي أَنْ أَخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَعْجِلَانِ اللَّهَ وَبَلَغَ مِنْهُ إِمْنًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أَمْرٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿٦﴾ وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوفيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٨﴾ وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ إِلَّا آتَوْا عِبَادُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٩﴾ قَالُوا أَجِئْنَا لِنُفَكِّنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٠﴾ قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿١١﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُسْطَرًّا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٢﴾ تَدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿أَوْلَيْتِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جِزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا﴾<sup>(١)</sup> قرأ العامة: «حسناً» بدون ألف، وقرأ أهل الكوفة: (إحساناً) وهى قراءة ابن عباس.

﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا﴾ بكره ومشقة. ﴿وَوَضَعَتْهَا كُرْهًا وَحَمْلُهُ﴾ وفطامه، وقرأ الحسن ويعقوب: «وفصله» بغير ألف. ﴿ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ قال المفسرون: حمله ستة أشهر ورضاعه أربعة وعشرون شهراً.

وقال ابن إسحاق: حمله تسعة أشهر وفصاله من اللبن لأحد وعشرين شهراً.

﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ نهاية قوته وقامته وغاية شبابه واستوائه وهو ما بين ثمانى عشرة سنة إلى أربعين سنة، فذلك قوله تعالى: ﴿وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ قال السدى والضحاك: نزلت هذه الآية فى سعد بن أبى وقاص. وقد مضت القصة، وقال الآخرون: نزلت فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه وأبيه أبى قحافة عثمان بن عمرة، وأمه أم الخير بنت صخر بن عمرو بن عامر، فلما بلغ أبو بكر أربعين سنة آمن بالنبي ﷺ وقال لربه: ﴿إِنِّي تَبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾.

أخبرنا ابن فنجويه، حدثنا عبيد الله بن محمد بن شنبه، حدثنا إسحاق بن صدقة، حدثنا عبد الله بن هاشم، عن سيف بن عمر، عن عطية، عن أبى أيوب، عن على رضى الله عنه فى قوله: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾ (العنكبوت: ٨) نزلت فى أبى بكر، أسلم أبواه جميعاً ولم يجتمع لأحد من أصحاب رسول الله (من) المهاجرين (أسلم) أبواه غيره، أوصاه الله بهما ولزم ذلك من بعده.

﴿قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي﴾ ألهمنى وأوسعنى. ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾ أن تجعلهم مؤمنين صالحين. قالوا: فأجاب الله تعالى أبا بكر فى أولاده فأسلموا، ولم يكن أحد من الصحابة أسلم هو ووالداه وبنوه وبناته إلا أبو بكر رضى الله عنه.

﴿إِنِّي تَبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿أَوْلَيْتِكَ الَّذِينَ تَقَبَّلُ﴾<sup>(٢)</sup> عنهم أحسن ما عملوا﴾ يعنى أعمالهم الصالحة فيثيبهم عليها.

(١) فى المخطوط: «حسناً» ورسمت ما فى المصحف الذى برواية حفص عن عاصم المطبوع فلاحظ ذلك حتى تعى ما يقول المؤلف.

(٢) فى المخطوط: «يتقبل» ورسمت ما فى مصحف حفص عن عاصم المطبوع والمتداول فلاحظ التغيير الذى أدخلته حتى لا يعترض الشرح مع كلام المؤلف.



﴿وَتَجَاوَزَ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ فلا يعاقبهم بها ﴿فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ﴾ أى مع أصحاب الجنة، و (فى) بمعنى مع ﴿وَعَدَّ الصِّدْقَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ وهو قوله: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ (التوبة: ٧٢) ﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ﴾ إذا دعوه إلى الإيمان بالله والإقرار بالبعث والجزاء. ﴿أَفِ لَكُمْ﴾ وهى كلمة كراهية.

﴿أَتَعِدَانِي﴾ قراءة العامة (بنونين) خفيفتين، وروى أهل الشام (بنون) واحدة مشددة ﴿أَنْ أَخْرَجَ﴾ من قبرى حياً بعد فنائى وبلاتى. ﴿وَقَدْ خَلَّتْ﴾ مضت ﴿الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي﴾ فلم يبعث منهم أحد. وقرأ الحسن والأعمش وأبو معمر أن أخرج بفتح وضم (الراء).

﴿وَهُمَا يَسْتَفِيئَانِ اللَّهُ﴾ يستصرخان الله ويستغيثانه عليه ويقولان له: ﴿وَيْلَكَ ءَامِنٌ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ قَيُّوْلٌ مَا هَذَا﴾ الذى تعداننى وتدعواننى إليه. ﴿إِلَّا أَسْطِرُوا الْأَوْلِينَ﴾ قال ابن عباس وأبو العالية والسدى ومجاهد: نزلت هذه الآية فى عبد الله. وقيل: فى عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق. قال له أبواه: أسلم وألحاً عليه فى دعائه إلى الإيمان. فقال: أحيوا لى عبد الله بن جدعان وعامر بن كعب ومشايخ قريش حتى أسألهم عما يقولون.

قال محمد بن زياد: كتب معاوية إلى مروان حتى يبايع الناس ليزيد، فقال عبد الرحمن بن أبى بكر: لقد جئتم بها هرقلية، أتبايعون لأبنائكم؟

فقال مروان: هذا الذى يقول الله تعالى فيه: ﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أَفِ لَكُمْ أَتَعِدَانِي﴾ الآية. فسمعت عائشة رضى الله عنها بذلك فغضبت، وقالت: والله ما هى به، ولو شئت لسميته ولكن الله لعن أباك وأنت فى صلبه فأنت نضض<sup>(١)</sup> من لعنة الله.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ وجب عليهم العذاب. قالوا: يعنى الذين أشار عليهم ابن أبى بكر، وقال أحيوهم لى، هم الذين حَقَّ عليهم القول، وهم الماضون بقوله: ﴿وَقَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي﴾، فأما ابن أبى بكر فقد أجاب الله تعالى فيه دعاء أبيه بقوله: ﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾ فأسلم وحسن إسلامه.

وقال الحسن وقتادة: هذه الآية مرسلة عامة، وهى نعت عبد كافر فاجر عاق لوالديه. ﴿فِي أَمْرٍ﴾ مع أمم. ﴿فَقَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾ ولكل واحد من الفريقين المؤمنين والكافرين.

﴿وَدَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا﴾ منازل ومراتب عند الله يوم القيامة بأعمالهم فيجازيهم عليها، وقال

(١) فى المتن: فقص، وفوقها، قصص فائت الأنسب للسياق، وعموماً كل هذا لا يصح فكلهم صحابة رسول الله وكان دار بينهم خلاف لا يدرى تفاصيله على وجه الدقة فرضى الله عن الكل وألحقنا به على الإيمان.

ابن زيد: فى هذه الآية دُرَج أهل النار تذهب سفالاً، ودُرَج أهل الجنة تذهب علواً. ﴿وَيُوقِيهِمْ﴾ أجورهم (بالياء) مكى وبصرى وهاشم، والباقون (بالنون). ﴿أَعْمَلْتُمْ وَهْمٌ لَا يُظْلَمُونَ﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ ﴿فَيَقَالُ لَهُمْ: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا﴾ قرأ أبو جعفر وابن كثير ويعقوب (أذهبتم طيباتكم) بالاستفهام، واختلف فيه عن أهل الشام، وغيرهم بالخبر، وهما صحيحتان فصيحتان لأن العرب تستفهم بالتوبيخ وتترك الاستفهام فيه. فتقول: أذهبت فعلت كذا وكذا؟، وذهبت فعلت وفعلت؟ ﴿فَالْيَوْمَ تُجْرَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ أخبرنا ابن محمد بن الحسين بن فنجويه، حدثنا عبد الله بن إبراهيم بن على بن عبد الله حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم الكرابيسى، حدثنا حميد<sup>(١)</sup> بن الربيع، حدثنا أبو معمر، حدثنا عبد الوارث، حدثنا محمد بن حجارة، عن حميد الشامى، عن سليمان، عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ، قال: كان رسول الله إذا سافر كان آخر عهده بإنسان من أهله وأول من يدخل عليه إذا قدم فاطمة عليها السلام.

فلما قدم من غزوة فأتاها فإذا لمح على بابها ورأى على الحسن والحسين قلبين من فضة، فرجع ولم يدخل عليها، فلما رأت ذلك فاطمة ظنت أنه لم يدخل عليها من أجل ما رأى، فهتكت الستر ونزعت القلبين من الصبيين، ففقطعتهما، فبكى الصبيان، ففقسمته بينهما نصفين، فانطلقا إلى رسول الله ﷺ وهما يبكيان، فأخذ رسول الله منهما، وقال: «يا ثوبان اذهب بهذا إلى بنى فلان - أهل بيت بالمدينة - واشتر لفاطمة قلادة من عصب وسوارين من عاج» قال: «فإن هؤلاء أهل بيتى ولا أحب أن يأكلوا طيباتهم فى الحياة الدنيا».

أبأنى عقيل بن محمد، قال: أخبرنا المعافى بن زكريا، أخبرنا محمد بن جرير، حدثنا كثير، حدثنا يزيد، حدثنا سعيد، عن قتادة، قال: حدثنا صاحب لنا، عن أبى هريرة، قال: إنَّما كان طعامنا مع رسول الله ﷺ الأسودان: الماء، والتمر، والله ما كنا نرى سمرام هذه ولا ندرى ما هى. وبه عن قتادة، عن أبى بردة بن عبد الله بن قيس الأشعرى، عن أبيه، قال: أى بُنى لو شهدتنا ونحن مع نبينا ﷺ إذا أصابتنا السماء حسبت أن ريحنا ريح الضأن، إنَّما كان لباسنا الصوف.

وبه عن قتادة، قال: ذكر لنا أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يقول: لو شئت كنت أطبيكم طعاماً وأليكنم لباساً، ولكنى أستبقى طيباتى. وذكر لنا أنه لما قدم الشام صنع له طعام

(١) فى المتن: «جميل» والتصويب من الهامش.

لم ير قبله مثله . قال : هذا لنا فما لفقراء المسلمين الذين ماتوا وهم لا يشبعون من خبز الشعير؟! قال خالد بن الوليد : لهم الجنة . فاغرورقت عينا عمر ، وقال : لئن كان حظنا في الحطام وذهبوا فيما أرى أنا بالجنة لقد باينونا بوناً بعيداً . وذكر لنا أن النبي ﷺ دخل على أهل الصفة ، مكاناً يجتمع فيه فقراء المسلمين - وهم يرقعون ثيابهم بالأدم ما يجدون لها رقاعاً .

قال : أتم اليوم خير أم يوم يغدو أحدكم في حلة ويروح في أخرى ، ويغدى عليه بجفنة ويُراح عليه بأخرى ، ويستري بيته كما يستر الكعبة؟ قالوا : نحن يومئذ خير .

أخبرنا الحسين بن فنجويه ، حدثنا محمد بن أحمد بن نصرويه ، حدثنا أبو العباس أحمد ابن موسى الجوهري ، حدثنا علي بن سهل الرملي ، حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثني رزق أبو الهذيل ، حدثني عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس ، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه حدثه أنه دخل على رسول الله ﷺ حين هجر نساءه فوافاه على سرير رميل ، يعني مرمولاً مشدوداً ، قد أثر الحصير في جنبه ، متوسدٌ وسادة من آدم محشوة ليف .

فقال عمر : والتفت في البيت فوالله ما رأيت شيئاً يردّ البصر إلا أهب - يعني جلدًا معطوبة - قد سطع ريحها ، فبكيت ، فقلت : يا رسول الله أنت رسول الله وخيرته ، فيما أرى وهذا كسرى وقيصر في الديباج والحريز؟! فاستوى رسول الله جالساً ، وقال : «أوفى شك أنت يا ابن الخطاب؟» «أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في حياتهم الدنيا» .

أخبرنا ابن فنجويه الدينوري ، حدثنا عبيد الله بن محمد بن عتبة ، حدثنا الفرمانى ، حدثنا أبو أمية الواسطى ، حدثنا يزيد بن هارون ، أخبرنا مبارك بن فضالة ، حدثنا حفص بن أبى العاص ، قال : كنت أتغدى مع رسول الله ﷺ ، فتغدينا الخبز والزيت والخل ، والخبز واللبن ، والخبز<sup>(١)</sup> والقديد ، وأقل ذلك اللحم العريض ، وكان يقول : «لا تنخلوا الدقيق فإنه كلة طعام» فيجىء بخبز منقلع غليظ ، فجعل يأكل ويقول لنا : كلوا . فجعلنا نعتذر<sup>(٢)</sup> ، فقال : ما لكم لا تأكلون؟! فقلت : لا نأكله والله يا أمير المؤمنين ، نرجع إلى طعام ألين من طعامك .

قال : بخ يا بن أبى العاص ، ألا ترى أنني عالم بأن أمر بدقيق أن ينخل بخرقة فيخبز في كذا ، وكذا؟ أما ترى أنني عالم أن أمر إلى عناق سمين فيلقى عنها شعرها ، ثم تخرج صلاء كأنه كذا وكذا؟ أما ترى أنني عالم أن أعمل إلى صاع أو صاعين من زبيب فأجعله في سقاء ثم

(١) سبق ذكر الخبز في الخبر قبل ذلك فهو تكرار .

(٢) كذا في المتن وفي الهامش : تقدر .

أرشد عليه من الماء فيصبح<sup>(١)</sup> كأنه دم غزال؟

قال: قلت: والله يا أمير المؤمنين إنى لأراك عالماً بطيب العيش، فقال عمر: أجل، والله الذى لا إله إلا هو لولا أنى أخاف أن ينقص من حسناتى يوم القيامة لشاركتكم فى العيش، ولكنى سمعت الله يقول لقوم: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَأَسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾.

أخبرنا ابن فنجويه، حدثنا عبد الله بن يوسف، حدثنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز، حدثنا محمد بن بكار الريان، حدثنا أبو معشر، عن محمد بن قيس، عن جابر بن عبد الله. قال: اشتهى أهلى لحمًا، فمررت بعمر بن الخطاب رضى الله عنه، فقال: ما هذا يا جابر؟ فقلت: اشتهى أهلى لحمًا، فاشتريت لحمًا بدرهم. فقال: أوكلما اشتهى أحدكم شيئًا جعله فى بطنه؟ أما تخشى أن تكون من أهل هذه الآية ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾؟.

أخبرنا ابن فنجويه، حدثنا محمد بن الحسين، حدثنا بشر، حدثنا ابن أبى الحصىب، أخبرنى أحمد بن محمد بن أبى موسى، حدثنا أحمد بن أبى الحوارى، حدثنا أبى، قال: قال وهب بن الورد: خلق ابن آدم والخبز معه، فما زاد على الخبز فهو شهوة. قال: فحدثت به أبا سليمان. فقال: صدق، الملح مع الخبز شهوة.

﴿وَأَذْكَرَ أَخَا عَادٍ﴾ يعنى هود (عليه السلام).

﴿إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ﴾ قال ابن عباس: الأحقاف واد بين عمان ومهرة. مقاتل: كانت منازل عاد باليمن فى حضر موت بموضع يقال له: مهرة إليها تنسب الجمال، فىقال: إبل مهريه ومهاري، وكانوا أهل عمد سياره فى الربيع، فإذا هاج العود رجعوا إلى منازلهم، وكانوا من قبيلة إرم.

وقال الضحَّاك: الأحقاف جبل بالشام. مجاهد: هى أرض حَسْمَى<sup>(٢)</sup> من جسمى. قتادة: ذكر لنا أن عادًا كانوا أحياء<sup>(٣)</sup> باليمن أهل رمل مشرفين على البحر بالأرض يقال لها: الشحر. ابن زيد: هى ما استطال من الرمل كهيئة الجبل ولم يبلغ أن يكون جبلًا.

الكلبى: الأحقاف ما نضب عنه الماء زمان الغرق، كان ينضب الماء من الأرض ويبقى أثره. الخليل: هى الرمال العظام. الكسائى: هى ما استدار من الرمل، وواحدها حقف وحقاف، مثل دبغ ودباغ، ولبس ولباس. وقيل: الحقاف جمع الحقف، والأحقاف جمع الجمع.

(١) فى الهامش: «فيطبخ».

(٢) فى الهامش: «إرم جسمى».

(٣) فى الهامش: «حيًا».

ونظير حقف وأحقاف شبر وأشبار. قال الأعشى:

فبات إلى أرطاة حقف تلفه  
حريق شمال يترك الوجه أقتما

وقال:

❖ بنا بطن حرى ذى حقاف عقنقل ❖

ويقال: حقف أحقف أى رمل متناه فى الاستدار. قال العجاج: بات إلى إرطاة حقف

أحقفا، والفعل منه أحقف. قال الراجز:

❖ سماوة الهلال حتى احقوقفا ❖

أى انحنى واستدار.

﴿وَقَدْ خَلَّتِ النَّذْرُ﴾ مضت الرسل. ﴿مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ أى قبل هود. ﴿وَمَنْ خَلْفَهُ﴾ وهى فى قراءة عبد الله (ومن بعده). ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَأْفِكَنَا لَتَنَصْرِفْنَا. ﴿عَنْ هَاهُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾ من العذاب. ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ بِوَعْدِ اللَّهِ. ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ لا عندى وإنما أنا مبلغ. ﴿وَأُنَبِّئُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾ يعنى العذاب. ﴿عَارِضًا﴾ نُصِبَ عَلَى الْحَالِ، وَإِنْ شِئْتَ بِالْتَّكْرِيرِ أَى رَأَوْهُ عَارِضًا وَهُوَ السَّحَابُ، سَمِيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ يَعْضُ أَى يَبْدُو فِى عَرْضِ السَّمَاءِ.

قال مجاهد: استعرض بهم الوادى. قال الأعشى:

يا من يرى عارضاً قد بت أرمقه  
كأتما البرق فى حافاته الشعل

قال المفسرون: ساق الله تعالى السحابة السوداء التى اختار قيل بن عتر رأسه وقد عاد بما فيها من النعمة إلى عاد فخرجت عليهم من واد لهم يقال له: المغيث. وكانوا قد حبس عنهم المطر أياماً، فلما رأوها.

(قالوا: هذا عارض ممطرنا حتى عرفت أنها ريح امرأة منهم يقال لها مهدر فصاحت وصعقت، فلما أفاقت قيل لها: ما رأيت؟ قالت: ريحاً فيها كشهد النار).

﴿مُسْتَقْبِلِ أَوْدِيَّتِهِمْ﴾ استبشروا بها.

﴿قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ يقول الله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

فجعلت تحمل الفسطاط، وتحمل الطعينة، فترفعها حتى ترى كأنها جراد.

أخبرنا ابن فنجويه، حدثنا عبيد الله بن محمد بن شنبه، حدثنا عبيد الله بن أحمد بن منصور الكسائى، حدثنا الحارث بن عبد الله، حدثنا هشيم، عن جوير، حدثنا أبو داود الأعمى، عن

ابن عباس في قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ﴾ الآية، قال: لما دنا العارض قاموا فمدوا أيديهم، فأول ما عرفوا أنها عذاب رأوا ما كان خارجاً من ديارهم، من رحالهم، ومواشيهم تطير بهم الريح بين السماء والأرض، مثل الريش<sup>(١)</sup>، قالوا: فدخلوا بيوتهم، وأغلقت أبوابهم، فجاءت الريح فغلقت أبوابهم وصرعتهم، وأمر الله تعالى الريح فأهالت عليهم الرمال فكانوا تحت الرمل سبع ليال، وثمانية أياماً حسوماً لهم أنين، ثم أمر الله الريح فكشفت عنهم الرمال ثم أمرها فاحتملتهم، فرمت بهم في البحر<sup>(٢)</sup>.

فهم الذين يقول الله تعالى: ﴿تُدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ مرّت به من رجال عاد وأمورها بإذن ربّها. أخبرنا ابن فنجويه، حدثنا عمر بن الخطاب، حدثنا عبد الله بن الفضل، حدثنا أبو هشام، حدثنا حفص، عن ابن جريج، عن عطاء، عن عائشة رضی الله عنها قالت: كان النبي ﷺ إذا رأى الريح فزع، وقال: «اللهم إني أسألك خيرها وخير ما فيها، وخير ما أرسلت به، وأعوذ بك من شرّها وشر ما فيها، وشر ما أرسلت به».

فإذا رأى مخيلة قام، وقعد، وجاء، وذهب، وتغيّر لونه، فنقول: يا رسول الله، فيقول: «إني أخاف أن يكون مثل قوم عاد، حيث قالوا هذا عارض مطرنا».

﴿فَأَصْبَحُوا لَا يَرَى إِلَّا مَسَاكِنَهُمْ﴾ قرأ الحسن (لا ترى) بياء مضمومة ﴿مَسَاكِنَهُمْ﴾ برفع (النون). ومثله روى شعيب بن أيوب، عن يحيى بن آدم، عن أبي بكر بن عيَّاش، عن عاصم. قال أبو حاتم: هذا لا يستقيم في اللغة إلا إن أول فيه إضمار كما تقول في الكلام: لا ترى النساء إلا زينب، ولا يجوز لا ترى إلا زينب، وقال سيويه: معناه (لا ترى) أشخاصهم. ﴿إِلَّا مَسَاكِنَهُمْ﴾ وأجرى الفراء هذه الآية على الاستكراه، وذكر أن المفضل أنشده:

نارنا لم تر ناراً مثلها  
قد علمت ذلك معدّ كراما

فأنت فعل مثل لأنه للنار، قال: وأجود الكلام أن يقول: لم تر مثلها نار.

وقرأ الأعمش وعاصم وحمزة ويعقوب وخلف (بياء) مضمومة ﴿إِلَّا مَسَاكِنَهُمْ﴾ رفعاً واختاره أبو عبيدة رفعاً وأبو حاتم. قال الكسائي: معناه لا يرى شيء إلا مساكنهم.

وقال الفراء: لا يرى الناس لأنهم كانوا تحت الرمل، فإنما يرى مساكنهم لأنها قائمة. وقرأ الباقون (ترى) (بياء) مفتوحة (مساكنهم) نصباً على معنى (لا ترى) يا محمد (إلا مساكنهم).

﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾

(١) في المتن: «الرشاء». والتصويب من الهامش.

(٢) لا يعتد بمثل هذا القول لخلوه عن الدليل.

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّهُمْ فِيمَا إِن مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقَرْيَةِ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢﴾ فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِينَ آتَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا ؕ إِلَهًا بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٣﴾ وَإِذْ صَرَّفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿٤﴾ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَىٰ الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥﴾ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَءَامِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٦﴾ وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ ؕ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٧﴾﴾

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّهُمْ فِيمَا إِن مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ﴾ أي فيما لا يمكنكم فيه من بسطة الأجسام، وقوة الأبدان،

وطول العمر، وكثرة المال.

﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ﴾ يا أهل مكة.

﴿مِنَ الْقَرْيَةِ﴾ كحجر ثمود، وأرض سدوم ونحوهما.

﴿وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ﴾ الحجج والبيئات وأنواع العبر والعظات ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عن كفرهم، فلم يرجعوا، فأهلكناهم، يخوف مشركي قريش. ﴿فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِينَ آتَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا ؕ إِلَهًا﴾ يعني الأوثان، قال الكسائي: القربان كل ما يتقرب به إلى الله تعالى من طاعة، ونسكة، والجمع قربانين، كالرهبان والرهابين.

﴿بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ﴾ أي كذبهم الذي كانوا يقولون: إنها تقربهم إلى الله تعالى، وتشفع لهم عنده. وقرأ ابن عباس وابن الزبير ﴿وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ﴾ بفتح (الألف) و(الفاء) على الفعل، أي ذلك القول صرفهم عن التوحيد. وقرأ عكرمة ﴿إِفْكُهُمْ﴾ بتشديد (الفاء) على التأكيد والتفسير. قال أبو حاتم: يعني قلبهم عما كانوا عليه من النعيم. ودليل قراءة العامة قوله: ﴿وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾.

﴿وَإِذْ صَرَّفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ﴾ الآية. قال المفسرون: لما مات أبو طالب خرج رسول الله ﷺ

وحده إلى الطائف يلتمس ثقيف النصره، والمنعة له من قومه، فروى محمد بن أحمد عن يزيد ابن زياد عن محمد بن كعب القرظي، قال: لما انتهى رسول الله ﷺ وحده إلى الطائف، عمد إلى نفر من ثقيف، هم يومئذ سادة ثقيف وأشرفهم وهم إخوة ثلاثة: عبد ياليل، ومسعود، وحبيب، بنو عمر بن عمير، عندهم امرأة من قريش من بنى جمح، فجلس إليهم، فدعاهم إلى الله تعالى وكلمهم بما جاءهم له من نصرته على الإسلام، والقيام معه على من خالفه من قومه.

فقال أحدهم: هو يمرط ثياب الكعبة إن كان الله تعالى أرسلك، وقال الآخر: أما وجد الله أحداً يرسله غيرك؟ وقال الثالث: والله لا أكلمك كلمة أبداً لئن كنت رسولاً من الله كما تقول، لأنت أعظم خطراً من أن أرد عليك الكلام، ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي لي أن أكلمك.

فقام رسول الله ﷺ من عندهم وقد يسس<sup>(١)</sup> من خير ثقيف، وقال لهم: «إذ فعلتم ما فعلتم فاكتموه».

وكره رسول الله أن يبلغ قومه عنه فيديرهم عليه ذلك، فلم يفعلوا وأغروا به سفهاءهم، وعبيدهم يسبونه، ويصيحون به، حتى اجتمع عليه الناس وأجؤوه إلى حائط لعتبة، وشيبة ابني ربيعة، هما فيه، ورجع عنه سفهاء ثقيف.

ولقد لقي رسول الله ﷺ تلك المرأة من بنى جمح، فقال لها: «ماذا لقينا من أحمائك؟». فلما اطمئن رسول الله، قال: «اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين، وأنت ربي، إلى من تكلني، إلى بعيد يتجهمني أو إلى عدو ملكته أمرى. إن لم يكن بك علي غضب، فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع، وأعوذ بنور وجهك من أن ينزل بي غضبك، ويحل علي سخطك، لك العتبي حتى ترضى، لا حول ولا قوة إلا بك».

فلما رأى أبناء ربيعة ما لقي تحركت له رحمهما، فدعوا غلاماً لهما نصرانياً، يقال له: عداس. فقالا له: خذ قطعاً من هذا العنب وضعه في ذلك الطبق، ثم اذهب به إلى ذلك الرجل فقل له يأكل منه، ففعل عداس ثم أقبل به حتى وضعه بين يدي رسول الله ﷺ، فلما وضع رسول الله يده، قال: «بسم الله».

ثم أكل، فنظر عداس إلى وجهه، ثم قال: والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلدة.

(١) في المتن: «تيس». والتصويب من الهامش.



قال له رسول الله: «ومن أى أهل البلاد أنت يا عداس؟ وما دينك؟». قال: أنا نصرانى وأنا رجل من أهل نينوى.

فقال له رسول الله: «من قرية الرجل الصالح يونس بن متى». قال له: وما يدريك ما يونس ابن متى؟! قال له رسول الله: «ذاك أخى، كان نبياً وأنا نبي». فأكبّ عداس على رسول الله ﷺ فقبل رأسه، ويديه، ورجليه.

قال: فيقول أبناء ربيعة أحدهما لصاحبه، أما غلامك فقد أفسده عليك. فلما جاءهم عداس، قالوا له: ويلك يا عداس ما لك تقبل رأس هذا الرجل، ويديه، ورجليه؟! قال: يا سيدي ما فى الأرض خير من هذا، لقد خبرنى بأمر ما يعلمه (إلا<sup>(١)</sup>) نبي. فقال: ويحك يا عداس لا يصرفنك عن دينك، فإن دينك خير من دينه.

ثم إن رسول الله ﷺ انصرف من الطائف راجعاً إلى مكة حتى يئس من خير ثقيف، حتى إذا كان بنخلة، قام من جوف الليل يصلى، فمر به نفر من جن أهل نصيبين اليمنى، وكان سبب ذلك أن الجن كانت تسترق السمع، فلما حرس السماء ورجموا بالشهب. قال إبليس: إن هذا الذى حدث فى السماء لشيء فى الأرض، فبعث سراياه لتعرف الخبر، فكان أول بعث بعث ركب من أهل نصيبين وهم أشراف الجن وساداتهم، فبعثهم إلى تهامة، فاندفعوا حتى بلغوا وادى نخلة، فوجدوا رسول الله ﷺ يصلى صلاة الغداة، بطن نخلة ويتلو القرآن، فاستمعوا إليه، وقالوا: أنصتوا. هذا معنى قول سعيد بن جبير وجماعة من أئمة الخبر، ورواية العوفى عن ابن عباس، وقال آخرون: بل أمر رسول الله ﷺ أن ينذر الجن ويدعوهم إلى الله تعالى، ويقرأ عليهم القرآن، فصرف الله إليه نفرًا من الجن من نينوى وجمعهم له، فقال رسول الله ﷺ: «إني أمرت أن أقرأ على الجن الليلة فأيكم يتبعنى؟» فأطرقوا ثم استتبعهم فأطرقوا، ثم استتبعهم الثالثة فاتبعه عبد الله بن مسعود، قال عبد الله: ولم يحضر معه أحد غيرى، فانطلقنا حتى إذا كنا بأعلى مكة دخل نبي الله ﷺ شعباً يقال له: شعب الحجون وخط إلى خطأ، ثم أمرنى أن أجلس فيه.

قال: «لا تخرج منه حتى أعود إليك». ثم انطلق حتى قام وافتتح القرآن فجعلت أرى أمثال النسور تهوى تمشى فى رفوفها، وسمعت لغطاً شديداً، حتى خفت على نبي الله، وغشيتة أسورة كثيرة حالت بينى وبينه، حتى ما أسمع صوته، ثم طفقوا ينقطعون مثل قطع السحاب داهنين، ففزع رسول الله ﷺ مع الفجر، ثم انطلق إلى، وقال: «أمت؟» فقلت: لا

(١) زيادة يتطلبها السياق.

والله لقد هممت مراراً أن أستغيث بالناس حتى سمعتك تفرعهم بعصاك . تقول : «اجلسوا» .  
قال : «لو خرجت لم آمن أن يتخطفك بعضهم» .

ثم قال : «هل رأيت شيئاً؟» . قلت : نعم رأيت رجالاً سوداً مسفري ثياب بيض . فقال :  
«أولئك جنّ نصيبين سألونى المتاع» - والمتاع الزاد - «فمتعتهم بكلّ عظم حائل وبعرة وروثة» .  
فقالوا : يا رسول الله يقدرها الناس علينا . فنهى النبى ﷺ أن يُستنجى بالعظم والروث .  
قال : فقلت : يا رسول الله وما يغنى ذلك عنهم؟ قال : «إنهم لا يجدون عظماً إلاّ وجدوا عليه  
لحمه يوم أكل ، ولا روثه إلاّ وجدوا فيها حبّها يوم أكلت» .  
فقلت : يا رسول الله ، لغطاً شديداً . فقال : «إنّ الجنّ يدارك فى قتيل قتل بينهم» - وقيل :  
قتل - «فتحاكموا إلىّ ، فقضيت بينهم بالحق» . قال : ثمّ تبرز رسول الله ﷺ ، ثمّ أتانى فقال :  
«هل معك ماء؟» . قلت : يا رسول الله معى إداوة فيها شىء من نبيذ التمر ، فاستدعاه فصبيت  
على يديه فتوضأ .

وقال : «تمرّة طيبة وماء طهور» . قال قتادة : فذكر لنا ابن مسعود لما قدم الكوفة رأى شيوخاً  
شُمتاً من الزط ، فأفزعوه حين رآهم . وقال : اظهروا . فقيل له : إنّ هؤلاء قوم من الزط ،  
فقال : ما أشبههم بالنفر الذين صرفوا إلى رسول الله ﷺ ، يريد الجنّ .  
قال : أخبرني ابن فنجويه ، حدّثنا ابن حنش المقرئ ، حدّثنا ابن زنجويه ، حدّثنا سلمة ،  
حدّثنا عبد الرزاق ، حدّثنا معمر ، عن قتادة بمثل معناه إلاّ أنّه لم يذكر قصة نبيذ التمر .  
أخبرنا الحسين بن محمّد الحديشى ، حدّثنا محمّد بن الحسن الصوفى ، حدّثنا أبو جعفر  
محمّد بن صالح بن ذريح ، حدّثنا مسروق بن المرزبان ، حدّثنا ابن أبى زائدة ، حدّثنا داود بن  
أبى هند ، عن علقمة ، قال : سألت عبد الله بن مسعود ، هل كان مع رسول الله ﷺ أحد من  
الجنّ؟ .

فقال : لا لم يصحبه منّا أحدٌ . ولكنّا فقدناه ذات ليلة ، فقلنا استطير أو اغتيل ، ففترقنا فى  
الشعاب والأودية نلتسمه ، فلما أصبحنا رأيناه مقبلاً من نحو حراء .  
فقلنا : يا رسول الله ، بتنا بشر ليلة بات بها قوم ، نقول : استطير أو اغتيل .  
فقال : «إنّه أتانى داع من الجنّ ، فذهبت أقرئهم القرآن» . قال : وأرانى آثارهم وآثار  
نيرانهم . قال : «فسألوه ليلتئذ الزاد» .

فقال : فكلّ عظم لم يذكر اسم الله عليه يقع فى أيديكم أوفر ما كان لحمًا ، والبعر  
لدوايكم» .

فقال رسول الله ﷺ: «لا تستنجوا بالعظام ولا بالبرع فإنه زاد إخوانكم من الجن».

أخبرنا أبو عبد الله بن فنجويه، حدثنا أبو بكر بن خرجة، حدثنا محمد بن أيوب، أخبرنا سلمان بن داود الشاذكوى، عن خالد بن عبد الله الواسطى، عن خالد الحذاء، عن أبي معشر، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله، قال: لم أكن مع النبي ﷺ ليلة الجن ووددت أنى كنت معه.

أخبرنا ابن فنجويه، حدثنا موسى بن محمد بن على، حدثنا يوسف بن يعقوب القاضى، حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا شعبة، عن عمرو بن مرة، قال: سألت أبا عبيدة بن عبد الله، أكان عبد الله مع النبي ﷺ ليلة الجن؟ قال: لا. قال: وسألت إبراهيم. فقال: ليت صاحبنا كان ذلك.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ﴾ اختلّفوا فى مبلغ عددهم، فقال ابن عباس: كانوا سبعة نفر من جنّ نصيبين فجعلهم رسول الله ﷺ رسلاً إلى قومهم. أخبرنا ابن فنجويه، حدثنا طلحة بن محمد بن جعفر، وعبيد الله بن أحمد بن يعقوب، قالوا: أخبرنا أبو بكر بن مجاهد، حدثنى أحمد بن حرب، حدثنا سنيد، حدثنا حجاج، قال: قال ابن جريج: أخبرنى وهب بن سلمان، عن شعيب الحماني. أن أسماء الجنّ الذين صرفهم الله تعالى إلى رسوله شاصر، وماصر، ومنشى، وماشى، والأحقم<sup>(١)</sup> وقال آخرون: كانوا تسعة.

أخبرنى أبو على السراج، أخبرنا أبو بكر العطار<sup>(٢)</sup>، حدثنا أحمد بن يوسف السلمى، حدثنا محمد بن يوسف الفريابى، قال: ذكر سفيان، عن عاصم، عن زر بن حبيش، قال: كان زوبعة من التسعة الذين استمعوا القرآن من النبي ﷺ.

﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا﴾ قالوا: صه. وبإسناده عن سفيان، عن أبى إسحاق، عن ثابت ابن قطبة الثقفى، قال: جاء أناس إلى عبد الله بن مسعود، قالوا: كئنا فى سفر فرأينا حية متشحطة فى دمها مقتولة، فأخذها رجل منّا، فواريناها، فلما ولّوا جاءهم ناس، فقالوا: إنكم دفنتم عمراً، فقالوا ومنّ عمر؟ قالوا: الحية التى دفنتم فى مكان كذا وكذا. أما إنّه كان

(١) هذا تكلف ما أنزل الله به من سلطان فمن أين لهم بأسماء هؤلاء النفر وعددهم، ثم ما فائدة معرفة أسمائهم وما قيمة الاختلاف فى مثل هذه الأمور كالسائلين عن نوع عصا موسى عليه السلام وعمار العزير، وما شابه ذلك، فكل هذا تكلف تهنينا عنه لا يقود إلى خير فى دين ولا دنيا ولا آخرة عافانا الله وإياكم من المرء فى الدين آمين.

(٢) فى الهامش: «القطان».

من النفر الذين استمعوا القرآن من النبي (عليه السلام) وكان بين حيتين من الجن من المسلمين وغيرهم، فزال، فقتل.

أخبرنا ابن فنجويه، حدثنا عمر بن الخطاب، حدثنا عبد الله بن الفضل، حدثنا سهل بن حمزة، حدثنا عبد الله بن صالح، حدثني معاوية بن صالح، عن أبي الزاهرية، عن جبير بن نفيير، عن أبي ثعلبة الخشني أن رسول الله ﷺ، قال: «الجن على ثلاثة أصناف: صنف لهم أجنحة يطفرون في الهواء وصنف حيات وكلاب، وصنف يحلون ويظنون».

فلما حضروه، قالوا: قال: بعضهم لبعض أنصتوا، فأنصتوا واستمعوا القرآن، حتى كاد يقع بعضهم على بعض من شدة حرصهم، نظير ما في سورة الجن.

﴿فَلَمَّا قُضِيَ﴾ فرغ من تلاوة القرآن واستماع الجن. وقرأ لاحق بن حميد (قضى) بفتح (القاف) و(الضاد)، يعني النبي ﷺ.

﴿وَلَوْ إِلَى قَوْمِهِ مُنذِرِينَ﴾ مخوفين داعين بأمر النبي ﷺ.

﴿قَالُوا يَنْقُومَنَا إِنَّا سَعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقِ مُسْتَقِيمٍ﴾ يَنْقُومَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ ﷻ، يعني محمد ﷺ.

﴿وَأَمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾.

قال ابن عباس: فاستجاب لهم من فوقهم نحو من سبعين رجلاً من الجن فرجعوا إلى رسول الله فوافقوه بالبطحاء. فقرأ عليهم القرآن وأمرهم ونهاهم. واختلف العلماء في حكم مؤمنى الجن، فقال قوم: ليس لمؤمنى الجن ثواب إلا نجاتهم من النار، وتأولوا قوله تعالى: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ وإلى هذا القول ذهب أبو حنيفة.

أخبرنا الحسين بن محمد بن فنجويه، حدثنا عبد الله بن يوسف، حدثنا الحسن بن نجويه، حدثنا عمرو بن ثور، وإبراهيم بن أبي سفيان، قالوا: حدثنا محمد بن يوسف القرطبي، حدثنا سفيان، عن ليث، قال: الجن ثوابهم أن يجاروا من النار، ثم يقال لهم: كونوا تراباً مثل البهائم.

وقال آخرون: إن كان عليهم العقاب في الإساءة وجب أن يكون لهم الثواب في الإحسان مثل الإنس. وإليه ذهب مالك وابن أبي ليلى.

أخبرنا أبو عبد الله الثقفي الدينوري، حدثنا أبو علي بن حبش المقرئ، حدثنا محمد بن عمران، حدثنا ابن المقرئ وأبو عبيد الله. قال: حدثنا العبدى، عن سفيان، عن جوير، عن الضحاك، قال: الجن يدخلون الجنة ويأكلون ويشربون.

﴿وَمَنْ لَا يُحِبَّ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾.



﴿أُولَئِكَ يَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْ يَخْلُقْهُمْ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٢١﴾ فَأَصْبَرَ كَمَا صَبَرُ أُولُوا الْعِزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلِّغْ فَهَلْ يَهْتَكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ ﴿٢٢﴾﴾

﴿أُولَئِكَ يَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْ يَخْلُقْهُمْ﴾ لم يضعف عن إبداعهم ، ولم يعجز عن اختراعهم . ﴿يَقْدِرُ﴾ قراءة العامة (بالباء) و(الألف) على الأسم واختلفوا في وجه دخول (الباء) فيه ، فقال أبو عبيدة والأخفش : هي صلة ، كقوله : ﴿تَلَبَّتْ بِالذَّهْنِ﴾ (المؤمنون : ٢٠) وقال الحارث بن حلزة :

قيل ما اليوم بيضت بعيون الناس فيها تعيط<sup>(١)</sup> وإباء

أراد بيضت عيون الناس .

وقال الكسائي والفراء : (الباء) فيه جلبت الاستفهام والمجحد في أول الكلام ، كقوله : ﴿أَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ يَقْدِرُ﴾ (يس : ٨١) . والعرب تدخلها في الجحود ، إذا كانت رافعة لما قبلها ، كقول الشاعر :

فما رجفت<sup>(٢)</sup> بخائبة ركاب حكيم بن المسيب منتهاها

وقرأ الأعرج وعاصم الجحدري وابن أبي إسحاق ويعقوب بن إسحاق (يقدر) (بالياء) من غير (ألف) على الفعل ، واختار أبو عبيدة قراءة العامة لأنها في قراءة عبد الله (خلق السموات والأرض قادر) بغير (باء) .

﴿عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ﴾ فيقال لهم ﴿أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ﴾ لهم المقرر بذلك ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ فَأَصْبَرَ كَمَا

(١) في الهامش : «تعطت» .

(٢) في الهامش : «رجعت» .

صَبْرًا أُولُوا الْعَزْمَ مِنَ الرُّسُلِ ﴿١٠﴾ .

قال ابن عباس: ذوو الحزم. ضحّاك: ذوو الجدِّ والصبر. القرظي: ذوو الرأي والصواب. واختلفوا فيهم، فقال ابن زيد: كلُّ الرسل كانوا أولى عزم، ولم يتخذ الله رسولا، إلا كان ذا عزم، وهو اختيار علي بن مهدي الطبري، قال: وإنما دخلت ﴿مِنْ﴾ للتجنيس لا للتبعيض، كما يقال: اشترت أكسية من الخبز، وأردية من البز. حكاه شيخنا أبو القاسم بن حبيب عنه. وقال بعضهم: كلُّ الأنبياء (عليهم السلام) أولو عزم، إلا يونس، ألا ترى أن نبينا ﷺ نهى عن أن يكون مثله، لخفة وعجلة<sup>(١)</sup> ظهرت منه حين ولّى من قومه مغاضباً، فابتلاه الله بثلاث: سلط عليه العمالقة حتى أغاروا على أهله وماله، وسلط الذئب على ولده فأكلهم، وسلط الحوت عليه حتى ابتلعه.

سمعت أبا منصور الجمشاذي يحكيها، عن أبي بكر الرازي، عن أبي القاسم الحكيم. وقيل: هم نجباء الرسل المذكورون في سورة الأنعام وهم ثمانية عشر، وهم اختيار الحسين بن الفضل، قال: لقوله في عقبه: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ آفَتُهُ﴾ (الأنعام: ٩٠). وقال الكلبي: هم الذين أمروا بالقتال، فأظهروا المكاشفة، وجاهدوا الكفرة بالبراءة، وجاهدوهم. أخبرنا ابن فنجويه الدينوري، عن أبي علي حبش المقرئ، قال: قال بعض أهل العلم: أولو العزم اثنا عشر نبياً أرسلوا إلى بني إسرائيل بالشام فعصوهم، فأوحى الله تعالى إلى الأنبياء (عليهم السلام): «إني مرسل عذابي على عصاة بني إسرائيل»، فشق ذلك عليهم، فأوحى الله تعالى إليهم أن اختاروا لأنفسكم، إن شئتم أنزلت بكم العذاب وأنجيت بني إسرائيل، وإن شئتم أنجيتكم وأنزلت ببني إسرائيل. فتشاوروا بينهم، فاجتمع رأيهم على أن ينزل بهم العذاب وينجي بني إسرائيل، فأنجى الله بني إسرائيل وأنزل بأولئك العذاب، وذلك أنه سلط عليهم ملوك الأرض، منهم من نشر بالمناشير، ومنهم من سلخ جلد رأسه ووجهه، ومنهم من رُفِعَ على الخشب، ومنهم من أُحرق بالنار<sup>(٢)</sup>، وقيل هم ستة: نوح،

(١) لا يجوز أن يوصف نبي من أنبياء الله تعالى بهذه الأوصاف وإنما يكون غضبهم لله تعالى، وهذا موسى عليه السلام من أولى العزم بإجماع وبلا خلاف وقد ألقى الألواح ولا يستطيع أحد أن يصفه بهذه الأوصاف فكلهم رسل الله تعالى وجب احترامهم وتوقيرهم وربما كان ذلك زلة فلم ينتبه إليه كاتبه غفر الله لنا وله آمين.

(٢) وهذا أيضاً لا دليل عليه وإنما ما أصاب أنبياء الله تعالى إنما هو فتن وبلاء وليس عذاب أو انتقام، وحاشى لله تعالى أن يأخذ أحداً بذنب أحد فضلاً أن يأخذ نبياً بذنب قومه، وإنما تلك عقيدة النصارى فإنهم يعتقدون أن عيسى عليه السلام جاء ليغفر خطيئة آدم عليه السلام تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. هداانا الله وإياكم سواء السبيل ورزقنا وإياكم حسن الاعتقاد وحسن الختام آمين.

وهود، وصالح، ولوط، وشعيب، وموسى.

وهم المذكورون على النسق في سورة الأعراف والشعراء. وقيل أصحاب الشرائع، وهم خمسة: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد ﷺ.

وقال مقاتل: أولو العزم ستة: نوح صبر على أذى قومه فكانوا يضربونه حتى يغشى عليه، وإبراهيم صبر على النار، وإسحاق صبر على الذبح<sup>(١)</sup>، ويعقوب صبر على فقد ولده وذهاب بصره، ويوسف صبر في البئر وفي السجن، وأيوب صبر على ضرة.

وقال الحسن البصرى: هم أربعة: إبراهيم، وموسى، وداود، وعيسى. فقال: إبراهيم فعزمه قيل له: أسلم، قال: أسلمت لرب العالمين. ثم ابتلى في ماله، وولده، ووطنه، ونفسه، فوجد صادقاً وافيّاً<sup>(٢)</sup> في جميع ما ابتلى به، وأمّا موسى، فعزمه قوله حين قال له قومه: ﴿إِنَّا لَمَدْرُكُونَ﴾ (الشعراء: ٦١) قال: ﴿كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ (الشعراء: ٦٢).

وأما داود، فعزمه أنه أخطأ خطيئة، فنبه عليها، فبلى أربعين سنة على خطيئته حتى نبتت من دموعه شجرة، وقعدت ظلّها<sup>(٣)</sup>، وأمّا عيسى فعزمه أنه لم يضع في الدنيا لبنة على لبنة، وقال: إنها معبر فاعبروها، ولا تعمروها. فكان الله تعالى يقول لرسوله ﷺ: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ أى كن صادقاً فيما ابتليت به مثل صدق إبراهيم، واثقاً بنصرة مولاك مثل ثقة موسى، مهتماً لما سلف من هفواتك مثل اهتمام داود، زاهداً في الدنيا مثل زهد عيسى (عليه السلام).

حدثنا الإمام أبو منصور محمد بن عبد الله الجمشاذى لفظاً، أخبرنا أبو عمرو محمد بن محمد بن أحمد القاضي، أخبرنا أبو عبد الرحمن، أخبرنا ابن أبي الربيع، أخبرنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾، قال: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى (عليهم السلام).

أخبرنا أبو منصور الجمشاذى، أخبرنا أبو عبد الله محمد بن يوسف الدقاق، أخبرنا الحسن ابن محمد بن جابر، حدثنا عبد الله بن هاشم، حدثنا وكيع، عن أبي جعفر الرازى، عن

(١) من المعلوم أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام وقد جاءت بذكره الأخبار المستفاضة، وإنما زعم أنه إسحاق النصارى وصریح القرآن يفيد أن إسماعيل كان أكبر من إسحاق، وأنه هو الذى تله إبراهيم عليهما السلام للجبين فيلاحظ ذلك جيداً.

(٢) تكرر اللفظ بآخر الورقة (١٢١) وأول الورقة (١٢٢) فحذفت التكرار.

(٣) هذا قول لا يقبله عاقل فضلاً عن مسلم موحد.

الربيع بن<sup>(١)</sup> أنس، عن أبي العالية في قوله: ﴿فَأَصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾، قال: كانوا ثلاثة: نوح، وإبراهيم، وهود، ومحمد رابعهم، أمر أن يصبر كما صبروا.

أخبرني أبو عبد الله بن فنجويه، حدثنا محمد بن عبد الله بن برزة، حدثنا الحارث بن أبي أسامة، حدثنا داود بن المخبر، حدثنا سليمان بن الحكم، عن الأحوص بن حكيم بن كعب الخبر، قال: في جنة عدن مدينة من لؤلؤ بيضاء، تكل عنها الأبصار، لم يرها نبي مرسل ولا ملك مقرب، أعدّها الله سبحانه وتعالى لأولى العزم من الرسل والشهداء والمجاهدين، لأنهم فضلوا الناس عقلاً وحلماً وإنابة ولباً<sup>(٢)</sup>.

﴿وَلَا تَسْتَعْجِلْ﴾ العذاب. ﴿لَهُمْ﴾ فإنه نازل بهم لا محالة. ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ﴾ من العذاب في الآخرة ﴿لَمْ يَلْبُثُوا﴾ في الدنيا ﴿إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ﴾ يعني في جنب يوم القيامة، وقيل: لأنه ينسيهم هول ما عاينوا قدر مكثهم في الدنيا. ثم قال: ﴿بَلَّغْ﴾ أي هذا القرآن وما ذكر فيه من البيان بلاغ بلغكم محمد ﷺ عن الله تعالى، دليله ونظيره في سورة إبراهيم. (عليه السلام).

﴿فَهَلْ يُهْلِكُ﴾ بالعذاب إذا نزل ﴿إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ﴾ الخارجون عن أمر الله تعالى. أخبرنا الحسين بن محمد الحديثي، حدثنا سعد بن محمد بن إسحاق الصيرفي، حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شنبه، حدثنا منجاب بن الحارث، حدثنا علي بن مهير، حدثنا ابن أبي ليلى، عن الحكيم عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: إذا عسر على المرأة ولدها، فلتكتب هاتين الآيتين والكلمتين في صحيفة، ثم تغسل، ثم تسقى منها: بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلا الله الحليم الكريم سبحانه الله ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّعْيِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ (المؤمنون: ٨٦).

﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ بَلَّغْ فَهَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.



(١) في المتن: «عن» والتصويب من الهامش.

(٢) من المعلوم أن في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، غير أن ما قاله ليس عليه دليل وهو من غيب الله تعالى فلا تقبل فيه إلا قرآن أو قول نبي صحيح.

(٣) تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً إنما جعل القرآن شفاء لما في الصدور من أمراض الإيمان والاعتقاد المخالف لما فطر الله الناس عليه، وجعل الله للطب أسبابه فلا يعتر بذلك معتز فيفتري على الله ورسوله ما لم ينزل به الله من سلطان.



## سُورَةُ مُحَمَّدٍ

مدنية ، وهى ثمان وثلاثون آية وأربعمائة وتسع وثلاثون كلمة ،  
وألفان وثلاثمائة وتسعة وأربعون حرفاً

أخبرنا أبو الحسين<sup>(١)</sup> محمد بن القاسم بن أحمد الفارسي بقراءتى عليه ، أخبرنا أبو عمر ،  
وإسماعيل بن مجيد بن أحمد بن يوسف السلمى ، أخبرنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن  
سعيد البوشىخى ، حدثنا سعيد بن حفص ، قال : قرأت على معقل بن عبد الله ، عن عكرمة بن  
خالد ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، عن أبى بن كعب ، قال : قال رسول الله ﷺ : « من  
قرأ سورة محمد كان حقاً على الله تعالى أن يسقيه من أنهار الجنة » .

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَلَهُمْ ﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا  
الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ  
بِالْهُمَّ ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ  
كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ ﴾ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا  
أَخْتَمْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ فِيمَا مَتَّأ بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ  
اللَّهُ لَآتَصَّرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ  
أَعْمَلَهُمْ ﴿ سَيُهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بِالْهُمَّ ﴿ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا لَهُمْ ﴿ يَسْأَلُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ  
تَضَرُّوا اللَّهُ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَّ لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَلَهُمْ ﴿ ذَٰلِكَ  
بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ

(١) فى الهامش : « أبو الحسن » .

عَقَبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَلُهَا ﴿١٠﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ﴿١١﴾ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَسْتَمْعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴿١٢﴾

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَاهُمْ﴾ أى أبطلها فلم يقبلها، وقال الضحاك: أبطل كيدهم ومكرهم بالنبي ﷺ وجعل الدائرة عليهم.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ حالهم، وجمعه بالات. قال سفیان الثوري: ﴿وَأَمَّنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ﴾ لم يخالفوه فى شىء. قال ابن عباس: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا﴾ أهل مكة. ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ الأنصار.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ﴾ يعنى الشياطين. ﴿وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ يعنى القرآن. ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ﴾ يبين الله للناس. ﴿أَمْثَلَهُمْ﴾ أشكالهم.

﴿فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل الحرب. ﴿فَضْرِبْ﴾ نصب على الإغراء ﴿الرِّقَابِ﴾ الأعناق، واحدها رقبة. ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَخْتَمُوهُمُ﴾ أى غلبتموهم، وقهرتموهم، وصاروا أسرى فى أيديكم. ﴿فَشُدُّوا الرِّبَاطَ﴾ كى لا يفلتوا منكم، فيهربوا. ﴿فَأَمَّا مَنَّا﴾ عليهم ﴿بَعْدُ﴾ الأسر، بإطلاقكم إياهم من غير عوض، ولا فدية.

﴿وَأَمَّا فِدَاءٌ﴾ (و) نصبا بإضمار الفعل، مجازه: فإمّا أن تمنوا عليهم منّا، وإمّا أن تفادوهم، واختلف العلماء فى حكم هذه الآية، فقال قوم: هى منسوخة بقوله: ﴿فَأَمَّا تَشَفَّنَهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرَّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ﴾ (الأنفال: ٥٧) الآية. وقوله: ﴿فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ (التوبة: ٥)، وإلى هذا القول ذهب قتادة، والضحاك، والسدى، وابن جريج، وهى رواية العوفى، عن ابن عباس.

أخبرنا عقيل بن محمد أن أبا الفرج البغدادى أخبرهم، عن محمد بن جرير، حدثنا ابن عبد الأعلى، حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن عبد الكريم الجزرى، قال: كُتِبَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي أُسْرِ أُسْرٍ، فَذَكَرَ أَنَّهُمُ التَّمَسُّوهُ بِفِدَاءِ كَذَا، وَكَذَا، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: اقْتُلُوهُ، لَقَتْلِ رَجُلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كَذَا، وَكَذَا.

وقال آخرون: هي مُحكمة<sup>(١)</sup> والإمام مخير بين القتل، والمنّ، والفداء. وإليه ذهب ابن عمر، والحسن، وعطاء، وهو الاختيار؛ لأنّ النبي ﷺ والخلفاء الراشدين كلّ ذلك فعلوا، فقتل رسول الله عقبة بن أبي معيط، والنضر بن الحارث، يوم بدر صبراً وفادى سائر أسارى بدر. وقيل: بنى قريظة، وقد نزلوا على حكم سعد، وصاروا في يده سلماً ومنّ على أمانة بن أثال الحنفي وهو أسير في يده.

أخبرنا عقيل أن أبا الفرج القاضي البغدادي أخبرهم، عن محمّد بن جرير، حدّثنا ابن عبد الأعلى، حدّثنا ابن ثور، عن معمر، عن رجل من أهل الشام منّ كان يحرس عمر بن عبد العزيز، قال: ما رأيت عمر قتل أسيراً إلاّ واحداً من الترك، كان جرىء بأسارى من الترك، فأمر بهم أن يسترقوا، فقال رجل منّ جاء بهم: يا أمير المؤمنين لو كنت رأيت هذا - لأحدهم - وهو يقتل المسلمين، لكثرت بكأؤك عليهم فقال عمر: قد فذك، فاقتله، فقام إليه فقتله.

﴿حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ أثقالها وأحمالها فلا تكون حرب، وقيل: حتى تضع الحرب أثامها، وأجرامها، فيرتفع، وينقطع، لأنّ الحرب لا تخلو من الإثم في أحد الجانبين والفريقين. وقيل: معناه حتى يضع أهل الحرب آلتها وعدتها أو آلتهم وأسلحتهم فيمسكوا عن الحرب.

والحرب القوم المحاربون كالشرب والركب، وقيل حتى يضع الأعداء المتحاربون أوزارها وأثامها بأن يتوبوا من كفرهم ويؤمنوا من كفرهم ويؤمنوا بالله ورسوله. ويقال للكرع: أوزار، قال الأعشى:

وأعددت للحرب أوزارها رماحاً طوالاً وخيلاً ذكورا

ومعنى الآية: أئخذوا المشركين بالقتل والأسر حتى يظهر الإسلام على الأديان كلّها، ويدخل فيه أهل كلّ ملّة<sup>(٢)</sup> طوعاً أو كرهاً ﴿وَيَكُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَكُمْ عِتَابًا﴾ (الأنفال: ٣٩) فلا نحتاج إلى قتال وجهاد، وذلك عند نزول عيسى (عليه السلام).

وقال الحسن: معناه حتى لا يُعبد إلاّ الله. الكلبي: حتى يسلموا أو يسلموا. ﴿ذَلِكَ﴾ الذي ذكرت وبينت من حكم الكفّار ﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرْنَا مِنْهُمْ﴾ فأهلكهم وكفّاهم أمرهم بغير قتال. ﴿وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ﴾ من حكم الكفّار ونعلم المجاهدين منكم والصابرين ﴿وَالَّذِينَ قَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ قرأ الحسن بضم (القاف) وكسر (التاء) مشدداً من غير (ألف)، وقرأ أبو عمرو

(١) هذا من بيان اختلافهم في الناسخ والمنسوخ فقال جماعة بالنسخ وقالت أخرى بالإحكام.

(٢) في الهامش: «مكة».

ويعقوب وحفص بضمّ (القاف) وكسر (التاء) مخفّفاً من غير (ألف)، واختاره أبو حاتم يعنى الشهداء، وقرأ عاصم الجحدري (قتلوا) بفتح (القاف) و(التاء) من غير (ألف)، يعنى والذين قتلوا المشركين.

وقرأ الباقون (قاتلوا) (بالألف) من المقاتلة، وهم المجاهدون، واختاره أبو عبيد. ﴿فَلَنْ يُضْلَأَ أَعْمَالَهُمْ﴾ قال قتادة: ذكر لنا أنّ هذه الآية أنزلت يوم أحد ورسول الله ﷺ فى الشعب وقد فشت فيهم الجراحات والقتل، وقد نادى المشركون: اعلُّ هُبل، فنادى المسلمون: الله أعلى وأجلّ. فنادى المشركون: يوم بيوم والحرب سجال، لنا عزى ولا عزى لكم.

فقال رسول الله ﷺ: «قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم، إنّ القتال مختلفة، أما قتلانا فأحياء عند ربهم يرزقون، وأما قتلاكم فى النار يُعذبون».

﴿سَيَهْدِيهِمْ﴾ فى الدنيا إلى الطاعة وفى العقبى إلى الدرجات.

﴿وَيُضْلِحْ بِأَلْهَمٍ﴾ يرضى خصماءهم، ويقبل أعمالهم ﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا هُمُ﴾ أى بين لهم منازلهم فيها حتى يهتدوا إلى مساكنهم، ودرجاتهم التى قسم الله لهم، لا يخطئون، ولا يستدلّون عليها أحداً، كأنهم سكاكنها منذ خلقوا، وإنّ الرجل ليأتى منزله منها إذا دخلها كما كان يأتى منزله فى الدنيا، لا يشكل ذلك عليه. وإنه أهدى إلى درجته وزوجته وخدمه ونعمه منه إلى أهله ومنزله فى الدنيا. هذا قول أكثر المفسرين، وقال المؤرج: يعنى طيبها، والعرف: الريح الطيبة، تقول العرب: عرفّت المرقة إذا طيبّتها بالملح والأبازير، قال الشاعر:

وتدخل أيد فى حناجر أفتعت لعادتها من الحزير العرف

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَصُرُوا اللَّهَ﴾ أى رسوله ودينه.

﴿يَصُرْكُمُ وَيُنَبِّتُ أَقْدَامَكُمْ﴾ على الإسلام، وفى القتال ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ﴾ قال ابن عباس: بعداً لهم، وقال أبو العالية: سقوطاً، وقال الضحاك: خيبة، وقال ابن زيد: شقاً، وقال ابن جرير: حزناً، وقال الفراء: هو نصب على المصدر على سبيل الدعاء، وأصل التعس فى النَّاسِ والدواب، وهو أن يقال للعائر: تعسا، إذا لم يريدوا قيامه، ويقال: أتعسه الله، فتعس وهو متعس، وضده لعاء إذا أرادوا قيامه وقد جمعها الأعمش فى بيت واحد يصف ناقته.

بذات لوث غفرناه إذا عثرت فالتعس أدنى لها من أن أقول لعاء

﴿وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ لأنّها كانت فى طاعة الشيطان خالية عن الإيمان. ﴿ذَلِكَ﴾ الإضلال، والإبعاد. ﴿بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَخْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ

الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ أَيُّ أَهْلِكِهِمْ وَدَمَّرَ عَلَيْهِمْ مَنَازِلَهُمْ ، ثُمَّ تَوَعَّدَ مُشْرِكِي قَرِيشٍ .  
 ﴿وَاللَّكَفِرِينَ أَمْثَلَهَا﴾ إن لم يؤمنوا ﴿ذَلِكَ﴾ الذى ذكرت ، وفعلت ﴿بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾  
 وليهم ، وناصرهم ، وحافظهم ، وفى حرف ابن مسعود ذلك بأن الله ولى الذين آمنوا .

﴿وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ  
 تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا ۖ مَحَلَّهُ رُفِعَ عَلَى الْإِبْتِدَاءِ ﴿يَسْمَعُونَ﴾ فى الدنيا ﴿وَيَأْكُلُونَ كَمَا  
 تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ﴾ ليس لهم همّة إلا بطونهم ، وفروجهم ، وهم لاهون ساهون عمّا فى غدهم ،  
 وقيل : المؤمن فى الدنيا يتزود ، والمنافق يتزين ، والكافر يتمتع .

﴿وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ .



﴿وَكَايِنٍ مِنْ قَرِيْبَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرِيْبَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْتِكَ أَهْلَكَ نَهْمٌ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾  
 أَمْنٌ كَانَ عَلَى بَيْتِنَا مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ۗ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ  
 الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ ، وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ  
 لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ ۗ كَمَنْ هُوَ  
 خَلِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيْمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ۗ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا  
 مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانفَا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا  
 أَهْوَاءَهُمْ ۗ وَالَّذِينَ أَهْتَدُوا زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ۗ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ  
 بَغْتَةً ۗ فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرُهُمْ ۗ فَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرُ  
 لِذُنُوبِكُمْ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ۗ وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْلَا  
 نُزِلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ  
 يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَئِكَ لَهُمْ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ  
 الْأَمْرَ فَلَوْ صدَّقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ۗ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ  
 وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ۗ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ ۗ﴾

﴿وَكَايِنٍ مِنْ قَرِيْبَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرِيْبِكَ الَّتِي أَخْرَجْتِكَ﴾ أى أخرجك أهلها يدلّ عليه ﴿أَفَلَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ لم يقل: أهلكنها ﴿فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾ عن ابن عباس: لما خرج رسول الله ﷺ من مكة إلى الغار، التفت إلى مكة، وقال: «أنت أحب بلاد الله إلى الله، وأحب بلاد الله إلى، ولو أن المشركين لم يخرجوني لم أخرج منك». فأنزل الله تعالى هذه الآية.

﴿أَقْمَنَ كَانَ عَلَى بَيْتِهِ مِنْ رَبِّهِ﴾ وهو محمد ﷺ والمؤمنون ﴿كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ وهم أبو جهل والمشركون.

﴿مَثَلُ﴾ شبه وصفة ﴿الْجَنَّةِ الَّتِي﴾ وقرأ على بن أبى طالب أمثال الجنة التى ﴿وَعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾ آجن متغير منتن، يقال: آسن الماء يأسن، وآجن يأجن، وآسن يأسن ويأسن، وآجن يأجن، ويأسن، وأسونا، وأجوناً، إذا تغير، ويقال: آسن الرجل: بكسر السين لا غير، إذا أصابته ريح منتنة، فغشى عليه قال زهير:

يغادر القرنُ مصفراً أنامله      يمد في الرمح ميل المائح الأسن

وقرأ العامة آسن بالمد، وقرأ ابن كثير بالقصر وهما لغتان.

﴿وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ حَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾ لم تدنيسها الأيدي، ولم تدنيسها الأرجل، ونظير لذ ولذيد، طب وطبيب. ﴿وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾ قال كعب الأخبار: نهر دجلة نهر ماء الجنة، ونهر الفرات نهر لبنهم، ونهر مصر نهر خمرهم، ونهر سيحان نهر عسلهم، وهذه الأنهار الأربعة تخرج من نهر الكوثر<sup>(١)</sup>.

﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ﴾ يعنى المتقين الذين هم أهل الجنة، كمن هو خالد فى النار، فاستغنى بدلالة لكلام عليه، وقال ابن كيسان: مثل الجنة التى فيها هذه الأنهار، والثمار، كمثل النار التى فيها الحميم، ومثل أهل الجنة فى النعيم المقيم، كمثل أهل النار فى العذاب الأليم.

﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً قَطَطَ﴾ إذا أدنى منهم شوى وجوههم، ووقعت فروة رؤوسهم، فإذا شربوه قطع ﴿أَمْعَاءَهُمْ﴾ ومنهم ﴿يعنى ومن هؤلاء الكفار مَن يَسْمَعُ إِلَيْكَ﴾ وهم المنافقون يستمعون قولك، فلا يعونه، ولا يفهمونه تهاوناً منهم بذلك، وتغافلاً ﴿حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ من الصحابة ﴿مَاذَا قَالَ أَنفَأَ﴾ (الآن) وأصله الابتداء. قال مقاتل: وذلك أن النبى ﷺ كان يخطب ويحث المنافقين، فسمع المنافقون قوله، فلما خرجوا من المسجد سألوا عبد الله بن مسعود عما قال رسول الله ﷺ استهزاءً وتهاوناً منهم بقوله.

(١) هذا خبر لا يصح ومعروف من هو كعب الأخبار وما هى أخباره فهو وهى أشهر من أن تُعرف.

قال ابن عباس في قوله: ﴿قَالُوا الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾: أنا منهم وقد سئلت فيمن سئل. قال قتادة: هؤلاء المنافقون، دخل رجلان: رجل عقل عن الله تعالى وانتفع بما سمع، ورجل لم يعقل عن الله، فلم ينتفع بما سمع، وكان يقال: الناس ثلاثة: سامع عاقل، وسامع عامل، وسامع غافل تارك.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ فلم يؤمنوا. ﴿وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ وَالَّذِينَ أَهْتَدَوْا﴾ يعنى المؤمنين. ﴿زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَاهُمْ﴾ وقرأ ابن مسعود والأعمش وأنطاهم وأعطاهم ﴿تَقْوَاهُمْ﴾ ألهمهم ذلك، ووفقهم، وقال سعيد بن جبير: وآتاهم ثواب تقواهم. ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ﴾ ينتظرون. ﴿إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ أماراتها وعلاماتها، وبعث (النبي) ﷺ منها وقيل: أدلتها وحجج كونها، واحدها شرط، وأصل الأشرط الإعلام، ومنه الشرط، لأنهم جعلوا لأنفسهم علامة يعرفون بها، ومنه الشرط فى البيع وغيره.

ويقال: أشرط نفسه فى عمل كذا، وأعلمها وجعل له. قال أوس بن حجر يصف رجلاً وقد تدلى بحبل من رأس جبل إلى نبعة ليقطعها ويتخذ منها قوساً:  
فأشرط فيها نفسه وهو معصم  
وألقى بأسباب له وتوكلا  
﴿فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرُهُمْ﴾ يعنى فمن أين لهم التذكّر والاتعاظ والتوبة إذا جاءتهم السّاعة، نظيره قوله تعالى: ﴿وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاطُشُ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ (سبأ: ٥٢).

﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ قال بعضهم: الخطاب للنبي ﷺ والمراد به غيره وأخواتها كثيرة، وقيل: فاثبت عليه، وقال الحسين بن الفضل: فازدد علماً على علمك، وقال عبد العزيز بن يحيى الكنانى: هو أن النبي ﷺ كان يضجر، ويضيق صدره من طعن الكافرين، والمنافقين فيه، فأنزل الله هذه الآية، يعنى فاعلم أنه لا كاشف يكشف ما بك إلا الله، فلا تعلق قلبك على أحد سواه.

وقال أبو العالية وابن عيينة: هذا متصل بما قبله، معناه فاعلم أنه لا ملجأ، ولا مفرج عند قيام السّاعة، إلا الله. سمعت أبا القاسم بن حبيب يقول: سمعت أبا بكر بن عدش يقول: معناه فاعلم أنه لا قاضى فى ذلك اليوم إلا الله، نظيره ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ (الفاتحة: ٤).

﴿وَاسْتَغْفِرْ لِدُنْيِكَ﴾ ليستن أمتك بستتك، وقيل: واستغفر لذنبك من التقصير الواقع لك فى معرفة الله.

﴿وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ أخبرنى عقيل بن محمد أن أبا الفرج القاضى أخبرهم، عن محمد

ابن جرير، حدثنا أبو كريب، حدثنا عثمان بن سعيد، حدثنا إبراهيم بن سليمان، عن عاصم الأحول، عن عبد الله بن سرجس، قال: دخلت على رسول الله ﷺ، فقلت: غفر الله لك يا رسول الله، فقال رجل من القوم: استغفر لك يا رسول الله؟! قال: «نعم ولك» ثم قرأ ﴿وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾.

أخبرنا ابن فنجويه الدينوري، حدثنا أحمد بن علي بن عمر بن حبش الرازي، حدثنا أبو بكر محمد بن عيَّاش<sup>(١)</sup> العتبي، حدثنا أبو عثمان سعيد بن عنبسة الحزاز، حدثنا عبد الرحمن ابن محمد، عن بكر بن حنيس، عن محمد بن يحيى، عن يحيى بن وردان، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «من لم يكن عنده مال يتصدق به، فليستغفر للمؤمنين والمؤمنات، فإنها صدقة».

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمُتَوَلِّكُمْ﴾ قال عكرمة: يعنى متقلبكم من أصلاب الآباء إلى أرحام الأمهات، ومثواكم: مقامكم فى الأرض. ابن كيسان: متقلبكم من ظهر إلى بطن، ومثواكم: مقامكم فى القبور. ابن عباس والضحاك: منصرفكم ومتشركم فى أعمالكم فى الدنيا، ومثواكم: مصيركم إلى الجنة وإلى النار. ابن جرير: متقلبكم: منصرفكم لأشغالكم بالنهار، ومثواكم: مضجعكم للنوم بالليل، لا يخفى عليه شىء من ذلك.

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ اشتباهاً منهم إلى الوحي وحرصاً على الجهاد. ﴿لَوْلَا نَزَلَتْ سُورَةٌ﴾ تأمرنا بالجهاد. ﴿فَإِذَا نَزَلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ﴾ بالأمر والنهى، قال قتادة: كل سورة ذكر فيها الجهاد، فهى محكمة، وهى أشد القرآن على المنافقين. وفى حرف عبد الله (سورة محدثة) ﴿وَذَكَرَ فِيهَا الْقِتَالَ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾ يعنى المنافقين ﴿يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ شزراً، بتحديق شديد كراهة منهم للجهاد، وجبناً منهم على لقاء العدو ﴿نَظَرَ﴾ كنظر ﴿الْمَغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَئِكَ لَهُمْ وَعِيدٌ وَتَهْدِيدٌ﴾ قال: ﴿طَاعَةٌ﴾ مجازه، ويقول هؤلاء المنافقون قبل نزول الآية المحكمة (طاعة) رفع على الحكاية أى أمرنا طاعة أو منا طاعة.

﴿وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ حسن وقيل: هو متصل بالكلام الأول، (واللام) فى قوله (لهم) بمعنى (الباء) مجازه فأولى بهم طاعة لله ورسوله ﴿وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ بالإجابة والطاعة.

﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ﴾ أى جد الأمر وعزم عليه وأمروا بالقتال. ﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ﴾ فى إظهار الإيمان والطاعة ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ فهل عسيتم؟ فلعلكم ﴿إِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ أعرضتم عن الإيمان، وعن القرآن، وفارقتم أحكامه.

(١) فى الهامش: «عباس».



﴿أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ بالمعصية، والبغى، وسفك الدماء، وتعودوا إلى ما كنتم عليه في الجاهلية من الفرقة، بعدما جمعكم الله تعالى بالإسلام، وأكرمكم بالألفة.

قال قتادة: كيف رأيتم القوم حين تولوا عن كتاب الله؟ ألم يسفكوا الدم الحرام، وقطعوا الأرحام، وعصوا الرحمن؟، وقال بعضهم: هو من الآية. قال المسيب بن شريك والفراء: يقول: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ إن وليتم أمر الناس ﴿أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ بالظلم، نزلت في بنى أمية، ودليل هذا التأويل ما أخبرنا الحسين بن محمد بن الحسين، حدثنا هارون بن محمد ابن هارون، حدثنا محمد بن عبد العزيز، حدثنا القاسم بن يونس الهلالي، عن سعيد بن الحكم الوراق، عن ابن داود، عن عبد الله بن مغفل، قال: سمعت النبي ﷺ يقرأ ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ ثم قال: «هم هذا الحى من قريش أخذ الله عليهم إن وكوا الناس ألا يفسدوا في الأرض ولا يقطعوا أرحامهم».

وقرأ على بن أبي طالب ﴿إِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ بضم (التاء) و(الواو) وكسر (اللام)، يقول: إن وليتكم ولاة جائرة خرجتم معهم في الفتنة، وعاونتموهم. ومثله روى رويس عن يعقوب. ﴿وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ قرأ يعقوب، وأبو حاتم، وسلام (وتقطعوا) خفيفة من القطع اعتباراً بقوله: ﴿وَيَقَطُّعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ (البقرة: ٢٧) وقرأ الحسن (يقطعون) مفتوحة الحروف، اعتباراً بقوله: ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾ (المؤمنون: ٥٣)، وقرأ غيرهم ﴿وَتَقَطَّعُوا﴾ بضم (التاء) مشدداً من التقطيع على التكاثر لأجل الأرحام.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ﴾ عن الحق.



﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْعَانَ أَمْ عَلَى قُلُوبِ أَقْفَالِهَا﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ آذَنُوا عَلَىٰ أَذْبَرِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانِ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمَلَىٰ لَهُمْ﴾ ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا الَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾ ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَذْبَرَهُمْ﴾ ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ﴾ ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغاثَهُمْ﴾ ﴿وَلَوْ شَاءَ لَأَرَيْنَاكُمْ فَلَعرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ ﴿وَلَتَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّادِقِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا

وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحِبِّطُ أَعْمَالَهُمْ ﴿١٠٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴿١٠١﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴿١٠٢﴾ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴿١٠٣﴾ إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَإِنْ تُوْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أَجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ ﴿١٠٤﴾ إِنْ يَسْأَلْكُمْ مَوَالِيكُمْ فَيُحْفِكُمْ تَبَخَّلُوا وَبُنْتُوا يُؤْتِكُمْ أَجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ ﴿١٠٥﴾ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَخِلْ عَنِ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ ﴿١٠٦﴾

﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ﴾ الْفُرَّانَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ تفهم مواضع القرآن، وأحكامه، أخبرنا عقيل بن محمد، أخبرنا المعافى بن زكريا، أخبرنا محمد بن جرير، حدثنا ابن حميد، حدثنا يحيى بن واضح، حدثنا ثور بن يزيد، عن خالد بن معدان، قال: ما من الناس أحد إلا وله أربع أعين: عينان في وجهه لديناه، ومعيشته، وعينان في قلبه لدينه، وما وعد الله من الغيب. وما من أحد إلا وله شيطان متبطن فقار ظهره، عاطف عنقه على عاتقه، فاغر فاه إلى ثمرة قلبه، فإذا أراد الله بعبد خيراً أبصرت عيناه اللتان في قلبه ما وعد الله تعالى من الغيب، فيعمل به، وإذا أراد الله بعبد شراً طمس عليهما، فذلك قوله: ﴿أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾.

وبه عن ابن جرير، حدثنا بشير، حدثنا حماد بن زيد، حدثنا هشام بن عبدة عن أبيه، قال: تلا رسول الله ﷺ يوماً: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ﴾ الْفُرَّانَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ فقال شاب من أهل اليمن: بل عليها أقفالها حتى يكون الله يفتحها أو يفرجها، فما زال الشاب في نفس عمر حتى ولى فاستعان به.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آذَوْا آلَ مُحَمَّدٍ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ﴾ قال قتادة: هم كفار أهل الكتاب كفروا بمحمد وهم يعرفونه ويجدون نعتهم مكتوباً عندهم، وقال ابن عباس والضحاك والسدي: هم المنافقون.

﴿الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ﴾ زين لهم ﴿وَأَمَلَى لَهُمْ﴾ قرأ أبو عمرو بضم (الألف) وفتح (الياء) على وجه ما لم يُسمِّ فاعله. وقرأ مجاهد، ويعقوب بضم (الألف) وإرسال (الياء) على وجه الخبر

من الله تعالى عن نفسه أنه يفعل ذلك بهم وهو اختيار أبي حاتم. وقرأ الآخرون ﴿وَأْمَلَى﴾ بفتح (الألف) بمعنى وأملى لهم وهو اختيار أبي عبيدة.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾ يعنى هؤلاء المنافقين أو اليهود ﴿قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ﴾ وهم المشركون. ﴿سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ﴾ فى مخالفة محمد ﷺ، والعود عن الجهاد. ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾ قرأ أهل الكوفة إلا أبا بكر بكسر (الألف) على الفعل، غيرهم بفتحها على جمع السر.

﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ﴾ (بالتاء) قراءة العامة، وقرأ عيسى بن عمر (توفيهم) (بالياء). ﴿الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبُرَهُمْ﴾ عند الموت، نظيرها فى الأنفال والنحل. ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ﴾ أمر حسب الذين فى قلوبهم مرضٌ ﴿شك﴾، يعنى المنافقين ﴿أَنَّ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَصْفَانَهُمْ﴾ أحقادهم على المؤمنين، واحدا ضغن، فيديها لهم حتى يعرفوا نفاقهم. ﴿وَلَوْ شَاءَ لَأَرْسَلْنَاكُمْ﴾ أى لأعلمناكم، وعرفناكم، ودلناك عليهم، تقول العرب: سأريك ما أصنع بمعنى سأعلمك، ومنه قوله تعالى: ﴿بِمَا أَرْسَلْنَاكَ اللَّهُ﴾ (النساء: ١٠٥).

﴿فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾ بعلامتهم، قال أنس بن مالك: ما أخفى على رسول الله ﷺ بعد نزول هذه الآية شىء من المنافقين، كان يعرفهم بسيماهم، ولقد كنا معه فى غزاة وفيها سبعة من المنافقين يشكوهم الناس، فانما ذات ليلة وأصبحوا وعلى كل واحد منهم مكتوب هذا منافق، فذلك قوله: ﴿بِسِيمَاهُمْ﴾ (١).

وقال ابن زيد: قد أراد الله إظهار نفاقهم، وأمر بهم أن يخرجوا من المسجد، فأبوا إلا أن يسكوا بلا إله إلا الله، فلما أبوا أن يسكوا إلا بلا إله إلا الله، حقت دماؤهم، ونكحوا، ونكحوا بها.

﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ قال ابن عباس: فى معنى ﴿الْقَوْلِ﴾: الحُسن فى فحواه. القرطى: فى مقصده ومغزاه. واللحن وجهان: صواب، وخطأ، فأما الصواب فالفعل منه لحن يلحن لحنًا، فهو لحن إذا فطن للشىء، ومنه قول النبى ﷺ: «ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض» والفعل من الخطأ لحن يلحن لحنًا، فهو لحن، والأصل فيه إزالة الكلام عن جهته، وفى الخبر أنه قيل لمعاوية: إن عبيد الله بن زياد يتكلم بالفارسية، فقال: أليس طريقًا من ابن أخى أن يلحن فى كلامه أى يعدل به من لغة إلى لغة، قال الشاعر:

وحديث أذنه هو ممّا ينعت الناعتون يوزن وزنا

(١) هذا الخبر تلوح عليه علامات الوضع.

منطق صائب وتلحن أحياناً وخير الحديث ما كان لحنا

يعنى ترتل حديثها .

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ ﴿وَلِتَبْلُؤُنَاكُمْ﴾ بالجهاد ﴿حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَتَبْلُؤُوا أَخْبَارَكُمْ﴾ قرأ العامة كلها بالنون لقوله: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْ﴾ . وروى أبو بكر والفضل ، عن عاصم كلها (بالياء) . وقرأ يعقوب ، (ونبلوا) ساكنة (الواو) رداً على قوله : (نعلم) .

قال إبراهيم بن الأشعث : كان الفضل إذا قرأ هذه الآية بكى ، وقال : اللهم لا تبلنا ، فإنك إن بلوتنا هتكت أستارنا ، وفضحتنا .

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُوا الرُّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَنْ يَضُرَّوْا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحِطُّ بِأَعْمَالِهِمْ﴾ قال ابن عباس : هم المطعمون يوم بدر ، نظيره قوله : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُفْقَرُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (الأنفال: ٣٦) . . . الآية .

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرُّسُولَ وَلَا تَبْطُلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ بمعصيتهما<sup>(١)</sup> ، قال مقاتل والثمالى : لا تمنوا على رسول الله فتبطلوا أعمالكم ، نزلت فى بنى أسد . وسنذكر القصة فى سورة الحجرات إن شاء الله . وقيل : بالعجب والرياء .

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ قيل : هم أصحاب القليب ، وحكمها عام ﴿فَلَا تَهْتَفُوا﴾ تضعفوا ﴿وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ﴾ إلى الصلح ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾ لأنكم مؤمنون محققون .

﴿وَاللَّهُ مَعَكُمْ﴾ قال قتادة : لا تكونوا أول الطائفتين ضرعت إلى صاحبها ﴿وَلَنْ يَزِيَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ قال ابن عباس وقتادة والضحاك وابن زيد : لن يظلمكم . مجاهد : لن ينقصكم أعمالكم بل يثيبكم عليها ، ويزيدكم من فضله ، ومنه قول النبي ﷺ : «من فاته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله» أى ذهب بهما .

﴿إِنَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا لَإِغْوٍ وَهَوًىٰ وَإِنْ تُوْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أَجْرَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ رَبُّكُمْ بِرَبِّكُمْ﴾ ﴿أَمْوَالِكُمْ﴾ لا يسألكم الأجر ، بل يأمركم بالإيمان ، والطاعة ليثيبكم عليها الجنة ، نظيره قوله : ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ﴾ (الذاريات: ٥٧) . . الآية ، وقيل : (ولا يسألكم) محمد صدقة أموالكم ، نظيره قوله : ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ...﴾ (ص: ٨٦) وقيل : معنى الآية ولا يسألكم الله ورسوله أموالكم كلها إنما يسألونكم غيضاً من فيض ، ربع العشر فطيخوا بها نفساً ، وإلى هذا القول ذهب ابن عيينة وهو اختيار أبى بكر بن عبدش ، قال : حكى لنا ابن حبيب (١) كذا فى الأصل ، والأولى أن يقول بمعصية الله ورسوله ﷺ . والله أعلم .

عنه ، يدلّ عليه سياق الآية .

﴿إِنْ يَسْأَلْكُمْوهَا فَيُخَفِّكُمْ﴾ فيجهدكم ويلحّ ويلحفكم عليها ، وقال ابن زيد : الإحفاء أن تأخذ كلّ شيء بيدك .

﴿تَبَخَّلُوا وَبَخَّرْ أضعفناكم﴾ قال قتادة : قد علم الله تعالى أن في مسألة المال خروج الأضعافان ﴿هَاتِئْتُمْ هَؤُلَاءِ تَدْعُونَ لِنُفْقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلُ عَن نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ﴾ عن صدقاتكم وطاعتكم ﴿وَأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ﴾ إليها ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾ في الطوعية ، بل يكونوا أطوع لله تعالى وأمثل منكم ، قال الكلبي : هم كندة والنخع . الحسن : هم العجم عكرمة : فارس والروم . وأخبرنا أبو عبد الله الحسين بن محمد ابن الحسين بن عبد الله بن فنجويه الدينوري ، حدثنا عمر بن الخطاب ، حدثنا عبد الله بن الفضل ، حدثنا يحيى بن أيوب ، حدثنا إسماعيل بن جعفر ، أخبرني عبد الله بن نجيح ، عن العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، قال : قال أناس من أصحاب رسول الله ﷺ : يا رسول الله من هؤلاء الذين ذكرهم الله تعالى في القرآن إن تولّينا استبدلوا ، ثم لا يكونوا أمثالنا؟ قال : وكان سلمان إلى جانب رسول الله ﷺ ، فضرب رسول الله ﷺ فخذ سلمان وقال : «هذا وقومه ، والذي نفسي بيده لو كان الإيمان معلقاً بالثريا لتناولوه رجال من فارس» .



## سُورَةُ الْفَتْحِ

مدنية ، وهى تسع وعشرون آية ، وخمسمائة وستون كلمة ،  
والفان وأربعمائة وثمانية وثلاثون حرفاً

أخبرنا عبید الله بن محمد الزاهد بقراءتى عليه ، حدثنا أبو العباس السراج ، حدثنا أبو الأشعث ، حدثنا أبو المعتمر ، قال : سمعت أبى يحدث عن قتادة ، عن أنس ، قال : لما رجعنا من غزوة الحديبية ، قد حيل بيننا وبين نسكنا ، فنحن بين الحزن والكآبة ، فأنزل الله تعالى عليه ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ الآية كلها .

فقال رسول الله : «لقد نزلت على آية هى أحبُّ إلىَّ من الدنيا جميعاً» .

أخبرنا أبو الحسن بن أبى الفضل القهندرى بقراءتى عليه ، أخبرنا مكى بن عبدان ، حدثنا محمد بن يحيى ، قال : وفيما قرأت على عبد الله بن نافع وحدثنى مطرف ، عن مالك ، عن زيد بن أسلم ، عن أبيه أن رسول الله ﷺ كان يسير فى بعض أسفاره وعمر بن الخطاب رضى الله عنه يسير معه ليلاً ، فسأله عمر عن شىء فلم يجبه ، ثم سأله فلم يجبه ، قال عمر : فحرّكت بعيرى حتى تقدّمت أمام الناس ، وخشيت أن يكون نزل فى قرآن ، فجئت رسول الله ﷺ ، فقال : «لقد أنزلت على الليلة سورة<sup>(١)</sup> لهى أحبُّ إلىَّ مما طلعت عليه الشمس» ، ثم قرأ ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾<sup>(٢)</sup> .

أخبرنا الحسين بن محمد بن فنجويه الثقفى ، حدثنا الفضل بن الفضل الكندى ، حدثنا حمزة بن الحسين بن عمر البغدادى ، حدثنا محمد بن عبد الملك ، قال : سمعت يزيد بن هارون يقول : سمعت المسعودى يذكر ، قال : بلغنى أن من قرأ فى أوّل ليلة من رمضان ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ فى التطوع حفظ ذلك العام .

(١) فى المخطوط فوق هذه الكلمة : «آية» .

(٢) أخرجه الترمذى فى الجامع الصحيح فى باب (٤٨) من كتاب التفسير فى تفسير سورة الفتح حديث رقم (٣٢٦٢) بنحوه ، وقال : هذا

حديث صحيح غريب .

ورواه بعضهم عن مالك رسلاً .

والبخارى فى المغازى فى باب غزوة الحديبية وفضائل القرآن باب فضل سورة الفتح ، والتفسير باب تفسير : ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ .

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيمًا ﴿٣﴾ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ۗ وَاللَّهُ جُنُودَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ۗ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُتَفَقِّهَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ۗ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ وَاللَّهُ جُنُودَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيمًا حَكِيمًا ﴿٧﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ۗ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾﴾

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ أخبرنا عبيد الله بن محمد الزاهد، أخبرنا أبو العباس السراج، حدثنا هناد بن السرى، حدثنا يونس بن بكير، حدثنا علي بن عبد الله التيمي يعني أبا جعفر الرازى، عن قتادة، عن أنس ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ قال: فتح مكة، وقال مجاهد والعوفى: فتح خيبر، وقال الآخرون: فتح الحديبية.

روى الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر، قال: ما كنا نعدّ فتح مكة إلا يوم الحديبية. وروى إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن البراء، قال: تعدون أنتم الفتح فتح مكة، وقد كان فتح مكة فتحًا، ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية، كنا مع رسول الله ﷺ أربع عشرة مائة. والحديبية بئر.

أخبرنا عقيل بن محمد الفقيه أنّ أبا الفرج القاضى البغدادى، أخبرهم، عن محمد بن جرير، حدثنا موسى بن سهل الرملى، حدثنا محمد بن عيسى، حدثنا مجمع بن يعقوب الأنصارى، قال: سمعت أبا يحدث، عن عمّه عبد الرحمن بن يزيد، عن عمّه، محمد (١)

(١) كذا وفى الهامش: مجمع.

ابن حارثة الأنصاري - وكان أحد القراء الذين قرءوا القرآن - قال: شهدنا الحديبية مع رسول الله ﷺ، فلما انصرفنا عنها، إذا الناس يهزون الأباغر، فقال بعض الناس لبعض: ما بال الناس؟ قالوا: أوحى إلى رسول الله ﷺ. قال: فخرجنا نوجف، فوجدنا النبي (عليه السلام) واقفاً على راحلته عند كراع العميم، فلما اجتمع إليه الناس، قرأ ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾. فقال عمر: أو فتح هو يا رسول الله؟ قال: «نعم والذى نفسى بيده إنه لفتح». فقسم ﷺ الخمس بخير على أهل الحديبية، لم يدخل فيها أحد إلا من شهد الحديبية.

أخبرنا الحسين بن محمد بن فنجويه العدل، حدثنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن شنبه، حدثنا عبيد الله بن أحمد الكسائي، حدثنا الحارث بن عبد الله، أخبرنا هشيم، عن مغيرة، عن الشعبي في قوله: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ قال: فتح الحديبية، غفر له ما تقدم من ذنبه، وما تأخر، وأطعموا نخل خبير، وبلغ الهدى محلّه، وظهرت الروم على فارس، وفرح المؤمنون بظهور أهل الكتاب على الجوس.

وقال مقاتل بن حيان: يسرنا لك يسراً بيناً، وقال مقاتل بن سليمان: لما نزل قوله: ﴿وَمَا أَزِدْكَ بِهَا بِرَبِّكَ﴾ (الأحقاف: ٩) فرح بذلك المشركون، والمنافقون، وقالوا: كيف تتبع رجلاً لا يدرى ما يفعل به وبأصحابه، ما أمرنا وأمره إلا واحد، فأنزل الله تعالى بعدما رجع من الحديبية ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ أى قضينا لك قضاءً بيناً.

﴿لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ فنسخت هذه الآية تلك الآية<sup>(١)</sup>، وقال ﷺ: «لقد نزلت على آية ما يسرنى بها حمر النعم».

وقال الضحاك: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ بغير قتال، وكان الصلح من الفتح، وقال الحسن: فتح الله عليه بالإسلام.

﴿لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ﴾ قال أبو حاتم: هذه (لام) القسم، لما حذفت (النون) من فعله كسرت اللام ونُصب فعلها بسببها بلام كى، وقال الحسين بن الفضيل: هو مردود إلى قوله: ﴿وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ (محمد: ١٩) ﴿لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ ﴿لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ وقال محمد بن جرير: هو راجع إلى قوله: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُ إِنَّهُ

(١) سبق الكلام عن الخلاف بين العلماء فى مسألة الناسخ والمنسوخ فمن مؤيد ومعارض، وهنا لا تعارض بين الآيتين ظاهراً حتى يستدعى قول هؤلاء ولا هؤلاء فالأولى مبينة أنه لا يعلم الغيب إلا الله تعالى، والثانية: مبشرة له ومخبرة عن مغفرة الله عز وجل له ﷺ.



كَانَ تَوَابًا (النصر: ١-٣) ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ﴾ قبل الرسالة ﴿وَمَا تَأَخَّرَ﴾ إلى وقت نزول هذه السورة.

أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن محمد بن عبد الله الحافظ، حدثنا أبو عمرو عثمان بن عمر بن حقيف الدرّاج، حدثنا حامد بن شعيب، حدثنا شريح بن يونس، حدثنا محمد بن حميد، عن سفيان الثوري ﴿مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ﴾ ما عملت في الجاهلية ﴿وَمَا تَأَخَّرَ﴾ كل شيء لم تعمله. وقال عطاء بن أبي مسلم الخراساني: ﴿مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ﴾ يعني ذنب أبويك آدم وحواء ببركتك ﴿وَمَا تَأَخَّرَ﴾ ديوان أمتك بدعوتك. سمعت الطرازي يقول: سمعت أبا القاسم النصر آبادي يقول: سمعت أبا علي الروذباري بمصر يقول: في قول الله تعالى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وََمَا تَأَخَّرَ﴾، قال: لو كان لك ذنب قديم أو حديث لغفرناه.

﴿وَيَسِّرْ لَكُمْ أَسْبَابَ الْعِلْمِ﴾ أي ويسّرك عليه، وقيل: يهدى بك ﴿وَيَنْصُرْكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيمًا﴾ غالبًا. وقيل: معزًا. ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ﴾ الرحمة، والطمأنينة ﴿فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قال ابن عباس: كل سكينه في القرآن فهي الطمأنينة إلا التي في البقرة.

﴿لِيَزَادُوا إيمَانًا مَعَ إيمَانِهِمْ﴾ قال ابن عباس: بعث الله نبيه ﷺ بشهادة أن لا إله إلا الله، فلما صدّقوا فيها زادهم الحجّ، ثم زادهم الجهاد، ثم أكمل لهم دينهم بذلك، وقوله تعالى: ﴿لِيَزَادُوا إيمَانًا مَعَ إيمَانِهِمْ﴾ أي تصديقًا بشرائع الإيمان مع تصديقهم بالإيمان.

وقال الضحّاك: يقيّنًا مع يقينهم، وقال الكلبي: هذا في أمر الحديبية حين صدق الله رسوله الرؤيا بالحقّ.

﴿وَاللَّهُ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ أخبرنا عبّيد الله بن محمد الزاهد، أخبرنا أبو العبّاس السراج، حدثنا محمد بن عبد الله بن المبارك، حدثنا يونس بن محمد، حدثنا شيبان، عن قتادة في قوله سبحانه: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وََمَا تَأَخَّرَ﴾ قال أنس بن مالك: إنها نزلت على النبي ﷺ بعد مرجعه من الحديبية، وأصحابه مخالطو الحزن والكآبة، قد حيل بينهم وبين مناسكهم ونحروا الحديبية، فقال النبي ﷺ: «لقد أنزلت على آية هي أحبُّ إلى من الدنيا جميعًا» فقرأها على أصحابه، فقالوا: هنيئًا مريئًا يا رسول الله، قد بين الله تعالى ما يفعل بك، فماذا يفعل بنا؟ فأنزل الله تعالى: ﴿لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ قال أهل المعاني: وإنما كرر (اللام) في قوله: ﴿لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ بتأويل تكرير الكلام مجازه ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وََمَا تَأَخَّرَ ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ﴾ لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا

الْأَهْرُ خَلْدَيْنِ فِيهَا وَيَكْفُرُ عَنْهُمْ سَوَاءً تَمَّ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ قَوْزًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظُنُّ السُّوءِ ﴿١١﴾ أَيْ لَنْ يَنْصُرَ اللَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ .

﴿عَلَيْهِمْ دَابْرَةُ السُّوءِ﴾ بِالذَّلِّ وَالْعَذَابِ ﴿وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ وَاللَّهُ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴿قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمْرٍو أَرْبَعَتَهَا<sup>(١)</sup> بِالْيَاءِ ، وَاخْتَارَهُ أَبُو عُبَيْدٍ ، قَالَ : لِذِكْرِ الْمُؤْمِنِينَ قَبْلَهُ ، وَبَعْدَهُ ، فَأَمَّا قَبْلَهُ فَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وَبَعْدَهُ قَوْلُهُ : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ﴾ (الفتح : ١٠) وَقَرَأَهَا الْآخَرُونَ بِالتَّاءِ ، وَاخْتَارَهُ أَبُو حَاتِمٍ .

﴿وَتُعَزِّرُوهُ﴾ وَقَرَأَ مُحَمَّدُ بْنُ السَّمِيقِ بَزَايِينَ ، (وَقَرَأَ)<sup>(٢)</sup> وَغَيْرُهُ بِالرَّاءِ أَيْ لِتَعِينُوهُ ، وَتَنْصُرُوهُ . قَالَ عِكْرَمَةُ : تَقَاتَلُونَ مَعَهُ بِالسَّيْفِ ، أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ أَحْمَدَ الْبَغْدَادِي ، أَخْبَرَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ الشَّيْبَانِي ، أَخْبَرَنَا عَيْسَى بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَصْرِيُّ بِهَرَاةَ ، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَرْبٍ الْمَوْصِلِيُّ ، حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ بْنُ يَزِيدَ الْحَرَمِيُّ ، حَدَّثَنَا سَفْيَانُ بْنُ سَعِيدِ الثَّوْرِيِّ ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدِ الْقَطَّانِ ، حَدَّثَنَا سَفْيَانُ بْنُ عَيْنَةَ ، عَنْ عَمْرٍو بْنِ دِينَارٍ ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ : لَمَّا نَزَلَتْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ﴿وَتُعَزِّرُوهُ﴾ ، قَالَ لَنَا : مَاذَا كُمْ ؟ قُلْنَا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ .

قال : لتنصروه وتؤقروه وتعظموه وتفخموه . وهاهنا وقف تام .

﴿وَتَسْبِحُوهُ﴾ أَيْ وَتَسْبِحُوا اللَّهَ بِالتَّزْيِينِ وَالصَّلَاةِ . ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ .



﴿إِنَّ الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِنَّا فَمِنَّا﴾ أَعْزَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ ﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَتَقَلَّبَ الرَّسُولُ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزِينَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ

(١) يريد : ليؤمنوا ، ويعززوه ، ويوقروه ويسبحوه ، فهذه هي الأربعة التي قصد أنها كلها بالياء المثناة من تحت والتي هي آخر الحروف .

(٢) زيادة تركها المؤلف اختصاراً .

السَّوَاءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴿١٠﴾ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴿١١﴾ وَاللَّهُ  
 مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَعْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٢﴾  
 سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَارِمٍ لِتَأْخُذُواَهَا ذُرُونًا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلِمَةَ اللَّهِ  
 قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَقْهَهُونَ إِلَّا  
 قَلِيلًا ﴿١٣﴾ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سُدَّ عَوْنٌ إِلَى قَوْمٍ أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ  
 فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٤﴾ لَيْسَ  
 عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ  
 يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يَُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٥﴾ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ  
 الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا  
 قَرِيبًا ﴿١٦﴾ وَمَغَارِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَعَدَّكُمْ اللَّهُ مَغَارِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا  
 فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَتَبَ أَيْدِي النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا  
 مُسْتَقِيمًا ﴿١٨﴾ وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿١٩﴾  
 ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾ يَا مُحَمَّدَ بِالْحَدِيثِ عَلَى أَنْ لَا يَفِرُوا ﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾.

أخبرنا ابن فنجويه، حدثنا ابن حبش المقرئ، حدثنا محمد بن عمران، حدثنا أبو عبد الله  
 الخزومي، حدثنا سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار أنه سمع جابراً يقول: كنا يوم الحديبية  
 ألف وأربعمائة، فقال لنا رسول الله ﷺ: «أنتم اليوم خير أهل الأرض». قال: وقال لنا جابر:  
 لو كنت أبصر لأريتكم موضع الشجرة، وقال: بايعنا رسول الله تحت السمرة على الموت على  
 أن لا نفر، فما نكث أحد منا البيعة، إلا جد بن قيس وكان منافقاً، اختبأ تحت إبط بعيره، ولم  
 يسر مع القوم. ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ قال ابن عباس: ﴿يَدُ اللَّهِ﴾ بالوفاء لما وعدهم من الخير  
 ﴿فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ بالوفاء.

وقال السدي: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ وذلك أنهم كانوا يأخذون بيد رسول الله ﷺ ويباعونه،  
 و ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ عند المبايعة.

وقال الكلبي: معناه نعمة الله عليهم فوق ما صنعوا من البيعة، وقال ابن كيسان: قوة الله

ونصرته فوق قوتهم ونصرتهم.

﴿فَمَنْ نَكَثَ﴾ يعني البيعة ﴿فَأَتَانَا بِنُكُثٍ عَلَىٰ نَفْسِهِ﴾ عليه وباله ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَنْ نَكَثَ﴾ قرأ أهل العراق (بالياء)، و(قرأها)<sup>(١)</sup> غيرهم بالنون.

﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ وهو الجنة ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾ قال ابن عباس ومجاهد: يعني أعراب غفار، ومزينة، وجهينة، وأشجع، وأسلم، والديك، وذلك أن النبي ﷺ حين أراد المسير إلى مكة عام الحديبية معتمراً استنفر من حول المدينة من الأعراب، وأهل البوادي ليخرجوا معه حذراً من قريش أن يعرضوا له بحرب ويصدوه عن البيت، وأحرم هو ﷺ، وساق معه الهدى ليعلم الناس أنه لا يريد حرباً، فتناقل عنه كثير من الأعراب، وقالوا: نذهب معه إلى قوم، قد جاؤوه، فقتلوا أصحابه، فنقاتلهم، فتخلفوا عنه. واعتلوا بالشغل، فأنزل الله تعالى: ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾ الذين خلفهم الله عن صحبتك، وخدمتك في حجتك، وعمرتك إذا انصرفت إليهم، فعاتبتهم على التخلف عنك.

﴿شَغَلْنَا أَمْوَالَنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْنَا﴾ ثم كذبهم في اعتذارهم واستغفارهم وأخبر عن إسرارهم وإضمارهم، فقال: ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا﴾ قرأ حمزة والكسائي وخلف بضم (الضاد) والباقون بالفتح، واختاره أبو عبيد، وأبو حاتم، قالوا: لأنه قابله بالنفع ضد الضر.

﴿أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهلهم أبداً وزيّن ذلك في قلوبكم وظننتم ظن السوء﴾ وذلك بأنهم قالوا: إن محمداً وأصحابه أكلة رأس فلا يرجعون، فأين تذهبون؟ انتظروا ما يكون من أمرهم.

﴿وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾ هالكين، فاسدين، لا تصلحون لشيء من الخير. ﴿وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا﴾ ولله ملك السموات والأرض يغير لمن يشاء ويعذب من يشاء وكان الله غفوراً رحيماً ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ﴾ عن الحديبية ﴿إِذَا أَنْطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَعَاذٍ﴾ يعني غنائم خيبر ﴿لِتَأْخُذُوا مَا ذَرُونَا لَتَبِعَكُمْ﴾ إلى خيبر فنشهد معكم، فقال أهلها: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَةَ اللَّهِ﴾ قرأ حمزة والكسائي (كلم الله) بغير (ألف)، و(قرأ)<sup>(٢)</sup> غيرهما: (كلام الله)، واختاره أبو عبيد وأبو حاتم، قال الفراء: الكلام مصدر، والكلم جمع الكلمة، ومعنى الآية يريدون أن يغيروا وعد الله الذي وعد أهل الحديبية، وذلك أن الله تعالى جعل غنائم خيبر لهم عوضاً من غنائم

(١) زيادة تركها المؤلف اختصاراً.

(٢) زيادة تركها المؤلف اختصاراً.

أهل مكة، إذا انصرفوا عنهم على صلح، ولم يصيبوا منهم<sup>(١)</sup> شيئاً، وقال ابن زيد: هو قوله تعالى: ﴿فَاسْتَقْدُواكَ لِلخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا﴾ (التوبة: ٨٣). والقول الأول أصوب، وإلى الحق أقرب، لأن عليه عامة أهل التأويل، وهو أشبه بظاهر التنزيل لأن قوله: ﴿فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا﴾ نزلت في غزوة تبوك. ﴿قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا﴾ إلى خير. ﴿كَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾ أى من قبل مرجعنا إليكم: إن غنيمة خير لمن شهد الحديبية، ليس لغيرهم فيها نصيب.

﴿فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا﴾ أن نصيب معكم من الغنائم. ﴿بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سُدْعُونَ إِلَى قَوْمِ بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ قال ابن عباس، وعطاء بن أبى رباح، وعطاء الخراسانى، وعبد الرحمن بن أبى ليلى، ومجاهد: هم فارس. كعب: الروم. الحسن: فارس، والروم. عكرمة: هوازن. سعيد بن جبير: هوازن، وثقيف. قتادة: هوازن وغطفان يوم حنين. الزهرى، ومقاتل: بنو حنيفة أهل اليمامة، أصحاب مسيلمة الكذاب. قال رافع بن خديج: والله لقد كنا نقرأ هذه الآية فيما مضى ﴿سُدْعُونَ إِلَى قَوْمِ بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ فلا نعلم من هم حتى دعا أبو بكر رضى الله عنه إلى قتال بنى حنيفة، فعلمنا أنهم هم، وقال أبو هريرة: لم تأت هذه الآية بعد.

﴿تَقَاتِلُوهُمْ أَوْ يُسَلِّمُوا﴾ قرأ العامة يسالمون فى محل الرفع عطفاً على قوله: ﴿تَقَاتِلُوهُمْ﴾، وفى حرف أبى (أو يسلموا) بمعنى حتى يسلموا، كقول امرىء القيس: أو يموت فنعدرا. ﴿فَإِنْ طُغِيَوا يُؤْتِكُمْ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ﴾ يعنى عام الحديبية ﴿يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ وهو النار. قال ابن عباس: فلما نزلت هذه الآية قال أهل الزمان: فكيف بنا يا رسول الله؟ فأنزل الله سبحانه وتعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ﴾ فى التخلف عن الجهاد، والقعود عن الغزو.

﴿وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ﴾ فى ذلك: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ قرأ أهل المدينة والشام (يدخله) (ويعذبه) فيهما (بالنون) فيهما وقرأ الباقون (بالباء) فيهما، واختاره أبو عبيد وأبو حاتم، قالوا: لذكر الله تعالى قبل ذلك.

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ﴾ بالحديبية على أن يناجزوا قريشاً، ولا يفروا. ﴿تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ وكانت سمرة، ويروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه مرّ بذلك المكان بعد أن

(١) فى المخطوط فوق تلك الكلمة: «منها».

ذهبت الشجرة، فقال: أين كانت؟ فجعل بعضهم يقول: ها هنا، وبعضهم ها هنا، فلما كثرت اختلافهم قال: سيروا، هذا التكلف، وقد ذهبت الشجرة، إما ذهب بها سيل وإما شيء سوى ذلك. وكان سبب هذه البيعة أن رسول الله ﷺ، دعا خراش بن أمية الخزاعي، فبعثه إلى قريش بمكة، وحمله على جمل له يقال له: الثعلب ليبلغ أشرافهم عنه ما جاء له، وذلك حين نزل الحديدية.

فعقروا له جمل رسول الله ﷺ، وأرادوا قتله فممنعه الأحابيش، فخلّوا سبيله حتى أتى رسول الله، فدعا رسول الله (عليه السلام) عمر بن الخطاب رضى الله عنه لبيعته إلى مكة، فقال: يا رسول الله إنى أخاف قريشاً على نفسى، وليس بمكة من بنى عدى بن كعب أحد يمنعنى، وقد عرفت قريش عداوتى إياها، وغلظتى عليهم، ولكنى أدلك على رجل هو أعزّ بها منى، عثمان بن عفان، فدعا رسول الله عثمان، فبعثه إلى أبى سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب، وإنما جاء زائراً لهذا البيت، معظماً لحرمته، فخرج عثمان إلى مكة، فلقيه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة، أو قبل أن يدخلها، فنزل عن دابته وحمله بين يديه، ثم ردفه وأجازه حتى بلغ رسالة رسول الله ﷺ فقال عظماء قريش لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله: إن شئت أن تطوف بالبيت فطف به، فقال: ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله.

فاحتبسته قريش عندهم، فبلغ رسول الله ﷺ، والمسلمين أن عثمان قد قُتل، فقال رسول الله: «لا نبرح حتى نناجز القوم». ودعا الناس إلى البيعة، فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة، فكان الناس يقولون: بايعهم رسول الله على الموت، وقال بكر<sup>(١)</sup> بن الأشج: بايعوه على الموت، فقال رسول الله (عليه السلام): «بل على ما استطعتم».

وقال عبد الله بن معقل: كنت قائماً على رأس رسول الله ﷺ ذلك اليوم، ويدي غصن من السمرة، أذب عنه، وهو يبايع الناس، فلم يبايعهم على الموت، وإنما بايعهم على أن لا يفرّوا، وقال جابر بن عبد الله: فبايع رسول الله ﷺ الناس ولم يتخلف عنه أحد من المسلمين حضرها إلا الجند بن قيس أخو بنى سلمة، لكأنى أنظر إليه لاصقاً بإبط ناقته مستتر بها من الناس.

وكان أول من بايع بيعة الرضوان رجل من بنى أسد يقال له: أبو سنان بن وهب. ثم أتى رسول الله ﷺ إن الذى ذكر من أمر عثمان باطل، واختلفوا فى مبلغ عدد أهل بيعة الرضوان،

(١) كذا، وفى الهامش: «بكر».

فروى شعبة، عن عمرو بن مَرَّة، قال: سمعت عبد الله بن أبي أوفى يقول: كنا يوم الشجرة ألف وثلاثمائة، وكانت أسلم يومئذ من المهاجرين.

وقال قتادة: كانوا خمسة عشر ومائة. وروى العوفي عن ابن عباس، قال: كان أهل البيعة تحت الشجرة ألفاً وخمسمائة وخمسة وعشرون. وقال آخرون: كانوا ألفاً وأربعمائة.

أخبرنا الحسين بن محمد بن فنجويه، حدثنا علي بن أحمد بن نصرويه، حدثنا أبو عمران موسى بن سهل بن عبد الحميد الخولى، حدثنا محمد بن رمح، حدثنا الليث بن سعد، عن أبي الزبير، عن جابر بن عبد الله، عن رسول الله ﷺ. قال: «لا يدخل النار أحدٌ ممن بايع تحت الشجرة».

﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ من الصدق، والصبر، والوفاء. ﴿فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ وهو خير ﴿وَمَعَاذَ كَثِيرَةٍ يَأْخُذُونَهَا﴾ وكانت خير ذات عقار وأموال. فافتسمها رسول الله بينهم. ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ وَعَدَّكُمْ اللَّهُ مَعَاذَ كَثِيرَةٍ تَأْخُذُونَهَا﴾ وهى الفتوح التى تفتح لهم إلى يوم القيامة ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذَا يَوْمَ﴾ يعنى يوم خير. ﴿وَكُنَّ أَيْدِي النَّاسِ عِنْدَكُمْ﴾ أهل مكة عنكم بالصلح، وقال قتادة: يعنى وكف اليهود من خير، وحلفاءهم من أسد، وغطفان، عن بيضتكم، وعيالكم، وأموالكم بالمدينة، وذلك أن مالك بن عوف النصيرى<sup>(١)</sup>، وعيينة بن حصن الفزارى، ومن معهما من بنى أسد وغطفان جاءوا لنصرة أهل خير فقذف الله تعالى فى قلوبهم الرعب فانصرفوا.

﴿وَلِتَكُونَ﴾ هزمتهم، وسلامتكم ﴿آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ليعلموا أن الله هو المتولى حياتهم، وحراستهم فى مشهدهم ومغيهم. ﴿وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ طريق التوكّل، والتفويض حتى تتقوا فى أموركم كلها بربكم، وتتوكلوا عليه، وقيل: يثبتكم على الإسلام، ويزيدكم بصيرة ويقيناً بصلح الحديبية، وفتح خير، وذلك أن رسول الله ﷺ لما رجع من غزوة الحديبية إلى المدينة، أقام بها بقية ذى الحجة، وبعض المحرم، ثم خرج فى بقية المحرم سنة سبع إلى خير، واستخلف على المدينة سماع بن عرفطة الغفارى.

أخبرنا عبد الله بن محمد بن عبد الله الزاهد، قرأه عليه، أخبرنا أبو العباس محمد بن إسحاق السراج، حدثنا يعقوب بن إبراهيم، حدثنا عثمان بن عمر، أخبرنا ابن عون، عن عمرو بن سعيد، عن أنس بن مالك، (ح)<sup>(٢)</sup> وأخبرنا عبيد الله بن محمد، أخبرنا أبو العباس

(١) فى الهامش: «النضيرى» بالضاد المعجمة.

(٢) زيادة حديثية يتطلبها سياق الإسناد.

السراج، حدثنا عبد الأعلى بن حماد أبو يحيى الباهلي، حدثنا يزيد بن زريع، حدثنا عن ابن أبي عروبة، (ح<sup>(١)</sup>) وأخبرنا عبيد الله بن محمد، حدثنا أبو العباس السراج، حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري، حدثنا روح، عن سعيد، عن قتادة، عن أنس، قال: كنت رديف أبي طلحة يوم أتينا خيبر، فصبحهم رسول الله ﷺ وقد أخذوا مساحيمهم، وفؤوسهم، وغدوا على حرثهم، وقالوا: محمد والخميس. فقال رسول الله: «الله أكبر هلكت خيبر، إننا إذا نزلنا ساحة قوم فساء صباح المنذرين». ثم نكصوا، فرجعوا إلى حصونهم.

أخبرنا عبيد الله بن محمد، حدثنا أبو العباس السراج، حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا حاتم ابن إسماعيل، عن يزيد بن أبي عبيد، عن سلمة بن الأكوع.

(ح<sup>(١)</sup>) وأخبرنا عبيد الله بن محمد، أخبرنا أبو العباس السراج، حدثنا أحمد بن يوسف السلمى، حدثنا النضر بن محمد، حدثنا عكرمة بن عمار، حدثنا سلمة بن الأكوع، عن أبيه. (ح<sup>(١)</sup>) وحدثت عن محمد بن جرير، عن محمد بن حميد، عن سلمة، عن ابن إسحاق، عن رحالة.

(ح<sup>(١)</sup>) وعن ابن جرير، حدثنا ابن بشار، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا عوف، عن ميمون أبي عبد الله، عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه، دخل حديث بعضهم في بعض، قالوا: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى خيبر يسير بنا ليلاً، وعامر بن الأكوع معنا، فقال رجل من القوم لعامر بن الأكوع: "ألا تسمعنا من هنياتك<sup>(٢)</sup>؟" وكان عامر شاعراً فنزل يحدو بالقوم وهو يرجز لهم:

اللهم لولا أنت ما اهتدينا	ولا تصدقنا ولا صلينا
إن الذين هم بغوا علينا	ونحن عن فضلك ما استغنيا
فاغفر فداء لك ما اقتفينا	وثبت الأقدام إن لاقينا
وألقين سكيناً علينا	إننا إذا صيح بنا أتينا

فقال رسول الله ﷺ: «من هذا؟». قالوا: عامر بن الأكوع. فقال: «غفر لك ربك». فقال رجل من القوم: وجبت يا نبي الله، لو أمتعتنا به. وذلك أن رسول الله (عليه السلام) ما استغفر قط لرجل يخصه إلا استشهد. قالوا: فلما قدمنا خيبر وتصاف القوم، خرج يهودى، فبرز إليه عامر، وقال:

(١) زيادة حديثة يتطلبها سياق الإسناد.

(٢) في الهامش: «هنياتك».



قد علمت خبير أنى عامر شاك السلاح بطل مغامر

فاختلفا ضربتين، فوقع سيف اليهودى فى ترس عامر، ووقع سيف عامر عليه، وأصاب ركة نفسه، وساقه، فمات منها، قال سلمة بن الأكوع: فمررت على نفر من أصحاب رسول الله ﷺ وهم يقولون: بطل عمل عامر، فأتيت نبي الله وأنا شاحب أبكى، فقلت: يا رسول الله أبطل عمل عامر؟ فقال: «ومن قال ذلك؟» قلت: بعض أصحابك. قال: «كذب من قال، بل له أجره مرتين، إنه لجاهد مجاهد».

قال: فحاصرناهم حتى أصابتنا مخمصة شديدة ثم إن الله تعالى فتحها علينا، وذلك أن رسول الله ﷺ أعطى اللواء عمر بن الخطاب، ونهض من نهض معه من الناس، فلقوا أهل خيبر، فأنكشف عمر، وأصحابه، فرجعوا إلى رسول الله ﷺ يحينه أصحابه، ويحينهم، وكان رسول الله قد أخذته الشقيقة، فلم يخرج إلى الناس، فأخذ أبو بكر راية رسول الله، ثم نهض فقاتل قتالاً شديداً، ثم رجع، فأخذها عمر، فقاتل قتالاً شديداً، وهو أشد من القتال الأول، ثم رجع، فأخبر بذلك رسول الله ﷺ فقال: «أما والله لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله يأخذها عنوة».

وليس ثم على، فلما كان الغد تناول لها أبو بكر وعمر وقريش رجاء كل واحد منهم أن يكون صاحب ذلك، فأرسل رسول الله ﷺ سلمة بن الأكوع إلى على، فدعاه، فجاء على على بعير له حتى أناخ قريباً من خباء رسول الله، وهو أرمد قد عصب عينيه بشقة برد قطرى، قال سلمة: فجئت به أقوده إلى النبي ﷺ.

فقال رسول الله: «مالك؟». قال: رمدت. فقال: «ادن منى». فدنا منه فتفل فى عينيه، فما وجعهما بعد حتى مضى لسبيله، ثم أعطاه الراية، فنهض بالراية وعليه حلة أرجوان حمراء، قد أخرج حملها، فأتى مدينة خيبر، وخرج مرحب صاحب الحصن وعليه مغفر معصفر، وحجر قد ثقبه مثل البيضة على رأسه، وهو يقول:

قد علمت خبير أنى مرحب  
شاكى السلاح بطل مجرب  
أطعن أحياناً وحيناً أضرب  
إذا الحروب أقبلت تلهب  
كان حمائى كالحمى لا يقرب

فبرز إليه على رضى الله عنه، وقال:

أنا الذي سمّيتي أمّي حيدرته  
كليث غابات شديد قسوره  
أكيلكم بالسيف كيل السندره

فاختلفا ضربتين، فبدره على، فضربه، فقد الحجر والمغفرة، وفلق رأسه حتى أخذ السيف  
فى الأضراس، وأخذ المدينة، وكان الفتح على يديه، ثم خرج بعد مرحب أخوه ياسر بن  
نحر، وهو يقول:

قد علمت خبير أنى ياسر  
شاكى السلاح بطل مغاور  
إذا الليوث أقبلت تبادر  
وأحجمت عن صولتى المغاور  
إنّ حمائى فيه موت حاضر

وهو يقول: هل من مبارز؟ فخرج إليه الزبير بن العوام، وهو يقول:

قد علمت خبير أنى زبار  
قرم لقرم غير نكس فرار  
ابن حماة المجد ابن الأختيار  
ياسر لا يغررك جمع الكفّار  
وجمعهم مثل السراب الحبار

فقال أمّه صفية بنت عبد المطلب: أيقتل ابنى يا رسول الله؟ فقال: «بل ابنك يقتله إن شاء  
الله» ثمّ التقيا، فقتله الزبير<sup>(١)</sup>.

قال أبو رافع مولى رسول الله ﷺ: خرجنا مع على بن أبى طالب حين بعثه رسول الله (عليه  
السلام) برايته، فلما دنا من الحصن خرج إليه أهله فقاتلهم، فضربه رجل من اليهود، فطرح  
ترسه من يده، فتناول على باباً كان عند الحصن، فترس به عن نفسه، فلم يزل فى يده، وهو  
يقاتل حتى فتح الله تعالى عليه، ثمّ ألقاه من يده حين فرغ، فلقد رأيتنى فى نفر سبعة أنا ثامنهم

(١) فى إسناده هذا الحديث بعض المجاهيل، وفى إسناده محمد بن إسحاق وهو ضعيف وفى متن الحديث غمز فى  
الشيخين أبى بكر وعمر رضى الله عنهما وتمجيد فى سيدنا على رضى الله عنهم أجمعين، وعلى المسلم عدم  
الاندفاع فى الطعن ولا السير وراء التمجيد فكل صحابة رسول الله ﷺ فترضى عن الجميع وتمسك ألسنتنا عن  
الطعن فيهم فتللك أمة قد خلّت لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت، وقد أثنى الله عليهم فى كتابه فى غير موضع.  
هدانا الله وإياكم للحق.

نجهد على أن نقلب ذلك الباب، فما نقلبه.

ثم لم يزل رسول الله ﷺ يفتح الحصون حصناً حصناً، ويحوز الأموال حتى انتهوا إلى حصن الوطيح والسالام، وكان آخر حصون خيبر افتتح، فحاصروهم رسول الله ﷺ بضعة عشرة ليلة، فلما أمسى الناس يوم الفتح أوقدوا نيراناً كثيرة، فقال رسول الله: «على أى شىء توقدون؟» قالوا: «على لحم»، قال: «على أى لحم؟» قالوا: «لحم الحمر الإنسانية». فقال رسول الله ﷺ: «اهريقوها واكسروها». فقال رجل: «أو نهرقها ونغسلها؟ فقال: «أو ذاك».

قال ابن إسحاق: ولما افتتح رسول الله (عليه السلام) القموص حصن بنى أبى الحقيق أتى رسول الله ﷺ بصفية بنت حبي بن أخطب، وبأخرى معها، فمرّ بهما بلال، وهو الذى جاء بهما على قتلى من قُتل من اليهود، فلما رأتهما التى مع صفية، صاحت، وصكّت وجهها، وحثت التراب على رأسها، فلما رآها رسول الله ﷺ، قال: «أغربوا عنى هذه الشيطانة». وأمر بصفية، فجرت خلفه وألقى عليها رداءه، فعلم المسلمون أن رسول الله قد اصطفاها لنفسه.

فقال رسول الله ﷺ لبلال لما رأى من تلك اليهودية ما رأى: «أنزعت منك الرحمة يا بلال حيث تمرّ بامراتين على قتلى رجالهما؟» وكانت صفية قد رأت فى المنام، وهى عروس بكنانة ابن الربيع بن أبى الحقيق أن قمرأ وقع فى حجرها، فعرضت رؤيتها على زوجها، فقال: ما هذا إلا أنك تمنين ملك الحجاز محمداً، فلطم وجهها لطمه اخضرت عينها منها، فأتت رسول الله ﷺ وبها أثر منها. فسألها: «ما هو؟» فأخبرته هذا الخبر، وأتى رسول الله بزوجه كنانة بن الربيع بن أبى الحقيق، وكان عنده كنز بنى النضير، فسأله، فجحده أن يكون يعلم مكانه، فأتى رسول الله برجل من اليهود، فقال لرسول الله (عليه السلام): «إنى قد رأيت كنانة يطيف هذه الخزنة كل غداة، فقال رسول الله لكنانة: «أرأيت إن وجدناه عندك أقتلك». قال: نعم.

فأمر رسول الله ﷺ بالخنزة، فحفرت، فأخرج منها بعض كنزهم، ثم سأله ما بقى، فأبى أن يؤدّيه، فأمر به رسول الله الزبير بن العوام. فقال: «عذّبه حتى تستأصل ما عنده».

فكان الزبير يقده زنده فى صدره حتى أشرف على نفسه، ثم دفعه رسول الله إلى محمد بن مسلمة، فضرب عنقه بأخيه محمود بن مسلمة، وكانت اليهود ألقت عليه حجراً عند حصن ناعم، فقتله، كان أول حصن افتتح من حصون خيبر<sup>(١)</sup>.

(١) فى إسناده محمد بن إسحاق قد سبق أن أشرنا إلى تضعيف أهل الحديث لروايته ثم إن متن هذا الحديث حاش لله أن يكون جرى على لسان نبيه الذى أرسله الله رحمة للعالمين أن يأمر أحد أصحابه بتعذيب رجل مهما كان موجه إليه من التهم وهل أشد من الكفر، فإنه لم يعذب عليه أحداً فكيف بالمال إن هذا لبهتان عظيم.

قالوا: فلما سمع أهل فدك بما صنع رسول الله ﷺ بخيبر، بعثوا إلى رسول الله أن يسترهم ويحقن لهم دماءهم ويخلّوا له الأموال، ففعل، ثم إن أهل خيبر سألوا رسول الله أن يعطيهم الأموال على النصف ففعل على أنّا إن شئنا فخرجنا أخرجناكم، وصالحه أهل فدك على مثل ذلك، وكانت خيبر فيئاً للمسلمين، وكانت فدك خالصة لرسول الله (عليه السلام) لم يجلبوا عليها بخيل ولا ركاب.

فلما اطمئن رسول الله ﷺ أهدت له زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم، شاة مصلية، وقد سألت، أى عضو من الشاة أحب إلى رسول الله ﷺ؟ فقيل لها: الذراع، فأكثرت فيها السم، وسمت سائر الشاة، ثم جاءت بها، فلما وضعتها بين يدي رسول الله، تناول الذراع، فأخذها، فلاك منها مضغة، فلم يسغها، ومعه بشر بن البراء بن معرور، وقد أخذ منها كما أخذ منها رسول الله، فأما بشر فأساغها، وأما رسول الله فلفظها، ثم قال: «إن هذا العظم ليخبرنى أنه مسموم». ثم دعاها، فاعترفت، فقال: «ما حملك على ذلك؟» قالت: بلغت من قومي ما لم يخف عليك، إن كان نبياً فسيخبر، وإن كان ملكاً استرحت منه. قال: فتجاوز عنها رسول الله ﷺ ومات بشر بن البراء من أكلته التى أكل.

قال: ودخلت أم بشر بن البراء على رسول الله ﷺ تعوده فى مرضه الذى توفى فيه، فقال: «يا أم بشر ما زالت أكلة خيبر التى أكلت بخيبر مع ابنك تعادنى، فهذا أوان انقطاع أبهرى». وكان المسلمون يرون أن رسول الله مات شهيداً مع ما أكرمه الله تعالى به من النبوة. ﴿وَأُخْرَى﴾ أى وعدكم فتح بلدة أخرى. ﴿لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا﴾ حتى يفتحها عليكم، وقال ابن عباس: علم الله أنه يفتحها لكم. واختلفوا فيها، فقال ابن عباس وعبد الرحمن بن أبى ليلى والحسن ومقاتل: هى فارس والروم.

وقال الضحّاك وابن زيد وابن إسحاق: هى خيبر، وعدها الله تعالى نبيه قبل أن يصيبها، ولم يكونوا يذكرونها ولا يرجونها، حتى أخبرهم الله تعالى بها. وهى رواية عطية، وماذان، عن ابن عباس، وقال قتادة: هى مكة. عكرمة: هى خيبر. مجاهد: ما فتحوا حتى اليوم. ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾.



﴿وَلَوْ قَتَلْتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَذْبَرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وِلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ سُنَّةُ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ

عَنْهُمْ بَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ<sup>٥</sup> وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٦﴾ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا  
وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُمْ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ  
مُؤْمِنَاتٌ لَمَّا تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوَّهُمْ قَتَصِيْبِكُمْ مِنْهُمْ مَعْرَةٌ بَعِيْرَةٌ عَلِمَ لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ  
لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٧﴾ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ  
الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِيْنَةً عَلَى رَسُوْلِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالزَّمَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا  
وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٨﴾ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رُسُوْلَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ  
الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسِكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ  
مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيْبًا ﴿٩﴾

﴿وَلَوْ فَتَنَّاكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني أسد، وغطفان، وأهل خيبر، وقال قتادة: يعني كفار  
قريش ﴿لَوْلَا الْأَذْبَرُتُمْ لَا يَجِدُونَ وِلْيًا وَلَا نَصِيْرًا﴾ سُنَّةُ اللَّهِ ﴿أَي كَسَنَةُ اللَّهِ﴾ الَّتِي قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِ  
فِي نَصْرَةِ أَوْلِيَائِهِ، وَقَهْرِ أَعْدَائِهِ ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيْلًا﴾ وَهُوَ الَّذِي كَتَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ  
عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ ﴿هُوَ الْحَدِيْبِيَّةُ﴾ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيْرًا ﴿الْبِيَاءُ﴾ أَبُو  
عَمْرُو، وَغِيْرِهِ (بِالْتَاءِ)، وَاخْتَلَفُوا فِيهِمْ، فَقَالَ أَنَسُ: إِنَّ ثَمَانِينَ رِجَالًا مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ هَبَطُوا عَلَى  
رَسُولِ اللَّهِ وَأَصْحَابِهِ مِنْ جَبَلِ التَّنْعِيمِ عِنْدَ صَلَاةِ الْفَجْرِ عَامَ الْحَدِيْبِيَّةِ لِيَقْتُلُوهُمْ، فَأَخَذَهُمْ رَسُولُ  
اللَّهِ سَلْمًا، وَأَعْتَقَهُمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَتَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾ الْآيَةَ. عَكْرَمَةُ، عَنْ ابْنِ  
عَبَّاسٍ، قَالَ: إِنَّ قَرِيْشًا كَانُوا بَعَثُوا أَرْبَعِينَ رِجَالًا مِنْهُمْ أَوْ خَمْسِينَ، وَأَمْرُوهُمْ أَنْ يَطِيْفُوا بِعَسْكَرِ  
رَسُولِ اللَّهِ عَامَ الْحَدِيْبِيَّةِ لِيَصِيْبُوا مِنْ أَصْحَابِهِ أَحَدًا، وَأَخَذُوا أَحَدًا، فَاتَى بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ  
فَعَفَا عَنْهُمْ، وَخَلَّى سَبِيْلَهُمْ، وَقَدْ كَانُوا يَرْمُونَ عَسْكَرَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالْحِجَارَةِ، وَالتَّبْلِ فَأَنْزَلَ  
اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَتَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾ الْآيَةَ.

وقال عبد الله بن المغفل: كنا مع النبي ﷺ بالحديبية في أصل الشجرة وعلى ظهره غصن من  
أغصان تلك الشجرة، فرفعته عن ظهره، وعلى بن أبي طالب بين يديه يكتب كتاب الصلح،  
وسهيل بن عمرو، فخرج علينا ثلاثون شاباً عليهم السلاح، فثاروا في وجوهنا، فدعا رسول  
الله (عليه السلام)، فأخذ الله بأبصارهم، فقمنا إليهم، فأخذناهم، فخلّى عنهم رسول الله،  
فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقال مجاهد: أقبل نبى الله ﷺ معتمراً، وأخذ أصحابه ناساً من أهل الحرم غافلين، فأرسلهم النبى ﷺ فذلك الإظفار ببطن مكة، وقال قتادة: ذكر لنا أن رجلاً من أصحاب رسول الله يقال له: زنيم اطلع الثنية من الحديبية، فرماه المشركون بسهم، فقتلوه، فبعث رسول الله خيلاً، فأتوا بانئى عشر فارساً من الكفار، فقال لهم نبى الله: «هل لكم على عهد؟ هل لكم على ذمة؟». قالوا: لا، فأرسلهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقال ابن أبى، والكلبى: هم أهل الحديبية، وذلك أن النبى ﷺ لما خرج بالهدى وانتهى إلى ذى الحليفة، فقال له عمر رضى الله عنه: يا نبى الله تدخل على قوم لك حرب بغير سلاح، ولا كراع؟ قال: فبعث إلى المدينة، فلم يدع فيها كراعاً ولا سلاحاً إلا حملة، فلما دنا من مكة منعه أن يدخل، فسار حتى أتى منى، فنزل منى، فأتاه عينه أن عكرمة بن أبى جهل قد خرج عليك فى خمسمائة، فقال لخالد بن الوليد: «يا خالد هذا ابن عمك قد أتاك فى الخيل».

فقال خالد: أنا سيف الله، وسيف رسوله، يا رسول الله، ارم به حيث شئت، فيومئذ سمى سيف الله، فبعثه على خيل، فلحقى عكرمة فى الشعب فهزمه حتى أدخله حيطان مكة، ثم عادوا فى الثانية، فهزمه حتى أدخله حيطان مكة، ثم عاد فى الثالثة فهزمه حتى أدخله حيطان مكة، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ فكف النبى ﷺ لبقايا من المسلمين كانوا بقوا فيها من بعد أن أظفره عليهم كراهية، أن تطأهم الخيل بغير علم، وذلك قوله تعالى: ﴿هُرُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ مَعْكُوفًا﴾ محبوساً. أى وصدوا الهدى معكوفاً محبوساً.

﴿أَنْ يَتْلَعَ مَجْلَهُ﴾ منحره، وكان سبعين بدنة، روى الزهيرى، عن عروة بن الزبير، عن المسور بن مخرمة، ومروان بن الحكم، قالوا: خرج رسول الله ﷺ من المدينة عام الحديبية يريد زيارة البيت، لا يريد قتالاً، وساق معه سبعين بدنة، وكان الناس سبعمائة رجل، فكانت كل بدنة عن<sup>(١)</sup> عشرة نفر، فلما بلغ ذا الحليفة، تنامى إليه الناس، فخرج فى بضع عشرة مائة من أصحابه، حتى إذا كانوا بذى الحليفة قلد الهدى، وأشعره، وأحرم بالعمرة، وكشف بين يديه عيناً من خزاعة يخبره عن قريش.

وسار النبى ﷺ حتى إذا كان بغدير أسطاط<sup>(٢)</sup>، قريياً من عسفان أتاه عينه الخزاعى، فقال:

(١) فى الهامش: «بين».

(٢) فى الهامش: «الأسطاط».

إني تركت كعب بن لؤى وعامر بن لؤى، قد جمعوا لك الأحابيش، وهم مقاتلوك، وصادوك عن البيت، فقال النبي ﷺ: «أشيروا عليّ، أترون أن نميل على ذراري هؤلاء الذينعاونوهم فنصيبيهم؟ فإن قعدوا قعدوا موتورين، وإن نجوا تكن عنقاً قطعها الله أو ترون أن نام البيت، فمن صدنا عنه قاتلناه».

فقام أبو بكر رضى الله عنه، فقال: يا رسول الله إننا لم نأت لقتال أحد، ولكن من حال بيننا، وبين البيت قاتلناه، فقال رسول الله (عليه السلام): «فروحوا إذا».

وكان أبو هريرة يقول: ما رأيت أحداً قط أكثر مشاورة لأصحابه من النبي ﷺ، فراحوا حتى إذا كانوا بعسفان، لقيه بشر بن سفيان الكعبي، فقال له: يا رسول الله هذه قريش، قد سمعوا بسيرك، فخرجوا ومعهم العوذ المطافيل، قد لبسوا جلود المنون، ونزلوا بذي طوى، يحلفون بالله لا يدخلها عليهم أبداً، وهذا خالد بن الوليد فى خيلهم قد قدموها إلى كراع العميم. وقد ذكرت قول من قال: إن خالد بن الوليد يومئذ كان مع رسول الله ﷺ مسلماً، فقال رسول الله (عليه السلام): «يا ويح قريش، قد أكلتهم الحرب، ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر العرب؟ فإن هم أصابوني كان ذلك الذى أرادوا، وإن أظهرنى الله عليهم دخلوا فى الإسلام وافرين، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة، فما تظن قريش، فوالله لا أزال أجاهدهم على الذى بعثنى الله به حتى يظهره الله، أو تنفرد هذه السالفة».

ثم قال: «من رجل يخرج بنا على طريق غير طريقهم التى هم بها»، فقال رجل من أسلم: أنا يا رسول الله. فخرج على طريق وعز حزن بين شعاب، فلما خرجوا منه، وقد شق ذلك على المسلمين وأفضى إلى أرض سهلة عند منقطع الوادى، قال رسول الله ﷺ للناس: «قولوا: نستغفر الله، وتوب إليه». ففعلوا، فقال: «والله إنها للحطة التى عرّضت على بنى إسرائيل، فلم يقولوها».

ثم قال رسول الله للناس: «اسلكوا ذات اليمين» فى طريق يخرج به على ثنية المرار على مهبط الحديبية من أسفل مكة.

فسلك الجيش ذلك الطريق، فلما رأت خيل قريش فترة قريش وأن رسول الله قد خالفهم عن طريقهم ركضوا راجعين إلى قريش ينذرونهم، وسار رسول الله ﷺ حتى إذا سلك ثنية المرار بركت به ناقته، فقال الناس: حل حل. فقال: «ما حل؟» قالوا: حلأت القصوى<sup>(١)</sup>.

(١) العبارة فى المخطوط على النحو التالى: فقال رسول الله ﷺ: «حل حل» فقال: «ما حل؟» قالوا: حلأت القصوى. وقد أصاب العبارة اضطراب، فأثبت ما يوافق الصواب. وفى الهامش إشارة إلى أن بدل: «رسول» الناس.

فقال رسول الله ﷺ: «ما خلأت، وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل». ثم قال: «والذى نفسى بيده لا تدعونى قريش اليوم إلى خطة يعظمون بها حرمان الله، وفيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها»، ثم قال للناس: «انزلوا» فنزلوا بأقصى الحديبية على بئر قليلة الماء، إنما يتبرضه الناس تبرضاً، فلم يلبث الناس أن ترجوه، فشكا الناس إلى رسول الله ﷺ العطش فنزع سهماً من كنانته، وأعطاه رجلاً من أصحابه يقال له: ناجية بن عمير بن يعمر ابن دارم، وهو سائق بدن رسول الله، فنزل فى ذلك البئر، فغرز فى جوفه، فجاش الماء بالرى، حتى صدروا عنه، ويقال: إن جارية من الأنصار أقبلت بدلوها، وناجية فى القلب يمتح على الناس، فقالت:

يا أيها الماتح دلوى دونكا      إنى رأيت الناس يحمدونكا  
يشنون خيراً ويمجدونكا      أرجوك للخير كما يرجونكا

فقال:

قد علمت جارية يمانية      أنى أنا الماتح واسمى ناجية  
وطعنة ذات رشاش واهية      طعنتها عند صدور العادية

قال: فبيناهم كذلك، إذ جاء بديل بن ورقاء الخزاعي فى نفر من قومه، وكانت خزاعة عيبة نصح رسول الله ﷺ من أهل تهامة، فقال: إنى تركت كعب بن لؤى وعامر بن لؤى قد نزلوا بعداد مياه الحديبية، معهم العوذ المطافيل، وهم مقاتلوك، وصادوك عن البيت. فقال النبى ﷺ: «إنا لم نأت لقتال أحد، ولكن جئنا معتمرين، وإن قريشاً قد نهكتهم الحرب، وأضرت بهم، فإن شاءوا ماددناهم مدة، ويخلوا بينى وبين الناس، فإن أظهر، وإن شاءوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا، وإلا فقد حموا، فوالله لأقاتلنهم على أمرى هذا، حتى تنفرد سالفتى أو لينفذن الله أمره».

فقال بديل: سنبغهم ما تقول.

فانطلق حتى أتى قريشاً، فقال: إنا قد جئناكم من عند هذا الرجل، وسمعناه يقول قولاً، فإن شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا، فقال سفهاؤهم: لا حاجة لنا فى أن تحدثنا بشيء عنه، وقال ذوو الرأى منهم: هات ما سمعته يقول. قل: سمعته يقول كذا، وكذا. فحدثهم بما قال النبى ﷺ، فقام عروة بن مسعود الثقفى، فقال: أى قوم، ألستم بالوالد؟ قالوا: بلى. قال: ألسن بالولد؟ قالوا: بلى.

قال: فهل تتهموننى؟ قالوا: لا. قال: أفلسن تعلمون أنى استنفرت أهل عكاظ، فلما



أَحْوَا عَلَيَّ جَتَّتِكُمْ بِأَهْلِي وَوَلَدِي وَمَنْ أَطَاعَنِي؟ قَالُوا: بَلَى. قَالَ: فَإِنَّ هَذَا الرَّجُلَ، قَدْ عَرَضَ عَلَيْكُمْ خِطَّةَ رُشْدٍ فَاقْبَلُوهَا وَدَعُونِي آتِيهَ، قَالُوا: آتِيهَ. فَأَتَاهُ، فَجَعَلَ يَكْلِمُ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ النَّبِيُّ نَحْوًا مِنْ مَقَالَتِهِ لِبَدِيلٍ، فَقَالَ عُرْوَةُ عِنْدَ<sup>(١)</sup> ذَلِكَ: يَا مُحَمَّدُ، أَرَأَيْتَ إِنْ اسْتَأْصَلَ قَوْمُكَ، فَهَلْ سَمِعْتَ بِأَحَدٍ مِنَ الْعَرَبِ اسْتَبَاحَ، - وَقِيلَ اجْتَبَحَ - أَصْلَهُ قَبْلَكَ؟ وَإِنْ تَكُنِ الْآخِرَى فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَى وَجُوهًا وَأَشْوَابًا مِنَ النَّاسِ خُلِقُوا أَنْ يَفْرُوا وَيَدْعُوكَ.

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: امْصَصْ بظُرِّ اللَّاتِ<sup>(٢)</sup> - وَاللَّاتُ طَاغِيَةٌ ثَقِيفٌ الَّتِي كَانُوا يَعْبُدُونَ - أَنْحَنُ نَفْرًا وَنَدَعُهُ؟ فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: أَبُو بَكْرٍ. فَقَالَ: أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْلَا يَدٌ كَانَتْ لَكَ عِنْدِي لَمْ أَجْزِكَ بِهَا، لِأَجْبِتِكَ، وَجَعَلَ يَكْلِمُ النَّبِيَّ ﷺ فَكَلَّمَا كَلَّمَهُ أَخَذَ بِلِحْيَتِهِ، وَالْمَغِيرَةُ بْنُ شَعْبَةَ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِ رَسُولِ اللَّهِ، وَمَعَهُ السِّيفُ وَعَلَى رَأْسِهِ الْمَغْفَرُ، فَكَلَّمَا أَهْوَى عُرْوَةُ بِيَدِهِ إِلَى لِحْيَةِ النَّبِيِّ ﷺ ضَرَبَ يَدَهُ بِنَصْلِ السِّيفِ، وَقَالَ: أَخْرَيْدُكَ عَنِ لِحْيَتِهِ، فَفَرَعَ عُرْوَةُ رَأْسَهُ، فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: الْمَغِيرَةُ بْنُ شَعْبَةَ. قَالَ: أَيُّ غَدَّارٍ، أَوْ لَسْتَ أَسْعَى فِي غَدْرَتِكَ؟ وَكَانَ الْمَغِيرَةُ قَدْ صَحَبَ قَوْمًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَفَقَتْلَهُمْ، وَأَخَذَ أَمْوَالَهُمْ، ثُمَّ جَاءَ فَاسْلَمَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَمَّا الْإِسْلَامُ فَقَدْ قَبَلْنَا، وَأَمَّا الْمَالُ، فَإِنَّهُ مَالُ غَدْرٍ لَا حَاجَةَ لَنَا فِيهِ». وَإِنَّ عُرْوَةَ جَعَلَ يَرْمِقُ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ بَعِينَهُ، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَنْ يَتَنَخَّمَ النَّبِيُّ ﷺ نَخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ، فَذَلِكَ بِهَا وَجْهَهُ، وَجِلْدَهُ، وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمُوا خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يَحْدُونَ النَّظَرَ إِلَيْهِ تَعْظِيمًا لَهُ.

فَرَجَعَ عُرْوَةُ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: أَيُّ قَوْمٍ لَقَدْ وَفَدَتْ عَلَى الْمَلُوكِ، وَوَفَدَتْ عَلَى قَيْصَرَ، وَكُسْرَى، وَالنَّجَاشِي، وَاللَّهِ إِنْ رَأَيْتَ مَلَكًا يَعِظُمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يَعِظُمُ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدًا، وَاللَّهِ إِنْ يَتَنَخَّمَ نَخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ، فَذَلِكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ، وَإِذَا أَمَرَهُمْ أَمْرًا ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمُوا خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ، وَمَا يَحْدُونَ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ عَرَضَ عَلَيْكُمْ خِطَّةَ رُشْدٍ فَاقْبَلُوهَا.

فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ كِنَانَةَ: دَعُونِي آتِيهَ. قَالُوا: آتِيهَ؛ فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ، قَالَ

(١) كَتَبَ عَلَى السُّطْرِ فِي الْمَخْطُوطِ: «عِنْدِي» وَفَوْقَهَا كَتَبَ «عِنْدَ»، فَأَثْبَتَ الْأَنْسَبَ لِلْسِّيَاقِ.

(٢) هَذَا قَوْلٌ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ قَدْ صَدَرَ عَنِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ الْعَقِيفِ الْحَيِّيِّ وَأَيِّنَ وَمَتَى وَفِي حَضْرَةِ مَنْ؟ لَا إِنَّمَا هِيَ كَتَبَ السِّيرَ وَالتَّارِيخَ تَأْتِي بِالْعِبَارَاتِ اللَّادِعَةِ لِتُؤَكِّدَ الْحَدِيثَ أَوْ الْحَبْرَ فَلْتَحْذَرُ وَتَلْتَبِّهَ أَخِي الْقَارِيَّ عِنْدَ قِرَاءَةِ مِثْلِ هَذِهِ الْأَخْبَارِ.

النبي: «هذا فلان من قوم يعظمون البدن، فابعثوها له» فبعثت له، واستقبله قوم يلبون، فلما رأى ذلك، قال: سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت، ثم بعثوا إليه الجليس بن علقمة بن ريان، وكان يومئذ سيد الأحابيش، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: «إن هذا من قوم يتألهون، فابعثوا بالهدى في وجهه حتى يراه»

فلما رأى الهدى يسيل عليه من عرض الوادى فى قلائده، قد أكل أوتاده من طول الحبس، رجع إلى قريش، ولم يصل إلى رسول الله ﷺ إعظاماً لما رأى، فقال: يا معشر قريش، إنى قد رأيت ما لا يحل صده، الهدى فى قلائده، قد أكل أوتاده من طول الحبس عن محله، فقالوا له: اجلس، فإنما أنت أعرابى لا علم لك، فغضب الجليس عند ذلك، فقال: يا معشر قريش والله ما على هذا حالناكم، ولا على هذا عاقدناكم أن تصدوا عن بيت الله من جاءه معظماً له، والذي نفس الجليس بيده، لتخلن بين محمد، وبين ما جاء له، أو لأنفرن بالأحابيش نفرة رجل واحد، فقالوا له: كف عنا يا جليس حتى نأخذ لأنفسنا بما نرضى به.

فقام رجل منهم يقال له: مكرز بن حفص، فقال: دعونى آته. فقالوا: آته. فلما أشرف عليهم، قال النبي ﷺ: «هذا مكرز بن حفص، وهو رجل فاجر» فجعل يكلم النبي ﷺ إذ جاء سهيل بن عمرو فلما رآه النبي ﷺ قال: «قد سهل لكم أمركم، القوم يأتون إليكم بأرحامكم، وسائلوكم الصلح، فابعثوا الهدى وأظهروا التلبية لعل ذلك يلين قلوبهم» فلبوا من نواحي العسكر حتى ارتجت أصواتهم بالتلبية، فجاءوا فسألوا الصلح، وقال سهيل: هات نكتب بيننا وبينكم كتاباً، فدعا رسول الله ﷺ على بن أبى طالب رضى الله عنه فقال له: «اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم» فقال سهيل: أما الرحمن فلا أدري ما هو، ولكن اكتب باسمك اللهم، كما كنت تكتب، فقال المسلمون: والله لا نكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم. فقال النبي ﷺ لعلى: «اكتب باسمك اللهم» ثم قال: «اكتب: هذا ما صالح عليه محمد رسول الله» فقال سهيل: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت، ولا قاتلناك، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك.

فقال النبي ﷺ: «والله إنى لرسول الله وإن كذبتمنى» ثم قال لعلى: «امح رسول الله» فقال: والله لا أمحوك أبداً، فأخذ رسول الله وليس يحسن يكتب، فمحاها، ثم قال: «اكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو، واصطلاحاً<sup>(١)</sup> على وضع الحرب عن الناس عشر سنين، يأمن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض، وعلى أنه من قدم مكة من

(١) فى الهامش: «اصطلاحاً».

أصحاب محمد حاجاً أو معتمراً أو يبغى من فضل الله، فهو آمن على دمه وماله، ومن قدم المدينة من قريش مجتازاً إلى مصر أو إلى الشام يبتغى من فضل الله، فهو آمن على دمه وماله، وعلى أنه من أتى رسول الله من قريش بغير إذن وليه ردّه عليهم، ومن جاء قريشاً ممن مع رسول الله لم يردّوه عليه».

فاشتد ذلك على المسلمين، فقال رسول الله (عليه السلام): «من جاءهم منّا فأبعده الله، ومن جاءنا منهم رددناه إليهم، فلو علم الله الإسلام من قلبه جعل له مخرجاً، وإن بيننا عيبة مكفوفة، وإنه لا أسلال، ولا أغلال، وإنه من أحب أن يدخل في عقد محمد، وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش، وعهدهم دخل فيه».

فتواثبت خزاعة، فقالوا: نحن في عقد محمد وعهده، وتواثبت بنو بكر، فقالوا: نحن في عقد قريش وعهدهم. فقال النبي ﷺ: «وعلى أن يخلوا بيننا وبين البيت، فنطوف به». فقال سهيل: ولا يتحدث العرب أنا أخذتنا ضغطة، ولكن لك ذلك من العام المقبل، فكتب: وعلى أنك ترجع عنا عامك هذا، فلا تدخل علينا مكة، فإذا كان عام قابل خرجنا عنها لك، فدخلتها بأصحابك، فأقمت فيها ثلاثاً، ولا تدخلها بالسلاح إلا السيوف في القراب، وسلاح الراكب، وعلى أن هذا الهدى حيث ما حسنا محله، ولا تقدمه علينا، فقال لهم رسول الله ﷺ: «نحن نسوقه، وأنتم تردون وجوهه».

قال: فبينما رسول الله يكتب الكتاب هو وسهيل بن عمرو، وإذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو، يرسف في قيوده، قد انفلت، وخرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين، فلما رأى سهيل أبا جندل، قام إليه، فضرب وجهه، وأخذ سلسلته، وقال: يا محمد قد تمت القضية بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا، وهذا أول من أفاضيك عليه، أترده إلينا؟ ثم جعل يجره ليرده إلى قريش، وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته: يا معشر المسلمين، أردد إلى المشركين، وقد جئت مسلماً لتتفرنني عن ديني؟ ألا ترون ما قد لقيت؟ وكان قد عذب عذاباً شديداً في الله، فقال رسول الله ﷺ: «يا أبا جندل احتسب، فإن الله جاعل لك، ولن معك من المستضعفين فرجاً، ومخرجاً، إننا قد عقدنا بيننا، وبين القوم عقداً، وصلحاً، وأعطيناهم على ذلك، وأعطونا عهداً، وإننا لا نغدر».

فوثب عمر بن الخطاب إلى أبي جندل يمشى إلى جنبه ويقول: اصبر يا أبا جندل، فإنما هم المشركون وإنما دم أحدهم دم كلب، ويدنى قائم السيف منه، قال: يقول عمر: رجوت أن يأخذ السيف فيضرب به أباه، فضن الرجل بأبيه.

قالوا: وقد كان أصحاب رسول الله خرجوا، وهم لا يشكّون في الفتح لرؤيا رآها رسول الله ﷺ. فلما رأوا ذلك دخل الناس أمر عظيم حتى كادوا يهلكون<sup>(١)</sup>، وزادهم أمر أبي جندل شراً إلى ما بهم، فقال عمر: والله ما شككت منذ أسلمت إلى يومئذ، فأتيت النبي ﷺ فقلت: ألسنت رسول الله؟ قال: «بلى». قلت: ألسنا على الحقّ وعدونا على الباطل؟ قال: «بلى». قلت: فلم نعطي الدّنية في ديننا إذا؟

قال: «إني رسول الله، ولست أعصيه، وهو ناصري».

قلت: ألسنت تحدّثنا أنّ سنأتى البيت، فنطوف به؟ قال: «بلى». قال: «هل أخبرتك أنّا نأتيه العام؟». قل: لا، قال: «فإنك آتية ومطوّف به»، قال: ثمّ أتيت أبا بكر، وقلت: أليس هذا نبيّ الله حقاً؟

قال: بلى. قلت: أفلسنا على الحقّ وعدونا على الباطل؟ قال: بلى قلت: فلم نعطي الدّنية في ديننا إذا؟ قال: أيها الرجل إنّه رسول الله، وليس يعصى ربّه، فاستمسك بغيره حتى تموت، فوالله إنّه لعلى الحقّ. قلت: أوليس كان يحدث أنّا سنأتى البيت، ونطوّف به؟ قال: بلى. قال: فأخبرك أنّك تأتيه العام؟ قلت: لا. قال: فإنك آتية وتطوف به. قال عمر: فمازلت أصوم وأتصدّق، وأصلّى، وأعتق من الذى صنعت يومئذ مخافة كلامى الذى تكلمت به.

قالوا: فلما فرغ رسول الله ﷺ من الكتاب أشهد رجالاً على الصلح من المسلمين، ورجالاً من المشركين، أبا بكر، وعمر، وعبد الرحمن بن عوف، وعبد الله بن سهيل بن عمرو، وسعد بن أبي وقاص، ومحمود بن مسلمة أخا بنى عبد الأشهل، ومكرز بن حفص بن الأحنف، وهو مشرك، وعلى بن أبى طالب، وكان هو كاتب الصحيفة.

فلما فرغ رسول الله من قصّته سار مع الهدى، وسار الناس، فلما كان الهدى دون الجبال التى تطلع على وادى الثنية، عرض له المشركون فردوا وجوهه، فوقف النبي ﷺ حيث حبسوه، وهى الحديبية وقال لأصحابه: «قوموا، فانحروا، ثمّ أحلقوا». قال: فوالله ما قام منهم رجل. حتّى قال ذلك ثلاث مرّات فلما لم يقم منهم أحد. قام فدخل على أمّ سلمة، فذكر لها ما لقي من الناس.

فقال أمّ سلمة: يا نبيّ الله اخرج، ثمّ لا تكلم أحداً منهم كلمة حتّى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك. فقام فخرج، فلم يكلم أحداً منهم كلمة حتّى نحر بدنته، ودعا حالقه،

(١) فى متن المخطوط: يهلكوا، والتصويب من الهامش.

فحلقة ، وكان الذى حلقة ذلك اليوم خراش بن أمية بن الفضل الخزاعى ، فلما رأى الناس ذلك قاموا فنحروا ، وجعل بعضهم يحلق بعضاً حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً<sup>(١)</sup> .

قال ابن عمر وابن عباس : حلق رجال يوم الحديبية وقصّر آخرون ، وقال رسول الله ﷺ : «يرحم الله المحلقين» . قالوا : والمقصّرين يا رسول الله؟ قال : «يرحم الله المحلقين» ، قالوا : والمقصّرين يا رسول الله؟ قالوا : فلم ظهرت الترحم للمحلّقين دون المقصّرين؟ . قال : «لأنهم لم يشكّوا» . قال ابن عمر : وذلك أنّه تربض القوم ، قالوا : لعلنا نطوف بالبيت . قال ابن عباس : وأهدى رسول الله ﷺ عام الحديبية فى هداياه جملاً لأبى جهل فى رأسه برة من فضة ، ليغيظ المشركين بذلك ، ثمّ جاءه ﷺ نسوة مؤمنات ، فأنزل الله تعالى : ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَ كُرُّ الْمُؤْمِنَاتُ مَهْجِرَاتٍ﴾ (المتحنة : ١٠) الآية ، قال : فطلق عمر امرأتين كانتا له فى الشرك . قال : فنهاهم أن يردوهنّ وأمرهم أن ترد الصدقات ، حينئذ ، قال رجل للزهرى : أمن أجل الفروج؟ قال : نعم ، فتزوج إحداهما معاوية بن أبى سفيان والأخرى صفوان بن أمية ، ثمّ رجع النبى ﷺ إلى المدينة فجاءه أبو بصير عتبة بن أسيد بن حارثة وهو مسلم ، وكان ممن جلس بمكة ، فكتب فيه أزهري بن عبد عوف ، والأخنس بن شريق الثقفى إلى رسول الله ﷺ وبعثا رجلاً من بنى عامر بن لؤى ، ومعه مولى لهم ، فقدم على رسول الله ﷺ بكتابهما ، وقال : العهد الذى جعلت لنا ، فقال رسول الله ﷺ : «يا أبا بصير إنّنا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت ، ولا يصلح لنا فى ديننا الغدر ، وإنّ الله تعالى جاعل لك ، ولمن معك من المستضعفين فرجاً ، ومخرجاً» .

ثمّ دفعه إلى الرجلين ، فخرجا به حتّى إذا بلغا ذا الحليفة ، فنزلوا يأكلون من تمر لهم ، فقال أبو بصير لأحد الرجلين : والله إنّى لأرى سيفك هذا جيّداً ، فاستلّه الآخر ، فقال : أجل والله إنّهُ لجيد . قال : أرنى أنظر إليه . فأخذه وعلا به أخا بنى عامر حتّى قتله ، وفرّ المولى وخرج سريعاً حتّى أتى رسول الله (عليه السلام) ، وهو جالس فى المسجد ، فلما رآه رسول الله ﷺ طالعاً قال : «إنّ هذا الرجل قد رأى فرجاً» .

فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ قال : «ويلك ما لك؟» قال : قتل صاحبكم صاحبى . فوالله ما

(١) فى قصة الخلافة ونحر البدن نظر ومن المعلوم أن النبى ﷺ كان موصولاً بالسماء ، وكان كثيراً ما يشاور أصحابه ، ولكن لحدود ، وأمّهات المؤمنين فضليات ولكن فى إطار ما يخصهنّ ورضى الله عن جميع الصحابة الذين لم يثبت أنهم خالفوا له أمراً يوماً ما وأثنى الله تعالى عليهم بحسن السمع والطاعة والدقة والاجتهاد فى اتباعه والسير على ما أمرهم وشرع لهم .

برح حتى طلع أبو بصير متوشحاً بالسيف، حتى وقف على رسول الله، فقال: يا رسول الله وقت ذمتك أسلمتني ورددتني - وقيل: وذريتني إليهم - ثم نجاني الله منهم، فقال النبي ﷺ: «ويل أمه مستعر حرب لو كان معه رجال».

فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم، فخرج أبو بصير حتى أتى سيف البحر، ونزل بالغيض من ناحية ذى المروة، وعلى ساحل البحر بطريق قريش، الذي كانوا يأخذون إلى الشام، وبلغ المسلمين الذين كانوا احتبسوا بمكة قول رسول الله (عليه السلام) لأبى بصير: «ويل أمه مستعر حرب لو كان معه رجال». فخرج عصابة منهم إليه، وانفلت أبو جندل بن سهيل بن عمرو فلحق بأبى بصير حتى اجتمع إليه قريب من سبعين رجلاً منهم، فوالله ما يسمعون بعير خرجت لقريش إلى الشام إلا اعترضوا لهم فقتلوهم، وأخذوا أموالهم، حتى ضيقوا على قريش، فأرسلت قريش إلى النبي ﷺ يناشدونه الله والرحم، لما أرسل إليهم، فمن أتاه فهو آمن، فأواهم رسول الله ﷺ فقدموا عليه المدينة.

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّمَّ تَعْلَمُوهُنَّ أَنْ تَطَّوَّهُنَّ﴾ بأن يقتلوهم ﴿فَقُصِّيبَكُمْ مِنْهُنَّ مَعْرَةٌ﴾ قال ابن زيد: إثم، وقال ابن إسحاق: غرم الدية. وقيل: الكفارة؛ لأن الله تعالى إنما أوجب على قاتل المؤمن في دار الحرب إذا لم يكن هاجر منها، ولم يعلم قاتله إيمانه الكفارة دون الدية، فقال جل ثناؤه: ﴿فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ (النساء: ٩٢).

ولم يوجب على قاتل خطأ دية، وقيل: هو أن المشركين يعييونكم ويقولون: قتلوا أهل دينهم. (والمعرة) المشقة، وأصلها من العرو وهو الحرب لإذن ذلك في دخولها، ولكنه حال بينكم، وبين ذلك ﴿لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ دينه الإسلام ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ من أهل مكة قبل أن تدخلوها، هكذا نظم الآية وحكمها، فحذف جواب (لولا) استغناء بدلالة الكلام عليه، وقال بعض العلماء: قوله: (لعدبنا) جواب لكلامين: أحدهما ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ﴾، والثاني: ﴿لَوْ تَرَىٰ لَوْ﴾ أى تميزوا.

ثم قال: ﴿لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مِنْ يَشَاءُ﴾ يعنى المؤمنين، والمؤمنات ﴿فِي رَحْمَتِهِ﴾ جنته. قال قتادة: في هذه الآية إن الله يدفع بالمؤمنين عن الكفار، كما يدفع بالمستضعفين من المؤمنين عن مشركي مكة.

أخبرنا أبو عبد الله بن فنجويه الدينورى، حدثنا أبو على بن حبش المقرئ، حدثنا أبو الطيب أحمد بن عبد الله بن بجلى الدارمى بأنطاكية، حدثنى أحمد بن يعقوب الدينورى، حدثنا

محمد بن عبد الله بن محمد الأنصاري، حدثني محمد بن الحسن الجعفرى، قال: سمعت جعفر بن محمد يحدث، عن أبيه، عن جدّه على بن الحسين بن على بن أبى طالب، أنّه سأل رسول الله ﷺ عن قول الله تعالى: ﴿لَوْ تَرَىٰ أُولَٰئِكَ لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ قال: «هم المشركون من أجداد النبى ﷺ ممن كان بعده فى عصره، كان فى أصلابهم المؤمنون، فلو تزيل المؤمنون عن أصلاب الكفار يعذب الله عذاباً أليماً». إذ من صلة قوله تعالى: ﴿لَعَذَّبْنَا﴾ «إذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية حمية الجاهلية» حين صدوا رسول الله ﷺ وأصحابه عن البيت، ولم يقرؤا بسم الله الرحمن الرحيم، ولا برسالة رسول الله، (والحمية) فعيلة من قول القائل: حمى فلان أنفه، يحمى حمية، وتحمية. قال المتلمس:

ألا إناى منهم وعرضى عرضهم كذا الرأس يحمى أنفه أن يهشما

أى يمنع. ﴿فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ﴾ يعنى الإخلاص، نظيرها قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ يَأْتِيهِمُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ﴾ (الحج: ٣٧)، وقوله: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (المائدة: ٢٧).

أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد بن شاذان الرازى بقراءتى عليه، حدثنا أبو عبد الله الحسين ابن على بن أبى الربيع القطان، حدثنا عبد الله بن أحمد بن محمد بن محمد بن حنبل، وهميم<sup>(١)</sup> - أو هضم - ابن همام الأملى، وعلى بن الحسين بن الجنيد، قالوا: حدثنا الحسن بن قزعة، حدثنا سفيان بن حبيب، حدثنا شعبة، عن يزيد بن أبى ناجية، عن الطفيل بن أبى، عن أبيه، عن أبى بن كعب أنّه سمع رسول الله ﷺ يقول: فى قول الله تعالى: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ﴾ قال: «لا إله إلا الله».

وهو قول ابن عباس، وعمرو بن ميمون، ومجاهد، وقتادة، والضحاك، وسلمة بن كهيل، وعبيد بن عمير، وعكرمة، وطلحة بن مصرف، والربيع، والسدى، وابن زيد، وقال عطاء الخراسانى: هى لا إله إلا الله محمد رسول الله.

أخبرنا عبد الخالق بن على بن عبد الخالق، أخبرنا أبو بكر بن حبيب، حدثنا أبو العباس أحمد بن محمد بن عيسى المزنى، حدثنا أبو نعيم، وأبو حذيفة، قالوا: حدثنا سفيان، عن سلمة بن كهيل، عن عباية بن ربيع، عن على رضى الله عنه ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ﴾ قال: لا إله إلا الله والله أكبر. وهو قول ابن عمر، وقال عطاء بن رباح: هى لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شىء قدير.

(١) فى المتن: «هميم»، والتصويب من الهامش.

أخبرنا أبو سعيد محمد بن عبد الله بن حمدون، أخبرنا أبو بكر محمد بن حمدون بن خالد، حدثنا أحمد بن منصور المروزي بنيسابور، حدثنا سلمة بن سليم السلمى، حدثنا عبد الله بن المبارك عن معمر عن ابن شهاب الزهري ﴿وَالزَّمَمَهُ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾ قال: بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ ﴿مُحَمَّدًا عَلَيْهِ السَّلَامُ﴾. ﴿الرَّءْيَا﴾ التي أراها إياه في مخرجه إلى الحديبية، أنه يدخل هو وأصحابه المسجد الحرام. ﴿بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ﴾ كلها ﴿وَمُقَصِّرِينَ﴾ بعض رؤوسكم ﴿لَا تَخَافُونَ﴾ وقوله: ﴿لَتَدْخُلَنَّ﴾ يعنى وقال: ﴿لَتَدْخُلَنَّ﴾ لأن عبارة (الرؤيا) قول، وقال ابن كيسان: قوله: ﴿لَتَدْخُلَنَّ﴾ من قول رسول الله ﷺ لأصحابه حكاية عن رؤياه، فأخبر الله تعالى، عن رسوله أنه قال ذلك، ولهذا استثنى تأديبا بأدب الله تعالى حيث قال له: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَأْنِي إِنْ فَعَلْتُ ذَلِكَ غَدًا﴾ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴿(الكهف: ٢٣، ٢٤)﴾، وقال أبو عبيدة: ﴿إِنْ﴾ بمعنى إذ مجازه إذ شاء الله كقوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (البقرة: ٩١) ﴿إِنْ أَرَدْنَا تَحْصِنًا﴾ (النور: ٣٣).

وقال الحسين بن الفضل: يجوز أن يكون الاستثناء من الدخول لأن بين (الرؤيا) وتصديقه سنة، ومات منهم فى السنة أناس، فمجاز الآية لتدخلن المسجد الحرام كلكم إن شاء الله آمين.

ويجوز أن يكون الاستثناء واقعا على الخوف، والأمن لا على الدخول، لأن الدخول لم يكن فيه شك، لقوله ﷺ عند دخول المقبرة: «وإنا إن شاء الله بكم لاحقون» فالاستثناء واقع على اللحق دون الموت.

﴿فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا﴾ أَنَّ الصَّلَاحَ كَانَ فِي الصَّلْحِ، وهو قوله: ﴿وَلَوْلَا رِجَالُ مُؤْمِنُونَ﴾ الآية. ﴿فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ﴾ أى من دون دخولهما المسجد الحرام، وتحقيق رؤيا رسول الله ﴿فَقَتَحَا قَرِيبًا﴾ وهو صلح الحديبية عن أكثر المفسرين، قال الزهري: ما فتح فى الإسلام كان أعظم من صلح الحديبية، لأنه إنما كان القتال حيث التقى الناس، فلما كانت الهدنة وضعت الحرب، وأمن الناس بعضهم بعضاً، فالتقوا فتفاوضوا فى الحديث، والمناظرة، فلم يكلم أحد بالإسلام يعقل شيئاً إلا دخل فيه فى تينك السنتين فى الإسلام، مثل من كان فى الإسلام قبل ذلك وأكثر، وقال ابن زيد: هو فتح خيبر فتحها الله تعالى عليهم حين رجعوا من الحديبية، فقسّمها رسول الله ﷺ على أهل الحديبية كلهم إلا رجلاً واحداً من الأنصار، وهو أبو دجاجة سماك بن خرشة كان قد شهد الحديبية، وغاب عن خيبر.



﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ۝١٠﴾  
 مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ  
 فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ  
 فِي الْإِنْجِيلِ كَرِزَاعٍ أُخْرِجَ شَطْطُهُ فَنَازَرَهُ فَاسْتَعْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوْقِهِ يُعْجِبُ الزَّرَّاعَ  
 لِيُعْطِيَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا  
 عَظِيمًا ۝١١﴾

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ أنك نبي  
 صادق فيما تخبر، ونصب ﴿شَهِيدًا﴾ على التفسير وقيل: على الحال، والقطع، ثم قال:  
 ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾ تم الكلام هاهنا، ثم قال مبتدأ: ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ (الواو) فيه (واو) الاستئناف  
 ﴿وَالَّذِينَ﴾ في محل الرفع على الابتداء ﴿أَشِدَّاءُ﴾ غلاظ ﴿عَلَى الْكُفَّارِ﴾ لا تأخذهم فيهم رافة.  
 ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ متعاطفون متوادون بعضهم على بعض كقوله تعالى: ﴿إِذْ لَقِيَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ آعِزَّةً عَلَى  
 الْكٰفِرِينَ﴾ (المائدة: ٥٤).

﴿تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ﴾ أن يدخلهم جنته ﴿وَرِضْوَانًا﴾ أن يرضى عنهم.  
 ﴿سِيمَاهُمْ﴾ علامتهم ﴿فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ واختلف العلماء في هذه السيماء، فقال قوم:  
 هو نور وبياض في وجوههم يوم القيامة، يعرفون بتلك العلامة، أنهم سجدوا في الدنيا،  
 وهى رواية العوفى، عن ابن عباس، وقال عطاء بن أبى رباح والربيع بن أنس: استنارت  
 وجوههم من كثرة ما صلّوا.

وقال شهر بن حوشب: تكون مواضع السجود من وجوههم، كالقمر ليلة البدر. قال  
 آخرون: السمات الحسن، والخشوع، والتواضع، وهو رواية الوالى عن ابن عباس، قال: أما  
 إنه ليس بالذى ترون، ولكنه سيماء الإسلام وسجيته، وسمته وخشوعه، وقال منصور:  
 سألت مجاهدًا عن قوله سبحانه وتعالى: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ﴾، أهو الأثر يكون بين عيني  
 الرجل؟ قال: لا ربما يكون بين عيني الرجل، مثل ركة العنز، وهو أقسى قلبًا من الحجارة،  
 ولكنه نور فى وجوههم من الخشوع، وقال ابن جريج: هو الوقار، والبهاء، وقال سمرة بن  
 عطية: هو البهج، والصفرة فى الوجوه، وأثر السهرة. قال الحسن: إذا رأيتهم حسبتهم  
 مرضى، وما هم بمرضى، وقال الضحّاك: أما إنه ليس بالندب فى الوجوه، ولكنه الصفرة.

وقال عكرمة، وسعيد بن جبير: هو أثر التراب على جباههم. قال أبو العالية: يسجدون على التراب لا على الأثواب، وقال سفيان الثوري: يصلون بالليل، فإذا أصبحوا روى ذلك في وجوههم، بيانه قوله: **﴿وَاللَّيْلِ﴾**: «من كثر صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار». قال الزهري: يكون ذلك يوم القيامة، وقال بعضهم: هو ندب السجود، وعلته في الجهة من كثرة السجود.

وبلغنا في بعض الأخبار أن الله تعالى يقول يوم القيامة: يا نار أنضجى، يا نار أحرقي، وموضع السجود فلا تقربى، وقال عطاء الخراساني: دخل في هذه الآية كل من حافظ على الصلوات الخمسة.

**﴿ذَلِكَ﴾** الذي ذكرت **﴿مَثَلُهُمْ﴾** صفتهم **﴿فِي التَّوْرَةِ﴾** وهاهنا تم الكلام، ثم قال: **﴿وَمَثَلُهُمْ﴾** صفتهم **﴿فِي الْإِنْجِيلِ﴾** فهما مثلان **﴿كَرَزَعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ﴾** قرأه العامة بجزم (الطاء)، وقرأ بعض أهل مكة، والشام بفتحها، وقرأ أنس، والحسن، ويحيى بن وثاب (شطاه) مثل عصاه. وقرأ الجحدري (شطه) بلا همزة، وكلها لغات. قال أنس: (شطأه) نباته، وقال ابن عباس. سنبله حين يلسع نباته عن جنانه. ابن زيد: أولاده. مجاهد، والضحاك: ما يخرج بجانب الحلقة فينمو ويتم عطاء جوانبه. مقاتل: هو نبت واحد، فإذا خرج ما بعده، فهو (شطأه). السدي: هو أن يخرج معه أطفاه الأخرى. الكسائي: طرفه. الفراء: شطأ الزرع أن ينبت سبعا، أو ثمانيا، أو عشرا. قال الأخفش: فراخه يقال: أشطأ الزرع، فهو مشطى إذا أفرخ، وقال الشاعر:

أخرج الشطأ على وجه الثرى      ومن الأشجار أفنان الثمر

وهذا مثل ضربه الله تعالى لأصحاب محمد (عليه السلام) يعنى أنهم يكونون قليلا، ثم يزدادون، ويكثرون، ويقوون، وقال قتادة: مثل أصحاب محمد (عليه السلام) في الإنجيل مكتوب أنه سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع، يأمرهم بالمعروف، وينهون عن المنكر. **﴿فَأَزْرَهُ﴾** قواه وأعانه وشد أزره، فأزره فضره (قاله) <sup>(١)</sup> ابن زكوان **﴿فَأَسْتَغْلَظُ﴾** فغلظ، وقوى **﴿فَأَسْتَوَى﴾** نما وتلاحق نباته، وقام **﴿عَلَى سَوْقِهِ﴾** أصوله **﴿يَتَّجِبُ الزَّرْعُ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارُ﴾** يعنى أن الله تعالى فعل ذلك بمحمد **﴿وَصَلَّى﴾** وأصحابه **﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارُ﴾**.

أخبرنا عبد الخالق بن علي بن عبد الخالق، أخبرنا أبو بكر محمد بن يوسف بن حاتم بن نصر، حدثنا الحسن بن عثمان، حدثنا أحمد بن منصور الحنظلي، المعروف بزاج المروزي،

(١) زيادة يتطلبها السياق تركها المؤلف اختصاراً.

حدثنا سلمة بن سليمان، حدثنا عبد الله بن المبارك، حدثنا مبارك بن فضلة، عن الحسن في قوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾ قال: هو محمد ﷺ ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ أبو بكر الصديق رضى الله عنه ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾ عمر بن الخطاب رضى الله عنه ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ عثمان بن عفان رضى الله عنه ﴿تَرَاهُمْ رُكُوعًا سُجَّدًا﴾ على بن أبى طالب رضى الله عنه ﴿يَتَّبِعُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ طلحة، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد، وسعيد، وأبو عبيدة بن الجراح ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ قال: المبشرون عشرة أولهم أبو بكر، وآخرهم أبو عبيدة بن الجراح ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ﴾ قال: نعتهم فى التوراة والإنجيل ﴿كَرَّعَ﴾ قال: الزرع محمد ﷺ ﴿أَخْرَجَ شَطْرَهُ﴾ أبو بكر الصديق، ﴿فَكَارَزَهُ﴾ عمر بن الخطاب ﴿فَأَسْتَفَظَّ﴾ عثمان ابن عفان، يعنى استغلظ بعثمان الإسلام ﴿فَأَسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوْقِهِ﴾ على بن أبى طالب يعنى استقام الإسلام بسيفه ﴿يَعْتَجِبُ الزُّرَّاعَ﴾ قال: المؤمنون ﴿لِيُعْطِيَٰ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ قال: قول عمر لأهل مكة: لا نعبد الله سرًّا بعد هذا اليوم.

أخبرنا ابن فنجويه الدينورى، حدثنا عبد الله بن محمد بن شنبه، حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان، حدثنا محمد بن مسلم بن وارة، حدثنا الحسين بن الربيع، قال: قال ابن إدريس هما ما آمن بأن يكونوا قد ضارعا الكفار، يعنى الرافضة، لأن الله تعالى يقول: ﴿لِيُعْطِيَٰ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾.

أخبرنا الحسين بن محمد العدل، حدثنا محمد بن عمر بن عبد الله بن مهران، حدثنا أبو مسلم الكجى، حدثنا عبد الله بن رجاء، أخبرنا عمران، عن الحجاج، عن ميمون بن مهران، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «يكون فى آخر الزمان قوم يبنزون أو يلمزون الرافضة<sup>(١)</sup> يرفضون الإسلام ويلفظونه، فاقتلوهم فإنهم مشركون»<sup>(٢)</sup>.

أخبرنا الحسين بن محمد، حدثنا أبو حذيفة أحمد بن محمد بن على، حدثنا زكريا بن يحيى بن يعقوب المقدسى، حدثنا أبى، حدثنا أبو العوام أحمد بن يزيد الديباجى، حدثنا المدنى، عن زيد، عن ابن عمر، قال: قال النبى ﷺ لعلى: «يا على أنت فى الجنة وشيعتك فى الجنة، وسيجىء بعدى قوم يدعون ولايتك، لهم لقب يقال له: الرافضة، فإن أدركتهم فاقتلوهم فإنهم مشركون».

قال: يا رسول الله ما علامتهم؟ قال: «يا على إنهم ليست لهم جمعة، ولا جماعة يسبون

(١) كذا فى متن المخطوط، وفى هامش المخطوط: بالرافضة.

(٢) هذا خبر لا يصح.

أبا بكر، وعمر»<sup>(١)</sup>.

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ أى الطاعات، وقد مرّ تأويله، وقال أبو العالية فى هذه الآية: ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ يعنى الذين أحبوا أصحاب رسول الله المذكورين فيها فبلغ ذلك الحسن، فارتضاه، فاستصوبه منهم، قال ابن جرير: يعنى من الشطأ الذى أخرجه الزرع، وهم الداخلون فى الإسلام بعد الزرع إلى يوم القيامة رد (الهاء) و(الميم) على معنى الشطأ لا على لفظه، لذلك قال: ﴿مِنْهُمْ﴾ ولم يقل: منه. ﴿مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾.



(١) وهذا أيضاً خبر موضوع كسابقه وضعه غلاة الفرق التى كانت فى صدر الإسلام عندما تناحروا المذاهبهم وفرقهم فنسبوا إلى رسول الله ﷺ الكثير من كذبهم لترويج مذاهبهم هداانا الله وإياكم سواء السبيل .

## في فضل المَفْصَلِ

حدَّثنا الشيخ أبو محمد المخلدي، إملاء يوم الجمعة في شعبان سنة أربع وثمانين وثلاثمائة، قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن حمدون بن خالد، وعبد الله بن محمد بن مسلم، قالوا: حدَّثنا هلال بن العلاء، قال: حدَّثنا حجاج بن محمد، عن أيوب بن عتبة، عن يحيى بن أبي كثير، عن شداد بن عبد الله، عن أبي أسماء الرجبى، عن ثوبان، أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله أعطاني السبع الطوال مكان التوراة، وأعطاني المثين مكان الإنجيل، وأعطاني مكان الزبور المثاني، وفضلني بالمَفْصَلِ».

وأخبرنا أبو الحسن الحبارى، قال: حدَّثنا أبو الشيخ الأصبهاني، قال: أخبرنا ابن أبي عاصم، قال: حدَّثنا هشام بن عمار، قال: حدَّثنا محمد بن شعيب بن<sup>(١)</sup> شابور، قال: حدَّثنا سعد بن قيس، عن قتادة، عن أبي الملح الهذلي، عن واثلة بن الأسقع، أن النبي ﷺ قال: «أعطيت السبع الطوال مكان التوراة، وأعطيت المثاني مكان الإنجيل، وأعطيت المثين مكان الزبور، وفضلت بالمَفْصَلِ».



(١) في الهامش: «عن».

## سُورَةُ الْحُجُرَاتِ

مدينة . وهى ألف وأربعمائة وخمسة وسبعون حرفاً ،  
وثلاثمائة وثلاث وأربعون كلمة ، وثمانى عشرة آية

أخبرنا أبو الحسن أحمد بن إبراهيم العبدوى قرأه عليه سنة أربع وثمانين وثلاثمائة ، قال :  
أخبرنا أبو عمر ومحمد بن جعفر بن محمد العدل ، قال : حدثنا إبراهيم بن شريك بن الفضل ،  
قال : حدثنا أحمد بن عبد الله بن يونس ، قال : حدثنا سلام بن سليم المدائنى ، قال : حدثنا  
هارون بن كثير ، عن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن أبى أمامة عن أبى بن كعب ، قال : قال رسول الله ﷺ : «من قرأ الحُجرات أعطى من الأجر عشر حسنات بعدد من أطاع الله ومنَّه عَصَاهُ» .

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾  
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ  
بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُغْضُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ  
رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِأَلْسِنَتِهِمْ لَمْ ءَامَنُوا بِقُلُوبِهِمْ لَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَامَنَّا ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٣﴾﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ قرأ العامة ﴿تَقْدُمُوا﴾ بضم (التاء) وكسر (الذال) من التقديم ، وقرأ الضحَّاك ، ويعقوب بفتحهما من التقدم . واختلف المفسرون فى معنى الآية ، فروى على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس ، قال : لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة . عطية عنه : لا تتكلموا بين يدي كلامه .

وأخبرنا عبد الله بن حامد ، قال : أخبرنا أبو الحسين عمر بن الحسن بن مالك الشيبانى ،  
قال : حدثنا أحمد بن الحسن بن سعيد بن عثمان الخزاز . قال : حدثنا حسين بن مخارق بن (١)

(١) فى المخطوط : كتبت : «أبو» وفوقها «ابن» فأثبت ما هو مدون .

جنادة، عن عبد الله بن سلامة، عن السبعي، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه **﴿لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾** قال: في الذبح يوم الأضحى، وإليه ذهب الحسن، قال: لا تذبحوا قبل أن يذبح النبي ﷺ، وذلك أن ناساً من المسلمين ذبحوا قبل صلاة النبي ﷺ فأمرهم أن يعيدوا الذبح. وأخبرنا عبد الخالق بن علي أخبرنا أبو بكر بن خنب<sup>(١)</sup> حدثنا أبو بكر بن أبي العوام الرياحي، قال: حدثنا أبي. قال: حدثنا النعمان بن عبد أسلم التميمي<sup>(٢)</sup>، عن زفر بن الهذيل، عن يحيى بن عبد الله التيمي عن جبير<sup>(٣)</sup> بن ربيعة، عن مسروق، عن عائشة رضي الله عنها في قوله: **﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾** قالت: لا تصوموا قبل أن يصوم نبيكم.

وروي عن مسروق أيضاً، قال: دخلت على عائشة في اليوم الذي جئت فيه، فقالت للجارية: اسقه عسلاً، فقلت: إني صائم. فقالت: قد نهى الله تعالى عن صوم هذا اليوم، وفيه نزلت **﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾** وأخبرنا ابن فنجويه، قال: حدثنا عمر بن الخطاب. قال: حدثنا عبد الله بن الفضل. قال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم. قال: حدثني هشام بن يوسف، عن ابن جريج، قال: أخبرني ابن أبي مليكة أن عبد الله بن الزبير أخبرهم، قال: قدم ركب من بني تميم على النبي ﷺ فقال أبو بكر: أمر القعقاع بن معبد بن زرارة، وقال عمر: بل أمر الأقرع بن حابس، فقال أبو بكر: ما أردت إلا خلافي، وقال عمر: ما أردت خلافك، فتمارياً حتى ارتفعت أصواتهما، فأنزل الله سبحانه: **﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾**<sup>(٤)</sup> الآية.

وقال قتادة: نزلت في ناس كانوا يقولون: لو أنزل في كذا، لوضع كذا. فكره الله ذلك وقدم فيه. مجاهد: لا تفتاتوا على رسول الله بشيء حتى يقضيه الله على لسانه. الضحّاك: يعني في القتال وشرائع الدين يقول: لا تقضوا أمراً دون الله ورسوله. حيان، عن الكلبي لا تستبقوا رسول الله بقول، ولا فعل حتى يكون هو الذي يأمركم به<sup>(٥)</sup>.

قال السدي: وقال عطاء الخراساني: نزلت في قصة بئر معونة، وقيل في الثلاثة الذين نجوا الرجلين السلميين، اللذين اعتزما إلى بني عامر وأخذهم مالهما وكانا من أهل العهد، فلما

(١) في الهامش: حبيب.

(٢) في الهامش: التيمي.

(٣) في الهامش: حبال بن ربيعة.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه عن الحسن بن محمد بن الصباح.

(٥) في هامش المخطوط: «ريه».

أتوا رسول الله ﷺ وقد سبق الخبر إليه، فقال: «بئس ما صنعتم، هما من أهل ميثاقى وهذا الذى معكم من نسوتى»، قالوا: يا رسول الله إنهما زعما أنهما من بنى عامر، فقلنا: رجلان ممن قتل إخواننا.

فقلنا: هما لذلك. وأتاه السلميون، فقال رسول الله ﷺ: «لا قود لهما لأنهما اعتزما إلى عدونا». ولكنه أيدهما، فوداهما رسول الله ﷺ وأنزل الله سبحانه فى ذلك: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ حين قتلوا الرجلين، وهذه رواية ماذان عن ابن عباس. وقال ابن زيد: لا تقطعوا أمراً دون رسول الله، وقيل: لا تمشوا بين يدى رسول الله، وكذلك بين أيدي العلماء فإنهم ورثة الأنبياء.

ودليل هذا التأويل ما أخبرنا أبو الحسن الحلبازى، قال: حدثنا أبو القاسم موسى بن محمد الدينورى بها، قال: حدثنا أحمد بن يحيى، قال: حدثنا أحمد بن عبد الله بن يونس، قال: حدثنا رجل بمكة، عن ابن جريج، عن عطاء، عن أبى الدرداء، قال: رأى النبى ﷺ أمشى أمام أبى بكر، فقال: «تمشى أمام من هو خير منك فى الدنيا والآخرة، ما طلعت الشمس، ولا غربت على أحد بعد النبى ﷺ والمرسلين خيراً وأفضل من أبى بكر».

وقيل: إنها نزلت فى قوم كانوا يحضرون مجلس رسول الله ﷺ فإذا سئل الرسول عن شىء، خاضوا فيه، وتقدموا بالقول، والفتوى، فنهاه عن ذلك، وزجروا عن أن يقول أحد فى شىء من دين الله سبحانه، قبل أن يقول فيه رسول الله ﷺ.

وقيل: لا تطلبوا منزلة وراء منزلته. قال الأخفش: تقول العرب: فلان تقدم بين يدى أبيه، وأمه، ويتقدم إذا استبد بالأمير دونهما. ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ فى تضييع حقه، ومخالفة أمره. ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لأقوالكم ﴿عَلِيمٌ﴾ بأفعالكم، وأحوالكم.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ الآية نزلت فى ثابت بن قيس بن شماس، كان فى أذنه قر، وكان جهورى الصوت، فإذا كلم إنساناً جهر بصوته، فربما كان يكلم رسول الله ﷺ فينادى بصوته، فأنزل الله سبحانه ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ أى لا تغلظوا له فى الخطاب، ولا تنادوه باسمه يا محمد، يا أحمد، كما ينادى بعضكم بعضاً، ولكن فخموه، واحترموه، وقولوا له قولاً لينا، وخطاباً حسناً، بتعظيم، وتوقير: يا نبى الله، يا رسول الله، نظيره قوله سبحانه: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً﴾ (النور: ٦٣).

﴿أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ﴾ أى لا تبطل حسناتكم، تقول العرب: أسند الحائط أن يميل ﴿وَأْتَمَّرَ﴾



تَشْعُرُونَ ﴿ فلما نزلت هذه الآية قعد ثابت فى الطريق فمر به عاصم بن عدى فقال: ما يبكيك يا ثابت؟ قال: هذه الآية أتخوَّف أن تكون نزلت فىّ، وأنا رفيع الصوت، أخاف أن يحبط عملى، وأن أكون من أهل النار، فمضى عاصم إلى رسول الله ﷺ وغلب ثابتاً بالبكاء، فأتى امرأته جميلة بنت عبد الله بن أبى ابن سلول، فقال لها: إذا دخلت بيت فرسى، فشدى على الضبة بمسمار فضربته بمسمار حتى إذا خرجت عطفه، وقال: لا أخرج حتى يتوفانى الله، أو يرضى عنى رسول الله، فأتى عاصم رسول الله، فأخبره بخبره. فقال: «اذهب، فادعه لى». فجاء عاصم إلى المكان الذى رآه فلم يجده، فجاء إلى أهله، فوجده فى بيت الفرس، فقال له: إن رسول الله يدعوك، فقال: أكسر الضبة، فأتيا رسول الله، فقال له رسول الله ﷺ: «ما يبكيك يا ثابت؟» فقال: أنا صيِّت وأتخوَّف أن تكون هذه الآية نزلت فىّ، فقال له رسول الله ﷺ: «أما ترضى أن تعيش سعيداً وتقتل شهيداً وتدخل الجنة»، فقال: رضيت ببشرى الله ورسوله، لا أرفع صوتى أبداً على رسول الله، فأنزل الله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَعْضُونَ أَسْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ الآية.

قال أنس: فكنا ننظر إلى رجل من أهل الجنة، يمشى بين أيدينا، فلما كان يوم اليمامة فى حرب مسيلمة، رأى ثابت فى المسلمين بعض الانكسار<sup>(١)</sup>، وانهزمت طائفة منهم، فقال: أف لهؤلاء، وما يصنعون. ثم قال ثابت لسالم مولى أبى حذيفة: ما كنا نقاتل أعداء الله مع رسول الله مثل هذا، ثم ثبنا، ولم يزالا يقاتلان حتى قُتلا. وثابت بن قيس عليه درع، فرآه رجل من الصحابة بعد موته فى المنام أنه قال له: اعلم أن فلاناً - رجل من المسلمين - نزع درعى، فذهب بها وهى فى ناحية من العسكر عنده فرس تستر فى طوله، وقد وضع على درعى لأمة، فأت خالد بن الوليد، فأخبره حتى يسترد درعى واثت أبا بكر خليفة رسول الله وقل له: إن على ديناً حتى يقضى، وفلان من رقيقى عتيق.

فأخبر الرجل خالداً فوجد درعه والفرس على ما وصفه، فاسترد الدرع، وأخبر خالد أبا بكر تلك الرؤيا، فأجاز أبو بكر وصيته. قال مالك بن أنس: لا أعلم وصية أجزيت بعد موت صاحبها إلا هذه.

حدثنا أبو محمد المخلدى، قال: أخبرنا أبو العباس السراج، قال: حدثنا زياد بن أيوب، قال: حدثنا عباد بن العوام، ويزيد بن هارون وسعيد بن عاد، عن محمد بن عمرو، عن أبى سلمة، قال: حدثنا سعيد، عن أبى هريرة. قال: لما نزلت ﴿لَا تَرْفَعُوا أَسْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾

(١) فى المتن: «إنكار» والتصويب من هامش المخطوط.

الآية، قال أبو بكر: والله لا أرفع صوتي إلا كأخي السرار.

وروى ابن أبي مليكة عن أبي الزبير، قال: لما نزلت هذه الآية، ما حدث عمر النبي ﷺ بعد ذلك، فسمع النبي ﷺ كلامه حتى يستفهمه مما يخفض صوته، فأنزل الله سبحانه فيهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ إجلالاً له ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آمَنُوا اللَّهُ فُؤُوبُهُمُ لِلتَّقْوَى﴾ أي اختبرها، فأخلصها، واصطفاها كما يمتحن الذهب بالنار، فيخرج خالصه، وقال ابن عباس: أكرمها.

وأخبرنا أبو سعيد محمد بن موسى بن الفضل النيسابوري، قال: أخبرنا أبو عبد الله محمد ابن عبد الله بن أحمد الأصبهاني، قال: حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد القريشي، قال: حدثنا محمد بن يحيى بن أبي حاتم، قال: حدثني جعفر بن أبي جعفر، عن أحمد بن أبي الخولدي، قال: سمعت أبا سلمان يقول: قال عمر بن الخطاب في قوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آمَنُوا اللَّهُ فُؤُوبُهُمُ لِلتَّقْوَى﴾ قال: أذهب الشهوات منها ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ ويقال: إن هذه الآيات الأربع من قوله: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ إلى قوله: ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ نزلت في وفد تميم.

وهو ما أخبرني أبو القاسم الحسن بن محمد، قال: حدثني أبو جعفر محمد بن صالح بن هانئ الوراق سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة، قال: حدثنا الفضل بن محمد بن المسيب بن موسى الشعراني، قال: حدثنا القاسم بن أبي شيبه، قال: حدثنا معلّى بن عبد الرحمن، قال: حدثنا عبد الحميد بن جعفر بن عمر بن الحكم، عن جابر بن عبد الله، قال: جاءت بنو تميم إلى النبي ﷺ، فنادوا على الباب: يا محمد اخرج علينا، فإنّ مدحنا زين وذمنا شين. قال: فسمعها النبي ﷺ، فخرج عليهم، وهو يقول: «إِنَّمَا ذَلِكُمُ اللَّهُ الَّذِي مَدَحَهُ زَيْنٌ وَذَمَّهُ شَيْنٌ».

قالوا: نحن ناس من بني تميم، جئنا بشاعرنا وخطيبنا نشاعرك ونفاخرك، فقال رسول الله ﷺ: «ما بالشعر بعثت، ولا بالفخار أمرت، ولكن هاتوا».

فقال الزبيرقان بن بدر لشاب من شبابهم: قم فاذكر فضلك، وفضل قومك. فقام، فقال: الحمد لله الذي جعلنا خير خلقه وآتانا أموالاً نفعل فيها ما نشاء، فنحن من خير أهل الأرض، من أكثرهم عدّة، ومالاً، وسلاحاً، فمن أنكر علينا قولنا، فليأت بقول هو أحسن من قولنا، وفعال هي خير من فعالنا. فقال رسول الله ﷺ لثابت بن قيس بن شماس، وكان خطيب رسول الله: قم فأجبه.

فقام، فقال: الحمد لله أحمدته، وأستعينه، وأؤمن به، وأتوكّل عليه، وأشهد أن لا إله إلاّ

الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ثم دعا المهاجرين من بنى عمه أحسن الناس وجوهاً وأعظمهم أحلاماً. فأجابوه، فقالوا: الحمد لله الذى جعلنا أنصاره، ووزراء رسوله، وعزاً لدينه، فنحن نقاتل الناس، حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، فمن قالها منع مئاً ماله، ونفسه، ومن أبى قتلناه، وكان زعمه فى الله علينا هيناً، أقول قولى وأستغفر الله للمؤمنين والمؤمنات.

فقال الزبيرقان بن بدر لشاب من شبابهم: قم يا فلان، فقل أبياتاً تذكر فيها فضلك، وفضل قومك. فقام الشاب، فقال:

نحن الكرام فلا حى يعادلنا      فينا الرؤوس وفينا يقسم الربع  
ونطعم الناس عند القحط كلهم      من السديف إذا لم يؤنس القرع  
إذا أئينا فلا يأبى لنا أحد      إنا كذلك عند الفخر نرتفع

قال: فأرسل رسول الله ﷺ إلى حسّان بن ثابت، فانطلق إليه الرسول، فقال: وما تريد منى وكنت عنده؟ قال: جاءت بنو تميم بشاعرهم، وخطيبهم، فأمر رسول الله ﷺ ثابت بن قيس، فأجابه، وتكلم شاعرهم، فأرسل إليك لتجيبه.

وذكر له قول شاعرهم. قال: فجاء حسّان، فأمره رسول الله ﷺ أن يجيبه فقال: يا رسول الله مره، فليسمعنى ما قال، فقال النبى ﷺ: «أسمعه ما قلت»، فأنشده ما قال، فقال حسّان:

إنّ الذوائب من فھر وإخوتهم      قد شرّعوا سنّة للناس تتبّع  
يرضى بها كلّ من كانت سريرته      تقوى الإله وكلّ الخير يصطنع

ثمّ قال حسّان:

نصرنا رسول الله والدين عنوة      على رغم عات من معد وحاضر  
بضرب كأبزاغ المخاض مشاشه<sup>(١)</sup>      وطعن كأفواه اللقاح الصوادر  
وسل أحداً يوم استقلت شعابه      بضرب لنا مثل الليوث الجواذر  
ألسنا نخوض الموت فى حومة الوغى      إذا طاب ورد الموت بين العساكر  
ونضرب هام الدارعين وننتمى      إلى حسب من جذم غسان قاهر  
فلولا حياء الله قلنا تكراً      على الناس بالخيّفين هل من منافر  
فأحيّاونا من خير من وطئ الحصى      وأمواتنا من خير أهل المقابر

قال: فقام الأقرع بن حابس، فقال: إني والله لقد جئت لأمر ما جاء له هؤلاء، وإني قد

(١) فوقها بقلم دقيق: «رشاشه».

قلت شعراً، فاسمعه مني، فقال: هات، فقال:

أتيناك كيما يعرف الناس فضلنا  
وإننا رءوس الناس من كل معشر  
وإن لنا المربع<sup>(١)</sup> في كل غارة  
تكون بنجد أو بأرض التهائم<sup>(٢)</sup>

فقال رسول الله ﷺ: «قم يا حسّان فأجبه». فقام حسّان، فقال:

بني دارم لا تفخروا إن فخركم  
هبلتم<sup>(٣)</sup> علينا تفخرون وأنتم  
لنا خول<sup>(٤)</sup> من بين ظئر وخادم  
فقال رسول الله ﷺ: «لقد كنت غنياً يا أخا دارم أن يذكر منك ما قد ظننت أن الناس قد

نسوه».

قال: فكان قول رسول الله ﷺ أشدّ عليهم من قول حسّان. ثمّ رجع حسّان إلى شعره.

فقال:

كأفضل ما نلتكم من المجد والعلی  
فإن كنتم جتتم لحقن دمائكم  
فلا تجعلوا لله نداً وأسلموا  
وإلا وربّ البيت مالت أكفنا  
ردافتنا من بعد ذكر الأكارم  
وأموالكم أن تقسموا في المقاسم  
ولا تفخروا عند النبیّ بدارم  
على هامكم بالمرهفات الصوارم

قال: فقام الأقرع بن حابس، فقال: إن محمداً المولى، إنه والله ما أدري ما هذا الأمر، تكلم خطيبنا، فكان خطيبهم أحسن قولاً، وتكلم شاعرنا، فكان شاعرهم أشعر، وأحسن قولاً. ثمّ دنا من النبيّ ﷺ فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله.

فقال له النبيّ ﷺ: «ما يضرّك ما كان قبل هذا». ثمّ أعطاهم رسول الله ﷺ وكساهم، وقد كان يخلف في ركبهم عمرو بن الأهتم، وكان قيس بن عاصم يبغضه لحدائث سنه، فأعطاه رسول الله مثل ما أعطى القوم، فأزرى به قيس، وقال فيه أبيات شعر وارتفعت الأصوات، وكثر اللغط عند رسول الله ﷺ. فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ يعني جزاء وافرأ، وهو الجنة.

(١) المربع: هو ما يأخذه الرئيس وهو ربع الغنائم، وذلك لكثرة عدد أتباعه أو قبيلته في الغزو.

(٢) ونجد، وتهامة معروفة من أرض الحجاز.

(٣) فقدتم.

(٤) حشم وأتباع المرء.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَنَادُونَكَ مِنَ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَلَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴿٣﴾ وَأَعْلَمُوا أَن فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٤﴾ فَضَلَا مَنِ اللَّهُ وَنِعْمَةٌ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥﴾ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقْتُلُوا الَّتِي تَبَغَىٰ حَتَّى تَتَيَّأَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٦﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٧﴾﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَنَادُونَكَ مِنَ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ﴾ يعنى أعراب تميم، حيث نادوا: يا محمد اخرج علينا، فإن مدحنا زين وذمنا شين، قاله قتادة. قال ابن عباس: بعث رسول الله ﷺ سرية إلى حى من بنى العنبر وأمر عليهم عيينة بن حصين الفزارى، فلما علموا أنه توجه نحوهم، هربوا، وتركوا عيالهم، فسباهم عيينة، وقدم بهم على رسول الله ﷺ، فجاء بعد ذلك رجالهم يقدون الذرارى، فقدموا وقت الظهر، وواقفوا رسول الله فى أهله قائلاً، فلما رأتهم الذرارى جهشوا إلى آبائهم يبيكون، وكان لكل امرأة من نساء رسول الله ﷺ بيت، وحجرة، فعجلوا أن يخرج إليهم رسول الله ﷺ وجعلوا ينادون: يا محمد اخرج إلينا حتى أيقظوه من نومه، فخرج إليهم، فقالوا: يا محمد فادنا عيالنا.

فنزّل جبريل، فقال: يا محمد، إنّ الله يأمرك أن تجعل بينك وبينهم رجلاً، فقال لهم رسول الله ﷺ: «أترضون أن يكون بينى وبينكم سمرة بن عمرو، وهو على دينكم؟». فقالوا: نعم. قال سمرة: أنا لا أحكم بينهم وعمى شاهد، وهو الأعور بن شامة فرضوا به.

فقال الأعور: أرى أن يفادى نصفهم، ويعتق نصفهم. فقال النبى ﷺ «قد رضيت». فقال نصفهم وأعتق نصفهم، فقال رسول الله ﷺ: «من كان عليه محرر من ولد إسماعيل، فليعتق منهم». فأنزل الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَنَادُونَكَ﴾ الآية، وقال زيد بن

أرقم: جاء ناس من الغرف إلى النبي ﷺ فقال بعضهم لبعض: انطلقوا بنا إلى هذا الرجل، فإن يكن نبياً فنحن أسعد الناس به، وإن يكن ملكاً نعش في جناحه. فجاءوا إلى حجرة النبي ﷺ، فجعلوا ينادونه: يا محمد، يا محمد، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ﴾ وهى جمع الحجر، والحجر جمع حجرة، فهو جمع الجمع، وفيه لغتان: فتح (الجيم) وهى قراءة أبى جعفر، كقول الشاعر:

أما كان عباد كفيًا لدارم  
يلى ولأبيات بها الحجرات

يعنى يلى ولبنى هاشم.

﴿أَكْثَرُهُمْ﴾ جهلاء ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرا لهم ﴿لأنك كنت تعتقهم جميعاً، وتطلقهم بلا فداء. ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ أخبرنا ابن فنجويه، قال: حدثنا عبد الله ابن يوسف، قال: حدثنا أحمد بن عيسى بن السكين البلدى، قال: حدثنى هاشم بن القاسم الحرانى، قال: حدثنى يعلى بن الأشدق، قال: حدثنى سعد بن عبد الله، أن النبي ﷺ سئل عن قول الله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ﴾ قال: «هم الجفأة من بنى تميم، لولا أنهم من أشد الناس قتالاً للأعور الدجال، لدعوت الله عز وجل أن يهلكهم»<sup>(١)</sup>.

﴿يَنَادُهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكَ فَاسِقٌ بَنِيًّا﴾ الآية نزلت فى الوليد بن عقبة بن أبى معيط، بعثه رسول الله ﷺ إلى بنى المصطلق بعد الوقعة مصدقاً، وكان بينه، وبينهم عداوة فى الجاهلية، فلما سمع به القوم تلقوه تعظيماً لأمر رسول الله ﷺ، فحدثه الشيطان أنهم يريدون قتله، فهابهم، فرجع من الطريق إلى رسول الله ﷺ فقال: إن بنى المصطلق، قد منعوا صدقاتهم ه أرادوا قتلى، فغضب رسول الله، وهم أن يغزوهم، فبلغ القوم رجوعه، فأتوا رسول الله ﷺ وقالوا: يا رسول الله سمعنا برسولك، فخرجنا نلتقاه، ونكرمه، ونؤدى إليه ما قبلنا من حق الله، فبدا له فى الرجوع، فخشينا أن يكون إنمارده من الطريق كتاب جاءه منك لغضب غضبته علينا، وإنا نعوذ بالله من غضبه، وغضب رسوله، فأبهمهم رسول الله ﷺ، وبعث خالد بن الوليد إليهم خفية فى عسكر، وأمره أن يخفى عليهم قدمه.

وقال له: «انظر، فإن رأيت منهم ما يدل على إيمانهم، فخذ منهم زكاة أموالهم، وإن لم تر ذلك، فاستعمل فيهم ما يستعمل فى الكفار».

ف فعل ذلك خالد ووافاهم، فسمع منهم أذان صلاتى المغرب والعشاء، فأخذ منهم

(١) فى أحاديث الهدى، والدجال، ونزول عيسى عليه السلام كلام كثير والأرجح فى جميعها الضعف وعدم الصحة.

صدقاتهم، ولم ير منهم إلا الطاعة والخير، فانصرف خالد إلى رسول الله، وأخبره الخبر، فأنزل الله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ﴾ يعنى الوليد بن عقبة بن أبى معيط سمّاه الله فاسقاً، نظيره ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ﴾ (السجدة: ١٨)، قال سهل بن عبد الله وابن زيد: الفاسق الكذاب. أبو الحسين الورّاق: هو المعلن بالذنب، وقال أبو(١) طاهر وابن زيد: الفاسق الذى لا يستحى من الله سبحانه.

﴿بِنَبَأٍ﴾: بخبر ﴿فَتَّبِعُوا أَن تُصِيبُوا﴾ كى لا تصيبوا بالقتل، والقتال. ﴿قَوْمًا﴾ براء ﴿بِجَهْلَةٍ فَضُصِّحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ تَتَدَمِينٌ﴾ وأعلموا أن فيكم رسول الله ﴿فاتقوا أن تقولوا الباطل، وتفتروا الكذب، فإن الله سبحانه يخبره أنباءكم، ويعرفه أحوالكم، فتفتضحوا. ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ﴾ فيحكم برأيكم، ويقبل قولكم. ﴿لَعَنَّا﴾ لأثمتم وهلكتم. ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ﴾ فأنتم تطيعون رسول الله وتأتمون به، فيقيكم الله بذلك العنت. ﴿وَزَيَّنَّهٗ﴾ وحسنه ﴿فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾.

ثم أنتقل من الخطاب إلى الخبر، فقال عز من قائل: ﴿أَوْلَيْتُكَ هُمُ الرَّشِيدُونَ﴾ نظيرها قوله سبحانه: ﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ (الروم: ٣٩)، قال النابغة:

يا دار مية بالعلياء فالسند أقوت وطال عليها سالف الأبد

﴿فَضْلًا﴾ أى كان هذا فضلاً ﴿مِنَ اللَّهِ وَرِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ وإن طابقتان من المؤمنين اقتتلوا ﴿قال أكثر المفسرين: وقف رسول الله ﷺ ذات يوم على مجلس من مجالس الأنصار وهو على حمارة، فبال حمارة، فأمسك عبد الله بن أبى بآنفه وقال: إليك عنا بحمارك، فقد آذانا ننته. فقال عبد الله بن رواحة: والله لحمار رسول الله ﷺ أطيب ريحاً منك.

فغضب لعبد الله بن أبى رجل من قومه، وغضب لعبد الله بن رواحة رجل من قومه، فغضب لكل واحد منهما أصحابه حتى استسبوا، وتجالدوا بالأيدى، والجريد، والنعال، ولم يقدر رسول الله ﷺ على إمساكهم، فأنزل الله سبحانه هذه الآية، فلما نزلت قرأها رسول الله ﷺ فاصطلحوا، وكف بعضهم عن بعض، وأقبل بشير بن النعمان الأنصارى مشتتلاً على سيفه، فوجدهم قد اصطلحوا، فقال عبد الله بن أبى: أعلى تشتمل بالسيف يا بشير؟ قال: نعم، والذى أحلف به لو جئت قبل أن تصطلحوا لضربتك حتى أقتلك، فأنشأ عبد الله بن أبى يقول:

متى ما يكن مولاك خصمك جاهداً تظلم ويصرعك الذين تصارع

(١) كذا فى متن المخطوط، وفى هامشه: «ابن».

قال قتادة: نزلت في رجلين من الأنصار، كانت بينهما مذارة في حقّ بينهما، فقال أحدهما للآخر: لأخذنّ حتى منك عنوة، لكثرة عشيرته، وإنّ الآخر دعاه ليحاكمه إلى نبيّ الله ﷺ، فأبى أن يتبعه، فلم يزل الأمر بينهما، حتى تدافعا، وقد تناول بعضهم بعضاً بالأيدي، والنعال، ولم يكن قتال بالسيوف. وروى محمد بن الفضيل، عن الكلبي أنّها نزلت في حرب سمير وحاطب، وكان سمير قتل حاطباً، فجعل الأوس والخزرج يقتتلون إلى أن أتاهم النبيّ ﷺ، فأنزل الله سبحانه هذه الآية، وأمر نبيّه، والمؤمنين أن يصلحوا بينهم.

وروى سفيان عن السديّ، قال: كانت امرأة من الأنصار يقال لها: أمّ زيد تحت رجل، وكان بينها، وبين زوجها شيء، فرمى بها إلى عليّة، وحبسها فيها، فبلغ ذلك قومها فجاءوا، وجاء قومها، فاقتتلوا بالأيدي، والنعال، فأنزل الله سبحانه تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا﴾ الآية.

﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ بالدعاء إلى حكم كتاب الله سبحانه، والرضا بما فيه لهما، وعليهما. ﴿فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَتِلْهُمَا الَّتِي تَبغِي حَتَّى تَتَيَّءَ﴾ ترجع ﴿إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ﴾ وأبت الإجابة إلى حكم الله تعالى له، وعليه في كتابه الذي جعله عدلاً بين خلقه. ﴿فَإِنْ فَاءَتْ﴾ رجعت إلى الحقّ ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ﴾ بحملهما على الإنصاف والرضى بحكم الله، وهو العدل، ﴿وَأَقْسُوا﴾ واعدلوا. ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴿في الدين، والولاية﴾ ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخْوَيْكُمْ﴾ إذا اختلفا، واقتتلا، وقرأ ابن سيرين، ويعقوب. بين (إخوتكم) (بالتاء) على الجمع، وقرأ الحسن (إخوانكم) (بالألف) و(النون). ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ فلا تعصوه ولا تخالفوا أمره ﴿لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ﴾.

قال أبو عثمان البصري: أخوة الدين أثبت من أخوة النسب، فإن أخوة النسب تنقطع لمخالفة الدين، وأخوة الدين لا تنقطع بمخالفة النسب. وسئل الجنيد عن الأخ، فقال: هو أنت في الحقيقة إلا أنه غيرك في الشخص. أخبرني ابن فنجويه، قال: حدثنا عمر بن الخطاب. قال: حدثنا محمد بن إسحاق المسوحى. قال: حدثنا عمرو بن علي، قال: حدثنا أبو عاصم. قال: حدثنا إسماعيل بن رافع، عن ابن أبي سعيد، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ «المسلم أخو المسلم لا يظلمه، ولا يعيبه، ولا يخذله، ولا يتناول عليه في البنيان، فيستر عليه الريح إلا بإذنه، ولا يؤذيه بقتار قدره إلا أن يعرف له، ولا يشتري لبنيه الفاكهة، فيخرجون بها إلى صبيان جاره، ولا يطعمونهم منها».

قال رسول الله ﷺ: «احفظوا، ولا يحفظه منكم إلا قليل».



وفى هاتين الآيتين دليل على أن البغى لا يزيل اسم الإيمان، لأن الله سبحانه وتعالى سمّاهم إخوة مؤمنين مع كونهم باغين، عاصين. يدلّ عليه ما روى الأعمش أن على بن أبى طالب رضى الله عنه سئل وهو القدوة فى قتال أهل البغى، عن أهل الجمل وصفين، أمشركون هم؟ فقال: لا، من الشرك فرّوا. فقيل: أهم منافقون؟ قال: إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً. قيل: فما حالهم؟ قال: إخواننا بغوا علينا.

وقد أخبرنى ابن فنجويه قال: حدثنا ابن شنبه، قال: حدثنا أحمد بن الحسين بن عبد الجبار الصوفى قال: حدثنا أبو نصر التمار، قال: حدثنا كوثر، عن نافع، عن ابن عمر أن النبى ﷺ قال: «يا عبد الله هل تدرى كيف حكم الله سبحانه فيمن بغى من هذه الأمة؟».

قال: الله ورسوله أعلم. قال: «لا يجهز على جريحها، ولا يقتل أسيرها، ولا يطلب هاربها، ولا يقسم فيئها». وسئل محمد بن كعب القرظى عن هاتين الآيتين، فقال: جعل النبى ﷺ أجر المصلح بين الناس، كأجر المجاهد عند الناس، وقال بكر بن عبد الله: امش ميلاً، وعد مريضاً، امش ميلين، وأصلح بين اثنين، امش ثلاثة أميال، وزر أخاك فى الله.



﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِاللِّقَبِّ بئسَ الِاسْمُ الِلسُّوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١٠٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِنَّهُمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠١﴾﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ﴾ الآية، قال ابن عباس: نزلت فى ثابت بن قيس، وذلك أنه كان فى أذنه وقر، فكان إذا أتى رسول الله ﷺ، وقد سبقوه بالمجلس، أو سعوا له حتى يجلس إلى جنبه، فيسمع ما يقول، فأقبل ذات يوم، وقد فاتته من صلاة الفجر ركعة مع رسول الله ﷺ، فلما انصرف النبى ﷺ من الصلاة أخذ أصحابه مجالسهم (منه، فربض) كل رجل بمجلسه، فلا يكاد يوسع أحد لأحد، فكان الرجل إذا جاء، فلم يجد مجلساً، قام قائماً كما هو، فلما فرغ ثابت من الصلاة، وقام منها، أقبل نحو رسول الله ﷺ فجعل يتخطى رقاب الناس، ويقول: تفسحوا تفسحوا، فجعلوا يتفسحون له حتى انتهى إلى رسول الله ﷺ وبينه

وبينه رجل .

فقال له : تفسح . فقال له الرجل : قد أصبت مجلساً ، فاجلس ، فجلس ثابت من خلفه مغضباً ، فلماً أبينت الظلمة ، غمز ثابت الرجل ، وقال : مَنْ هذا؟ قال : أنا فلان . فقال له : ثابت ابن فلانة . ذكر أمأ له كان يعير بها في الجاهلية . فنكس الرجل رأسه واستحيى ، فأنزل الله عزَّ وجلَّ هذه الآية .

وقال الضحَّاك : نزلت في وفد تميم الذين ذكرناهم في صدر السورة ، استهزءوا بفقرآء أصحاب رسول الله ﷺ مثل عمَّار ، وخباب ، وبلال ، وصهيب ، وسلمان ، وسالم مولى أبي حذيفة ، لما رأوا من رثائه حالهم ، فأنزل الله سبحانه في الذين آمنوا منهم ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُوا قَوْمًا مِّن قَوْمٍ﴾ أى رجالٌ من رجال ، والقوم اسم يجمع الرجال والنساء ، وقد يختص بجمع الرجال ، كقول زهير :

وما أدرى وسوف أخال أدرى أقوم آل حصن أم نساء

﴿عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءِ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ نزلت في امرأتين من أزواج النبي ﷺ سخرتا من أم سلمة ، وذلك أنها ربطت خصرها بسية - وهى ثوب أبيض ومثلها السب - وسدلت طرفيها خلفها . فكانت تجرها .

فقال عائشة لحفصة : انظري ما تجرّ خلفها كأنه لسان كلب . فهذا كان سخريتهما<sup>(١)</sup> .

وقال أنس : نزلت في نساء رسول الله ﷺ عيرن أم سلمة بالقصر . ويقال : نزلت في عائشة ، أشارت بيدها في أم سلمة أنها قصيرة ، وروى عكرمة ، عن ابن عباس أن صفية بنت حى بن أخطب أتت رسول الله ﷺ فقالت : إن النساء يعيرننى فيقلن : يا يهودية بنت يهوديين ، فقال رسول الله ﷺ : «هلاّ قلت : إن أبى هارون ، وابن عمى موسى ، وإن زوجى محمد» ، فأنزل الله سبحانه هذه الآية .

﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ﴾ أى لا يعيب بعضكم بعضاً ، ولا يطعن بعضكم على بعض . وقيل : اللمز العيب فى المشهد ، والهمز فى المغيب ، وقال محمد بن يزيد : اللمز باللسان ، والعين ، والإشارة ، والهمز لا يكون إلا باللسان ، قال الشاعر :

إذا لقيتك عن سخط تكاشرنى وإنى تغيبت كنت الهامز اللمزه

(١) يلاحظ أن هذا قول غير مسند فلا يعتد به ثم إن أمهات المؤمنين خير نساء الخلق اختارهن رب العالمين لنبيه ﷺ وهن زوجاته فى الجنة فلا يقبل فى حقهن إلا كل ما هو زين ، ويرد كل ما هو شين مهما حقر فلا يجب ترديده حتى لا يقع قائله فى الإثم .

﴿وَلَا تَتَّخِذُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ قال أبو جبير بن الضحّاك: فينا نزلت هذه الآية في<sup>(١)</sup> بنى سلمة، قدم رسول الله ﷺ المدينة، وما منّا رجل إلّا له اسمان أو ثلاثة، فكان إذا دعا الرجل الرجل باسم، قلنا: يا رسول الله، إنّه يغضب من هذا. فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا بِالْأَلْقَابِ﴾. قال قتادة، وعكرمة: هو قول الرجل للرجل: يا فاسق، يا منافق، يا كافر، وقال الحسن: كان اليهودى، والنصرانى يسلم، فيقال له بعد إسلامه: يا يهودى، يا نصرانى، فنّهوا عن ذلك، وقال ابن عبّاس: التناز باللقاب أن يكون الرجل عمل السيّئات، ثمّ تاب منها، وراجع الحقّ، فنهى الله أن يعيّر بما سلف من عمله.

﴿بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ يقول: من فعل ما نهيت عنه من السخرية، واللمز والنيز، فهو فاسق، و﴿بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ فلا تفعلوا ذلك، فتستحقّوا (اسم الفسوق) وقيل: معناه بئس الاسم الذى تسميه، بقولك فاسق، بعد أن علمت أنّه آمن.

﴿وَمَنْ لَّمْ يَتَّبِعْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ يَتَّيْنُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَجْتَبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ الآية نزلت فى رجلين من أصحاب رسول الله ﷺ اغتابا رفيقهما، وذلك أنّ رسول الله ﷺ كان إذا غزا أو سافر، ضمّ الرجل المحتاج إلى رجلين موسورين يخدمهما، ويحقب حوائجهما، ويتقدّم لهما إلى المنزل، فيهيئ لهما ما يصلحهما من الطعام، والشراب، فضمّ سلمان الفارسى رضى الله عنه إلى رجلين فى بعض أسفاره، فتقدّم سلمان، فغلبته عيناه، فلم يهيئ لهما شيئاً، فلما قدما، قالاه: ما صنعت شيئاً؟ قال: لا. قالاه: ولم؟ قال: غلبتني عيناي، فقالاه: انطلق إلى رسول الله ﷺ، واطلب لنا منه طعاماً وإداماً، فجاء سلمان إلى رسول الله ﷺ وسأله طعاماً، فقال رسول الله ﷺ: «انطلق إلى أسامة بن زيد وقل له: إن كان عنده فضل من طعام، وإدام، فليعطك».

وكان أسامة خازن رسول الله ﷺ وعلى رحله، فأناه، فقال: ما عندي شيء، فرجع سلمان إليهما، وأخبرهما بذلك، فقالاه: كان عند أسامة، ولكن بخل، فبعثنا سلمان إلى طائفة من الصحابة، فلم يجد عندهم شيئاً، فلما رجع سلمان، قالاه: لو بعثناه إلى بئر سميحة لغار ماؤها، ثمّ انطلقا يتجسّسان هل عند أسامة ما أمر لهما به رسول الله ﷺ.

فلما جاء إلى رسول الله ﷺ قال لهما: «ما لى أرى خضرة اللحم فى أفواهكما» قالاه: يا رسول الله، والله ما تناولنا يوماً هذا لحمًا، فقال: «ظللتم تأكلون لحم سلمان، وأسامه».

فأنزل الله سبحانه: ﴿يَتَّيْنُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَجْتَبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ﴾، ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا

(١) فى المخطوط: كتبت «من»، ثم كتب فوقها بقلم الناسخ «فى»، فأثبت المناسب للسياق.

تَجَسَّوْا ﴿ قرأه العامة (بالجيم) وقرأ ابن عباس ، وأبورجاء العطاردي (ولا تحسَّسوا) (بالحاء) ، قال الأخفش : ليس يبعد أحدهما عن الآخر . إلا أن التجسَّس لما يُكتم ، ويُواري ، ومنه الجاسوس ، والتحسس (بالحاء) تخبر الأخبار ، والبحث عنها ، ومعنى الآية خذوا ما ظهر ، ودعوا ما ستر الله ولا تتبعوا عورات المسلمين .

أخبرني ابن فنجويه ، قال : حدثنا ابن شنبه ، قال : حدثنا الفريابي قال : حدثنا قتيبة بن سعد ، عن مالك ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة ، أن رسول الله ﷺ قال : «إياكم والظنّ ، فإنّ الظنّ أكذب الحديث ، ولا تجسَّسوا ، ولا تحسَّسوا ، ولا تنافسوا ، ولا تحاسدوا ، ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله إخواناً» .

وأخبرني ابن فنجويه ، قال : حدثنا ابن حبش ، قال : أخبرنا علي بن زنجويه . قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا عبد الرزاق قال : أخبرنا معمر ، عن الزهري ، عن زرارة بن مصعب بن عبد الرحمن بن عوف ، عن المسور بن مخرمة ، عن عبد الرحمن بن عوف ، أنه حرس ليلة عمر بن الخطاب بالمدينة ، فبينما هم يشون شب لهم سراج في بيت ، فانطلقوا يؤمونه ، فلما دنوا منه ، إذا باب يجاف على قوم لهم أصوات مرتفعة ولغط ، فقال عمر ، وأخذ بيد عبد الرحمن : أتدرى بيت من هذا؟ قال : قلت : لا .

قال : هذا بيت ربيعة بن أمية بن خلف ، وهم الآن يثرب ، فما ترى؟ قال عبد الرحمن : أرى أننا قد أتينا ما قد نهى الله سبحانه ، فقال : ﴿وَلَا تَجَسَّوْا﴾ فقال تجسَّسنا ، (فانصرف) (١) عمر عنهم ، وتركهم .

وبه عن معمر ، قال : أخبرني أيوب ، عن أبي قلابة أن عمر بن الخطاب ، حدث أن أبا محجن الثقفي شرب الخمر في بيته هو وأصحابه ، فانطلق عمر حتى دخل عليه ، فإذا ليس عنده إلا رجل ، فقال أبو محجن : يا أمير المؤمنين إن هذا لا يحل لك ، فقد نهاك الله عز وجل عن التجسَّس ، فقال عمر : ما يقول هذا؟ فقال زيد بن ثابت ، وعبد الله بن الأرقم : صدق يا أمير المؤمنين ، هذا التجسَّس ، قال : فخرج عمر رضى الله عنه ، وتركه . وروى زيد بن أسلم أن عمر بن الخطاب خرج ذات ليلة ، ومعه عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهما يعسّان إذ شبَّ لهما نار ، فأتيا الباب ، فاستأذنا ، ففتح الباب ، فدخلا ، فإذا رجل ، وامرأة تغنى ، وعلى يد الرجل قدح ، وقال عمر للرجل : وأنت بهذا يا فلان؟ فقال : وأنت بهذا يا أمير المؤمنين؟ فقال عمر : فمن هذه منك؟ قال : امرأتى . قال : وما في القدح؟ قال : ماء زلال . فقال

(١) زيادة يتطلبها السياق .

للمرأة: وما الذي تغنين؟ فقالت: أقول:

تطاول هذا الليل واسودَّ جانبه  
فوالله لولا خشية الله والتقى  
ولكن عقلى والحياء يكفنى

وأرقتى ألا حبيب ألاعبه  
لزعزع من هذا السرير جوانبه  
وأكرم بعلى أن تنال مراكبه

ثم قال الرجل: ما بهذا أمرنا يا أمير المؤمنين، قال الله: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ فقال عمر: صدقت، وانصرف. وأخبرنا الحسين، قال: حدثنا موسى بن محمد بن علي. قال: حدثنا الحسين بن علوية. قال: حدثنا إسماعيل بن عيسى، قال: حدثنا المسيب، عن الأعمش، عن زيد بن وهب، قال: قيل لابن مسعود: هل لك في الوليد بن عقبة تقطر لحيته خمراً؟ فقال: إنا قد نهينا عن التجسس، فإن يظهر لنا شيئاً نأخذه به.

﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ أخبرنا الحسين، قال: حدثنا عبيد الله بن أحمد بن يعقوب المقرئ. قال: حدثنا أحمد بن محمد بن زيد أبو بكر السطوي، قال: حدثنا علي بن إشكاب، قال: حدثنا عمر بن يونس اليمامي، قال: حدثنا جهضم بن عبد الله، عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة، قال: سئل رسول الله ﷺ عن الغيبة فقال: «أن يذكر أخاك بما يكره، فأما إن كان فيه فقد اغتبتته، وإن لم يكن فيه فقد بهتته».

وقال معاذ بن جبل: كنا مع رسول الله ﷺ فذكر القوم رجلاً، فقالوا: ما يأكل إلا ما أطعم، ولا يرحل إلا ما رحل، فما أضعفه، فقال رسول الله ﷺ: «اغتبتم أخاكم» قالوا: يا رسول الله وغيبة أن نحدث بما فيه؟ فقال: «بحسبكم»<sup>(١)</sup> أن تحدثوا عن أخيك بما فيه.

وروى موسى بن وردان عن أبي هريرة أن رجلاً قام من عند رسول الله، فرأوا في قيامه عجزاً، فقالوا: يا رسول الله ما أعجز فلاناً. فقال رسول الله ﷺ: «أكلتم أخاكم و اغتبتموه».

﴿أَيُّجِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾، قال قتادة: يقول: كما أنت كاره إن وجدت جيفة مدودة أن تأكل منها، فكذلك فأكره لحم أخيك وهو حي، ﴿فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ قال الكسائي، والفراء: معناه، فقد كرهتموه. وقرأ أبو سعيد الخدري (فكرهتموه) بالتشديد على غير تسمية الفاعل.

أخبرني الحسن، قال: حدثنا عمر بن نوح الجلي، قال: حدثنا أبو صالح عبد الوهاب بن أبي عصمة. قال: حدثنا إسماعيل بن يزيد الأصفهاني. قال: حدثنا يحيى بن سليم، عن كهمس، عن ميمون بن سياه، وكان يفضل على الحسن، ويقال: قد لقي من لم يلق، قال:

(١) في الهامش: «فحسبكم».

بينما أنا نائم إذا أنا<sup>(١)</sup> بجيفة زنجي وقائل يقول لى: كُلْ، قلت: يا عبد الله، ولم أكل؟ قال: بما اغتبت عبد فلان، قلت: والله ما ذكرت منه خيراً، ولا شراً، قال: لَكِنَّكَ استمعت، ورضيت، فكان ميمون بعد ذلك لا يغتاب أحداً، ولا يدع أن يغتاب عنده أحد، وحكى عن بعض الصالحين أنه قال: كنت قاعداً فى المقبرة الفلانية، فاجتازنى شاب جلد، فقلت: هذا، وأمثاله، وبال على الناس، فلما كانت تلك الليلة رأيت فى المنام أنه قدّم إلى جنازة عليها ميت وقيل لى كُلْ من لحم هذا، وكشف عن وجهه، فإذا ذلك الشاب، فقلت: أنا لم أكل من لحم الحيوان الحلال منذ سنين، فكيف أكل هذا؟ فقيل: فلم اغتبتة إذا؟ فانتبهت حزناً، فكنت آوى إلى تلك المقبرة سنة واحدة، فرأيت الرجل، فقممت إليه لأستحل منه، فنظر إلى من بعيد، فقال: تبت. قلت: نعم، قال: ارجع إلى مكانك<sup>(٢)</sup>.

وقد أخبرنا ابن فنجويه، قال: حدثنا عمر بن الخطاب. قال: حدثنا عبد الله بن الفضل قال: أخبرنا على بن محمد. قال: حدثنا يحيى بن آدم. قال: حدثنا ابن المبارك، عن ابن جريج، عن أبي الزبير، عن ابن عمر، لأبى هريرة، قال: جاء ما عز إلى النبى ﷺ، فقال: إنه زنى، فأعرض عنه، حتى أقر أربع مرآت، فأمر برجمه، فمر النبى ﷺ على رجلين يذكران ما عزاً، فقال أحدهما: هذا الذى ستر عليه، فلم تدعه نفسه حتى رجم برجم الكلب.

قال: فسكت عنهما حتى مرّ معه على جيفة حمار سائل رجله، فقال ﷺ لهما: «انزلا فأصيبا منه». فقالا: يا رسول الله غفر الله لك، وتوكل هذه الجيفة؟ قال: «ما أصبتما من لحم أخيكما أنفاً أعظم عليكما، أما إنه الآن فى أنهار الجنة منغمس فيها».

وأخبرنى ابن فنجويه، قال: حدثنا ابن شيبه، قال: حدثنا الفريابي، قال: حدثنا محمد ابن المصفى، قال: حدثنا أبو المغيرة، حدثنا عبد القدوس بن الحجاج، قال: حدثنى صفوان بن عمرو، قال: حدثنا راشد بن سعد، وعبد الرحمن بن جبير، عن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ قال: «لما عُرج بى مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم، وصدورهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون فى أعراضهم»<sup>(٣)</sup>.

(١) كذا، وفى هامش المخطوط: «أتى»، والمعنى واحد.

(٢) هذه من حكايات الصوفية وغيرها من نظائرها كثير، فلا يعتد بذلك، ولكن ليحذر المسلم غيبة أخيه فإن معظم النار من مستصغر الشرر.

(٣) حديث لتضعيف ابن حزم لراشد بن سعد الخبرانى المقرئ.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ أخبرني الحسين، قال: حدثنا موسى بن محمد بن علي، قال: حدثنا أحمد بن يحيى الحلواني، قال: حدثنا يحيى بن أيوب، قال: حدثنا أسباط، عن أبي رجاء الخراساني، عن عباد بن كثير، عن الحريري، عن أبي نصر، عن جابر بن عبد الله، وأبي سعيد الخدري، قالوا: قال رسول الله ﷺ «الغيبة أشد من الزنا». قيل: وكيف؟ قال: «إن الرجل يزني، ثم يتوب، فيتوب الله عليه، وإن صاحب الغيبة لا يُغفر له حتى يغفر له صاحبه».

وأخبرني الحسين، قال: حدثنا الفضل. قال: حدثنا أبو عيسى حمزة بن الحسين بن عمر البزاز البغدادي، قال: حدثنا محمد بن علي الوراق، قال: حدثنا هارون بن معروق، قال: حدثنا ضمرة، عن ابن شاذي، قال: قال رجل لابن سيرين: إني قد اغتبتك، فاجعلني في حل، قال: إني أكره أن أحل ما حرم الله.

وأخبرنا ابن فنجويه، قال: حدثنا أبو الطيب بن حفصويه، قال: حدثنا عبد الله بن جامع. قال: قرأت على أحمد بن سعيد، حدثنا سعيد، قال: حدثنا يزيد بن هارون، عن هشام بن حسان عن خالد الربعي، قال: قال عيسى ابن مريم لأصحابه: أرايتم لو أن أحدكم رأى أخاه المسلم قد كشف الريح عن ثيابه؟ قالوا: سبحان الله إذا كنا نردّه. قال: لا، بل كنتم تكشفون ما بقي، مثلاً ضربه لهم يسمعون للرجل سيئة أو حسنة، فيذكرون أكثر من ذلك.



﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ ❖ قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمْنَا قُل لَّو تَوَمَّنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ❖ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَأَمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ❖ قُلْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ❖ يَمْشُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمْتُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ❖ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ❖

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ﴾ الآية . قال ابن عباس : نزلت في ثابت بن قيس وقوله للرجل الذى لم يفسح له : ابن فلانة ، فقال رسول الله ﷺ : «من الذافر فلانة؟» . فقام ثابت ، فقال : أنا يا رسول الله . فقال : «انظر في وجوه القوم» . فنظر إليهم ، فقال : «ما رأيت يا ثابت؟» . قال : رأيت أبيض وأسود وأحمر . قال : «فإنك لا تفضلهم إلا في الدين والتقوى» ، فأنزل الله سبحانه في ثابت هذه الآية وبالذى لم يفسح له : ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَقَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا...﴾ (المجادلة: ١١) الآية .

وقال مقاتل : لما كان يوم فتح مكة ، أمر رسول الله ﷺ بلالاً حتى علا على ظهر الكعبة وأذن ، فقال عتاب بن أسد بن أبى العيص : الحمد لله الذى قبض أبى حتى لم ير هذا اليوم ، وقال الحارث بن هاشم : أما وجد محمد غير هذا الغراب الأسود مؤذناً؟ وقال سهيل بن عمرو : إن يرد الله شيئاً يغيره ، وقال أبو سفيان بن حرب : إنى لا أقول شيئاً أخاف أنى يخبر به رب السماء .

فأتى جبريل رسول الله ﷺ وأخبره بما قالوا ، فدعاهم رسول الله ﷺ وسألهم عما قالوا ، فأقروا ، فأنزل الله سبحانه هذه الآية ، وزجرهم عن التفاخر بالأنساب ، والتكاثر بالأموال ، والازدراء بالفقراء<sup>(١)</sup> ، وقال يزيد بن سخرة : كان رسول الله ﷺ ذات يوم يمر ببعض أسواق المدينة ، فإذا غلام أسود قائم ، ينادى عليه ليبيع ، فمن يريد .

وكان الغلام قال : من اشترائنى فعلى شرط ، قيل : ما هو ، قال : ألا يمنعنى عن الصلوات الخمس خلف رسول الله ﷺ ، فاشتراه رجل على هذا الشرط ، فكان رسول الله ﷺ يراه عند كل صلاة مكتوبة ، ففقده ذات يوم ، فقال لصاحبه : «أين الغلام؟» . فقال : محموم يا رسول الله ، فقال لأصحابه : «قوموا بنا نعوده» . فقاموا معه فعادوه ، فلما كان بعد أيام قال لصاحبه : «ما حال الغلام؟» .

قال : يا رسول الله ، إن الغلام لما به ، فقام رسول الله ﷺ فدخل عليه وهو فى ذهابه ، فقبض على تلك الحال ، فتولت رسول الله ﷺ غسله ، وتكفينه ، ودفنه ، فدخل على المهاجرين ، والأنصار من ذلك أمر عظيم ، فقال المهاجرون : هاجرنا ديارنا ، وأموالنا ، وأهالينا<sup>(٢)</sup> ، فلم ير أحد منّا فى حياته ومرضه وموته ما لقي منه هذا الغلام ، وقال الأنصار : آويناه ، ونصرناه ، وواسيناه فأثر علينا عبداً حبشياً ، فعذر الله سبحانه رسوله ﷺ ، فيما تعاطاه

(١) فى المخطوط : بالفقر . وهو سهو والسياق يقتضى ما أثبت .

(٢) فى الهامش : وأهالينا .



من أمر الغلام، وأراهم فضل التقوى<sup>(١)</sup>، فأنزل الله سبحانه: ﴿يَتَّيْبُهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا﴾ وهى رؤوس القبائل وجمهورها مثل ربيعة ومضر والأوس والخزرج. واحدها شعب بفتح الشين، سُمّوا بذلك لتشعبهم واجتماعهم، كتشعب أغصان الشجر، والشعب من الأضداد يقال: شعبته إذا جمعته، وشعبته إذا فرقته، ومنه قيل للموت: شعوب.

﴿وَقَبَائِلَ﴾ وهى دون الشعوب، واحدها قبيلة، وهم كندة من ربيعة، وتميم من مضر، ودون القبائل العمائر، واحدها عمارة بفتح العين كشييان من بكر، ودارم من تميم، ودون العمائر البطون، واحدها بطن، وهم كبنى غالب ولؤى من قريش، ودون البطون الأفخاذ، واحدها فخذ، وهم كبنى هاشم، وأمّية من بنى لؤى، ثم الفصائل، والعشائر، واحدها فصيلة، وعشيرة، وقيل: الشعوب من العجم، والقبائل من العرب، والأسباط من بنى إسرائيل، وقال أبو رزّين وأبوروق: الشعوب الذين لا يصيرون إلى أحد، بل ينسبون إلى المدائن، والقرى، والأرضين، والقبائل العرب الذين ينسبون إلى آبائهم.

﴿لِتَعَارَفُوا﴾ يعرف بعضكم بعضاً فى قرب النسب، وبعده لا لتفاخروا. وقرأ الأعمش (ليتعارفوا)، وقرأ ابن عباس (ليعرفوا) بغير (ألف).

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ﴾ بفتح (الألف)، وقرأه العامة (إِنَّ) بكسر (الألف) على الاستئناف، والوقوف على قوله لتعارفوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ ﴿عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَمُ﴾ قال قتادة: فى هذه الآية أكرم الكرم التقوى. وألأم اللؤم الفجور، وقال ﷺ: «من سرّه أن يكون أكرم الناس، فليتق الله».

وقال: «كرم الرجل دينه، وتقواه، وأصله عقله، وحسبه خلقه»، وقال ابن عباس: كرم الدنيا الغنى، وكرم الآخرة التقوى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾.

أخبرنا الحسن، قال: حدثنا أبو حذيفة أحمد بن محمد بن محمد بن على، قال: حدثنا زكريا بن يحيى بن يعقوب المقدسى، قال: حدثنا محمد بن عبد الله المقرئ، قال: حدثنا ابن رجاء، عن موسى بن عقبة، عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر قال: طاف رسول الله ﷺ على راحلته القصواء يوم الفتح يستلم الركن بمحجنه، فما وجد لها مناخ فى المسجد، حتى أخرجنا إلى

(١) يلاحظ أن كثيراً من كتب السير والتفاسير تحمل الكثير من الإسرائيليات فلا يغتر أحد بمثل هذه الأخبار أو الأقوال، والصحابة سواء من أهل مكة أو المدينة مدحهم الله تعالى فى أكثر من آية، وأكثر من موضع فى القرآن الكريم ويكفيهم هذا تزكية، وأنا لا أضعمهم فى موضع العصمة ولكن مثل هذا الخبر لا يليق بقوله فى حقهم.

(٢) فى المخطوط: بفتح الألف ورسمت على ما فى المصحف المطبوع وتركت المؤلف يشرح الفرق.

بطن الوادى، فأناخت فيه، ثم حمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أما بعد أيها الناس، قد أذهب عنكم عيبة الجاهلية، وفخرها بالآباء - وفى بعض الألفاظ: وتعظمها بأبائها - إنما الناس رجلان، برّ تقى كريم على الله، وفاجر شقى هين على الله». ثم تلا هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ﴾ الآية، وقال: «أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم».

وأخبرنى الحسين، قال: حدثنا محمد بن على بن الحسين الصوفى. قال: حدثنا أبو شعيب الحرانى. قال: حدثنا يحيى بن عبد الله الكابلى. قال: حدثنا الأوزاعى، قال: حدثنى يحيى ابن أبى كثير، أن النبى ﷺ قال: «إن الله لا ينظر إلى صوركم، ولا إلى أموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم، وأعمالكم، وإنما أنتم بنو آدم ﴿أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَنَكُمْ﴾».

وأخبرنا ابن فنجويه، قال: حدثنا ابن حفصويه، قال: حدثنا عبد الله بن جامع المقرئ، قال: حدثنا أحمد بن خادم. قال: حدثنا أبو نعيم، قال: حدثنا طلحة، عن عطاء، عن أبى هريرة، قال: قال الله سبحانه يقول يوم القيامة: «إنى جعلت نسبا، وجعلتم نسبا، فجعلت ﴿أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَنَكُمْ﴾ فأنتم تقولون: فلان ابن فلان، وأنا اليوم أرفع نسبى، وأضع أنسابكم، أين المتقون؟ أين المتقون؟ إن أكرمكم عند الله أتقاكم».

وأخبرنا ابن فنجويه، قال: حدثنا عبد الله بن إبراهيم بن أيوب. قال: حدثنا يوسف بن يعقوب. قال: حدثنا محمد بن أبى بكر. قال: حدثنى يحيى بن سعيد، عن عبد الله بن عمر، قال: حدثنى سعيد بن أبى سعيد المقرئ، عن أبى هريرة، قال: قيل: يا رسول الله من أكرم الناس؟ قال: «أتقاهم».

وأشدنى ابن حبيب، قال: أنشدنا ابن رميح، قال: أنشدنا عمر بن الفرحان:

ما يصنع العبد بعزّ الغنى والعزّ كلّ العزّ للمتقى

من عرف الله فلم تغنه معرفة الله فذاك الشقى

﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا﴾ الآية نزلت فى نفر من بنى أسد بن خزيمه، ثم من بنى الحلاف بن الحارث بن سعيد، قدموا على رسول الله ﷺ المدينة فى سنة جدبة، وأظهروا شهادة أن لا إله إلا الله، ولم يكونوا مؤمنين فى السرّ، وأفسدوا طرق المدينة بالعدوان، وأغلوا أسعارها، وكانوا يغدون، ويروحون على رسول الله ﷺ ويقولون: أتتكم العرب بأنفسها على ظهور رواحلها، وجئناك بالأفعال، والعيال والذرارى، يمينون على رسول الله ﷺ، ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان، وبنو فلان، ويريدون الصدقة، ويقولون: أعطنا، فأنزل الله سبحانه فيهم

هذه الآية .

وقال السدي: نزلت في الأعراب الذين ذكرهم الله في سورة الفتح، وهم أعراب مزينة، وجهينة، وأسلم، وأشجع، وغفار، كانوا يقولون: آمنا بالله، ليأمنوا على أنفسهم، وأموالهم، فلما استنفروا إلى الحديبية تخلّفوا، فأنزل الله سبحانه: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ نُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ أي انقَدنا واستسلمنا مخافة القتل والسبي . ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ فأخبر أنّ حقيقة الإيمان التصديق بالقلب، وأن الإقرار به باللسان، وإظهار شرائعه بالأبدان، لا يكون إيماناً دون الإخلاص الذي محله القلب، وأن الإسلام غير الإيمان .

يدلّ عليه ما أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله الجوزقي، قرأه عليه محمد بن زكريا في شهر ربيع الأوّل سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة، قال: أخبرنا أبو العباس محمد بن الدغولي، قال: حدثنا محمد بن الليث المروزي، قال: حدثنا عبد الله بن عثمان بن عبدان قال: حدثنا عبد الله ابن المبارك، قال: أخبرنا يونس، عن الزهري. قال: أخبرني عامر، عن سعد بن أبي وقاص أن رسول الله ﷺ أعطى رهطاً، وسعد جالس فيهم، فقال سعد: فترك رسول الله ﷺ رجلاً منهم، فلم يعطه، وهو أعجبهم إليّ. فقلت: يا رسول الله ما لك عن فلان؟ فوالله إنّي لأراه مؤمناً، فقال رسول الله: «أو مسلماً» .

فسكت قليلاً، ثمّ غلبنى ما أعلم منه، فقلت: يا رسول الله (ما لك) <sup>(١)</sup> عن فلان، فوالله إنّي لأراه مؤمناً، فقال رسول الله ﷺ: «أو مسلماً» .

فسكت قليلاً، ثمّ غلبنى ما أعلم منه، فقلت: يا رسول الله ما لك عن فلان، فوالله إنّي لأراه مؤمناً، فقال رسول الله ﷺ: «أو مسلماً، فإنّي لأعطي الرجل، وغيره أحبّ إليّ منه خشية أن يكبّ في النار على وجهه» .

فاعلم أنّ الإسلام الدخول في السلم، وهو الطاعة والانقياد، والمتابعة، يقال: أسلم الرجل إذا دخل في السلم وهو الطاعة والانقياد والمتابعة .

يقال: أسلم الرجل إذا دخل في السلم، كما يقال: أشتى الرجل إذا دخل في الشتاء، وأصاف إذا دخل في الصيف، وأربع إذا دخل في الربيع، وأقحط إذا دخل في القحط، فمن الإسلام ما هو طاعة على الحقيقة باللسان والأبدان فالجنان، كقوله عزّ وجلّ لإبراهيم: ﴿أَسْلِمَ﴾ قَالَ أَسْلَمْتُ ﴿ (البقرة: ١٣١)، وقوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (الذاريات: ٣٥-٣٦) .

(١) سقط من السياق .

ومنه ما هو انقياد باللسان دون القلب وذلك قوله: ﴿وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ بيانه قوله سبحانه: ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ .  
 ﴿وَلِإِنْ تَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ ظاهراً وباطناً، سرّاً وعلانية ﴿لَا يَلْتَكُمُ﴾ (١) (بالألف) أبو عمر، ويعقوب، واختاره أبو حاتم اعتباراً بقوله: ﴿وَمَا أَلْتَنَّهُمْ﴾ (الطور: ٢١) يقال ألت يألت ألتاً، قال الشاعر:

أبلغ بنى ثعل عنى مغلغلة      جهد الرسالة لا ألتاً ولا كذبا  
 وقرأ الآخرون (يلتكم) من لات يليت ليتاً، كقول رؤبة:

وليلة ذات ندى سریتُ      ولم يلتني عن سراها ليتُ  
 ومعناها جميعاً لا ينقصكم، ولا يظلمكم. ﴿مَنْ أَعْمَلَكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ثم بين حقيقة الإيمان، فقال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ عِلْمٌ شَيْءٍ وَلَا بِنُؤُنِهِمْ أَتَيْنَاهُمُ بِالْإِيمَانِ وَالْحَقْلِ وَالْإِيمَانِ﴾ (٢) ورجاء الكسب، فلما نزلت هاتان الآيتان، أتت الأعراب رسول الله ﷺ فحلفوا بالله إنهم مؤمنون في السر، والعلانية، وعرف الله غير ذلك منهم، فأنزل الله سبحانه ﴿قُلْ أَعْلِمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ﴾ الذي أنتم عليه. ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ يمتون عليكم أن أسلموا قل لا تتوا على إسلامكم أي بإسلامكم. ﴿بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ وفي مصحف عبد الله (إذ هداكم للإيمان) ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أنكم مؤمنون. ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ قرأ ابن كثير، والأعمش، وطلحة، وعيسى (بالياء)، (وقرأ) (٣) غيرهم (بالتاء).



(١) في المخطوط: (لا يالتكم) ورسمت ما في المصحف المطبوع برواية حفص عن عاصم وتركت شرح المؤلف كما هو.

(٢) في الهامش: «السيب».

(٣) زيادة تركها المؤلف اختصاراً.

## سُورَةُ ق

مكّية، وهى ألف وأربعمائة وأربعة وتسعون حرفاً،  
وثلاثمائة وسبع وخمسون كلمة، وخمس وأربعون آية

أخبرنا أبو الحسين محمد بن القاسم بن أحمد الماوردى، قال: أخبرنا أبو الحسين محمد بن محمد بن سادة الكرابيسى، قال: حدثنا أحمد بن محمد بن الحسين، قال: حدثنا محمد بن يحيى، قال: حدثنا مسلم بن قتيبة، عن سعيد، عن عاصم بن بهدلة، عن زر بن حبيش، عن أبى بن كعب، قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة ق، هون الله عليه تارات الموت، وسكراته».

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ۝ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكٰفِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ۝ أَعِدَّا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ۝ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيفٌ ۝ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٌ ۝ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ۝ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ۝ تَبَصَّرَةٌ وَذَكَرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ۝ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ۝ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ۝ رِزْقًا لِلْعِبَادِ ۝ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذٰلِكَ الْخُرُوجُ ۝ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ۝ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ۝ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ۝ أَفَعَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ۝﴾

﴿ق﴾ قال ابن عباس: هو اسم من أسماء الله سبحانه، أقسم به. قتادة: اسم من أسماء القرآن، القرظى: افتتاح أسماء الله، قدير، وقادر، وقاهر، وقاضى، وقابض. الشعبى: فاتحة

السُّورَة . بُرِيد ، وعكرمة ، والضَّحَّاك : هو جبل محيط بالأرض من زمردة خضراء ، خضرة السماء منه ، وعليه كتفا السماء ، وما أصاب الناس من زمرد ، فهو ما يسقط من الجبل ، وهى رواية أبى الحوراء ، عن ابن عباس<sup>(١)</sup> . قال وهب بن منبه : إنَّ ذا القرنين أتى على جبل قاف ، فرأى حوله جبالاً صغاراً ، فقال له : ما أنت ؟ قال : أنا قاف ، قال : فما<sup>(٢)</sup> هذه الجبال حولك ؟ قال : هى عروقى ، وليست مدينة من المدائن إلَّا وفيها عرق منها ، فإذا أراد الله أن يزلزل تلك الأرض أمرنى ، فحرَّكت عرقى ذلك ، فتزلزلت تلك الأرض ، فقال له : يا قاف ، فأخبرنى بشيء من عظمة الله ، قال : إنَّ شأن ربِّنا لعظيم ، تقصر عنه الصفات ، وتنقضى دونه الأوهام .

قال : فأخبرنى بأدنى ما يوصف منها . قال : إنَّ ورائى لأرضاً مسيرة خمسمائة عام فى عرض خمسمائة عام من جبال ثلج يحطم بعضه بعضاً ، لولا ذاك الثلج لاحتترقت من حرِّ جهنم . قال : زدنى ، قال : إنَّ جبريل عليه السلام واقف بين يدى الله سبحانه ترعد فرائضه ، يخلق الله من كل رعدة مائة ألف ملك ، وأولئك الملائكة صفوف بين يدى الله سبحانه ، منكسو رؤوسهم ، فإذا أذن الله لهم فى الكلام ، قالوا : لا إله إلَّا الله ، وهو قوله : ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ (النبا : ٣٨) يعنى لا إله إلَّا الله<sup>(٣)</sup> .

وقال الفراء : وسمعت من يقول : ﴿ق﴾ : قضى ما هو كائن ، وقال أبو بكر الوراق : معناه قف عند أمرنا ، ونهينا ، ولا تعدهما . وقيل : معناه قل يا محمد .

أحمد بن عاصم الأنطاكى ، هو قرب الله سبحانه من عباده ، بيانه ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ (ق : ١٦) وقال ابن عطاء : أقسم بقوة قلب حبيبه محمد ﷺ حيث حمل الخطاب ، ولم يؤثر ذلك فيه لعلو حاله<sup>(٤)</sup> . ﴿وَالْقُرْآنُ الْمَجِيدُ﴾ الشريف ، الكريم على الله الكبير ، الخبير .

واختلف العلماء فى جواب هذا القسم ، فقال أهل الكوفة : ﴿بَلْ عَجِبُوا﴾ ، قال الأخفش : جوابه محذوف مجازه ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ لتبعثن ، وقال ابن كيسان : جوابه قوله : ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ﴾ الآية ، وقيل : قد علمنا .

(١) فى المخطوط : فمن . وقد صوب فوقه على ما أثبتته .

(٢) يبدو أنه قد استغل اسم ابن عباس وكونه اشتهر بأنه ترجمان القرآن ليلصق به كل قول لا يوافق العلم ومن المعلوم أن جبال الأرض معروفة الآن بأسمائها وأماكنها وخصائصها لدى علماء الأرض ومثل هذا القول لا يجب على عاقل أن يكرره حتى لا يتهم الإسلام بالجهل وهو الداعى إلى العلم والتعلم من أول آية نزلت منه .

(٣) هذا خبر غير مسند ، ونحن أمة لا تأخذ إلا بما هو مسند متصل الإسناد إلى رسول الله ﷺ انصلاً صحيحاً ورجاله ثقات لا يطعن فى أحدهم بمطعن يؤثر فى روايته ، وعليه فلا يعتد بمثل هذا الخبر ولا نظائره ، وبالله التوفيق .

(٤) هذا ما قاله أهل التفسير من الأولين سواء أصاب الحق أو قاربه أو جانبه .

وجوابات القسم سبعة:

(إِنَّ) الشديدة، كقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لِبِالْمِرْصَادِ﴾ (الفجر: ١٤).

و(مَا) النفي كقوله: ﴿وَالضُّحَىٰ... مَا وَدَّعَكَ﴾ (الضحى: ١-٣).

و(اللام) المفتوحة، كقوله: ﴿قَوْلِكَ لَسْتَ لَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (الحجر: ٩٢).

و(إِنْ) الخفيفة كقوله سبحانه: ﴿تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَنفِي﴾ (الشعراء: ٩٧).

و(لا) كقوله: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ بَلَىٰ﴾ (النحل: ٣٨).

و(قد) كقوله: ﴿وَالشَّمْسُ وَضَحَّتْهَا... قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَكَّبَهَا﴾ (الشمس: ١-٩).

و(بل)<sup>(١)</sup> كقوله: ﴿قَالَ وَقُرْآنَ الْمَجِيدِ﴾ ﴿بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ﴾ يعرفون حسبه،

ونسبه، وصدقه، وأماته. ﴿فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ غريب.

﴿أءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا﴾ نُبعث، فترك ذكر البعث لدلالة الكلام عليه. ﴿ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ يقال:

رجعته رجعاً، فرجع هو رجوعاً، قال الله سبحانه: ﴿فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ﴾ (التوبة: ٨٣)

قال الله سبحانه: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ ما تأكله من عظامهم، وأجسامهم، وقيل:

معناه قد علمنا ما يبلى منهم، وما يبقى لأن العصعص لا تأكله الأرض كما جاء في الحديث:

«كل ابن آدم يبلى، إلا عجب الذنب، (منه خلق)<sup>(٢)</sup> ومنه يركب» وأبدان الأنبياء والشهداء

أيضاً لا تبلى.

وقال السدي: والموت يقول: قد علمنا من يموت منهم، ومن يبقى. ﴿وَعِنْدَنَا كِتَابٌ

حَفِيزٌ﴾ محفوظ من الشياطين، ومن أن يدرس، وييعثر، وهو اللوح المحفوظ، المكتوب فيه

جميع الأشياء المقدرة.

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ﴾ بالقرآن. ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ قَهْرٌ فِي أَمْرِ مَرْجٍ﴾ قال أبو حمزة: سئل ابن عباس عن

المرج، فقال: هو الشيء المكر، أما سمعت قول الشاعر:

فجالت فالتمست به حشاها فخر كأنه خوط مريج

الوالبي عنه: أمر مختلف. العوفى عنه: أمر ضلالة. سعيد بن جبير، ومجاهد: ملتبس،

قال قتادة: في هذه الآية من نزل الحق مرج أمره عليه، والتبس دينه عليه. ابن زيد: مختلط،

وقيل: فاسد، وقيل: متغير. وكل هذه الأقاويل متقاربة، وأصل المرج الاضطراب، والقلق،

يقال: مرج أمر الناس، ومرج الدين، ومرج الخاتم في إصبعي وخرج إذا قلق من الهزال، قال

(١) كذا في المخطوط ذكر ستة فقط ولم يذكر السابع، وقد قال في أول الكلام إنهم سبعة.

(٢) سقط من متن الحديث.

الشاعر:

مرج الدين فأعددت له مشرف الحارك محبوب الكند

وفى الحديث: «مرجت عهدهم، وأمانتهم»<sup>(١)</sup>.

﴿أَقْلَمَ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَيَّنَّهَا وَزَيَّنَّهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ أى شقوق، وفتوق، واحدها فرج، وقال ابن زيد: الفروج الشيء المتفرق المتبرى بعضه من بعض، وقال الكسائي: ليس فيها تفاوت، ولا اختلاف ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾ بسطناها على وجه الماء ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ﴾ لون ﴿بِهَيْجٍ﴾ حسن كريم يهيج به أى يسر. ﴿بِجَصْرَةٍ﴾ أى جعلنا ذلك تبصرة، وقال أبو حاتم: نُصِبَتْ عَلَى الْمَصْدَرِ. ﴿وَذَكَرْنِي لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ يعنى تبصر أو تذكر إنايتها له، لأن من قدر على خلق السموات، والأرض، والنبات، قدر على بعثهم، ونظير التبصرة من المصادر التكملة، والتفضلة، ومن المضاعف النخلة، والبعرة.

﴿وَزَيَّنَّا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾ يعنى البر، والشعير، وسائر الحبوب التى تحصد وتذخر وتقتات، وأضاف الحب إلى الحصيد، وهما واحد، لاختلاف اللفظين، كما يقال: مسجد الجامع، وربيع الأول، وحق اليقين، وحبل الوريد، ونحوها. ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ﴾ قال مجاهد، وعكرمة، وقتادة: طوالاً، وقال عبد الله بن شداد بن الهاد: سوقها لاستقامتها فى الطول. سعيد بن جبير: مستويات. الحسن والفراء: مواقير حوامل، يقال للشاة إذا ولدت: أسقت، ومحلها نصب على الحال، والقطع.

أخبرنى الحسن، قال: حدثنا عمر بن أحمد بن القاسم النهاوندى، قال: حدثنا عبيد بن محمد بن صبح الكنانى. قال: حدثنا هشام بن يونس النهشلى، قال: حدثنا سفيان بن عيينة، عن زياد بن علاقة، عن قطبة بن مالك. قال: سمعت النبى ﷺ يقرأ: (والنخل باسقات) بالصاد.

﴿لَهَا طَلْعٌ﴾ تمر، وحمل سمى بذلك لأنه يطلع. ﴿نَضِيدٌ﴾ متراكب متراكم، قد نضد بعضه على بعض. قال ابن الأجدع: نخل الجنة نضيد من أصلها إلى فرعها، وثمرها أمثال (القالل) والدلاء، وأنهارها تجرى فى عبر أخدود ﴿رِزْقًا﴾ أى جعلناه رزقاً ﴿لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَادَةَ مَيْتًا﴾.

أخبرنى ابن فنجويه، قال: حدثنا ابن صقلاب. قال: حدثنا ابن أبى الحصيب، قال: حدثنى ابن أبى الجوادى، قال: حدثنا (عتيق) بن يعقوب، عن إبراهيم بن قدامة، عن أبى عبد الله الأغر، عن أبى هريرة، قال: كان النبى ﷺ إذا جاءهم المطر، فسالت الميازيب، قال:

(١) كذا فى المتن وفى الهامش: «أماناتهم» وهو الأصوب، الله أعلم وأحسبه تصويماً من الناسخ رحمننا الله وإياه أمين.



«لا محلّ عليكم العام» أى الجذب . ﴿كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾ من القبور .

﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثُودٌ ﴿١٠﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴿١١﴾ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ﴿١٢﴾ وَهُوَ مَلِكُ الْيَمَنِ ، وَيَسْمَى تَبَعًا لِكثْرَةِ أَتْبَاعِهِ ، وَكَانَ يَعْبُدُ النَّارَ فَأَسْلَمَ ، وَدَعَا قَوْمَهُ إِلَى الْإِسْلَامِ ، وَهُمْ مِنْ حَمِيرٍ ، فَكَذَّبُوهُ ، وَكَانَ خَبِيرُهُ وَخَبِيرَ قَوْمِهِ مَا أَخْبَرْنَا عَبْدَ اللَّهِ بْنِ حَامِدٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي أَبُو عَلِيٍّ إِسْمَاعِيلُ بْنُ سَعْدَانَ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ ، (ح) <sup>(١)</sup> وَأَخْبَرَنِي عَقِيلُ أَنَّ أَبَا الْفَرَجِ أَخْبَرَهُمْ عَنْ ابْنِ جَرِيرٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلْمَةُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ ، قَالَ : كَانَ تَبَعُ الْآخِرِ ، وَهُوَ أَسْعَدُ أَبُو كَرْبِ بْنِ مَلِكِي كَرْبِ ، حِينَ أَقْبَلَ مِنَ الْمَشْرِقِ ، جَعَلَ طَرِيقَهُ عَلَى الْمَدِينَةِ ، وَكَانَ حِينَ مَرَّ بِهَا لَمْ يَهَيِّجْ أَهْلَهَا ، وَخَلَّفَ بَيْنَ أَظْهَرِهِمْ ابْنًا لَهُ ، فَقَتَلَ غِيلَةَ ، فَقَدِمَهَا ، وَهُوَ مَجْمَعٌ لِإِخْرَاجِهَا ، وَاسْتِئْصَالَ أَهْلِهَا ، وَقَطَعَ نَخِيلَهَا ، فَجَمَعَ لَهُ هَذَا الْحَيَّ مِنَ الْأَنْصَارِ ، حِينَ سَمِعُوا ذَلِكَ مِنْ أَمْرِهِ امْتَنَعُوا مِنْهُ ، وَرَأْسُهُمْ يَوْمَئِذٍ عَمْرُو بْنُ ظَلَمٍ أَخُو بَنِي النَّجَارِ أَحَدُ بَنِي عَمْرُو ، فَخَرَجُوا لِقَاتِلِهِ ، وَكَانَ تَبَعٌ نَزَلَ بِهِمْ قَبْلَ ذَلِكَ ، فَقَتَلَ رَجُلًا مِنْهُمْ ، مِنْ بَنِي عَدِيِّ بْنِ النَّجَّارِ ، يُقَالُ لَهُ : أَحْمَرُ ، رَجُلًا مِنْ صَحَابَةِ تَبَعٍ ، وَجَدَهُ فِي عَذْقٍ لَهُ بِجِدَّةٍ فَضْرِبَهُ بِنَخْلَةٍ فَقَتَلَهُ .

وقال : إِنَّمَا التَّمْرُ لِمَنْ أْبْرَهُ ، ثُمَّ أَلْقَاهُ حِينَ قَتَلَهُ فِي بَثْرٍ مِنْ آبَارِهِمْ مَعْرُوفَةٌ ، يُقَالُ لَهَا : ذَاتُ تَوْمَانٍ ، فَزَادَ ذَلِكَ تَبَعًا حَقْنًا عَلَيْهِمْ ، فَبَيْنَا تَبَعٌ عَلَى ذَلِكَ مِنْ حَرْبِهِمْ يُقَاتِلُهُمْ وَيُقَاتِلُونَهُ ، قَالَ : فَيُزَعَمُ الْأَنْصَارُ أَنَّهُمْ كَانُوا يُقَاتِلُونَهُ بِالنَّهَارِ ، وَيَقْرُونَهُ بِاللَّيْلِ ، فَيُعْجِبُهُ ذَلِكَ ، وَيَقُولُ : وَاللَّهِ إِنَّ قَوْمَنَا هَؤُلَاءِ لَكِرَامٌ ، إِذْ جَاءَهُ حَبْرَانُ مِنْ أَحْبَارِ يَهُودِ بَنِي قَرِيظَةَ ، عَالِمَانِ رَاسِخَانِ ، وَكَانَا ابْنِي عَمْرُو ، وَكَانَا أَعْلَمُ أَهْلَ زَمَانِهِمَا ، فَجَاءَا تَبَعًا حِينَ سَمِعَا مَا يُرِيدُ مِنْ إِهْلَاكِ الْمَدِينَةِ ، وَأَهْلَهَا ، فَقَالَا لَهُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ لَا تَفْعَلْ ، فَإِنَّكَ إِنْ أَتَيْتَ إِلَّا مَا تُرِيدُ حَيْلَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا ، وَلَمْ يَأْمَنْ عَلَيْكَ عَاجِلُ الْعُقُوبَةِ ، فَقَالَ لَهَا : وَلِمَ ذَاكَ؟ قَالَا : هِيَ مَهَاجِرُ نَبِيِّ يُخْرِجُ مِنْ هَذَا الْحَيِّ مِنْ قَرِيشٍ فِي آخِرِ الزَّمَانِ ، تَكُونُ دَارُهُ وَقَرَارُهُ ، فَتَنَاهَى لِقَوْلِهِمَا عَمَّا كَانَ يُرِيدُ بِالْمَدِينَةِ ، وَرَأَى أَنَّ لَهُمَا عِلْمًا ، وَأَعْجَبَهُ مَا سَمِعَ مِنْهُمَا ، أَنَّهُمَا دَعَوَاهُ إِلَى دِينِهِمَا ، فَلِيَتَّبِعَهُمَا عَلَى دِينِهِمَا ، فَقَالَ تَبَعٌ فِي ذَلِكَ :

أرقا كأنك لا تزال تسهد	ما بال نومك مثل نوم الأرمد
أولى لهم بعقاب يوم مفسد	حنقًا على سبطين حلاً يثربًا
تغلى بلابلها بقتل محصد	ولقد هبطنا يثربًا وصدورنا
قسماً لعمرك ليس بالتمرد	ولقد حلفت يمين صبر مؤليًا

إن جئت يثرب لا أغادر وسطها  
حتى أتاني من قريظة عالم  
قال ازدجر عن قرية محفوظة  
ف عفوت عنهم عفواً غير مُثْرَبٍ (١)  
وتركتهم لله أرجو عفوه  
ولقد تركت بها له من قومنا  
نفرأً يكون النصر في أعقابهم  
عذقاً ولا بسرأً يثرب يخلد  
خبر لعمر ك في اليهود مسود  
لنبي مكة من قريش مهتد  
وتركتهم لعقاب يوم سرمد  
يوم الحساب من الجحيم لموقد  
نفرأً أولى حسب وبأس يحمد  
أرجو بذاك ثواب رب محمد

فلما أجابهما تبع إلى دينهما أكرمهما وانصرف عن المدينة، وخرج بهما إلى اليمن ولما دنا من اليمن ليدخلها حالت حمير بينه وبين ذلك، وقالوا: لا تدخلها علينا، وقد فارقت ديننا، فدعاهم إلى دينه، وقال: إنه دين خير من دينكم.

قالوا: فحاكمنا إلى النار. وكانت باليمن نار في أسفل جبل يقال له: براء (٢)، يتحاكمون إليها، فيما يختلفون فيه، فتحكم بينهم، فتأكل الظالم، ولا تأكل (٣) المظلوم، فلما قالوا ذلك لتبع، قال: أنصفتم، فخرج قومه بأوثانهم، وما يتقربون به في دينهم، وخرج الحبران، مصاحفهما في أعناقهما متقلداهما، حتى قعدوا للنار عند مخرجها التي تخرج منه، فخرجت النار إليهم، ولما أقبلت نحو حمير، حادوا عنها، وهابوها فذمهم (٤) من حضرهم من الناس، وأمروهم بالصبر لها؛ فصبروا حتى غشيتهم، فأكلت الأوثان، وما قربوا معها، ومن حمل ذلك من رجال حمير، وخرج الحبران ومصاحفهما في أعناقهما، يتلون التوراة، تعرق جباههما، لم تضرهما، ونكصت النار حتى رجعت إلى مخرجها الذي خرجت منه، فأطبقت حمير عند ذلك على دينهما.

فمن هناك كان أصل اليهودية باليمن.

وكان لهم بيت يعظمونه، وينحرون عنده، ويكلمون منه، إذ كانوا على شركهم، فقال الحبران القرظيان، واسماهما كعب وأسد لتبع: إنما هو شيطان (يفنيهم ويلغيهم)، فخل بيننا وبينه. قال: فشاأنكما به. فاستخرجا منه كلباً أسود، فذبحاه، ثم هدمنا ذلك البيت، فبقاياها

(١) في الهامش: مُثْرَبٍ.

(٢) في الهامش: يداً.

(٣) في الهامش: تضر.

(٤) في الهامش: «فزجرهم».

اليوم باليمن كما ذكر لى (١).

وروى أبو دريد، عن أبي حاتم، عن الرباشى، قال: كان أبو كرب أسعد الحميرى من التبابعة، آمن بالنبي محمد ﷺ قبل أن يبعث بسبعمائة سنة، وقال فى ذلك شعراً:

شهدت على أحمد أنه رسول من الله بارى النسم

فلو مد عمرى إلى عمره لكنت صهراً له وابن عم (٢)

﴿كُلُّ كَذَّبٍ أُرْسِلَ فَحَقٌّ﴾ وجب ﴿وَعِيدٌ﴾ لهم بالعذاب يخوف كفار مكة، قال قتادة: دمر الله سبحانه وتعالى قوم تبع، ولم يدمره، وكان من ملوك اليمن، فسار بالجيوش، وافتتح البلاد، وقصد مكة ليهدم البيت، فقليل له: إن لهذا البيت رباً يحميه، فندم وأحرم، ودخل مكة، وطاف بالبيت، وكساه، فهو أول من كسا البيت ﴿أَفَعَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ﴾ أى عجزنا عنه، وتعذر علينا (الأول فهم فى شك الإعادة للخلق) الثانى. ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ وهو البعث.



﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْنَاهُ مَا تُوسُّوسُ بِهِ نَفْسَهُ، وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾  
 إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١﴾ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿٢﴾  
 وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿٣﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ  
 الْوَعِيدِ ﴿٤﴾ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٥﴾ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ  
 غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٦﴾

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْنَاهُ مَا تُوسُّوسُ بِهِ نَفْسَهُ﴾ يحدثه قلبه، فلا يخفى علينا أسرارته، وضمائره ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ﴾ أى أعلم به، وأقدر عليه ﴿مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ لأن أبعاضه، وأجزاءه يحجب بعضها بعضاً، لا يحجب علم الله سبحانه عن جميع ذلك شىء، وحبل الوريد: عرق

(١) هذا الخبر من قول محمد بن إسحاق صاحب السير وهو ضعيف ولم يخبرنا عن نقل هذه الأخبار أو الأحداث فلا يعتد كثيراً بما يرويه ابن إسحاق ما لم يكن له شواهد تقويه من أحاديث صحيحة أو آيات قرآنية قاطعة الدلالة.

(٢) وزاد ابن كثير فى تفسير هذا الشعر بيتاً آخر هو:

وجاهدت بالسيف أعداءه وفرجت عن صده كل غم

وفى إسلام تبع خلاف فمن قاتل إنه مسلم، ومن قاتل إنه نبي، ومن قال إنه غير مسلم، فالله أعلم، والمتفق أنه ملك من ملوك اليمن.

العنق، وهو عرق بين الحلقوم، والعلباوين، وجمعه أوردة، والحبل من الوريد وأضيف إلى نفسه لاختلاف اللفظين، قال الشاعر:

فقرت للفجار فجاء سعيًا إذا ما جاش وانتفخ الوريد

﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِيَانِ﴾ أى يتلقى، ويأخذ الملكان الموكلان عليك، وكَلَّ الله سبحانه بالإنسان مع علمه بأحواله، ملكين بالليل، وملكين بالنهار يحفظان عمله، ويكتبان أثره، إلزاماً للحجّة، أحدهما عن يمينه يكتب الحسنات، والآخر عن شماله يكتب السيئات، فذلك قوله سبحانه: ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ ولم يقل: قعيدان. قال أهل البصرة: لأنه أراد عن اليمين قعيد، وعن الشمال قعيد، فاكتمى بأحدهما عن الآخر، كقول الشاعر:

نحن بما عندنا وأنت بما عندك راض والرأى مختلف

وقول الفرزدق:

إنى ضمنت لمن أتانى ما جنى وأبى فكان وكنت غير غدور

ولم يقل: غدورين، والقعيد، والقاعد كالسميع، والعليم، والقدير، فقال أهل الكوفة: أراد قعوداً رده إلى الجنس، فوضع الواحد موضع الجمع، كالرسول فى الاثنين يجعل للاتنين، والجمع، قال الله سبحانه فى الاثنين: ﴿إِنَّا رَسُوْلُ رَبِّ الْعَالَمِيْنَ﴾ (الشعراء: ١٦) وقال الشاعر:

ألكنى إليها وخير الرسول أعلمهم بنواحي الخبر

أخبرنا الحسين، قال: حدّثنا أحمد بن جعفر بن سليمان<sup>(١)</sup> الختلى. قال: حدّثنا أحمد بن أيوب الرخانى. قال: حدّثنا جميل بن الحسن، قال: حدّثنا أرطاة بن الأشعث العدوى، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن على بن أبى طالب، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ مقعد ملكيك على ثنيتيك، ولسانك قلمهما، وريقك مدادهما، وأنت تجرى - أظنه قال: - فيما لا يعينك لا تستحى من الله، ولا منهما».

وأخبرنا الحسين بن محمد بن فنجويه الدينورى، قال: حدّثنا أحمد بن جعفر بن حمدان، قال: حدّثنا الفضل بن العباس بن مهران. قال: حدّثنا طالوت. قال: حدّثنا حماد بن سلمة. قال: أخبرنا جعفر بن الزبير، عن القاسم بن محمد، عن أبى أمامة، قال: قال رسول الله ﷺ: «كاتب الحسنات على يمين الرجل، وكاتب السيئات على يسار الرجل، وكاتب الحسنات مؤكّل<sup>(٢)</sup> على كاتب السيئات، فإذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين عشرًا، وإذا عمل سيئة،

(١) فى الهامش: «أسلم».

(٢) فى الهامش: «أمير».

قال صاحب اليمين لصاحب الشمال: دعه سبع ساعات لعله يسبح أو يستغفر».

قال الحسن: إن الملائكة يجتنبون الإنسان على حالين: عند غائطه، وعند جماعه، وقال أبو الجوزاء، ومجاهد: يكتبان عليه كل شيء حتى أنينه في مرضه، وقال عكرمة: لا يكتبان عليه إلا ما يؤجر عليه أو يؤزر فيه، وقال الضحّاك: مجلسهما تحت الشعر على الحنك. ومثله روى عوف عن الحسن، قال: وكان الحسن يعجبه أن ينظف عنفقه.

وقال عطية ومجاهد: القعيد الرصيد.

أخبرنا أبو القاسم بن حبيب في سنة ست وثمانين وثلاثمائة، قال: حدثنا أبو محمد البلاذري. قال: حدثنا محمد بن أيوب الرازي. قال: حدثنا أبو التقي هشام بن عبد الملك. قال: حدثنا مبشر بن إسماعيل الحلبي، عن تمام بن نجيح، عن الحسن، عن أبي هريرة، وأنس، قالوا: قال رسول الله ﷺ: «ما من حافظين يرفعان إلى الله سبحانه ما حفظا فيرى الله سبحانه في أول الصحيفة خيراً. وفي آخرها خيراً، إلا قال لملائكته: اشهدوا أنني قد غفرت لعبدي ما بين طرفي الصحيفة».

وأخبرنا أبو سهل بن حبيب بقراءتي عليه، قال: حدثنا أبو بكر أحمد بن موسى، قال: حدثنا زنجويه بن محمد. قال: حدثنا إسماعيل بن قتيبة. قال: حدثنا يحيى بن يحيى. قال: حدثنا عثمان بن مطر الشيباني، عن ثابت عن أنس: أن رسول الله ﷺ، قال: «بأن الله سبحانه وكل بعبده المؤمن ملكين يكتبان عمله، فإذا مات، قال الملكان اللذان وكلا به يكتبان عمله: قدم مات فلان، فيأذن الله عز وجل لنا<sup>(١)</sup>، فنصعد إلى السماء، فيقول الله سبحانه: سمائي مملوءة من ملائكتي يسبحون، فيقولون: نقيم في الأرض: فيقول الله سبحانه: أرضي مملوءة من خلقي يسبحون.. فيقولون: فأين؟ فيقول: قوما على قبر عبدى. فكبرانى، وهللانى، واكتبنا ذلك لعبدى ليوم القيامة».

﴿مَا يَلْفِظُ﴾ يتكلم. ﴿مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ﴾ عنده ﴿رَقِيبٌ﴾ حافظ ﴿عَتِيدٌ﴾ حاضر، وهو بمعنى المعتد من قوله: ﴿أَعْتَدْنَا﴾ والعرب تعاقب بين (التاء) و(الذال) لقرب مخرجهما، فيقول: أعتدت، وأعددت، وهرذ، وهرت، وكبذ، وكبت، ونحوهما، قال الشاعر:

لئن كنت منى في العيان مغيباً فذكرك عندى في الفؤاد عتيد

﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾ أى وجاءت سكرة الحق بالموت؛ لأنّ السكرة هى الحق،

فأضيفت إلى نفسه لاختلاف الاسمين، وقيل: الحق هو الله عز وجل، مجازة وجاء سكرة

(١) فى الهامش: فتأذن لنا.

أمر الله بالموت. أنبأني عقيل، قال: أخبرنا المعافى، قال: أخبرنا جوير. قال: حدثنا ابن المنثى، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا شعبة، عن واصل، عن أبي وائل قال: لما كان أبو بكر يقضى، قالت عائشة:

لعمرك ما يغنى الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر

فقال أبو بكر: يا بنية لا هولى، ولكنه كما قال الله سبحانه: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ أى تكره، عن ابن عباس، وقال الحسن: تهرب. الضحّاك: تروغ. عطاء الخراسانى: تميل. مقاتل بن حيان: تنكص.

وأصل الحيد الميل، يقال: حدت عن الشيء أحياناً، ومحيداً إذا ملت عنه. قال طرفة:

أبا منذر رمت الوفاء فهبته وحدث كما حاد البعير عن الدحض

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ يعنى نفخة البعث. ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ﴾ الذى وعده الله سبحانه للكفار يلعنهم فيه. ﴿وَجَاءَتْ﴾ ذلك اليوم ﴿كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ﴾ يسوقها إلى المحشر ﴿وَشَهِيدٌ﴾ شهد عليه بما عملت فى الدنيا من خير أو شر. وروى أن عثمان بن عفان خطب، وقرأ هذه الآية، فقال: السائق يسوقها إلى الله سبحانه، والشاهد يشهد عليه بما عملت، وقال الضحّاك: السائق الملائكة، والشاهد من أنفسهم الأيدي، والأرجل. وهى رواية العوفى عن ابن عباس، وقال أبو هريرة: السائق الملك، والشاهد العمل، وقال الباقون: هما جميعاً من الملائكة، فيقول الله سبحانه لها: ﴿لَقَدْ كُنْتِ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَٰذَا فَكُنْفِنَا عَنْكَ غِطَاءً﴾ ورفعنا عنك عماك، وخلينا عنك سترك، حتى عاينته. ﴿فَبَصُرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ قوى، نافذ، ثابت، ترى ما كان محجوباً عنك. وروى عبد الوهاب، عن مجاهد، عن أبيه ﴿فَبَصُرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ قال: نظرك إلى لبيان ميزانك حين توزن حسناتك، وسيئاتك.

وقيل: أراد بالبصر العلم، علم حين لم ينفعه العلم، وأبصر حين لم ينفعه البصر. وقرأ عاصم الجحدري ﴿لَقَدْ كُنْتَ﴾ بكسر (التاء)، وبكسر (الكاف)، رد الكتابة إلى النفس.



﴿وَقَالَ قَرِينُهُ هَٰذَا مَا لَدَىٰ عَتِيدٍ﴾ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿﴾ مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ ﴿﴾ مُرِيبٍ ﴿﴾ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴿﴾ ﴿﴾ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ، وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿﴾ قَالَ لَا تَحْتَصِمُوا لَدَىٰ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ ﴿﴾

مَا يَبْدُلُ الْقَوْلَ لَدَىٰ وَمَا أَنَا بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ  
 مَّزِيدٍ ﴿١١﴾ وَأَزَلَّتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿١٢﴾ هَذَا مَا تُوْعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿١٣﴾ مَنْ  
 خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿١٤﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴿١٥﴾ لَهُمْ مَا  
 يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿١٦﴾

﴿وَقَالَ قَرِينُهُ﴾ الملك الموكل به ﴿هَذَا مَا لَدَىٰ عَيْدٍ﴾ معد محفوظ محضر، قال مجاهد: هذا  
 الذى وكلنى به من بنى آدم، قد أحضرته، وأحضرت ديوان أعماله، فيقول الله سبحانه  
 لقرينه: ﴿الْقِيَا فِي جَهَنَّمَ﴾ قال الخليل، والأخفش: هذا كلام العرب الصحيح أن يخاطب  
 الواحد بلفظ الاثنين، وهو جيد حسن، فيقول: ويلك ارحلاها، وازجراها، وخذاه وأطلقاه  
 للواحد. قال الفراء: وأصل ذلك إذا دنا أعوان الرجل فى إبله، وغنمه، وبقره، اثنان، فجرى  
 كلام الواحد على صاحبيه، ومنه قولهم للواحد فى الشعر: خليلي (ثم يقول: يا صاح). قال  
 امرؤ القيس:

خليلى مرأبى على أم جندب      نقض لبانات الفؤاد المعذب

وقال:

❖ قفا نبك عن ذكرى حبيب ومنزل ❖

وقال:

❖ قفا نبك من ذكرى حبيب وعروان ❖

قال الآخر:

فقلت لصاحبي لا تعجلانا      بنزع أصوله واجتز شيعا

وأنشد أبو ثروان:

فإن تزجرنى يا ابن عفان أنزجر      وإن تدعانى أحم عرضاً ممنعا

وقيل: يشبه أن يكون عنى به تكرار القول فيه، فكأنه يقول: ألق ألق، فتاب ألقيا مناب  
 التكرار، ويجوز أن تكون ألقيا تشبیه على الحقيقة، ويكون الخطاب للمتقين معاً أو السائق  
 والشاهد جميعاً، وقرأ الحسن (ألقين) بنون التأكيد الحفيفة، كقوله: ﴿لَيْسَ جَنًّا وَلَيْكُونًا مِّنَ  
 الصَّغِيرِ﴾ (يوسف: ٢٣) ﴿كُلُّ كَفَّارٍ عَنِيدٌ﴾ عاص معرض عن الحق، قال مجاهد وعكرمة:  
 مجانب للحق معاند لله.

﴿مَنَاعَ لِلْخَيْرِ﴾ أى للزكاة المفروضة، وكلّ حقّ واجب فى ماله.

﴿مُعْتَدٍ ظالم﴾. ﴿مُرِيبٍ﴾ مشكك، وقال قتادة: شك ومعناه: أنّه داخل فى الريب ﴿الَّذِى جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ﴾ النار، وقيل: نزلت فى الوليد بن المغيرة، فأراد بقوله: ﴿مَنَاعَ لِلْخَيْرِ﴾ أنّه كان يمنع بنى أخيه عن الإسلام، ويقول: لئن دخل أحدكم فى دين محمد لا أنفعه بخير ما عشت.

﴿قَالَ قَرِينُهُ﴾ يعنى الشيطان الذى قُبِضَ لهذا الكافر العنيد ﴿رَبَّنَا مَا أَطَّعْتَهُ﴾ ما أضلّته، وما أغويته.

وقال القرظى: ما أكرهته على الطغيان. ﴿وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ عن الحقّ فتبرأ شيطانه عنه، وقال ابن عباس، ومقاتل: قال قرينه يعنى الملك، وذلك أنّ الوليد بن المغيرة يقول للملك الذى كان يكتب السيئات: ربّ إنّه أعجلنى، فيقول الملك ربّنا ما أطغيته، ما أعجلته، وقال سعيد بن جبير: يقول الكافر: ربّ إنّ الملك زاد علىّ فى الكتابة، فيقول الملك: ربّنا ما أطغيته، يعنى ما زدت عليه، وما كتبت إلاّ ما قال وعمل، فحينئذ يقول الله سبحانه: ﴿قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَىَّ﴾ فقد قضيت ما أنا قاض. ﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ﴾ فى القرآن حذرتكم وأنذرتكم، فلا تبديل لقولى<sup>(١)</sup> ولوعيدى. قال ابن عباس: إنّهم اعتذروا بغير عذر، فأبطل الله حجّتهم، ورد عليهم قولهم ﴿مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَىَّ﴾ وهو قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (هود: ١١٩)، وقال الفراء: معناه ما يكذب عندى لعلمى بالغيب ﴿وَمَا أَنَا بِظَالِمٍ لِلْعَبِيدِ﴾ فأعقبهم<sup>(٢)</sup> بغير جرم أو أجرى بالحسن سيّئاً. ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ﴾ قرأ قتادة، والأعرج، وشيبة، ونافع ﴿تَقُولُ﴾ (بالتاء)، ومثله روى أبو بكر عن عاصم، اعتباراً بقوله، قال: لا تختصموا لدىّ، وقرأ الحسن يوم (يقال) وقرأ الباقون ﴿يَوْمَ نَقُولُ﴾ (بالنون) ﴿هَلْ أَمْتَلَأْتِ﴾ لما سبق من وعده إيّاها أنّه يملؤها ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (هود: ١١٩) وهذا السؤال منه على طريق التصديق بخبره، والتحقق لوعده والتفريع لأهل عذابه، والتنبيه لجميع عباده. ﴿وَنَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ يحتمل أن يكون جحداً مجازه ما من مزيد، ويحتمل أن يكون استفهاماً، بمعنى هل من مزيد، فأزاده وإنّما صلح ﴿هَلْ﴾ للوجهين جميعاً، لأنّ فى الاستفهام ضرباً من الجحد، وطرفاً من النفى، قال ابن عباس: إنّ الله سبحانه وتعالى، قد سبقت كلمته ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (هود: ١١٩) فلما بعث للناس، وسبق أعداء الله إلى النار زمراً، جعلوا يقحمون

(١) فى المخطوط: «هولى» وهو تحريف.

(٢) فى المخطوط: «فأعقبهم». وهو تحريف.



فى جهنم فوجاً فوجاً، لا يلقى فى جهنم شىء إلا ذهب فيها، ولا يملؤها شىء.

فقال: ألسنت قد أقيمت لتملأنى؟ فوضع قدمه عليها، ثم يقول لها: هل امتلأت؟ فتقول: قط قط، قد امتلأت، فليس من مزيد. قال ابن عباس: ولم يكن يملؤها شىء حتى مس قدم الله فتضايقت فما فيها موضع إبرة، ودليل هذا التأويل ما أنبأني عقيل، قال: أخبرنا المعافى، قال: أخبرنا ابن جرير، قال: حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزال جهنم يلقى فيها، وتقول: هل من مزيد؟ حتى يضع رب العالمين فيها قدمه، فتتزاوى بعضها إلى بعض، وتقول: قط قط بعزتك، وكرمك، ولا يزال فى الجنة فضل حتى ينشئ الله سبحانه لها خلقاً، فيسكنهم فضل الجنة».

وأخبرنا ابن حمدون قال: أخبرنا ابن الشرقى قال: حدثنا محمد بن يحيى، وعبد الرحمن ابن بشر، وأحمد بن يوسف، قالوا: حدثنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن همام بن منبه، قال: هذا ما حدثنا أبو هريرة، عن محمد رسول الله ﷺ قال: «تحتاج الجنة والنار، فقالت النار: أوثرت بالمكبريين والمتجبرين، وقالت الجنة: فما لى لا يدخلنى إلا ضعفاء الناس وسقطهم؟ فقال الله سبحانه للجنة: إنما أنت رحمتى، أرحم بك من أشياء من عبادى، وقال للنار: إنما أنت عذابى، أعذب بك من أشياء من عبادى، ولكل واحدة منكما ملؤها، فأما النار، فإنهم يلقون فيها وتقول: هل من مزيد؟ فلا تمتلئ حتى يضع الله سبحانه وتعالى فيها رجله فتقول: قط قط، فهناك تمتلأ وتزوى بعضها إلى بعض، ولا يظلم الله من خلقه أحداً، وأما الجنة، فإن الله عز وجل ينشئ لها خلقاً».

قلت: هذان الحديثان فى ذكر القدم، والرجل، صحيحان مشهوران، ولهما طرق من حديث أبى هريرة، وأنس، تركت ذكرهما كراهة الإطالة، ومعنى القدم المذكور فى هذا الحديث المأثور قوم يقدمهم الله إلى جهنم، ملؤها بهم، قد سبق فى علمه أنهم صاترون إليها وخالدون فيها، وقال النضر بن شميل: سألت الخليل بن أحمد عن معنى هذا الحديث، فقال: هم قوم قدمهم الله للنار، وقال عبد الرحمن بن المبارك: هم من قد سبق فى علمه أنه من أهل النار. وكل ما يقدم، فهو قدم. قال الله سبحانه: ﴿أَنْ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ (يونس: ٢) يعنى أعمال صالحة قدموها، وقال الشاعر يذم رجلاً:

قعدت به قدم الفجار وغودرت      وعود رب أسبابه من فتنة من خالق

يعنى ليس له ما يفتخر بهم.

على أن الأوزاعى روى هذا الحديث عن حسّان بن عطية، حتى يضع الجبار قدمه بكسر

القاف، وكذلك روى وهب بن منبه، وقال: إن الله سبحانه كان قد خلق قومًا قبل آدم، يقال لهم: القدم، رؤوسهم كرؤوس الكلاب والذباب، وسائر أعضائهم كأعضاء بني آدم، فعصوا ربهم، وأهلكهم الله، يملأ الله بهم جهنم حين تستزيد. وأما الرجل فهو العدد الكبير من الناس وغيرهم.

يقال: رأيت رجلاً من الناس، ومرّ بنا رجل من جياد، وقال الأصمعي: سمعت بعض الأعراب يقول: ما هلك على رجل نبي من الأنبياء ما هلك على رجل موسى، يعنى القبط، وقال الشاعر:

فمرّ بنا رجل من الناس وانزوى      إليهم من الحى اليمانيين أرجل  
قبائل من لحم وحمير      على ابني نزار بالعداوة أحفل

ويصدق هذا التأويل قوله عليه السلام في سياق الحديث: «ولا يظلم الله من خلقه أحداً»، فدلّ أنّ الموضوع الملقى في النار خلق من خلقه، وقال بعضهم: أراد قدم بعض ملائكته ورجله، وأضاف إليه كقوله: «وَسَأَلَ الْقُرَيْشَةَ» (يوسف: ٨٢). والله أعلم. «وَأَزَلَّتْ» وأدريت «الْبَحْنَةُ لِلْمُتَّيْنِ» حتى يروها قبل أن يدخلوها. «غَيْرَ بَعِيدٍ» منهم وهو تأكيد، ويقال لهم: «هَذَا مَا تُوَعَدُونَ» في الدنيا على السنة الأنبياء.

«لِكُلِّ أَوَّابٍ» تَوَّابٍ، عن الضحَّاك. وقيل: رجَّاع إلى الطاعة عن ابن زيد، وقال ابن عباس وعطاء: الأواب المسح من قوله سبحانه: «يَجِبَالُ أَوْيَ مَعَهُ» (سبا: ١٠). الحكم بن عيينة: هو الذاكِر لله في الخلاء. الشعبي ومجاهد: الذي يذكر ذنوبه<sup>(١)</sup> في الخلاء، فيستغفر منها. قتادة: المصلّى. مقاتل بن حيان: المطيع. عبيد بن عسر: هو الذي لا يقوم من مجلسه حتى يستغفر الله تعالى. أبو بكر الوراق: المتوكّل على الله سبحانه في السراء والضراء لا يهتدى إلى غير الله. المحاسنى: هو الراجع بقلبه إلى ربه. القاسم: هو الذي لا ينشغل إلا بالله.

«حَفِظِ» قال ابن عباس: هو الذي حفظ ذنوبه<sup>(١)</sup> حتى يرجع عنها. قتادة: حفيظ لما استودعه الله سبحانه من حقه ونعمته. وعن ابن عباس أيضاً: الحافظ لأمر الله. الضحَّاك: الحافظ على نفسه المتعهد لها. عطاء: هو الذي يذكر الله في الأرض القفر. الشعبي: هو المراقب. أبو بكر الوراق: الحافظ لأوقاته وهماته وخطواته. سهل: الحافظ على الطاعات والأوامر. «مَنْ حَسِبَ» في محلّ مَنْ وجهان من الإعراب: الخفض على نعت الأواب، والرفع

(١) في المخطوط: «ديوته» وهو تحريف.

على الاستئناف، وخبره فى قوله ﴿أَدْخُلُوهَا﴾، ومعنى الآية من خاف ﴿الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ﴾ ولم يره، وقال الضحَّاك والسدى: يعنى فى الخلاء حيث لا أحد، وقال الحسن: إذا أرخى الستر وأغلق الباب.

﴿وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾ مقبل إلى طاعة الله. قال أبو بكر الوراق: علامة المنيب أن يكون عارفاً لحرمة، موالياً له، متواضعاً لحلاله تاركاً لهوى نفسه. ﴿أَدْخُلُوهَا﴾ أى يقال لأهل هذه الصفة: ﴿بِسَلَامٍ﴾ بسلامة من العذاب وسلام الله وملائكته عليهم، وقيل: السلامة من زوال النعيم وحلول النقم.

﴿ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾ لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيدٌ﴾ يعنى الزيادة لهم فى النعم مما لم يخطر ببالهم، وقال جابر وأنس: هو النظر إلى وجه الله سبحانه وتعالى بلا كيف.



﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَّحِيصٍ﴾  
 إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿١٠﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ  
 وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴿١١﴾ فَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ  
 رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿١٢﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَرَ السُّجُودِ ﴿١٣﴾ وَأَسْمِعْ  
 يَوْمَ يُنَادِي الْمُنَادِ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿١٤﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴿١٥﴾ إِنَّا  
 نَحْنُ نُحْيِيهِمْ وَنُحْيِيهِمْ وَإِنَّا لَمَصِيرٌ ﴿١٦﴾ يَوْمَ تَشَقُّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿١٧﴾  
 نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ ﴿١٨﴾  
 ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ﴾ قال ابن عباس: أثروا.  
 مجاهد: ضربوا. الضحَّاك: طافوا. النضر بن شميل: دحوا. الفراء: خرخوا. المؤرج:  
 تباعدوا. ومنه قول امرئ القيس:

لقد نقبت فى الآفاق حتى رضيت من الغنيمة بالإياب

وقرأ الحسن فنقبوا بفتح القاف مخففة. وقرأ السلمى ويحيى بن معمر بكسر القاف مشدداً

على التهديد والوعيد أى طوفوا فى البلاد، وسيروا فى الأرض، فانظروا ﴿هَلْ مِنْ مَّحِيصٍ﴾  
 من الموت وأمر الله سبحانه.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ أى فى القرى التى أهلكت والعبر التى ذكرت ﴿الذِّكْرَى﴾ التذكرة ﴿لَمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ أى عقل ، فكنتى عن العقل بالقلب لأنه مَوْضِعُهُ ومتبعه . قال قتادة : لمن كان له قلب حى ، نظيره ﴿يُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا﴾ (يس : ٧٠) ، وقال الشبلى : قلب حاضر مع الله لا يغفل عنه طرفه عين ، وقال يحيى بن معاذ : القلب قلبان : قلب قد احتشى بأشغال الدنيا حتى إذا حضر أمر من أمور الآخرة لم يدر ما يصنع من شغل قلبه بالدنيا . وقلب قد احتشى بأهوال الآخرة ، حتى إذا حضر أمر من أمور الدنيا لم يدر ما يصنع لذهاب قلبه فى الآخرة . وسمعت أبا القاسم الحبيسى يقول : سألت أبا الحسن على بن عبد الرحمن العباد عن هذه الآية ، فقال : معناها إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب مستقرّاً يتقلب عن الله فى السراء والضراء .

﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ﴾ أى استمع القرآن ، يقول العرب : ألق إلى سمعك أى استمع ، وقال الحسين ابن الفضل : يعنى وجه سامعه وحولها إلى الذكر كما يقال اتبعى إليه .

﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ أى حاضر القلب ، وقال قتادة : وهو شاهد على ما يقرأ ويسمع فى كتاب الله سبحانه من حبّ محمد ﷺ وذكره . ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ إعياء وتعب .

نزلت فى اليهود حيث قالوا : يا محمد أخبرنا ما خلق الله تعالى من الخلق فى هذه الأيام الستة؟

فقال ﷺ : «خلق الله تعالى الأرض يوم الأحد والاثنين ، والجبال يوم الثلاثاء والمدائن والأنهار والأقوات يوم الأربعاء ، والسموات والملائكة يوم الخميس ، إلى ثلاث ساعات من يوم الجمعة وخلق فى أوّل الثلاث ساعات الآجال ، وفى الثانية الآفة ، وفى الثالثة آدم» .

قال : قالوا : صدقت إن أتممت . فقال : وما ذاك؟ فقالوا : ثم استراح يوم السبت واستلقى على العرش فأنزل الله سبحانه هذه الآية .

﴿فَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ من كذبهم فإن الله سبحانه لهم بالمرصاد ، وهذا قبل الأمر بقتالهم<sup>(١)</sup> ، ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ يعنى قل : سبحان الله والحمد لله . عن عطاء الخراسانى ، وقال الآخرون : وصلّ بأمر ربك وتوفيقه ، ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾ يعنى صلاة الصبح ، ﴿وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ صلاة العصر ، وروى عن ابن عباس ، ﴿وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ يعنى صلاة الظهر والعصر ﴿وَمِنْ أَيْلٍ فَسَبِّحْهُ﴾ : يعنى صلاة العشاءين ، وقال مجاهد : من الليل كله ، يعنى : صلاة الليل ، فى أى وقت صلّ ، ﴿وَأَدْبَرَ السُّجُودِ﴾ قال عمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب وأبو هريرة والحسن (١) فى المخطوط : فبالحم . وهو تحريف .

ابن على والحسن البصرى والنخعى والشعبى والأوزاعى: أدبار السجود: الركعتان بعد المغرب، وأدبار النجوم: الركعتان قبل الفجر، وهى رواية العوفى عن ابن عباس، وقد روى عنه مرفوعاً أخبرنيه عقيل قال: أخبرنا المعافى، قال حدثنا ابن جرير، قال: حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا ابن فضيل عن رشيد بن كريب عن أبيه عن ابن عباس قال: قال لى النبى ﷺ: «يا ابن عباس ركعتان بعد المغرب أدبار السجود».

وقال أنس بن مالك: قال رسول الله ﷺ: «من صلى بعد المغرب ركعتين قبل أن يتكلم كتبت صلاته فى عليين، قال أنس: يقرأ فى الركعة الأولى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ وفى الأخرى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾.

قال مقاتل: وقتها ما لم يغيب الشفق، وقال مجاهد: هو التسبيح باللسان فى أدبار الصلوات المكتوبات، ورواه عن ابن عباس. وقال ابن زيد: هو النوافل أدبار المكتوبات. واختلف القراء فى قوله: ﴿وَأَذْبَلْنَ﴾، فقرأ الحسن والأعرج وخارجة وأبو عمر ويعقوب وعاصم والكسائى: بفتح الألف، واختاره أبو عبيد وأبو حاتم، وقرأ الآخرون: بالكسر، وهى قراءة على وابن عباس.

وقال بعض العلماء فى قوله سبحانه: ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾ قال: ركعتى الفجر، ﴿وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ قال: الركعتين قبل المغرب.

روى عمارة بن زاذان عن ثمامة بن عبد الله عن أنس بن مالك قال: كان ذوو الألباب من أصحاب محمد ﷺ يصلون الركعتين قبل المغرب.

وروى شعبة عن يزيد بن جبير عن خالد بن معدان عن رغبان مولى حبيب بن مسلمة قال: رأيت أصحاب النبى ﷺ يهبون إليها كما يهبون إلى المكتوبة - يعنى الركعتين قبل المغرب. وقال قتادة: ما أدركت أحداً يصلى الركعتين قبل المغرب إلا أنساً وأبا برزة.

﴿وَأَسْمِعْ﴾ يا محمد صيحة القيامة ﴿يَوْمَ ينادِ الْمُنَادِ﴾ إسرافيل عليه السلام تأتية العظام البالية والأوصال<sup>(١)</sup> المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة: إن الله (يا مركزن) أن تجتمعن بفصل القضاء. ﴿مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ صخرة بيت المقدس، وهى وسط الأرض<sup>(٢)</sup> وأقرب الأرض إلى

(١) تكررت هذه الكلمة فى المخطوط.

(٢) أثبت العلم أن مكة هى مركز الأرض وصار هذا الأمر أمراً مسلماً به بين علماء علوم الأرض يقر بذلك المسلم وغير المسلم منهم، وذهب البعض إلى أنه يصلح أن يكون تفسيراً لقول الله تعالى: ﴿أمة وسطاً﴾ فقالوا حتى فى المكان وقوله: ﴿لتنذر أم القرى ومن حولها﴾ لكونها فى مركز الأرض. والله تعالى أعلم.

السماء بثمانية عشر ميلاً، ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ﴾ وهى النفخة الأخيرة، ﴿ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾ من القبور. ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِيهِمْ وَنُمِيتُهُمْ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ﴾ يَوْمَ تَشَقُّقُ الْأَرْضِ عَنْهُمْ سِرَاعًا ﴿جمع سريع، وهو نصب على الحال، مجازه: فيخرجون سراعًا، ﴿ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾ : بمسلط قهّار يجبرهم على الإسلام، إنما بعثت مذكراً مجدداً.

قال ثعلب: قد جاءت أحرف فعّال بمعنى مفعول وهى شاذة، جبّار بمعنى مُجبر، ودرّاك بمعنى مدرّك، وسرّاع بمعنى مسرع، ويكّاء بمعنى مبك، وعدّاء بمعنى معد، وقد قرئ: ﴿وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ (غافر: ٢٩) بمعنى المرشد، وسمعت أبا منصور الجمشاذى يقول: سمعت أبا حامد الجازرنجى يقول: (العون) سيفٌ سقاط، بمعنى مُسقط. وقال بعضهم: الجبّار من قولهم جبّرتُه على الأمر بمعنى أجبرته، وهى لغة كنانة وهما لغتان.

وقال الفراء: وضع الجبّار فى موضع السلطان من الجبرية. قال: وأنشدنى المفضل:

ويوم الحزن إذ حشدت معدّ  
وكان الناس إلا نحن دينا  
عصتنا عزيمة الجبّار حتى  
صبحنا الجوف ألفاً معلمينا

قال: أراد بالجبّار المنذر بن النعمان لولايته.

﴿قَدْ كَرَّ﴾ يا محمد ﴿بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾ قال ابن عباس: قالوا يا رسول الله لو خوفتنا؟ فنزلت ﴿قَدْ كَرَّ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾.



## سُورَةُ الذَّارِيَاتِ

[مكية، وهي ألف ومائتان وسبعة وثمانون حرفاً،  
وثلاثمائة وستون كلمة، وستون آية]<sup>(١)</sup>

أخبرني نافل بن راقم بن أحمد بن عبد الجبار الناجي قال: حدثنا عبد الله بن أحمد بن محمد البلخي قال: حدثنا عمرو بن محمد قال: حدثنا أسباط بن اليسع قال: حدثنا يحيى بن عبد الله السلمى قال: حدثنا نوح بن أبى مريم عن على بن زيد عن خنيس عن أبى قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة والذاريات أعطى من الأجر عشر حسنات بعدد كل ريح هبت وجرت فى الدنيا».

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالذَّارِيَاتِ ذُرُورًا ﴿١﴾ فَالْحَمَلَاتِ وِقْرًا ﴿٢﴾ فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ﴿٣﴾ فَالْمُتَسِمِّتِ أَمْرًا ﴿٤﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٍ ﴿٥﴾ وَإِنَّ الَّذِينَ لَوَاقِعٌ ﴿٦﴾ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ﴿٧﴾ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنِ أَفَكَ ﴿٩﴾ قِتَابِ الْخَرَّاصُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾ يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٢﴾ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُوا فَتَنَّاكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَأَخَذِينَ مَاءً تَنْهَمُّ رَبَّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُّحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُورِ ﴿١٩﴾ وَفِي الْأَرْضِ ءَايَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ ﴿٢٣﴾﴾

(١) ما بين المعقوفين زيادة من القرآن الكريم من عنوان سورة الذاريات وقد سقط من الناسخ تصدير السورة على حسب ما هو معتاد عليه المؤلف، أو قد يكون سها عنها المؤلف فإله أعلم.

﴿وَالذَّارِبَتِ ذَرَوًا﴾ الرياح التي تذر التراب؛ يقال ذرت الرياح التراب وأذرتة.

أخبرنا ابن فنجويه قال: حدثنا ابن ماجه قال: حدثنا الحسن بن أيوب، قال: حدثنا عبد الله ابن أبي زياد قال: حدثنا سيار بن حاتم قال: حدثنا أيوب بن خوط قال: حدثنا الأعرج قال: بلغنا أن مساكن الرياح تحت أجنحة الكروبيين حملة الكرسي، فتهيج من ثم فتقع بعجلة الشمس، ثم تهيج من عجلة الشمس فتقع برؤوس الجبال، ثم تهيج من رؤوس الجبال فتقع في البر. فأما الشمال فإنها تمر بجنة عدن، فتأخذ من عرق طيها فتمر على أرواح الصديقين ثم تأخذ حدها من كرسي بنات نعش إلى مغرب الشمس، ويأتي الدبور حدها من مغرب الشمس إلى مطلع سهيل، ويأتي الجنوب حدها من مطلع سهيل، ويأتي الصبا حدها من مطلع الشمس إلى كرسي بنات نعش، فلا تدخل هذه في حد هذه، ولا هذه في حد هذه.

أخبرني الحسن قال: حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان قال: حدثنا إبراهيم بن الحسين بن ديزيل، قال: حدثنا الحكم سليمان، قال: حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن الحارث عن علي رضي الله عنه، ﴿وَالذَّارِبَتِ ذَرَوًا﴾ الرياح ﴿فَالْحَمَلَتِ وَقْرًا﴾ السحاب يحمل ثقلاً من الماء، ﴿فَالْجَبْرِيَّتِ يُسْرًا﴾ السفن تجري في الماء جرياً سهلاً ﴿فَالْمَقْسَمَتِ أَمْرًا﴾: هي الملائكة يقسمون الأمور بين الخلق على ما أمروا به. أقسم بهذه الأشياء لما فيها من الدلالة على صنعته وقدرته.

ثم ذكر المُقَسِّمَ عليه فقال: ﴿إِنَّمَا تُوَعَّدُونَ﴾ أي من الثواب والعقاب لصادق ﴿لِصَادِقٍ﴾ وَإِنَّ الَّذِينَ ﴿أَيُّ الْحِسَابِ وَالْأَمْرِ﴾ ﴿لَوْ قَعَّ﴾ أي كائن.

ثم ابتداءً قسماً آخر بقوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ قال ابن عباس وقتادة والربيع: ذات الخلق الحسن المستوى وإليه ذهب عكرمة قال: ألم تر إلى النساج إذا نسج الثوب فأجاد نسجه قيل: ما أحسن حُبُّك؟!

وقال سعيد بن جبير: ذات زينة. وقال الحسن: حُبُّك بالنجوم.

وقال مجاهد: هو المتقن البنيان. وقال الضحاك: ذات الطرائق، وكلها تبعد من العباد فلا يرونها. قال ومنه: حُبُّك الرمل والماء إذا ضربها الرياح، وحُبُّك الشعر الجعد والدرع، وهو جمع حباك، وحبيكة، قال الراجز:

كأما جللها الحوَّكُ      طنفسة في وشيها حَبَّكُ

ومنه الحديث في صفة الدجال: «رأسه حُبُّكُ حَبُّكُ» يعنى الجعود، وقال ابن زيد: ذات الشدة، وقرأ قوله تعالى: ﴿وَبَيْنَنَا وَفُوقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ (النبا: ١٢) وقال عبد الله بن عمرو: هي



السماء السابعة .

﴿إِنَّكُمْ﴾ : يا أهل مكة ﴿لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾ : فى القرآن ومحمد عليه السلام ، فمن مصدق ومكذب ، ومقر ، ومنكر ، وقيل : نزلت فى المقتسمين .

﴿يُوقَأُ﴾ : يصرف ﴿عَنْهُ﴾ : أى عن الإيمان بهما ﴿مَنْ أَلَيْكَ﴾ : صرف ، فنجويه . وقيل : يصرف عن هذا القول أى من أجله وسببه عن الإيمان من صرف ، وذلك أنهم كانوا يتلقون الرجل إذا أراد الإيمان فيقولون له إنه ساحر ، وكاهن ، ومجنون فيصرفونه عن الإيمان ، وهذا معنى قول مجاهد .

وقد يكون (عن) بمعنى (أجل) ، أنشد القتيبي :

عن ذات أولية أساود ربها      وكان لون الملح فوق شفارها

أى من أجل ناقة ذات أولية .

قوله تعالى : ﴿قَتْلٌ﴾ : لعن ﴿الْخَرَّاصُونَ﴾ : الكذّابون .

وقال ابن عباس : المرتابون ، وهم المقتسمون الذين اقتسموا عقاب الله واقتسموا القول فى النبى ﷺ ليصرفوا الناس عن دين الإسلام .  
وقال مجاهد : هم الكهنة .

﴿الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ﴾ : شبهة وغفلة ﴿سَاهُونَ﴾ : لاهون .

﴿يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الَّذِينَ﴾ : متى يوم القيامة استهزاء منهم بذلك وتكديباً .

قال الله تعالى : ﴿يَوْمَ هُمْ﴾ : أى ويكون هذا الجزاء فى يوم هم .

﴿عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ : أى يعذبون ، ويحرقون وينضجون بالنار كما يفتن الذهب بالنار .

ومجاز لفظه : ﴿عَلَى﴾ ها هنا أنهم يوقفون على النار . وقيل : هو بمعنى الباء ، فتقول لهم الحزنة .

﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا﴾ : ولم يقل هذه لأن الفتنة ههنا بمعنى العذاب ، فرد الإشارة إلى

المعنى ﴿الَّذِى كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ .

قوله تعالى : ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٠٦﴾ ءَاخِذِينَ مَا ءَاتَاهُمْ رَبُّهُمْ﴾ : من الثواب وأنواع

الكرامات .

وقال سعيد بن جبير : يعنى آخذين بما أمرهم ربهم عاملين بالفرائض التى أوجبها عليهم .

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ﴾ : قبل دخولهم الجنة ﴿مُحْسِنِينَ﴾ : فى الدنيا ، وقيل : قبل نزول

الفرائض محسنين فى أعمالهم .

﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ الَّذِينَ مَا يَهْتَجُونَ﴾ : اختلف العلماء فى حكم : (ما) فجعله بعضهم جحداً، فقال : تمام الكلام عند قوله : ﴿كَانُوا قَلِيلًا﴾ أى كانوا قليلاً من الناس ثم ابتدأ ﴿مَا يَهْتَجُونَ﴾ أى لا ينامون بالليل بل يقومون للصلاة، والعبادة، وجعله بعضهم بمعنى الذى، والكلام متصل بعضه ببعض، ومعناه كانوا قليلاً من الليل الذى يهجعون، أى كانوا قليلاً من هجوعهم لأن «ما» إذا اتصل بها الفعل صار فى تأويل المصدر كقوله ﴿بِمَا ظَلَمُوا﴾ (النمل: ٥٢) أى بظلمهم، وجعله بعضهم صلة، أى كانوا قليلاً من الليل يهجعون.

قال محمد بن على : كانوا لا ينامون حتى يصلوا العتمة، وقال أنس بن مالك : يصلون ما بين المغرب والعشاء، وقال مطرف : قل ليلة تأتى عليهم لا يصلون فيها لله تعالى إما من أولها، وإما من وسطها، وقال الحسن : لا ينامون من الليل إلا أقله، وربما نشطوا فمدوا إلى السحر. ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُورِ : قال ابن عباس، وسعيد بن المسيب : ﴿لِّلسَّائِلِ﴾ الذى يسأل الناس، ﴿الْمَحْرُورِ﴾ المحارف الذى ليس له فى الإسلام سهم. قال قتادة والزهرى : ﴿لِّلسَّائِلِ﴾ : الذى يسألك ﴿وَالْمَحْرُورِ﴾ : والمتعفف الذى لا يسألك. وقال إبراهيم : هو الذى لا سهم له فى الغنيمة، يدل عليه ما روى سفيان عن قيس بن مسلم عن الحسين بن محمد أن رسول الله ﷺ بعث سرية فغنموا فجاء قوم لم يشهدوا الغنيمة فنزلت هذه الآية . وقال عكرمة : ﴿الْمَحْرُورِ﴾ الذى لا ينمى له مال . وقال زيد بن أسلم : هو المصاب بثمره أو زرعه، أو نسل ماشيته .

أخبرنا الحسين بن محمد بن فنجويه أخبرنا محمد بن على بن الحسن الصوفى أخبرنا الحسن ابن على الفارسى أخبرنا عمرو بن محمد الناقد أخبرنا يزيد بن هارون أخبرنا محمد بن مسلم الطائفى عن أيوب بن موسى عن محمد بن كعب القرظى قال : ﴿الْمَحْرُورِ﴾ صاحب الحاجة، ثم قرأ : ﴿إِنَّا لَمَغْرُمُونَ﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (الواقعة: ٦٦، ٦٧) نظيره فى قصة . . . (١) : ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ (القلم: ٢٧)، وأخبرنا ابن فنجويه أخبرنا عمر بن أحمد بن القاسم أخبرنا محمد بن أيوب أخبرنا القاسم أخبرنا محمد بن أيوب أخبرنا أبو بكر بن أبى شيبة أخبرنا غندر عن شعبة عن عاصم - يعنى الأحول - عن أبى قلابة قال : كان رجل من أهل اليمامة له مال فجاء سيل، فذهب بماله، فقال رجل من أصحاب النبى ﷺ : هذا المحروم . فاقسموا له .

وقال الشعبى : أعيانى أن أعلم ما المحروم؟ لقد سألت عن المحروم منذ سبعين سنة فما أنا اليوم بأعلم من يومئذ .

(١) كلمة محوطة والعبارة كلها من الهامش .

وأصله فى اللغة الممنوع من الحرمان ، وهو المنع .

أخبرنا أبو سهل عبد الملك بن محمد ابن أحمد بن حبيب المقرئ أخبرنا أبو بكر أحمد بن موسى أخبرنا أبو بكر محمد بن حمدون بن خالد أخبرنا على ابن عثمان النفيلى الحرانى أخبرنا على ابن عياش الحمصى أخبرنا سعيد بن عمارة وابن صفوان الكلاعى عن الحارث بن النعمان ابن أخت سعيد بن جبير قال : سمعت أنس بن مالك يحدث عن رسول الله ﷺ أنه قال : « يا أنس ويل للأغنياء من الفقراء يوم القيامة ، يقولون يا ربنا ظلمونا حقوقنا التى فرضت لنا عليهم » قال : « فيقول : وعزتى لأقربنكم ولأبعدنهم » .

قال : وتلا رسول الله ﷺ هذه الآية : ﴿ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُورِ ﴾ .

﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ ﴾ : عبر وعظمت إذا ساروا فيها ﴿ الْمَوْتِينَ ﴾ .

﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ ﴾ : آيات أيضاً ﴿ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ :

أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن جعفر بن الطيب الكلما باذى بقراءتى عليه أخبرنا أبو بكر محمد بن عمر بن حفص أخبرنا السرى ابن خزيمة الأبيوردى أخبرنا أبو نعيم عن سفيان عن ابن جريج عن محمد بن المرتفع عن أبى الزبير : ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ قال : سبيل الغائط ، والبول ، وقال ابن شريك : تأكل وتشرب من مكان واحد ، وتخرج من مكانين ، ولو شرب لبنا محضاً خرج ماء فتلك الآية فى النفس .

وقال أبو بكر الوراق : ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ يعنى فى تحويل الحالات ، وضعف القوة ، وقهر المنة وعجز الأركاب وفسخ الصريمة ، ونقض العزيمة ، ثم أخبر سبحانه وتعالى أنه وضع رزقك حيث لا يأكله السوس ، ولا يناله اللصوص ، فقال عز من قائل : ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ : يعنى المطر والثلج اللذين بهما تخرج الأرض النبات الذى هو سبب الأقوات .

وقال بعض أهل المعانى : معناه ، وفى المطر والنبات سبب رزقكم فسمى المطر سماء لأنه عن السماء نزل ، قال الشاعر :

إذا سقط السماء بأرض قوم  
رعيناه وإن كانوا غضابا

وقال ابن كيسان : يعنى على رب السماء رزقكم ﴿ فِي ﴾ بمعنى على كقوله : ﴿ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ ﴾ (طه : ٧١) ، وذكر الرب مختصراً كقوله : ﴿ وَسَأَلِ الْقَرْيَةَ ﴾ (يوسف : ٨٢) نظيره قوله : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ (هود : ٦) .

أخبرنا عقيل بن محمد أن أبا الفرج البغدادى أخبرهم عن محمد بن جرير أخبرنا ابن حميد أخبرنا هارون بن المغيرة - من أهل الرى عن سفيان قال : قرأ واصل الأحذب هذه الآية : ﴿ وَفِي

السَّمَاءِ رَزُقَكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿١﴾ فقال: ألا أرى رزقى فى السماء، وأنا أطلبه فى الأرض. فدخل خربة فمكث ثلاثاً لا يصيب شيئاً، فلما كان فى اليوم الثالث إذا هو بدَوْحَلَّةٍ من رطب، وكان له أخ أحسن نيةً منه فدخل معه فصارتا دوختين، فلم يزل ذلك دأبهما حتى فرق بينهما الموت.

وأخبرنا الحسين بن فنجويه أخبرنا ابن حبيش<sup>(١)</sup> المقرئ أخبرنا ابن مجاهد أخبرنا إبراهيم بن هاشم البغوى أخبرنا ابن أبى بزة أخبرنا حسن بن محمد بن عبيد الله عن أبى يزيد عن شبل<sup>(٢)</sup> ابن عباد عن ابن محيصن أنه قرأ: (وفى السماء رازقكم وما توعدون) بالألف يعنى الله. قال مجاهد: ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾: من خير وشر، وقال الضحاك: ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ من الجنة والنار.

وأخبرنا ابن فنجويه أخبرنا موسى بن محمد أخبرنا الحسن بن علوية أخبرنا إسماعيل بن عيسى أخبرنا المسيب بن شريك قال: قال أبو بكر بن عبد الله: سمعت ابن سيرين يقول: ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾: الساعة.

﴿قَوْرَبِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ﴾: يعنى الذى ذكرت من أمر الرزق ﴿لِحَقِّ مِثْلِ﴾: بالرفع قرأه أهل الكوفة إلا حفصاً بدلاً من الحق. وقرأ غيرهم بالنصب أى كمثل.

﴿مَا أَنْتُمْ تَنْطِقُونَ﴾: فتقولون: لا إله إلا الله، وقيل: كما أنكم ذوو منطق خصصتم بالقوة الناطقة العاقلة فتتكلمون، فهذا حق كما حق أن الآدمى ناطق، وقال بعض الحكماء: يعنى أن كل إنسان ينطق بلسان نفسه ولا يمكنه أن ينطق بلسان غيره، فكذلك كل إنسان يأكل رزق نفسه الذى قسم له، ولا يقدر على أن يأكل رزق غيره، وقال الحسن فى هذه الآية: بلغنى أن رسول الله ﷺ قال: «قاتل الله أقواماً أقسم لهم ربهم بنفسه فلم يصدقوه».

أخبرنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن الحسن بن حبيب أخبرنا أبو الحسن الكارزى وأبو الطيب الخياط، وأبو محمد يحيى بن منصور الحاكم واللفظ له قالوا: أخبرنا أبو رجاء محمد ابن أحمد القاضى أخبرنا أبو الفضل العباسى بن الفرغ الرياشى البصرى قال سمعت الأصمعى يقول: أقبلت ذات يوم من المسجد الجامع فى البصرة فيينا أنا فى بعض سككها، إذ طلع أعرابى جلف جاف على قعود له متقلد سيفه ويده قوس، فدنا وسلم، وقال لى: ممن الرجل؟ قلت: من بنى الأصمعى. قال: أنت الأصمعى؟ قلت: نعم. قال: ومن أين أقبلت؟ قلت: من

(١) فى هامش المخطوط: «حبش».

(٢) فى هامش المخطوط: «شباب».

موضع يُتلى فيه كلام الرحمن . قال : وللرحمن كلام يلوه الآدميون؟ قلت : نعم . قال : اقرأ على شيئاً منه . فقلت له : انزل عن قعودك ، فنزل ، وابتدأت بسورة والذاريات ، فلما انتهيت إلى قوله تعالى : ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقَكُمْ وَمَا تَوْعَدُونَ ﴾ . قال : يا أصمعي ، هذا كلام الرحمن ؟ قلت : إى والذي بعث محمداً ﷺ بالحق إنه لكلامه الذى أنزله على نبيه محمد ﷺ . فقال لى : حسبك . ثم قام إلى ناقته فحرها ، وقطعها بجلدها . وقال : أعنى على توزيعها ؛ ففرقها على من أقبل وأدبر ، ثم عمد إلى قوسه وسيفه فكسرها ، وجعلهما تحت الرمل ، وولى مدبراً نحو البادية ، وهو يقول : ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقَكُمْ وَمَا تَوْعَدُونَ ﴾ .

وأقبلت على نفسى باللوم وقلت : لم تنتهى لما انتبه له الأعرابى . فلما حججت مع الرشيد دخلت مكة فبينما أنا أطوف بالكعبة إذ هتف بى هاتف بصوت رقيق ، فالتفت فإذا أنا بالأعرابى قد نحل مصفراً فسلم علىّ وأخذ بيدي وأجلسنى وراء المقام . وقال لى : اتل كلام الرحمن . فأخذت فى سورة والذاريات ، فلما انتهيت إلى قوله : ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقَكُمْ وَمَا تَوْعَدُونَ ﴾ صاح الأعرابى فقال : وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً . قال : وهل غير هذا . قلت : نعم يقول الله تعالى : ﴿ قَرَّبِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾ . فصاح الأعرابى ، وقال : يا سبحان الله ، من ذا الذى أغضب الجليل حتى حلف ؟ ألم يُصدِّقوه بقوله حتى أُلجؤوه إلى اليمين ، قالها ثلاثاً ، وخرجت فيها نفسه<sup>(١)</sup> .

وأخبرنى ابن فنجويه أخبرنا عبد الله بن محمد ابن شنبه أخبرنا أحمد بن جعفر بن حمدان أخبرنا أبو حاتم أخبرنا شبابة أخبرنا صدقة أخبرنا الوضين بن عطاء عن يزيد بن مرثد : أن رجلاً جاع فى مكان ليس فيه شىء ، فقال : اللهم رزقك الذى وعدتنى فائتنى به ، قال : فشبع ، وروى من غير طعام ولا شراب .

أخبرنا ابن فنجويه أخبرنا محمد بن القاسم الخطيب أخبرنا إسماعيل بن العباس بن محمد الوراق أخبرنا الحسن بن سعيد أبو محمد المخزومى أخبرنا على بن يزيد الصدائى أخبرنا فضيل ابن مرزوق عن عطية العوفى عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ : « لو أن أحدكم فرّ من رزقه لتبعه كما يتبعه الموت » وأنشد فى معناه :

الرزق فى القرب وفى البعد      أطلب للعبد من العبد  
لو قصر الطالب فى سعيه      أتاه ما قُدِّرَ فى قصدِ

(١) هذه قصة من قصص صرعى العشق الإلهى ومعظمها إن لم يكن كلها قصص لا حقيقة لها أو مبالغ فيها . والله أعلم .

وقال دعبل:

أسعى لأطلب رزقي وهو يطلبني والرزق أكثر لى منى له طلباً



﴿هَلْ أَتَيْتُكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعَجَلٍ سَمِينٍ﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشِّرُوهُ بِنِعْمَةٍ عَلِيمَةٍ﴾ فَأَقْبَلَتْ أَمْرَاتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَابًا مِّنَ طِينٍ ﴿مُسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿وَفِي مُوسَىٰ إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطٰنٍ مُّبِينٍ ﴿فَتَوَلَّىٰ بُرْكُنَيْهِ وَقَالَ سِحْرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ فَأَخَذْتَهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَةَ ﴿مَا تَدْرُسْنَ شَيْءًا أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرِّيمِ﴾ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ﴿فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّلٰعَةَ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ فَمَا اسْتَطَاعُوا مِّن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُتَّبِعِينَ ﴿

قوله عز وجل: ﴿هَلْ أَتَيْتُكَ﴾: يا محمد ﴿حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾: اختلفوا في عددهم: فقال ابن عباس، ومقاتل: كانوا اثني عشر ملكًا. وقال محمد بن كعب: كان جبريل معه سبعة. وقال عطاء، وجماعة: كانوا ثلاثة جبريل وميكائيل ومعهما ملك آخر ﴿الْمُكْرَمِينَ﴾: قال ابن عباس: سَمَّاهم المكرمين لأنهم كانوا غير مدعويين.

أخبرنا محمد بن القاسم بن أحمد الفقيه، حدثني عبد الله بن أحمد الشعراني، أخبرنا عبد الواحد بن سعيد الأريغاني قال سمعت محمد بن عبد الوهاب يقول: قال لى على بن غنائم: عندي هريسة ما رأيك فيها؟ قلت: ما أحسن رأيي فيها. قال: امض فدخل الدار فجعل ينادى يا غلام يا غلام، والغلام غائب. فأدخلني بيتًا فجلست فيه ما راعني إلا به معه القُمَّمَةُ والطست، وعلى عاتقه المنديل. فقلت: إنا لله يا أبا الحسن، لو علمت أن الأمر عندك

هكذا ما دخلت . قال : هون عليك ، حدثنا أبو أسامة عن شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تعالى : ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴾ ، قال : خدمته إياهم بنفسه . فقال عبد العزيز بن يحيى الكتاني : كانوا مكرمين عند الله تعالى ؛ نظيره في سورة الأنبياء عليهم السلام : ﴿ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴾ (الأنبياء: ٢٦) .

وقال أبو بكر الوراق ، وابن عطاء : سماهم مكرمين لأن أضياف الكرام مكرمون ، وكان إبراهيم عليه السلام أكرم الخليقة وأطهرهم فتوة .  
﴿ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ ﴾ : أى أنتم قوم ﴿ مُنْكَرُونَ ﴾ : غرباء لا نعرفكم .  
وقيل إنما أنكر أمرهم لأنهم دخلوا عليه من غير استئذان . وقال أبو العالية : أنكر سلامهم فى ذلك الزمان وفى تلك البلاد .

﴿ فَرَاغَ ﴾ : فعدل ومال إبراهيم ﴿ إِلَىٰ أَهْلِهِ ﴾ : قال الفراء : لا ينطق بالرُّعْبِ (١) حتى يكون صاحبه مخفياً لذهابه ومجيئه ﴿ فَجَاءَ بِعَجَلٍ سَمِينٍ ﴾ : قال قتادة : كان عامة مال إبراهيم عليه السلام البقر ﴿ فَتَرَبَّهٗٓ إِلَيْهِنَّ قَالِ الْإِنَّمَا تَأْكُلُونَ ﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمُ خِيفَةً قَالُوا لَا تَنْخَفُ وَتَنْشُرُوهُ بَغْلًا لِمِ عَلِيمٍ ﴿ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صِرَّةٍ ﴾ : أى فى صيحة ، ولم يكن ذلك بإقبال من مكان إلى مكان ، وإنما هو كقول القائل : أقبل يشتمنى ، بمعنى أخذ فى شتمى .  
﴿ فَصَكَتْ ﴾ : قال ابن عباس : لطمت .

﴿ وَجَهَّهَا ﴾ وقال الآخرون : ضربت بيدها على جبهتها تعجباً كعادة النساء إذا أنكرن شيئاً أو تعجبين منه ، وأصل الصك الضرب ﴿ وَقَالَتْ عَبْجُورٌ عَقِيمٌ ﴾ : مجازه : أتلد عجوز عقيم .  
وكانت سارة لم تلد قبل ذلك ، وكانت بين البشارة والولادة سنة ، فولدت سارة وهى بنت تسع وتسعين سنة ، وإبراهيم يومئذ ابن مائة سنة .

﴿ قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴾ : أخبرنا أبو بكر محمد بن عبدوس إملاءً أخبرنا أبو سهل القطان ببغداد أخبرنا يحيى بن جعفر أخبرنا يزيد بن هارون .  
(ح) (٢) وأخبرنا ابن فنجويه أخبرنا ابن يوسف أخبرنا يوسف بن يعقوب بن يوسف أخبرنا نصر بن على قال أخبرنا نوح بن قيس أخبرنا عون بن أبى شداد : أن ضيف إبراهيم المكرمين لماً دخلوا عليه قرب إليهم العجل فمسحه جبريل بجناحه فقام العجل يدرج فى الدار حتى لحق بأمه .

(١) فى الهامش : « بالروع » .

(٢) زيادة حديثة يتطلبها سياق الإسناد .

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ قَالُوا إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَابًا مِّن طِينٍ﴾ : قال الكلبي : من سنك وكل بيانه قوله : ﴿مِّن سَجِيلٍ﴾ (هود: ٨٢) .  
 ﴿مُسْوَمَةٌ عِنْد رَبِّكَ لِلْمُؤْسَرِّفِينَ﴾ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ﴾

﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً﴾ : عبرة ﴿لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ .

قوله تعالى : ﴿وَفِي مُوسَى﴾ : أى وتركنا فى إرسال موسى عبرة ، وقال الفراء : هو معطوف على قوله : ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ . . . ، وَفِي مُوسَى﴾ ، ﴿إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَنٍ مُّبِينٍ﴾ .  
 ﴿قَتُولَى﴾ : فأعرض وأدبر عن الإيمان ﴿بِرُكْنَيْهِ﴾ بقوته وقومه ؛ نظيره : ﴿أَوْءَاوَى إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ (هود: ٨٠) يعنى المنعة والعشيرة . وقال المورج : بجانبه ﴿وَقَالَ سَجِرًا أَوْ مَجْنُونًا﴾ : قال أبو عبيدة : ﴿أَوْ﴾ بمعنى الواو ، لأنهم قد قالوهما جميعاً له ، وأنشد بيت جرير :

أثعلبة الفوارس أورياحاً عدلت بهم طهيةً والحشأبا

وقد توضع أو بمعنى الواو كقوله : ﴿إِنَّمَا أَوْكَفَرُوا﴾ (الإنسان: ٢٤) والواو بمعنى أو كقوله عز وجل : ﴿فَأَنكحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَنِّي وَتَلَثَ وَرُتِعَ﴾ (النساء: ٣) .  
 ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُودَهُ فَنَبَذْنَاهُ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ : قد أتى بما يلام عليه .  
 ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَةَ﴾ : وهى الريح التى لا تلتح شعجراً ، ولا تُنشئ سحاباً ولا رحمة فيها ولا بركة .

﴿مَا تَدْرُمْنَ شَيْءٌ أَنتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْتَهُ كَالزَّمِيرِ﴾ : كالنبت الذى قد ييس وديس .

قال ابن عباس كالشىء الهالك . وقال مقاتل : كالبالى . وقال مجاهد : كالتبن اليابس . وقال قتادة : كرميم الشجر . وقال أبو العالية : كالتراب المدفون . وقال يمان : ما رمته الماشية بمرمتها من الكلاؤ . وقيل : أصله من العظم البالى .

﴿وَفِي ثُودٍ إِذْ قِيلَ لَهُمُ تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ﴾ : يعنى وقت فناء آجالهم .

﴿فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ قرأها الكسائى بإسكان العين من غير ألف . قال الحسين ابن واقد : كل صاعقة فى القرآن فهى عذاب ﴿وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ : إليها نهاراً ﴿فَمَا اسْتَطَعُوا مِّن قِيَامٍ﴾ : فما قاموا بعد نزول العذاب بهم ولا قدروا على نهوض به ولا دفاع ﴿وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ﴾ : منتصين مناً .

قال قتادة : ما كانت عندهم قوة يمتنعون بها من أمر الله تعالى .





﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ ﴿٥١﴾ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٥٢﴾  
 وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ﴿٥٣﴾ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٤﴾  
 فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٥﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ  
 نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٦﴾ كَذَلِكَ مَا آتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٧﴾ أَتَوَصَّوْا  
 بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٨﴾ فَقَوْلَ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٩﴾ وَذَكَرْنَا فِي الذِّكْرِ تَنفَعُ  
 الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٠﴾ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٦١﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ  
 يُطْعَمُونِ ﴿٦٢﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٦٣﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِّثْلَ ذُنُوبِ  
 أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٦٤﴾ قَوْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٦٥﴾

قوله تعالى: ﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ ﴾ قرأ أبو عمرو، والأعمش، وحمزة، والكسائي، وخلف: وقوم  
 بجر الميم ﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ ﴾ أى وفى قوم نوح.

وقرأ الباقون: بالنصب، وله وجوه: أحدها: أن يكون مردوداً على الهاء والميم فى قوله:  
 ﴿ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّاعِقَةَ ﴾ أى أخذت قوم نوح. والثانى: وأهلكتنا قوم نوح. والثالث: واذكر قوم  
 نوح.

﴿ مِّن قَبْلُ ﴾: أى من قبل عاد، وثمود، وقوم فرعون ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾.  
 ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ ﴾: بقوة ﴿ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾: قال ابن عباس: قادرون. وعنه أيضاً:  
 لموسعون الرزق على خلقنا. قال الضحاك: أغنياء. دليله قوله تعالى: ﴿ عَلَى الْمَوْسَى قَدْرُهُ ﴾  
 (البقرة: ٢٣٦) وقال القتيبي: ذوو السعة على خلقنا، وقال الحسن بن الفضل: عالمون أحاط  
 علمنا بكل شىء. وقال الحسن: مطيقون.

﴿ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا ﴾: بسطناها ومهدناها<sup>(١)</sup> لكم ﴿ فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ﴾: الباسطون، والمعنى فى  
 الجمع التعظيم.

﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ ﴾ صنفين ونوعين مختلفين كالسما والارض، والشمس  
 والقمر، والليل والنهار، والبر والبحر، والسهل والجبل، والشتاء والصيف، والجن والإنس،  
 والكفر والإيمان، والشقاوة والسعادة، والحق والباطل، والذكر والأنثى والجنة والنار.

(١) فى الهامش: «مددناها».

﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ : فتعلمون أن خالق الأزواج قَرُدٌ .  
 قوله تعالى: ﴿فَقِرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ : أى فاهربوا من عذاب الله إلى ثوابه بالإيمان ومجانبة  
 العصيان .

قال ابن عباس: فرُّوا منه إليه واعملوا بطاعته . وقال أبو بكر الوراق: فروا من طاعة  
 الشيطان إلى طاعة الرحمن ، أخبرنا ابن فنجويه أخبرنا أبو يوسف أخبرنا محمد بن حمدان بن  
 سفيان أخبرنا محمد بن زياد أخبرنا يعقوب بن القاسم أخبرنا محمد بن معن أخبرنا محمد بن  
 عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان فى قوله عز وجل: ﴿فَقِرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ قال: احترزوا من  
 كل شىء دونه ، فمن قَرَّ إلى غيره لم يمتنع منه .

وقال الجنيد: الشيطان داع إلى الباطل ففروا إلى الله يمنعكم منه . وقال ذو النون: ففروا من  
 الجهل إلى العلم ومن الكفر إلى الشكر . وقال عمرو بن عثمان: ففروا من أنفسكم إلى ربكم .  
 وقال الواسطى: ففروا إلى ما سبق لكم من الله ، ولا تعتمدوا على حركاتكم . وقال سهل بن  
 عبد الله: فروا مما سوى الله إلى الله . ﴿إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي  
 لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ .

﴿كَذَلِكَ﴾ : أى كما كذبك قومك وقالوا: ساحر أو مجنون كذلك ﴿مَا آتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن  
 رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْتَنٍ﴾ .

﴿أَتُواصُوا بِهِ﴾ : أوصى بعضهم بعضاً بالتكذيب ، وتواطئوا عليه . والألف فيه ألف  
 التوبيخ .

﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ : أى عاصون .

﴿قَوْلٌ﴾ : فأعرض ﴿عَنْهَا فَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِرٌ﴾ : فقد بلغت ما به أرسلت ، وما قصرت فيما أمرت

به من تعريفهم .

قال المفسرون: فلما نزلت هذه الآية حزن رسول الله ﷺ وخاف من ذلك على أصحابه .  
 ورأوا أن الوحى قد انقطع ، وأن العذاب قد آن ، فأنزل الله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ تَنفَعُ  
 الْمُؤْمِنِينَ﴾ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ : قال على بن أبى طالب عليه السلام: معناه  
 إلا لأمرهم أن يعبدون ، وأدعوهم إلى عبادتى ، واعتمد الزجاج هذا القول ، ويؤيده قوله عز  
 وجل: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا﴾ (التوبة: ٣١) ، وقوله: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ  
 الدِّينَ﴾ (البينة: ٥) وقال ابن عباس: إلا ليقروا لى بالعبودية طوعاً وكرهاً .

فإن قيل: كيف كفروا وقد خلقهم للإقرار بربوبيته والتدلل لأمره ومشيتته؟ قيل: إنهم قد

تذللوا لقضائه الذى قضى عليهم .

لأن قضاءه جار عليهم لا يقدر على الامتناع منه إذا نزل بهم . وإنما خالفه من كفر به فى العمل بما أمره به . فأما التذلل لقضائه ، فإنه غير ممتنع فيه . وقال مجاهد : إلا ليعرفون .

ولقد أحسن فى هذا القول لأنه لو لم يخلقهم لما عرف وجوده وتوحيده . ودليل هذا التأويل قوله عز وجل : ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ﴾ (الزخرف : ٨٧) الآيات .

وروى حيان عن الكلبي : إلا ليوحدون ، فأما المؤمن فيوحده فى الشدة والرخاء . وأما الكافر فيوحده فى الشدة والبلاء دون النعمة والرخاء . بيانه : ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِّ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ﴾ (العنكبوت : ٦٥) الآية .

وقال عكرمة : إلا ليعبدون ويطيعون فأثيب العابد وأعاقب الجاحد ، وقال الضحاك ، وسفيان : هذا خالص لأهل عبادته وطاعته ، يدل عليه قراءة ابن عباس : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ﴾ من المؤمنين ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ثم قال فى آية أخرى : ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ﴾ (الأعراف : ١٧٩) وقال بعضهم : معناه : ما خلقت السُّعْدَاءَ من الجن والإنس إلا لعبادتي ، والأشقياء إلا لمعصيتي .

وهذا معنى قول زيد بن أسلم قال : هو ما جبلوا عليه من الشقاوة والسعادة . وقال الحسين ابن الفضل : هو الاستعباد الظاهر .

وليس هذا على القدر لأنه لو قدر عليهم عبادته لما عصوه ولما عبدوا غيره قط ، وإنما هو كقوله : ﴿وَجَعَلْ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (النحل : ٧٨) . ثم قال : ﴿قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ (الأعراف : ١٠) ، ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ﴾ (سبأ : ١٣) .

ووجه الآية فى الجملة : أن الله تعالى لم يخلقهم للعبادة خلق جبلة وإجبار ، وإنما خلقه لهم خلق تكليف ، فمن وفقه وسدده أقام العبادة التى خلق لها ومن خذله وطرده حرّمها ، وعمل بما خالف نبي الله ﷺ (وقد قال : «اعملوا فكل ميسر لما خلق» والله أعلم) .

قوله تعالى : ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ﴾ : أى رزقًا .

﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطِيعُونِ﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ : قراءة العامة برفع النون على نعت

الله عز وجل ، وهو ذو القوة المبالغ فى القوة والقدرة .

قال ابن عباس : ﴿الْمَتِينُ﴾ الشديد . وقرأ يحيى ، والأعمش : ﴿الْمَتِينُ﴾ خفضًا على نعت

القوة . وقال الفراء : كان حقه المتينة فذكره لأنه ذهب به إلى الشئ المبرم المحكم القتل . كما

يقال : حبل متين ، وأنشد الفراء :

لكل دهر قد لبست أثوبا حتى اكسى الرأس قناعاً أشيا  
من ربطة واليمنة المعصبا بعده أبيض لا لذاً ولا مجيباً

فذكر المعصب لأن اليمنة صنف من الثياب ومن هذا الباب قوله تعالى: ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ (البقرة: ٢٧٥) أى وعظ.

وقوله: ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ﴾ (هود: ٦٧) أى الصياح والصوت.

أخبرنا ابن فنجويه أخبرنا أبو بكر بن مالك القطيعى أخبرنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثنى أبى أخبرنا يحيى بن آدم، ويحيى ابن أبى كثير قالأ: أخبرنا إسرائيل عن أبى إسحاق عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله ابن مسعود قال: أقرأنى رسول الله: «إني أنا الرزاق ذو القوة المتين».

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ كفروا من أهل مكة ﴿ذُنُوبًا﴾: قال ابن عباس: دَلُؤًا. وقال سعيد بن جبير: سجلاً.

وقال مجاهد: سيلاً. وقال النخعى: طرفاً. وقال عطاء، وقتادة: عذاباً. وقال الحسن: دولة. وقال الكسائى: حظاً. وقال الأخفش: نصيباً.

وأصل الذنوب فى اللغة: الدلو العظيمة المملوءة ماء، قال الراجز:

لنا ذنوب ولكم ذنوب فإن أبيتتم فلنا القليب

ثم يستعمل فى الحظ والنصيب كقول علقمة بن عبيدة:

وفى كل يوم قد خَبَطْتَ بنعمة فحق لشأس من نداك ذنوب

وقال آخر:

لعمرك والمنايا طارقات لكل بنى أب منهم ذُنُوبُ

﴿مَثَلُ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ﴾: من كفار الأمم الخالية ﴿فَلَا يَسْتَعِجِلُونَ﴾: بالعذاب، فإنما أمهلوا مع

ذنوبهم لأجل ذنوبهم.

﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾: وهو يوم بدر، وقيل: يوم القيامة.



## سُورَةُ الطُّورِ

مكية وهي ألف وخمسمائة حرف،  
وثلاثمائة واثنتا عشرة كلمة وتسع وأربعون آية<sup>(١)</sup>

أخبرنا أبو الحسن الفارسي أخبرنا أبو محمد بن أبي حامد أخبرنا أبو جعفر محمد بن الحسن الأصفهاني أخبرنا المؤمل بن إسماعيل، أخبرنا سفيان الثوري أخبرنا أسلم المنقري عن عبد الله ابن عبد الرحمن بن أبزي عن أبيه عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الطور كان حقاً على الله تعالى أن يؤمنه من عذابه، وأن ينعمه في جنته».

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالطُّورِ﴾ وَكَتَبَ مَسْطُورٍ ﴿فِي رَقٍ مَّنشُورٍ﴾ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴿وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ﴾ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ﴿﴿وَالطُّورِ﴾: كل جبل طور، ولكنه سبحانه عنى بالطور ما هنا الجبل الذي كلم عليه موسى بالأرض المقدسة وهو بمدين واسمه: زبير وقال مقاتل بن حيان: هما طوران، يقال لأحدهما: طور تينا، والآخر: طور زيتونا، لأنهما يبتان التين والزيتون.

﴿وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ﴾: مكتوب ﴿فِي رَقٍ﴾: جلد ﴿مَنْشُورٍ﴾: وهو صحيفة، واختلفوا في هذا الكتاب ما هو؟ فقال الكلبي: هو ما كتب الله تعالى بيده لموسى من التوراة، وموسى يسمع صرير القلم، فكان كلما مر القلم بمكان خرقة إلى الجانب الآخر، وكان كتاباً له وجهان: وقيل: اللوح المحفوظ. وقيل: دواوين الحفظة تخرج إليهم يوم القيامة منشورة فأخذ يمينه وأخذ بشماله، دليله ونظيره قوله: ﴿وَنُخْرِجُهُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾ (الإسراء: ١٣). وقوله: ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرتْ﴾ (التكوير: ١٠) وقيل: هو ما كتب الله في قلوب أوليائه من الإيمان. بيانه قوله عز وجل: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ (المجادلة: ٢٢). وقيل: هو ما كتب الله تعالى للخلق من السابقة والعاقبة.

(١) كذا في المخطوط، وفي المصحف، وفي تفسير القرطبي: ثمان وأربعون آية.

﴿وَأَلْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾: يعنى بكثرة الحاشية والأهل، وهو بيت فى السماء السابعة حذاء العرش بحيال الكعبة يقال له: الضُّرَّاح، حرمة فى السماء كحرمة الكعبة فى الأرض، يدخله كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة يطوفون به ويصلون فيه، ثم لا يعودون إليه أبداً، وخازنه ملك يقال له: زرين.

وقيل: كان البيت المعمور فى الجنة، فحمل إلى الأرض لأجل آدم عليه السلام، ثم رفع إلى السماء أيام الطوفان.

أخبرنا الحسين بن محمد بن الحسين أخبرنا هارون بن محمد بن هارون أخبرنا إبراهيم ابن الحسين بن ديزيل أخبرنا موسى بن إسماعيل حدثنى سفيان بن نشيط عن أبى محمد عن أبى الزبير عن عائشة رضى الله عنها: أن النبى ﷺ قدم مكة حرسها الله، فأرادت عائشة أن تدخل البيت - يعنى ليلاً - فقال لها بنو شيبه: إن أحداً لا يدخله ليلاً، ولكننا نخليه لك نهاراً. فدخل عليها النبى ﷺ، فشكت إليه أنهم منعوها أن تدخل البيت، فقال: «إنه ليس لأحد أن يدخل البيت ليلاً، إن هذه الكعبة بحيال البيت المعمور الذى فى السماء، يدخل ذلك المعمور سبعون ألف ملك لا يعودون إليه أبداً إلى يوم القيامة، لو وقع حجر منه لوقع على ظهر الكعبة، ولكن انطلقى أنت وصواحبك فصلين فى الحجر».

ففعلت، فأصبحت وهى تقول: دخلت البيت على رغم أنف من رغم.

وأخبرنى الحسين بن محمد بن فنجويه أخبرنا هارون ابن محمد بن هارون أخبرنا محمد بن عبد العزيز أخبرنا كثير بن يحيى بن كثير أخبرنا أبى عن عمرو عن الحسن فى قوله عز وجل: ﴿وَأَلْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾ قال: هو الكعبة البيت الحرام الذى هو معمور من الناس يعمره الله عز وجل كل سنة، أول مسجد وضع للعباد فى الأرض.

﴿وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ﴾: يعنى السماء سماها سقفاً لأنها للأرض كالسقف للبيت، دليله ونظيره قوله سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا﴾ (الأنبياء: ٣٢).

﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ ..... (١).

وقال الضحاك، وشمر بن عطية، ومحمد بن كعب، والأخفش يعنى: الموقد المحمى بمنزلة التنور المسجور. ومنه قيل للمسعر مسجور، ودليل هذا التأويل ما روى أن النبى ﷺ قال: «لا يركب البحر إلا حاج أو معتمر أو مجاهد فى سبيل الله فإن تحت البحر ناراً وتحت النار بحراً وتحت البحر ناراً فى نار».

(١) كلمة محموة من صورة المخطوط.

وقال ﷺ: «البحر نار فى نار» وروى سعيد بن المسيب أن علياً عليه السلام قال لرجل من اليهود: أين جهنم؟ قال: البحر. فقال: ما أراك إلا صادقاً، (وتلا)<sup>(١)</sup>: ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾، ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ (التكوير: ٦) مخففة.

وتفسير هذا ما روى فى الحديث: «إن الله تعالى يجعل يوم القيامة البحار كلها ناراً فيسجر بها نار جهنم».

وقال قتادة: ﴿الْمَسْجُورِ﴾ المملوء، وقال ابن كيسان: المجموع ماؤه بعضه إلى بعض، ومنه قول لبيد:

متوسطاً عرض السرىّ وصدعا  
مسجورة متجاوزاً قدامها  
فقال النمر بن تولب:

إذا شاء الطالع مسجورة  
ترى حولها النبع والسَّماسم<sup>(٢)</sup>  
وقال أبو العالية: هو اليابس الذى ذهب ماؤه، ونضب.

وهو رواية عطية، وذى الرمة عن ابن عباس. أخبرنا ابن فنجويه أخبرنا عبيد الله بن عبد الله ابن سمرة أخبرني أبو بكر عبد الله بن سليمان بن الأشعث أخبرنا أبو جعفر السدوسى أخبرنا الأصمعى عن أبى عمرو بن العلاء عن ذى الرمة عن ابن عباس فى قوله تعالى: ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾: الفارغ. قال: خرجت أمة تستقى فرجعت، فقالت: إن الحوض مسجور تعنى فارغ.

قال ابن أبى داود: وليس لذى الرمة حديث غير هذا، وروى على بن أبى طلحة عن ابن عباس قال: ﴿الْمَسْجُورِ﴾: المحبوس، وقال الربيع بن أنس: المختلط العذب بالملح.

وأخبرنا ابن فنجويه أخبرنا مخلد بن جعفر الباقرجى أخبرنا الحسن بن علوية أخبرنا إسماعيل بن عيسى أخبرنا إسحاق بن بشر أخبرنى جويرى عن الضحاك، ومقاتل بن سليمان عن الضحاك عن النزال بن سبرة عن على بن أبى طالب عليه السلام أنه قال فى ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾: هو بحر تحت العرش غمره كما بين سبع سموات إلى سبع أرضين، وهو ماء غليظ يقال له بحر الحيوان يمطر العباد بعد النفخة الأولى أربعين صباحاً، فينبتون فى قبورهم<sup>(٣)</sup>.

(١) زيادة يتطلبها السياق.

(٢) النبع والسَّماسم: شجر يتخذ منه لقسى السهام.

(٣) الساعة وعلاماتها وأحداث يوم القيامة كل ذلك من علم ربه سبحانه وجاءت فيه بعض الأحاديث القليلة جداً وما عدا ذلك فلا يعتد به، وهذا مما لا يعتد به.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾: لنازل ﴿مَّا لَهُ مِنْ دَافِعٍ﴾: مانع.  
قال جبير بن مطعم: قدمت المدينة لأكلم النبي ﷺ في أسارى بدر، فرفعت إليه وهو يصلى بأصحابه المغرب، وصوته يخرج من المسجد سمعته يقرأ: ﴿وَالطُّورِ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ مَّا لَهُ مِنْ دَافِعٍ﴾ فكأنما صدع قلبي، فكان أول ما دخل قلبي الإسلام، فأسلمت خوفاً من نزول العذاب، وما كنت أظن أن أقوم من مكاني حتى يقع بي العذاب.  
وأخبرنا أبو عبد الله... (١) المكي عن هشام بن حسان قال: انطلقت أنا ومالك بن دينار إلى الحسن، فانتهينا إليه وعنده رجل يقرأ، فلما بلغ هذه الآية: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ مَّا لَهُ مِنْ دَافِعٍ﴾ بكى الحسن وبكى أصحابه، وجعل مالك يضطرب حتى غشى عليه.



﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَا﴾ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكْذِبُونَ ﴿أَفْسِحْرُهُ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ أَصْلُوهَا فَأَصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْرَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ﴾ فَلَكَهِنَّ بِمَاءٍ أَنْتُهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَلَّهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿كُلُوا وَأَشْرَبُوا وَهْنًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ مُتَّكِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَرَوَّجَتْهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلْتَنَّهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهينٌ﴾ وَأَمَدَدْنَا لَهُمْ بِفِكَهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿يَتَنَزَّعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَعْنٌ فِيهَا وَلَا تَأْتِيهِمْ﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ ﴿

﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾... (١) تدور كدوران الرحي وتتكفأ بأهلها تكفأ السفينة، ويموج بعضها في بعض.

واختلفت عبارات المفسرين فيها: فقال ابن عباس: تدور دورانا. وقال قتادة: تتحرك. وقال الضحاك: تحرك. وقال عطاء الخراساني: تختلف أجزاءها بعضها ببعض. قطرب: تضطرب. وقال عطية: تختلف. وقال المورج: تتجول بعضهم. وقال الأخفش: تتكفأ.

(١) موضع النقط كلمات محوطة من المخطوط.



وكلها متقاربة.

وقال عطاء: المور: الاختلاف والاضطراب قال رؤبة:

مسودة الأعطاف من وشم العرق مائة الضبعين مصلاة العنق  
أى مضطربة العضدين.

﴿وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا﴾: فتزول عن أماكنها، وتصير هباءً منثوراً<sup>(١)</sup>.

﴿قَوْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾: وإنما دخل الفاء فى قوله: ﴿قَوْلٌ﴾ لأن فى الكلام معنى المجازة.

مجازه: إذا كان هذا قول للمكذبين.

﴿الَّذِينَ هُمْ فِي حَوْضٍ﴾: باطل ﴿يَلْعَبُونَ﴾: غافلين جاهلين ساهين لاهين.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُدْعَوْنَ﴾: يدفعون ﴿إِلَى نَارٍ جَهَنَّمَ دَعَاً﴾: دفعاً، ويزعجون إليها إزعاجاً.

وذلك أن خزنة النار يغلون أيديهم إلى أعناقهم، ويجمعون نواصيهم إلى أقدامهم، ثم يدفعونهم إلى النار دفعاً على وجوههم، وزجاً فى أقيمتهم حتى يردوا النار.

وقرأ أبو رجاء العطاردي: ﴿يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَى نَارٍ جَهَنَّمَ دَعَاً﴾. بالتخفيف من الدعاء قالوا: فإذا

دنوا من النار قالت لهم الخزنة: ﴿هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ أفسخه هذا أمر أنت لا تبصرون.

﴿أَصْلُهَا﴾: ادخلوها ﴿فَأَصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ إن المتقين

فى جناتٍ واعمير فكهن: ذوو فاكهة كثيرة. وفكهن: معجبين ناعمين.

قوله تعالى: ﴿بِمَاءٍ أَلْتَهُمْ رَبُّهُمُ وَوَقَّهَهُمْ رَبُّهُمُ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾: ما يشاء الله تعالى إياهم ثم قال

لهم: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ متكئين على سرر مصفوفة. قد صف بعضها إلى

بعض، وقوبل بعضها ببعض ﴿وَرَزَوْنَا لَهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾ والذين آمنوا: قرأ أبو عمرو:

(وأتبعناهم) بالنون والألف (ذرياتهم): بالألف، وكسر التاء فيها لقوله: ﴿الْحَقْنَا﴾ و﴿وَمَا

الْتَنَّهُمْ﴾ ليكون الكلام على نسق واحد. وقرأ الآخرون: ﴿وَاتَّبَعْتَهُمْ﴾ بالتاء من غير ألف. ثم

اختلفوا فى قوله: ﴿ذُرِّيَّتُهُمْ﴾: فقرأ أهل المدينة الأولى بغير ألف وضم التاء، والثانية بالألف

وكسر التاء، وقرأ أهل الشام بالألف فيهما، وكسر التاء الثانية، وهو اختيار يعقوب، وأبى

حاتم، وقرأ الباقون بغير ألف فيهما، وكسر التاء الثانية، وهو اختيار أبى عبيد.

واختلف المفسرون فى معنى الآية: فقال قوم: معناها والذين آمنوا واتبعتم ذريتهم

﴿بِأَيْمَنِ الْاَحْقَانِ﴾ ذُرِّيَّتُهُمْ: المؤمنين فى الجنة بدرجاتهم، وإن كانوا لم يبلغوا بأعمالهم درجات

(١) فى هامش المخطوط: «منبأ».

آبائهم تكرمه لآبائهم لتقر بذلك أعينهم ، وهى رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس ، وقال آخرون معناه : ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ الذين بلغوا الإيمان ﴿ الْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ : الصغار الذين لم يبلغوا الإيمان ، وهو قول الضحاك ، ورواية العوفى عن ابن عباس : فأخبر الله تعالى أنه يجمع لعبده المؤمن ذريته فى الجنة كما كان يحب فى الدنيا أن يجتمعوا إليه ، ويدخلهم الجنة بفضله ويلحقهم بدرجته بعمل أبيه من غير أن ينقص الآباء من أجور أعمالهم شيئاً فذلك قوله عز وجل ﴿ وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ ﴾ : يعنى الآباء . والهاء ، والميم راجعتان إلى قوله : ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ والآلت : النقص والبخس . وقرأ ابن كثير بكسر اللام .

وأخبرنا الحسين بن محمد بن فنجويه الحديثى أخبرنا سعد بن محمد بن إسحاق الصيرفى أخبرنا محمد بن عثمان بن أبى شيبه أخبرنا جنادة بن المغيث أخبرنا قيس بن الربيع أخبرنا عمرو ابن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله عز وجل يرفع ذرية المؤمن فى درجته وإن كانوا دونه فى العمل لتقر بهم عينه » ثم قرأ : ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ ﴾ قال : « ما نقصنا الآباء بما أعطينا البنين » .

وأخبرنا الحسن بن فنجويه أخبرنا أحمد بن محمد بن على الهمداني أخبرنا أبو عبد الله عثمان بن نصير البغدادى بيردعة أخبرنا محمد بن عبد الرحمن بن غزوان أخبرنا شريك عن سالم الأفتس عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال : أظنه ذكره عن النبى ﷺ قال : « إذا دخل أهل الجنة الجنة ، فيسأل الرجل عن أبويه وزوجته وولده فيقال إنهم لم يدركوا ما أدركت ، فيقول لقد عملت لى ولهم فيؤمر بالحاقهم به » ثم قال ابن عباس : ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ .

أخبرنا ابن فنجويه الدينورى أخبرنا أبو بكر ابن مالك القطيعى أخبرنا عبد الله بن أحمد بن حنبل أخبرنا عثمان بن أبى شيبه أخبرنا محمد بن الفضل عن محمد بن عثمان عن زاذان عن على عليه السلام قال : سألت خديجة النبى ﷺ عن ولدين ماتا لها فى الجاهلية فقال رسول الله ﷺ : « هما فى النار » <sup>(١)</sup> (فلما رأى الكراهية فى وجهها قال : « لو رأيت مكانهما لأبغضتهما » .

(١) إلى هنا ثم سقطت الأوراق التى تحمل تفسير باقى السورة حتى نهايتها فرأيت استتمام ما سقط من أوراقها من تفسير القرطبى حيث إن القرطبى ينقل كثيراً من الثعلبى بالنص ، وسأشير فى بعض المواضع إلى أن هذا قول القرطبى وسأختصر فى بعض العبارات إذا اقتضت الضرورة والله الموفق والهادى إلى الصواب بفضله ، وسأجعل ذلك بين معقوفين يبدأ المعقوف الأول من أول هنا وعند النهاية أغلق بالمعقوف الثانى فى نهاية السورة إن شاء الله وأشير إلى ذلك فى موضعه وليتنبه القارئ لذلك حتى لا يحدث خلط بين قول الثعلبى فى تفسيره والقرطبى فى تفسيره ، وإن كان ينقل كثيراً عنه .

قالت : يا رسول الله ، فولد اى منك ؟

قال : « فى الجنة » . ثم قال : « إن المؤمنین وأولادهم فى الجنة ، والمشرکین وأولادهم فى النار » . ثم قرأ : ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِذْنِ الْحَقِّ تَابَ عَلَيْهِمْ ذُرِّيَّتُهُمْ ﴾ الآية .

قال ابن الأعرابى : آله يآلته ألتا ، وآلته إيلآتا ، وآلته يآلته لآلها إذا نقصه .

وفى الصحاح : لآته عن وجهه يآلوته ويآلته أى حبسه عن وجهه وصرفه ، وكذلك آلته عن وجهه فعل وأفعل بمعنى . ويقال أيضاً : ما آلآته من عمله شيئاً ، أى ما نقصه ، مثل آله ، وقد مضى بالحجرات .

﴿ كُلُّ أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ ﴾ من الخير والشر ﴿ رَهِيْنٌ ﴾ : قيل : يرجع إلى أهل النار ، قال ابن عباس : ارتهن أهل جهنم بأعمالهم ، وصار أهل الجنة إلى نعيمهم ، ولهذا قال : ﴿ كُلُّ أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ رَهِيْنٌ ﴾ وقيل : هو عام لكل إنسان مرتهن بعمله فلا ينقص أحد من ثواب عمله ، فأما الزيادة على ثواب العمل فهى تفضل من الله . ويحتمل أن يكون هذا فى الذرية الذين لم يؤمنوا فلا يلحقون آباءهم المؤمنین بل يكونون مرتهين بكفرهم .

قوله تعالى : ﴿ وَأَمْدَدْتَنَّهُمْ بِفِكَهٍمْ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴾ : أى أكثرنا لهم من ذلك زيادة من الله ، أمدهم بها غير الذى كان لهم .

قوله تعالى : ﴿ يَتَنَزَّعُونَ فِيهَا كَأْسًا ﴾ : أى تناولها بعضهم من بعض ، وهو المؤمن وزوجاته وخدمه فى الجنة ، والكأس إناء الخمر ، وكل إناء مملوء من الشراب وغيره ، فإذا فرغ لم يسم كأساً . وشاهد التنازع والكأس فى اللغة قول الأخطل :

وشارب مريح بالكأس نادمنى      لا بالحصور ولا فيها بسوار  
نازعه طيب الراح الشمول وقد      صاح الدجاج وحانت وقعت السادى  
وقال امرؤ القيس :

فلما تنازعنا الحديث وأسمحت      هصرت بغصن ذى شماريخ ميال

﴿ لَا لَعُوْفِيهَا ﴾ : أى فى الكأس وهو أى لا يجرى بينهم لغو .

﴿ وَلَا تَأْتِيَهُمْ ﴾ : ولا ما فيه إثم ، والتأثيم تفعيل من الإثم ، أى تلك الكأس لا تجعلهم آثمين لأنه مباح لهم . وقيل : ﴿ وَلَا تَأْتِيَهُمْ ﴾ أى فى الجنة ، قال ابن عطاء : أى لغو يكون فى مجلس محله جنة عدن !! وسقاتهم الملائكة وشربهم على ذكر الله ، وريحانهم وتحيتهم من عند الله والقوم أضياف الله .

﴿ وَلَا تَأْتِيَهُمْ ﴾ : ولا كذب ، قاله ابن عباس ، وقال الضحاك : يعنى لا يكذب بعضهم بعضاً

وقرأ ابن كثير، وابن محيصن: لا لَغَوَ فِيهَا وَلَا تَأْتِيهِمْ، بفتح آخره. وقرأ الباقون بالرفع والتونين.

قوله تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾: بالخدمة أى بالفواكه والتحف، والطعام، والشراب. ثم قيل: هم الأطفال من أولادهم الذين سبقوهم، فأقر الله تعالى بهم أعينهم. وقيل: إنهم من أخذ منهم الله تعالى إياهم من أولاد غيرهم. وقيل: هم غلمان خلقوا فى الجنة. قال الكلبي: لا يكبرون أبداً.

﴿غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ﴾: فى الحسن والبياض ﴿مُكْنُونٌ﴾: فى الصدف، والمكنون المصون. قوله تعالى: ﴿غِلْمَانٌ لَهُمْ﴾: قيل: هم أولاد المشركين، وهم خدم أهل الجنة، وليس فى الجنة نصب، ولا حاجة إلى خدمة، ولكنه أخبرنا بأنهم فى نهاية النعيم.

أخبرنى الحسن بن محمد، قال: حدثنا أحمد بن على بن عمر بن خنيس، قال: حدثنا محمد بن أحمد بن عصام، قال: حدثنا عمر بن عبد العزيز المصرى، قال حدثنا يوسف بن أبى طيبة عن وكيع بن الجراح عن هشام عن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها: أن نبى الله ﷺ قال: «إن أدنى أهل الجنة منزلة من ينادى الخادم من خدمه فيجيبه ألف يناديه كلهم لييك لييك».

وأخبرنى ابن فنجويه قال: حدثنا أبو على المقرئ، قال: حدثنا محمد بن عمران قال: حدثنا هانى بن المسرى، قال: حدثنا عبيدة بن سعيد عن قتادة عن عبد الله بن عمر قال: قال النبى ﷺ: «ما من أحد من أهل الجنة إلا يسعى عليه ألف غلام كل غلام على عمل ليس عليه صاحبه».

وأخبرنى ابن فنجويه قال: حدثنا عبد الله بن إبراهيم بن أيوب المنوى قال: حدثنا الحسن بن الكميت الموصلى قال: حدثنا المعلى بن مهدى، قال: أخبرنا مسكين عن حوشب عن الحسن أنه كان إذا تلا هذه الآية ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾ قالوا: يا رسول الله كأن الخادم كاللؤلؤ فكيف الخدم؟ فقال: «ما بينهما كما بين القمر ليلة البدر وبين أصغر الكواكب».

قال الكسائى: كنت الشىء سترته، وصنته من الشمس، وأكنته فى نفسى أسرته. وقال أبو زيد: كنته، وأكنته، بمعنى واحد فى الكنى وفى النفس جميعاً، تقول: كنت العلم وأكنته فهو مكنون ومكن، وكنت الجارية وأكنتها فهى مكنونة ومكنة.



﴿وَأَقْبَلْ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿١٠﴾ فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا  
وَوَقَلْنَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴿١١﴾ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿١٢﴾ فَذَكَرْنَا مَا أَنْتَ  
بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿١٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ ﴿١٤﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا  
فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَرِبِينَ ﴿١٥﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَمُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿١٦﴾ أَمْ يَقُولُونَ  
تَقَوْلُهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿١٨﴾ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ  
هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿١٩﴾ أَمْ خَلِقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ  
هُمُ الْمَصِيطِرُونَ ﴿٢١﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَنٍ مُبِينٍ ﴿٢٢﴾ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ  
وَلَكُمْ الْبَنُونَ ﴿٢٣﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ ﴿٢٤﴾ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ  
يَكْتُبُونَ ﴿٢٥﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿٢٦﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَهُ غَيْرَ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ  
عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٧﴾ وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ ﴿٢٨﴾ فَذَرَهُمْ حَتَّى  
يَلْتَقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِنَّ  
لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣١﴾ وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ  
بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٣٢﴾ وَمِنْ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَرَ النُّجُومِ ﴿٣٣﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَقْبَلْ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ قال ابن عباس: إذا بعثوا من قبورهم سأل بعضهم بعضاً. وقيل: فى الجنة ﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾: أى يتذكرون ما كانوا عليه فى الدنيا من التعب والخوف من العاقبة، ويحمدون الله تعالى على زوال الخوف عنهم. وقيل: يقول بعضهم لبعض: بم صرت فى هذه المنزلة الرفيعة ﴿قَالُوا﴾: أى قال كل مستول منهم لسائله: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾: أى فى الدنيا خائفين وجلين من عذاب الله.

﴿فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾: بالجنة والمغفرة. وقيل: بالتوفيق والهداية.

﴿وَوَقَلْنَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾: قال الحسن: ﴿السَّمُومُ﴾ اسم من أسماء النار وطبقة من طباق جهنم. وقيل: هو النار، كما تقول جهنم. وقيل: نار عذاب السموم. والسَّمُوم: الريح الحارة تؤنث، يقال منه: سُمَّ يومنا، فهو مسموم، والجمع سمائم.

قال أبو عبيدة: السَّمُوم بالنهار، وقد تكون بالليل، والحرور بالليل وقد تكون بالنهار، وقد

تستعمل السموم في لفتح البرد وهو في لفتح الحرّ والشمس أكثر قال الراجز:  
اليوم يوم بارد سَمُوْمُهُ      من جزع اليوم فلا أَلُوْمُهُ

أخبرني ابن فنجويه قال: حدثنا أبو بكر بن مالك، قال: حدثنا عبد الله، قال: حدثنا أبي قال: حدثنا أنس بن عياض، قال: حدثني شيبه بن نصاح عن القاسم بن محمد قال غدوت يوماً وكنت إذا غدوت بدأت بعائشة رضى الله عنها أسلم عليها، فوجدتها ذات يوم تصلى السبحة وهى تقرأ ﴿فَمَنْ لَّهِ عَلَيْنَا وَوَقْنَا عَذَابَ السَّمُورِ﴾ وتردها وتبكي، فقممت حتى مللت ثم ذهبت إلى السوق بحاجتى ثم رجعت فإذا هى تقرأ وتردها وتبكي وتدعو.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ﴾: أى فى الدنيا ﴿نَدْعُوهُ﴾ بأن يمن علينا بالمغفرة عن تقصيرنا. وقيل: ﴿نَدْعُوهُ﴾ أى نعبده ﴿إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾: وقرأ نافع والكسائي: (أنه) بفتح الهمزة أى لأنه وهو اختيار أبي حاتم. وقرأ الباقر بالكسر على الابتداء. وهو اختيار أبي عبيدة و﴿الْبُرِّ﴾: اللطيف، قاله ابن عباس. وعنه أيضاً: إنه الصادق فيما وعد. وقاله ابن جريج ﴿الرَّحِيمُ﴾.

قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ﴾ أى فذكر يا محمد قومك بالقرآن ﴿فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ﴾: يعنى برسالة ربك ﴿بِكَاهِنٍ﴾: يتتبع القول ويخبر بما فى غد من غير وحى، والكاهن الذى يقول: إن معى قريناً من الجن.

﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾: نزلت هذه الآية فى الخراصين الذين اقتسموا عقاب مكة، يصدون الناس عن الإيمان، ويرمون رسول الله ﷺ بالكهانة والمجنون والسحر والشعر. فذلك قوله سبحانه: ﴿فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ وهذا رد لقولهم فى النبى ﷺ فى عقبه بن أبى معيط قال: إنه مجنون وشيبة بن ربيعة قال: إنه ساحر. وغيرهما قال: كاهن. فأكثر بهم الله تعالى ورد عليهم ثم قيل: إن معنى ﴿بِنِعْمَتِ رَبِّكَ﴾ القسم، أى وبنعمة الله ما أنت بكاهن ولا مجنون. وقيل: ليس قسماً، وإنما هو كما تقول: ما أنت بحمد الله بجاهل، أى قد برأك الله من ذلك.

قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ يعنى هؤلاء المقتسمين الخراصين أى بل يقولون: محمد شاعر، قال سيبويه: خوطب العباد بما جرى فى كلامهم.

قال أبو جعفر النحاس: وهذا كلام حسن إلا أنه غير مبين ولا مشروع. يريد سيبويه: أن ﴿أَمْ﴾ فى كلام العرب الخروج من حديث إلى حديث كما قال:

❖ أتتهجر غانية أم تلمّ ❖

فتم الكلام ثم خرج إلى شىء آخر فقال:

## ❖ أم الحبل وآه بها منجدم ❖

فما جاءه في كتاب الله تعالى من هذا فمعناه التقرير، والتوبيخ، والخروج من حديث إلى حديث والنحويون يمثلونها ببل.

﴿شَاعِرٌ تَرَبَّصُ بِهِ رَبِّبَ الْمُنُونِ﴾: قال قتادة: قال قوم من الكفار تربصوا بمحمد الموت يكفيكموه كما كفى شاعر بن فلان، قال الضحاك: هؤلاء بنو عبد الدار نسبوه إلى أنه شاعر، أى يهلك عن قريب كما هلك من قبل من الشعراء، وأن أباه مات شاباً، فربما يموت كما مات أبوه، وقال الأخفش: تتربص به إلى ريب المنون، فحذف حرف الجر، كما تقول: قصدت زيداً، وقصدت إلى زيد. والمنون: الموت، في قول ابن عباس؛ قال أبو الغول الطهوى:

هم منعوا حمى الوقى بضرب يؤلف بين أشتات المنون

يقول: إن الضرب يجمع بين قوم متفرقى الأمكنة لو أتهم منياهم فى أماكنهم لأتهم متفرقة، فاجتمعوا فى موضع واحد، فأتهم المنيا مجتمعة، وقال السدى عن أبى مالك عن ابن عباس: ريب فى القرآن: شك إلا مكاناً واحداً (ريب المنون): يعنى حوادث الأمور. وقال الشاعر:

تربص بها ريب المنون لعلها تطلق يوماً أو يموت حليلها

وقال مجاهد: (ريب المنون) حوادث الدهر. والمنون: هو الدهر؛ قال أبو ذؤيب:

أمن المنون وريبه تتوجع والدهر ليس بمعتب من يجذع

وقال الأعشى:

أأن رأيت رجلاً أعشى أضربه ريب المنون ودهر متبل خبل

قال الأصمعى: المنون: الليل والنهار وسمى بذلك لأنهما ينقصان الأعمار، ويقطعان الآجال. وعنه: أنه قيل للدهر منون، لأنه يذهب بمنة الحيوان أى قوته، وكذلك المنية، قال أبو عبيدة: قيل للدهر منون لأنه مضعف من قولهم: جبل منين أى ضعيف. والمنين: الغبار الضعيف، قال الفراء: والمنون مؤنثة، وتكون واحداً وجمعاً، قال الأصمعى: المنون واحد لا جماعة له، قال الأخفش: هو جماعة لا واحد له، والمنون يذكر ويؤنث فمن ذكره جعله الدهر أو الموت، ومن أنثه، فعلى الحمل على المعنى، كأنه أراد المنية.

قوله تعالى: ﴿قُلْ﴾: أى قل لهم، يا محمد ﴿تَرَبَّصُوا﴾: أى انتظروا حتى يأتى أمر الله فيكم ﴿فَلِإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَرِبِينَ﴾: أى من المنتظرين بكم العذاب، فعذبوا يوم بدر بالسيف. قوله تعالى: ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَخْلَعُنَاهُمْ﴾: أى عقولهم ﴿بِهَذَا﴾: أى بالكذب عليك ﴿أَمْ هُمْ قَوْمٌ﴾

طَاغُونَ ﴿: أى أم طغوا بغير عقول . وقيل: ﴿أَمْ﴾ بمعنى بل . أى بل كفروا طغياناً وإن ظهر لهم الحق ، وقيل لعمر بن العاص : ما بال قومك لم يؤمنوا وقد وصفهم الله بالعقل ؟ فقال : تلك عقول كادها الله ، أى لم يصحبها بالتوفيق . وقيل: ﴿أَخْلَمُهُمْ﴾ أى أذهانهم لأن العقل لا يعطى للكافر ولو كان له عقل لآمن وإنما يعطى للكافر الذهن فصار عليه حجة . والذهن يقبل العلم جملة والعقل يميز العلم ويقدر المقادير لحدود الأمر والنهى .

وروى عن النبي ﷺ أن رجلاً قال : يا رسول الله ، ما أعقل فلاناً النصرانى ؟! فقال : «مه ، إن الكافر لا عقل له ، أما سمعت قول الله تعالى : ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ (الملك: ١٠)» وفى حديث ابن عمر : فزجره النبي ﷺ ، ثم قال : «مه ، فإن العاقل من يعمل بطاعة الله» . ذكره الترمذى الحكيم أبو عبد الله بإسناده .

﴿أَمْ﴾ بل هم ﴿يُقُولُونَ تَقْوَاهُ﴾ : أى افتعله وافتراه ، يعنى القرآن ، والتقول : تكلف القول ، وإنما يستعمل فى الكذب فى غالب الأمر ، ويقال : قولتنى ما لم أقل ، وأقولتنى ما لم أقل ، أى ادعيته على وتقول عليه : أى كذب عليه ، واقتال عليه : أى تحكم ، قال :

ومنزله فى دار صدق وغبطة وما اقتال من حكم على طيب

(فأَمْ) الأولى للإنكار ، والثانية للإيجاب . أى ليس كما يقولون .

﴿بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ : جحداً واستكباراً ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ﴾ : أى بقرآن يشبهه من تلقاء أنفسهم ﴿إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ : فى أن محمداً افتراه ، وتقوله من تلقاء نفسه فإن اللسان لسانهم وهم مستوون فى البشرية واللغة والقوة ، وقرأ الجحدرى : فليأتوا بحديث مثله ، بالإضافة ، والهاء فى (مثله) للنبي ﷺ ، وأضيفت حديث الذى يراد به القرآن إليه لأنه المبعوث به ، والهاء على قراءة الجماعة للقرآن .

قوله تعالى : ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ : (أم) صلة زائدة ، والتقدير : أخلقوا من

غير شىء .

قال ابن عباس : من غير رب خلقهم ، وقدرهم . وقيل : من غير أم ولا أب ، فهم كالجناد لا يعقلون ولا تقوم لله عليه حجة . ليسوا كذلك ، أليس قد خلقوا من نطفة وعلقة ، ومضغة ، قاله ابن عطاء ، وقال ابن كيسان : أم خلقوا عبثاً وتركوا سدى (من غير شىء) أى لغير شىء فمن بمعنى اللام .

﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾ : أى يقولون أنهم خلقوا أنفسهم فهم لا يأتون بأمر الله؟ وهم لا يقولون ذلك ، وإذا أقروا أن تمَّ خالقاً غيره فما الذى يمنعهم من الإقرار له بالعبادة دون الأصنام



ومن الإقرار بأنه قادر على البعث ﴿أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾: أى ليس الأمر كذلك فإنهم لم يخلقوا شيئاً.

﴿أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِلَا يُوقِنُونَ﴾: بالحق ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رِزْقِ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمَصِيرُونَ﴾: أم عندهم ذلك فيستغنوا عن الله ويعرضوا عن أمره، وقال ابن عباس: ﴿خَزَائِنُ رَبِّكَ﴾ المطر والرزق، وقيل: مفاتيح الرحمة، وقال عكرمة: النبوة، أى أقبأيديهم مفاتيح ربك بالرسالة يضعونها حيث شاءوا، وضرب المثل بالخزائن لأن الخزانة بيت يهياً لجمع أنواع مختلفة من الذخائر، ومقدورات الرب كالخزائن التى فيها من كل الأجناس، فلا نهاية لها ﴿أَمْ هُمُ الْمَصِيرُونَ﴾: قال ابن عباس: المسلطون الجبارون. وعنه أيضاً المبطون، وقاله الضحاك. وعن ابن عباس أيضاً: أى المتولون. وقال عطاء: أم هم أرباب قاهرون. وقال عطاء (أيضاً)<sup>(١)</sup>: يقال تسيطر على أى اتخذتنى خولاً لك. وقاله أبو عبيدة، وفى الصحاح: المسيطر والمسيطر، المسلط على الشئ ليشرف عليه ويتعهد أحواله، ويكتب عمله، وأصله من السطر لأن الكتاب يسطر، والذى يفعله مُسَطَّر، ومسيطر، يقال: سيطرت علينا.

قال ابن بحر: ﴿أَمْ هُمُ الْمَصِيرُونَ﴾ أى هم الحفظة مأخوذ من تسطير الكتاب الذى ما كتب فيه، فصار المسيطر ههنا حافظاً ما كتبه الله فى اللوح المحفوظ، وفيه ثلاث لغات: الصاد، وبها قراءة العامة، والسين وهى قراءة ابن محيصن وحמיד، ومجاهد، وقنبل، وهشام، وأبى حيوه. وبإشمام الصاد الزاى، وهى قراءة حمزة كما تقدم فى الصراط.

قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ سُورٌ﴾: أى أيدعون أن لهم مرتقى إلى السماء ومصعداً وسبباً ﴿يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾: أى عليه الأخبار، ويصلون به إلى علم الغيب كما يصل إليه محمد ﷺ بطريق الوحي ﴿فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعَهُمْ بِأُطْنِ مُبِينٍ﴾: أى بحجة بينة أن هذا الذى هم عليه حق والسلم واحد السلالم التى يرتقى عليها وربما سمي الغرز بذلك، قال أبو الريبس الثعلبى يصف ناقته:

مطارة قلب إن ثنى الرجل ربها  
يسلم غرز فى مناخ يعاجله  
قال زهير:

ومن هاب أسباب المنية يلقيها  
ولورام أسباب السماء بسلم  
وقال آخر:

تجنبت لى ذنباً وإن جنبته  
لتتخذى عذراً إلى الهجر سلما

(١) زيادة يتطلبها السياق.

وقال ابن مقبل في الجمع:

لا تحرز المرء أحجاء البلال ولا بينى له فى السماء السلايم

الأحجاء: النواحي مثل الأرجاء، واحدها حَجًّا ورجًا مقصور. ويروى: أعناء البلاد، والأعناء أيضاً النواحي، واحدها: عنو بالكسر. وقال ابن الأعرابي: واحدها عنًا مقصور. وجاءنا أعناء من الناس، واحدهم عنو بالكسر، وهم قوم من قبائل شتى.

﴿يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾: أى عليه كقوله تعالى: ﴿فِي جُدُوعِ النَّخْلِ﴾ (طه: ٧١) أى عليها، قال الأخفش. وقال أبو عبيدة: يستمعون به. وقال الزجاج: أى ألهم كجبريل الذى يأتى النبى ﷺ بالوحي.

قوله تعالى: ﴿أَمْرُهُ الْبَلْتُ وَالْكُفُّ الْبُتُونُ﴾: سفه أحلامهم توبيخاً لهم وتقريعاً، أى أتضيفون إلى الله البنات مع أنفتكم منهن، ومن كان عقله هكذا، فلا يستبعد منه إنكار البعث.

﴿أَمْرَسَتْ لَهُمْ أَجْرًا﴾: أى على تبليغ الرسالة، وجعلاً على ما جئتهم به ودعوتهم إليه ﴿فَهُمْ مِنْ مَّغْرَمٍ﴾: أى فهم من المغرم الذى تطلبهم به ﴿مُتَقَلُّونَ﴾ مجهدون لما كلفتهم به.

﴿أَمْرٌ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾: أى يكتبون للناس ما أرادوه من علم الغيوب، وقيل: أم عنده علم ما غاب عن الناس حتى علموا أن ما أخبرهم به الرسول ﷺ من أمر القيامة والجنة والنار، والبعث باطل، وقال قتادة: لما قالوا: نترى به ريب المنون، قال الله تعالى: ﴿أَمْرٌ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ﴾ حتى علموا متى يموت محمد أو ما يؤول إليه أمره، وقال ابن عباس: أم عندهم اللوح المحفوظ ﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ ما فيه ويخبرون الناس بما فيه.

وقال القتيبي: ﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾

أى يحكمون، والكتاب الحكم ومنه قوله تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ (الأنعام: ٥٤) أى حكم، وقوله ﷺ: «والذى نفسى بيده لأحكمن بينكم بكتاب الله». أى بحكم الله.

قوله تعالى: ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا﴾: أى مكرًا بك فى دار الندوة ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمْ الْمَكِيدُونَ﴾: أى الممكور بهم، ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله وذلك أنهم قتلوا بيدر.

﴿أَمْرُهُمْ إِلَهُ غَيْرَ اللَّهِ﴾: يخلق ويرزق ويمنع ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: نزه نفسه أن يكون له شريك، قال الخليل: كل ما فى سورة الطور من ذكر ﴿أَمْرٌ﴾ كلمة استفهام وليس بعطف.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا﴾: قال ذلك جواباً لهم: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنْ

السَّمَاءِ ﴿الشعراء: ١٨٧﴾ وقولهم: ﴿أَوْتَسْقِطُ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِبَفًا﴾ (الإسراء: ٩٢) فأعلم أنه لو فعل ذلك.

﴿يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾: أى بعضه فوق بعض سقط علينا، وليس سماء، هذا فعل المعاند أو فعل من استولى عليه التقليد وكان فى المشركين القسمان. والكسْفُ: جمع كسفة وهى القطعة من الشيء، يقال: يقال: أعطنى كسفة من ثوبك، ويقال: فى جمعها أيضاً كسْف. ويقال الكسف والكسفة واحد. قال الأخفش: من قرأ كسفاً جعله واحداً ومن قرأ كسفاً جعله جمعاً.

قوله تعالى: ﴿فَدَرَاهِمٌ﴾: منسوخ بآية السيف (١) ﴿حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾: بفتح الياء قراءة العامة، وقرأ الأعمش وابن عامر وعاصم بضمها. قال الفراء: هما لغتان، صَعَقَ وصَعَقَ مثل سَعَدَ وسَعَدَ، قال قتادة: يوم يموتون. وقيل: يوم بدر. وقيل: يوم النفخة الأولى. وقيل: يوم القيامة يأتيهم فيه من العذاب ما يُزِيل عقولهم. وقيل: ﴿يُصْعَقُونَ﴾: بضم الياء من أصعقه.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾: أى ما كادوا به النبى ﷺ فى الدنيا ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾: من الله. و﴿يَوْمٌ﴾ منصوب على البدل من ﴿يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: أى كفروا ﴿عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ﴾: قيل: قبل موته. قال ابن زيد: مصائب الدنيا من الأوجاع والأسقام والبلايا مذهب الأموال والأولاد. قال مجاهد: هو الجوع والجهد سبع سنين. وقال ابن عباس: هو القتل. وعنه: عذاب القبر. وقال البراء بن عازب وعلى رضى الله عنهما: فدون بمعنى غير. وقيل: عذاباً أخف من عذاب الآخرة.

﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: ما يصيرون إليه، إن العذاب نازل بهم، قوله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾: قيل: لقضاء ربك فيما حملك من رسالته. وقيل: لبلائه فيما ابتلاك به من قومك ﴿فَأِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾: أى بمراى ومنظر منا نرى ونسمع ما تقول وتفعل. وقيل: بحيث نراك ونحفظك ونحوطك ونحرصك ونرعاك والمعنى واحد، ومنه قوله تعالى لموسى عليه السلام ﴿وَلَتُصَنِّعَ عَلَيَّ عَيْنِي﴾ (طه: ٣٩) أى بحفظى وحراستى.

قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَرَ الْجُورِ﴾: اختلف فى تأويل قوله: ﴿حِينَ تَقُومُ﴾ فقال عون بن مالك وابن مسعود وعطاء وسعيد بن جبير وأبو

(١) سبق الكلام فى أكثر من موضع عن خلاف العلماء فى مسألة الناسخ والمنسوخ والمرجح أن هذه الآية غير منسوخة.

الأحوص : يسبح الله حين يقوم من مجلسه فيقول : سبحان الله وبحمده أو سبحانك اللهم وبحمدك ، فإن كان المجلس خيراً ازددت ثناء حسناً وإن كان غير ذلك كان كفارة له ، ودليل هذا التأويل ما أخرجه الترمذى عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « من جلس فى مجلس فكثرت فيه لغظه فقال قبل أن يقوم من مجلسه سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك إلا غفر له ما كان فى مجلسه ذلك » . قال : حديث حسن صحيح غريب . وقال محمد بن كعب والضحاك والربيع : المعنى حيث تقوم إلى الصلاة ، قال الضحاك : يقول الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً ، وسبحان الله بكرة وأصيلاً ، فإن التكبير هو الذى يكون بعد القيام والتسبيح يكون وراء ذلك فدل على أن المراد فيه : حين تقوم من كل مكان كما قال ابن مسعود رضى الله عنه ، وقال أبو الجوزاء وحسان بن عطية : المعنى حين تقوم من منامك ، قال الحسن : ليكون مفتتحاً لعمله بذكر الله . وقال الكلبي : واذكر الله باللسان حين تقوم من فراشك إلى أن تدخل الصلاة وهى صلاة الفجر .

وفى هذا روايات مختلفات صحاح منها : حديث عبادة عن النبى ﷺ قال : « من تعاراً من الليل فقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير والحمد لله وسبحان الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله » . ثم قال : « اللهم اغفر لى أو دعا استجيب له ، فإن توضأ وصلى قبلت صلاته » . أخرجه الترمذى ، تعار الرجل من الليل : إذا ذهب من نومه مع صوت ومنه عار الظليم يعار عراراً هو صوته ، وبعضهم يقول : عر الظليم تعر عراراً كما قالوا زمر النعام يزمر زماراً .

وعن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان يقول إذا قام إلى الصلاة من جوف الليل : « اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت رب السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت الحق ووعدك الحق وقولك الحق ولقاؤك الحق والجنة حق والنار حق والساعة حق ومحمد حق والنبىون حق ، اللهم لك أسلمت وعليك توكلت وبك آمنت وإليك أنبت وبك خاصمت وإليك حاکمت فاغفر لى ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت ولا إله غيرك » . متفق عليه .

وعن ابن عباس أيضاً أنه عليه الصلاة والسلام إذا استيقظ من الليل مسح النوم عن وجهه ثم قرأ العشر الآيات الأخر من آل عمران ، وقال زيد بن أسلم : المعنى حين تقوم من نوم القائلة لصلاة الظهر ، قال ابن العربى : أما نوم القائلة فليس فيه أثر وهو ملحق بنوم الليل ، وقال

الضحاك: إن التسييح فى الصلاة إذا قام إليها، قال الماوردى: وفى التسييح قولان: أحدهما: وهو قوله سبحانه ربي العظيم «فى الركوع» و«سبحان ربي الأعلى» فى السجود. الثانى: أنه التوجه فى الصلاة يقول: سبحانه اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك، قال ابن العربى: من قال إنه التسييح للصلاة فهذا أفضله والآثار فى ذلك كثيرة أعظمها ما ثبت عن على بن أبى طالب عن النبى ﷺ أنه كان إذا قام إلى الصلاة قال: «وجهت وجهى» الحديث.

وفى البخارى عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه أنه قال: قلت: يا رسول الله علمنى دعاء أدعوه به فى صلاتى فقال: «قل: اللهم إنى ظلمت نفسى ظلماً كثيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لى مغفرة من عندك وارحمنى إنك أنت الغفور الرحيم».

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ أى وصلِّ له، يعنى صلاتى المغرب والعشاء وأما ﴿وَإِذْ بَنَى الثُّجُومِ﴾: فقال على وابن عباس وجابر وأنس يعنى: ركعتى الفجر.

فحمل بعض العلماء الآية على هذا القول على النذب، وجعلها منسوخة بالصلوات الخمس<sup>(١)</sup>.

وعن الضحاك وابن زيد أن قوله: ﴿وَإِذْ بَنَى الثُّجُومِ﴾: يريد به صلاة الصبح وهو اختيار الطبرى. وعن ابن عباس أنه التسييح فى آخر الصلوات. وبكسر الهمزة فى: ﴿وَإِذْ بَنَى الثُّجُومِ﴾ قرأ السبعة على المصدر. وقرأ سالم ابن أبى الجعد ومحمد بن السميعة: (وأدبار النجوم) بالفتح ومثله روى عن يعقوب وسلام وأيوب. وهو جمع دُبر ودُبر، ودُبر الأمر ودُبره آخره.

وروى الترمذى من حديث محمد بن فضيل عن رشدين بن كُريب عن أبيه عن ابن عباس عن النبى ﷺ قال: «إدبار النجوم: الركعتان قبل الفجر»، «إدبار السجود: الركعتان بعد المغرب»، قال حديث غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه من حديث محمد بن فضيل عن رشدين بن كُريب، وسألت محمد ابن إسماعيل عن محمد بن فضل ورشدين بن كُريب: أيهما أوثق؟ فقال: ما أقربهما ورشدين بن كُريب أرجحهما عندى، قال الترمذى: والقول ما قال أبو محمد ورشدين بن كُريب عنى أرجح من محمد وأقدم وقد أدرك رشدين ابن عباس ورآه.

(١) سبق أن ذكرنا الخلاف بين العلماء فى مسألة الناسخ والمنسوخ وهذه الآية داعية إلى التطوع والصلوات فرائض.

وفى صحيح مسلم رضى الله عنها: قالت: «لم يكن النبي ﷺ على شيء من النوافل أشد معاهدة منه على ركعتين قبل الصبح»، وعنهما عن النبي ﷺ قال: «ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها»<sup>(١)</sup>.



انتهى بفضل الله تعالى الجزء الخامس من تفسير الثعلبي  
ويليه إن شاء الله تعالى الجزء السادس وأوله: سورة النجم



(١) إلى هنا انتهى النقل عن تفسير القرطبي لما سقط من أوراق من مخطوط الثعلبي.

## فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٣	سورة العنكبوت
٢٥	سورة الروم
٤٦	سورة لقمان
٦٤	سورة السجدة
٧٦	سورة الأحزاب
١٣٨	سورة سبأ
١٦٦	سورة فاطر
١٨٧	سورة يس
٢٠٧	سورة الصافات
٢٤٤	سورة ص
٢٨٨	سورة الزمر
٣٣٠	سورة غافر
٣٥٩	سورة فصلت
٣٧٨	سورة الشورى
٤٠٥	سورة الزخرف
٤٢٧	سورة الدخان
٤٣٧	سورة الجاثية
٤٤٩	سورة الأحقاف
٤٧٣	سورة محمد
٤٨٦	سورة الفتح

---

٥١٨	سورة الحجرات
٥٤١	سورة ق
٥٥٩	سورة الذاريات
٥٧٣	سورة الطور
٥٩١	فهرس الموضوعات